

كتاب الصلاة

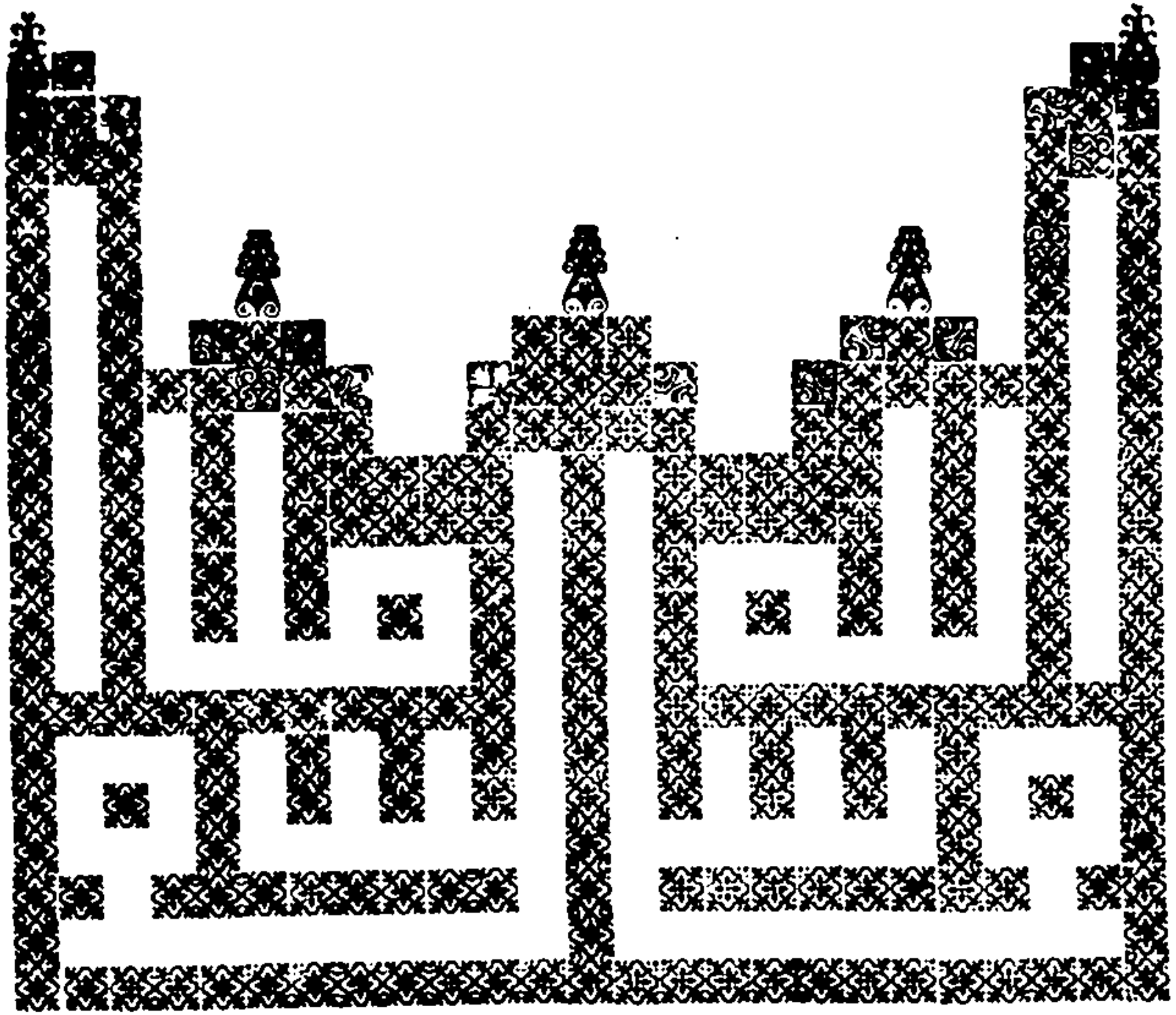
كتاب الصلاة

كتاب الصلاة

كتاب الصلاة

كتاب الصلاة

كتاب الصلاة



روائع التراث العربي

تاريخ الطبرستان

تاريخ الأمم والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرستان

٢٢٤ - ٤١٠ هـ

الجزء السادس

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



دار السیویان

بيروت - لبنان

131590

بيان

من الأصول الخطية التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب ، أجزاء متفرقة ، مختلفة الخطوط ، من نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٢٩ ، وقد رجعتُ إلى جزء منها في تحقيق الجزء الأول ، ومن هذه النسخة جزء يشتمل على ذكر حوادث سنة ٦٥ إلى آخر حوادث سنة ٨٠ هـ ؛ رجعت إليه فيما يقابله من هذا الجزء ، وأثبتت الفروق في الحواشي مع بعض فروق النسخ التي رجع إليها مصححو طبعة ليدن ؛ ورمزت إلى نسخة أحمد الثالث بالحرف « ا » ، كما مر ذكره في مقدمة الجزء الأول ، وقد وقعت فيها على تصويبات هامة ، وتوجيهات مفيدة .

وضع هذا الجزء على أساس تجزئة خاصة للناسخ . وعلى صفحة العنوان : « الجزء التاسع من كتاب تاريخ الملوك وأخبارهم ومواليد الرسل وأنباهم والكائن كان في زمن كل واحد منهم ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري رحمة الله عليه » وآخره : « تم الجزء التاسع بعون الله تعالى وتوفيقه من التاريخ يتلوه في الجزء العاشر : ثم دخلت سنة إحدى وثمانين . والحمد لله وحده ، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد نبيه وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل » . كتب بخط نسخي جلي واضح ، يميل إلى الجودة والإتقان . وضبطت بعض كلماته ضبطاً صحيحاً في الغالب ، وفيه علامات الوقف والمراجعة . ويبدو أنه كتب في القرن السادس الهجري . وعدد أوراقه ٢٢٤ ورقة ، وعدد الأسطر ١٩ سطرًا لكل صفحة . في كل سطر ١٠ كلمات تقريباً .

وقد عنيت عناية تامة بإثبات جميع التصويبات والاستدراكات والكثير من التعليقات التي وضعها مصححو طبعة ليدن في مجلد خاص ؛ وهي في مجموعها تحققت كثيراً من أعلام الأشخاص والبلدان ونصوص الشعر ؛ وذلك مما لم يثبتته ناشرو هذا الكتاب في الطبعتين المصريتين .

أما باقى التعليقات فقد جرى الأمر فيها على نحو ما جرى فى الأجزاء السابقة من الرجوع إلى أمتهات كتب التاريخ واللغة والأدب ودواوين الشعر ؛ مما أرجو أن يوضع فى ثبت خاص مع البيانات الكافية فى آخر الكتاب إن شاء الله .

والله الموفق والمعين .

محمد أبو الفضل إبراهيم

المحرم سنة ١٣٨٤

مايو سنة ١٩٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وستين

ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

فمما كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالباً بدم الحسين بن علي بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدوي .

* ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن فضيل بن خديج ، حدثه عن عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بني هند ؛ أن أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب إليهم المختار :

أما بعد ؛ فإن الله أعظم لكم الأجر ، وحط عنكم الوزر ، بمفارقة القاسطين ، وجهاد المحتلين ؛ إنكم لم تنفقوا نفقة ، ولم تقطعوا عقبة^(١) . ولم ٥٩٩/٢
تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم بها حسنة ، إلى ما لا يحصيه^(٢) إلا الله من التضعيف ؛ فأبشروا فإنني لو قد خرجت إليكم قد^(٣) جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف^(٤) بإذن الله ، فجعلتهم^(٥) بإذن الله ركاباً ؛ وقتلتهم فداً وتوأمأ ؛ فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ؛ ولا يبعد الله إلا من عصي وأبى ؛ والسلام يا أهل الهدى .

فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو ، من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة^(٦) ؛ فأتى بالكتاب رفاعة بن شداد

(١) ف : « واديا » .

(٢) ف : « لم يحصه » .

(٣) ف : « لقد » .

(٤) ١ : « من عدوكم » ، ف : « السيف في عدوكم » .

(٥) ١ : « يجعلهم » .

(٦) ١ : « الظاهرة والباطنة » .

والمُثنى بن مُخَرَّبَة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمّان ويزيد بن أنس وأحمر بن شُمَيْط الأحمسى وعبد الله بن شدّاد البَجَلِيّ وعبد الله بن كامل ؛ فقرأ عليهم الكتاب ؛ فبعثوا إليه ابن كامل ؛ فقالوا : قل له : قد قرأنا الكتاب^(١) ؛ ونحن حيث يسرك ؛ فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا . فأتاه ، فدخل عليه السجن ؛ فأخبره بما أرسل إليه به ؛ فسرّ باجتماع الشيعة له ؛ وقال لهم : لا تريدوا هذا ؛ فإني أخرج في أيامي هذه .

٦٠٠/٢ قال : وكان المختار قد بعث غلاماً يُدعى زربياً إلى عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وكتب إليه :

أمّا بعد : فإني قد حُبِست مظلوماً ، وظنّ بي الولاةُ ظنونا كاذبة ؛ فاكتب في يرحمك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً ؛ عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويُمنك^(٢) ؛ والسلام عليك .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أمّا بعد ؛ فقد علمتُما اللّذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصُّهر ، واللّذي بيني وبينكما من الودّ ؛ فأقسمت عليكمم بحقّ ما بيني وبينكما لَمّا خَلَيْتِما سبيله حين تنظران في كتابي هذا ، والسلام عليكمم ورحمة الله .

فلَمّا أتى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة كتابُ عبد الله ابن عمر دعواً للمختار بكُفُلاء يضمنونه بنفسه^(٣) ، فأتاه أناس من أصحابه كثير ، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم لعبد الله بن يزيد : ما تصنع بضمان هؤلاء كلهم ! ضمّنه عشرة منهم أشرافاً معروفين ، ودّع سائرهم . ففعل ذلك ، فلما ضمّنه ، دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلفاه بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ؛ لا يبغيهما غائلة ، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ؛ فإن هو فعل فعليه ألف بدّة

(١) ف : « كتابك » .

(٢) ط : « بمنك » ، تحريف ، صوابه من ا ، وفيها : « ببركتك ويمنك » .

(٣) ا : « فضمنوه بنفسه » .

ينحرفها لدى رتاج الكعبة ؛ وماليكهم كلهم ذكروهم وأثامهم أحراراً . فحلف لهما بذلك ، ثم خرج فجاء داره فنزلها .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى ، عن حميد بن مسلم ، قال : سمعت المختار بعد ذلك يقول ^(١) : قاتلهم الله ! ما أحققهم حين يروون أنني أني لهم بأيمانهم هذه ! أمّا حلفي لهم بالله ؛ فإنه ينبغي لي إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير ؛ ^{٢٠١/٢} وأكفر بيميني ، وخروجي عليهم خير من كفتي عنهم ؛ وأكفر بيميني ؛ وأمّا هددي ألف بدنة فهو أهون عليّ من بصفة ؛ وما آمن ألف بدنة فيهنولتي ! وأمّا عتق مماليتي فوالله لو ددت أنه قد استتب لي أمري ، ثم لم أملك مملوكاً أبداً .

قال : ولما نزل المختار داره . منذ خروجه من السّجن . اختلف ^(٢) إليه الشيعة واجتمعت عليه ؛ واتفق رأيها ^(٣) على الرضا به ، وكان الذي يبايع له الناس وهو في السّجن خمسة نفر : السائب بن مالك الأشعري ، ويزيد بن أنس . وأحمر بن شميطة . ورفاعة بن شداد الفتياني . وعبد الله بن شداد الجشمي . قال : فلم تزل أصحابه يكثرون . وأمره يقوى ويشد حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة . وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الصّقعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام . قال : دعا ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخابني عدي ابن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ؛ فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة . قال : فبلغ ذلك بسحير بن ريسان الحميري ؛ فلقبهما ، فقال لهما : يا هذان ؛ إن القمر الليلة بالناطح ^(٤) ، فلا تسيرا . فأما ابن أبي ربيعة ؛ فأطاعه ؛ فأقام يسيرا ^{٢٠٢/٢}

(١) ف : « يقول بعد ذلك » .

(٢) ١ : « اختلفت » .

(٣) ف : « رأيهم » . ١ : « رأيها »

(٤) الناطح والناطح : من منازل القمر مما يتشاهم به .

ثم شخص إلى عمله فسلم ؛ وأما عبد الله بن مطيع فقال له : وهل نطلب إلا النطح ! قال : فلتقوا الله نطحا وبطحا ، قال : يقول عمر : والبلاء موكل بالقول .

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : بلغ عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير بعث عمالا على البلاد ؛ فقال : مَنْ بعث على البصرة ؟ فقيل . بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حرٌّ بوادي عوف ، بعث عوفاً وجلس ! ثم قال : مَنْ بعث على الكوفة ؟ قالوا : عبد الله بن مطيع ، قال : حازم وكثيراً ما يسقط ، وشجاع وما يكره أن يفر ، قال : مَنْ بعث على المدينة ؟ قالوا : بعث أخاه مُصعب بن الزبير ، قال : ذاك الليث النهدي ، وهو رجل أهل بيته .

قال هشام : قال أبو مخنف : وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لحمس بقين من شهر رمضان ، فقال لعبد الله ابن يزيد : إن أحببت أن تقيم معي أحسنتُ صحبتك ، وأكرمتُ مثواك ؛ وإن لحقتُ بأمر المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة ، وعلى مَنْ قبله من المسلمين . وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة : الحقُّ بأمر المؤمنين ؛ فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة ، وكسر على ابن الزبير الخراج ؛ وقال : إنما كانت فتنة ؛ فكف عنه ابن الزبير .

قال : وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلاة والخراج ؛ وبعث على شرطته إياس بن مضارب العجلي ، وأمره أن يُحسن السيرة والشدة على المريب .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدي - وكان قد أدرك ذلك الزمان ، وشهد قتل مُصعب بن الزبير - قال : إني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ؛ فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم ، وأمرني بجباية فينكم ؛ وألا أحمل فضل فينكم عنكم إلا برضاً منكم ، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته ، وبسيرة عثمان ابن عفان التي سار بها في المسلمين ؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا ، وخذلوا

على أيدي سفهائكم ؛ وإلا تفعلوا فلو سوا أنفسكم ولا تلوموني ؛ فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ؛ ولأقيمن درءاً^(١) الأصغر المرتاب. فقام إليه السائب بن مالك الأشعري ، فقال : أمّا أمر ابن الزبير إيتاك ألاّ تحمّل فضل فيثنا عنّا إلاّ برضانا فإننا نشهدك^(١) أننا لا نرضى أن تحمّل^(٢) فضل فيثنا عنّا ؛ وألاّ يقسم إلاّ فينا ؛ وألاّ يسار فينا إلاّ بسيرة عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه . ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيثنا ولا في أنفسنا ؛ فإنها إنما كانت أثرّة وهوى . ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيثنا ؛ وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرّاً ؛ وقد كان لا يألو الناس خيراً . فقال يزيد ابن أنس : صدق السائب بن مالك وبتر . رأينا مثل رأيه ، وقولنا مثل قوله . ٦٠٤/٢ فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها وهو يتموها ثم نزل . فقال : يزيد بن أنس الأسديّ : ذهبت بفضلها يا سائب ؛ لا يعدمك المسلمون ! أما والله لقد قمتُ وإني لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقالتك . وما أحب أن الله وليّ الردّ عليه رجلاً من أهل المِصر ليس من شيعتنا .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع . فقال له : إن السائب بن مالك من رءوس أصحاب المختار . ولست آمن المختار ؛ فابعث إليه فليأتك ؛ فإذا جاءك فاحبسّه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس ؛ فإن عيرني قد أتتني فخبّرني أن أمره قد استجمع له ؛ وكأنه قد وثب بالمِصر . قال : فبعث إليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البُرْسُميّ بن هَمْدان . فدخلا عليه ؛ فقالا : أجب الأمير . فدعا بشيابه وأدر بإسراج دابّته . وتحشّش^(٣) للذهاب معهما ؛ فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾^(٤) ، ففهمها المختار . فجلس ثم أتى ثيابه عنه . ثم قال : ألقوا على القطيفة ؛ ما أراني إلاّ قد وعيتك ؛ إني لأجد قفمفة

(١) الدرر : الميل والعوج . (٢) ف : « نشهد »

(٣) التحشش : الحركة ، وفي ط : « تحشش » . والصواب ما أثبت من أ .

(٤) - سورة الانفال ٣٠ .

شديدة ، ثم تمثل قول عبد العزى بن صهبل الأزدي :

إِذَا مَا مَعْشَرٌ تَرَكَوْا نَدَاهُمْ وَلَمْ يَأْتُوا الْكُرِيهَةَ لَمْ يُهَابُوا

ارجعنا إلى ابن مطيع ، فأعلمناه حالى التى أنا عليها . فقال له زائدة بن قدامة : ٦٠٥/٢ أما أنا ففاعل ؛ [فقال : (١)] وأنت يا أخاهمندان فاعذرني عنده فإنه خير لك .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني ، عن حسين بن عبد الله ، قال : قلت فى نفسى : والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بآمن من أن يظهر غدا فيهلكنى . قال : فقلت له ، نعم ، أنا أضع (٢) عند ابن مطيع عذرك ، وأبلغه كل ما تحب ؛ فخرجنا من عنده ؛ فإذا أصحابه على بابهِ ، وفى داره منهم جماعة كثيرة . قال : فأقبلنا نحو ابن مطيع ، فقلت لزائدة بن قدامة : أما إني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية ؛ وعلمت ما أردت بها ، وقد علمت أنها هى ثببته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه ، وأسرج دابته ؛ وعلمت حين تمثل البيت الذى تمثل أنما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تفهمه ، وأنه لن يأتيه . قال : فجاحدنى أن يكون أراد شيئاً من ذلك ؛ فقلت له : لا تحلف ؛ فوالله ما كنت لأبلغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه ؛ ولقد علمت أنك مشفق عليه ، تجد له ما يجد المرء لابن عمه . فأقبلنا إلى ابن مطيع ؛ فأخبرناه بعلته وشكواه ؛ فصدقنا ولها عنه . قال : وبعث المختار إلى أصحابه ؛ فأخذ يجمعهم فى الدور حوله ، وأراد أن يثب بالكوفة فى المحرم ؛ فجاء رجل من أصحابه من شبام (٣) - وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح - فلقى سعيد بن منقذ الثورى وسعر ابن أبى سحر الحنفى والأسود بن جرآد الكندى وقدامة بن مالك الجشمى ؛ فاجتمعوا فى منزل سعر الحنفى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ؛ فإن المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولاندرى أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؛ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به

(١) تكله من ا .

(٢) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « أصنع » .

(٣) ابن الأثير : « وشبام : حى من همدان » .

وبما دعانا إليه ؛ فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ؛ وإن نهانا عنه اجتنبناه ؛
فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا .
فقالوا^(١) له : أرشدك الله ! فقد أصبت ووفقت ؛ اخرج بنا إذا شئت .
فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم ، فخرجوا . فلحقوا بابن الحنفية ؛
وكان إمامهم عبد الرحمن بن شريح ، فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس
فخبروه عن حالهم وما هم عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني خليفة بن ورقاء ، عن الأسود بن جراد الكندي
قال : قلنا لابن الحنفية ؛ إن لنا إليك حاجة ؛ قال : فسر^(٢) هي أم علانية؟
قال : قلنا : لا ؛ بل سر ، قال : فرويدا إذا ؛ قال : فكث قليلا ، ثم تنحى
جانبا فدعانا فقمنا إليه ، فبدأ عبد الرحمن بن شريح ، فتكلم ، فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ؛ فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة ،
وشرفكم بالنبوة ، وعظّم حقمكم على هذه الأمة ؛ فلا يجهل حقمكم إلا
مغبون الرأي ، مخسوس النصيب ؛ قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه . عظمت
مصيبة اختصصتم^(٣) بها ، بعد^(٤) ما عم بها المسلمون . وقد قدم علينا
المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تِلقاتكم ، وقد دعانا إلى
كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ والطلب بدماء^(٥) أهل البيت ،
والدفع عن الضعفاء ؛ فبايعناه على ذلك . ثم إننا رأينا أن نأتيك فنذكر لك
ما دعانا إليه ، وندبنا له ؛ فإن أهّنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه .

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبنا ؛ وهو يسمع ، حتى إذا
فرغنا حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أمّا بعد ؛ فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله^(٦) به من فضل ؛
فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ فله الحمد !
وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين ؛ فإن ذلك كان في الذكر الحكيم

(١) ف : « قالوا » .

(٢) ا ، ف : « أفسر » .

(٣) كذا في ف ، وفي ط : « ما قد خصكم » . (٤) كذا في ا ، وفي ط : « قد عم »

(٥) ف : « بدم » .

(٦) ف : « خصنا » .

وهي ملحمة كُتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولاً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ؛ فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال : فخرجنا من عنده ، ونحن نقول : قد أذن لنا ؛ قد قال : لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال : لا تفعلوا . قال : فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا ^(١) ممن كنا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ؛ ممن كان على رأينا من إخواننا ؛ وقد كان بلغ المختار مخرجنا ، فشق ذلك عليه ، وخشى أن تأتيه بأمر يُخذل الشيعة عنه ؛ فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا ^(٢) ؛ فلم يتهيباً ذلك له ^(٣) ؛ فكان المختار يقول : إن نُصيراً منكم ارتابوا وتحسبوا وخابوا ؛ فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا ؛ وإن هم كبوا ^(٤) وهابوا ، واعترضوا وانجابوا . فقد ثبروا وخابوا ؛ فلم يكن إلا شهراً ^(٥) وزيادة شيء ؛ حتى أقبل القوم على رواحلهم ؛ حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فتنتستم وارتبتم ، فقالوا له : قد أميرنا بنصرتك فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق ، اجتمعوا إلى الشيعة ، فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال : يا معشر الشيعة ؛ إن نقرأ منكم أحببوا أن يعلموا مصداق ما جئت به . فرحلوا إلى إمام الهدى ، والنجيب المرتضى ابن خیر من طشي ومشي ؛ حاشا النبي المجتبي ؛ فسألوه عما قدمت به عليكم ؛ فنبأهم أني وزيره وظهيره . ورسوله وخليله ؛ وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين ، والطلب بدماء أهل بيت ^(٦) نبيكم المصطفين . فقام عبد الرحمن بن شريح . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا معشر الشيعة ؛ فإننا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة وبالجميع إخواننا عامة ؛ فقدمنا على المهدي بن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعما دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرتة ومؤازرتة وإجابته إلى ما دعانا إليه ،

(١) كذا في أ ، وفي ط « لقدومنا » .
 (٢) ف : « له ذلك » .
 (٣) ف : « غير شهر » .
 (٤) ف : « بدم أهل البيت » .
 (٥) ف : « مقدمنا » .
 (٦) ف : « نكصوا » .

فأقبلنا طيبة أنفسنا ، منشرحة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغيل^١ والريب ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا ؛ فليبلغ ذلك شاهدكم ، ٦٠٩/٢ غائبكم ، واستعدوا وتأهبوا . ثم جلس وقمنا رجلا فرجلا^(١) ، فتكلمنا بنحو من كلامه ؛ فاستجمعت له الشيعة^(٢) وحدبت عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني نُمَيْر بن وَعَلَة والمَشْرِقِي ، عن عامر الشَّعْبِي ، قال : كنت أنا وأبي أولَ من أجاب المختار . قال : فلما تهيأ أمرُه ودنا خروجه ؛ قال له أحمر بن شُمَيْط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شدَّاد : إنَّ أشرافَ أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ؛ فإن جامعنا على أمرنا إبراهيمُ بن الأشتر رجونا بإذن الله القُوَّة على عدونا ، وألا يضرنا خلافُ مَنْ خالفنا ، فإنه فتي بئس ، وابن رجل شريف بعيد الصَّيت ؛ وله عشيرة ذات عزٍّ وعدد . قال لهم المختار : فالقوه فادعوه ، وأعلموه الذي أمرنا به من الطَّلَب بدم الحسين وأهل بيته .

قال الشعبي : فخرجوا إليه وأنا فيهم ، وأبي ، فتكلمم يزيد بن أنس ، فقال له : إننا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك ، وندعوك إليه ؛ فإن قبلته كان خيرا لك ، وإن تركته فقد أدبنا إليك فيه النصيحة ؛ ونحن نحب أن يكون عندك مستورا . فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : وإن مثلي لا تخاف غائلته ولا سعائته ؛ ولا التقرب إلى سلطانه باغتيال الناس ، إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق همما . فقال له : إنما ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأى الملا من الشيعة ؛ إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وقتال المحلِّين ، والدفع عن الضعفاء . قال : ثم تكلم أحمر بن شميظ ، فقال له : إني لك ناصح ، ولحظتك محب وإن أباك قد هلك وهو سيِّد [الناس]^(٣) وفيك منه إن رعيت حقَّ الله خلتف ؛ قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أهلك في الناس ، وأحييت من ذلك أمرا قد مات ؛ إنما يكنى مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها ، إنه قد بنى لك أولك مفتخرا^(٤) . وأقبل القوم

(١) ف : « رجلا رجلا » .

(٢) ف : « لنا الشيعة وله » .

(٣) تكملة من ا .

(٤) ط : « فتحرى » ، والصواب ما أثبتته من ا .

كلهم عليه^(١) يدعونه إلى أمرهم ويرغبونه فيه. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر :
 فإني قد أجبتكم إلى ما دعوتوني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على
 أن تولوني الأمر؛ فقالوا : أنت لذلك أهل ؛ ولكن ليس إلى ذلك سبيل ؛ هذا
 المختار قد جاءنا من قبيل المهدي ؛ وهو الرسول والمأمور بالقتال ؛ وقد أمرنا
 بطاعته . فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبههم . فانصرفنا من عنده إلى المختار
 فأخبرناه بما ردت علينا ؛ قال : فغبر ثلاثا ؛ ثم إن المختار دعا بضعة عشر
 رجلا من وجوه أصحابه - قال الشعبي : أنا وأبي فيهم - قال : فسار بنا ومضى أمامنا
 يقُدُّ بنا بيوت الكوفة قدًّا لا ندرى أين يريد ؛ حتى وقف على باب إبراهيم بن
 الأشتر ؛ فاستأذنا عليه فأذن لنا، وألقيت لنا وسائل ؛ فجلسنا عليها وجلس المختار
 معه على فراشه ؛ فقال المختار :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وصلى الله على محمد ، والسلام
 عليه ، أما بعد ، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين
 الوصي ؛ وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم
 بعد أنبياء الله ورسوله ؛ وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ،
 وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك ، وسيغني الله المهدي محمدًا وأولياءه عنك .
 قال الشعبي : وكان المختار قد دفع الكتاب إلى حين خرج من منزله ؛
 فلما قضى كلامه قال لي : ادفع الكتاب إليه ، فدفعته إليه ، فدعا بالمصباح وفض
 خاتمه ، وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك
 الأشتر ، سلامٌ عليك ؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد
 فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبتي الذي ارتضيته لنفسى ، وقد
 أمرته^(٢) بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي ؛ فانهض معي بنفسك
 وعشيرتك ومن أطاعك ؛ فإنك إن نصرته وأجبت دعوتي وساعدت وزيري
 كانت لك عندي بذلك^(٣) فضيلة ؛ ولك بذلك أعتة الخيل وكل جيش
 غازٍ ، وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل

(١) ف : « عليه كلهم » .

(٢) ف : « وأمرته » .

(٣) ف : « بذلك عندي » .

الشام، على الوفاء بذلك على عهد الله ؛ فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقبله أبداً ، والسلام عليك .

فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب ، قال : لقد كتب إلى ابن الحنفية ؛

وقد كتبت^(١) إليه قبل اليوم ؛ فما كان يكتب إلى إلا باسمه واسم أبيه ، قال له ٦١٢/٢

المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب

ابن الحنفية إلى ؟ فقال له : يزيد بن أنس وأحمر بن شميطة وعبد الله بن كامل

وجماعتهم - قال الشعبي : إلا أنا وأبي - فقالوا : نشهد أن هذا كتاب محمد

ابن علي إليك ، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفرائش فأجلس المختار

عليه ، فقال : ابسط يدك أبايعك ؛ فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم ، ودعا لنا

بفاكهة ، فأصبنا منها ؛ ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا ؛ وخرج

معنا ابن الأشتر ؛ فركب مع المختار حتى دخل رحله ؛ فلما رجع إبراهيم

منصرفاً أخذ بيدي ، فقال : انصرف بنا يا شعبي ، قال : فانصرفت معه ومضى

بي حتى دخل بي رحله ، فقال : يا شعبي ، إني قد حفظت أنك لم تشهد أنت

ولا أبوك ؛ أفترى هؤلاء شهدوا على حق ؟ قال : قلت له : قد شهدوا على ما رأيت

وهم سادة القراء ومشايخة المصر وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون

إلا حقاً . قال : فقلت له هذه المقالة ؛ وأنا والله لهم على شهادتهم متهم ؛

غير أني يعجبني الخروج وأنا أرى رأي القوم ؛ وأحب تمام ذلك الأمر^(٢) ؛

فلم أطلعه على ما في نفسي من ذلك ؛ فقال لي ابن الأشتر : اكتب لي أسماءهم

فإني ليس كلهم أعرف . ودعا بصحيفة ودواة ، وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعري ،

وزيد بن أنس الأسدي وأحمر بن شميطة الأحمسي ومالك بن عمرو النهدي ؛

حتى أتى على أسماء القوم ؛ ثم كتب : شهدوا أن محمد بن علي كتب إلى إبراهيم بن ٦١٣/٢

الأشتر يأمره بموازرة المختار ومظاهرتة على قتال المحلّين ؛ والطلب بدماء أهل

البيت ، وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة سراحيل

ابن عبد - وهو أبو عامر الشعبي الفقيه - وعبد الرحمن بن عبد الله النخعي ،

(١) ف : « وكتبت » .

(٢) بعد ما في ف : « لم » .

وعامر بن شراحيل الشعبي . فقلت له : ما تصنع بهذا رحمك الله ؟ فقال :
دعته يكون . قال : ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه ، وأقبل يختلف إلى
المختار .

* * *

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني يحيى بن أبي عيسى الأزدي ،
قال : كان حميد بن مسلم الأسدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر ؛ وكان
يختلف إليه ؛ ويذهب به معه ؛ وكان إبراهيم يروح في كل عشية عند المساء ،
فيأتي المختار ، فيمكث عنده حتى تصوب النجوم . ثم ينصرف ؛ فكثروا بذلك
يدبرون أمورهم ؛ حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع
عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين . ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم .
فلما كان عند غروب الشمس ، قام إبراهيم بن الأشتر ؛ فأذن ؛ ثم إنه
استقدم ، فصلّى بنا المغرب . ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت : أخوك أو
الذئب^(١) - وهو يريد المختار ، فأقبلنا علينا السلاح . وقد أتى إياس بن مضارب
عبد الله بن مطيع فقال : إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين ؛ قال :
فخرج إياس في الشرط^(٢) . فبعث ابنه راشداً إلى الكناسة . وأقبل يسير
حول السوق في الشرط .

٦١٤/٢

ثم إن إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع ، فقال له : إنى قد بعثت
ابني إلى الكناسة ، فلو بعثت في كل جبانة بالكوفة عزيمة رجلاً من
أصحابك في جماعة من أهل الطاعة ؛ هاب المريب الخروج عليك . قال :
فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جبانة السبيع . وقال :
اكفني قومك ، لا أوتين من قبلك . وأحكيم أمر الجبانة التي وجهتك إليها .
لا يحدثن بها حديث ؛ فأوليك العجز والوهن . وبعث كعب بن أبي كعب
الحثمي إلى جبانة بشر . وبعث زحر بن قيس إلى جبانة كيندة ، وبعث
شمير بن ذي الجوشن إلى جبانة سالم ، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى
جبانة الصائديين ، وبعث يزيد بن الحارث بن رؤيم أبا حوشب إلى جبانة مراد .

(١) يقال : أخوك أو الذئب ؛ إذا اشتد الظلام . (٢) ف : « الشرطة » .

وأوصى كلَّ رجلٍ أن يكفّيه قومه ، وألاّ يؤتّى من قبله . وأن يحكم الوجه الذي وجهه فيه ؛ وبعث شَبَث بن رِبْعَى إلى السَّبَخَةِ ، وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم ؛ فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين ؛ فنزلوا هذه الجبايين ، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد إتيان المختار ؛ ٦١٥/٢ وقد بلغه أن الجبايين قد حُشيتُ رجالا ، وأن الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى . عن حميد بن مسلم . قال : خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث ، ونحن مع ابن الأشتر كتيبةٌ نحو من مائة . علينا الدروع ، قد كفرنا^(١) عليها بالأقبية . ونحن متقلدو السيوف ؛ ليس معنا سلاحٌ إلاّ السيوف في عواتقنا ، والدروع قد سترناها بأقبيتنا ؛ فلما مررنا بدار سعيد بن تيس فجزناها إلى دار أسامة . قلنا : مررنا على دار خالد بن عرفة ، ثم امض بنا إلى بَجِيلَةَ . فلنمر في دورهم حتى نخرج إلى دار المختار - وكان إبراهيم فتى حديدًا شجاعًا ؛ فكان لا يكره أن يلقاهم - فقال : والله لأمرنّ على دار عمرو بن حريث إلى بجانب القصر وسط السريق . ولأرعبن به عدونا ولأرينّهم هوانهم علينا . قال : فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبّار^(٢) ؛ ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث ؛ حتى إذا جاوزها ألفينا إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح . فقال لنا : من أنتم ؟ ما أنتم ؟ فقال له إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر . فقال له ابن مضارب : ما هذا الجمع معك ؟ وما تريد ؟ والله إن أمرك لمريب ! وقد بلغني أنك تمرّ كلّ عشية ها هنا ، وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه . فقال إبراهيم : لأبا لغيرك ! نخل سبيلنا ، فقال : كلاً والله لا أفعل - ومع إياس بن مضارب رجل من همدان . يقال له أبو قطن ، كان يكون مع إمرة الشرط فهم يكرمونه ٦١٦/٢ ويؤثرونه ، وكان لابن الأشتر صديقاً - فقال له ابن الأشتر : يا أبا قطن ، ادن مني - ومع أبي قطن رمح له طويل - فدنا منه أبو قطن ؛ ومع الرمح ؛

(١) كفرنا ، أى سترنا . (٢) ط : « هبار » ، وانظر الجزء الرابع ص ٢٧٣ .

وهو يرى أن ابن الأشر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلص سبيله ؛ فقال إبراهيم - وتناول الرمح من يده^(١) : إن رمحك هذا لطويل ؛ فحمل به إبراهيم على ابن مضارب ، فطعنه في ثغرة نحره فصرعه ، وقال لرجل من قومه : انزل [عليه]^(٢) ، فاحتز رأسه ، فنزل إليه فاحتز رأسه ، وتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع . فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن إياس . وكان أبيه^(٣) على الشرطة ، وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكُنَّاسة تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المِنْقَرِيّ أبا القعقاع بن سويد . وأقبل إبراهيم بن الأشر إلى المختار ليلة الأربعاء ، فدخل عليه فقال له إبراهيم : إننا اتعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس . وقد حدث أمرٌ لا بدّ من الخروج الليلة ، قال المختار : ما هو ؟ قال : عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه ، فقتلته ؛ وهذا رأسه مع أصحابي على الباب . فقال المختار : فبشرك الله بخير ! فهذا طير صالح ، وهذا أول الفتح إن شاء الله . ثم قال^(٤) المختار : قم يا سعيد بن منقذ . فأشعل في الهراذى^(٥) النيران ثم أرفعها للمسلمين ، وقم أنت يا عبد الله بن شدّاد ؛ فناد : « يا منصور أمت » ؛ وقم أنت يا سفيان بن ليل ، وأنت يا قداوة ابن مالك ، فناد : يا لثارات الحسين ! ثم قال المختار : على بدرعى وسلاحى ، فأتى به ؛ فأخذ يلبس سلاحه ويقول :

٦١٧/٢ قَدْ عَلِمْتَ بِيَضَاءِ حَسَنَاءِ الظَّلَلِ وَاضِحَّةِ الخَدَّيْنِ عَجْزَاءِ الكَفَلِ

• أَنِي غَدَاةَ الرَّوْعِ مِقْدَامٌ بَطَلٌ •

ثم إن إبراهيم قال للمختار : إن هؤلاء الرؤوس اللذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون إخواننا أن يأتونا ، ويضيقون عليهم ؛ فلو أتى خرجت بمنى من أصحابي حتى أتى قومي ؛ فيأتيني كل من قد بايعني من قومي ، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة . ودعوت بشعارنا ؛ فخرج إلى من أراد الخروج إلينا ، ومن قدر على إتيانك من الناس ؛ فن أتك حبسته عندك إلى من

(١) ف : « بيده » .

(٢) ف « راشداً مكان أبيه إياس » .

(٣) ف « راشداً مكان أبيه إياس » .

(٤) كذا في ف : وفي ط : « فقال » .

(٥) في اللسان : « المرديّة : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم ، تحمل عليها قصبانه » .

معك ولم تفرّقهم ؛ فإن عوجلت فأتيت كان معك من تمتنع به ؛ وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت إليك في الخيل والرجال . قال له . إيمالا^(١) فاعجل وإيتاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله . ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع ألا تقاتل ، واحفظ ما أوصيتك به إلا أن يبدأك أحد بقتال . فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي أقبل فيها ؛ حتى أتى قومه . واجتمع إليه جل من كان بايعه وأجابه . ثم إنّه سار بهم في سيك الكوفة طويلاً من الليل ؛ وهو في ذلك يتجنّب السكك التي فيها الأمراء ، فجاء إلى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق العظام . حتى انتهى إلى مسجد السكون . وعجلت إليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير . فشدّ عليهم إبراهيم بن الأشتر وأصحابه . فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة . فقال إبراهيم : من صاحب الخيل في ٦١٨/٢ جبانة كندة ؛ فشدّ إبراهيم وأصحابه عليهم . وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيك . وثرنا لهم . فانصرنا عليهم . وتمم لنا دعوتنا ؛ حتى انتهى إليهم هو وأصحابه . فخالطوهم وكشفوهم فقبل له : زحر بن قيس ؛ فقال : انصرفوا بنا عنهم . فركب بعضهم بعضاً كلما لقيهم زقاق دخل منهم طائفة . فانصرفوا يسرون .

ثم خرج إبراهيم يسير حتى انتهى إلى جبانة أثير . فوقف فيها طويلاً ، ونادى أصحابه بشعارهم . فبلغ سويد بن عبد الرحمن المنقري مكانهم^(٢) في جبانة أثير . فرجا أن يصيبهم فيحظي بذلك عند ابن مطيع . فلم يشعر ابن الأشتر إلا وهم معه في الجبانة . فلما رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه : يا شرطه الله ، انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنزلوا . ثم شدّ عليهم إبراهيم . فضربهم حتى أخرجهم من الصحراء . وولّوا منهزمين يركب بعضهم بعضاً . وهم يتلاومون . فقال قائل منهم : إن هذا الأمر يراد ما يلقون لنا جماعة

(١) إيمالا ، أي إن كنت لا تفعل غير ذلك ؛

(٢) ف : « حديثهم ومكانهم » .

إلا هزموهم ! فلم يزل يتهمهم حتى أدخلتهم الكناسة . وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم : اتبعهم واغتنم ما قد دخلهم من الرعب ، فقد علم الله إلى من ندعو وما نطلب . وإلى من يدعون وما يطلبون ! قال : لا ، ولكن سيروا بنا إلى صاحبنا حتى يؤمن الله بنا وحشته . ونكون من أمره على علم ، ويعلم هو أيضاً ما كان من عنائنا ، فيزداد هو وأصحابه قوة وبصيرة إلى قواهم وبصيرتهم . مع أني لا آمن أن يكون قد أتى . ٦١٩/٢

فأقبل إبراهيم في أصحابه حتى مرّ بمسجد الأشعث . فوقف به ساعة ، ثم مضى حتى أتى دار المختار ، فوجد الأصوات عالية ، والقوم يقتلون ، وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة ، فعبي له المختار يزيد بن أنس . وجاء حجّار بن أبجر العجلي . فجعل المختار في وجهه أحمر بن شميطة . فالتاس يقتلون ، وجاء إبراهيم من قبل القصر ، فبلغ حجّاراً وأصحابه أن إبراهيم قد جاءهم من ورائهم ، ففترقوا قبل أن يأتيهم إبراهيم ، وذهبوا في الأزقة والسكك ، وجاء قيس بن طهفة في قريب من مائة رجل من بني نهد من أصحاب المختار ، فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس ، فخلّى لهم الطريق حتى اجتمعوا جميعاً . ثم إن شبث بن ربعي ترك لهم السكة . وأقبل حتى لقي ابن مطيع . فقال : ابعث إلى أمراء الجبّابين فرهم فليأتوك ، فاجمع إليك جميع الناس . ثم انهد إلى هؤلاء القوم فقاتلهم وابعث إليهم من تثق به فليكفك قتالهم ، فإن أمر القوم قد قوي . وقد خرج المختار وظهر ، واجتمع له أمره . فلماً بلغ ذلك المختار من مشورة شبث بن ربعي على ابن مطيع خرج المختار في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دبر هند ممّا يلي بستان زائدة في السبخة .

قال : وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم ، يخافون أن يظنوا في الميدان لقرب كعب بن أبي كعب الخثعمي منهم ، وكان كعب في جبّانة بشر ، فلماً بلغه أن شاكرًا تخرج جاء يسير^(١) حتى نزل بالميدان ، وأخذ عليهم بأفواه سيكتهم وطرقهم . قال : فلماً أتاهم أبو عثمان النهدي

(١) : « أقبل يسير » .

في عصابة من أصحابه ، نادى : يا لثارات الحسين ! يا منصور أميت !
 يأتيها الحى المهتدون ، ألا إن أمير آل محمد ووزيرهم . قد خرج فنزل
 دير هند . وبعثنى إليكم داعياً ومبشراً . فانخرجوا إليه يرحمكم الله ! قال :
 فخرجوا من الدور يتداعون : يا لثارات الحسين ! ثم ضاربوا كعب بن
 أبى كعب حتى خلى لهم الطريق . فأقبلوا إلى المختار حتى نزلوا معه في
 عسكره . وخرج عبد الله بن قراد الخثعمي في جماعة من خثعم نحو المائتين
 حتى لحق بالمختار . فنزلوا معه في عسكره . وقد كان عرض له كعب بن
 أبى كعب فصافه . فلما عرفهم ورأى أنهم قومه خلى عنهم . ولم
 يقاتلهم .

وخرجت شبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبيانة مراد . فلما
 بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم : إن كنتم تريدون اللحاق
 بالمختار فلا تمروا على جبيانة السبيع . فلتحققوا بالمختار . فتوافقى إلى المختار
 ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه . فاستجمعوا له قبل
 انفجار الفجر . فأصبح قد فرغ من تعبته .

قال أبو مخنف : فحدثني الوالي قال : خرجت أنا وحميد بن مسلم .
 والنعمان بن أبى الجعد إلى المختار ليلة خرج . فأتيناها في داره . وخرجنا معه
 إلى معسكره . قال : فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تعبته : فلما
 أصبح استقدم ، فصلت بنا الغداة بغلس . ثم قرأ « والنازعات » و « عبس وتولى » .
 قال : فما سمعنا إماماً أم قوماً أفصح هجة منه .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله . أن ابن مطيع بعث إلى
 أهل الجبابين . فأمرهم أن ينضموا إلى المسجد . وقال لراشد بن إياس بن
 مضارب : ناد في الناس فليأتوا المسجد . فنادى المنادى : ألا برئت الذمة
 من رجل لم يحضر المسجد الليلة ! فتوافقى الناس في المسجد ، فلما اجتمعوا
 بعث ابن مطيع شبيب بن رباعي في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار . وبعث
 راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت التيمي عن أبى سعيد الصنقل .

قال : لما صلّيت المختار الغداة ثم انصرف سَمِعْنَا أصواتًا مرتفعة فيما بين
 بنى سُلَيْمٍ وسكّة البريد ، فقال المختار : مَنْ يعلم لنا علم هؤلاء ما هم ؟
 فقلت له : أنا أصلحك الله ! فقال المختار : إمّا لا (١) فألق سلاحك وانطلق
 حتى تدخل فيهم كأنك نظار ، ثم تأتيني بخبرهم . قال : ففعلت ، فلما
 دنوت منهم إذا مؤذنيهم يقيم ، فجئت حتى دنوت منهم فإذا شَبَيْثُ بن
 رِبْعِيّ معه خيل عظيمة ، وعلى خيله شَيْبَانُ بن حُرَيْثِ الضَّبِيّ ، وهو في
 الرجال معه منهم كثرة ، فلما أقام مؤذنيهم تقدّم فصلّي بأصحابه ، فقرا : ﴿ إذا
 زُلزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ، فقلت في نفسي : أما والله إنى لأرجو أن يزلزل الله بكم ،
 وقرا : ﴿ والنَّعَادِياتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال أناس من أصحابه : لو كنت قرأت سورتين هما
 ٦٢٢/٢ أطول من هاتين (٢) شيئًا ! فقال شَبَيْثُ : ترون الذي لم قد نزلت بساحتكم ،
 وأنتم تقولون : لو قرأت سورة « البقرة » و « آل عمران » ! قال : وكانوا ثلاثة آلاف ،
 قال : فأقبلت سريعًا حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر (٣) شَبَيْثُ وأصحابه ،
 وأتاه معي ساعة أتيت (٤) سَعْرُ بن أبي سَعْرٍ الحنفيّ يركض من قبيل مراد ،
 وكان ممن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس ،
 فلما أصبح أقبل على فرسه ، فرّ بجبانة مراد ؛ وفيه راشد بن إياس ، فقالوا :
 كما أنت ! ومن أنت ؟ فراكضهم حتى جاء المختار ، فأخبره خبر راشد ، وأخبرته
 أنا خبر شَبَيْثُ ، قال : فسرح إبراهيم بن الأشتر قبل راشد بن إياس في تسعمائة -
 ويقال ستمائة فارس وستمائة راجل - وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة
 في ثلثمائة فارس وستمائة راجل ، وقال لهما : امضيا حتى تلقيا عدوكم ، فإذا
 لقيتماهم فانزلا في الرجال وعجلا الفسّارح وابدأهم بالإقدام ، ولا تستهدفا لهم ؛
 فإنهم أكثر منكم . ولا ترجعا إلى حتى تظهرا أو تقتلا . فتوجه إبراهيم إلى
 راشد ، وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شَبَيْثُ في تسعمائة أمامه .
 وتوجه نعيم بن هبيرة قبيل شَبَيْثُ .

قال أبو مخنف : قال أبو سعيد الصيقل : كنت أنا فيمن توجه مع نعيم

(١) إمّا لا ، أي إن كنت لاتفعل غير ذلك . (٢) ف : « منها » .

(٣) ف : « خبر » . (٤) ف : « وافته » .

ابن هبيرة إلى شَبَّث ومعى سِعْر بن أبي سَعْر الحنفيّ، فلما انتهينا إليه قاتلناه ٦٢٣/٢ قتالا شديداً . فجعل نعيم بن هبيرة سَعْر بن أبي سِعْر الحنفيّ على الخيل، ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت، فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت؛ ثم إنَّ شَبَّث بن رِبْعَى ناداهم: يا حماة السوء! بشس فرسان الحقائق (١) أنتم! أمين! عبيدكم تهربون (٢)! قال: فثابت إليه منهم جماعة (٣) فشدّ علينا وقد تفرّقنا فهزمتنا، وصبر نعيم بن هبيرة فقتل، ونزل سَعْر فأسير وأسيرت أنا وخليد مولى حسان بن محدوج (٤)، فقال شَبَّث لخليد - وكان وسيماً جسيماً: من أنت؟ فقال: (٥) خليد مولى حسان بن محدوج الذهلي، فقال له شَبَّث: يا بن المتكاه، تركت بيع الصحناء (٦) بالكُناسة وكان جزاء من أعتقك أن تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه! اضربوا عنقه، فقتل، ورأى سَعْر الحنفيّ فعرّفه، فقال: أخو بني حنيفة؟ فقال له: نعم؛ فقال: ويحك! ما أردت إلى اتباع هذه السبئية! قبح الله رأيك، دعوا ذاً. فقلت في نفسي: قتل المولى وترك العربي؛ إن علم والله إنى مولى قتلتى. فلما عرضت عليه قال: من أنت؟ فقلت: من بني تيم الله؛ قال: أعربي أنت أو مولى؟ فقلت: لا بل عربي، أنا من آل زياد بن خصفة، فقال: بخ بخ! ذكرت الشريف المعروف. الحق بأهلك. قال: فأقبلت حتى انتهيت إلى الحمراء، ٦٢٤/٢ وكانت لي في قتال القوم بصيرة. فجئت حتى انتهيت إلى المختار؛ وقلت في نفسي: والله لآتين أصحابي فلاواسينهم بنفسى، فقبح الله العيش بعدهم! قال: فأتيتهم وقد سبقني إليهم سِعْر الحنفيّ، وأقبلت إليه خيل شَبَّث، وجاءه قتل نعيم بن هبيرة، فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير؛ قال: فدنوت من المختار، فأخبرته بالذي كان من أمرى. فقال لي: اسكت، فليس هذا بمكان الحديث. وجاء شَبَّث حتى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس

(١) ف: « الحقيقة » . (٢) ف: « تفرون » .

(٣) ف: « جماعة منهم » .

(٤) ط: « يمدح » ، والصواب ما أثبتته؛ وانظر الاشتقاق ٣٤٧ . (٥) ف: « قال » .

(٦) المتكاه من النساء: هي التي لم تخفض؛ وهو من السب عندهم . وفي اللسان: « الصحناء

بالكسر: إدام يتخذ من السمك، يمد ويقصر، والصحناء أخص منه » .

وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رؤيم في ألفين من قبل سكة لحام جرير، فتوقفوا في أفواه تلك السكك، وولّى المختار يزيد بن أنس خيلته، وخرج هو في الرجالة.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن كعب الوالبي؛ والبة الأزدي، قال: حملت علينا خيل شيبث بن رباعي حملتين، فما يزول منا رجل من مكانه، فقال يزيد بن أنس لنا: يا معشر الشيعة، قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم، وتسمّل أعينكم، وتترفعون على جذوع النخل في حُب أهل بيت نبيكم؛ وأنتم مقيمون في بيوتكم، وطاعة عدوكم، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم! إذا والله لا يدعون منكم عينا تطرف، وليقتلنكم صبرا، ولترؤن منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه، والله لا يسجيبكم منهم إلا الصدق والصبر. والظعن الصائب في أعينهم، والضرب الدراك^(١) على هامهم. فتيسروا للشدة. وتهينوا للحملة، فإذا حرّكت رأيتي مرتين فاحملوا. قال الحارث: فتهيأنا وتيسرنا، وجثونا على الركب، وانتظرنا أمره.

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن إبراهيم بن الأشتر كان حين توجه إلى راشد بن إياس، مضى حتى لقيه في مراد، فإذا معه أربعة آلاف، فقال إبراهيم لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء، فوالله لرُب رجل خير من عشرة، ولرُب فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ثم قال: يا خزيمة بن نصر، سر إليهم في الخيل. ونزل هو يمشي في الرجال، ورايته مع مزاحم بن طفيل، فأخذ إبراهيم يقول له: ازدلف برايتك، امض بها قدما قدما. واقتل الناس، فاشتد قتالهم، وبصر خزيمة بن نصر العبيسي براشد بن إياس، فحمل عليه

(١) الظن الدارك: المتابع.

فطعنه ، ففقتله ، ثم نادى : قتلت راشدا ورب الكعبة . وانهزم أصحاب راشد ، وأقبل إبراهيم بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار ، وبعث النعمان بن أبي الجعد يبشر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد ، فلما أن جاءهم البشير بذلك كبروا ، واشتدت أنفسهم . ودخل أصحاب ابن مطيع الفسّسل ، وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسي في جيش كثيف نحو من ألقين . فاعترض إبراهيم بن الأشتر فوثق الحمراء ليردها عمن في السبخة من أصحاب ابن مطيع ، فقدم إبراهيم خزيمة بن نصر إلى حسان بن فائد في الخيل . ومشى إبراهيم نحوه في الرجال . فقال :

والله ما اطعنا برمح ، ولا اضطررنا بسيف . حتى انهزموا . وتخلف

حسان بن فائد في أخريات الناس يتحديهم . وحمل عليه خزيمة بن نصر . ٦٢٦/٢
فلما رآه عرفه . فقال له : يا حسان بن فائد ، أما والله لولا القرابة لعرفت أني سألتمس قتلك بجهدى ، ولكن النجاء . فغثر بحسان فرسه فوقع : فقال : تعسا لك ، أبا عبد الله ! وابتدره الناس فأحاطوا به . فصار بهم ساعة بسينه . فناداه خزيمة بن نصر . قال : إنك آمن يا أبا عبد الله . لا تقتل نفسك . وجاء حتى وقف عليه ونهته الناس عنه . وورّ به إبراهيم ، فقال له خزيمة : هذا ابن عمي وقد آمنته . فقال له إبراهيم : أحسنت . فأمر خزيمة بطلب فرسه حتى أتى به . فحمله عليه . وقال : الحق بأهلك .

قال : وأقبل إبراهيم نحو المختار . وشبّث محيط بالمختار ويزيد بن أنس . فلما رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سيكك الكوفة التي تلى السبخة . وإبراهيم مقبل نحو شبّث ، أقبل نحوه ليصدّه عن شبّث وأصحابه ، فبعث إبراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر . فقال : أغن عنا يزيد بن الحارث . وصمده هو في بقية أصحابه نحو شبّث بن ربعي .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب أن إبراهيم لما أقبل نحونا رأينا شبّثا وأصحابه ينكصون وراءهم رويدا رويدا . فلما دنا إبراهيم من شبّث وأصحابه . حمل عليهم . وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم ،

فحملنا عليهم ، فانكشفوا حتى انتهوا إلى أبيات الكوفة ، وحمل خزيمة ابن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه ، وازدحموا على أفواه السكك ، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت ، وأقبل المختار في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث ، فلما انتهى أصحاب المختار إلى أفواه السكك رمته تلك الرامية^(١) بالنبل ، فصدّوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ، ورجع الناس من السبّخة منهزمين إلى ابن مطيع ، وجاءه قتل راشد بن إياس ، فأسقط في يده .

٦٢٧/٢

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن هاني . قال : قال عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن مطيع : أيها الرجل لا يسقط في خلدك ، ولا تلتق بيديك ، أخرج إلى الناس فاندبهم إلى عدوك فاغزهم ، فإن الناس كثير عددهم ، وكلهم معك إلا هذه الطاغية التي خرجت على الناس ، والله مخزيبها ومهلكها ، وأنا أول مُتدب . فاندب معي طائفة : ومع غيري طائفة . قال : فخرج ابن مطيع ، فقام في الناس . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن من أعجب العجائب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددوها . خبيث دينها . ضالة مضلّة . اخرجوا إليهم فامنعوا عنهم حريمكم وقاتلوهم عن مصيركم ، وامنعوا منهم فيسيئكم ، وإلا والله ليشارككنكم في فيسيئكم من لا حق له فيه . والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم . وإنما ذهب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون . ثم نزل .

قال : ومنعهم يزيد بن الحارث أن يدخلوا الكوفة . قال : ومضى المختار من السبّخة حتى ظهر على الجبّانة . ثم ارتفع إلى البيوت ؛ بيوت مزينة وأحمس وبارق ، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم ، وبيوتهم شاذة مفردة من بيوت أهل الكوفة ، فاستقبلوه بالماء . فسقى أصحابه ، وأبى المختار أن يشرب . قال : فظن أصحابه أنه صائم . وقال أحمر بن هديج من همدان

٦٢٨/٢

(١) ف : « الرامية » .

لابن كامل : أتري الأميرَ الأميرَ صائماً؟ فقال له : نعم . هو صائم ، فقال له : فلو أنه كان في هذا اليوم مفطراً كان أقوى له : فقال له : إنه معصوم ، وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال له : صدقت . أستغفر الله . وقال المختار : نعم مكان المقاتل هذا : فقال له : إبراهيم بن الأشتر : قد هزمهم الله وفلسهم ، وأدخل الرعب قلوبهم . وتنزل هاهنا! سرُّ بنا ؛ فوالله ما دون القصر أحدٌ يمنع ، ولا يمتنع كبير امتناع ؛ فقال المختار : ليقيم ها هنا كل شيخ ضعيف وذى علة . وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا إلى عدونا . ففعلوا . فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي ، وقدّم إبراهيم بن الأشتر أمامه . وعبى أصحابه على الحال التي كانوا عليها في السبحة .

قال : وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحججاج في ألفي رجل . فخرج عليهم من سكة الثوريين ، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه . فطواه إبراهيم . ودعا المختار يزيد بن أنس . فأمره أن يصمد لعمر بن الحججاج ، فمضى نحوه . وذهب المختار في أثر إبراهيم . فمضوا جميعاً حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلى خالد بن عبد الله وقف ، وأمر إبراهيم أن يمضي على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبيل الكناسة . فمضى . فخرج إليه من سكة ابن محرز . وأقبل شمر بن ذي الجوشن في ألفين . فسرح المختار إليه سعيد بن منقذ الحمداني فواقعه . وبعث إلى إبراهيم أن اطوه . وامض ٦٢٩/٢ على وجهك . فمضى حتى انتهى إلى سكة شبت . وإذا (١) نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخزومة في نحو من ألفين - أو قال : خمسة آلاف . وهو الصحيح - وقد أدر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس : أن الحقوا بابن مساحق . قال : واستخلف شبت بن رباعي على القصر ، وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة .

قال أبو مخنف (٢) : حدثني حصيرة بن عبد الله ، قال : إني لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه . حتى إذا دنا منهم قال لهم : انزلوا ، فنزلوا ، فقال :

(١) ف : « فإذا » .

(٢) بعدها في ف : « لوط بن يحيى » .

قربوا خيولكم بعضها إلى بعض ، ثم امشوا إليهم مصليتين بالسيوف ، ولا يهولنكم أن يقال : جاءكم شيبث بن ربعي وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث ... قال : فسَمِي بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ، ثم قال : إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حرّ السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب . قال حصيرة : فلاني لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائمه فرفعه فأدخلته في منطقة له حمراء من حواشي البرود ، وقد شدّ بها على القباء ، وقد كفر بالقباء على الدوع ، ثم قال لأصحابه : شدوا عليهم فدي لكم عمي وخالي ! قال : فوالله ما لبثهم أن هزّمهم : فركب بعضهم بعضاً على فم السكة وازدحموا ، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق ، فأخذ بلبجام دابته ، ورفع السيف عليه ، فقال له ابن مساحق : يا ابن الأشتر ، أنشدك الله ، أتطلبني بثأراً ! هل بيني وبينك من إحنة ! فخلتني ابن الأشتر مسبيله ، وقال له : اذكرها ؛ فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر ، وأقبلوا يسرون حتى دخلوا الكناسة في آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً .

٦٣٠/٢

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح أن ابن مطيع مكث ثلاثاً ، يرزق أصحابه في القصر حيث حُصر الدقيق ، ومعه أشرف الناس ، إلا ما كان من عمرو بن حريث ، فإنه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار ، ثم خرج حتى نزل البر ، وجاء المختار حتى نزل بجانب السوق ، وولّى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر . ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شميظ ، فكان ابن الأشتر ممّا يلي المسجد وباب القصر ، ويزيد بن أنس ممّا يلي بني حذيفة وسكة دار الروميين ، وأحمر بن شميظ ممّا يلي دار عمارة ودار أبي موسى . فلما اشتدّ الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلّمه الأشرف ، فقام إليه شيبث فقال : أصلح الله الأمير ! انظر لنفسك ولن معك ، فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم . قال ابن مطيع : ها توا ، أشيروا على برأيكم ؛

قال شَبَّث : الرَّأْيُ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ أَمَانًا وَلَنَا ، وَتَخْرُجَ
وَلَا تُهْلِكَ نَفْسَكَ وَمَنْ مَعَكَ . قَالَ ابْنُ مَطِيحٍ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ آخُذَ مِنْهُ
أَمَانًا وَالْأُمُورَ مُسْتَقِيمَةً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَازِ كُلِّهِ وَبِأَرْضِ الْبَصْرَةِ ؛ قَالَ : ١٣١/٢
فَتَخْرُجُ لَا يَشْعُرُ بِكَ أَحَدٌ حَتَّى تَنْزِلَ مَنْزِلًا بِالْكُوفَةِ عِنْدَ مَنْ تَسْتَنْصِيحُهُ وَتَشْتَقِ بِهِ ،
وَلَا يَعْلَمُ بِمَكَانِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَلْحَقَ بِصَاحِبِكَ ؛ فَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنِ خَارِجَةَ
وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ وَأَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ :
مَا تَرَوْنَ فِي هَذَا الرَّأْيِ الَّذِي أَشَارَ بِهِ عَلَيَّ شَبَّثُ ؟ فَقَالُوا : مَا نَرَى الرَّأْيَ إِلَّا
مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْكَ ، قَالَ : فَرُويِدًا حَتَّى أَمْسِي .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو المغلس الليثي ، أن عبد الله بن عبد الله
الليثي أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشي يشتمهم ، وينتحي له
مالك بن عمرو أبو نمران^(١) النهدي بسهم ، فيمر بحلقه ، فقطع جلدة من حلقه
فقال فوقع . قال : ثم إنّه قام وبرا بعد ؛ وقال النهدي حين أصابه : نخذا
من مالك ، من فاعل كذا .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح ، عن حسّان بن فائد بن
بكير ، قال : لما أمسينا في القصر في اليوم الثالث ، دعانا ابن مطيع ، فذكر
الله بما هو أهله . وصلى على نبيّه صلى الله عليه وسلم وقال : أما بعد ،
فقد علمت الذّين صنعوا هذا منكم من هم : وقد علمت أنّما هم أراد لكم
وسفهاؤكم وطغامكم وأخسائكم ، ما عدا الرجل أو الرجلين ، وأنّ أشرافكم
وأهل الفضل منكم لم يزلوا سامعين مطيعين مناصحين ، وأنا مبلغ ذلك صاحبي ،
ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوه . حتّى كان الله الغالب على أمره . وقد كان ٦٣٢/٢
من رأيكم وما أشتم به عليّ ما قد علمتم . وقد رأيت أن أخرج الساعة . فقال
له شبّث : جزاك الله من أمير خيرا ! فقد والله عفت عن أموالنا ، وأكرمت
أشرافنا ، ونصحت لصاحبك ، وقضيت الذي عليك ، والله ما كنّا لنفارقك أبداً
إلاّ ونحن منك في إذن ، فقال : جزاكم الله خيرا ، أخذ امرؤ حيث أحب ، ثم خرج
من نحو دروب الروميين حتى أتى دار أبي موسى ، وخطى القصر ، وفتح أصحابه

(١) ط : « نمر » ، وانظر الفهرس .

الباب، فقالوا : يا بن الأشتر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ؛ فخرجوا فبايعوا المختار .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن عامر العدوي ؛ من عدى جبهينة - وهو أبو الأشعر - أن المختار جاء حتى دخل القصر ، فبات به ، وأصبح أشرفُ الناس في المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : الحمد لله الذي وعد وليه النصر ، وعدوه الخُسْرَ ، وجعله فيه إلى آخر الدهر ، وَعَدَا مَفْعُولًا ، وقضاءً مقضيًا ، وقد خاب من افترى . أيها الناس ، إنَّه رُفِعَتْ لنا راية ، ومُدَّتْ لنا غاية ، فقبل لنا في الولاية : أن ارفعوها ولا تَضَعُوهَا ، وفي الغاية : أن اجروا إليها ولا تعدوها ، فسمعنا دعوة الداعي ، ومقالة الواعي ؛ فكم من ناع وناعية ، لقتلى في الواعية ! وبعْدًا لمن طغى وأدبر ، وعَصَى وكذَّب وتولَّى ، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى ، فلا واللذي جعل السماء ستمفًا ، وكفوفًا ، والأرض فجأجا سبُلًا ، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدى منها .

ثم نزل فدَخَلَ ، ودخلنا عليه وأشرف الناس ، فبَسَطَ يده ، وابتدرة^(١) ٦٣٣/٢

الناس فبايعوه ، وجعل^(٢) يقول : تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المُحِلِّين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتال مَنْ قاتلنا ، وسلم مَنْ سالمنا ، والوفاء ببيعتنا ، لا نقيلكم ولا نستقيلكم ؛ فإذا قال الرجل : نعم ، بايعته . قال : فكأنى والله أنظر إلى المنذر بن حسان بن ضرار الضبي إذ أنه حتى سلَّم عليه بالإمرة ، ثم بايعه وانصرف عنه ، فلما خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوري في عصابة من الشيعة واقفًا عند المصطبة ، فلما رأوه ومعه ابنه حيان بن المنذر ، قال رجل من سفهائهم : هذا والله من رعويس الجبارين ، فشَدُّوا عليه وعلى ابنه ، فقتلوهما ، فصاح بهم سعيد بن منقذ : لا تتعجلوا ، لا تتعجلوا حتى ننظر ما رأى أميركم فيه . قال : وبلغ المختار ذلك ، فكرهه حتى رُئِيَ ذلك في وجهه ، وأقبل المختار يمتي الناس ، ويستجر مودتهم ومودة الأشراف ، ويحسن السيرة جهده .

(١) ف : « وابتدرة » . (٢) ا ، ف : « فجعل » .

قال : وجاءه ابن كامل فقال للمختار ، أعلمت أن ابن مطيع في دار
أبي موسى ؟ فلم يُجِبْه بشيء ، فأعادها عليه ثلاث مرات فلم يُجِبْه ، ثم
أعادها فلم يُجِبْه ، فظن ابن كامل أن ذلك لا يوافق ، وكان ابن مطيع
قبل للمختار صديقاً ، فلما أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم ،
فقال له : تجهّز بهذه وانخرج ؛ فإنني قد شعرت بمكانك ، وقد ظننت أنه لم
يمنعك من الخروج إلا أنه ليس في يديك ما يقويك على الخروج . وأصاب ٦٣٤/٢
المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة ، فأعطى أصحابه الذين قاتل
بهم حين حصر ابن مطيع في القصر - وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة (١) رجل -
كل رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم ، وأعطى ستة آلاف من أصحابه
أتموه بعد ما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتى
دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ، ومسنّاهم العدل وحسن
السيرة . وأدنى الأشراف ، فكانوا جلساءه وحُدّائمه . واستعمل على شُرطته
عبد الله بن كامل الشاكري ، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة مولى عريّنة ؛
فقام ذات يوم على رأسه ، فرأى الأشراف يحدثونه ، وراه قد أقبل بوجهه
وحديثه عليهم ، فقال لأبي عمرة بعض أصحابه من الموالي : أما ترى
أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ! فدعاه المختار فقال له : ما يقول
لك أولئك الذين رأيتهم يكلّمونك ؟ فقال له - وأسرّ إليه : شقّ عليهم
أصلحك الله صرّفك وجهك عنهم إلى العرب ، فقال له : قل لهم : لا يشقن
ذلك عليكم . فأنتم مني وأنا منكم . ثم سكت طويلاً ، ثم قرأ :
﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (٢) . قال : فحدثني أبو الأشعر موسى بن عامر
قال : ما هو إلا أن سمعها الموالي منه . فقال بعضهم لبعض : أبشروا . كأنكم
والله به قد قتلهم .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله الأزدي وفُضيل بن
خديج الكندي والنضر بن صالح العبسي . قالوا : أول رجل عقد له المختار

(١) ف : « وخمسمائة » .

(٢) سورة السجدة ٢٢ .

٦٣٥/٢ راية عبد الله بن الحارث أخو الأشتر ، عَقَدَ له على أرمينية ، وبعث محمد ابن عمير بن عطارد على آذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخَى ، وبعث قُدّامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصرى ، وهو حليف لثقيف على بهتقباد الأعلى ، وبعث محمد بن كعب بن قرظّة على بهتقباد الأوسط ، وبعث حبيب بن منقذ الثورى على بهتقباد الأسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمّان على حلوان ، وكان مع سعد بن حذيفة ألفاً فارس بحلوان . قال : ورزقه ألف درهم فى كل شهر ، وأمره بقتال الأكراد ، وبإقامة الطرق ، وكتب إلى عمّاله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كُورهم إلى سعد بن حذيفة بحلوان ، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل ، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة ، غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله إلاّ بأمر ابن الزبير ، وكان قبل ذلك فى إمارة عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصل ، لا يكاتب أحداً دون ابن الزبير .

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبيل المختار أميراً تنحى له عن الموصل ، وأقبل حتى نزل دتكريت ، وأقام بها مع أناس من أشرف قومه وغيرهم ، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس ، وإلى ما يصير أمرهم ، ثم شخص إلى المختار فبايع له (١) ، ودخل فيما دخل فيه أهل بلده .

٦٣٦/٢ قال أبو مخنف : وحدثنى صلة بن زهير النهدى ، عن مسلم بن عبد الله الضبائى ، قال : لما ظهر المختار واستمكن ، ونفى ابن مطيع وبعث عمّاله ، أقبل يجلس للناس غدوة (٢) وعشيّة ، فيقضى بين الخصمين ، ثم قال : والله إنّ لى فيما أزاول وأحاول لشغلا عن القضاء بين الناس ، قال : فأجلس للناس شريحاً ، وقضى بين الناس ، ثمّ إنّه خافهم فتمارض ، وكانوا يقولون : إنّه عثمانى ، وإنّه ممن شهد على حُجر بن عدى ، وإنه لم يبلغ عن هانى ابن عروة ما أرسله به - وقد كان على بن أبى طالب عزله عن القضاء - فلما

(١) ف : « فبايعه » .

(٢) ف : « بكرة » .

أن سمع بذلك وراهم يذمتونه ويُسندون إليه مثل هذا القول تسمارض، وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود . ثم إنَّ عبد الله مرض ، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضيا .

قال مسلم بن عبد الله : وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان ، فقنعه بالسوط ، فلما ظهر المختار كان معتزلا حتى استأمن له عبد الله بن شداد ، فجاء إلى المختار ذات يوم فقال :

أَلَا انْتَسَأْتُ بِالوُدِّ عَنْكَ وَأَذْبَرْتُ

وَحَمَلْتُهَا وَأَشِ سَعَى غَيْرِ مُؤْتَلٍ

فَخَفَضْتُ عَلَيْكَ الشَّانَ لَا يُرِدُكَ الْهَوَى

وَفِي لَيْلَةِ الْمُخْتَارِ مَا يُذْهِلُ الْفَتَى

دَعَا بِالشَّارَاتِ الْحُسَيْنِ فَأَقْبَلْتُ

وَمِنْ مَذْحِجِ جَاءِ الرَّئِيسِ ابْنُ مَالِكِ

وَمِنْ أَسَدِ وَاْفَى يَزِيدُ لِنَصْرِهِ

وَجَاءَ نُعَيْمٌ خَيْرُ شَيْبَانَ كُلِّهَا

وَمَا ابْنُ شَمِيطٍ إِذْ يُحَرِّضُ قَوْمَهُ

وَلَا قَيْسُ نَهْدٍ لَا وَلَا ابْنُ هَوَازِنِ

وَسَارَ أَبُو النُّعْمَانِ لِلَّهِ سَبْعِيَهُ

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا يَوْمَ هَبَجَا دُرُوعَهَا

فَكَرَّ الْخَيْلُ كَرَةً ثَقِفَتْهُمْ

فَوَلَّى بِضَرْبٍ يَشْدَخُ الْهَامَ وَقَعَهُ

فَحُوصِرَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بَائِسًا

فَمَنْ وَزِيرُ ابْنِ الْوَصِيِّ عَلَيْهِمْ

مُعَالِنَةً بِالْهَجْرِ أَمْ سَرِيعٌ^(١)

فَأَبَتْ بِهِمْ فِي الْفُؤَادِ جَمِيعٌ

فَلَيْسَ انْتِقَالُ خَلَّةٍ بِبِدِيعِ

وَيُلْهِبِهِ عَن رُودِ الشَّبَابِ شُمُوعٌ^{٦٣٧/٢}

كَتَائِبُ مِنْ هَمْدَانَ بَعْدَ هَزِيعِ

يَقُودُ جُمُوعًا عُبَيْتٌ بِجُمُوعِ

بِكُلِّ فَتَى حَامِي الدَّمَارِ مَنِيعِ

بِأَمْرِ لَدَى الْهَبِجَا أَحَدٌ جَمِيعِ

هَنَّاكَ بِمَخْذُولٍ وَلَا بِمُضِيعِ

وَكُلُّ أَخُو إِخْبَاتَةٍ وَخُشُوعِ

إِلَى ابْنِ إِيَّاسٍ مُضْجِرًا لَوْقُوعِ

وَأُخْرَى حُسُورًا غَيْرَ ذَاتِ دُرُوعِ

وَشَدَّ بِأَوْلَاهَا عَلَى ابْنِ مُطِيعِ

وَطَعَنَ غَدَاةَ السَّكَّتَيْنِ وَجِيعِ

بِذُلِّ وَإِرْغَامٍ لَهُ وَخُضُوعِ

وَكَانَ لَهُمْ فِي النَّاسِ خَيْرٌ شَفِيعِ^{٦٣٨/٢}

(١) الأبيات من ٤ إلى ٧ في الأخبار انطوال ٢٩١ .

وَأَبَ الْهَدَى حَقًّا إِلَى مُسْتَقَرِّهِ بِخَيْرِ إِيَابِ آبَتِهِ وَرُجُوعِ

إِلَى الْهَاشِمِيِّ الْمَهْتَدِيِّ الْمَهْتَدَى بِهِ فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ وَمَطْبِعٍ

قَالَ : فَلَمَّا أَنْشَدَهَا الْمُخْتَارَ قَالَ الْمُخْتَارُ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيَّ كَمَا

تَسْمَعُونَ ، وَقَدْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْكُمْ ، فَأَحْسِنُوا لَهُ الْجِزَاءَ . ثُمَّ قَامَ الْمُخْتَارُ ،

فَدَخَلَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُخْرِجَ إِلَيْكُمْ ؛ قَالَ : وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ

ابْنُ شَدَّادِ الْجُشَمِيِّ : يَا بَنَ هَمَامَ : إِنَّ لَكَ عِنْدِي فَرَسًا وَمُطْرَفًا ، وَقَالَ

قَيْسُ بْنُ طَهَيْفَةَ النَّهْدِيُّ—وَكَانَتْ عِنْدَهُ الرَّبَابُ بِنْتُ الْأَشْعَثِ : فَإِنَّ لَكَ عِنْدِي

فَرَسًا وَمُطْرَفًا ، وَاسْتَحْيَا أَنْ يُعْطِيَهُ (١) صَاحِبُهُ شَيْئًا لَا يُعْطِي مِثْلَهُ ، فَقَالَ (١)

لِيزِيدِ بْنِ أَنَسٍ : فَمَا تُعْطِيهِ ؟ فَقَالَ يَزِيدُ : إِنْ كَانَ ثَوَابَ اللَّهِ أَرَادَ بِقَوْلِهِ فَمَا عِنْدَ

اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا اعْتَرَى بِهَذَا انْقَوْلَ أَمْوَالِنَا ، فَوَاللَّهِ مَا فِي أَمْوَالِنَا

مَا يَسَعُهُ ؛ قَدْ (٢) كَانَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ عَطَائِي بِقِيَّةِ فَقْرِيَّتِ بِهَا إِخْوَانِي ؛ فَقَالَ

أَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ مَبَادِرًا لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَكْتُمُوهُ : يَا بَنَ هَمَامَ ، إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ

بِهَذَا الْقَوْلِ وَجْهَ اللَّهِ فَاطْلُبْ ثَوَابَكَ مِنَ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا اعْتَرَيْتَ بِهِ رِضَا

النَّاسِ وَطَلَبَ أَمْوَالَهُمْ ، فَارْتَدِّمِ الْجَسَدَ ؛ فَوَاللَّهِ مَا مَنَّ قَالَ قَوْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ فِي

غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ بِأَهْلٍ أَنْ يُسْحَلَ . وَلَا يُوَصَّلُ ؛ فَقَالَ لَهُ : عَضَضْتَ بِأَيْرِ أَبِيكَ !

فَرَفَعَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسِ السُّوْطِ وَقَالَ لِابْنِ هَمَامَ : تَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ يَا فَاسِقُ !

وَقَالَ لِابْنِ شُمَيْطٍ : اضْرِبْهُ بِالسِّيفِ . فَرَفَعَ ابْنُ شُمَيْطٍ عَلَيْهِ السِّيفَ (٣) وَوَثَبَ

وَوَثَبَ أَصْحَابُهُمَا يَتَفَلَّتُونَ عَلَى ابْنِ هَمَامَ . وَأَخَذَ بِيَدِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ فَأَلْقَاهُ

وَرَاءَهُ ، وَقَالَ : أَنَا لَهُ جَارٍ ، لِيَمَّ تَأْتُونَ إِلَيْهِ مَا أَرَى ! فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَوَاصِلُ الْوَلَايَةِ ،

رَاضٍ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، حَسَنَ الثَّنَاءِ ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَكْفُتُوهُ بِحَسَنِ ثَنَائِهِ . فَلَا تَشْتُمُوا

عَرَضَهُ ، وَلَا تَسْفِكُوا دَمَهُ . وَوَثِبَتْ مَذْحِجٌ فَحَالَتْ دُونَهُ ، وَقَالُوا :

أَجَارَهُ ابْنُ الْأَشْتَرِ ، لَا وَاللَّهِ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ . قَالَ : وَسَمِعَ لِنَغْطِهِمُ

الْمُخْتَارِ (٤) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَيْهِمْ ، أَنْ اجْلِسُوا ، فَجَلَسُوا ، فَقَالَ لَهُمْ :

إِذَا قِيلَ لَكُمْ خَيْرٌ فَاقْبَلُوهُ ، وَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى مَكَافَأَةٍ فَافْعَلُوا ، وَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا

(١-١) ف : « دُونَ عَطِيَّةِ صَاحِبِهِ وَقَالَ » .

(٢) ف : « وَقَدْ » .

(٣) ف : « السِّيفِ عَلَيْهِ » .

(٤) ف : « الْمُخْتَارَ لِنَغْطِهِمْ » .

على مكافأة فتنصلوا ، واتقوا لسان الشاعر ، فإن شره حاضر ، وقولته فاجر ، وسعيته بائر ، وهو بكم غداً غادر . فقالوا^(١) : أفلا نقتله ؟ قال : إننا قد آمنناه وأجرناه ، وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر ، فجلس مع الناس . قال : ثم إن إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وفرنساً ومطرفاً فرجع بها وقال : لا والله ، لا جاورت هؤلاء أبداً . وأقبلت هوازن وغضبت واجتمعت في المسجد غضباً لابن همام ، فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا عما اجتمعوا له ، ففعلوا . وقال ابن همام لابن الأشتر بمدحه :

أطفأ عني نارَ كلبين ألبا على الكلاب ذو الفِعال ابنُ مالكِ
فتى حين يلقى الخيلَ يفرقُ بينها بطعنِ دراكٍ أو بضربِ مؤاشِكِ
وقد غَضِبْتُ لى مِنْ هوازنِ عَصْبَةٌ طوالُ الذرا فيها عراضُ المباركِ
إذا ابنُ شَمِيطِ . أو يزيدُ تعرُّضا لها وقعا في مُستَحارِ المهالكِ^(٢) ٦٤١/٢
وثبتُم علينا يا موالِي طيِّبِءِ مع ابنِ شَمِيطِ . شَرِّ مَاشٍ ورَاتِكِ^(٣)
وأعظم ديارِ على اللهِ فِرْيَةٌ وما مُفْتَرٍ طاغٍ كاخِرِ ناسِكِ
فيا عجباً مِنْ أَحْمَسَ ابنةِ أَحْمَسِ^(٤) تَوَثَّبُ حَوْلِي بِالقنا والنَّيازِكِ^(٥)
كأنكم في العزِّ قيسٌ وخثعمٌ وهل أنتم إلا لثامُ عوارِكِ^(٦)

وأقبل عبد الله بن شداد من الغد فجلس في المسجد يقول : علينا توثب بنو أمس وأحمس ! والله لا نرضى بهذا أبداً . فبلغ ذلك المختار ، فبعث إليه فدعاه ، ودعا بيزيد^(٧) بن أنس وبابن^(٨) شميطة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال^(٨) : يا بن شداد ، إن الذي فعلت نزرغة من نزرغات الشيطان . فوثب إلى الله ؛ قال : قد تبت . وقال : إن هذين أخواك . فأقبل إليهما ، وأقبل منهما ، وهب لي هذا الأمر ؛ قال : فهو لك ، وكان ابن همام قد قال قصيدة

(١) ف : « قالوا » .
(٢) ف : « موبقات المهالك » .
(٣) انترك : مشية فيها اهتزاز .
(٤) ف : « وما عجب » .
(٥) ف : « تولت قتالي » .
(٦) ف : « وما أنتم غير الإماء العوارك » .
(٧) ف : « يزيد » .
(٨) ف : « وابن » . (٨) ف : « ثم قال » .

أخرى في أمر المختار ، فقال :

أضحت سُلَيْمَى بعدَ طولِ عِتَابِ
قد أزمعت بِصِرْمِي وتَجَنَّبِي (١)
لَمَّا رَأَيْتُ القَصْرَ أَغْلَقَ بَابُهُ
وَأرَأَيْتُ أَصْحَابَ الدَّقِيقِ كَأَنَّهُمْ (٢)
٦٤٢/٢
وَأرَأَيْتُ أَبْوَابَ الأَزِقَّةِ حَوْلَنَا
أَيَقَنْتُ أَنَّ خِيولَ شِيعَةٍ رَاشِدٍ
وتَجَرَّمُ ونَفَادِ غَرْبِ شَبَابِ
وتَهَوِّكُ مُذْ ذَاكَ فِي إِعْتَابِ (٣)
وتَوَكَّلْتُ هَمْدَانُ بِالأَسْبَابِ (٤)
حَوْلَ البُيُوتِ ثَعَالِبُ الأَسْرَابِ
دَرَبْتُ بِكُلِّ هِرَاوَةٍ وَذُبَابِ
لَمْ يَبْقَ مِنْهَا فَيْشٌ أَيْرِ ذُبَابِ

[ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة (٥) من قتل الحسين والمشايخين على قتله ، فقتل من قتل عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقدر عليه .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب فلم يقدر عليه منهم :

وكان سبب ذلك فيما ذكره هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحكم - أن مروان بن الحكم لما استوسقت له الشام بالطاعة ، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حُبَيْش بن دُبْلجة القيني - وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل - والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد - وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين الوردية - وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجهه إلى العراق ما غلب عليه ، وأمره أن ينهب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً . ٦٤٣/٢

قال عوانة : فرّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيس عيّلان (٦) على

(١) ف : « هجرى وطول تجنبي » .
(٢) ف : « وتعلقت همدان بالبواب » .
(٣) ف : « أصحاب البيوت » .
(٤) ف : « قيس بن عيّلان » .
(٥) ف : « لا تمجلن فلست من أصحابي » .
(٦) ا : « قيس بن عيّلان » .

طاعة ابن الزبير ، وقد كان مروانُ أصاب قيساً يوم مَرَجِ راهط وهم مع الضحَّاك بن قيس مخالفين على مروان ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ، فلم يزل عبيد الله مشتغلاً بهم عن العراق نحواً من سنة . ثمَّ إنَّه أقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عاملُ المختار على الموصل إلى المختار : أما بعد ، فإنِّي أخبرك أيها الأمير أنَّ عبيد الله بن زياد قد دخل أرضَ الموصل ، وقد وجَّه قِبَلِي نخيلته ورجاله ، وإنِّي انحزتُ إلى تِكْرِيْتِ حتَّى يأتيني رأيك وأمرُك ، والسلام عليك .

فكتب إليه المختار : أمَّا بعد ، فقد بلغني كتابُك ، وفهمتُ كلَّ ما ذكرتُ فيه ، فقد أصبتُ بانحيازك إلى تكريت ، فلا تبرحنَّ مكانك اللَّذِي أنت به حتَّى يأتيتك أمرى إن شاء الله ، والسلام عليك .

قال هشام ، عن أبي مخنف : حدثني موسى بن عامر ، أنَّ كتاب عبد الرحمن بن سعيد لَمَّا ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه ، فقال له : يا يزيد بن أنس ، إنَّ العالم ليس كالجاهل ، وإنَّ الحق ليس كالباطل ، وإنِّي أخبرك خبر من لم يكذب ولم يكذب ، ولم يُخالف ولم يرتب ، وإنَّا المؤمنون الميامين ، الغالبون المساليم ، وإنَّك صاحب الخيل التي تجرُّ بجعابها ، وتضفر أذناها ، حتَّى تُوردها منابت الزيتون ، غائرة عيونها ، لاحقة بطونها . اخرج إلى المَوْصل حتَّى تنزل أدانيها^(١) ، فإنِّي ممدك

بالرجال بعد الرجال . فقال له يزيد بن أنس : سرَّح معي ثلاثة آلاف فارس ٦٤٤/٢ أنتخبهم ، ونخلتني والفرج الذي توجهنا إليه ، فإن احتجتُ إلى الرجال فسأكتب إليك ؛ قال له^(٢) المختار : فاخرج فانتخب على اسم الله من أحببت .^(٣) فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس ، فجعل على رُبْع المدينة النعمان بن عوف بن أبي جابر الأزدي ، وعلى رُبْع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمداني ، وعلى مَذْحِج وأسد ورفاء بن عازب الأسدي ، وعلى رُبْع ربيعة وكندة سَعْر بن أبي سَعْر الحنفي .

ثمَّ إنَّه فصل من الكوفة ، فخرج وخرج معه المختار والناس يشيعونه ، فلما

(١) ف : «بأدانيها» . (٢) ف : «فقال» . (٣) ف : «ثلاثة آلاف من أحببت» .

بلغ ديرَ أبي موسى ودَّعه المختار وانصرف ، ثم قال له : إذا لقيتَ عدوك فلا تُناظرهم ، وإذا أمكنتك الفرصةُ فلا تؤخرها ، وليكن خبرك في كلِّ يوم عندي ، وإن احتجت^(١) إلى مدد فاكتب إلى مع أنى مُمدك ولو لم تستمدد ، فإنه أشدَّ لعضدك ، وأعزَّ لجُنُودك ، وأرعبَ لعدوك . فقال له يزيد بن أنس : لا تمدتني إلا بدعائك ، فكفى به مدداً . وقال له الناس : صحبك الله وأدأك وأيدك^(٢) . وودَّعوه : فقال لهم يزيد : سلوا الله لي الشهادة ، وإيمُّ الله لئن لقيتهم ففاتي النصرُ لا تُفتني الشهادة إن شاء الله . فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس : أما بعد ، فخلَّ بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك . فخرج يزيد بن أنس بالناس حتى بات بسُوراً ، ثم غدا بهم سائراً حتى بات بهم بالمدائن ، فشكا الناسُ إليه^(٣) ما دخلهم من شدة السير عليهم ، فأقام بها يوماً وليلة . ثم إنَّه اعترض بهم أرض جُوخى حتى خرج بهم في الراذانات ، حتى قطع بهم إلى أرض الموصل . فنزلت بينات تلى ، وبلغ مكانه ومنزلُه الذي نزل به عبيد الله بن زياد ، فسأل عن عدتهم ، فأخبرته عيونُه أنه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس ، فقال عبيد الله : فأنا أبعث إلى كلِّ ألف ألفين . ودعا ربيعة بن المخارق الغنوي وعبد الله بن حملة الخثعمي ، فبعثهما في ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، وبعث ربيعة بن المخارق أولاً ، ثم مكث يوماً ، ثم بعث خلفه عبد الله بن حملة ، ثم كتب إليهما : أيكما سبق فهو أمير على صاحبه ، وإن انتهيتما جميعاً فأكبر كما سننا أميرٌ على صاحبه والجماعة . قال : فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو بينات تلى ، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنى .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت . عن أبي سعيد الصيقل ، قال : خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشي معه الرجال يُمسكونه عن يمينه وعن شماله ، بفخذيه وعضديه وجنبه ، فجعل يقف على الأرباع :

(٢) ف : « وأيدك وأدأك سالماً غانماً » .

(١) ف : « وإذا احتجت » .

(٣) ف : « فشكا إليه الناس » .

رُبْع رِبْع^(١) ويقول : يا شرطة الله ، اصبروا تُؤَجَّرُوا ، وصابروا عدوكم تَنْظَفَرُوا ، وَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ، إِنَّ هَلَكْتَ فَأَمِيرُكُمْ وَرَقَاءُ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ ، فَإِنَّ هَلَاكَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَمْرَةَ الْعَدْرِيِّ ، فَإِنَّ هَلَاكَ فَأَمِيرُكُمْ سَعْرُ بْنُ أَبِي سَعْرٍ الْحَنْفِيُّ . قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ فِيمَنْ يَمْشِي مَعَهُ وَيُمْسِكُ بَعْضُهُهُ وَيَدُهُ ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ . قَالَ : فَجَعَلَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ ضَمْرَةَ الْعَدْرِيَّ عَلَى مَيْمَنَتِهِ ، وَسَعْرُ بْنُ أَبِي سَعْرٍ عَلَى مَيْسِرَتِهِ ، وَجَعَلَ وَرَقَاءُ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ عَلَى الْخَيْلِ ، وَنَزَلَ هُوَ فَوْضَعَ بَيْنَ الرَّجَالِ عَلَى السَّرِيرِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : ابْرُزُوا لَهُم بِالْعِرَاءِ ، وَقَدْ مَوْنَى فِي الرَّجَالِ ، ثُمَّ إِنْ شَتَمْتُمْ فَقَاتِلُوا عَنْ أَمِيرِكُمْ ، وَإِنْ شَتَمْتُمْ فَفَرُّوا عَنْهُ . قَالَ : فَأَخْرَجْنَاهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ عَرَفَةَ سَنَةَ سِتِّ وَسِتِّينَ ، فَأَخَذْنَا نُمْسِكَ أَحْيَانًا بظَهْرِهِ فَيَقُولُ : اصْنَعُوا كَذَا ، اصْنَعُوا كَذَا ، وَافْعَلُوا كَذَا ، فَيَأْمُرُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ بِأَسْرَعٍ مَنْ أَنْ يَغْلِبَهُ الْوَجْعُ فَيُوضَعُ هُنَيْئَةً وَيَقْتُلُ النَّاسَ ، وَذَلِكَ عِنْدَ شَفَقِ الصَّبْحِ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ . قَالَ : فَحَمَلْتُ مَيْسِرَتَهُمْ عَلَى مَيْمَنَتِنَا ، فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، وَتَحَمَّلَ مَيْسِرَتُنَا عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ فَهَزَمَهَا^(٢) ، وَبِتَحْمِيلِ وَرَقَاءُ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ فِي الْخَيْلِ فَهَزَمَهُمْ ، فَلَمْ يَرْتَفِعِ الضَّحَى حَتَّى هَزَمْنَاهُمْ ، وَحَوَيْنَا عَسَاكِرَهُمْ .

قال أبو مخنف : وحدثني موسى بن عامر العدوي ، قال : انتهينا إلى ربيعة ابن المخارق صاحبهم ، وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل^(٣) ينادي : يا أولياء الحق ، ويا أهل السمع والطاعة ، إلى أنا ابن المخارق ؛ قال موسى : فأما أنا فكنتُ غلامًا حديدًا ، فبهبته ووقفتُ ، وبتحميل عليه عبدُ الله بن ورقاء الأسدي وعبدُ الله بن ضمرة العدري ، فتقتلاه .

قال أبو مخنف : وحدثني عمرو بن مالك أبو كبشة التميمي ؛ قال : ٦٤٧/٢ كنتُ غلامًا حين راهقتُ مع أحد عمومتي في ذلك العسكر ، فلمَّا نزلنا بعسكر الكوفيين عبأنا ربيعة بن المخارق فأحسن التعبئة ، وجعل على ميمنته ابن

(١) : «ربعا ربعا» . (٢) ف : «فهزمتها» . (٣) ف : «بارك» .

أنجيه ، وعلى ميسرته عبد ربه السلمي ، وخرج هو في الخيل والرجال وقال :
يا أهل الشام ، إنكم إنما تقاتلون العبيد الأبقاء ، وقوما قد تركوا الإسلام
وخرجوا منه ، ليست لهم تقيّة ، ولا ينطقون بالعربيّة ؛ قال : فوالله إن كنت
لأحسب أن ذلك كذلك حتّى قاتلناهم ؛ قال : فوالله ما هو إلا أن اقتتل
الناس إذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول :

بَرِئْتُ مِنْ دِينِ الْمُحَكَّمِينَا وَذَاكَ فِينَا شَرُّ دِينِ دِينِنَا
ثُمَّ إِنْ قَاتَلْنَا وَقَاتَلْتَهُمْ أَشَدَّ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ هَزَمُونَا حِينَ
ارْتَفَعَ الضُّحَى فَمَاتُوا صَاحِبِنَا . وَحَوُوا عَسْكَرَنَا ، فَخَرَجْنَا مِنْهُمْ حَتَّى
تَلَقَانَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَلَةَ عَلَى مَسِيرَةِ سَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا بِنَات
تَلَى ، فَرَدَّنَا . فَأَقْبَلْنَا مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ بِيَزِيدَ بْنِ أَنَسٍ ، فَبِتْنَا مِتْحَارِسِينَ
حَتَّى أَصْبَحْنَا فَصَلَّيْنَا الْغَدَاةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا عَلَى تَعْبَةِ حَسَنَةَ . فَجَعَلَ عَلَى
مِيمَنَتِهِ الزَّبِيرَ بْنَ خُزَيْمَةَ^(١) ، مِنْ خَثْعَمٍ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ ابْنَ أَقْبِصِرَ الْقَحْفَانِيَّ مِنْ
خَثْعَمٍ . وَتَقَدَّمَ فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَضْحَى . فَاقْتَلْنَا قِتَالًا شَدِيدًا ،
ثُمَّ إِنَّهُمْ هَزَمُونَا هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَقَتَلُونَا قِتَالًا ذَرِبًا ، وَحَوُوا عَسْكَرَنَا ، وَأَقْبَلْنَا
حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَحَدَّثَنَا بِمَا لَقِينَا ..

٦٤٨/٢ قال أبو مخنف : وحدثني موسى بن عامر . قال : أقبل إلينا عبد الله بن
حملة الخثعمي ، فاستقبل فل ربيعة بن المخارق الغنوي فرددتهم ، ثم جاء حتى
نزل بينات تلى ، فلما أصبح غادوا وغادينا ، فتطاردت الخيلان من أول النهار ،
ثم انصرفوا وانصرفنا ؛ حتى إذا صلينا الظهر خرجنا فاقتلنا . ثم هزمناهم .
قال : ونزل عبد الله بن حملة فأخذ ينادي أصحابه : الكثرة بعد الفرّة . يا أهل
السمع والطاعة ؛ فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمي فقتله ، وحوينا
عسكرهم وما فيه ، وأتى يزيد بن أنس بثلثمائة أسير وهو في السرق ، فأخذ
يومي بيده أن اضربوا أعناقهم ، فقتلوا من عند آخرهم .

وقال يزيد بن أنس : إن هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي . فما
أمسى حتى مات ، فصلّى عليه ورقاء بن عازب ودفنه ، فلما رأى ذلك
أصحابه أسقط في أيديهم ، وكسّر موته قلوب أصحابه ، وأخذوا في دفنه ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط من غير نقط .

فقال لهم ورقاء : يا قوم ، ماذا ترون ؟ إنَّه قد بلغني أنَّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام ، فأخذوا يتسلَّلون ويرجعون . ثمَّ إنَّ ورقاء دعا رءوسَ الأرباع وفُرسانَ أصحابه فقال لهم : يا هؤلاء ، ماذا ترون فيما أخبرتُكم ؟ إنَّما أنا رجل منكم ، ولست بأفضلكم رأياً ، فأشيروا عليَّ ، فإنَّ ابن زياد قد جاءكم في جُنْد أهل الشام الأعظم ، وبجَلَّتْهم وفُرسانهم وأشرافهم ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقةً على هذه الحال ، وقد هلك يزيدُ بن أنس أميرنا ، وتفرقت عننا طائفة منَّا ، فلو انصرفنا اليومَ من ٦٤٩/٢ تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم . وقبل أن نبلُغهم ، فَيَعْلَمُوا أنَّنا إنَّما ردَّنا عنهم هلاكُ صاحبنا ، فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم ! ولأنَّنا إنَّما نعتلُّ لانصرافنا بموت صاحبنا . وإنَّنا إن لقيناهم اليومَ كنَّا مخاطرين ، فإنَّ هُزْمنا اليومَ لم تنفعنا هزيمتنا إيَّاهم من قبل اليوم . قالوا : فإنَّك نعمًا رأيت ، انصرفِ رحمك الله . فانصرف ، فبلغ مُنصرَفُهم ذلك المختارَ وأهل الكوفة ، فأرْجَفَ الناسُ ، ولم يعلموا كيف كان الأمرُ أنَّ يزيد بن أنس هلك ، وأنَّ الناسَ هُزِموا ، فبعث إلى المختار عامله على المدائن عينًا له من أنباط السواد فأخبره الخبر ، فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر فعقَّد له على سبعة آلاف رجل ، ثمَّ قال له : سرُّ حتَّى إذا أنت لقيتَ جيشَ ابن أنس فارددهم معك ، ثمَّ سرُّ حتَّى تلتقى عدوك فتُناجزهم . فخرج إبراهيم فوَضَعَ عسكره بحمامِ أعين .

قال أبو مخنف : فحدَّثني أبو زهير النضر بن صالح ، قال : لما مات يزيد أنس التقيُّ أشرافُ الناس بالكوفة فأرْجَفوا بالمختار وقالوا : قتل يزيد بن أنس ، ولم يصدقوا أنَّه مات ، وأخذوا يقولون : والله لقد تأمَّر علينا هذا الرجل بغير رضا منَّا ، ولقد أدنى موالينا ، فحملهم على الدوابِّ ، وأعطاهم وأطعمهم فينا ، ولقد عصتنا عبيدنا ، فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا . فاتعدوا منزلَ شبَّث بن ربعي وقالوا : نجتمع في منزل شيخنا - وكان شبث جاهليًا إسلاميًا - فاجتمعوا فأتوا منزله ، فصلَّى بأصحابه ، ثمَّ تذاكروا هذا النحو من الحديث ٦٥٠/٢ قال : ولم يكن فيما أحدث المختارُ عليهم شيء هو أعظمُ من أن جعل للموال

الفقير نصيباً - فقال لهم شَبَّثْ : دعوني حتى ألقاه ؛ فذهب فلقبه ، فلم يدع شيئاً مما أنكره أصحابه إلا وقد ذاكره إياه . فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار : أَرْضِيهِمْ فِي هَذِهِ الْخَصْلَةِ . وَآتَى كُلَّ شَيْءٍ أَحْبَبُوا ؛ قَالَ : فَذَكَرَ الْمَالِيكَ ؛ قَالَ : فَأَنَا أُرِدُّ عَلَيْهِمْ عِبِيدَهُمْ . فَذَكَرَ لَهُ الْمَوَالِي ، فَقَالَ : عَمِدْتَ إِلَى مَوَالِينَا . وَهُمْ فِيءٌ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَهَذِهِ الْبِلَادُ جَمِيعاً فَأَعْتَقْنَا رِقَابَتَهُمْ ، نَأْمُلُ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ وَالثَّوَابَ وَالشُّكْرَ . فَلَمْ تَرْضَ لَهُمْ بِذَلِكَ حَتَّى جَعَلْتَهُمْ شُرَكَاءَ نَا فِي فَيْئِنَا . فَقَالَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ : إِنْ أَنَا تَرَكْتُكُمْ مَوَالِيكُمْ ، وَجَعَلْتُ فَيْئَتِكُمْ فِيكُمْ . أَتَقَاتِلُونَ مَعِيَ بَنِي أُمَيَّةَ وَابْنَ الزُّبَيْرِ . وَتَعْطُونَ عَلَيَّ الْوَفَاءَ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ . وَمَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ ؛ فَقَالَ شَبَّثْ : مَا أَدْرِي حَتَّى أَخْرَجَ إِيَّيْ أَصْحَابِي فَأَذَاكَرَهُمْ ذَلِكَ . فَخَرَجَ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْمُخْتَارِ . قَالَ : وَأَجْمَعَ رَأْيَ أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى قِتَالِ الْمُخْتَارِ .

قال أبو مخنف : فحدثني قدامة بن حوشب . قال : جاء شَبَّثُ ابْنِ رَبِيعٍ وَشَمِيرِ بْنِ ذِي الْجَوَّشِنِ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى كَعْبِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ الْخَثْعَمِيِّ . فَتَكَلَّمْتُ شَبَّثَ ، فَحَسَمَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ . ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِاجْتِمَاعِ رَأْيِهِمْ عَلَى قِتَالِ الْمُخْتَارِ . وَسَأَلَهُ أَنْ يُجِيبَهُمْ إِيَّيْ ذَلِكَ . وَقَالَ فِيهَا يَتَعَيَّبُ بِهِ الْمُخْتَارُ : إِنَّهُ تَأْمَرَ عَلَيْنَا بِغَيْرِ رِضَا مِنَّا . وَزَعَمَ أَنَّ ابْنَ الْخَنْفِيَّةِ بَعَثَهُ إِلَيْنَا . وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ ابْنَ الْخَنْفِيَّةِ لَمْ يَفْعَلْ . وَأَطْعَمَ مَوَالِينَا فَيْئِنَا . وَأَخَذَ عِبِيدَنَا . فَحَرَّبَ بِهِمْ يَتَادَانَا وَأَرَادَنَا . وَأَظْهَرَ هُوَ وَسَبَّيْتَهُ الْبِرَاءَةَ مِنْ أَسْلَافِنَا الصَّالِحِينَ . قَالَ : فَحَسِبَ بِهِمْ كَعْبُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ . وَأَجَابَهُمْ إِيَّيْ مَا دَعَاؤُهُ إِلَيْهِ .

٦٥١/٢

قال أبو مخنف : حدثني أبي يحيى بن سعيد أن أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف . فدعوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار ، فقال لهم : يا هؤلاء . إنكم إن أبيتم إلا أن تخرجوا ولم تأخذواكم . وإن أنتم أطعتموني لم تخرجوا . فقالوا : ليم ؟ قال : لأنني أخاف أن تنفروا وتختلفوا وتتخاذلوا ؛ ومع الرجل والله شجاعاً وكم وفرسانكم من أنفسكم ؛ أليس

معهم فلان وفلان ! ثمّ معه عبيدكم ومواليكم ، وكلمة هؤلاء واحدة ، وعبيدكم ومواليكم أشدّ حسنةً عليكم من عدوكم ، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب ، وعداوة العجم . وإن انتظرتموه قليلاً كفيتموه بقدم أهل الشام أو بمجيء أهل البصرة ، فتكونوا قد كفيتموه بغيركم ، ولم تجعلوا بأسكم بينكم ؛ قالوا : نسئدك الله أن تخالفنا ، وأن تُفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا . قال : فأنا رجل منكم ، فإذا شتم فاحرجوا . فسار بعضهم إلى بعض وقالوا : انتظروا حتى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر ؛ قال : فأهملوا حتى إذا بلغ ابن الأشتر سبأط ، وثبوا بالمختار . قال : فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني في همدان في جبانة السبيع ، وخرج زحر بن قيس الجعفي وإسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كندة .

قال هشام : فحدثني سليمان بن محمد الحضرمي ، قال : خرج إليهما جبير الحضرمي فقال لهما : أخرجا عن جبانتنا ، فإننا نكره أن نُعمرى ٦٥٢/٢ بشر ؛ فقال له إسحاق بن محمد : وجبانتناكم هي ؟ قال : نعم ، فانصرفوا عنه ؛ وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر ، وسار بشير بن جرير بن عبد الله إليهم في بجيلة ، وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف ، وسار إسحاق بن محمد وزحر بن قيس إلى عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بجبانة السبيع ، وسارت بجيلة وختعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزد . وبلغ الذين في جبانة السبيع أن المختار قد عبأ لهم خيلاً ليسير إليهم . فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضاً إلى الأزد وبجيلة وختعم ، يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا إليهم . فساروا إليهم واجتمعوا جميعاً في جبانة السبيع . وادماً أن بلغ ذلك المختار سره اجتمعهم في مكان واحد ، وخرج شمر بن ذي الجوشن حتى نزل بجبانة بني سلول في قيس ، ونزل شبث بن ربعي وحسان بن قائد العبسي وربيعه بن ثروان الضبي في مضر بالكُناسة ، ونزل حجّار بن أبهر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فيما بين التمارين والسبخة ، ونزل عمرو بن الحجّاج الزبيدي في جبانة مراد بمن تبعه من مذحج ، فبعث إليه أهل اليمن : أن اتنا ، فأبى أن يأتيهم

وقال لهم : جدّوا ، فكأنى قد أتيتكم . قال : وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن توبة بالرّكض إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط ألا تضع كتابي من يدك حتّى تُقبِلَ بجميع من معك إلى . قال : وبعث إليهم المختار في ذلك اليوم : أخبروني ما تريدون ؟ فإنى صانع كل ما أحببتهم ، فقالوا : فإننا نريد أن تعزّلنا ، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يسبعك . فأرسل إليهم المختار أن ابعثوا إليه من قبلكم وفداً ، وأبعث إليه من قبلى وفداً ، ثمّ انظروا في ذلك حتّى تتبيّنوه ؛ وهو يريد أن يرثهم بهذه المقالة ليقدّم عليه إبراهيم بن الأشتر ، وقد أمر أصحابه فكفّوا أيديهم ، وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك ، فليس شيء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه من الماء إلاّ القليل الوثج^(١) ، يجيئهم إذا غفلوا عنه . قال : وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان ، فقاتله شاكر قتالا شديداً ، فجاءه عقببة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتّى ردّ عاديّتهم عنه ، ثمّ أقبل على حاميتهما سيران حتّى نزل عقببة بن طارق مع قيس في جبانة بني سلول ، وجاء عبد الله بن سبيع حتّى نزل مع أهل اليمن في جبانة السبيع .

قال أبو مخنف : حدثني يونس بن أبي إسحاق ، أن شمر بن ذى الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم : إن اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم ، وإلاّ فلا . والله لا أقاتل في مثل هذا المكان في سيكك ضيقة ، ونقاتل من غير وجه . فانصرف إلى جماعة قومه في جبانة بني سلول . قال : ولما خرج رسول المختار إلى ابن الأشتر بلغه من يومه عشية ، فنادى في الناس : أن ارجعوا إلى الكوفة ، فسار بقية عشية تلك ، ثمّ نزل حين أمسى . فبعث أصحابه ، وأراحوا الدواب شيئا كلاً شيء ، ثمّ نادى في الناس ، فسار ليلته كلتها ، ثمّ صلّى الغداة بسورا ، ثمّ سار من يومه فصلّى العصر على باب الجسر من الغد ، ثمّ إنّه جاء حتى بات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد ، حتّى إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم على المختار ، خرج المختار إلى

(١) الوثج : القليل من كل شيء .

المنبر فصعده .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جناب الكلبي أن شبيب بن ربيع بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال : إنما نحن عشيرتكم ، وكف يمينك ، لا والله لا نقاتلك ، فثق بذلك مناً ؛ وكان رأيه قتاله ، ولكنه كاده . ولما أن اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلاة ، فكبره كل رأس من رؤوس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أول الاختلاف ، قدموا الرضا فيكم ، فإن في عشيرتكم سيّد قراء أهل مصر ، فليصل بكم رفاعه بن شدّاد الفتياني من بجيلة ، ففعلوا ، فلم يزل يصلّي بهم حتى كانت الواقعة .

قال أبو مخنف : وحدثني وازع بن السري أن أنس بن عمرو الأزدي انطلق فدخل في أهل اليمن ، وسمعهم وهم يقولون : إن سار المختار إلى إخواننا من مضر سرنا إليهم ، وإن سار إلينا ساروا إلينا ، فسمعتها منهم رجل ، وأقبل بجواداً حتى صعد إلى المختار على المنبر ، فأخبره بمقاتلتهم ، فقال : أمّا ٦٥٥/٢ هم فخلقاء لو سرت إلى مضر أن يسروا إليهم ، وأمّا أهل اليمن فأشهد لن سرت إليهم لا تسير إليهم مضر ، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه . ثم إن المختار نزل فعبأ أصحابه في السوق - والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء - فقال لإبراهيم بن الأشتر : إلى أي الفريقين أحب إليك أن تسير ؟ فقال : إلى أي الفريقين أحببت ، فنظر المختار - وكان ذا رأي ، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم - فقال : سر إلى مضر بالكُناسة وعليهم شبيب بن ربيع ومحمد بن عمير بن عطار ، وأنا أسير إلى أهل اليمن .

قال : ولم يزل المختار يُعرف بشدة النفس ، وقلّة البقيّة على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر ، فسار إبراهيم بن الأشتر إلى الكُناسة ، وسار المختار إلى جبانة السبيع ، فوقف المختار عند دار عمّار بن سعد بن أبي وقاص ، وسرح بين أيديه أحمّار بن شميطة البجلي ثم الأحمسي ، وسرح عبد الله بن كامل الشاكري ، وقال لابن شميطة : الزم هذه السكّة حتى ^(١) تخرج إلى أهل

(١) س : « التي » .

جَبَانَةَ السَّبِيْعِ مِنْ بَيْنِ دُورِ قَوْدِكَ . وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ : الزَّمْ هَذِهِ
السَّكَّةَ حَتَّى تَخْرُجَ عَلَى جَبَانَةَ السَّبِيْعِ مِنْ دَارِ آلِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ ،
وَدَعَاهُمَا فَاسْرَ إِلَيْهِمَا أَنْ شَبَاهَا قَدْ بَعَثْتُ تُخْبِرُنِي أَنَّهِنَّ قَدْ أَتَوْا الْقَوْمَ مِنْ
وَرَائِهِمْ ، فَمَضَى ^(١) فَسَلَكَ الطَّرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ ^(٢) أَمْرَهُمَا بِهِمَا ^(٣) ، وَبَلَغَ أَهْلَ الْيَمَنِ
مَسِيرُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْهِمْ ، فَاقْتَسَمَا تَبْيِينِكَ السَّكَّتَيْنِ ، فَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي فِي
دَبْرِ مَسْجِدِ أَحْمَسَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ
وَإِسْحَاقُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَزَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي تَلِي الْفُرَاتَ فَإِنَّهُ
وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ ، وَبَشِيرُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَعْبُ بْنُ
أَبِي كَعْبٍ . ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اقْتَتَلُوا كَأَشَدِّ قِتَالٍ اقْتَتَلَتْهُ قَوْمٌ . ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ ^(٤)
أَحْمَرَ بْنَ شُمَيْطٍ انْكَشَفُوا وَأَصْحَابَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ أَيْضًا ، فَلَمْ يُرَعِ الْمُخَارُ
إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُ الْفَلُّ قَدْ أَقْبَلَ ، فَقَالَ : مَا وَرَاءَكُمْ ؟ قَالُوا : هُزِمْنَا ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ
أَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ ؟ قَالُوا : تَرَكْنَاهُ قَدْ نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقَصَاصِ - يَتَعَنُونَ
مَسْجِدَ أَبِي دَاوُدَ فِي وَادِعَةَ ، وَكَانَ يَعْتَادُهُ رِجَالُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقْصُونَ
فِيهِ ، وَقَدْ نَزَلَ مَعَهُ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ - وَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ : مَا نَدْرِي
مَا فَعَلَ ابْنُ كَامِلٍ ! فَصَاحَ بِهِمْ : أَنْ انْصَرِفُوا ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى
إِلَى دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجُدِّيِّ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادِ الْحَثَمِيِّ - وَكَانَ عَلَى
أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ - فَقَالَ : سَرُّ فِي أَصْحَابِكَ إِلَى ابْنِ كَامِلٍ ، فَإِنْ
يَكُ هَلِكُ فَأَنْتَ مَكَانُهُ ، فَقَاتِلِ الْقَوْمَ بِأَصْحَابِكَ وَأَصْحَابِهِ ، وَإِنْ تَجَدَّه حَيًّا
صَالِحًا فَسَرِّ فِي مِائَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ كُلَّهُمْ فَارْسَ ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ بِقِيَّةِ أَصْحَابِكَ ،
وَمَرَّ ^(٥) بِالْجُدِّ مَعَهُ وَالْمُنَاصِحَةَ لَهُ . فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَنَاصِحُونِي ، وَمَنْ نَاصِحُنِي
فَلْيَبْشِرْ ، ثُمَّ امْضِ فِي الْمِائَةِ حَتَّى تَأْتِيَ أَهْلَ جَبَانَةَ السَّبِيْعِ مِمَّا يَلِي حِمَّامَ قَبْطَانَ
ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ . فَضَى فَوَجَدَ ابْنَ كَامِلٍ وَاقِفًا عِنْدَ حِمَّامِ عَمْرُو بْنِ حُرَيْثِ

(١ - ١) ف : « وسلكا الطريق الذي » .

(٢) ف : « به » .

(٣) ف : « وإن أصحاب أحمر » .

(٤) ف : « وأمرهم » .

معه أناس^(١) من أصحابه قد صبروا ، وهو يقاتل القوم ، فدفع إليه ثلثمائة ٦٥٧/٢
من أصحابه ثم مضى حتى نزل إلى جبانة السَّبِيْع .

ثم أخذ في تلك السكك حتى انتهى إلى مسجد عبد القيس ، فوقف
عنده ، وقال لأصحابه : ما ترون؟^(٢) فقالوا : أمرنا لأمرِكِ تَبِع^(٣) وكل من كان معه
من حاشد من قومه وهم مائة ، فقال لهم : والله إني لأحب أن يظهر المختار ، والله
إني لكاره أن يهلك أشراكَ عَشِيْرَتِي اليوم . والله لأن أموت أحب إلى
من أن يَحِلَّ بهم الهلاك على يدي ، ولكن قِفُوا قليلاً فإنني قد سمعتُ شِباَما
يُزعمون أنَّهم سيأتونهم^(٤) من ورائهم ، ففعلتُ شِباَما تكون هي تفعل ذلك ،
ونُعافِي نحن منه . قال له أصحابه : فرأيك . فثبت كما هو عند مسجد
عبد القيس ، وبعث المختارُ مالك بن عمرو النهدي في مائتي رجل - وكان
من أشد الناس بأساً - وبعث عبد الله بن شريك النهدي في مائتي فارس إلى
أحمر بن شميظ . وثبت مكانه . فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكشروه ،
فاقتتلوا عند ذلك كأشد القتال ، ومضى ابن الأشتر حتى لني شَبِيْث بن رِبْعِي .
وأناس معه من مضر كثيراً ، وفيهم حسان بن فائد العبسي . فقال لهم إبراهيم :
وَيَحْكُمُكُمْ ! انصرفوا ، فوالله ما أحب أن يصاب أحد من مضر على يدي ،
فلا تُهْلِكُوا أنفسكم ، فأبوا ، فقاتلوه فهزموهم . واحتمل حسان بن فائد إلى
أهله ، فمات حين أدخل إليهم ، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقةً
فقال : أما والله ما كنت أحب أن أعيش من جراحتي هذه ، وما كنت أحب
أن تكون منيَّتي إلا بطعنة رمح . أو بضربة سيف ؛ فلم يتكلم بعدها
كلمة^(٥) حتى مات . وجاءت البشرية إلى المختار من قبيل إبراهيم بهزيمة ٦٥٨/٢
مضر ، فبعث المختار البشري من قبيله^(٦) إلى أحمر بن شميظ وإلى ابن
كامل ، فالناس^(٧) على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أغنت ما يليها .
قال : فاجتمعت شِباَما^(٧) وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ، وقد أجمعوا

(١) ف : « فاس » .

(٢) ف : « ف : « فقالوا : أمرنا أمرك ونحن لك تبع » .

(٣) ف : « أن سيأتونهم » .

(٤) ف : « بكلمة » .

(٥) ف : « من قبله البشري » .

(٦) ف : « والناس » .

(٧) ف : « فاجتمع » .

واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم ، فقال بعضهم لبعض : أما والله لو جعلتم جيدكم^(١) هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب ، فسيروا إلى مضر أو إلى ربيعة^(٢) فقاتلوهم - وشيخهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم - فقالوا : يا أبا القلوص ، ما رأيك ؟ فقال : قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾^(٣) قوموا ، فقاموا ، فمشى بهم قيس ربحين أو ثلاثة ثم قال لهم : اجلسوا فجلسوا ، ثم مشى بهم أنف من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، ثم قال لهم : قوموا ، ثم مشى بهم الثالثة أنف من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، فقالوا له : يا أبا القلوص ، والله إنك عندنا لأشجع العرب ، فما يتحملك على الذي تصنع ! قال : إن المجرب ليس كمن لم يجرب ، إني أردت أن ترجع إليكم أفئدتكم ، وأن توطنوا على القتال أنفسكم ، وكرهت أن أقحمكم على القتال وأنتم على حال دَهَش ؛ قالوا : أنت أبصر بما صنعت .

فلما خرجوا إلى جبانة السبيع استقبلهم على فم السكة الأعسر الشاكري ، فحمل عليه الجندعي وأبو الزبير بن كريب فصرعاه ، ودخلا الجبانة ، ودخل الناس الجبانة في آثارهم ، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! فأجابهم أصحاب ابن شميطة ينادون لثارات الحسين ! فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مران من همدان فقال : يا لثارات عثمان ! فقال لهم رفاعه بن شداد : مالنا وليعثمان ! لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان ، فقال له أناس من قومه : جئت بنا وأطعناك ، حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت : انصرفوا ودعوهم ! فعتطف عليهم وهو يقول :

أنا ابن شدادِ على دينِ عليٍّ لست لعثمان بنِ أروى بوليٍّ
لأصلين اليومَ فيمن يضطلي بحر نارِ الحربِ غير مؤتليٍّ

فقاتل حتى قُتل ، وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران ، وقتل النعمان ابن صُهبان الجرمي ثم الراسبي - وكان ناسكا - ورفاعة بن شداد بن عوسجة

(١) ف : « حاكم » . (٢) ف : « ربيعة ومضر » . (٣) سورة التوبة ١٢٣ .

الفتيانى عند حمّام المتهبذان الذى بالسبّخة - وكان ناسكاً - وقتل الفرات
ابن زحر بن قيس الجعفى ، وارث زحر بن قيس ، وقتل عبد الرحمن
ابن سعيد بن قيس ، وقتل عمر بن مخنف ، وقتل عبد الرحمن بن مخنف حتى
أرثت ، وحملته الرجال على أيديها وما يشعر ، وقتل حوله رجال من
الأزد ، فقال حميد بن مسلم :

لأضربن عن أبي حكيم مفارق الأعبد والصميم

وقال سراقه بن مرداس البارقي :

٦٦٠/٢

يا نفس إلا تصبري تليمي لا تتولي عن أبي حكيم^(١)
واستخرج من دور الوادعتين خمسمائة أسير ، فأتي بهم المختار مكتفين ،
فأخذ رجل من بني نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له : عبد الله
ابن شريك ، لا يخلو بعربي إلا نخلت سبيله ، فترفع ذلك إلى المختار درهم
مولى لبني نهد ، فقال له المختار : اعرضوهم على ، وانظروا كل من شهد
منهم قتل الحسين فأعلموني به ، فأخذوا لا يُمَرّ عليه^(٢) برجل قد شهد قتل
الحسين إلا قيل له : هذا ممن شهد قتله ، فيقدمه فيضرب عنقه . حتى
قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً ، وأخذ أصحابه كلما
رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم^(٣) أو يضربهم خلوا به فقتلوه حتى قتل
ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار ، فأخبر بذلك المختار بعد ، قدعاً
بمن بقي^(٤) من الأسارى فأعتقهم ، وأخذ عليهم المواثيق ألا يجامعوا
عليه عدواً ، ولا يبغوه ولا أصحابه^(٥) غائلة ، إلا سراقه بن مرداس البارقي ،
فإنه أمر به أن يساق معه إلى المسجد . قال : ونادى منادى المختار : إنّه
من أغلق بابه فهو آمن ، إلا رجلاً شرك في دم آل محمد صلى الله عليه
وسلم .

(٢) ف : « لا يمر عليهم رجل » .

(١) ديوانه ١٠٥ .

(٣) ف : « ويماريهم » .

(٤) ف : « من بقي » .

(٥) ف : « لأصحابه » .

قال أبو مخنف: حدثني^(١) المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي . ، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجّار بن أبيجر بعثا رسلا لهما ، فقالا لهم : كودوا من أهل اليمن قريبا ، فإن رأيتموهم قد ظهروا^(٢) فأيتكم سبق إلينا فليقل صرّافان ، وإن كانوا هزّموا فليقل جُمُزَان ، فلما هزّم أهل اليمن أوتتهم رسلهم ، فقال لهم أول من انتهى إليهم : جُمُزَان ، فقام الرجلان فقالا لقومهما : انصرفوا إلى بيوتكم ، فانصرفوا ، وخرج عمرو بن الحجّاج الزُّبيديّ - وكان ممّن شهد قتل الحسين - فركب راحلته ، ثم ذهب عليها . فأخذ طريقَ شَرافٍ وواقصة ، فلم يُرَ حتّى الساعة . ولا يُدرى أرضٌ بخسّته ، أم سماءٌ حصّبتّه ! وأمّا فُرَات بن زحر بن قيس فإنه لما قُتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجُعفيّة - وكانت امرأة الحسين بن عليّ - إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارى بجسده : ففعل : فدفنته .

وبعث المختار غلامًا له يدعى زُرْبِيًّا في طلب شمير بن ذى الجَوشَن . قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن مسلم بن عبد الله الضَّبَابِيّ ، قال : تبعتنا زُرْبِيٌّ غلامُ المختار . فلدحقتنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضمّر ، فأقبل يتمطر به^(٣) فرمسه . فلما دنا منا قال لنا شمير : اركضوا وتباعدوا عني لعل العبد يطمع فيّ ؛ قال : فركضنا ، فأمعنا ، وطمع العبد في شمير . وأخذ شمير ما يستطرد له . حتّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمير فدقّ ظهره . وأتى المختار فأخبر بذلك ، فقال : يؤسأ لزُرْبِيّ ، أما لو يستشيرني ما أمرته أن يتخرّج لأبي السابغة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو محمّد الهَمْدَانِيّ ، عن مسلم بن عبد الله الضَّبَابِيّ ، قال : لما خرج شمير بن ذى الجَوشَن وأنا معه حين هزّمتنا المختار ، وقتل أهل اليمن بجبّانة السَّبِيْع . ووجه غلامه زُرْبِيًّا في طلب شمير ، وكان ممّن قتل شمير إِيّاه ما كان ، مضى شمير حتّى ينزل ساداتيّدَمَا ، ثم مضى حتّى ينزل إلى بجانب قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر ، إلى بجانب تلّ ،

(١) ف : « فحدثني » . (٢) ف : « ظفروا » . (٣) يتمطر به : يسرع .

ثم أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها عِلْجًا فضربه ، ثم قال : النجاء بكتابي هذا إلى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه : الأمير المصعب بن الزبير من شمير بن ذى الجوشن . قال : فَمَضَى العِلْجَ حتَّى يدخل قرية فيها بيوت ، وفيها أبو عمرة ، وقد كان المختار بعثه في تلك الأيام إلى تلك القرية لتكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة ، فلقى ذلك العِلْجَ عِلْجًا من تلك القرية ، فأقبل يشكو إليه ما لى من شمير ، فإنه لقائم معه يكلمه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة ، فرأى الكتاب مع العِلْجِ ، وعنوانه : لمصعب من شمير ، فسألوا العِلْجَ عن مكانه الذى هو به ، فأخبرهم ، فإذا ليس بينهم وبينه إلا ثلاثة فراسخ . قال : فأقبلوا يسرون إليه .

قال أبو مخنف : فحدثني مسلم بن عبد الله . قال : وأنا والله مع شمير تلك الليلة^(١) ، فقلنا : لو أنك ارتحلت بنا من هذا المكان فإننا نتخوف به ! فقال : أو كل هذا فرقا من الكذاب ! والله لا أتحوّل منه ثلاثة أيام ، ملأ الله قلوبكم رعبًا ! قال : وكان بذلك المكان الذى كنا فيه دبتى كثير ، فوالله إنى لسبين اليقظان والنائم . إذ سمعت وقع حوافر الخيل ، فقلت فى نفسى : هذا صوت الدبى . ثم إنى سمعته أشد من ذلك ، فانتبهت ومسحت^(٢) عيني ، وقلت : لا والله ، ما هذا بالدبى . قال : وذهبت لأقوم ، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التل ، فكبروا . ثم أحاطوا بأبياتنا ، وخرجنا نشتد على أرجلنا ، وتركنا خيلنا . قال : فأمر على شمير ، وإنه لمتزر ببرد محقق^(٣) - وكان أبرص - فكأنى أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البرد ، فإنه ليطاعنهم بالرمح . قد أعجلوه أن يلبس سلاحه وثيابه . فمضينا وتركناه . قال : فما هو إلا أن أمعت ساعة . إذ سمعت : الله أكبر . قتل الله الخبيث !

قال أبو مخنف : حدثني المشرقى ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود . قال : أنا والله صاحب الكتاب الذى رأيت مع العِلْجِ . وأتيت به أبا عمرة وأنا قتلت شميرًا ، قال : قلت : هل سمعته يقول شيئًا ليلتد ؟ قال : نعم .

(١) ف : « ليلتد » . (٢) ف : « فسحت » . (٣) برد محقق : محكم النسخ .

خرج علينا فطاعننا برمح ساعة ، ثم ألقى رمحه ، ثم دخل بيته فأخذ سيفه ، ثم خرج علينا وهو يقول :

نَبَّهْتُمْ لَيْثَ عَرِينٍ بِأَسَلَا جَهْمًا مُحْيَاهُ يَدُقُّ الْكَاهِلَا
لَمْ يَرِ يَوْمًا عَنِّ عَدُوًّا نَاكِلَا إِلَّا كَذَا مُقَاتِلَا أَوْ قَاتِلَا
• يُبْرِحُهُمْ ضَرْبًا وَيُرْوِي الْعَامِلَا •

قال أبو مخنف ، عن يونس بن أبي إسحاق : ولما خرج المختار من جبانة ٦٦٤/٢ السَّبِيح ، وأقبل إلى القصر ، أخذ سُرَاقَةَ بن مِرْدَاسٍ يناديه بأعلى صوته :

أَمِنْ عَلَيَّ الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَدَّةٍ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِخْرِ وَالْجَنْدِ (١)
• وَخَيْرَ مَنْ حَيًّا وَلَبِيَّ وَسَجَدَ (٢) •

فبعث به المختار إلى السجن ، فحبسه ليلة ، ثم أرسل إليه من الغد فأخرجته ، فدعا سُرَاقَةَ ، فأقبل إلى المختار وهو يقول :

أَلَا أَبْلَغُ أبا إِسْحَاقَ أَنَا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا (٣)
خَرَجْنَا لَا نَرَى الضَّعْفَاءَ شَيْئًا وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحَيْنًا
نَرَاهُمْ فِي مَصَافِّهِمْ قَلِيلًا وَهُمْ مِثْلُ الدَّبِيِّ حِينَ التَّقِينَا
بَرَزْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ بَرَزُوا إِلَيْنَا
لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْبًا طَلْحَفًا (٤) وَطَعْنَا صَائِبًا حَتَّى انشَيْنَا
نَصِرْتَ عَلَيَّ عَدُوَّكَ كُلَّ يَوْمٍ بِكُلِّ كَتِيْبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنًا (٥)
كَنْضِرِ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ وَبِیَوْمِ الشُّعْبِ إِذْ لَاقَى حُنَيْنًا
فَأَسْجَحُ إِذْ مَلَكَتْ فَلَوْ مَلَكَتْنَا لَجُرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَعْتَدَيْنَا
تَقْبَلْ تَوْبَةَ مَنْى فَإِنِّي «أَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ النُّقْدَ دِينَا

(١) ديوانه ٧٤ .
(٢) ف : « لبي وحيا » .
(٣) ديوانه ٧٦ ، ٧٧ .
(٤) ضربا طلحفا ، أي شديداً وجيماً .
(٥) ف : « تبني علينا » .

قال : فلما انتهى إلى المختار ، قال له : أصلحك الله أيها الأمير ! سُرَاقَةُ
ابن مرداس يتحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تُقاتِل على
الحيول البُلُوق بين السماء والأرض ؛ فقال له المختار : فاصعد المنيبر فأعِني
ذلك المسلمين ؛ فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل ، فخلا به المختار ، فقال :
إني قد علمت أنك لم تر الملائكة ، وإنما أردت ما قد عرفتُ ألا أقتلك ، ٦٦٥/٢
فاذهب عني حيث أحببت^(١) ، لا تُفسد علي أصحابي .

قال أبو مخنف : فحدثني الحجاج بن عليّ البارقي عن سراقه بن
مرداس ، قال : ما كنت في إيمان حلفت بها قط أشدّ اجتهاداً ولا مبالغةً في
الكذب^(٢) مني في إيماني هذه التي حلفتُ لهم بها أني قد رأيت الملائكة
معهم تُقاتِل . فخلّوا سبيله . فهرب ، فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند
المصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج أشرفُ أهل الكوفة والوجوه . فلاحقوا
بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج سُرَاقَةُ بن مرداس من الكوفة وهو يقول :

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيتُ البُلُوقَ دُهْمًا مُصْمَتَاتِ^(٣)
كفرتُ بوحيكم وجعلت نذراً على قتالكم حتى الَمَمَاتِ
أرى عيني ما لم تُبصره كلانا عالمٌ بالترهاتِ
إذا قالوا أقول لهم كذبتُم وإن خرجوا ليست لهم أداتي

حدثني أبو السائب سلم بن جبّانة ، قال : حدثنا محمد بن برّاد^(٤) ، من
ولد أبي موسى الأشعري ، عن شيخ ، قال : لما أسير سراقه البارقي ، قال :
وأنتم أسرتموني ! ما أسرّني إلا قوم على دوابٍ بُلُوق . عليهم ثيابٌ بيض . قال :
فقال المختار : أولئك الملائكة ، فأطلقه ، فقال :

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيتُ البُلُوقَ دُهْمًا مُصْمَتَاتِ
أرى عيني ما لم ترأياه كلانا عالمٌ بالترهاتِ

(٢) ف : « مني في الكذب » .

(٤) ا : « براه » .

(١) ف : « شئت » .

(٣) ديوانه ٧٨ .

قال أبو مخنف : حدثني عمير بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني قال يوم جبانة السبيع : ويحكم ! من هؤلاء الذين أتونا من ورائنا؟ قيل له : شبام ، فقال : يا عجباً ! يقاتلني بقومي من لا قوم له .

قال أبو مخنف : حدثني أبو روق أن شرجبيل بن ذى بقلان من الناعطين قتل يومئذ ، وكان من بيوتات همدان ، فقال يومئذ قبل أن يقتل : يا لها قتلة ، ما أضل مقتولها ! قتال مع غير إمام ، وقاتل على غير نية ، وتعجيل فراق الأحبة ، ولو قتلناهم إذا لم نسلم منهم ، إننا لله وإننا إليه راجعون ! أما والله ما خرجت إلا مواسياً لقومي بنفسى مخافة أن يضطهدوا ، وإيم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجوا ، ولا أغنيت عنهم ولا أغنوا . قال : ويرميه رجل من الفاشيين من همدان يقال له أحمر بن هديج بسهم فيقتله .

قال : واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة : ساعر ابن أبي ساعر الحنفي ، وأبو الزبير الشبامي : ورجل آخر ، فقال ساعر : طعنته طعنة ، وقال أبو الزبير : لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر ، وقال لي ابنه : يا أبا الزبير ، أقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك ! فقلت : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ . (١)

فقال المختار : كلتكم محسن . وانجلست الواقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه .

قال أبو مخنف : حدثني النضر بن صالح أن القتل إذ ذاك كان استسحر في أهل اليمن ، وأن مضراً أصيب منهم بالكُناسة بضعة عشر رجلاً ، ثم مضوا حتى مروا بربيعة ، فرجع حجّار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشدّاد بن المنذر - أخو حنين - وعكرمة بن ربيعي . فانصرف جميع هؤلاء إلى رحالم ، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم انصرف عنهم وقد خرج ، فجاء حتى دخل منزله ، فقيل له : قد مرت خيل في

ناحية الحى ؛ فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتى حملته غلام له . وكانت وقعة جبانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذى الحجة سنة ست وستين .

قال : وخرج أشرفُ الناس فلاحقوا بالبصرة ، وتجرّد المختارُ لقتلة الحسين فقال : ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين ؛ بشي ناصر آل محمد أنا إذا في الدنيا ! أنا إذا الكذاب كما سمّوني ، فإنى (١) بالله أستعين عليهم ، الحمد (٢) الله الذى جعلنى سيفاً ضربهم به ، ورحماً طعنهم به ، وطالب وترهم ، والقائم بحقتهم ؛ إنّه (٣) كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهل حقهم ، فسمّوهم لى ثم اتبعوهم (٤) حتى تفضوهم .

قال أبو مخنف : فحدثنى موسى بن عامر أن المختار قال لهم : اطلبوا لى قتلة الحسين ، فإنه لا يسوغ لى الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، وأنى المصير منهم .

قال أبو مخنف : وحدثنى مالك بن أعين الجهتي أن عبد الله بن دبّاس ، وهو الذى قتل محمد بن عمار بن ياسر الذى قال الشاعر :

• قَتِيلِ ابْنِ دَبَّاسٍ أَصَابَ قَدَالَهُ • (٥)

هو الذى دلّ المختار على نفر ممن قتل الحسين ، منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهتي من حرقة ، ومالك بن النسيير البدّي ، وحتمل بن مالك المحاربي ؛ فبعث إليهم المختار أبا نمران مالك بن عمرو النهدي - وكان من رؤساء أصحاب المختار - فأتاهم وهم بالقادسية ، فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء ، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله ، أين الحسين بن علي ؟ أدوا لى الحسين ، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه فى الصلاة ، فقالوا (٦) : رحمك الله ! بعثنا ونحن كارهون ، فامن علينا واستبقنا ، قال المختار : فهلا منتم على الحسين ابن بنت

(١) ف : « وإنى » . (٢) ف : « والحمد » . (٣) ف : « إن » .

(٤) ف : « تتبعوهم » . (٥) ف : « أصيب قذاله » . (٦) ف : « قالوا » .

نبيكم واستبقيتموه وستقيتموه ! ثم قال المختار للبدئي: أنت صاحب بُرْنُسِه ؟ فقال له عبد الله بن كامل : نعم . هو هو ؛ فقال المختار ، اقطعوا يدَيَّ (١) هذا ورجليته . ودَعُوهُ فليضطرب حتى يموت ، ففعل ذلك به وترك ، فلم يزل يتنزف الدم حتى مات ، وأمر بالآخرين فقدما . فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهنبي ، وقتل سعر بن أبي سعر حتمل بن مالك المحاربي .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو الصلت التيمي ، قال : حدثني أبو سعيد الصيقل أن المختار دُلَّ على رجال من قَتَلَةِ الحسين . دَلَّه (٢) عليهم سِعْرُ الحنفي ؛ قال : فبعث المختار عبد الله بن كامل ، فخرجنا معه حتى مرَّ ببني ضبيعة ، فأخذ منهم رجلا يقال له زياد بن مالك ؛ قال : ثم مضى إلى عنزة فأخذ منهم رجلا يقال له عِمْران بن خالد . قال : ثم بعثني في رجال معه يقال لهم الدَّبابَة إلى دار في الحمراء ، فيها عبد الرحمن بن أبي خشكارة البسجلي وعبد الله بن قيس الختولاني . فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه ، فقال لهم : يا قتلة الصالحين ، وقتلتم سيد شباب أهل الجنة ، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم ! لقد جاءكم الورس ، بيوم نحس - وكانوا قد أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين - أنذجوهم إلى السوق فضربوا رقابهم . ففعل ذلك بهم ، فهؤلاء أربعة نفر .

قال أبو مخنف : وحدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار ، فخرجت نحو عبد القيس ، وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلح (٣) في أثرى ، وشغلوا بالاحتباس عليهما عنى ، فنجوت وأخذوهما ، ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بني عبد ، فأخذوه ، فانتهوا بهم إلى المختار . فأمر بهم فقتلوا في السوق . فهؤلاء ثلاثة . فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم :

أَلَمْ تَرِنِي عَلَى دَهْشِ نَجْوَتُ وَلَمْ أَكْذُ أَنْجُو

(١) ف : « يديه » . (٢) ف : « دل » .

(٣) ابن الأثير : « صلح » .

رجاء الله أنقذني ولم أك غيرهُ أرجو

قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر العدوي من جُهينة - وقد عرف ذلك الحديث شهم بن عبد الرحمن الجهني - قال : بعث المختار عبد الله ابن كامل إلى عثمان بن خالد بن أسير الدُّهَماني من جُهينة . وإلى أبي أسماء ٧٠/٢ بشر بن سوط القابضي - وكانا ممن شهيدا قتل الحسين ، وكانا اشتركا في دم عبد الرحمن بن عَقِيل بن أبي طالب وفي سلبه - فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دُهَمان ، ثم قال : على مثل خطايا بني دُهَمان منذ يوم خلُقوا إلى يوم يُبعثون إن لم أوتَ بعثمان بن خالد بن أسير، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم . فقلنا له : أمهلنا نطلبه ، فخرجوا مع الخيل في طلبه ، فوجدوهما جالسين في الجبانة - وكانا يريدان أن يخرجوا إلى الجزيرة - فأتى بهما عبد الله بن كامل ، فقال : الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال . لو لم يجدوا هذا مع هذا عنانا إلى منزله في طلبه ، فالحمد لله الذي حينك حتى أمكن منك . فخرج بهما حتى إذا كان في موضع بئر الجعد ضرب أعناقهما ، ثم رجع فأخبر المختار خبرهما ، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار ، وقال : لا يُدفنان حتى يُحرقا . فهذان رجلان ، فقال أعشى همدان يرثي عثمان الجُهيني :

يا عين بكى فتى الفتيانِ عثماناً لا يبعدن الفتى من آلِ دُهَمانا
واذكر فتى ماجداً حلوا شمانله ما مثله فارس في آلِ همدانا

قال موسى بن عامر : وبعث معاذ بن هاني بن عدى الكندي . ابن أخي ٦٧١/٢ حُجْر . وبعث أبا عمرة صاحب حرّسه ، فساروا حتى أحاطوا بدار ختول بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به . فاخْتَبأ في مخربه ، فأمر معاذ أبا عمرة أن يطلبه في الدار ، فخرجت امرأته إليهم ، فقالوا لها : أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قَوْصَرَةً ، فأخرجوه ، وكان (١) المختار يسير

(١) ف : « وقد كان » .

بالكوفة . ثم إنّه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة إليه رسولا ، فاستقبل المختار الرسول عند دار بلال . ومعه ابن كامل . فأخبره الخبر ، فأقبل^(١) المختار نحوهم . فاستقبل به . فردّده^(٢) حتى قتله إلى جانب أهله ، ثم دعا^(٣) بنار فحرقه [بها]^(٤) . ثم لم يبرح حتى عاد رماذا . ثم انصرف عنه . وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العتيوف بنت مالك بن نهار بن عقرّب . وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين .

قال أبو مخنف : وحدثني موسى بن عامر أبو الأشعر أن المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساءه : لأقتلن غدا رجلا عظيم التقدمين . غائر العينين : مشرف الخابيين . يسرّ ممتلئه المؤمنين والملائكة اتقربين . قال : وكان الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة . فوقع في نفسه أن اللّذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص . فلما رجع إلى منزله دعا ابنه العُريان فقال : اتق ابن سعد الليلة فخبّره بكذا وكذا . وقل له : نخذ حذرنا ، فإنّه لا يريد غيرك . قال : فأناه فاستخلاه . ثم حدثته الحديث . فقال له عمر بن سعد : حذى الله أباك والإخاء خيرا ! كيف يريد هذا بن بعد اللّذي أعطاني من العبود والمواثيق ! وكان المختار أول ما ظهر أحسن شيء سيرة وتألّفا للناس . وكان عبد الله بن جععدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقربته بعل^(٥) . فكلّم عمر بن سعد عبد الله بن جععدة وقال له : إني لا آمن هذا الرجل . - يعني المختار - فخذني منه أمانا . ففعل : قال : فأنا رأيت أمانه وقرّأته [وهو]^(٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد ابن أبي وقاص . إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك . لا تؤاخذك بحدّث كان منك قديما ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك وميصرك^(٧) . فمن لقي عمر بن سعد من شرّطة الله وشيعة آل محمد .

(١) ف : « فرجع وأقبل » .
 (٢) ف : « فردّوه » .
 (٣) ف : « ودعا » .
 (٤) من ف .
 (٥) ف : « من على » .
 (٦) من ف .
 (٧) ف : « وقصرك » .

ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلا بخير . شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميظ وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل . وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليعفينا لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان ، إلا أن يحدث حدثا ، وأشهد الله على نفسه ، وكتبتى بالله شهيدا . ٦٧٣/٢

قال : فكان أبو جعفر محمد بن علي يقول : أمّا أمان المختار لعمر بن سعد : إلا أن يحدث حدثا ، فإنه كان يريد به إذا دخل الحلاء فأحدث . قال : فلما جاءه العريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمّاه ، ثم قال في نفسه : انزل داري ، فرجع فعبر الروحاء ، ثم أتى داره غدوة . وقد أتى حمّاه ، فأخبر مولى له بما كان من أمانه وبما أريد به . فقال له مولاة : وأى حدث أعظم مما صنعت ! إنك تركت رحلك وأهلك^(١) وأقبلت إلى ها هنا . ارجع إلى رحلك ، لا تجعلن^(٢) للرجل عليك سبيلا . فرجع إلى منزله ، وأتى المختار بانطلاقه ، فقال : كلاً إن في عنقه سلسلة سرداه ، أو جهده أن ينطلق ما استطاع . قال : وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة ، وأمره أن يأتيه به . فجاءه حتى دخل عليه فقال : أجب الأبير . فقام عمر : فعثر في جبته له ،^(٣) ويضربه أبو عمرة بسيفه^(٤) ، فقتله . وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار . فقال المختار لابنه حمص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم . ولا خير في العيش بعده . قال له المختار : صدقت ، فإنك لا تعيش بعده . فأمر به فقتل . وإذا رأسه مع رأس أبيه . ثم إن المختار قال : هذا بحسبين وهذا بعلي بن حسين^(٤) . ولا سواء . والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وقفوا أنملة من أنامله . فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكي أباهما :

لو كان غير أخي قسي غره
أو غير ذي يمن وغير الأعجم
سعى بنفسى ذاك شيئا فاعلموا
عنه وما البطريق مثل الألام
أعطى ابن سعد في الصحيفة وابنه
عهدا يلين له جناح الأرقم

(١) ف : « أهلك ورحلك » .

(٢) ف : « لا تجعل » .

(٣) ف : « الحسين » .

(٤) ف : « وبصر به أبو عمرة فضر به » .

فلما قتل المختارُ عمرَ بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد ابن نجران الناعطي وظببيان بن عمارة التميمي، حتى قَدِمَا بهما على محمد ابن الحنفية، وكتب إلى ابن الحنفية في ذلك بكتاب.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر، قال: إنَّما كان هبَّج المختار على قتل عمرَ بن سعد أن يزيدَ بن شراحيلَ الأنصاري أتى محمدَ بن الحنفية، فسلمَ عليه؛ فجرى الحديثُ إلى أن تذاكروا المختارَ وخروجَه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت، فقال محمدُ بن الحنفية: على أهون رسله يزعم أنه لنا شيعة، وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحدثونه! قال: فوعاها الآخر منه، فلما قدم الكوفة أتاه فسلمَ عليه، فسأله المختار: هل لقيت المهدي؟ فقال له: نعم، فقال: ما قال لك وماذا كرك؟ قال: فخبَّره الخبر. قال: فما لبث المختارُ عمرَ بن سعد وابنه أن قتلهما، ثم بعث برأسيهما^(١) إلى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمينا، وكتب معهما إلى ابن الحنفية: ٦٧٥/٢

بسم الله الرحمن الرحيم. للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد. سلام عليك يا أيها المهدي، فإن أحمد عليك الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد: فإن الله بعثني نعمةً على أعدائكم، فهم بين قتل وأسير، وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم^(٢)، ونصر مؤازريكم^(٣). وقد بعثت إليك برأس عمرَ بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته—رحمةُ الله عليهم—كل من قَدَرْنَا عليه، ولن يُعجز الله من بقي، ولست بمُنْجَم^(٤) عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أرمياً^(٥). فاكتب إلى أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته.

ثم إن المختار بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن طنبيل الطائي السنبسي—وقد كان أصاب صلب العباس بن علي، ورَمَى

(١) كذا في ف وفي ط: «برؤسيهما». (٢) ف: «قاتلكم». (٣) ف: «مؤازركم». (٤) ف: «بمنج». (٥) إرميا، أي أحداً، يقال: ما بالدار إرميا، أي أحد.

حسبنا بسهمهم ، فكان يقول : تعلق سهمي بسيرباليه وما ضره - فأتاه عبد الله ابن كامل ، فأخذه ثم أقبل به ، وذهب أهله فاستغاثوا^(١) بعدى بن حاتم ، فلاحقهم في الطريق ، فكلّم عبد الله بن كامل فيه ، فقال : ما إلى^(٢) من أمره شيء ، إنما ذلك^(٣) إلى الأمير المختار . قال : فإني آتية ؛ قال : فأتية راشدًا . فمضى عدى نحو المختار ، وكان المختار قد شفّعه في نفر من قومه أصابهم يوم جسيانة السبّيع ، لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته ، فقالت الشيعة لابن كامل : إننا نخاف أن يشفّع الأمير عدى بن حاتم^{٦٧٦/٢} في هذا الحبيث ، وله من الذنب ما قد علمت^(٤) . فدعنا نقتله . قال : شأنكم به ، فلما انتهوا به إلى دار العنزيين وهو مكتوف نصبوه غرّضا ، ثم قالوا له : سلبت ابن عليّ ثيابه ، والله لنسلبن ثيابك وأنت حتى تنظر ! فنزعوا ثيابه ، ثم قالوا له : رميت حسينا ، واتخذته غرّضا لنسلك ، وقلت : تعلق سهمي بسيرباليه ولم يضره ، وإيم الله لرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك . قال : فرمّوه رشقا واحداً ، فوقعت به منهم نبال كثيرة فخر ميتا .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجارود^(٥) ، عمّن رآه قتيلا كأنه قنفذ ليمّا فيه من كثرة النبل : ودخل عدى بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه ، فأخبره عدى عمّا جاء له . فقال له المختار : أتستحلّ يا أبا طريف أن تطلب في قتلة الحسين ! قال : إنه مكذوب عليه أصلحك الله ! قال^(٦) : إذا ندّعه لك قال : فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار : ما فعل الرجل ؟ قال : قتلته الشيعة : قال : وما أعجبتك إلى قتله قبل أن تأتي به وهو لا يسره أنه لم يقتله - وهذا عدى قد جاء فيه ، وهو أهل أن يشفّع ويؤتى ما سره^(٧) ! قال : غلبتني والله الشيعة ، قال له عدى : كذبت يا عدو الله ، ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفّعي فيه ، فبادرتني

(١) ف : « فاستغاثوا » .

(٢) ف : « ذلك » .

(٣) ف : « علمته » .

(٤) ف : « قال » .

(٥) هو زياد بن زياد ، الذي تسمى باسمه فرقة الجارودية .

(٦) ف : « فإني آتية » .

(٧) ف : « يسره » .

فقتلته ، ولم يكن خطر يدفعك عما صنعت . قال : فاستحسفر^(١) إليه ابن
 كامل^{٦٧٧/٢} بالشتيمة . فوضع المختار إصبعه على فيه ، يأمر ابن كامل بالسكوت
 والكف عن عدى ، فقام عدى راضيا عن المختار ساخطا على ابن كامل ،
 يشكوه عند من لى من قومه . وبعث المختار إلى قاتل على بن الحسين عبد الله
 ابن كامل . وهو رجل من عبد القيس يقال له مروة بن منقذ بن النعمان العبدى
 وكان شجاعا . فأتاه ابن كامل فأحاط بداره ، فخرج إليهم وبيده^(٢)
 الرمح . وهو على فرس جواد . فطعن عبيد الله بن ناجية الشبامى ، فصرعه
 ولم يضربه . قال : ويضربه ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى ، فأسرع^(٣)
 فيها السيف ، وتمطرت به الفرس^(٤) ، فأفلت ولحق بمصعب ، وشلت يده بعد
 ذلك . قال : وبعث المختار أيضا عبد الله الشاكرى إلى رجل من جنس
 يقال له زيد بن رقاد . كان يقول : لقد رميت فتى منهم بسهم وإنه لو وضع
 كفه على جبهته يتقى النبل فأثبت كفه فى جبهته ، فما استطاع أن يزيل
 كفه عن جبهته .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو عبد الأعلى الزبيدى أن ذلك الفتى عبد الله
 ابن مسلم بن عثيل ، وأنه قال حيث أثبت كفه فى جبهته : اللهم إنهم
 استقلونا واستذلونا . اللهم فاقتلهم كما قتلتونا ، وأذلهم كما استذلونا . ثم
 إنهم رمى الغلام بسهم آخر فقتله . فكان يقول : جئته ميتا فنزعت
 سهمى الذى قتلته به من جوفه ، فلم أزل أنفض السهم^(٥) من جبهته
 حتى نزعته . وبقى النصل فى جبهته مثبتا ما قدرت على نزعها .

قال : فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها ، واقتحم الرجال عليه ، فخرج
 مصلنا بسيفه^(٦) - وكان شجاعا - فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ،
 ولا تطعنوه برمح . ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه^(٧) بالحجارة ، ففعلوا ذلك به ،
 فسقط ، فقال ابن كامل : إن كان به رمق فأخرجوه^(٨) ، فأخرجوه وبه

(١) فى اللسان : يقال : استحسفر الرجل فى خطبته ، إذا مضى واتسع فى كلامه .

(٢) ف : « بيده » . (٣) ف : « فيسرع » .

(٤) ف : « فرسه » . (٥) ف : « فأنفض السهم » ؛ إذا حركه .

(٦) ف : « بالسيف » . (٧) ف : « وارجموه » . (٨) ف : « فأخرجوه بالنار » .

رَمَقَ ، فدعا بنار فحرقه بها وهو حي لم تخرج رُوحُه ، وطلب المختار سنان ابن أنس اللّذي كان يدعى قَتْلَ الحسین ، فَوَجَدَه قد هَرَبَ إلى البصرة ، فهدم داره . وطلب المختارُ عبدَ الله بن عُقْبَةَ الغنَوِيّ فوجدَه قد هَرَبَ ، ولحق بالجزيرة ، فهدم داره . وكان ذلك الغنَوِيّ قد قتل منهم غلامًا ، وقتل رجلٌ آخرٌ من بني أسد يقال له حرْملة بن كاهل رجلا من آل الحسين . ففِيهِمَا يقول ابن أبي عَقِبِ اللّثِيّ :

وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا وَفِي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وَتُذَكَّرُ

وطلب رجلا من نخشعتم يقال له عبد الله بن عروة الخثعمي - كان يقول : رميت فيهم باثني عشر سهما ضيعة - ففاته ولحق بمصعب . فهدم داره ، وطلب رجلا من صداء يقال له عمرو بن صبيح . وكان يقول : لقد طعنت بعضهم وجرحتهم فيهم^(١) وما قتلت منهم أحدا . فأتني ليلا وهو على سَطْنَحِه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون . وسيفه تحت رأسه ، فأخذه ٦٧٩/٢ أخذًا . وأخذوا سيفه . فقال : قبحك الله سيفًا ، ما أقربك وأبعدك ! فجيء به إلى المختار . فحبسه معه في القصر . فلما أن أصبح أذن لأصحابه ، وقيل : ليدخل من شاء أن يدخل . ودخل الناس ، وجيء به مقيدًا ، فقال : أما والله يا معشر الكفرة الفجرة أن لو بيدي سيفي لعلمت أني بنصل السيف غير رعيش ولا رعيدي . ما يسرتني إذ^(٢) كانت منيتي قتلا أنه قتلتني من الخلق أحد^(٣) غيركم . لقد علمت أنكم شرار خلق الله . غير أني وددت أن بيدي سيفًا أضرب به فيكم ساعة . ثم رفع يده فلطم عين ابن كامل وهو إلى جنبه . فضحك ابن كامل ، ثم أخذ بيده وأمسكها . ثم قال : إنه يزعم أنه قد جرح في آل محمد وطعن . فممرنا بأمرك فيه . فقال المختار : على بالرماح ، فأتي بها . فقال : اطعنوه حتى يموت ، فطعن بالرماح حتى مات .

قال أبو مخنف : حدثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكيم بن هشام

(١) ف : « لقد طعنت فيهم وجرحتهم » .

(٢) ف : « إن » .

(٣) ف : « أحد من الناس » .

أن أصحاب المختار مروا بدار بني أبي زرعة بن مسعود ، فرمّوهم من فوقها ، فأقبلوا حتّى دخلوا الدار ، فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زرعة الثقفيّ وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زرعة الثقفيّ ، وأفلستهم عبدُ المالك بن أبي زرعة بضربة في رأسه . فجاء يشتدّ حتّى دخل على المختار . فأمر امرأته أمّ ثابت ابنة مسرة بن جندب . فداوت شجّته ، ثمّ دعاه . فقال : لا ذنب لي . إنكم رميتم^(١) القوم فأغضبتموهم^(٢) . وكان محمد بن الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسية . فبعث المختار إليه حوشبا سادِن الكرسيّ في مائة . فقال : انطلق إليه فإنك تجده لاهيّا متصيّدًا . أو قائمًا متلبّدًا . أو خائفًا متلدّدا ، أو كامنًا متغمدًا . فإن قدرت عليه فأتني برأسه . فخرج حتّى أتى قصره فأحاط به . وخرج منه محمد بن الأشعث فلحق بمصعب . وأقاموا على القصر وهم يبرّون أنّه فيه . ثمّ دخلوا فعلموا أنّه قد فاتتهم . فانصرفوا إلى المختار . فبعث إلى داره فهدمها . وبني بلبسها وطينها دار حُجر بن عدى الكِنديّ . وكان زياد بن سميّة قد هدّمها .

[ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دعّا المثنى بن مخزبة العبدى إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها : فحدثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد . عن عبد الله بن عطية اللّبيّ وعامر بن الأسود ، أن المثنى بن مخزبة العبدى كان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ، ثمّ رجع مع من رجع ممن بقى من التّوّابين إلى الكوفة ، والمختار محبوس ، فأقام حتّى خرج المختار من السجن ، فبايعه المثنى سرًّا . وقال له المختار : الحقّ ببلدك بالبصرة فارّع الناس ، وأسِرّ أمرَكَ : فقدم البصرة فدعا . فأجابه رجال من قومه وغيرهم فلمّا أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة ومنع عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام من الكوفة خرج المثنى بن مخزبة فاتخذ مسجدًا . واجتمع^(٣) إليه

(١) ف : « أريتم » .

(٢) ف : « وأغضبتموهم » .

(٣) ف : « فاجتمع » .

قومه ، ودعا إلى المختار ، ثم أتى مدينة الرزق فمسكروا عندَها . وجمعوا الطعامَ في المدينة ، ونَحَرُوا الجُزُرَ ، فوجَّهَ إليهم القُبَاعُ عبَّادَ بنَ حصين وهو على شُرْطته ، وقيس بن الهيثم في الشَّرَطِ والمقاتلة ، فأخذوا في سَكَّةِ الموالى حتى خرجوا إلى السَّبْخَةِ . فوقفوا ، ولزِمَ الناسُ دُورَهُم ، فلم يخرج أحدٌ ، فجعل عبَّادُ ينظر هل يرى أحداً يسأله ! فلم ير أحداً ، فقال : أما ها هنا رجلٌ من بني تميم ؟ فقال خليفة الأعور مولى بني عدى . عدى الرَّبَابِ : هذه دار وِرَّادِ مولى بني عبد شمس ، قال : دُقَّ البابُ ، فدقَّه . فخرج إليه وِرَّادُ ، فشتمه عبَّادُ وقال : وَيَحْكُ ! أنا واقفٌ ها هنا . لِمَ لَمْ تخرج إلى ! قال : لم أدر ما يوافقك . قال : شُدَّ عليك سلاحك واركب . ففعل ، ووقفوا . وأقبل أصحابُ المثنى فواقفهم . فقال عبَّادُ لورَّادِ . : قف . مكانك مع قيس ، فوقف قيس بن الهيثم وورَّادُ . ورجع عبَّادُ فأخذ في طريق الذَّبَّاحين ، والنَّاسِ وقوفٌ في السَّبْخَةِ ، حتى أتى الكلا ، وبلدنة الرزق أربعة أبواب : باب مِمَّا يلي البصرة . وباب إلى الخلالين . وباب إلى المسجد . وباب إلى مهبَّ الشمال ؛ فأتى الباب الذي يلي النهر مِمَّا يلي أصحاب السَّقَطِ ، وهو بابٌ صغير ، فوقف ودعا بسَلَمٍ فوضعه مع حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلاً . وقال لهم : الزموا السطح . فإذا سمعتم التكبيرَ فكبروا على السطوح . ورجع عبَّادُ إلى قيس بن الهيثم وقال لورَّادِ : حترشِ القومَ . فطاردهم وِرَّادُ ، ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلاً من أصحاب المثنى ، وقتل رجل من أصحاب عبَّادِ ، وسمع الَّذِينَ على السطوح^(١) في دار الرزق الضجَّةَ والتكبيرَ ، ٦٨٢/٢ فكبروا ، فهرب مَنْ كان في المدينة . وسمع المثنى وأصحابه التكبيرَ من ورائهم ، فانهزموا . وأمر عبَّادُ وقيس بن الهيثم^(٢) الناسَ بالكفِّ عن اتباعهم^(٣) وأخذوا مدينة الرزق وما كان فيها ، وأتى المثنى وأصحابه عبدَ القيس ورجع عبَّادُ وقيس ومَنْ مَعَهُمَا إلى القُبَاعِ فوجههما إلى عبد القيس . فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر . وأتاهم عبَّادُ من طريق المِرْبِدِ ، فالتقوا فأقبل زياد بن عمرو العتكي إلى القُبَاعِ وهو في المسجد جالس على المنبر ،

(٢ - ٢) ف : « بالكف عن الناس وعن » .

(١) ف : « السطح » .

فدخل زياد المسجد على فرسه؛ فقال: أيها الرجل، لردن خيلتك عن إخواننا أو لنقاتلنها^(١). فأرسل القُباع الأحنف بن قيس وعمرو بن عبد الرحمن المخزومي ليُصلحا أمر الناس. فأتيتا عبد القيس، فقال الأحنف لبكر والأزد وللعامّة: ألسم على بيعة ابن الزبير! قالوا: بلى، ولكننا لا نُسلم إخواننا. قال: فمروهم فليخرجوا إلى أي بلاد أحبّوا. ولا يُفسدوا هذا المِصرَ على أهله، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاءوا. فشى مالك بن مِسمع وزياد بن عمرو ووجوه أصحابهم إلى المشنّى. فقالوا له ولأصحابه: إننا والله ما نحن على رأيكم، ولكننا كرهنا أن تُضاموا^(٢). فالحقوا بصاحبكم، فإنّ من أجابكم إلى رأيكم قليل، وأنتم آمنون. فقَبِل المشنّى قولتهما وما أشارا به، وانصرف. ورجع الأحنف وقال: ما غَبِنت رأيي إلا يومئذ هذا، إني أتيت هؤلاء القوم وخلفت بكرًا والأزد ورأى. ورجع عبّاد وقيس إلى القُباع، وشخص المشنّى إلى المختار بالكوفة في نفر يسير من أصحابه. وأصيب في تلك الحرب سُويد بن رثاب الشنّي، وعقبه بن عشيرة الشنّي، قَتَلَه رجل من بني تميم وقتل التميمي فتولّع أخوه عقبه بن عشيرة في دم التميمي، وقال: ثأري. وأخبر المشنّى المختار حين قدّم عليه بما كان من أمر مالك بن مِسمع وزياد بن عمرو ومسيرهما إليه، وذبتهما عنه حتى شخص عن البصرة. فطَمَع المختار فيهما، فكتب إليهما: أمّا بعد. فاسمعا وأطيعا أوتيكما^(٣) من الدنيا ما شئنا، وأضمن لكما الجنة. فقال: مالك لزياد: يا أبا المغيرة، قد أكثر لنا أبو إسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة! فقال زياد لمالك مازحًا: يا أبا غسان، أمّا أنا فلا أقاتل نسيئة. من أعطانا الدنيا بهم قاتلنا معه. وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس:

٦٨٣/٢

من المختار إلى الأحنف ومن قبلك. فسَلِّم أنتم، أمّا بعد. فويل أمّ ربيعة من مضر، فإنّ الأحنف مُورد قومه سقَمَر، حيث لا يستطيع لهم الصّدَر، وإني^(٤) لا أملك ما خُطّ في القَدَر. وقد بلغني أنكم تسمونني^(٥) كذّابًا،

٦٨٤/٢

(١) ف: وابن الأثير «لنقاتلهم».

(٢) ف: «تصابوا».

(٣) ف: «ولكما».

(٤) ف: «وأنا».

(٥) ف: «تسموني».

وقد كُذِّبَ الأنبياءُ مِن قَبْلِي ، ولستُ بخيرٍ من كثيرٍ منهم .
وكتب إلى الأحنف :

إذا اشتريتَ فرساً من مالِكا ثم أخذتَ الجَوْبَ في شِمالِكا
• فاجعلْ مِصاعاً حذماً من بالِكا •

حدَّثني أبو السائب سلم بن جبادة ؛ قال : حدَّثنا الحسن بن حماد ،
عن حبان^(١) بن عليّ ، عن المجالد ، عن الشعبي . قال : دخلتُ البصرةَ
فقعدتُ إلى حلقةٍ فيها الأحنف بن قيس . فقال لي بعضُ القوم : من
أنت ؟ قلت : رجلٌ من أهل الكوفة ؛ قال : أنتم موالٍ لنا ؛ قلت : وكيف ؟
قال : قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار ، قلتُ : تدرى
ما قال شيخُ هَمْدانِ فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف بن قيس : وما قال ؟
قلت : قال :

أفخرتُم إن قتلتُم أعبداً وهزمتُم مرةً آلَ عزَل
وإذا فاخرتُمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يومَ الجَمَلِ
بينَ شيخٍ خاضبٍ عُشُونُهُ وفتى أبيضٍ وضاحٍ رِفَلِ
جاءنا يَهْدِجُ في سابعةٍ فذَبَحَناهُ ضَحَى ذَبَحِ الحَمَلِ
وعفونا فنَسِيتُم عفونا وكفرتُم نِعْمَةَ اللَّهِ الأَجَلِ
وقتلتُم خَشِيبِينَ بهم بدلاً من قومِكم شرَّ بَدَلِ

فغضب الأحنف ، فقال^(٢) : يا غلام . هات تلك الصحيفة ، فاتى ٦٨٥/٢
بصحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ،
أمّا بعد . فويلُ أم ربيعةَ ومضر^(٣) ، فإنَّ الأحنف مُوردٌ قومَه سَقَر ،
حيثُ لا يتقدرون على الصّدَر ، وقد بلغني أنكم تكذبونى ، وإن كُذِّبْتُ

(١) ط : « حيان » تصحيف . (٢) ف : « وقال » . (٣) ف : « من مضر » .

فقد كُذِّبَ رَسُلٌ مِّن قَبْلِي ، وَلَسْتُ أَنَا خَيْرًا (١) مِنْهُمْ . فَقَالَ : هَذَا مِنَّا أَوْ مِنْكُمْ !

وقال هشام بن محمد عن أبي مخنف : قال : حدثني مَنيع بن العلاء السعدي أن مسكين بن عامر بن أزيث بن شريح بن عمرو بن عدس كان فيمن قاتل المختار ، فلما هزم الناس لحق بأذربيجان بمحمد بن عمير بن عطار ، وقال :

عَجِبْتُ دَخْتُنُوسَ لَمَّا رَأَيْتِي
فَاهَلَّتْ بِصَوْتِهَا وَأَرْنَتْ
إِنْ تَرَيْتَنِي قَدْ بَانَ غَرْبُ شِبَابِي
فَابْنُ عَامِيْنُ وَابْنُ خَمْسِيْنِ عَامًا
لَيْتَ سَيْفِي لَهَا وَجُوبَتَهَا لِي
لَيْتَنَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِتْنَا
فَعَلَ قَوْمٌ تَقَاذِفَ الْخَيْرِ عَنْهُمْ
وَتَوَلَّيْتُ عَنْهُمْ وَأَصِيبُوا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شَهَابِ قُرَيْشِ
وقال المتوكل :

٦٨٦/٢

قَتَلُوا حُسَيْنًا ثُمَّ هُمْ يَنْعَوْنَهُ
لَا تَبْعَدَنَّ بِالطَّفِّ قَتْلِي ضِيَعْتُ
مَا شُرْطَةُ الدَّجَالِ تَحْتَ لَوَانِهِ
أَبْنِي قَسِي أَوْ ثِقُوا دَجَالَكُمْ
لَوْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَ أَخِيكُمْ
وَلَكَانَ أَمْرًا بَيْنَنَا فِيمَا مَضَى

إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ أَطْوَارُ
وَسَقَى مَسَاكِينَ هَامِيهَا الْأَمْطَارُ
بِأَضَلِّ مِمَّنْ غَرَّهُ الْمُخْتَارُ
يَجْلُ الْغُبَارُ وَأَنْتُمْ أَحْرَارُ
لَتَوَطَّاتْ لَكُمْ بِهِ الْأَحْبَارُ
تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ

(١) ف : « بخير » .

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكَذِّبَ وَحْيَكُمْ طَعْنٌ يَشُقُّ عَصَاكُمْ وَحِصَارُ
وَيَجِيئُكُمْ قَوْمٌ كَأَنَّ سُبُوفَهُمْ بِأَكْفَهُمْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ نَارُ
لَا يَنْشَنُونَ إِذَا هُمْ لَا قَوْمُكُمْ إِلَّا وَهَامٌ كُمَاتِكُمْ أَعْشَارُ

[ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزبير]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بعث المختار جيشاً إلى المدينة للمكر بابن الزبير ، وهو مُظْهِر له أنه وجههم مَعُونَةً له لحرب الجيش الذي كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه لحرابه ، فنزلوا وادي القرى .

• ذكر الخبر عن السبب الداعي كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم :

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر ، قال : لما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة لآحق بالبصرة . وكره أن يقدم ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول ، فكان بالبصرة مقيماً حتى قدم عليه عمر بن عبد الرحمن بن هشام ، فصارا جميعاً بالبصرة . وكان سبب قدوم عمر البصرة أن المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة إنما يدعو إلى ابن الحنفية والطلب بدماء أهل البيت ، أخذ يخادع ابن الزبير ويكتب إليه ، فكتب إليه : أما بعد ، فقد عرفت مناصحتي إياك وجهدي على أهل عداوتك ، وما كنت أعطيتني إذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلماً وفيت لك ، وقضيت الذي كان لك علي ، خست بي ، ولم تنف بما عاهدتني عليه ، ورأيت مني ما قد رأيت ، فإن ترد مراجعتي أرجعك ، وإن ترد مناصحتي أنصح لك . وهو يريد بذلك كفته عنه ، حتى يستجمع له الأمر^(١) ، وهو لا يُطَّلَع الشيعة على شيء من هذا الأمر ، وإذا بلغهم شيء منه أراهم أنه أبعد الناس عن ذلك . قال : فأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب ! فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي

(١) ف : « أمره » .

فقال له : تجهّزْ إلى الكوفة فقد ولينا كتبها^(١) ، فقال : كيف وبها المختار ! قال :
إنه يزعم أنه سامع مطيع . قال : فتجهّزْ بما بين الثلاثين الألف درهم إلى الأربعين
ألفاً^(٢) ، ثمّ خرج مقبلاً إلى الكوفة . قال : ويجيء عينُ المختار من مكة حتى
أخبره^(٣) الخبر ، فقال له : بكم تجهّزْ؟ قال : بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين
ألفاً . قال : فدعا المختارُ زائدةَ بنَ قدامة وقال^(٤) له : احمل معك سبعين
ألفَ درهمٍ ضعيفٍ ما أنفقَ هذا في مسيره إلينا وتلقه في المتجاوز ، وأخرج معك
مسافر^(٥) بنَ سعيد بنِ نمران الناعطي في خمسمائة فارس دارعٍ رامحٍ ، عليهم
البَيْضُ ، ثمّ قل له : خذ هذه النّفقة فإنّها ضعيف نّفقتك ، فإنه قد
بلغنا أنّك تجهّزتَ وتكلّفتَ قدرَ ذلك ، فكّرنا أن نغرم ، فخذها
وانصرف ، فإن فعل وإلاّ فأره الخيل وقل له : إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة .
قال : فأخذ زائدة المال ، وأخرج معه الخيل ، وتلقاه بالمتجاوز ، وعرض
عليه المال ، وأمره بالانصراف ، فقال له : إن أمير المؤمنين قد ولاّني الكوفة
ولا بدّ من إنفاذ أمره . فدعا زائدة بالخيل وقد أكنها في جانب ، فلما رآها
قد أقبلتْ قال : هذا الآن أعذر لي وأجملُ بي ، هاتِ المالَ ، فقال له
زائدة : أمّا إنّه لم يبعث به إليك إلاّ لما بينك وبينه ، فدفعه إليه فأخذه ، ثمّ
مضى راجعاً نحو البصرة ، فاجتمع بها هو وابنُ مطيع في إمارة الحارث بن
عبدِ الله بنِ أبي ربيعة ، وذلك قبل وثوب المثني بنِ مخزبة العبدى بالبصرة .

٦٨٨/٢

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم أن المختار أخبر أن أهل
الشام قد أقبلوا نحو العراق ، فعرف أنه به يسبداً ، فخشي أن يأتيه أهلُ
الشام من قبل المغرب ، ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة ، فوَدَعَ
ابنَ الزبير وداراه وكايد^(٦) ، وكان عبدُ الملك بن مروان قد بعث عبد الملك
ابن الحارث بن الحكيم بن أبي العاص إلى وادي القرى ، والمختار لابن الزبير
مكايداً موادع ، فكتب المختار إلى ابن الزبير :

٦٨٩/٢

(١) ف : « وليتكها » .

(٢) ف : « ألف درهم » .

(٣) ف : « أخبرته » .

(٤) ف : « فقال » .

(٥) ط : « بمسافر » .

(٦) ف : « وكايد » .

أما بعد ، فقد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً ، فإن أحببت أن أمدك بمدد أمددتك .

فكتب إليه عبد الله بن الزبير :

أما بعد ، فإن كنت على طاعتي فليست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادى وتبايع كل الناس قبلك ، فإذا أتتني بيعتكم صدقت مقاتلتك ، وكففت جنودي عن بلادك ، وعسجت على بتسريح الجيش الذي أنت باعته ، ومُرهم فليسيروا إلى من بوادى القرى من جنود ابن مروان فليقاتلوهم . والسلام .

فدعا المختار شرجيل بن ورس من همدان ، فسرحه في ثلاثة آلاف أكثرهم الموالي . ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل ، فقال له : سر حتى تدخل المدينة . فإذا دخلتها فاكتب إلى بذلك حتى يأتيك أمرى ، وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبله ، ويأمر ابن ورس أن يمضي إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة . فخرج الآخر يسير قبل المدينة ، ونحش ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيد به ؛ فبعث من مكة إلى المدينة عباس بن سنيبل بن سعد في ألفين ، وأمره أن يستنفر الأعراب ، وقال له ابن الزبير : إن رأيت القوم في طاعتي فاقبل منهم ، وإلا فكابدوهم حتى تهلكوهم . ففعلوا ، وأقبل عباس بن سهل حتى أتى ابن ورس بالرقيم . وقد عبى ابن ورس أصحابه ، فجعل على يمينته سلمان ابن حمير الثوري من همدان ، وعلى يسارته عياش بن جعدة الجذلي ، وكانت خيلها كلها في الميمنة والميسرة ، فدنا فسلم عليه ، ونزل هو يمشى في الرجال ، وجاء عباس في أصحابه وهم منقطعون على غير تعبئة ، فيجد ابن ورس على الماء قد عبى أصحابه تعبئة القتال . فدنا منهم فسلم عليهم ، ثم قال : انحل معي ها هنا ، فخلأ به ، فقال له : رحمك الله ! ألت في طاعة ابن الزبير ! فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسر بنا إلى عدوه هذا الذي بوادى القرى ، فإن ابن الزبير حدثني أنه إنما أشخصكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمرت بطاعتك ، إنما أمرت أن أسير حتى آتى المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأيي . قال له عباس بن سهل : فإن كنت في طاعة ابن الزبير فقد

أمرني أن أسير بك وبأصحابك إلى عدونا الذين^(١) بوادي القرى ، فقال له ابن ورس : ما أمرت بطاعتك ، وما أنا بمتبعتك دون أن أدخل المدينة ، ثم أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره . فلما رأى عباس بن سهل استجابتته عرف خلافته ، فذكره^(٢) أن يُعلمه أنه قد فطن له ، فقال : فأريك أفضل ، اعمل بما بدا لك ، فأما أنا فإني سائر إلى وادي القرى . ثم جاء عباس بن سهل فنزل بالماء ، وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه ، فأهداها له . وبعث إليه بدقيق وغنم مسلخة - وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً - فبعث عباس بن سهل إلى كل عشرة منهم شاة^(٣) ، فذبحوها ، واشتغلوا بها . واختلطوا على الماء ، وترك القوم تعبيتهم . وأمين بعضهم بعضاً ؛ فلما رأى عباس بن سهل ما هم فيه من الشغل جتمع من أصحابه نحواً من ألف رجل من ذوى البأس والنسجدة ثم أقبل^(٤) نحو فسطاط شريحيل بن ورس ، فلما رآهم ابن ورس مقبلين إليه نادى في أصحابه . فلم يتواف إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول : يا شرطة الله ، إلى إلى ! قاتلوا المحنلين ، أولياء الشيطان الرجيم . فإنكم على الحق والهدى ؛ قد غدروا وفجروا .

٦٩١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف أن عباساً انتهى إليهم ، وهو يقول :

أنا ابن سهل فارس غير وكل
اروع مقدم إذا الكبش نكل
وأعتلى رأس الطرمح البطل
بالسيف يوم الروع حتى ينخزل
قال : فوالله ما اقتتلنا إلا شيئاً ليس بشيء حتى قتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ . ورفع عباس بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس ، فأتوها إلا نحواً من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الهمداني وعياش بن جعدة الجدي . فلما وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلا نحواً من مائتي رجل . كره ناس من الناس ممن دفعوا إليهم قتلهم ، فحلوا سبيلهم . فرجعوا ، فمات أكثرهم في الطريق . فلما

(١) ف : « الذي » .

(٢) ف : « كره » .

(٣) ف : « بشاة » .

(٤) ف : « وأقبل » .

بلغ المختار أمرهم ، ورجع من رجع منهم . قام خطيباً فقال : ألا إن الفُجَّار الأشرار ، قَتَلُوا الأبرار الأخيار . ألا إنَّه كان أمراً مأتياً ، وقضاءً مقضياً . وكتب المختار إلى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . فإني كنت بعثت إليك جنداً ليذلتوا لك الأعداء ، وليحوزوا لك البلاد ، فساروا إليك حتى إذا أظلموا على طيبة ، ٦٩٢/٢ لقيهم جندُ الملحد ، فخدعوهم بالله . وغرَّوهم بعهد الله ، فلما اطمأنوا إليهم ، ووثقوا بذلك منهم . وثبوا عليهم فقتلوهم ، فإن رأيت أن أبعث إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كثيفاً . وتبعث إليهم من قبلك رسلاً ، حتى يعلم أهل المدينة أني في طاعتك . وأنما بعثت الجند إليهم عن أمرك ، فافعل ، فإنك ستجد عظمهم بحقكم أعرف ، وبكم أهل البيت أراف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين ، والسلام عليك .

فكتب إليه ابن الحنفية : أما بعد . فإن كتابك لما بلغني قرأته ، وفهمت تعظيمك لحقِّي ، وما تنوى به من سروري . وإن أحب الأمور كلها إلى ما أطيع الله فيه ، فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسرت ، واعلم أني لو أردت لوجدت الناس إلى سراعاً . والأعوان لي كثيراً ، ولكني أعتزلهم ، وأصبر حتى يتحكّم الله لي وهو خير الحاكمين .

فأقبل صالح بن مسعود إلى ابن الحنفية فودّعه وسلّم عليه ، وأعطاه الكتاب وقال له : قل للمختار فلتق الله . وليكف عن الدماء ، قال : فقلت له : أصلحك الله ! أو لم تكتب بهذا إليه ! قال له ابن الحنفية : قد أمرته بطاعة الله . وطاعة الله تجمع الخير كله . وتنهني عن الشر كله . فلما قدم كتابه على المختار أظهر للناس أني قد أمرت بأمر يجمع البر واليسر ، ويضرح الكفر والغدر .

* * *

[ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ، ووافوا الحج وأميرهم أبو عبد الله الجدي .

• ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف وعلى بن محمد ،

عن مسّلمة ابن محارب - أن عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة بزَمَمَ ، وكبرها بالبسعة لمن لم تجتمع عليه الأمة ، وهربوا إلى الحرَم . وتوعدّهم بالقتل والإحراق ، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعدّهم به ، وضرب لهم في ذلك أجلاً . فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولا يعلمهم حالتهم وحال من معهم ، وما توعدّهم به ابن الزبير . فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم ، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه ، وما توعدّهم به ابن الزبير من القتل والتحريق^(١) بالنار ، ويسألهم ألاّ يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته . فقدموا على المختار ، فدفعوا إليه الكتاب^(٢) فنأدى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا كتاب^(٣) مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم . وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار ، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً ، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل ، كالسبيل يتلوه السيل ، حتى يحلّ بابن الكاهلية الويل .

٦٩٤/٢

ووجه أبا عبد الله الجدلّي في سبعين راكباً من أهل القوة ، ووجه ظبيان ابن عمارة^(٤) أنحا بنى تميم ومعه أربعمائة ، وأبا المعتمر في مائة ، وهاني بن قيس في مائة ، وعُمير بن طارق في أربعين ، ويونس بن عمران في أربعين ، وكتب إلى محمد بن عليّ مع الطفيل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود إليه ، فخرج الناس بعضهم في أثر بعض ، وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عرق في سبعين راكباً ، ثم لحقه عمير بن طارق في أربعين راكباً ، ويونس ابن عمران في أربعين راكباً . فتموا خمسين ومائة ، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ، ومعهم الكافركوبات ، وهم ينادون : يا لشارت الحسين ! حتى انتهوا إلى زمزم ، وقد أعدّ ابن الزبير الحطّاب ليحرقهم ، وكان قد

(١) ف : « الإحراق » .

(٢) ف : « فدفعوا الكتاب إليه » .

(٣) ط : « عثمان » ، وهو خطأ ، وانظر الفهرس .

(٤) ف : « من مهديكم » .

بقي من الأجل يومان ، فطردوا الحرّس ، وكسروا أعوادَ زمزم : ودخلوا على ابن الحنفية ، فقالوا له : نخل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لأستحلّ القتال في حرم الله فقال ابن الزبير : أتحسبون أني نخلٌ سبيلتهم دون أن يبايع ويبايعوا^(١) ! فقال أبو عبد الله الجدي : إى وربّ الركن والمقام ، وربّ الحيل والحرام . لتخلىن سبيلته أو لنجالدنك بأسيافنا جلاداً يرتاب منه المبطلون . فقال ابن الزبير : والله ما هؤلاء إلا أكلة رأس ، والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تقطف رؤوسهم : فقال له قيس بن مالك : أما والله إني لأرجو إن رمت ذلك أن يوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحب . فكفّ ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة . ثمّ قدم أبو المعتمر في مائة ، وهانيء بن قيس في مائة . وظبيان بن عمار في مائتين ، ومعه المال حتى دخلوا المسجد ، فكبروا : يا لثارات الحسين ! فلما رآهم ابن الزبير خافهم . فخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شيعب على وهم يسبون ابن الزبير . ويستأذنون ابن الحنفية فيه . فأبى عليهم . فاجتمع مع محمد ابن علي في الشعب أربعة آلاف رجل . فقسم بينهم ذلك المال .

* * *

[ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمدًا . قال علي بن محمد : حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني عن الطفيل ابن مرداس العمي ، قال : لما تفرقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم ، أتى قصر فترتنا عدة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين : فولّوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المزني ، ومعه شعبة بن ظهير النهشلي ، وورد بن الفلق العسبري ، وزهير بن ذؤيب العدوي ، وجيهان بن مشجعة الضبي ، والحجاج بن ناشب العدوي ، ورقبة بن الحرّ في فرسان بني تميم مقال : فأتاهم ابن خازم ، فحصرهم وخذلهم خندقاً حصيناً . قال : وكانوا يخرجون إليه

(١) س : « وتبايعوا » .

فيقاتلونه ، ثم يرجعون إلى القصر . قال : فخرج ابن خازم يوماً على تعبئة من خندقه في ستة آلاف ، وخرج أهل القصر إليه ، فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز : انصرفوا اليوم عن ابن خازم . فلا أظن لكم به طاقة ، فقال زهير بن ذؤيب العدوي : امرأته طالق إن رجع حتى ينقض صفوفهم - وإلى جنبهم نهر يدخله الماء في الشتاء . ولم يكن يومئذ فيه (١) ماء ، فاستبطنه زهير ، فسار فيه ، فلم (٢) يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم ، فحطّم أولهم على آخرهم ، واستداروا (٣) وكرّ راجعاً . واتبعوه على جنبتي النهر بصيحوه به : (٤) لا ينزل إليه أحد . حتى انتهى إلى الموضع الذي انحدر فيه ، فخرج فحمل عليهم . فأفرجوا له حتى رجع : قال : فقال ابن خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب فأعلقوها (٥) في أذانه إن قدرتم عليه . فخرج إليهم يوماً وفي (٦) رماحهم كلاليب (٧) قد هيئوها له ، فطاعنوه . فأعلقوا (٧) في درعه أربعة أرماع ، فالتفت إليهم ليحمله عليهم ، فاضطربت أيديهم . فخلدوا رماحهم ، فجاء يجر أربعة أرماع حتى دخل القصر ؛ قال : فأرسل ابن خازم غزوان بن جزيء العدوي إلى زهير فقال : قل له : أرايتك إن آمنتك وأعطيتك مائة ألف ، وجعلت لك باسار (٨) طعمة تناصحنى ؛ فقال زهير لغزوان : ويحك ! كيف أناصح قوماً قتلوا الأشعث ابن ذؤيب ! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم .

قال : فلما طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خلدنا نخرج فنتفرق . فقال : لا إلا أن تنزلوا على حكمي ؛ قالوا : فإننا ننزل على حكمك ، فقال لهم زهير : ثكلتكم أمهاتكم ! والله ليقتلنكم عن آخركم ، فإن طبتم بالموت أنفساً (٩) فوتوا كراماً . اخرجوا بنا جميعاً فإما أن نموتوا - جميعاً وإما أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم . وإيم الله لن شدتم عليهم

(١) ف : « فيه يومئذ ماء » . (٢) ف : « ولم » .

(٣) ف : « واستدار » . (٤-٤) ف : « ولا يجسر أحد منهم أن ينزل فيه » .

(٥) ف : « الكلاليب ثم أعلقوها » . (٦) ف : « في » .

(٧-٧) ف : « فأعلقوها في أذانه لما هيئوها له ، وطاعنوه ساعة وأعلقوا » .

(٨) ظ : « باسان » .

(٩) ف : « وابن الأثير : « نفسا » .

شدة صادقة ليُفرجَ لَكُمْ عن مثل طريق الميربند، فإن شتمتكم، ٦٩٨/٢
 وإن شتمتكم خلفكم. قال : فأبوا عليه ، فقال : أما إني سأريكم ، ثم
 خرج هو ورقبة بن الحرّ ومع رقبة غلام له تركي وشعبة بن ظهير . قال :
 فتحملوا على القوم حملةً منكراً ، فأفرجوا لهم ، فمضوا ؛ فأما زهير فرجع
 إلى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه : قد رأيتم فأطيعوني ، ومضى
 رقبة وغلامه وشعبة ، قالوا : إن فينا من يضعف^(١) عن هذا ويضع^(٢) في الحياة .
 قال^(٣) : أبعدم الله! أتخلون عن أصحابكم! والله لا أكون أجزعكم عند
 الموت . قال : ففتحوا القصر ونزلوا ، فأرسل فقيدهم ، ثم حملوا إليه رجلاً رجلاً ،
 فأراد أن يمن عليهم ، فأبى ابنه موسى ، وقال : والله لئن عفوت عنهم لأتكنن^(٤)
 على سبني حتى يخرج من ظهري ؛ فقال له عبد الله : أما والله إني لأعلم أن
 الغي فيما تأمرني به ، ثم قتلهم جميعاً إلا ثلاثة ؛ قال : أحدهم الحججاج بن
 ناشب العدوي - وكان رمي ابن خازم وهو محاصره فكسر ضرسته ، فحلف
 لئن ظفر به ليقطنه أو ليقطن يده ، وكان حداثاً ، فكلّمه فيه رجال من بني
 تميم كانوا معتزلين ؛ من عمرو بن حنظلة ، فقال رجل منهم : ابن عمي وهو غلام
 حدث جاهل ؛ هب لي ، قال : فوهبه له ، وقال : النجاء ! لا أرينك .
 قال : وجيهان بن مشجعة الضبي الذي أتى نفسه على ابنه محمد يوم قتل ،
 فقال ابن خازم : ائخلوا عن هذا البغل الدارج ، ورجل من بني سعد ، وهو
 الذي قال يوم لسيحوا ابن خازم : انصرفوا عن فارس مضر . قال :
 وجاءوا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حملته وهو مقيد ، فأبى وأقبل يسحجل^(٥)
 حتى جلس بين يديه ، فقام له ابن خازم : كيف شكرك إن أطلقتك
 وجعلت لك باسار^(٤) طعمة؟ قال : لو لم تصنع بي إلا حقن دمي لشكرتك ،
 فقام ابنه موسى فقال : تقتل الضبع وترك الذبيح^(٥) ! تقتل اللبؤة وترك اللبث!
 قال : ويحك ! نقتل مثل زهير ! من لقتال عدو المسلمين ! من لثناء
 العرب ! قال : والله لو شركت في دم أخي أنت لقتلتك ؛ فقام رجل من بني

(١) ف : « وقالوا إذا نضعف » .

(٢) ف : « ونطمع » .

(٣) ف : « فقال » .

(٤) ط : « باسان » .

(٥) الذبيح : الذكر من الضباع ، ويطلق الضبع على الأنثى منها .

مسلم إلى ابن خازم ، فقال : أذكرك الله في زهير ! فقال له موسى : اتخذه فحلاً لبناتك ، فغضب ابن خازم ، فأمر بقتله ، فقال له زهير : إن لي حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : تقتلني على حدة ، ولا تخلط دمي بدماء هؤلاء اللثام ، فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراماً ، وأن يخرجوا عليكم مصلتين ، وإيم الله أن لو فعلوا لذعروا بسنيك هذا ، وشغلواه بنفسه عن طلب الثأر بأخيه فأبوا ، ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجلاً . فأمر به فنحى ناحية فقتل .

قال مسلمة بن محارب : فكان الأحنف بن قيس إذا ذكرهم قال : قبح الله ابن خازم ! قتل رجلاً من بني تميم بابنه ، صبي وغند أحرق لا يساوي علقاً ، ولو قتل منهم رجلاً به لكان وفي .

قال : وزعمت بنو عدى أنهم لما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب أبي واعتمد على رُمحه وجمع رجليه فوثب الخندق ، فلما بلغ الحريش بن هلال قتلهم قال :

٧٠٠/٢

أَعَاذِلَ إِنِّي لَمْ أَلِمَ فِي قِتَالِهِمْ	وَقَدْ عَضَّ سِنِّي كَبْشَهُمْ ثُمَّ صَمَّمَا
أَعَاذِلَ مَا وَلَّيْتُ حَتَّى تَبَدَّدْتُ	رِجَالَ وَحْتَى لَمْ أَجِدْ مُتَقَدِّمًا
أَعَاذِلَ أَفْنَانِي السَّلَاحُ وَمَنْ يُطِلُّ	مُقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ يَرْجِعُ مَكْلَمًا
أَعْيَنِي إِنْ أَنْزَفْتُمَا الدَّمْعَ فَاسْكَبَا	دَمًا لِأَزْمَالِي دُونَ أَنْ تَسْكَبَا الدَّمَ
أَبْعُدَ زَهِيرٍ وَأَبْنِ بَشْرٍ تَتَابَعَا	وَوَرِدَ أَرْجَى فِي خُرَاسَانَ مَغْنَمًا
أَعَاذِلَ كَمْ مِنْ يَوْمٍ حَرَبٍ شَهِدْتُهُ	أَكْرَهُ إِذَا مَا فَارَسُ السَّوَاءِ أَحْجَمَا

يعني بقوله : « أبعد زهير » : زهير بن ذؤيب ، وابن بشر ، عثمان بن بشر المحتفز المازني ، وورد بن الفلق العنبري ، قتلوا يومئذ ، وقتل سليمان بن المحتفز أخو بشر .

* * *

قال أبو جعفر : وجج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير من قبل أخيه عبد الله ، وعلى البصرة الحارث

ابن عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى قضائها هشام بن هُبيرة . وكانت الكوفة بها المختار غالباً عليها ، وبخُرَاسان عبد الله بن مخازم .

* * *

[شخص إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ لِحَرْبِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ]

وفي هذه السنة شَخَّصَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ مَتَوَجِّهًا إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ زِيَادٍ لِحَرْبِهِ . وَذَلِكَ لِثَمَانَ بَقِيَيْنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ .

قال هشام بن محمد : حدثني أبو مخنف . قال : حدثني النضر بن صالح - وكان قد أدرك ذلك - قال : حدثني فضيل بن خديج - وكان قد شهد ذلك - وغيرهما . قالوا : ما هو إلا أن فرغ المختار من أهل السبيع وأهل الكناسة ، فما نزل إبراهيم بن الأشتر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذي كان وجهه له لقتال أهل الشام . فخرج يوم السبت ثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوي البصائر منهم : ميمَنٌ قد شهد الحرب وجربها . وخرج معه قيس بن طهفة النهدي على ربيع أهل المدينة . وأمر عبد الله بن حبة الأسدي على ربيع مَذْجَجٍ وَأَسَدٍ ، وبعث الأسود بن جراد الكندي على ربيع كندة وربيعه . وبعث حبيب بن منقذ الثوري من همدان على ربيع تميم وهمدان ، وخرج معه المختار يشيعة حتى إذا بلغ دير عبد الرحمن بن أم الحَكَمِ ، إذا أصحاب المختار قد استقبلوه . قد حملوا الكرسي على بغل أشهب كانوا يحملونه عليه ، فوقفوا به على القنطرة . وصاحب أمر الكرسي حَوْشِبُ البرسمي ، وهو يقول : يَا رَبِّ عَمَّرْنَا فِي طَاعَتِكَ ، وَانصَرْنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ . وَاذكُرْنَا وَلَا تَنْسِنَا وَاسْتَرْنَا . قال : وأصحابه يقولون : آمين آمين ؛ قال فضيل : فأنا سمعت ابن نَوْفٍ الْهَمْدَانِيَّ يَقُولُ : قال المختار :

أَمَّا وَرَبُّ الْمُرَمَّلَاتِ عُرْفًا لِنَقْتُلَنَّ بَعْدَ صَفِّ صَفًّا

• وبعد ألفِ قَاسِطِينَ أَلْفًا •

قال : فلما انتهى إليهم المختار وابن الأشتر ازدحموا ازدحاماً شديداً

على القنطرة ، ومضى المختار مع إبراهيم إلى قناطر رأس الجالوت - وهي إلى جنب دَيْر عبد الرحمن - فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون ، فلما صار المختار بين قنطرة دَيْر عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف ، وذلك حين أراد أن ينصرف ، فقال لابن الأشتر : نخذ عنى ثلاثا : نخف الله في سر أمرك وعلايته ، وعجل السير ، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ، وإن لقيتهم ليلا فاستطعت ألا تُصبح حتى تناجزهم ، وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله . ثم قال : هل حفِظت ما أوصيتك^(١) به ؟ قال : نعم ، قال : صحبتك الله ؟ ثم انصرف . وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمام أعين ، ومنه شخص بعسكره .

• * •

[ذكر أمر الكرسي الذي كان المختار يستنصر به !]

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج قال : لما انصرف المختار مضى^(٢) إبراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى إلى أصحاب الكرسي وقد عكفوا حوله^(٣) وهم رافعوا أيديهم^(٤) إلى السماء يستنصرون . فقال إبراهيم : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء - سنة بني إسرائيل . والذي نفسي بيده إذ عكفوا على عجلهم - فلما جاز القنطرة إبراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي .

• ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه :

٧٠٣/٢ قال أبو جعفر : وكان بدء سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبيب ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، قال : حدثني معبد بن خالد ، قال : حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة ، قال : أهدمت مرة من الورق ، فإني لكذلك إذ خرجت يوماً فإذا زيات جار لي ، له كرسي قد ركب وسخ شديد ، فخطر على بالي أن لو قلبه للمختار في هذا ! فخرجت فأرسلت إلى

(١) ف : « عنى ما وصيتك » .
(٢) ف : « ومضى » .
(٣) ف : « عليه » .
(٤) ف : « وهم رافعون أيديهم » .

الزيات : أرسل إلى بالكرسي ، فأرسل إلى به ، فأتيت المختار ، فقلت : إني كنت أكتُمك شيئاً لم^(١) أستحل ذلك ، فقد بدا لي أن أذكره لك ، قال : وما هو ؟ قلت : كرسي كان بجعدة بن هُبيرة يجلس عليه كأنه يرى أن فيه أثر من عليم ، قال : سبحان الله ! فأخبرت هذا إلى اليوم ! ابعث إليه ، ابعث إليه ، قال : وقد غُسل وخرج عود نضار ، وقد تشرب الزيت ، فخرج يبص ، فجيء به وقد غُشي ، فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم دعا : الصلاة بجامعة .

فحدثني معبد بن خالد الجُدلي قال : انطأق بي وبإسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله وشبث بن ربعي والناس يجرون إلى المسجد ، فقال المختار : إنّه لم يكن في الأمم الحالية أمرٌ إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنّه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون ، وإنّ هذا فينا مثل التابوت ، اكشفوا عنه ؛ فكشفوا عنه أثوابه ، وقامت السبئية فرفعوا أيديهم ، وكبّروا ثلاثاً ، فقام شبث بن ربعي وقال : يا معشر مُضَر ، لا تكفُرُن ، فنحوه فذبّوه وصدّوه وأخرجوه . قال إسحاق : فوالله إني لأرجو أنّها لشبث ، ثم لم يلبث أن قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشام باجسّيرا ، فخرج بالكرسي على بغل وقد غُشي ، يُمسِكُه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فقتل أهل الشام ممتلة لم يقتلوا مثلها ، فزادهم ذلك فتنة ، فارتفعوا فيه حتّى تعاطوا الكفر ، فقلت : إنّنا لله ! وندمتُ على ما صنعت . فتكلّم الناس في ذلك ، فغيب ، فلم أره بعد .

حدثني عبد الله ، قال : حدثني أبي قال : قال أبو صالح : فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غير عبد الله :

شهدتُ عليكم أنكم سبئية
وأقسمُ ما كرسيكم بسكينة
وإنّي بكم يا شرطَةَ الشُّركِ عارف
وإن كان قد لُفَّت عليه اللِّفائف
شِبامٌ حوَالِيهِ ونَهْدٌ وخارِف^(٢)

(١) ف : « ولم » .

(٢) ف : « وخارف » .

وإني امرؤ أحببت آل محمد
وتابعت عبد الله لما تابعت^(١)
وتابعت وحيأ ضمنت المصاحف
عليه قريش : شئطها والغطارف

وقال المتوكل الليثي :

أبلغ أبا إسحاق إن جثته
تنزو شبام حول أعواده
محمرة أعينهم حوله
أنى بكرسيكم كافر
وتحمل الوحي له شاكر
كأنهن الحمص الحادر

فأما أبو مخنف : فإنه ذكر عن بعض شيوخه قصة هذا الكرسي غير
الذي ذكره عبد الله بن أحمد بالإسناد الذي حدثنا به ، عن طفيل بن
جعدة . والذي ذكر من ذلك ما حدثنا به . عن هشام بن محمد . عنه ،
قال : حدثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحسن بن هشام . أن المختار قال
لآل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي - وكانت أم جعدة أم هانيء
بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب عليه السلام لأبيه وأمه : اتوني
بكرسي علي بن أبي طالب ؛ فقالوا : لا والله ما هو عندنا . وما ندري من
أين نجى به ! قال : لا تكونن حمتي ، اذهبوا فأتوني به ، قال : فظن
القوم عند ذلك أنهم لا يأتون بكرسي ، فيقولون : هو هذا إلا قبيله
منهم ، فجاءوا بكرسي فقالوا : هو هذا^(٢) قبيله . قال : فخرجت
شبام وشاكر ورءوس أصحاب المختار وقد عصبوه بالحريز والديباج .

٦٠٦/٢

قال أبو مخنف . عن موسى بن عامر أبي الأشعر الجهني : إن الكرسي
لما بلغ ابن الزبير أمره قال : أين بعض جنادة الأزدي عنه !

قال أبو الأشعر : لما جىء بالكرسي كان أول من سددته موسى بن
أبي موسى الأشعري ، وكان يأتي المختار أول ما جاء ويحف به . لأن أم كلثوم
بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب . ثم إنه بعد ذلك عتب عليه فاستحيا

(٢) ف : وابن الأثير : « هذا هو » .

(١) ف : « وبايعت » .

منه ، فدفعه إلى حوشب البرسُمي ، فكان صاحبه حتى هلك المختار .
 قال : وكان أحد عمومة الأعشى رجلاً يُكنى أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه
 فيقول : قد وُضع لنا اليوم وحى ما سَمِعَ الناسُ بمثله ، فيه نَبَأٌ ما يكونُ
 من شيء .

قال أبو مخنف : حدثنا موسى بن عامر أنه إنما كان يصنع ذلك لهم
 عبد الله بن نوف . ويقول : المختار أمرني به ، ويتبرأ المختار منه .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ مَقْتَلِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ .

• ذكر الخبر عن صفة مقتله :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصبيقتل ، قال : مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام ، فخرجنا مُسْرِعِينَ لَانْتِشَى ، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق . قال : فسبقناه إلى تخوم أرض العراق سَبَقًا بَعِيدًا . ووغلنا في أرض الموصل ، فتمعجنا إليه ، وأسرعنا السير ، فنلقاه بخازر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا . بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ . وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط ، من وهبيل من النخع (رجال من قومه) ، وكان شجاعًا بنيسًا^(١) ، فلما أن دنا من ابن زياد ضم حميد بن حرِيث إليه . وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلا على تعبئة ، وضم أصحابه كلهم إليه بخيله ورجاله ، فأخذ يسير بهم جميعًا لا يفرقهم . إلا أنه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع حتى نزل تلك القرية .

قال : وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريبًا منهم على شاطئ خازر . وأرسل عمير بن الحباب السلمي إلى ابن الأشتر : إني معك ، وأنا أريد^(٢) الليلة لقاءك . فأرسل إليه ابن الأشتر : أن القني إذا شئت ؛ وكانت قيس كلها بالجزيرة . فهم أهلُ خِلافِ مروان وآل مروان ، وجند مروان يومئذ كلبٌ وصاحبهم ابن بحدل . فأتاه عُمَيْرٌ لَيْلًا فبأبعه ، وأخبره أنه على ميسرة صاحبه . وواعده أن ينهزم بالناس . وقال ابن الأشتر : ما رأيك ؟ أخذ ق على وأتلوم يوهين أو ثلاثة ؟ قال عمير بن الحباب : لا تفعل ، إننا

(١) الرجل البئيس : الشديد . (٢) س : « وأريد » .

لله ! هل يريد القوم إلا هذه ! إن طاولوك وماطوك فهو خير لهم ، هم كثير
أضعافكم ، وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة ؛ ولكن ناجز القوم فإنهم قد
ملئوا منكم رعباً ، فأتيهم فإنهم إن شاموا أصحابك وقاتلوهم يوماً بعد يوم ،
ومرة بعد مرة أنيسوا بهم ، واجتروا عليهم ؛ قال إبراهيم : الآن علمت أنك
ل مناصح ، صدقت ، الرأي مارأيت ، أما إن صاحبي بهذا أوصاني ، وبهذا
الرأي أمرني . قال عمير : فلا تعدون رأيه ، فإن الشيخ قد ضرسته الحروب ،
وقاسى منها ما لم نقاس ، أصبح فناهض الرجل .

ثم إن عميراً انصرف ، وأذكى ابن الأشتر حرسه تلك الليلة الليل كله ،
ولم يدخل عينه غمض ، حتى إذا كان في السحر الأول عبى أصحابه ، وكتب ٧٠٩/٢
كتابه ، وأمر أمراءه . فبعث سفيان بن يزيد بن المغنقل الأزدي على
ميمنته ، وعلى بن مالك الجشمي على ميسرته ، وهو أخو أبي الأحوص .
وبعث عبد الرحمن بن عبد الله - وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمته - على الخيل ،
وكانت خيله قليلة ، فضمها إليه ، وكانت في الميمنة والقلب ، وجعل على
رجالته الطفيل بن لقيط ، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك . قال : فلما
انفجر الفجر صلتى بهم الغداة بغلّس ، ثم خرج بهم فصفهم ، ووضع
أمراء الأرباع في مواضعهم ، وألحق أمير الميمنة بالميمنة ، وأمير الميسرة بالميسرة .
وأمير الرجالة بالرجالة ، وضم الخيل إليه ، وعليها أخوه لأمته عبد الرحمن بن
عبد الله ، فكانت وسطاً من الناس ، ونزل إبراهيم يمشى ، وقال للناس :
ارحفوا ، فزحف الناس معه على رسلهم رويداً رويداً حتى أشرف على تل
عظيم مشرف على القوم ، فجلس عليه ، وإذا أولئك لم يتحرك منهم أحد
بعد فسرح عبد الله بن زهير السنولي وهو على فرس له يتأكل تأكلاً^(١) ، فقال :
قرب على فرسك حتى تأتيني بخبر هؤلاء ، فانطلق ، فلم يلبث إلا يسيراً
حتى جاء . فقال : قد خرج القوم على دهش وفشسل ، لقيتني رجل منهم
فما كان له هجبري إلا يا شيعة أبي تراب ، يا شيعة المختار الكذاب !
فقلت : ما بيننا وبينكم أجل من الشتم ، فقال لي : يا عدو الله . إلام

(١) تأكل الفرس ، أي هاج وكاد يأكل بعضه بعضاً .

تدعوننا ! أنتم تقاتلون مع غير إمام ، فقلت له : بل يا لشارت الحسين ، ابن رسول الله ! ادفعوا إلينا عبید الله بن زياد ؛ فإنه قتل ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين ، فإننا لا نراه لحسين نداءً فسنرضى أن يكون منه قوداً ، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله ، أو أى صالح من المسلمين شتم حكماً ، فقال لى : قد جربناكم مرة أخرى فى مثل هذا - يعنى الحكمة - فغدرتم ، فقلت له : وما هو ؟ فقال : قد جعلنا بيننا وبينكم حكماً فلم ترضوا بحكمتكما ؛ فقلت له : ما جئت بحجة ، إنما كان صلحنا على أنهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما . ورضينا به وبايعناه ، فلم يجتسعا على واحد ، وتفرقا ، فكلاهما لم يوفقه الله لخير ولم يسدده . فقال : من أنت ؟ فأخبرته ؛ فقلت له : من أنت ؟ فقال : عدس - لبغلته يزجرها^(۱) - فقلت له : ما أنصفتنى ، هذا أول غدرك !

قال : ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه . ثم مر بأصحاب الرايات كلها ، فكلما مر على راية وقف عليها . ثم قال : يا أنصار الدين ، وشيعة الحق ، وشرطة الله ، هذا عبید الله بن مرثد جنة قاتل الحسين بن على ، ابن فاطمة بنت رسول الله . حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، ومنعه أن يأتى ابن عمه فيصلحته ، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله . ومنعه الذهاب فى الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته ؛ فوالله ما عميل فرعون بنسجاء بنى إسرائيل ما عميل ابن مرثد جنة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قد جاءكم الله به . وجاءه بكم ، فوالله إنى^(۲) لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم فى هذا الوطن وبينه إلا ليشفى صدوركم بسفك دمه على أيديكم . فقد علم الله أنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم . فسار فيما بين الميمنة والميسرة ، وسار فى الناس كلهم فرغبتهم فى الجهاد ، وحرصهم على القتال ، ثم رجع حتى نزل تحت رايته . وزحف القوم إليه ، وقد جعل ابن زياد على

(۱) : « ليزجرها » . (۲) : « والله إنى » .

ميمنته الحُصَيْن بن نَمير السَّكُونِيّ . وعلى ميسرته عُمَيْر بن الحُبَاب السُّلَمِيّ ،
 وشَرَحْبِيل بن ذِي الكَلَّاعِ على الخيل وهو يمشي في الرجال ، فلَمَّا تَدَانِي
 الصَّفَّانِ حَمَل الحُصَيْن بن نَمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة ،
 وعليها عليّ بن مالك الجُشَمِيّ ؛ فثبت له هو بنفسه فقتل . ثمّ أخذ رايته
 قُرّةُ بن عليّ ، فقتل أيضاً من في رجال من أهل الحفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة .
 فأخذ رايته عليّ بن مالك الجُشَمِيّ عبدُ الله بن ورقاء بن جُنادة السَّلُولِيّ
 ابن أخي حُبُشي بن جُنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل
 أهل الميسرة حين انهزموا ، فقال : إلى يا شُرطة الله ؛ فأقبل إليه جلُّهم ،
 فقال : هذا أميركم يقاتل ، سيرُوا بنا إليه ، فأقبل حتى أتاه وإذا هو كاشفٌ
 عن رأسه يُنادي : يا شُرطة الله ، إلى أنا ابن الأشتر ! إن خير فرارٍكم
 كُرارُكم ، ليس مُسيئاً من أعتب . فثاب إليه أصحابه ، وأرسل إلى
 صاحب الميمنة : احمل على ميسرتهم - وهو يرجو حينئذ أن ينهزم لهم عُمَيْر
 ابن الحُبَاب كما زعم ، فحمل عليهم صاحب الميمنة . وهو سُفْيَان بن يزيد
 ابن المغفل . فثبت له عُمَيْر بن الحُبَاب وقَاتَلَهُ قتالاً شديداً . فلَمَّا رأى
 إبراهيم ذلك قال لأصحابه : أمثوا هذا السواد الأعظم ، فوالله لو قد فضضناه
 لانجفل من ترون منهم يمناً وبسرة انجفال طير ذعرتها فطارت .

قال أبو مخنف : فحدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن ورقاء
 ابن عازب ، قال : مشينا إليهم حتى إذا دنونا منهم اطعنا بالرمح قليلاً .
 ثم صرنا إلى السيوف والعمد ، فاضطر بنا بها ملياً من النهار . فوالله ما شبهتُ
 ما سمعتُ بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا مَيَّاجِينَ قَصَّارِي (١)
 دار الوليد بن عُقبة بن أبي معيط . قال : فكان ذلك كذلك . ثم إن الله
 هزَمَهُمْ ، ومَسَّحْنَا أكتافَهُمْ .

قال أبو مخنف : وحدثني الحارث بن حصيرة . عن أبي صادق أن
 إبراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته : انغمس برايبتك فيهم ، فيقول
 له : إنّه - جعلت فداك - ليس لي مُتَقَدِّم ، فيقول : بلى . فإن أصحابك

(١) المياجن : جمع ميجنة ، وهي مدقة القصار .

يقاتلون ؛ وإن هؤلاء لا يتهربون إن شاء الله ؛ فإذا تقدم صاحبُ رايته برايته شدَّ إبراهيمُ بسيفه فلا يضرب به رجلاً إلا صرعه . وكرَد (١) إبراهيمُ الرجال من بين يديه كأنهم الحُمْلان ، وإذا حمل برايته شدَّ أصحابُه شدَّةَ رجل واحد .

قال أبو مخنف : حدثني المشرقُ أنَّه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدةٌ لا تُلِقُ شيئاً مرَّت به ، وأنه لما هُزِمَ أصحابه حمل (٢) عبيد الله بن أسماء أخته هند بنت أسماء - وكانت امرأة عبيد الله بن زياد - فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول :

إِنْ تَصْرِمِي حِبَالَنَا فَرُبَّمَا أُرْدَيْتُ فِي الْهَيْجَا الْكَمِيِّ الْمُعْلِمَا

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج أن إبراهيم لما شدَّ على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلَى كثيرة بين القريقين . وأن عمير بن الحُبَابَ لما رأى أصحاب إبراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث إليه : أجيئك الآن ؟ فقال : لا تأتيني حتى تسكن فورة شُرطة الله ، فإني أخاف عليك عادِ يَتَّهَمُ .

وقال ابن الأثير : قتلت رجلاً وجدتُ منه رائحة المسك ، شرقتُ يدها وغربت رجلاه ، تحت راية منفردة . على شاطئ نهر خازر . فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً ، ضربه فقدَّهُ بنصفين . فذهبت رجلاه في المشرق ، ويداه في المغرب . وحمل شريك بن جدير التغلبيُّ على الحصين بن نمير السكوني وهو يتحسبه عبيد الله بن زياد . فاعتنق كل واحد منهما صاحداً ، ونادى التغلبيُّ : اقتلوني وابن الزانية ؛ فقتل ابن نمير .

وحدثني عبد الله بن أحمد . قال : حدثني أبي . قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، قال : حدثني الحسن بن كثير ، قال : كان شريك بن جدير التغلبيُّ مع علي عليه السلام ، أُصيبت عينه معه . فلما انقضت حربُ علي لحق بيت المقدس . فكان به ، فلما جاءه

(٢) ١ : « جعل » .

(١) الكرد : الطرد .

قتلُ الحسين ، قال : أعاهدُ الله إن قدرت على كذا وكذا - يَطْلُبُ بدم الحسين - لأقتلن ابنَ مرجانة أو لأموتنَ دونَه . فلماً بلغه أن المختار نخرج يَطْلُبُ بدم الحسين أقبل إليه . قال : فكان وجهه مع إبراهيم بن الأشتر ، وجُعِلَ على خيل ربيعة ، فقال لأصحابه : إننى عاهدتُ الله على كذا وكذا ، فبايعه ثلثمائة على الموت ، فلماً التَقُوا حَمَلُ فجعِلَ يَهْتِكُهَا صَفَاً صَفَاً مع أصحابه حتى وصلوا إليه ، وثار الرَّهَجُ فلا يُسْمَعُ إلا وقع الحديد والسيوف ، فانفجرت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد ؛ التَّغْلَبِيَّ وعبيدُ الله ابن زياد ؛ قال : وهو النَّذِي يَقُولُ :

كُلُّ عَيْشٍ قَدْ أَرَاهُ قَسِيراً^(١) غَيْرَ رَكْزِ الرَّمْحِ فِي طَلِّ الْفَرَسِ^(٢)

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، قال : قتل^(٣) شرحبيل بن ذي الكلاع ، فادعى قتله ثلاثة : سُفْيَانُ بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وورقاء بن عازب الأسدي . وعبيد الله بن زهير السلمى . قال : ولماً هُزِمَ أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر ، فكان من غرق أكثر ممن قتل ، وأصابوا عسكرهم فيه من كل شيء ، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه : يأتاكم الفتح أحدَ اليومين إن شاء الله من قبل إبراهيم ابن الأشتر وأصحابه ، قد هزموا أصحاب عبيد الله بن مرجانة . قال : فخرج المختار من الكوفة ، واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعري ، وخرج بالناس ، ونزل ساباتاً .

قال أبو مخنف : حدثني المشرقى ، عن الشعبي ، قال : كنت أنا وأبي ممن خرج معه ، قال : فلماً جُزْنَا سَابَاتاً قال للناس : أبشروا فإن شُرْطَةَ الله قد حسوهم بالسيوف يوماً إلى الليل بنصيبين أو قريباً من نصيبين ودوين منازلهم ، إلا أن جلَّتهم محصور بنصيبين . قال : ودخلنا المدائن ، واجتمعنا إليه ، فصعد المنبر ، فوالله إنَّه ليخطبنا ويأمرنا بالجدِّ وحسن

(١) ف : « باطلا » . (٢) ف : « غير ركن الرمح » .

(٣) س : « قتل » .

الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة ، والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام ، إذ جاءته البشرى تتسرى يتسبع بعضها بعضا بقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه ، وأخذ عسكره ، وقتل أشرف أهل الشام ، فقال المختار : يا شرطه الله ، ألم أبشركم بهذا قبل أن يكون ! قالوا : بلى والله لقد قلت ذلك ؛ قال : فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهمدانيين : أتؤمن الآن يا شعبي ؟ قال : قلت بأى شيء أومن ؟ أومن بأن المختار يعلم الغيب ! لا أومن بذلك أبداً . قال : أو لم يقل لنا : إنهم قد هزموا ! فقلت له : إنما زعم لنا أنهم هزموا بنصيبين من أرض الجزيرة . وإنما هو بخازر من أرض الموصل ، فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم ؛ فقلت له : من هذا الهمداني الذي يقول لك هذا ؟ فقال : رجل لعمرى كان شجاعاً - قتل مع المختار بعد ذلك يوم حرّ وراء - يقال له : سلمان بن حدير من الثوريين من همدان ؛ قال : وانصرف المختار إلى الكوفة . وهضى ابن الأشتر من عسكره إلى الموصل ، وبعث عماله عليها . فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين ، وغلب على سينجارود آراء وما والاها من أرض الجزيرة ، وخرج أهل الكوفة الذين كان المختار قاتلهم فهزمهم . فلاحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة . وكان فيمن قدم على مصعب شبث بن ربعي ، فقال سراقه ابن مرداس البارقي يمدح إبراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتل عبيد الله ابن زياد :

أتاكم غلامٌ من عرّانين مذحجٍ جرى على الأعداء غير نكول^(١)
 فيا بن زياد بو بأعظم مالكٍ وذق حدّ ماضى الشفرتين صقيلٍ
 ضربناك بالعصب الحسام بحدةٍ إذا ما أباننا قاتلا بقتيلٍ
 جزى الله خيراً شرطه الله إنهم شفوا من عبيد الله أميس غليل^(٢)

• • •

(٢) بعده في رواية الديوان :

(١) ديوانه ٨١ .

وأجدد بهند أن تساق سبيته لها من بني إسحاق شر حليل

[ذكر الخبر عن عزل القباع عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل عبدُ الله بنُ الزبير القباعَ عن البصرة ، وبعث ٧١٧/٢
 عليها أخاه مصعبَ بنَ الزبير ، فحدّثني عمرُ بنُ شَبَّهة ، قال : حدّثني عليّ
 ابنُ محمّد ، قال : حدّثنا الشَّعْبِيّ . قال : حدّثني وافدُ بنُ أبي ياسر ، قال :
 كان عمرو بنُ سرح مولى الزبير يأتينا فيحدّثنا . قال : كنتُ والله في الرهط
 اللذين قدّموا مع المصعب بن الزبير من مكّة إلى البصرة ؛ قال : فقدم مثلثمًا
 حتّى أناخ على باب المسجد ، ثمّ دخل فصعد المنبر . فقال الناسُ :
 أمير أمير . قال : وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة - وهو أميرها
 قبله - فسفر المصعب فعرّفوه ، وقالوا : مصعب بن الزبير ! فقال : للحارث :
 أظهر أظهر . فصعد حتّى جلس تحته من المنبر درجة ؛ قال : ثمّ قام
 المصعب فحمّد الله وأثنى عليه . قال : فوالله ما أكثر الكلام ، ثمّ قال :
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ • نَتْلُو عَلَيْكَ
 مِنْ نَبَأِ مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ - وأشار بيده نحو الشام -
 ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
 وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ - وأشار بيده نحو الحجاز - ﴿ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
 وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) - وأشار بيده نحو الشام .
 حدّثني عمر بن شَبَّهة ، قال : حدّثني عليّ بن محمد . عن عوانة ، قال :
 لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال : يا أهل البصرة . بلغني أنكم
 تلقبون أمراءكم ، وقد سميتُ نفسي الجزّار .

* * *

[ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد]

وفي هذه السنة سار مصعبُ بنُ الزبير إلى المختار فقتله .
 • ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار :

٧١٨/٢

(١) سورة القصص : ١ - ٦ .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، حدثني حبيب بن بديل ، قال :
لَمَّا قَدِمَ شَبَّثُ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ الْبَصْرَةَ وَتَحْتَهُ بَغْلَةٌ لَهُ قَدْ قَطَعَ
ذَنبَهَا ، وَقَطَعَ طَرَفَ أُذُنِهَا وَشَقَّ قَبَاءَهُ ، وَهُوَ يَنَادِي : يَا غَوْثَاهُ يَا غَوْثَاهُ !
فَأَتَى مُصْعَبَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ بِالْبَابِ رَجُلًا يَنَادِي : يَا غَوْثَاهُ يَا غَوْثَاهُ ! مَشْقُوقُ
الْقَبَاءِ ، مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُمْ : نَعَمْ ، هَذَا شَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ
لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلْ هَذَا غَيْرَهُ . فَأَدْخَلُوهُ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ ، وَجَاءَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ مِنْ
أَهْلِ الْكُوفَةِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَبِمَا أَصِيبُوا بِهِ وَوُثِبَ
عَبِيدُهُمْ وَمَوَالِيَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَشَكَّوْا إِلَيْهِ ، وَسَأَلُوهُ النَّصْرَ لَهُمْ ، وَالْمَسِيرَ إِلَى
الْمَخْتَارِ مَعَهُمْ . وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنُ قَيْسٍ - وَلَمْ يَكُنْ شَهِيدَ
وَقْعَةِ الْكُوفَةِ ، كَانَ فِي قَصْرِ لَهُ مِمَّا بِيَلَى الْقَادِسِيَّةَ بِطَيْزَنَابَادَ - فَلَمَّا بَلَغَهُ
مَهْزِيمَةُ النَّاسِ تَهِيئًا لِلشُّخُوصِ ، وَسَأَلَ عَنْهُ الْمَخْتَارُ ، فَأَخْبَرَ بِمَكَانِهِ ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قِرَادِ الْخَثْعَمِيِّ فِي مِائَةِ ، فَلَمَّا سَارُوا إِلَيْهِ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ قَدْ دَنَوْا مِنْهُ ،
خَرَجَ فِي الْبَرِّيَّةِ نَحْوَ الْمَصْعَبِ حَتَّى لَحِقَ بِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الْمَصْعَبِ اسْتَحْثَّهُ
بِالْخُرُوجِ ، وَأَدْنَاهُ مُصْعَبٌ وَأَكْرَمَهُ لَشَرَفِهِ . قَالَ : وَبَعَثَ الْمَخْتَارُ إِلَى دَارِ
مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَهَدَمَهَا .

٧١٩/٢ قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف بن يزيد أن المصعب لما أراد
المسير إلى الكوفة حين أكثر الناس عليه ، قال لمحمد بن الأشعث : إني لا أسير
حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة . فكتب المصعب إلى المهلب - وهو عامله
على فارس : أن أقبل إلينا لتشهد أمرنا ، فإننا نريد المسير إلى الكوفة . فأبطأ
عليه المهلب وأصحابه ، واعتل بشيء من الحراج ، لكرهه الخروج ، فأمر
مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحثه أن يأتى المهلب فيقبل به ،
وأعلمته أنه لا يشخص دون أن يأتى المهلب ؛ فذهب محمد بن الأشعث
بكتاب المصعب إلى المهلب ، فلما قرأه قال له : مثلك يا محمد يأتى^(١) بريدا !
أنا وجد المصعبُ بريداً غيرك ! قال محمد : إني والله ما أنا بريد أحد ، غير
أن نساءنا وأبناءنا وحرماننا غلبتنا عليهم عبيدنا وموالينا . فخرج المهلب ،

(١) ف : « تاني » .

وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة . ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس ، فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه ، فرفع المهلب يده فكسر أنفه ، فدخل إلى المصعب وأنفه يسيل دما ، فقال له : مالك ؟ فقال : ضربتني رجل ما أعرفه ، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال : هو ذا ، قال له المصعب : عدُّ إلى مكانك ، وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر ، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : ائت الكوفة فأخرج إلى جميع من قدرت عليه أن تُخرجه ، وادعهم إلى بيعتي سرّاً ، ونخذل أصحاب المختار ، فانسأ من عنده حتى جلس في بيته مستتراً^(١) لا يظهر ، وخرج المصعب فقدم أمامه عبّاد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته ، وبعث عمر بن عبّيد الله بن معمر على ميمنته ، وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته ، وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس ، والأحنف بن قيس على خمس تميم وزباد بن عمرو الأزدي على خمس الأزد ، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية ، وبلغ ذلك المختار ، فقام في أصحابه فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة ، يا أهل الدين ، وأعوان الحق ، وأنصار الضعيف ، وشيعة الرسول ، وآل الرسول ، إن فرّاركم الذين بغّوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغفروهم إلا عليكم ليصحح^(٢) الحق ، وينتفش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، والله لو تهلكون ما عبّيد الله في الأرض إلا بالفرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه . انتدبوا مع أحمر بن شميّط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتل عاد وإرم .

فخرج أحمر بن شميّط ، فعسكر بحمام أعين ، ودعا المختار رعويس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر ، فبعثهم مع أحمر بن شميّط ، كما كانوا مع ابن الأشتر ، فإنهم إنما فارقوا ابن الأشتر ، لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار ، فانصرفوا عنه ، وبعثهم المختار مع ابن شميّط ، وبعث معه جيشاً كثيفاً ،

(١) : « مستتراً » . (٢) : يصح الحق ، أى لينهب .

فخرج ابن شميظ . فبعث على مقدمته ابر كامل الشاكري . وسار أحمر بن شميظ حتى ورد السدّار . وجاء المصعب حتى عسكر منه قريباً .

ثم إن كل واحد منهما عبى جنده . ثم تزاحفا . فجعل أحمر بن شميظ على ميمنته عبد الله بن كامل الشاكري . وعلى ميسرته عبد الله ابن وسب بن نضلة الجشمي . وعلى الخيل رزين عبد السلولى . وعلى الرجالة كثير بن إسماعيل الكندي - وكان يوم خازر مع ابن الأشتر - وجعل كيسان أبا عمرة - وكان مولى لعربينة - على الموائى . فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي إلى ابن شميظ وقد جعله على ميسرته . فقال له : إن الموائى والعبيد آل نخور عند المصدوقة . وإن معهم رجالاً كثيراً على الخيل . وأنت تمشى . فسرهم فلينزّلوا معك . فإن لم بك أسوة . فإنى أتخوف إن طوردوا ساعة . وطوعنوا وضوربوا أن يطيروا على متونها ويسلموك . وإنك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بدءاً . وإنما كان هذا منه غشاً للموائى والعبيد . لما كانوا لقوا منهم بالكوفة . فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالاً لا ينجو منهم أحد . ولم يتهمه ابن شميظ . وظن أنه إنما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا . فقال : يا معشر الموائى . انزلوا معى فقاتلوا . فنزلوا معه . ثم مشوا بين يديه وبين يدي رايته ، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عباد ابن الحصين على الخيل . فجاء عباد حتى دنا من ابن شميظ وأصحابه فقال : إنما^(١) ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ، وقال الآخرون : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة الأمير المختار . وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول ،^(٢) فمن زعم من الناس أن أحداً ينبغي له أن يتولى عليهم برثنا منه وجاهدناه . فانصرف عباد إلى المصعب فأخبره . فقال له : ارجع فاحمل عليهم . فرجع فحمل على ابن شميظ وأصحابه فلم يزل منهم أحد . ثم انصرف إلى موفقه وحمل المهلب على ابن كامل . فجال أصحابه بعضهم في بعض ، فنزل ابن كامل . ثم انصرف عنه المهلب . فقام مكانه ، فوقفوا ساعة

٧٢٢/٢

(١) ف : « إنما » . (٢) ف : « رسول الله » .

ثم قال المهلب لأصحابه: كرروا كفرة صادقة، فإن القوم قد أطمعوكم، وذلك بجوليتهم التي جالوا، فحمل عليهم حاملة منكرة فتولوا، وصبر ابن كامل في رجال من همدان، فأخذ المهلب يسمع شعار القوم: أنا الغلام الشاكري، أنا الغلام الشبامي، أنا الغلام الثوري، فما كان إلا ساعه حتى هزموا، وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله ابن أنس، فقاتل ساعة ثم انصرف، وحمل الناس جميعاً على ابن شميطة، فقاتل حتى قتل، وتنادوا: يا معشر بجيلة ونحشعتم، الصبر الصبر! فناداهم المهلب: الفرار الفرار! اليوم أنجي لكم، علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان، أضل الله سعيكم. ثم نظر إلى أصحابه فقال: والله ٧٢٣/٢ ما أرى استحرار القتل اليوم إلا في قومي. ومالت الخيل على رجالة ابن شميطة، فافترقت فانهزمت وأخذت الصحراء، فبعث المصعب عبادة بن الحصين على الخيل، فقال: أيما أسير أخذته فاضرب عنقه. وشرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة أهل الكوفة ممن كان المختار طردهم، فقال: دُونَكُمْ ثَارَكُمْ! فكانوا حيث انهزموا أشد عليهم من أهل البصرة، لا يدركون منهزماً إلا قتلوه، ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه. قال: فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل؛ وأما رجالتهم فأبيدوا إلا قليلاً.

قال أبو مخنف: حدثني ابن عبيد الله المصنف، عن معاوية بن قرة المزني، قال: انتهيت إلى رجل منهم، فأدخلت سنان الرمح في عينه، فأخذت أخضخض^(١) عينه بسنان رمحي، فقلت له: وفعلت به هذا؟ قال: نعم، إنهم كانوا أحمل عندنا دماء من الترك والديلم؛ وكان معاوية بن قرة قاضياً لأهل البصرة، ففي ذلك يقول الأعشى:

أهل أذاك والأنباء تُنمى
بما لاقت بجيلة بالمدار
أُتبيح لهم بها ضرب طلحف
وطغن صائب وجه النهار
كان سحابة صعقت عليهم
فعمتهم هنالك بالدمار

(١) : «أخضخض» .

فَبَشَّرُ شِيعَةَ الْمُخْتَارِ إِمَّا مَرَرْتُ عَلَى الْكُوفِيَّةِ بِالصَّغَارِ
 أَقَرَّ الْعَيْنَ صَرُّعَانِهِمْ وَفَلُّ لِهَمْ جَمُّ يُقْتَلُ بِالصَّحَارِي
 وَمَا إِنْ سَرَّنِي إِهْلَاكَ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا وَجَدَكَ فِي خِيَارِ
 وَلَكِنِّي سُرَرْتُ بِمَا يُبْلَا فِي أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ خِزْيِ وَعَارِ

٧٢٤/٢

وأقبل المصعبُ حتى قطع من تلقاء واسطَ القصبِ ، ولم تكُ واسطُ هذه بُنِيَتْ حينئذٍ بعد . فأخذ في كَسْكَرٍ . ثمَّ حَمَلَ الرِّجَالَ وَأَثْقَالَهُمْ وَضَعَفَاءَ النَّاسِ فِي السَّفِينِ . فَأَخَذُوا فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ خَرُّشَادٍ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ قُوسَانٍ . ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى الْفُرَاتِ .

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي . أن أهل البصرة كانوا يخرجون فيجرون سفنهم ويقولون :

غَوَدْنَا الْمَصْعَبُ جَرَّ الْقَلْبِ وَالزَّنْبَرِيَّاتِ الطَّوَالِ الْقَعْسِ

قال : فلما بلغ دس مع المختار من تلك الأعاجم ما لقي إخوانهم مع ابن شميظ قالوا بالفارسية : « ابن بئار دُرُوغ كُفْت » : يقولون : هذه المرأة كذب .

قال أبو مخنف : وحدثني هشام بن عبد الرحمن الثقفي . عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي . قال : والله إني لجالس عند المختار حين أتاه هزيمة النجوم وما لقوا . قال : فأصغى إلي . فقال : قتلت والله العبيد قتلة ما سمعتُ بيمثلها قط . ثمَّ قال : وقتل ابن شميظ وابن كامل وفلان وفلان . فسمي رجالا من العرب أصيبوا . كان الرجل منهم في الحرب خيرا من فيثاء (١) من الناس . قال : فقلت له : فهذه والله مصيبة . فقال : ما من الموت بئد . وما من ميتة أموتها أحب إلي من مثل ميتة ابن

(١) الفثم : الجماعة من الناس .

شُرَيْحُ الشُّبَامِيُّ ، وكان على بيتِ ماله ، وبعث إلى أهلِ العالِيَةِ وعليهم قيسُ
ابنُ الهَيْثَمِ السُّلَمِيُّ عبدُ الله بنِ جَعْدَةَ القرشيِّ ، ثم المخزوميِّ ، وبعث إلى
الأزدِ وعليهم زيادُ بنُ عمرو العَتَكِيُّ مسافرَ بنِ سَعِيدِ بنِ نَمْرانِ الناعِطِيِّ ،
وبعث إلى بني تميمٍ وعليهم الأحنَفُ بنُ قيسِ سُلَيْمِ بنِ يَدِ الكِنْدِيِّ ،
وكان صاحبِ مِسْمَنَتِهِ ، وبعث إلى مُحَمَّدِ بنِ الأشعثِ السائبِ بنِ مالكِ
الأشعريِّ ، ووقف في بقيَّةِ أصحابِهِ ، وتزاحف الناسُ ودَنَا بعضهم من بعضٍ ،
ويَحْمِلُ سَعِيدُ بنُ مَنقذِ وعبدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُرَيْحِ علي بَكْرِ بنِ وائلٍ ، وعبدُ القيسِ ،
وهم في الميسرةِ وعليهم عمرُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ مَعْمَرٍ ؛ فقاتلتهم ربيعةُ
قتالاً شديداً ، وصبروا لهم ، وأخذ سَعِيدُ بنُ مَنقذِ وعبدُ الرَّحْمَنِ بنُ
شُرَيْحِ لا يُقلعان ، إذا حمل واحدٌ فأنصرف حمل الآخر ، وربَّما حملاً
جميعاً ؛ قال : فَبَعَثَ المصْعَبُ إلى المهلبِ : ما تنتظر أن تَحْمِلَ علي
مَنْ بِإِزائِكَ ! ألا ترى ما يَلْقَى هذانِ الخُمسانِ منذ اليومِ ! احمِلْ بأصحابِكَ ،
فقال : إني لعمري ما كنتُ لأجزُرُ الأزدِ وطميمًا نخشية أهلِ الكوفةِ حتَّى
أرى فُرْصَتِي . قال : وبعث المختارُ إلى عبدِ اللهِ بنِ جَعْدَةَ أن احمِلْ
علي مَنْ بِإِزائِكَ ، فَحَمَلَ علي أهلِ العالِيَةِ فكشَفَهُم حتَّى انتهَوا إلى
المصْعَبِ ، فَجَثَا المصْعَبُ علي رُكْبَتَيْهِ - ولم يكن فراراً - فرمى بأسهمه .
ونزل الناسُ عنده فقاتلوا ساعةً ، ثم تَحَاجَزُوا . قال : وبعث المصعبُ
إلى المهلبِ وهو في خُمسَيْنِ جامِئَيْنِ كثيرِي العَدَدِ والفُرْسانِ : لا أبالك !
ما تنتظر أن تَحْمِلَ علي القومِ ! فمَكَثَ غيرَ بعيدٍ ، ثم إنَّه قال لأصحابِهِ :
قد قاتل الناسُ منذ اليومِ وأنتم وقوفٌ ، وقد أحسنوا ، وقد بقيَ ما عليكم ،
احملوا واستعينوا بالله واصبروا ، فحمل علي مَنْ يَلِيهِ حملةٌ منكورةٌ ،
فحطَمُوا أصحابَ المُختارِ حَطْمَةً منكورةً ، فكشَفُوهم . وقال عبدُ اللهِ
ابنُ عمرو والنَّهْدِيُّ - وكان من أصحابِ صِفِّينَ : اللّهُمَّ إني علي ما كنتُ
عليه ليلةَ الخَمَيْسِ بصِفِّينَ ، اللّهُمَّ إني أبرأ إليك منِ فِعْلِ هؤلاءِ لأصحابِهِ
حين انهزموا ، وأبرأ إليك منِ أنفُسِ هؤلاءِ - يتعني أصحابُ المصْعَبِ -
ثم جالَدَ بِسَيْفِهِ حتَّى قُتِلَ ، وأتى مالكُ بنُ عمرو أبو نَمْرانِ النَّهْدِيُّ وهو

٧٢٧/٢

على الرجال بفرسه فركبه، وانقصف أصحاب المختار انقصافة شديدة كأنهم أجمعة فيها حريق، فقال مالك حين ركب : ما أصنع بالرُّكوب ! والله لأن أقتلها هنا أحب إلي من أن أقتل في بيتي ؛ أين أهل البصائر ؟ أين أهل الصبر ؟ فتاب إليه نحو من خمسين رجلاً، وذلك عند المساء، فكتر على أصحاب محمد بن الأشعث، فقتل محمد بن الأشعث إلى جانبه هو وعامة أصحابه، فبعض الناس يقول : هو قتل محمد بن الأشعث، ووُجد أبو نمران قتيلاً إلى جانبه - وكيندة تزعم أن عبد الملك بن أشاء الكندي هو الذي قتله - فلما مر المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلاً قال : يا معشر الأنصار، كُروا على الثعالب الرواغة، فحملوا عليهم، فقتل؛ فخشع تزعم أن عبد الله بن قراد هو الذي قتله .

قال أبو مخنف : وسمعت عوف بن عمرو الجشمي يزعم أن مولى لهم قتله، فادعى قتله أربعة نفر، كلهم يزعم أنه قتله، وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ، فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقتلوا، وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلاً من قومه، وغيرهم ضارب حتى قتل، وقاتل المختار على قسم سكة شبث، ونزل وهو يريد ألا يبرح، فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم، وقُتل^(١) معه ليلتئذ رجال من أصحابه من أهل الحفظ، منهم عاصم بن عبد الله الأزدي، وعياش بن خازم الهمداني، ثم الثوري، وأحمر بن هديج الهمداني ثم الفايشي .

قال أبو مخنف : حدثنا أبو الزبير أن همدان تنادوا ليلتئذ : يا معشر همدان، سيفوهم فقاتلوهم أشد القتال ؛ فلما أن تفرقوا عن المختار قال له أصحابه : أيها الأمير، قد ذهب القوم فانصرف إلى منزلك إلى القصر، فقال المختار : أما والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي القصر، فأما إذ انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله ؛ فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى في قتل محمد بن الأشعث :

تَأُوبَ عَيْنِكَ عَوَارُهَا وَعَادَ لِنَفْسِكَ تَذْكَارُهَا

وإحدى لياليك راجعتها
 وما ذاقَتِ العينُ طعمَ الرُّقَا
 وقامَ نَعَاةُ أبي قاسمٍ
 فحقُّ العيونِ على ابنِ الأشجِّ
 وألَّا تَزَالَ تُبَكِّيَ له
 عليك محمدُ لما نُورِدُ
 وما يذكرونك إلا بكوا
 وعارية من ليالي الشتا
 ولا يُنْبِحُ الكلبُ فيها العقورُ
 ولا يَنْفَعُ الثوبُ فيها الفتي
 فأنتَ مُحَمَّدٌ في مثلِها
 تَظَلُّ حِفَاذَكَ رِضْوَعَةٌ
 وما في سقائك مُسْتَلْطَفٌ
 غيا وَهَبَ الرُّصْنَاءُ الصَّبَا
 ويا وَايَةَ الجُرْدِ وَثَلَّ القِدا
 ويا وَهَبَ البَكَراتِ الهِجسا
 وكنْتَ كدِجَّةً إذ تَرْتَسِي
 وكنْتَ جَلِينًا وذا مِرَّة
 وكنْتَ إذا بَنَدَةٌ أَصْفَقَتُ
 بَعَثَتْ عليها ذَوَكِي العيو
 بإذنٍ مِنَ اللَّهِ والخَيْلُ قد
 وقد تُطْعَمُ الخَيْلُ مِنْكَ الوَجِي

أَرِقْتَ وَلَوْمْ سَمَّارُهَا
 دِ حَتَّى تَبْلُجَ إِسْفَارُهَا
 فَاسْبِلْ بِالذَّمْعِ تَحْدَارُهَا
 أَلَّا يُفْتَرَّ . تَقْطَارُهَا
 وَتَبْتَلُ بِالذَّمْعِ أَشْفَارُهَا
 تَ تَبْكِي البِلَادُ وَأَشْجَارُهَا
 إِذَا ذِمَّةُ خَانِهَا جَارُهَا
 لا يَنْمَحُ أَبْسَارُهَا
 إِلا الهَرِيرُ وَتَخْتَارُهَا
 وَلا رَبَّةَ الخِذْرِ تَخْدَارُهَا
 مُهِينُ الجِزائِرِ نَحَّارُهَا
 تَسِيلُ مِنَ الشَّمْعِ أَصْبَارُهَا
 إِذَا الشَّوْنُ رَوْحَ أَغْبَارُهَا
 حَ إِنْ شَبِرَتْ تَمَّ إِشْبَارُهَا
 حَ قَدْ يُعْجِبُ النِّصْفَ شَوَارُهَا
 نِ عُوذًا تَجَاوَبُ أَبْكَارُهَا
 فَيُقَدِّفُ فِي البَحْرِ تِيَّارُهَا
 إِذَا يُبْتَغَى مِنْكَ إِمْرَارُهَا
 وَآذَنَ بِالحَرْبِ جِبَّارُهَا
 نِ حَتَّى تَوَاصِلُ أَخْبَارُهَا
 أُعِدَّ لَذَلِكَ مِضْمَارُهَا
 فَ حَتَّى تُنْبِذَ أَمْهَارُهَا

وقد تعلم البازل العيسمجو ر أنك بالخبت خسارها
 فيا أسفى يوم لاقيتهم وخانت رجالك فرارها
 وأقبلت الخيل مهزومة عئارا تضرب أديارها
 بشط حروراء واستجمعت عليك الموالى وسحارها
 فأخطرت نفسك من دونهم فحاز الرزيئة أخطارها
 فلا تبعدن أبا قاسم فقد يبلغ النفس مقدارها
 وأفنى الحوادث ساداتنا ومر الليلى وتكرارها

٧٣١/٢

قال هشام : قال أبى : كان السائب أتى مع مصعب بن الزبير ، فقتله
 ورعاء النخعى من وهيب ، فقال ورقاء :

من مبلغ عنى عبيدا باننى علوت أخاه بالحسام المهند
 فإن كنت تبغى العلم عنه فإنه صريع لدى الديرين غير مؤسد
 وعمدا علوت الرأس منه بصارم فأتكلته سفیان بعد محمد

قال هشام عن أبى مخنف ، قال : حدثنى حصيرة بن عبد الله ،
 أن هنداً بنت الناعظية كان يجتمع إليها كل غال من الشيعة
 فيتحدث فى بيئتها وفى بيت لىلى بنت قمامة الهذلية ، وكان أحرما رفاعه
 ابن قمامة من شيعة على ، وكان مقتصدًا ، فكانت لا تحبه . فكان
 أبو عبد الله الجدى ويزيد بن شراحيل قد أخبرا ابن الحنفية خبر هاتين
 المرأتين وغلوتهما وخبر أبى الأحراس المرادى والبسطين اللبى وأبى الحارث الكندى .

قال هشام عن أبى مخنف ، قال : حدثنى يحيى بن أبى عيسى ،
 قال : فكان ابن الحنفية قد كتب مع يزيد بن شراحيل إلى الشيعة بالكوفة
 يخذلهم دؤلاء . فكتب إليهم :

٣٢/٢

من محمد بن على إلى من بالكوفة من شيعتنا . أد بعد ، فاخرجوا
 إلى المجالس والمساجد فاذكروا الله علانية وسيرا ولا تتخذوا من دون المؤمنين

بِطَانَةٍ ، فَإِنْ خَشِيتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَاحذَرُوا عَلَى دِينِكُمُ الْكَذَّابِينَ ،
وَأَكثِرُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالذَّعَاءَ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ بِمَمْلُوكٍ
لِأَحَدٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ،
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَاللَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ؛ فاعْمَلُوا
صَالِحًا ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ حَسَنًا ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

قال أبو ميخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله ، أن عبد الله بن
نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين خرج الناس إلى حروراء
وهو يقول : يوم الأربعاء ، ترفعت السماء ، ونزل القضاء ، بهزيمة الأعداء ،
فاخرجوا على اسم الله إلى حروراء . فخرج ، فلما التقى الناس للقتال ضرب
على وجهه ضربة ، ورجع الناس منهزمين ، ولقيه عبد الله بن شريك
النهمدي ، وقد سمع مقالته ، فقال له : ألم تزعم لنا يا بن نوف أننا سنهزمهم !
قال : أو ما قرأت في كتاب الله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ
الْكِتَابِ ﴾ ! قال : فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من
أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة ، فأخذ بهم نحو السبخة ،
فر بالهلب ، فقال له المهلب : يا له فتحاً ما أهناه لو لم يكن محمد بن
الأشعث قتيلاً ! قال : صدقت ، فرحيم الله محمدًا . ثم سار غير بعيد ، ثم قال :
يا مهلب ، قال : لبيك أيها الأمير ؛ قال : هل علمت أن عبيد الله بن
علي بن أبي طالب قد قتل ! قال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، قال :
المصعب : أمّا إنّه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ، ثم لا نجعل
أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه منه ، أتدري (١) من قتله ؟ قال : لا ، قال :
إنما قتله من يزعم أنه لأبيه شيعة ، أما إنهم قد قتلوه وهم يعرفونه .
قال : ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة ، وبعث
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل الكناسه ، وبعث عبد الرحمن
ابن ميخنف بن سليم إلى جببانة السبيع ، وقد كان قال لعبد الرحمن بن ميخنف :
ما كنت صنعت فيما كنت وكلتوك به ؟ قال : أصلحك الله ! وجدت

(١) : « أتدري » .

الناس صنفين ؛ أما من كان له فيك هوى فخرج إليك ، وأما من كان يرى رأى المختار ، فلم يكن ليدعه ، ولا ليؤثر أحداً عليه ، فلم أبرح بسبي حتى قدمت ؛ قال : صدقت ؛ وبعث عبّاد بن الحصين إلى جبّانة كندة ، فكل هؤلاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادة ، وهم في قصر المختار ، وبعث زحر بن قيس إلى جبّانة مراد ، وبعث عبّاد الله بن الحر إلى جبّانة الصائديين .

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج ، قال : لقد رأيت عبّاد الله ابن الحر ؛ وإنه ليطارد أصحاب خييل المختار ، يُقاتلهم في جبّانة الصائديين ولزبما رأيت خييلهم تطرد خيله ، وإنه لوراء خيله يتحميها حتى ينتهي إلى دار عكرمة ، ثم يتكرّر راجعاً هو وخيله ، فيطردهم حتى يلحقهم جبّانة الصائديين ، ولربّما رأيت خيل عبّاد الله قد أخذت السقاء والسقاءين فيضربون ، وإنّما كانوا يأتونهم بالماء أنّهم كانوا يعطونهم بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد . وكان المختار ربّما خرج هو وأصحابه فقاتلوا قتالاً ضعيفاً ، ولا نكاية لهم ، وكانت لا تخرج له خيل إلا رُميت بالحجارة من فوق البيوت ، ويصبّ عليهم الماء القدير . واجترأ عليهم الناس ، فكانت معاشهم أفضلها من نساءهم ، فكانت المرأة تخرج من منزلها معها الطعام واللطف والماء ، قد التحفت عليه ، فتخرج كأنّما تريد المسجد الأعظم للصلاة ، وكأنّها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها ، فإذا دنت من القصر فتدّخّلها ، فدخلت على زوجها وحميميها بطعامه وشرابه ولطفه . وإن ذلك بلغ المصعب وأصحابه ، فقال له المهلب - وكان مجرباً : اجعل عليهم دروباً حتى تمنع من يأتيهم من أهلهم وأبنائهم ، وتدّعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه . وكان القوم إذا اشتدّ عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر . ثم أمر لهم المختار بعسل فصبّ فيه ليغير طعمه فيشربوا منه ، فكان ذلك أيضاً مما يروى أكثرهم . ثم إن مصعباً أمر أصحابه فاقربوا من القصر ، فجاء عبّاد بن الحصين الحبيطي حتى نزل عند مسجد جهينة ، وكان ربّما تقدّم حتى ينتهي إلى مسجد

٧٣٥/٢ بنى مخزوم ، وحتى يرمى أصحابه ممن أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر ، وكان لا يلقى امرأة قريباً من القصر إلا قال لها : ممن أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وما تريدين ؟ فأخذ في يوم ثلاث نسوة للشباميين وشاكر أتيسن أزواجهن في القصر ، فبعث بهن إلى مصعب ، وإن الطعام لمهن ، فردهن مصعب ولم يعرض لهن ، وبعث زحر بن قيس ، فنزل عند الحدادين حيث تكرر الدواب . وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفاً عند دار بلال ، وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفاً عند دار أبيه ، وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بنى جنديمة بن مالك من بنى أسد بن خزيمه ، وجاء المهلب يسير حتى نزل جهار سوج نخيس ، وجاء عبد الرحمن بن مخنف مز قبل دار السقاية ، وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة . أغمار ليس لهم علم بالحرب . فأخذوا يتصيحون - وليس لهم أمير يابن دومة ، يابن دومة ! فأشرف عليهم المختار فقال : أدا والله لو أن الذئب يعترني بدومة كان من القريتين عظيماً ما عيّرني بها . وبصر بهم وبتفرقهم وهبنتهم وانتشارهم ، فطمع فيهم . فقال اطائفة من أصحابه : اخرج معي . فخرج معه منهم نحو من مائتي رجل ، فكر عليهم ، فشدخ نحو مائة ، وهزمهم . فركب بعضهم بعضاً . وأخذوا على دار فرات بن حيان العجلى . ثم إن رجلاً من بنى ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بضمضم . كانت رجلاه تكادان تخيطان الأرض إذا ركب من طوله وكان أقتل شيء للرجال وأهيبته عندهم إذا رأوه ، فأخذ يتحمّل أصحاب المختار فلا يثبت له رجل صمد صمده . وبصر به المختار فحمل عليه فضربه ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه وخر ميتاً . ثم إن تلك الأمراء وتلك الرؤوس أقبلوا من كل جانب ، ف تكن لأصحابه بهم طاعة . فدحوا القصر . فكانوا فيه . فاشتد عليهم الحص فقال لهم المختار : ويحكم ! إن الحصار لا يزيدهم إلا ضعفاً ، انزلوا فلنقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا ، والله ما أنا بآيس إن صدقتمو

أن يتنصركم الله . سَمِعُوا وَعَجِزُوا . فَقَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ تَمَارُؤُا . وَأَعْطَانِي
 بِيَدِي وَلَا أَحْكَمُهُمْ فِي نَفْسِي . وَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدْرَةَ بْنِ هُرَيْرَةَ
 ابْنَ أَبِي وَهَبٍ ، أَيْرِيدَ الْخِثَارِ تَدَلَّى مِنَ الْقَصْرِ سَبْعِينَ فَتَيَّرَ بِأَنَامِ
 مِنْ إِخْوَانِهِ ، فَانْتَبَهَ سَنَدَمُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ الْخِثَارَ أُرِيَ عِلْمَهُ وَرَجَّحَ إِلَى الْقَوْمِ حِينَ
 رَأَى مِنْ أَصْحَابِهِ الضَّعْفَ ، وَرَأَى مَا بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْفِتَنِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ
 أُمِّ ثَابِتِ بِنْتِ سَسْرَةَ بْنِ جُنْدَبِ الْفَزَارِيِّ ، فَأَرَاتُ إِلَيْهِ بِطَيْبٍ كَثِيرًا ،
 فَاغْتَسَلَ وَحَنَطَ ، ثُمَّ وَضَعَ ذَلِكَ الضَّيْبَ عَلَى رَأْسِهِ وَاجْتَبَتْهُ . ثُمَّ خَرَجَ فِي سَعَةِ
 عَشْرَ رَجُلًا ، فِيهِمْ السَّائِبُ بْنُ سَعْدٍ الْأَشْعَرِيُّ - وَكَانَ خَلِيدٌ عَلَيْهِ عِلْمٌ إِذَا
 خَرَجَ إِلَى الْحُدَاثِنِ - وَكَانَتْ تَحْتَهُ عَمْرَةَ بِنْتُ أَبِي سَعْدٍ الْأَشْعَرِيِّ . فَوَدِدَتْ
 أَنْ تَكُونَ مَعَهُ . فَكَانَ مَعَهُ أَبِيهِ فِي الْقَوْمِ . فَتَمَسَّ قَتْلَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ
 مَن فِي الْقَوْمِ وَيُجِئُ صَبِيحًا فَيُكَلِّمُهُمْ . وَأَسَاءَ عَرَجُ الْمُخْتَارِ مِنَ الْقَصْرِ قَالَ
 لِلْسَّائِبِ : مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : الرَّأْيُ لَكَ ، فَمَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : أَنَا أَرَى أَنَّ اللَّهَ
 يَرَى ! قَالَ : اللَّهُ يَرَى . قَالَ : وَيَسْحَكَ ! أَحْمَقُ أَنْتَ ! إِنَّمَا تَرَى
 مِنَ الْعَرَبِ رَأْيَ ابْنِ الزَّيْبِرِ انْتَرَى عَلَى الْحِجَازِ . وَرَأَيْتُ نَجْمَهُ الْفَزَارِيِّ
 عَلَى الْيَمَامَةِ ، وَسُرْوَانَ عَنِ الشَّامِ . فَلَمْ أَكُنْ دُونَ أَحَدٍ مِنَ رِجَالِ الْعَرَبِ ،
 فَأَخَذْتُ هَذِهِ الْبِلَادَ . كُنْتُ فَأَحْدَهُمْ ، إِلَّا أَنِّي قَدْ صَبَّ بَثْرًا هَا بِيَدِي
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَامَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ . فَقَالَتْ لِي : كَيْفَ تَرَى ؟
 وَبَالَغْتَ لِي ذَلِكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا . فَمَا تَرَى عَلَيَّ حَسْبَكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ بَيْتَةٌ ؟
 فَقَالَ : ﴿ إِنَّا بَدَأْنَا بِإِلَهِهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، وَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ أَنْ أَقَابَ عَلَيَّ حَسْبِي !
 فَقَالَ الْخِثَارُ عِنْدَ ذَلِكَ بِتَمَثُّلٍ بِقَوْلِ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مَعْتَبِ الْأَقْفِيِّ :
 وَلَوْ يَرَانِي أَبُو غَيْلَانَ إِذْ حَسَرَتْ عَنِّي الْهَمُومُ بِأَمْرِ مَالِهِ مَطْبِقُ
 لِقَالِ رَنْبَاءَ وَرُعْبَاءَ يُجْمَعَانِ مَعًا غَنَمُ الْحَيَاةِ وَهَذَا النَّفْسِ وَأَنْدَفَقُ
 إِذَا تُسِفَ عَلَى مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ أَوْ إِسْوَةٍ لَكَ فِيمَنْ تُهَيِّبُ الْوَرَقُ
 فَخَرَجَ فِي تِسْعَةِ عَشْرَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ تَنْوِنُونِي وَأَخْرُجُ إِلَيْكُمْ ؟ فَقَالُوا :
 لَا ، إِلَّا عَلَى الْحُكْمِ ، فَقَالَ : لَا أَحْكَمُكُمْ فِي نَفْسِي أَبَدًا ، فَضَارِبُ بَسِيفِهِ
 حَتَّى تَمُوتَ . وَقَدْ كَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ أَبَوْا أَنْ يُتَابِعُوهُ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ :

إذا أنا خرجتُ إليهم فقتلتُ لم تزدادوا إلاَّ ضعفاً وذُلًّا ، فإنَّ نزلتم علي حكمهم وثب أعداؤكم الذين قد وترتموهم ، فقال كلُّ رجلٍ منهم لبعضكم : هذا عندَه ثأري فيُقتل ، وبعضكم ينظرُ إلى مصارع بعض فيقولون : يا ليتنا أطعمنا المختار وعميلنا برأيه ! ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفرَ ممَّ كرامًا ، وإن هرب منكم هاربٌ فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته ؛ أنتم غدًا هذه الساعة أذلَّ من علي ظهر الأرض ، فكان كما قال .

قال : وزعم الناسُ أنَّ المختار قُتِلَ عند موضع الزياتين اليوم ، قتله رجلان من بني حنيفة أخوان يُدعى أحدهما طرفةً والآخر طرفًا ؛ ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة . ولما كان من الغد من قتل المختار قال بجير بن عبد الله المُسلي : يا قوم ، قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالرأى لو أطعموه . يا قوم ، إنكم إن نزلتم علي حكم القوم ذُبِحتم كما تُذبح الغنم ، اخرجوا بأسيافكم فقاتلوا حتى تموتوا كرامًا . فعصوه وقالوا : لتد أمرنا بهذا من كان أطوعَ عندنا وأنصح لنا منك . فعصيناه ، أفنحن (١) نُطيعك ! فأمكن القوم من أنفسهم ، ونزلوا علي الحُكُم . فبعث إليهم مصعب (٢) عبَّاد بن الحُصَيْن الحَبِطِي فكان هو يُخرجهم مكتفين . وأوصى عبد الله بن شدَّاد الجُشَمِي إلى عبَّاد بن الحُصَيْن ، وطلب عبد الله ابن قُرَاد عصا أو حديدة أو شيئًا يقاتل به فلم يجده ، وذلك أنَّ الندامة أدركته بعد ما دخلوا عليه ، فأخذوا سيفه ، وأخرجوه مكتوفًا ، فرَّ به عبدُ الرحمن وهو يقول :

ما كنتُ أخشى أن أرى أسيرًا إنَّ الذين خالفوا الأميرًا
قد رُغموا وتبرُّوا تتبيرا •

فقال عبدُ الرحمن بنُ محمد بن الأشعث : عليّ بذا ، قد تموه إلى أضرب عنقه ، فقال له : أما إني علي دين جدك الذي آمنَ ثم كفر ، إن لم أكن ضربت أباك بسيفي حتى فاظ . فنزل ثم قال : أدنوه مني ، فأدنوه منه ،

(٢) ف : « المصعب » .

(١) ا : « فنحن » .

فقتله ، فغضب عباد ، فقال : قتلته ولم تؤمر بقتله !
 ومرّ بعبد الله بن شدّاد الجشمي وكان شريفاً ، فطلب عبد الرحمن إلى
 عباد أن يتحبسه حتى يكلم فيه الأمير ، فأتى مصعباً ، فقال : إني أحب
 أن تدفع إلى عبد الله بن شدّاد فأقتله ، فإنه من الثار ، فأمر له به ،
 فلما جاءه أخذه ف ضرب عنقه ، فكان عباد يقول : أما والله لو علمت أنك
 إنما تريد قتله لدفعته إلى غيرك فقتله ، ولكني حسبت أنك تكلمه فيه
 فتخلّى سبيله . وأتى بابن عبد الله بن شدّاد ، وإذا اسمه شدّاد ، وهو رجل
 محتلم ، وقد اطلت بنورة ، فقال : اكشفوا عنه هل أدرك ! فقالوا : لا ،
 إنما هو غلام ، فخلوا سبيله ، وكان الأسود بن سعيد قد طلب إلى مصعب
 أن يعرض على أخيه الأمان ، فإن نزل تركه له ، فأتاه فعرض عليه الأمان ،
 فأبى أن ينزل ، وقال : أموت مع أصحابي أحبّ إلى من حياة معكم ،
 وكان يقال له قيس ، فأخرج فقتل فيمن قتل ؛ وقال يسجير بن
 عبد الله السليبي - ويقال : كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس
 كثير - فقال له السليبي : الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار ، وابتلاك بأن تغفوا
 عنا ، وهما منزلةتان إحداهما رضا الله ، والأخرى سخطه ، من عفّا الله عنه ،
 وزادّه عزّاً ، ومن عاقب لم يأمن القصاص . يا ابن الزبير ، نحن أهل
 قبيلتكم ، وعلى ميلتكم ، ولنا تركا ولا ديلاً ، فإن خالفنا إخواننا
 من أهل مصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطوا ، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا ،
 فاقتلنا كما اقتل أهل الشام بينهم ، فقد اختلفوا واقتلوا^(١) ثم اجتمعوا ،
 وكما اقتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتلوا ثم اصطاحوا واجتمعوا ،
 وقد ملكتم فاصبحوا ، وقد قد رتم فاعفوا . فما زال بهذا القول ونحوه حتى
 رقّ لهم الناس ، ورقّ لهم مصعب ، وأراد أن يخلّى سبيلهم ، فقام
 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : تخلّى^(٢) سبيلهم ! اخترنا يا ابن
 الزبير أو اخترهم . ووثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني

(١) ف : « فقد اختلفوا واقتلوا » .

(٢) ف : « أتخل » .

سنة من بعد ذلك، انشأوا في العشرة وأهل المصر (١) ثم
بأمر من أمير المؤمنين (عليه السلام) سارنا أو اخترناهم . ووثب

كما قدمناها من قبلنا في أول الأمر من أجل أننا نحوا من هذا القول .

في يوم من أيامنا من الزبير فأنزلنا فيهم ، فناروه بأجدهم : يابن

الذي كان فينا من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا لم نقتل حتى ذقتهم لكم (٢) ،

فمن بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

من بعد ذلك من قبلنا من أهل الشام نداء . فوالله ما بك ولا

١٤٢٠٢

Marfat.com

ثم إنه^(١) كتب إلى ابن الأشتر^(٢) يدعو إلى طاعته، ويقول له : إن أنت أجبته في ودخلت في طاعتي فلك الشام وأعينه الخيل ، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام آل الزبير سلطان . وكتب^(٣) عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعو إلى طاعته ، ويقول : إن أنت أجبته في ودخلت في طاعتي فلك العراق . فدعا إبراهيم أصحابه فقال : ما ترون ؟ فقال بعضهم : تدخل في طاعة عبد الملك ، وقال بعضهم : تدخل مع ابن الزبير في طاعته ، فقال ابن الأشتر : ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبع عبد الملك ؛ مع أني لا أحب أن أختار على أهل مصر ميصراً ، ولا على عشيرتي عشيرة . فكتب إلى مصعب ، فكتب إليه مصعب أن أقبل ، فأقبل إليه بالطاعة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جندب الكلبي أن كتاب مصعب قدم على ابن الأشتر وفيه :

أما بعد ، فإن الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر ، وكادوا بالسحر^(٤) ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى بيعة أمير المؤمنين ، فإن أجبته إلى ذلك فأقبل إلى ، فإن لك أرض الجزيرة وأرض المغرب^(٥) كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير ، لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد ؛ والسلام .

وكتب إليه عبد الملك بن مروان :

أما بعد ، فإن آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى ، ونازعوا الأمر أهله ، وألحدوا في بيت الله الحرام^(٦) والله مُمكِن منهم ، وجاعل دائرة السوء عليهم ، وإني^(٧) أدعوك إلى الله وإلى سنة نبيه ، فإن قبلت وأجبته فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت ، على بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه .

قال : فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب ، واستشارهم في الرأي ، فقائل

(٢) ف : « إبراهيم بن الأشتر » .

(١) ف : « وإنه » .

(٤) ف : « وكانوا علماء بالسحر » .

(٣) ف : « وكتب إليه » .

(٦) ف : « واتخذوا الحرم حلاً » .

(٥) ا ، س : « العرب » .

(٧) ف : « فإني » .

يقول عبد الملك ؛ وقائل يقول : ابن الزبير ؛ فقال لهم : ورأى اتباع أهل الشام ، ولكن كيف لي بذلك ، وليس قبيلة تسكن الشام إلا وقد وترتتها ، ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري^(١) ! فأقبل إلى مصعب ، فلما بلغ مصعبا إقباله^(٢) بعث المهلب إلى عمله ، وهي^(٣) السنة التي نزل فيها المهلب على الفرات .

قال أبو مخنف : حدثني أبو علقمة الخثعمي أن المصعب بعث إلى أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري - وهي امرأة المختار - فقال لهما : ما تقولان في المختار ؟ فقالت أم ثابت : ما عسينا أن نقول ! ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم ، فقالوا لها : اذهبي ، وأما عمرة فقالت : رحمة الله عليه ، إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فرفعها مصعب إلى السجن ، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير إنها تزعم أنه نبي ، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها . فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة ، فضربها مطراً ثلاث ضربات بالسيف - ومطراً تابع لآل قفل من بني تميم الله بن ثعلبة ، كان يكون مع الشرط - فقالت : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه ! فسمع بها بعض الأنصار ، وهو أبان بن النعمان بن بشير ، فأتاه فلقطه وقال له : يا ابن الزانية ، قطعت نفسك قطع الله يمينك ! فلزمه حتى رفعه إلى مصعب ، فقال : إن أمي مسلمة ، وادعى شهادة بني قفل ، فلم يشهد له أحد ؛ فقال مصعب : خلوا سبيل انفي فإنه رأى أمراً فظيماً ، فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عمرة بنت النعمان بن بشير :

إن من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرة عطبول^(٣)
قتلت هكذا على غير جرم إن الله درها من قتيل
كئيب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذبول

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن يوسف ، أن مصعبا لقي عبد الله بن

(١) ف : « ولا أهل مصري » . (٢) بعد ما في ف : « إليه » . (٣) ملحق ديوانه ٤٩٨ .

عمر فسلم عليه ، وقال له : أنا ابنُ أخيك مصعب ، فقال له ابنُ عمر :
نعم ، أنتَ القاتلُ سبعةَ آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ! عيشُ
ما استطعت ! فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة سحررة ؛ فقال ابنُ عمر :
والله لو قتلت عدتهم غنمًا من تراثِ أبيك لكان ذلك سرفًا ؛
فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك :

أتى راكبٌ بالأمر ذى النبأ العجبُ
بقتل فتاة ذاتِ دلٍّ ستيرةٍ
مطهرةٍ من نسلِ قومِ أكارمِ
خليلِ النبيِّ المصطفى ونصيرةٍ
أتانى بأنَّ الملحدين توافقوا
فلا هنأت آلَ الزبير معيشةً
كأنهم إذ أبرزوها وقطعت
ألم تعحب الأقسام من قتلِ حرّةٍ
من الغافلاتِ المؤمناتِ ، بريئةٍ
علينا كتابُ القتلِ والبأسِ واجبٌ
على دينِ أجدادِ لها وأبوةٍ
من الخفريات لا خروجٌ بذيئةٍ
ولا الجارذى القربى ولم تذر ما الخنا
عجبتُ لها إذ كُفنت وهى حيةٌ

بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسب
مُهذبة الأخلاقِ والخيمِ والنسبِ
من المؤثرين الخير في سالفِ الحقبِ
وصاحبه في الحربِ والنكبِ والكربِ
على قتلها لاجنبوا القتلِ والسلبِ
وذاقوا لباسَ الذلِّ والخوفِ والحربِ
بأسيا فيهم فازوا بمملكة العربِ
من المخصنات الدين محمودة الأدبِ !
من الذمِّ والبُهتانِ والشكِّ والكذبِ
وهنَّ العفافُ فى الحجالِ وفى الحجبِ
كرام مَضت لم تُخزِ أهلا ولم تُربِ
ملائمة تبغى على جارها الجنبِ
ولم تزدلف يوماً بسوءٍ ولم تحبِ
ألا إن هذا الخطب من أعجبِ العجبِ

حدثت عن علي بن حرب الموصلى ، قال : حدثني إبراهيم بن
سليمان الحنفى ، ابن أخى أبى الأحوص ، قال : حدثنا محمد بن أبان ، عن
علقمة بن مرثد ، عن سويد بن غفلة ، قال : بيئنا أنا أسيرُ بظَهْرِ
التجف إذ لاحتنى رجل فطعننى بمِخْصَرَةٍ مِن نَحْلَى ، فالتفتُ إليه ، فقال :

ما قولك في الشيخ؟ قلتُ: أيّ الشيوخ؟ قال: عليّ بنُ أبي طالب؛ قلتُ: إني أشهد أني أحبه بسَمْعِي وببصري وقلبي ولساني؛ قال: وأنا أشهدك أني أبغضه بسَمْعِي وببصري وقلبي ولساني. فسيرنا حتى دخلنا الكوفة، فافترقنا، فمكثت بعد ذلك سنين - أو قال: زَمَانًا - قال: ثمّ إني لفي المسجد الأعظم إذ دخل رجلٌ معتمٌ يتصفح وجوهَ الخلق، فلم يزل ينظر فلم يرَ لِحْيِي أَحْمَقَ من لِحْيِي هَمْدَانَ، فجلس إليهم، فتحوّلتُ فجلستُ معهم، فقالوا: من أين أقبلتَ؟ قال: من عند أهل بيتِ نبيّكم، قالوا: فإذا جئتنا به؟ قال: ليس هذا موضع ذلك، فوعدهم من الغد موعداً، فتغدّأ وغدوت، فإذا قد أخرج كتاباً معه في أسفله طابع من رصاص، فدفعه إلى غلام، فقال له: يا غلام، اقرأه - وكان أمياً لا يكتب - فقال الغلام: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ للمختار بنِ أبي عبّيد كُتِبَ له وصي آلِ محمد؛ أمّا بعد فكذا وكذا.

فاستفرغَ القومُ البُكاءَ، فقال: يا غلام، ارفع كتابك حتى يُفِيقَ القومُ؛ قلتُ: معاشرَ هَمْدَانَ، أنا أشهد بالله لقد أدركني هذا بظَهْرِ النَّجْفِ، فمَتَّصَتُ عليهم قصّته، فقالوا: أبيتَ واللهِ إلاّ تشببنا من آلِ محمد، وتزيبنا لنعشَلِ شَقَاقِ المَصْحَافِ. قال: قلتُ: معاشرَ هَمْدَانَ، لا أحدَ ثَمَّ إلاّ ما سمعته أذُنَاي، ووعاه قَلْبِي من عليّ بنِ أبي طالب عليه السلام، سمعته يقول: لا تُسَمِّوا عُمَانَ شَقَاقِ المَصْحَافِ، فوالله ما شققها إلاّ عن ملائمتنا أصحاب محمد، ولو وليتها لعَمِلْتُ فيها مثلَ الذي عمل؛ قالوا: آله أنت^(١) سمعتَ هذا من عليّ؟ قلتُ: والله لأنا سمعته منه^(٢)، قال: فتفرّقوا عنه، فعند ذلك مالَ إلى العبيد، واستعلا بهم، وصنع ما صنع.

قال أبو جعفر: واقتصر الواقدي من خبر المختار بنِ أبي عبّيد بعض ما ذكرنا، فخالف فيه من ذكرنا خبره، فزعم أن المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مُصعبِ البَصْرَةِ، وأن مُصعباً لما

(١) ف: «أنك». (٢) أ: «والله ما قلت إلا ما سمعته منه».

سار إليه فبلغه سيره إليه بعث إليه أحمر بن شبيب البجلي، وأمره أن يواقع بالمدار، وقال: إن الفتح بالمدار؛ قال: وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل: إن رجلاً من ثقيف يفتتح عليه بالمدار فتح عظيم، فظن أنه هو، وإنما كان ذلك للحجاج بن يوسف في قتاله عبد الرحمن بن الأشعث. وأمر مصعب صاحب مقدمته عبيد الحبيطي أن يسير إلى جتمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب، ونزل مصعب، نهر البصريين على شط الفرات، وحفر هنالك نهراً فسمى نهر البصريين من أجل ذلك. قال: وخرج المختار في عشرين ألفاً حتى وقف بإزائهم وزحف مصعب ومن معه، فوافوه مع الليل على تعبئة، فأرسل إلى أصحابه حين أمتى: لا يبرحن أحد منكم موقفه حتى يسمع منادياً ينادى: يا محمد، فإذا سمعتموه فاحملوا. فقال رجل من القوم من أصحاب المختار: هذا والله كذاب على الله، وانحاز ومن معه إلى المصعب، فأهل المختار حتى إذا طلع القمر أمر منادياً، فنادى: يا محمد؛ ثم حتملوا على مصعب وأصحابه فهزمهم، فأدخلوه عسكره، فلم يزلوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد، وإذا أصحابه قد وغلوا في أصحاب مصعب، فانصرف المختار منهزماً حتى دخل قصر الكوفة، فجاء أصحاب المختار حين أصبحوا، فتوقفوا ملكياً، فلم يروا المختار، فقالوا: قد قتل، فهرب منهم من أطاق الهرب، واختفوا في دور الكوفة، وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يتجلبوا من يقاتل بهم، ووجدوا المختار في القصر، فلنخلوا معه، وكان أصحاب المختار، قتلوا^١ في تلك الليلة من أصحاب مصعب^١ بشراً كثيراً، فيهم محمد بن الأشعث، وأقبل مصعب حين أصبح حتى أحاط بالقصر، فأقام مصعب^١ يثأرهم أربعة أشهر يخرج إليهم في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد، ولا يتقدّر عليه حتى قتل المختار، فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الأمان، فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه، فلما نزلوا على حكمه قتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك، وسائرهم

٧٤٩/٢

(١ - ١) ف : من أصحاب مصعب في تلك الليلة .

من العجم ، قال : فلما خرجوا أراد مُصعب أن يقتل العجم ويترك العرب ، فكلّمه من معه ، فقالوا : أي دين هذا ؟ وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحد ! فقدّمهم فصرّب أعناقهم .

قال أبو جعفر : وحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : لما قُتِل المختار شاور مصعب أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه ، فقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس وأشباههم ممن وترهم المختار : اقتلهم ، وضجّت ضبّة ، وقالوا : دم مُنذر بن حسان ؛ فقال عبيد الله بن الحرّ : أيتها الأمير ، ادفع كل رجل في يدك إلى عشيرته ممن عليهم بهم ، فإنهم إن كانوا قتلونا فقد قتلناهم ، ولا غني بنا عنهم في ثغورنا ، وادفع عبيدنا الذين في يدك إلى مواليتهم فإنهم لأيتامنا وأراميلنا وضُعفائنا ، يردونهم إلى أعمالهم ، واقتل هؤلاء الموالى ، فإنهم قد بدا كفرهم ، وعظم^(١) كبرهم ، وقل شكرهم . فضحك مُصعب وقال للأحنف : ما ترى يا أبا بَحر ؟ قال : قد أرادني زيادٌ فعصيته - يعرض بهم - فأمر مصعب بالقوم جميعاً فقتلوا ، وكانوا ستة آلاف ، فقال عقبه الأسدّي :

قتلتم سنة الآلاف صبراً مع العهد الموثق مكتفينا
جعلتم ذمة الحبطي جسراً ذلواً ظهره للواطئينا
وما كانوا غداة دُعوا فغروا^(٢) بعهدهم بأول حائنيننا
وكنت أمرتهم لو طاوعوني بضرّب في الأزقة مُصلتيننا

وقُتِل المختار - فيما قيل - وهو ابن سبع وستين سنة ، لأربع عشرة نخلت من شهر رمضان في سنة سبع وستين .

فلما فرغ مصعب^(٣) من أمر المختار وأصحابه ، وصار إليه إبراهيم ابن الأشتر وجه المهلب بن أبي صفرة على المتوصل والحزيرة وآذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة .

(١) ف : « ظهر » . (٢) ف : « فغروا » . (٣) ف : « المصعب » .

[خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب]

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة ، وبعث بابنه حمزة بن عبد الله إليها ، فاختلف في سبب عزله إتياء عنها ، وكيف كان الأمر في ذلك .

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر ، قال : حدثني علي بن محمد قال : لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها إلى الخمار ، واستخلف على البصرة عبيد الله بن معمر ، فقتل المختار ، ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وجسه عنده ، واعتذر إليه من عزله ، وقال : والله إني لأعلم أنك أحرى وأكفى من حمزة ، واكنى رأيت فيه رأى عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري رولاه .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قدم حمزة بالبصرة والياً ، وكان جواداً سخياً مخلطاً ، يجود أحياناً حتى لا يتدع شيئاً يملكه ، ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله ، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف ، فيقال : إنه ركب يوماً إلى فيض البصرة ، فلما رآه قال : إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفيهم صيغتهم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً ، فقال : قد رأيت هذا ذات يوم ، وظننت أن لن يكفيهم ، فقال له الأحنف : إن هذا ماء يأتينا ثم يتغيض عنا . وشخص إلى الأهواز ، فلما رأى جبلها قال : هذا قعيقعان - لموضع بمكة - فسُمي الجبل قعيقعان ، وبعث إلى مرذانشاه فاستحثه بالحراج ، فأبطأ به ، فقام إليه بسيفه فضربه فقتله ، فقال الأحنف : ما أحد سيف الأمير !

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر ، وهمم بعبد العزيز بن بشر أن يضربه ، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك ، وسأله أن يعيد مصعباً . قال : وحمزة الذي عقد لعبد الله بن عمير الليثي على قتال التجدية بالبحرين .

حدثني عمر، قال : حدثنا علي بن محمد، قال : لما عزل ابن الزبير حمزة احتتمل مالا كثيرا من مال البصرة، فعرض له مالك بن مسهم، فقال : لا ندعك تخرج بأعطياتنا . فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء ، فكف ، وشخص حمزة بالمال ، فإك أباه وأتى المدينة ، فأودع ذلك المال رجلا ، فذهبوا به إلا يهوديا كان أودعه فتوفى له ، وعلم ابن الزبير بما صنع ، فقال : أبعده الله ! أردت أن أباهي به بن مروان فنتكص .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف في أمر مصعب وعزل أخيه إياه عن البصرة وردّه إياه إليها غير هذه القصة ، والذي ذكر من ذلك عنه في سياق خبر حدثت به عنه (١) ، عن أبي المخارق الراسبي ، أن مصعبا لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة ، فزله عنها عبد الله ، وبعث ابنه حمزة ، فمكث بذلك سنة ، ثم إنه وفد على أخيه عبد الله بمكة ، فردّه على البصرة .

وقيل : إن مصعبا لما فرغ من أمر السُّخار انصرف إلى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . قال : وقال محمد بن عمر : لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . وكان عامله على الكوفة مصعب ، وقد ذكرت اختلاف أهل السير في العامل على البصرة . وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، وبالشام عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمي .

٧٥٣/٢

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من ردّ عبد الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً ، وقد ذكرنا السبب في ردّ عبد الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً بعد عزله إياه ، ولما رده عليها أميراً بعث مصعب الحارث بن أبي ربيعة على الكوفة أميراً ، وذلك أنه بدأ بالبصرة مترجعه إلى العراق أميراً بعد الغزل ، فصار إليها .

•••

[ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق]

وفي هذه السنة كان مترجع الأزارقة من فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة ، ودخلوا المدائن .

• ذكر الخبر عن أميرهم ومسيرهم ومترجعهم إلى العراق :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو المخارق الراسبي ، أن مُصعباً وجهه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميراً ، وكانت الأزارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحي أصبتهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالأهواز ، فلما شخص المهلب عن ذلك الوجه ووجهه إلى الموصل ونواحيها عاملاً عليها ، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس ، انحطت الأزارقة مع الزبير بن الماحوز على عمر بن عبيد الله بفارس ، فلقيتهم بسابور ، فقاتلتهم قتالا شديداً ، ثم إنه ظفر بهم ظفراً بيننا ، غير أنه لم يكن بينهم كثير^(١) قتل ، وذهبوا^(٢) كأنهم على حامية ، وقد تركوا على ذلك المعركة .

قال أبو مخنف : فحدثني شيخ للحى بالبصرة ، قال : إني لأسمع قراءة

كتاب عمر بن عبيد الله^(٣) :

(١) ف : « كبير » .

(٢) ف : « فركبوا » .

(٣) بعدها في ف : « ابن معمر » .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإني أخبرُ الأميرَ أصدَحه الله أبي
لقبتُ الأزرقة التي مَرَقَت من الدين واتبعت أهواءها بغيرِ هُدَى من الله ،
فقاتلتُهم بالمسلمين ساعةً من النهار أشدَّ القتال . ثم إنَّ الله ضربَ وجوهَهم
وأدبارَهم ، ومنحنا أكافئهم ، فقتل اللهُ منهم منْ خابَ وخسِر ، وكلُّ إلى
خُسْران . فكتبتُ إلى الأميرِ كتابي هذا وأنا على ظَهْرِ فَرَسِي في طلبِ
القرم ، أرجو أن يتجدَّهم ^(١) الله إن شاء الله ؛ والسلام .

ثم إنَّه تبعهم ومضوا من فورهم ذلك حتى نزلوا إصطخرا ، فسار إليهم
حتى لقيهم على قنطرة طمستان ^(٢) ، فقاتلهم قتالا شديداً ، وقتل ابنه .
ثم إنه ظفّر بهم ، فمَظَعوا قنطرة طمستان ، وارتفعوا إلى نحو من أصبهان
وكرمان ، فأقاموا بها حتى اجتمعت قوتوا وقتلوا ، واستعدوا وكشروا ، ثم أقبلوا
حتى مروا بفارس وبها عمرُ بنُ عبِيد الله بنِ معمر ، فمَظَعوا أرضه من
غيرِ الوجه الذي كان فيه أخذوا على سابور ، ثم خرجوا على أرجان ، فلما
رأى عمرُ بنُ عبِيد الله أن قد قطعت الخوارج أرضه متوجهة إلى البصرة خشي
ألا يحتملها له مصعبُ بنُ الزبير ، فشمَّر في آثارهم مُسرِعاً حتى أتى
أرجان ، فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قبلاً إلى أهواز ، وبلغ مصعباً ^(٣)
إقبالهم ، فمَظَع فمسكر بالناس بالجسر الأكبر ، وقال : والله ما أدري
ما الذي أغنى عني أن وضعتُ عمرَ بنَ عبِيد الله بفارس ، وجعلتُ معه
جُنُداً أجرى عليهم أرزاقهم في كلِّ شهر ، وأوفيتهم أعطياتهم في كلِّ سنة ،
وأمرُهم من المتعاون في كلِّ سنة بمثلِ الأعطيات ، تقطع أرضه الخوارج
إلى ! وقد قطعتُ علته فأمددته بالرجال وقويتهم ، والله لو قاتلتهم ثم فرَّ كان
أعذرَ له عندي ، وإن كان الفارَّ غيرَ مقبولِ العذر ، ولا كريمِ الفعل .

وأقبلت الخوارجُ وعليهم الزبيرُ بن الماحوز حتى نزلوا الأهواز ، فأتتهم عيونهم
أن عمر بن عبِيد الله في أثرهم ، وأن مصعب بن الزبير قد خرج من البصرة
إليهم ، فقام فيهم الزبيرُ فحميد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنَّ

(١) س : « ويخزيهم » . (٢) س : « طمسيان » ، ف : « طمسيان » ، وفيه من

غير نقط . (٣) ف : « وبلغ ذلك مصعباً » .

مِنْ سِوَى الرَّأْيِ وَالْحَيْرَةِ^(١) وَقُوعُكُمْ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ الشُّوْكَتَيْنِ ، انْهَضُوا
بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا نَسَلِقَهُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى قَطَعَ بِهِمْ أَرْضَ
جُوخَى ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى النَّهْرِ وَأَنَاتَ ، ثُمَّ لَزِمَ شَاطِئَ دِجْلَةَ حَتَّى نَخْرَجَ عَلَى
الْمَدَائِنِ وَبِهَا كَرْدَمُ بْنُ مَرْثَدِ بْنِ نَجْبَةَ الْفَزَارِيِّ ، فَشَنَتُوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ
الْمَدَائِنِ ، يُقْتَلُونَ الْوِلْدَانَ وَالنِّسَاءَ وَالرِّجَالَ ، وَيَبْقَرُونَ الْحَبَّالَى ، وَهَرَبَ
كَرْدَمُ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى سَابِاطَ فَوَضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِي النَّاسِ ، فَتَقَتَلُوا أُمَّ وَدَّ لِرَبِيعَةَ
ابْنِ مَاجِدٍ^(٢) ، وَقَتَلُوا بُنَانَةَ ابْنَةَ أَبِي يَزِيدِ بْنِ عَاصِمِ الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَتْ قَدْ
قَرَأَتْ الْقُرْآنَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ ، فَلَمَّا غَشَوْهَا^(٣) بِالسَّيْفِ قَالَتْ :
وَيُنْحَكُمْ ! هَلْ سَمِعْتُمْ بَأْنَ الرِّجَالِ كَانُوا يُقْتَلُونَ النِّسَاءَ ! وَيُنْحَكُمْ ! تَقْتَلُونَ مِنْ^(٤)
لَا يَبْسُطُ إِلَيْكُمْ يَدًا ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ ضَرًّا ، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ! أَتَقْتَلُونَ
مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْتُلُوهَا ،
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : لَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمُوهَا ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَعْجَبَكَ جَمَالُهَا
يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! قَدْ كَفَرْتَ وَافْتَتَنْتَ ، فَانصُرْ الْآخِرَ عَنْهُمْ وَتَرَكْتَهُمْ ، فَظَنْنَا
أَنَّهُ فَارَقَهُمْ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَقَتَلُوهَا ، فَقَالَتْ رَيْطَةُ بِنْتُ يَزِيدٍ : سُبْحَانَ
اللَّهِ ! أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَرْضَى بِمَا تَصْنَعُونَ ! تَقْتَلُونَ النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ وَمَنْ لَمْ
يُنْذَبْ إِلَيْكُمْ ذَنْبًا ! ثُمَّ انصُرْفَتْ وَحَمَلُوا عَلَيْهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا الرَّوَّاعُ بِنْتُ
إِيَّاسِ بْنِ شُرَيْحِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَهِيَ ابْنَةُ أَخِيهَا لِأُمِّهَا ، فَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَضَرَبُوهَا
عَلَى رَأْسِهَا بِالسَّيْفِ ، وَيَصِيبُ ذُبَابُ السَّيْفِ رَأْسَ الرَّوَّاعِ فَسَقَطْنَا جَمِيعًا
إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَاتَلَهُمْ إِيَّاسُ بْنُ شُرَيْحِ سَاعَةً ، ثُمَّ صُرِعَ فَتَوَقَّعَ بَيْنَ
الْقَتْلِ ، فَتَزَعَوْا عَنْهُ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ ، وَصُرِعَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ
ابْنِ وَائِلٍ يُقَالُ لَهُ : رَزِينُ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ .

فَلَمَّا انصُرَفُوا عَنْهُمْ لَمْ يَمِتْ غَيْرُ بُنَانَةَ بِنْتُ أَبِي يَزِيدِ ، وَأُمَّ وَدَّ رَبِيعَةَ
ابْنِ نَاجِدٍ ، وَأَفَاقَ سَائِرُهُمْ ، فَسَقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْمَاءِ ، وَعَصَبُوا جِرَاحَاتِهِمْ
ثُمَّ اسْتَأْجَرُوا دَوَابَّ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْكُوفَةِ .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَتْنِي الرَّوَّاعُ ابْنَةُ إِيَّاسِ ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ

(١) س : «والحين» . (٢) ف : «ناحد» ، س : «ناجز» . (٣) ف : «أن غشوها» .

رجلاً قطّ كان أجبين من رجل كان معنا وكان معه ابنته ، فلما غُشينا ألقاها إلينا وهرب عنها وعنّا^(١) ولا رأينا رجلاً قطّ كان أكرم من رجل كان معنا ، ما نعرفه ولا يتعرفنا ، لَمَّا غُشينا قاتل دوننا حتى صُرِع بيننا ، وهو رُزين بن المتوكل البكرى . وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا . ثمّ إنّه هلك في إمارة الحجاج ، فكانت ورثته الأعراب ، وكان من العباد الصالحين .

قال هشام بن محمد - وذكره عن أبي مخنف - قال : حدثني أبي ، عن عمّه أن مُصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على إسّتان العال ، فلما قدّم الحارث بن أبي ربيعة أقصاه ، ثمّ أقرّه بعد ذلك على عمله السّنة الثانية ، فلما قدّمت الخوارج المدائن سرّحو إليه عصابة منهم ، عليها صالح بن ميخراق ، فليقبه^(٢) بالكرخ فقاتله ساعة ، ثمّ تنازكوا فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج ، فقتل أبو بكر ويسار مولاة وعبد الرحمن بن أبي جيعال ، ورجل من قومه ، وانتهزَم سائر أصحابه ، فقال سرّاقة بن مِرْداس البارقي في بطن من الأزد :

ألا يا قومي للهوم الطّوارق
ومقتل غطريف كريم نجاره
أتاني دوين الخيف قتل ابن مخنف
فقلت : تلاقك الإله برحمة
لحا الله قوماً عرّدوا عنك بكرة
تولّوا فأجلّوا بالضّحى عن زعيمنا
فأنت متى ما جئتنا في بيوتنا
وللحدّث الجائي بإحدى الصّفائق^(٣)
من المقدمين الذّائدين الأصادق^(٤)
وقد غوّرت أولى النجوم الخوافق
وصلّى عليك الله ربّ المشارق
ولم يصبروا للامعات البوارق
وسيدنا في المأزق المتضايق
سمعت عويلاً من عوان وعاتق

٧٥٨/٢

(١) ف : « عنا وعنّا » .

(٢) ديوانه ٥٣ - ٥٦ ، مع اختلاف في الرواية .

(٣) ١ : « المقدمين الباسلين » .

(٤) ف : « فلقيم » .

يُبَكِّينَ محمودَ الضَّرِيْبَةَ ماجداً صَبوراً لَدَى الهَيْجَاءِ عِنْدَ الحَقَائِقِ
لقد أَصْبَحْتُ نَفْسِي لَدَاكَ حَزِينَةً وشابِتُ لِمَا حَمَلْتُ مِنْهُ مَفَارِقِي

قال أبو مخنف : فحدثني حذرة بن عبد الله الأزدي ، وأنضر
ابن صالح العبسي ، وفضيل بن خديج ، كلهم أخبرني^(١) أن الحارث بن
أبي ربيعة [الملقب بالقباع]^(٢) أتاه أهل الكوفة ، فصاحوا إليه وقالوا له :
اخرج فإن هذا عدو لنا قد أظلم علينا^(٣) ليست له بقية ، فخرج
وهو يكذب كذا^(٤) حتى نزل النخيلة فأقام بها أياماً ، فتوثب إليه
إبراهيم بن الأشتر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنه
سار إلينا عدو ليست له تقيّة^(٥) ، يقتل الرجل والمرأة والمولود ، ويخيف
السبيل ، ويخرب البلاد ، فانهض بنا إليه ، فأمر بالرحيل . فخرج فنزل^(٦)
دير عبد الرحمن ، فأقام فيه حتى دخل إليه شبث بن ربعي ، فكلّمه
بنحو ممّا كلّمه به ابن الأشتر ، فارتحل ولم يكذب ، فلما رأى الناس بظوء
سيّره رجزوا به فقالوا :

سار بنا القُباعُ سيّراً نكراً يسيّرُ يوماً ويقيمُ شهراً

فأشخصوه من ذلك المكان ، فكلّمنا نزل بهم منزلاً أقام بهم حتى
يضجّ الناسُ به من ذلك ، ويصيحوا به حول فسُطّاطه ، فلم يبلغ الصّراة إلا
في بضعة عشر يوماً ، فأتى الصّراة وقد انتهى إليها طلائعُ العدوِّ وأوائلُ
الخيول ، فلما أتنهم العيونُ بأنّه قد أتاهم جماعةُ أهلِ المِصرِ قطعوا
الجِسْرَ بينهم وبين النَّاسِ ، وأخذ الناسُ يرتجزون :

إنَّ القُباعَ سارَ سيّراً ملْساً بينَ دِبري ودِباها خمَساً

قال أبو مخنف : حدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن
رجلاً من السبّيع كان به لسمم ، وكان بقرية يقال لها جتوبتر^(٧) عند الحرّارة ،

(١) ف : « وأخبروا جميعاً » .

(٢) من ف .

(٣) س : « أقبل إلينا » ، ف : « أظلمنا » .

(٤) ف : « بكذا وكذا » .

(٥) ط : « بقية » . (٦) ف : « حتى نزل » . (٧) س : « جوبين » .

وكان يُدعى سيماك بن يزيد ، فأتت الخوارجُ قريتهُ فأخذوه وأخذوا ابنته ، فقدّموا ابنته فقتلوا، وزعم لي أبو الربيع السلولى أن اسم ابنته أم يزيد ، وأنها كانت تقول لهم : يا أهل الإسلام، إنّ أبى مُصاب فلا تقتلوه ، وأما أنا فإنّما أنا جارية ، والله ما أتيتُ فاحشةً قطّ ، ولا آذيتُ جارةً لي قطّ (١) ، ولا تطلّعتُ ولا تشرفّتُ قطّ . فقدّموها ليقتلوا ، فأخذتُ تُنادى : ما ذنبي ما ذنبي اثمّ سقطتُ مغشياً عليها أو ميّتة ، ثمّ قَطَعوها ، بأسيا فهم . قال أبو الربيع : حدّثتني بهذا الحديث ظيّر لها نصرانيةً من أهلِ الخورنق كانت معها حين قُتلت .

قال أبو ميخنف : حدّثني يونسُ بنُ أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن الأزارقة جاءت بسيماك بن يزيد معهم حتّى أشرفوا على الصّراة . قال : فاستقبل عسكرنا ، فرأى جماعة الناس وكثرتهم ، فأخذ ينادينا ويرفع صوته : اعبروا إليهم فإنّهم قتلُ نبيّ ، فضربوا عند ذلك عنقه وصلبوه ونحن ننظرُ إليه . قال : فلمّا كان الليلُ عبرتُ إليه وأنا رجل من الحمى . فأنزلناه فدَفَنَاهُ .

قال أبو ميخنف : حدّثني أبي أن إبراهيم بن الأشتر قال للحارث بن أبي ربيعة : اندب معي الناس حتّى أعبّر إلى هؤلاء الأكلب ، فأجبتك برؤسهم الساعة ؛ فقال شيبث بن ربيع وأسماءُ بنُ خارجة ويزيدُ ابن الحارث ومحمّد بن الحارث ومحمّد بن عمير : أصلح الله الأمير ! دعهم فليذهبوا ، لا تبدأهم ؛ قال : وكانهم حسدوا إبراهيم ابن الأشتر .

٧٦١/٢

قال أبو ميخنف : وحدّثني حصيرةُ بن عبد الله وأبو زهير العبّسى أن الأزارقة لما انتهوا إلى جسر الصّراة فرأوا أن جماعة أهل المِصر قد خرجوا إليهم قطعوا الجسر ، واغتنم ذلك الحارث ، فتحبس . ثمّ إنّه جلس للنامر فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ أوّل القتال الرميّ بالنبل ، ثمّ لإشراع الرماح ، ثمّ الطعن بها شزراً ؛ ثمّ السّلة آخر ذلك كلّ

قال : فقام إليه رجل فقال ، قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ، ولكن حتام نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدونا ! مرُّ بهذا الجسر فليعد^(١) كما كان ، ثم اعبر بنا إليهم ، فإن الله سيريك فيهم ما تحبته ، فأمر بالحسر فأعيد ، ثم عبر الناس إليهم فطاروا حتى انتهوا إلى المدائن ، وجاء المسلمون حتى انتهوا إلى المدائن ، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلاً للمسلمين طرداً ضعيفاً عند الجسر . ثم إنهم خرجوا منها فأتبعهم^(٢) الحارث بن أبي ربيعة عبد الرحمن بن مِخْنَف في مئة ألف ليخرجهم من أرض الكوفة ، فإذا وقعوا في أرض البصرة خيلهم^(٣) فأتبعهم حتى إذا خربوا من أرض الكوفة ووقعوا إلى أصبهان انصرف^(٤) عنهم ولم يقاتلهم ، ولم يكن بينه وبينهم قتال ، ومضوا حتى نزلوا بعثاب بن ورقاء بيحى ، فأقاموا عليه وحاصروه ، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يبطقهم ، وشدوا على أصحابه حتى دخلوا المدينة ، وكانت أصبهان يومئذ طعمة لإسماعيل بن طلحة من^(٥) مُصعب بن الزبير ، فبعث عليها عتاباً ، فصبر لهم عتاب ، وأخذ يخرج إليهم في كل أيام فيقاتلهم على باب المدينة ، ويرمسون من السور بالنبل والنشاب والحجارة ، وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة بن شريح ، فكان يخرج مع عتاب ، وكان شجاعاً ، فكان يتحمل عليهم ويقول :

كيف ترون يا كلاب النار شد أبي هريرة الهزار
يهركم بالدليل والنهار يا بن أبي الماحوز والأشرار
• كيف ترى جى على الميضار! •

فلما طال ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون أنه عبيدة بن هلال ، فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع ، ويقول كما كان يقول ، إذ حمل عليه عبيدة بن هلال فضربه بالسيف ضربة على جبل عاتقه فصرعه ، وحمل أصحابه عليه فاحتلوه فأدخلوه

(١) ف : « فليعد » . (٢) ف : « وأتبعهم » .

(٣) ف : « جلاهم » . (٤) ف : « فانصرف » . (٥) ط : « بن » ، وانظر الفهرس .

وداؤوه ، وأخذت الأزارقة بعد ذلك تُناديهم يقولون^(١) : يا أعداء الله ، ما فعلت أبو هريرة الهزار^(٢) ؟ فينادونهم : يا أعداء الله ، والله ما عليه من بأس ، ولم يتلبث أبو هريرة أن برئ ، ثم خرج عليهم بعد ، فأخذوا يقولون : يا عدو الله ، أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزرناك أمك ، فقال لهم : يا فساق ، ما ذكركم أمي ! فأخذوا يقولون : إته ليغضب لأمة . وهو آتينا عاجلا . فقال له أصحابه : وَيَسْحَك ! إِنَّمَا يَبْعُدُونَ النَّارَ ، فَفَطِنِ فَقَالَ : يا أعداء الله ، ما أعقبتكم بأمتكم حين تنتفون منها ! إِنَّمَا تَلِكْ أَمَّكُمْ ، وَإِلَيْهَا مَسِيرُكُمْ . ثم إن الخوارج أقامت عليهم أشهراً حتى هلك كراعهم ، ونفذت أطعمتهم ، واشتد عليهم الحصار ، وأصابهم الجهد الشديد ، فدعاهم عتاب بن ورقاء فحسد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون ، فوالله إن بقي إلا أن يموت أحدكم على فراشه فيجىء أخوه فيدفنه إن استطاع ، وبالحرى أن يتضعف عن ذلك ، ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ، ولا يصلتي عليه ، فاتقوا الله ، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم ، وإن فيكم لفرسان أهل المصير ، وإنكم لصالحاء . من أنتم منه ! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم وبكم حياة وقوة قبل ألا يستطيع رجل منكم أن يمشى إلى عدوه من الجهد ، وقبل ألا يستطيع رجل أن يمنع من امرأة لو جاءتته ، فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق ، فوالله إنى لأرجو إن صدقتموه أن يظفركم الله بهم ، وأن يظهركم عليهم . فناداه الناس من كل جانب : وَفُتَّتْ وَأَصْبَتْ ، اخرج بنا إليهم ، فجمع إليه الناس من الليل ، فأمرهم بعشاء كثير ، فعشى الناس عنده ، ثم إنّه خرج بهم حين أصبح على راياتهم ، فصبّحهم في عسكرهم^(٣) وهم آمنون من أن يؤتوا في عسكرهم ، فشدوا عليهم في جانبه ، فصار يوم فأخلوا عن وجه العسكر حتى انتهوا إلى الزبير بن الماحوز ، فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل ، وانحازت الأزارقة إلى قطرى ، فبايعوه ،

٧٦٤/٢

(١) ف : « ويقولون » . (٢) ف : « الفرار »

(٣) ف : « وهم في عسكرهم » .

وجاء عتّاب حتى دخل مدينته، وقد أصاب من عسكرهم ماشاء، وجاء قطري في أثره كأنه يريد أن يقاتله، فجاء حتى نزل في عسكر الزبير بن الماحوز، فتزعم الخوارج أن عيننا لقطري جاءه فقال: سمعت عتّابا يقول: إن هؤلاء القوم إن ركبوا بنات شحّاج، وقادوا بنات صهّال، ونزلوا اليوم أرضاً وغداً أخرى، فبالحرى أن يبقوا؛ فلما بلغ ذلك قطرياً خرج فذهب ونحلاًهم.

قال أبو مخنف: قال أبو زهير العبسي وكان معهم: خرجنا إلى قطري من الغد مشاةً مُصلتين بالسيوف؛ قال: فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم. قال: ثم ذهب قطري حتى أتى ناحية كرمان فأقام بها حتى اجتمعت إليه جموع كثيرة، وأكل الأرض واجتبي المال وقوى، ثم أقبل حتى أخذ في أرض أصبهان. ثم إنّه خرج من شعب ناشط إلى أيدج، فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل المصعب بن الزبير على البصرة، فكتب إلى مصعب يُخبره أن الخوارج قد تحدّرت إلى الأهواز، وأنه ليس لهم إلا المهلب، فبعث إلى المهلب وهو على المتوصل والجزيرة. فأمره بقتال الخوارج والمسير إليهم، وبعث إلى عمّله إبراهيم بن الأشتر، وجاء المهلب حتى قدّم البصرة، وانتخب الناس، وسار بمن أحبّ، ثم توجه نحو الخوارج، وأقبلوا إليه حتى التقوا بسؤلاف، فاقتلوا بها ثمانية أشهر أشدّ قتال رآه الناس، لا ينقع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصدّ بعضهم عن بعض.

• • •

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالشام حتى لم يتقدروا من شدته على الغزو.

فيها عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان حبيب من أرض قنسرين، فمطروا بها، فكشّر الوحل فسمّوها ببطنان الطين، وشتتاً بها عبد الملك، ثم انصرف منها إلى دمشق. وفيها قتل عبيد الله بن الحر.

[ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر]

* ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذي جرّ ذلك عليه :

رَوَى أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُرِّ كَانَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ قَوْمِهِ صَلَاحًا وَفَضْلًا ، وَصَلَاةً وَاجْتِهَادًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَانُ وَهَاجَ الْهَيْبِيُّ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، قَالَ : أَمَا إِنْ اللَّهُ لَيَعْلَمُ أَنِّي أَحَبُّ عُمَانَ ، وَلَأَنْصُرَنَّهُ مَيْتًا . فَمُخِرَ إِلَى الشَّامِ ، فَكَانَ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ مِيسَمَةَ إِلَى مَعَاوِيَةَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ الرَّأْيِ فِي الْعُمَانِيَّةِ ، فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ ، وَشَهِدَ مَعَهُ صِفَتَيْنِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ قَدِمَ الْكُوفَةَ فَأَتَى إِخْوَانَهُ وَمَنْ قَدْ خَفَّ فِي الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا هَؤُلَاءِ ، مَا أَرَى أَحَدًا يَنْفَعُهُ اعْتِزَالُهُ ، كُنَّا بِالشَّامِ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مَعَاوِيَةَ كَسَيْتَ وَكَيْتَ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : وَكَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ كَسَيْتَ وَكَيْتَ ، فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنْ تُمْكِنُنَا الْأَشْيَاءَ فَاخْلَعُوا عُنْدَكُمْ ، وَامْلِكُوا^(١) أَمْرَكُمْ ؛ قَالُوا : سَنَلْتِي ، فَكَانُوا يَلْتَقُونَ عَلَى ذَلِكَ .

٧٦٦/٢

فَلَمَّا مَاتَ مَعَاوِيَةَ هَاجَ ذَلِكَ الْهَيْبِيُّ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : مَا أَرَى قَرِيشًا تَنْصِفُ ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الْحَرَّائِرِ ! فَأَتَاهُ خَلِيجُ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، فَكَانَ مَعَهُ سَبْعُمِائَةَ فَارِسٍ ، فَقَالُوا : مُرْنَا بِأَمْرِكَ ، فَلَمَّا هَرَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَبَاتَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرِّ لِفِئْتِيَانِهِ : قَدْ بَيْنَ الصَّبْحِ لِيذِي عَيْنَيْنِ ، فَإِذَا شَتْمُ ! فَمُخِرَ إِلَى الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَدْعُ مَالًا قَدِمَ مِنَ الْجَبَلِ لِلسَّلْطَانِ إِلَّا أَخَذَهُ ، فَأَخَذَ مِنْهُ عَطَاءً وَأَعْطِيَهُ أَصْحَابِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ لَكُمْ شُرَكَاءُ بِالْكُوفَةِ فِي هَذَا الْمَالِ قَدْ اسْتَوْجَبْتُمْ ، وَلَكِنْ تَعَجَّلُوا عَطَاءَ تَابِلِ سَلْفًا ، ثُمَّ كَتَبَ لِصَاحِبِ الْمَالِ بَرَاءَةً بِمَا قَبِضَ مِنَ الْمَالِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَقَصَّى الْكُورَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ . قَالَ : قُلْتُ : فَهَلْ كَانَ يَتَنَاوَلُ أَمْوَالَ النَّاسِ وَالتَّجَارَ ؟ قَالَ لِي : إِنَّكَ لَغَيْرُ عَالِمٍ بِأَبِي الْأَشْرَسِ^(٢) ، وَاللَّهِ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ

(١) ف : « فاملكوا » . (٢) ف : « الأشوس » .

عَرَبِيٌّ أَغْيَرَ عَنِّ حُرَّةٌ وَلَا أَكْفٌ عَن قَبِيحٍ وَعَن شَرَابٍ مِنْهُ ، وَلكِن
 إِنَّمَا وَضَعَهُ عِنْدَ النَّاسِ شِعْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَشْعَرِ الْفِتْيَانِ (١) . فَلَمْ يَنْزَلْ عَلَى ذَلِكَ
 مِنَ الْأَمْرِ حَتَّى ظَهَرَ الْمُخْتَارُ ، وَبَلَغَهُ (٢) مَا يَتَصَنَعُ بِالسَّوَادِ ، فَأَمَرَ (٣)
 بِامْرَأَتِهِ أُمَّ سَلَمَةَ الْجُعْفِيَّةِ فَحُبِّسَتْ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُنَّهٗ أَوْ لَا أَقْتُلَنَّ
 أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ أَقْبَلَ فِي فِتْيَانِهِ حَتَّى دَخَلَ
 الْكُوفَةَ لَيْلًا ، فَكَتَسَرَ بَابَ السِّجْنِ ، وَأَخْرَجَ امْرَأَتَهُ وَكُلَّ امْرَأَةً وَرَجُلًا
 كَانَ فِيهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارَ مَنْ يِقَاتِلُهُ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِصْرِ ،
 فَقَالَ حِينَ أَخْرَجَ امْرَأَتَهُ مِنَ السِّجْنِ :

أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي حَقَائِقَ مَدْحِجٍ
 بِكُلِّ فَتَى حَامِي الذُّمَارِ مُدَجِّجٍ
 جَبِينٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ غَيْرُ مُشَنِّجٍ
 إِلَيْنَا سَقَاهَا كُلِّ دَانٍ مُشَجِّجٍ
 كَعَادَتِنَا مِنْ قَبْلِ حَرْبِي وَمُخْرَجِي
 عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنْ خَلِيْطٍ مُسَحِّجٍ
 وَإِنِّي بِمَا تَلْقَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ شَجٍ
 وَقَدْ وَلَجُوا فِي السِّجْنِ مِنْ كُلِّ مَوْلِجٍ !
 أَشَدُّ إِذَا مَا غَمْرَةٌ لَمْ تَفْرَجِ
 إِلَى الْأَمْنِ وَالْعَيْشِ الرَّفِيعِ الْمُخْرِجِ
 كَكَرَّأَبِي شِبْلِينَ فِي الْخَيْسِ مُخْرَجِ
 فَوَلَّى حَيْثُ مَا رَكُضَهُ لَمْ يُعْرَجِ
 خِيُولَ كِرَامِ الضَّرْبِ أَكْثَرُهَا الْوَجِي
 أَمَا أَنْتَ يَا بَنَ الْحُرِّ بِالْمُتَحَرِّجِ !

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمَّ تَوْبَةَ أَنْبِي
 وَأَنِّي صَبَحْتُ السِّجْنَ فِي سُورَةِ الضُّحَى
 فَمَا إِنْ بَرِحْنَا السِّجْنَ حَتَّى بَدَأَ لَنَا
 وَخَدُّ أَسِيلٍ عَن فِتْنَةِ حَيَّةٍ
 فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ أَزُورِكَ آمِنًا
 وَمَا أَنْتِ إِلَّا هَمَّةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى
 وَمَا زِلْتِ مَحْبُوسًا لِحَبْسِكَ وَاجِمًا
 فَبِاللَّهِ هَلْ أَبْصَرْتِ مِثْلِي فَارِسًا
 وَمِثْلِي يُحَامِي دُونَ مِثْلِكَ إِنْسِي
 أَضَارِبَهُمْ بِالسَّيْفِ عَنْكَ لِتَرْجِعِي
 إِذَا مَا أَحَاطُوا بِبِي كَرَرْتُ عَلَيْهِمْ
 دَعَوْتُ إِلَى الشَّاكِرِيِّ ابْنَ كَامِلٍ
 وَإِنْ هَتَفُوا بِاسْمِي عَطَفْتُ عَلَيْهِمْ
 فَلَا غَرَوْ إِلَّا قَوْلَ سَلْمَى ظَعِينَتِي :

(١) ف : « القبيل » . (٢) ف : « فبلغ المختار » . (٣) س : « أمر » .

دَخِرَ الْقَوْمَ لَا تَقْتُلُهُمْ وَانجُ سَالِمًا
 وَإِنِّي لَأَرْجُو يَا ابْنَ الْخَيْرِ أَنْ أَرَى
 أَلَا حَبِذَا قَوْلِي لِأَحْمَرَ طَيْبٍ
 وَقَوْلِي لِهَذَا سِرٌّ وَقَوْلِي لَذَا ارْتَحِلْ
 وَجَعَلَ يَعْثُ بِعُمَّالِ الْمُخْتَارِ وَأَصْحَابِهِ ، وَوَثِبَتْ هَمْدَانُ مَعَ الْمُخْتَارِ
 فَأَحْرَقُوا دَارَهُ ، وَانْتَهَبُوا ضَيْعَتَهُ بِالْجَبَّةِ وَالْبُدَاةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ سَارَ إِلَى مَاءِ إِلَى
 ضِيَاعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، فَأَنْهَبَهَا وَأَنْهَبَ مَا كَانَ لَهُمْ دَانٍ
 بِهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى السَّوَادِ فَلَمْ يَدْعُ مَالًا لَهُمْ دَانِيًّا إِلَّا أَخَذَهُ ، فَبِي ذَلِكَ
 يَقُولُ :

٧٦٩/٢

وَمَا تَرَكَ الْكَذَّابُ مِنْ جُلٍّ مَالِنَا
 أَفَى الْحَقِّ أَنْ يَنْهَبَ ضِيَاعِي شَاكِرًا^(١)
 أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمَّ تَوْبَةَ أَنِّي
 أَشَدُّ حِيَاظِي لِكُلِّ كَرِيهَةٍ
 فَإِن لَمْ أَصْبِحْ شَاكِرًا بِكْتِيَّةٍ
 هُمْ هَدَمُوا دَارِي وَقَادُوا حَلِيَّتِي
 وَهُمْ أَعْجَلُوهَا أَنْ تَشُدَّ خَمَارَهَا
 فَمَا أَنَا بِابْنِ الْحُرِّ إِنْ لَمْ أَرُغْهُمْ
 وَمَا جَبُنْتُ خَيْلِي وَلَكِنْ حَمَلْتُهَا
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ . قَالَ : وَكَانَ يَأْتِي الْمَدَائِنَ فَيَدْرِبُ بِعُمَّالِ جُوخِي فَيَأْخُذُ
 مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، ثُمَّ يَمِيلُ إِلَى الْجَبِيلِ ، فَلَمْ يَنْزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ
 الْمُخْتَارُ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْمُخْتَارُ قَالَ النَّاسُ لِمُصْعَبِ فِي وِلَايَتِهِ الثَّانِيَةِ : إِنْ ابْنَ الْحُرِّ شَاقٌّ
 ابْنُ زِيَادٍ وَالْمُخْتَارُ ، وَلَا نَأْمَنُهُ أَنْ يَثْبُ بِالسَّوَادِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، فَحَبَسَهُ مُصْعَبٌ
 فَقَالَ ابْنُ الْحُرِّ :

٧٧٠/٢

(١) فِي الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ ٢٩٧ : « أَفَى الْحَقِّ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي كُلَّهُ » .

من مُبْلَغُ الْفِتْيَانِ أَنْ أَحَاثُمْ أُنَى دُونَهُ بَابٌ شَدِيدٌ وَحَاجِبَةٌ
بِمَنْزِلَةٍ مَا كَانَ يَرْضَى بِمِثْلِهَا إِذَا قَامَ عَنْتَهُ كَبُولٌ تَجَاوِبَةٌ
عَلَى السَّاقِ فَوْقَ الْكَعْبِ أَسْوَدٌ صَامِتٌ شَدِيدٌ يُدَانِي خَطْوَهُ وَيُقَارِبُهُ
وَمَا كَانَ ذَا مِنْ عُظْمِ جُرْمٍ جَنِيثُهُ وَلَكِنْ سَعَى السَّاعَى بِمَا هُوَ كَاذِبُهُ
وَقَدْ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةَ مَسْلُكٌ وَأَى أَمْرٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ!
وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ وَفِيمَا مَضَى إِنْ نَابَ يَوْمًا نَوَائِبُهُ
فَكَلَّمْتُ عُبَيْدُ اللَّهِ قَوْمًا مِنْ مَتَدَحِّجٍ أَنْ يَأْتُوا مُصْعَبًا فِي أَمْرِهِ ، وَأَرْسَلْتُ إِلَى
وَجْهِهِمْ ، فَقَالَ : أَتُوا مُصْعَبًا فَكَلِّمُوهُ فِي أَمْرِي ذَاتَهُ ، فَإِنَّهُ حَبَسْتَنِي عَلَى
غَيْرِ جُرْمٍ ، سَعَى بِي قَوْمٌ كَذَبَةٌ وَخَوَّفُوهُ مَا لَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلِهِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ
مِنْ شَأْنِي . وَأَرْسَلْتُ إِلَى فِتْيَانٍ مِنْ مَتَدَحِّجٍ وَقَالَ : الْبَسُوا السَّلَاحَ ، وَخُذُوا
عِدَّةَ الْقِتَالِ ، فَقَدْ أَرْسَلْتُ قَوْمًا إِلَى مُصْعَبٍ يَكَلِّمُونَهُ فِي أَمْرِي ، فَأَقْبِمُوا بِالْبَابِ ،
فَإِنْ خَرَجَ الْقَوْمُ وَقَدْ شَفَعْتَهُمْ فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِأَحَدٍ ، وَلَيْسَ كُنْ سِلَاحُكُمْ مَكْفَرًا
بِالثِّيَابِ ، فَجَاءَ قَوْمٌ (١) مِنْ مَتَدَحِّجٍ فَدَخَلُوا عَلَى مُصْعَبٍ فَكَلِّمُوهُ ، فَشَفَعْتَهُمْ ،
فَأُطْلِقَتْهُ . وَكَانَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ خَرَجُوا وَلَمْ يَشْفَعْتَهُمْ فَكَايَرُوا
السَّجْنَ فَإِنِّي أَعِينُكُمْ مِنْ دَاخِلٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لَهُمْ : أَظْهِرُوا
السَّلَاحَ ، فَأُظْهِرُوهُ ، وَمَضَى لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ أَحَدٌ ، فَأَتَى مَنْزِلَهُ ، وَنَدِمَ مُصْعَبٌ
عَلَى إِخْرَاجِهِ ، فَأُظْهِرَ ابْنُ الْحُرِّ الْخِلَافَ ، وَأَتَاهُ النَّاسُ يُهْنِئُونَهُ ، فَقَالَ :
هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِ خُلَفَائِكُمُ الْمَاضِينَ ، وَمَا نَرَى لَهُمْ فِينَا نِدَاءً
وَلَا شَبِيهًا فَتُلْقِي إِلَيْهِ أَرْمَتَنَا ، وَنَمَحْتَهُ نَصِيحَتَنَا ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ مَنْ
عَزَّ بَزًّا ، فَعَلَامَ : نَتَعَقَّدُ لَهُمْ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةً ، وَلَيْسُوا بِأَشْجَعِ مِنَّا لِقَاءً ،
وَلَا أَعْظَمَ مِنَّا غِنَاءً (٢) ! وَقَدْ عَاهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَلَّا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَمَا رَأَيْنَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْمَاضِينَ إِمَامًا
صَالِحًا ، وَلَا وَزِيرًا تَقِيًّا ، كُلُّهُمْ عَاصٍ مُخَالِفٌ ، قَوِي الدُّنْيَا ، ضَعِيفٌ

(١) ف : « فجاروا » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط « غنى » .

الآخرة ، فعلام تُستَحَلَّ حرمتنا ، ونحن أصحاب النُخَيْلَة والقادسيَّة وجعلوا
 ونهاوند! نَلَقَى الأسنَّة بنُحورنا والسيوف بِجباهنا ، ثم لا يعرف لناحقنا
 وفضلنا ؛ فقاتلوا عن حريمكم ، فأى الأمر ، ما كان فلنكم فيه الفضل ، وإني قد
 قلبت ظهر المِجَنِّ ، وأظهرت لهم العداوة ، ولا قوَّة إلا بالله . وحاربهم فأغار
 فأرسل إليه مصعبُ سيفَ بن هاني المرادي ، فقال له : إن مصعباً يُعطيك
 خراج بادوريا على أن تُبايع وتدخل في طاعته ؛ قال : أوليس لي خراجُ
 بادوريا وغيرها ! لست قابلاً شيئاً ، ولا آمنهم على شيء ، ولكني أراك
 يا فتي - وسيفٌ يومئذ حدثٌ - حدثاً ، فهل لك أن تتبغني وأموتك !
 فأبى عليه ، فقال ابن الحرِّ حين خرج من الحبس :

لا كُوفَةٌ أمِّي ولا بَصْرَةٌ أبي ولا أذا يثنيبي عن الرحلة الكسل
 - قال أبو الحسن : يروى هذا البيت لسُحَيْبِ بن وثيل الرياحي -

فلاتحسبني ابن الزبير كناعيس إذا حلَّ أغفى أو يقال له أرتجل
 فإن لم أزرك الخيل تردى عوايساً بفرسانها لا أذغ بالحازم البطل
 وإن لم تر الغارات من كلِّ جانب عليك فتندم عاجلاً أيها الرجل
 فلا وضعت عندي حصان قناعها ولا عشت إلا بالأمان والعلل
 وهي طويلة .

فبعث إليه مُصعبُ الأبرد بن قرة الرياحي في نفر ، فقاتله فهزَمته
 ابنُ الحرِّ ، وضربه ضربةً على وجهه ، فبعث إليه مصعبُ حرَيْثُ
 ابن زَيْد - أو يزيد - فبارزه ، فقتله عبيدُ الله بنُ الحرِّ ، فبعث إليه
 مصعبُ الحجَّاج بن جارية^(١) الخثعمي ومُسلم بن عمرو ، فلقياه بنهر
 صرصر ، فقاتلهم فهزَمتهم ، فأرسل إليه مصعبُ قوماً يدعونه إلى أن يؤمنه
 ويصليه ، ويوليه أي بلد شاء ، فلتمَّ يقبل ، وأتى نرمى فقر دهنقائها
 ظيزجشنس بمال الفلوجة ، فتبعه ابنُ الحرِّ حتى مرَّ بعين التمر وعليها
 بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فتعود بهم الدهقان ، فخرجوا إليه
 فقاتلوه - وكانت خيلُ بسطام خمسين ومائة فارس - فقال يونس بن

(١) ط : « حارثة » وانظر الفهرس .

هاغان الهمداني من خيوان، ودعاه ابن الحر إلى المبارزة : شتر دهر
 آخره، ما كنت أحسبني أعيش حتى يدعوني إنسان إلى المبارزة ا فبارزه
 فضربه ابن الحر ضربة أثخنته ، ثم اعتنقا فخرا جميعا عن فرسيهما ،
 وأخذ ابن الحر عمامة يونس وكتفه بها ثم ركب ، ووافقهم الحجاج بن حارثة
 الخثعمي ، فحمل عليه الحجاج فأسره أيضا عبيد الله^(١) ، وبارز
 بسطام بن مصقلة المجشّر ، فاضطربا حتى كره كل واحد منهما صاحبه ،
 وعلاه بسطام ، فلما رأى ذلك ابن الحر حمل على بسطام واعتنقه بسطام ،
 فسقطا إلى الأرض ، وسقط ابن الحر على صدر بسطام فأسره ، وأسر يومئذ
 ناسا كثيرا ، فكان الرجل يقول : أنا صاحبك يوم كذا ، ويقول الآخر : أنا
 نازل فيكم ، ويسمى كل واحد منهم بما يرى أنه يتفعه ، فيختل سبيله ،
 وبعث فوارس من أصحابه عليهم دلهم المرادي يطلبون الدهقان ،
 فأصابوه ، فأخذوا المال قبل القتال ، فقال ابن الحر :

لو أن لي مثل جرير أربعة صبحت بيت المال حتى أجمعه
 ولم يهني مضعب ومن معه نعم الفتى ذلكم ابن مشجعه

ثم إن عبيد الله أتى تكريت ، فهرب عامل المهلب عن تكريت ،
 فأقام عبيد الله يجبي الخراج ، فوجه إليه مصعب الأبرد بن قرّة الرياحي
 والعجون بن كعب الهمداني في ألف ، وأمدّهما المهلب بيزيد بن
 المغفل في خمسمائة ، فقال رجل من جمعني لعبيد الله : قد أتاك عدد كثير ،
 فلا تقاتلهم ، فقال :

يخوفني بالقتل قومي وإنما أموت إذا جاء الكتاب الموجل
 لعل القناتدني بأطرافها الغني فنحيا كراماً أو نكر فنقتل

فقال للمجشّر ودفع إليه رايته ، وقدم معه دلهم المرادي ، فقاتلهم
 يومين وهو في ثلاثمائة ، فخرج جرير بن كريب ، وقتل عمرو بن
 جندب الأزدي وفرسان كثير من فرسانه ، وتحاجزوا عند المساء ،

(١) بعدها في ف : « ابن الحر » .

وتخرج عبيدُ الله من تكريت فقال لأصحابه: إني سائرٌ بكم إلى عبد الملك ابن مروان، فتهيئوا، وقال: إني أخاف (١) أن أفارق الحياة ولم أذعرُ مُصعبًا وأصحابه، فارجعوا بنا إلى الكوفة. قال: فسار إلى كسكر فتنفى عاملها، وأخذ بيت ما ليهما، ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير، فبعث إليه مُصعبُ عمر بن عبيد الله بن معمر، فقَاتَلَهُ، فخرج إلى دير الأعور، فبعث إليه مُصعبُ حجَّار بن أيجر، فانهزم حجَّار، فشتمه مصعبُ وردة، وضم إليه الجون بن كعب الهمداني وعمر بن عبيد الله بن معمر، فقَاتَلُوهُ بجمعهم، وكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحرِّ وعُقِرَتْ خيولهم، وجرح المجشَّر، وكان معه لواءُ ابن الحرِّ، فدفعه إلى أحمر طيبي، فانهزم حجَّار بن أيجر ثم كر، فاقتلوا قتالا شديداً حتى أمسوا، فقال ابن الحرِّ:

لو أن لي مثل الفتي المُجشَّرِ ثلاثة بيئتهم لا أمري
ساعدي ليلةَ دِيرِ الأعورِ بالطعن والضربِ وعند المعبِرِ
• لَطَّاحَ فِيهَا عُمَرُ بْنُ مَعْمَرِ •

ونخرج ابن الحرِّ من الكوفة، فكتب مصعبٌ إلى يزيد بن الحارث بن رُويم الشيباني - وهو بالمدائن - يأمره بقتال ابن الحرِّ، فقدم ابنه حوشبا فلقية بياجسرى، فهزمه عبيدُ الله وقتل فيهم، وأقبل ابن الحرِّ فدخل المدائن، ففتح حصنوا، فخرج عبيدُ الله فوجه إليه الجون بن كعب الهمداني وبشر بن عبد الله الأسدي، فنزل الجون حولاً يثا، وقدم بشر إلى تامةراً فلقى ابن الحرِّ، فقَتَلَهُ ابن الحرِّ، وهزم أصحابه، ثم لقي الجون بن كعب بتحولايا، فخرج إليه عبد الرحمن بن عبد الله، فتحمل عليه ابن الحرِّ فطعمته فقَتَلَهُ وهزم أصحابه، وتبعهم، فخرج إليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلي، فالتقوا بسوراً فاقتلوا قتالا شديداً، فانحاز بشير عنه، فرجع إلى عمله، وقال: قد هزمتُ ابن الحرِّ،

٧٧٦/٢

(١) ف: «خائف».

فبلغ قوله مُصعبًا ، فقال : هذا من الذين يُحِبُّون أن يُحَمَّدُوا بما لم يفعلوا . وأقام عبيد الله في السَّواد^(١) يُغِيرُ ويجبي الحراج ، فقال ابنُ الحرِّ في ذلك .

سَلُوا ابنَ رُوَيْمٍ عن جِلَادِي ومَوْقِي
أَكْرَهُ عَلَيْهِمُ مُعْلِمًا وتَرَاهُمْ
وَبَيْتُهُمْ فِي حِصْنِ كِسْرَى بنِ هُرْمِزٍ
فَأَجْزَيْتُهُمْ طَعْنًا وَضَرْبًا تَرَاهُمْ
يَلُودُونَ مِتَّى رَهْبَةً وَمَخَافَةً
بِإِيوَانِ كِسْرَى لَا أَوْلِيَهُمْ ظَهْرِي
كَمِعْزَى تَحْنِي خَشِيَةَ الذَّنْبِ بِالصَّخْرِ
بِمَشْحُودَةٍ بِيضٍ وَخَطِيئَةٍ سُمُرٍ
يَلُودُونَ مِنَّا مَوْهِنًا بِذُرَا الْقَصْرِ^(٢)
لِوَاذَا كَمَا لِأَذِ الحَمَائِمِ مِن صَقْرِ

٧٧٧/٢

ثم إنَّ عبيدَ الله بنَ الحرِّ - فيما ذكر - لحق بعبد الملك بن مروان ، فلما صار إليه وجهه في عشرة نفر نحو الكوفة ، وأمره بالمسير نحوها حتى تلحقه الجنود ، فسار بهم ، فلما بلغ الأنبار وجهه إلى الكوفة من يُخْبِر أصحابه بقدومه ، ويسألهم أن يخرجوا إليه ، فبلغ ذلك القيسية ، فأتوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة ، فسألوه أن يبعث معهم جيشًا ، فوجه معهم ، فلما لقوا عبيد الله قاتلهم ساعة ، ثم غرقت فرسه ، وركب معبرًا فتوثب عليه رجل من الأنباط فأخذ بعَضُدَيْهِ وضربته الباقون بالمرادى ، وصاحوا : إن هذا طلبة أمير المؤمنين ، فاعتنقا ففرقا ، ثم استخرجوه فجزوا رأسه ، فبشعشوا به إلى الكوفة ثم إلى البصرة .

قال أبو جعفر : وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول ؛ قيل : كان سببُ مقتله عبيد الله بن الحرِّ أنه كان يغشى بالكوفة مُصعبًا ، فرآه يُقدِّم عليه أهل البصرة ، فكتب إلى عبد الله بن الزبير - فيما ذكر - قصيدة يعاتب بها مُصعبًا ويخوفه مسيره إلى عبد الملك بن مروان ، يقول فيها :

(١) ف : « بالسواد » .

(٢) ف : « يلودون منا يومنا » .

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً
أَفِي الْحَقِّ أَنْ أَجْفَى وَيَجْعَلُ مُصْعَبٌ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْلَيْتُمْ حَقَّ بَيْنِي
وَأَبْلَيْتُمْ مَالاً يُضَيِّعُ مِثْلَهُ
فَلَمَّا اسْتَنَارَ الْمَلِكُ وَأَنْقَادَتِ الْعِدَا
جَفَا مُصْعَبٌ عَنِّي وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ
لَقَدْ رَأَيْتَنِي مِنْ مُصْعَبٍ أَنْ مُصْعَبًا
وَمَا أَنَا إِنْ حَلَّاتُمُونِي بِسِوَارِدٍ
وَمَا لِـ مَرِيٍّ إِلَّا الَّذِي اللَّهُ سَائِقٌ
إِذَا قَمْتُ عِنْدَ الْبَابِ أُدْخِلَ مُسْلِمٌ

فَلَسْتُ عَلَى رَأْيِ قَبِيحٍ أَوَّارِبُهُ
وَزَيْرِيهِ مَنْ قَدْ كُنْتُ فِيهِ أَحَارِبُهُ!
وَحَقِّي يُلَوِي عِنْدَكُمْ وَأَطَالِبُهُ
وَأَسْبِتُكُمْ وَالْأَمْرُ صَعْبٌ مَرَاتِبُهُ
وَأَذْرِكُ مِنْ مَالِ الْعِرَاقِ رَغَائِبُهُ
لَأَصْبَحَ فِيهَا بَيْنَنَا لَا أَعَاتِبُهُ
أَرَى كُلَّ ذِي غِشٍّ لَنَا هُوَ صَاحِبُهُ
عَلَى كَدْرٍ قَدْ غُصَّ بِالصَّفْرِ شَارِبُهُ
إِلَيْهِ وَمَا قَدْ خَطَّ فِي الزُّبْرِ كَاتِبُهُ
وَيَمْنَعُنِي أَنْ أُدْخَلَ الْبَابَ حَاجِبُهُ

٧٧٨/٢

وهي طويلة .

وقال لمُصْعَبٍ رَفِي تَبَسُّهُ، وَكَانَ قَدْ حُبِسَ مَعَهُ عَطِيَّةُ بِنِّ عَمْرٍو
السُّكْرِيِّ، فَخَرَجَ عَطِيَّةً، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

أَقُولُ لَهُ صَبْرًا عَطِيٌّ فَإِنَّمَا
أَرَى الدَّهْرَ لِي يَوْمِينَ يَوْمًا مَطْرَدًا
أَتَطْعَنُ فِي دِينِي غَدَاةَ أَتَيْتُكُمْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ شِينَ وَجْهَهُ

هُوَ السَّجْنُ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا
شَرِيدًا وَيَوْمًا فِي الْمُلُوكِ مُتَوَجًّا
وَاللَّذِينَ تُدْنِي الْبَاهِلَى وَحَشْرَجًا !
وَنَبْعُ بِلَادِ اللَّهِ قَدِصَارَ عَوْسَجًا !

٧٧٩/٢

وهي طويلة .

وقال أيضًا يُعَاتِبُ مُصْعَبًا فِي ذَلِكَ، وَيَذْكُرُ لَهُ تَقْرِيْبَهُ سُؤْيِدِ
ابنِ مَسْجُوفٍ، وَكَانَ سُؤْيِدٌ خَفِيفَ اللَّحِيَةِ :

بِأَيِّ بَلَاءٍ أَمْ بِأَيِّ نِعْمَةٍ تَقْدَمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمَهْلَبُ

ويُدعى ابن منجوف إمامي كأنه
 وشيخٌ نَمِيمٌ كالشَّامَةِ رَأْسُهُ
 جَعَلْتُ قُصُورَ الْأَزْدِ مَا بَيْنَ مَنبِجٍ
 بِلَادُ نَفَى عَنْهَا الْعَدُوُّ سُيُوفُنَا
 وَغِيْلَانُ عَنَا خَائِفٌ مُتْرَقِبٌ
 إِلَى الْغَاثِ مِنْ وَادِي عُمَانَ تَصُوبُ
 وَصُفْرَةٌ عَنْهَا نَازِحُ الدَّارِ أَجْنَبُ
 وَقَالَ قَصِيدَةً يَهْجُو فِيهَا قَيْسَ عَيْلَانَ ، يَقُولُ فِيهَا :

أَنَا ابْنُ بَنِي قَيْسٍ فَإِنْ كُنْتَ سَائِلًا
 أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ بَرَقَعَتْ
 وَمَا زِلْتُ أَرْجُو الْأَزْدَ حَتَّى رَأَيْتُهَا
 فَكَتَبَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ إِلَى مُصْعَبٍ : قَدْ كَفَيْتَكَ قِتَالِ ابْنِ الزَّرْقَاءِ
 وَابْنِ الْحَرِّ يَهْجُو قَيْسًا . ثُمَّ إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ أَخَذُوا ابْنَ الْحَرِّ
 فَأَسْرَوْهُ ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ أَقْلُ :

أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْبَلْتُ
 فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ عَيْشَاشُ فَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ :

لَمَا رَأَيْتُ النَّاسَ أَوْلَادَ عِلَّةٍ
 تَكَلَّمْتُ عَنْهُ مَشِينًا بُسُيُوفُنَا
 فَلَوْ يَسْأَلُ ابْنُ الْحَرِّ أَخْبِرَ أَنَّهَا
 وَأَخْبِرَ أَنَا ذَاتُ عِلْمٍ سُيُوفُنَا
 وَأَغْرَقَ فِيْنَا نَزْعَةً كُلُّ قَائِلٍ
 إِلَى الْمَوْتِ وَأَسْتِنْشَاطِ حَبْلِ الْمَرَاكِيلِ
 بِمَانِيَةٍ لَا تُشْتَرَى بِالْمَغَازِلِ
 بِأَعْنَاقٍ مَا بَيْنَ الطُّلَى وَالْكَوَاهِلِ
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ :

٧٨١/٢

تَرْنَمْتَ يَا بَنَ الْحَرِّ وَحَدَّكَ خَالِيًا
 أَنْذَكُرُ قَوْمًا أَوْجَعَتْكَ رِمَاحُهُمْ
 وَتَبْكِي لِمَا لَاقَتْ رَبِيعَةً مِنْهُمْ
 فَهَلَا بِجَعْفَى طَلَبْتَ ذُحُولَهَا
 بِقَوْلِ أَمْرِي نَشْوَانَ أَوْ قَوْلِ سَاقِطِـ
 وَذَبَّوْا عَنِ الْأَحْسَابِ عِنْدَ الْمَاقِطِـ
 وَمَا أَنْتَ فِي أَحْسَابِ بَكْرِ بِوَاسِطِـ!
 وَرَهْطِكَ دُنْيَا فِي السَّنِينِ الْفَوَارِطِـ!
 يَلُودُونَ مِنْ أَسْيَافِنَا بِالْعَرَافِطِـ
 تَرَكَنَاهُمْ يَوْمَ الثَّرَى أَدَلَّةً

وخالطكم يوم النخيل بجمعه
وعمر فما استبشرتم بالمخالط.
ويوم شراحيل جدعنا أنوفكم
وليس علينا يوم ذاك بقاسط.
ضربنا بحد السيف مفرق رأسه
وكان حديثاً عهداً بالمواسط.
فإن رغمت من ذاك أنف مذحج
فرغماً وسخطاً للأنوف السواخط.

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وافت عرقات أربعة ألوية ، قال
محمد بن عمر : حدثني شراحيل بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : وقعت في
سنة ثمان وستين بعرفات أربعة ألوية : ابن الحنفية في أصحابه في لواء
قام عند جبل المشاة ، وابن الزبير في لواء ، فقام مقام الإمام اليوم ، ثم
تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ، ونجدة الحروري
خلفتهما ، ولواء بني أمية عن يسارهما ، فكان أول لواء انفض لواء محمد
ابن الحنفية ، ثم تبعه نجدة ، ثم لواء بني أمية ، ثم لواء ابن الزبير ،
واتبعه الناس .

٧٨٢/٢

قال محمد : حدثني ابن نافع ، عن أبيه ، قال : كان ابن عمر لم
يدفع تلك العشيّة إلا بدفعة ابن الزبير ، فلما أبطأ ابن الزبير وقد مضى
ابن الحنفية ونجدة وبنو أمية - قال ابن عمر : ينتظر ابن الزبير أمر الجاهلية -
ثم دفع ، فدفع ابن الزبير على أثره .

قال محمد : حدثني هشام بن عمار ، عن سعيد بن محمد بن
جبير ، عن أبيه ، قال : خفت الفتنة ، فشيت إليهم جميعاً ، فجئت
محمد بن علي في الشعب ، فقلت : يا أبا القاسم ، اتق الله فإننا في مشعر
حرام ، وبلد حرام ، والناس وفدوا إلى هذا البيت ، فلا تُفسد عليهم
حجّهم ، فقال : والله ما أريد ذلك ، وما أحول بين أحد وبين هذا
البيت ، ولا يؤتني أحد من الحاج من قبلي ، ولكني رجل أدفع عن نفسي
من ابن الزبير ، وما يروم مني ، وما أطلب هذا الأمر إلا ألا يختلف
عليّ فيه اثنان ! ولكن ائت ابن الزبير فكلّمه ، وعليك بنجدة ، قال

محمد: فجئتُ ابنَ الزبير فكلّمته بنحو ما كلّمتُ به ابنَ الحنفية ، فقال :
 أنا رجل قد اجتمع على الناسُ وبايعوني ، وهؤلاء أهلُ خلاف ، فقلت :
 أرى خيراً^(١) لك الكفّ ؛ قال^(١) : أفعل ، ثمّ جئتُ نَجدةَ الحروريّ
 فأجدّه في أصحابه ، وأجدُ عكرمةَ غلامَ ابنِ عباسٍ عنده ، فقلت له :
 استأذن لي على صاحبك ؛ قال : فدخّل ، فلم يَنسَبْ أن أذن لي ، فدخلتُ
 فعظمتُ عليه ، وكلّمته كما كلّمت الرّجلين ، فقال : أمّا أن ابتدئُ أحداً
 بقتال فلا ، ولكنّ من بدأ بقتال قاتلته ؛ قلتُ : فإني رأيتُ الرّجلين
 لا يُريدان قتالك ، ثمّ جئتُ شيعةَ بني أمية فكلّمتهم بنحو ما كلّمت
 به القوم ، فقالوا : نحن على ألا نقاتل أحداً إلا أن يقاتلنا ، فلم أرَ
 في تلك الألوية قوماً أسكن^(٢) ولا أسلمَ دفعةً من ابن الحنفية .

قال أبو جعفر : وكان العاملُ لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابرُ
 ابنُ الأسود بن عوف الزهريّ ، وعلى البصرة والكوفة أخوه مُصعب ، وعلى
 قضاء البصرة هشامُ بن هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بن عُقبة بن
 مسعود ، وعلى خراسانَ عبدُ الله بن خازم السُّلمي ، وبالشامَ عبدُ الملك
 ابنُ مروان .

(١) ف : الكف خيرك ، فقال . (٢) ا : أمكن .

ثم دخلت سنة تسع وستين

[ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو]

ففيها كان خروج عبد الملك بن مروان - فيما زعم الواقدي - إلى عين وردة ، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فرجع إلى دمشق ، فحاصره - قال : ويقال : خرج معه - فلما كان ببطنان حبيب ، رجع إلى دمشق فتحصن فيها ، ورجع عبد الملك إلى دمشق .

وأما عوانة بن الحسكَم فإنه قال - فيما ذكر هشام بن محمد عنه : - إن عبد الملك بن مروان لما رجع من بطنان حبيب إلى دمشق متكث بدمشق ما شاء الله ، ثم سار يريد قرقيسياء ، وفيها زفر بن الحارث الكلابي ومعه عمرو بن سعيد ، حتى إذا كان ببطنان حبيب فتتك عمرو بن سعيد ، فرجع لبيلا ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلابي وزهير بن الأبرد الحبي . حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحسكَم الثقفي قد استخلفه عبد الملك ، فلما بلغه رجوع عمرو ابن سعيد هرب وترك عماله ، ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها .

* * *

وقال غيرهما : كانت هذه القصة في سنة سبعين . وقال : كان^(١) مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير ، فقال له عمرو بن سعيد بن العاص : إنك تخرج إلى العراق ، وقد كان أبوك وعندني هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك ، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء ، فانصرف عنه عمرو راجعاً إلى دمشق ، فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق .

(١) : « وكان » .

رجع الحديث إلى حديث هشام ، عن عوانة ، قال : ولما غلب عمرو على دمشق طلب عبد الرحمن بن أمّ الحَكَمِ فلم يُصِبه ، فأمر بداره فهُدِمَت واجتمع الناسُ ، وصعد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنّه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلاّ زعم أنّ له جنةً وناراً ، يُدخِلُ الجنةَ من أطاعه ، والنارَ من عصاه ، وإني أخبركم أنّ الجنة والنار بيده الله ، وأنّه ليس إلى من ذلك شيءٌ ، غير أن لكم على حسن المؤاساة والعطيّة . ونزل .

٧٨٥/٢

وأصبح عبد الملك ، ففقد عمرو سعيد ، فسأل عنه ، فأخبر خبّره ، فرجع عبدُ الملك إلى دمشق ، فإذا عمرو قد جلّسَ دِمَشْقَ المُسَوِّحَ فقَاتَلَتْهَ بها أياماً ، وكان عمرو بنُ سعيد إذا أخرج حميد بن حُرَيْث الكلبِيّ على الخَيْلِ أخرج إليه عبدُ الملك سُفْيَان بن الأبردِ الكَلْبِيّ ، وإذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبِيّ أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبِيّ .

قال هشام حدثني عوانة ، أنّ الخيلين تواقفتا ذات يوم ، وكان مع عمرو بن سعيد رجلٌ من كَلْبٍ يقال له رَجَاء بن سراج ، فقال رجاء : يا عبد الرحمن بن سليم ، ابرُزْ - وكان عبدُ الرحمن مع عبدِ الملك - فقال عبدُ الرحمن : قد أنصف القارّة من راماتها ، وبرز له ، فاطعنا وانقطع ركابُ عبدِ الرحمن ، فنجمًا منه ابنُ سراج ، فقال عبدُ الرحمن : والله لولا انقطاع الرّكاب لرميت بما في بطنك من تبن ، وما اصطلح عمرو وعبدُ الملك أبدًا ، فلما طال قتالهم جاء نساءُ كَلْبٍ وصبيانهم فبَكَتِين وقلُن لسُفْيَان بن الأبرد ولا بن بَحْدَل الكلبِيّ : علام تَقْتُلُون أنفسكم لسلطان قُرَيْش ! فحلف كل واحد منهما ألاّ يرجع حتى يرجع صاحبه ، فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سُفْيَان أكبرَ من حُرَيْث ، فطلبوا إلى حُرَيْث ، فرجع . ثمّ إن عبدَ الملك وعمراً اصطَلَحَا ، وكتبا بينهما كتاباً ، وآمنه عبدُ الملك وذلك عشية الخميس .

٧٨٦/٢

قال هشام : فحدثني عوانة أنّ عمرو بن سعيد خرج في الخيل

متقلداً قوساً سوداء ، فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سُرَادِقِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
فانقطعت الأطنابُ وسقط السرادق ، ونزل عمرو فجلس وعبدُ الملكُ مُغَضَّبٌ ،
فقال لعمرو : يا أبا أمية ، كأنك تشبهُ بتقلدك هذه القوسَ بهذا الحى
من قيس ! قال : لا ، ولكنى أتشبه بمن هو خيرٌ منهم ؛ العاص بن أمية .
ثم قام مغضباً والحيلُ معه حتى دخل دمشق ، ودخل عبدُ الملكِ دمشق
يوم الخميس ، فبعث إلى عمرو أن أعطِ الناسَ أرزاقهم ، فأرسل إليه عمرو :
إن هذا لك ليس ببلد فاشخص عنه . فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد
دخول عبدِ الملكِ دمشق بأربعِ بعث إلى عمرو أن اتيني - وهو عند
امراته الكلبيّة ، وقد كان عبدُ الملكِ دعا كُريب بن أبرهة بن الصَّبَّاحِ
الحميرى فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد ، فقال له : في هذا هلكت حميرٌ ،
لا أرى لك^(١) ذلك ، لا ناقتي في ذأ ولا جملي - فلما أتى رسولُ عبدِ الملكِ
عمراً يدعوه صادف الرسولُ عبدَ الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو ، فقال
عبد الله لعمرو بن سعيد : يا أبا أمية ، والله لأنت أحبُّ إلى من سَمِعنى
وبصرى ، وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتيه ، وأنا أرى لك ألا
تفعل ، فقال له عمرو : ولم ؟ قال : لأن تبيع ابنُ امرأةِ كعب الأخبار .
قال : إن عظيماً من عظماء ولدِ إسماعيل بترجع فيُغلق أبواب دمشق ،
ثم يخرج منها ، فلا يلبث أن يُقتل ؛ فقال له عمرو : والله لو كنت نائماً
ما تخوفت أن ينبتني ابنُ الزرقاء ، ولا كان لي جترى على ذلك منى ، مع أن
عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه - وكان عبدُ الله بن
يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد - فقال عمرو للرسول : أبلغه
السلام ، وقل له : أنا رائح إليك العشيّة إن شاء الله . فلما كان العشي لبس عمرو
دِرْعاً حصينة بين قباء قوهي^(٢) وقميص قوهي ، وتقلد سيفه وعندَه امرأته
الكلبيّة ، وحُميد بن حرِيث بن بحدل الكلبي ، فلما نهض متوجّهاً ،
عثر بالبساط ، فقال له حميد : أما والله لئن^(٣) أطعنتني لم تأته ، وقالت له
امراته تلك المقالة ، فلم يلتفت إلى قولهم ، ومضى في مائة رجل من مواليه ،
وقد بعث عبدُ الملكِ إلى بني مروان فاجتمعوا عنده ، فلما بلغ عبد الملك

٧٨ / ٢

(١) ف : لا أرى لى في ذلك .

(٢) قوهي : نسبة إلى قومستان .

(٣) ف : لو .

أنه بالباب أمر أن يُحبَس مَنْ كان معه ، وأذن له فدَخَلَ ، ولم تنزل أصحابه يُحبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار ، وما معه إلا وصيف له ، فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك ، فإذا حوله بنو مروان ، وفيهم حسَّان ابن مالك بن سَحل الكلابي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، فلما رأى جماعتهم أحسَّ بالشر ، فالتفت إلى وصيفه فقال : انطلق ويحك إلى يحيى بن سعيد ، فقل له يأتيني . فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له : لبيك ! فقال له : اغرب عني في حرق الله وناره . وقال عبد الملك لحسان وقبيصة : إذا شئنا فقومنا فالتقيا وعمرا في الدار ، فقال عبد الملك لهما كالمأزح ليطمئن عمرو بن سعيد : أيكما أطول ؟ فقال حسَّان : قبيصة يا أمير المؤمنين أطول مني بالإمرة ، وكان قبيصة على الخاتم . ثم التفت عمرو إلى وصيفه فقال : انطلق إلى يحيى فمره أن يأتيني ، فقال له : لبيك ، ولم يفهم عنه ، فقال له عمرو : اغرب عني ، فلما خرج حسَّان وقبيصة أمر بالأبواب فغلقت ، ودخل عمرو فرحب به عبد الملك ، وقال : ها هنا يا أبا أمية ، يرحمك الله ! فأجلسه معه على السرير ، وجعل يحدثه^(١) طويلا ، ثم قال : يا غلام ، خذ السيف عنه ، فقال عمرو : إننا لله يا أمير المؤمنين ! فقال عبد الملك : أو تطمع أن تجلس معي متقلدا سيفك ! فأخذ السيف عنه ، ثم تحدثا ما شاء الله ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، فقال : إنك حيث خلعتني آليتُ بيمين إن أزا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة ، فقال له بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثم أطلقه ، وما عسيت أن أصنع بأبي أمية ! فقال بنو مروان : أبير قسم أمير المؤمنين ، فقال عمرو : قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ، ثم قال : يا غلام ، قم فاجمعه فيها ، فقام الغلام فاجمعه فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تُخبرجني فيها على رعوس الناس ! فقال عبد الملك : أمكراً أبا أمية عند الموت ! لاها الله إذا ! ما كنا

٧٨٨/٢

لنُخْرِجَكَ فِي بَاجِمَةِ عَلَى رِجْلَيْكَ ، وَلَمَّا نَخْرَجُهَا مِنْكَ إِلَّا صُعْدًا .
 ثُمَّ اجْتَبَذَهُ اجْتِبَاذَةً أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَسَّرَ ثَنِيَّتَهُ (١) ، فَقَالَ عَمْرُو :
 أَذْكَرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوكَ إِلَى كَسْرِ عَظْمٍ مِنْتِي أَنْ تَرْكَبَ (٢) مَا هُوَ
 أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَ أَنَّكَ تُبْتَقَى عَلَيَّ إِنْ
 أَبْقَيْتَ عَلَيْكَ وَتَصَلَحَ قَرِيضُ لَأَطْلُقْتُكَ ، وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ قَطَّ فِي
 بَلَدَةٍ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْخَرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ . فَلَمَّا رَأَى عَمْرُو أَنَّ
 ثَنِيَّتَهُ قَدْ انْدَقَّتْ (٣) وَعَرَفَ الَّذِي يَرِيدُ عَبْدَ الْمَلِكِ ، قَالَ : أَغْدِرَا يَا بَنِي الزَّرْقَاءِ !

٧٨٩/٢

* * *

وَقِيلَ : إِنْ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا جَدَّبَ عَمْرًا فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتَهُ جَعَلَ عَمْرُو
 يَمْسُهَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَهُ : أَرَى ثَنِيَّتَكَ قَدْ وَقَعَتْ (٤) مِنْكَ مَوْعِدًا
 لَا تَطِيبُ نَفْسُكَ بَعْدَهَا . فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ عُنُقُهُ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَتَوَانَةَ . وَأَذَانَ الْمُؤَذِّنُ الْعَصْرَ ، فَخَرَجَ
 عَبْدُ الْمَلِكِ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، وَأَمَرَ عَبْدَ الْعَزِيزَ بْنَ مَرْوَانَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَقَامَ
 إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزُ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَذْكَرَكَ اللَّهُ وَالرَّحِيمَ أَنْ تَتْلَى
 أَنْتَ قَتَلْتَنِي ، وَلِيَتَوَلَّ ذَلِكَ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ رَحِيمًا مِنْكَ ! فَأَلْقَى عَبْدَ الْعَزِيزُ
 السَّيْفَ وَجَلَسَ ، وَصَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ صَلَاةً خَفِيفَةً ، وَدَخَلَ ، وَغُلَّتْ الْأَبْوَابُ وَرَأَى
 النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ حَيْثُ خَرَجَ وَلَيْسَ عَمْرُو مَعَهُ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ
 فَأَقْبَلَ فِي النَّاسِ حَتَّى حَلَّ بِبَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ أَلْفُ عَبْدٍ لِعَمْرُو ، وَأَنَاسُ
 بَعْدُ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ ، فَجَعَلَ مَنْ كَانَ مَعَهُ يَصِيحُونَ : أَسْمَعْنَا صَوْتَكَ
 يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! وَأَقْبَلَ مَعَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ حُمَيْدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَزُهَيْرُ بْنُ الْأَبْرَدِ
 فَكَسَرُوا بَابَ الْمَقْصُورَةِ ، وَضَرَبُوا النَّاسَ بِالسُّيُوفِ ، وَضَرَبَ عَبْدُ لَعَمْرُو بْنُ
 سَعِيدٍ يُقَالُ لَهُ مَصْقَلَةٌ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ ، وَاحْتَمَلَهُ إِبْرَاهِيمُ
 ابْنُ عَرَبِيِّ صَاحِبِ الدِّيْوَانِ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَ الْقَرَاطِيسِ ، وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ حِينَ
 صَلَّيْتُ فَوَجَدَ عَمْرًا حَيًّا ، فَقَالَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَقْتُلَهُ ! قَالَ :

٧٩٠/٢

(١) ف : و ثنيته .
 (٢) بعد ما في ف : و مني .
 (٣) ف : و أن ثنيته انفتحت .
 (٤) ف : و أرى أن ثنيته انفتحت .

مَنْعَنِي أَنَّهُ نَاشَدَنِي اللَّهَ وَالرَّحِيمَ فَرَقَقْتُ لَهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَخْزَى
اللَّهُ أُمَّكَ الْبَتَّالَةَ عَلَى عَقَبِيِّهَا ، فَإِنَّكَ لَمْ تُشَبِّهْ غَيْرَهَا - وَأُمُّ عَبْدِ الْمَلِكِ عَائِشَةُ
بِنْتُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيْلَى ،
وَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرَّقَيْتَاتِ :

ذَاكَ ابْنُ لَيْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بِيَا بِلْيُونَ تَغْدُو جِفَانَهُ رُدْمًا^(١)

ثم إن عبد الملك قال : يا غلام ، ائتمني بالحرربة . فأناه بالحرربة فهزتها ،
ثم طعنه بها فلم تنجز ، ثم ثنتي فلم تنجز ، فضرب بيده إلى عضد عمرو ،
فتوجد مس الدرع ، فضحك ، ثم قال : ودارع أيضا يا أبا أمية ! إن
كنت لمعدا ! يا غلام ، ائتمني بالصمصامة ، فأناه بسيفه ، ثم أمر بتعمرو
فصرع ، وجلس على صدره فذبحه وهو يقول :

يَا عَمْرُو إِنْ لَا تَدَعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي^(٢)

وانتفض عبد الملك رعدة - وكذلك الرجل زعموا يُصِيبُهُ إِذَا قَتَلَ
ذَا قَرَابَةَ لَهُ - فَحُمِلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ صَدْرِهِ فُوضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَقَالَ :
مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، فَتَلَّاهُ صَاحِبُ دُنْيَا وَلَا طَالِبُ آخِرَةٍ . وَدَخَلَ بِحِجِي
ابْنُ سَعِيدٍ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ الدَّارَ فَجَرَّحُوهُمْ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ
مَوَالِيهِمْ ، فَقَاتَلُوا بِحِجِي وَأَصْحَابَهُ ، وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ
الثَّقَفِيُّ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الرَّأْسَ ، فَأَلْقَاهُ إِلَى النَّاسِ ، وَقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ
فَأَخَذَ الْمَالَ فِي الْبَدْوِ ، فَجَعَلَ يُلْقِيهَا إِلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى
الْأَمْوَالِ وَرَأَوْا الرَّأْسَ انْتَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَتَفَرَّقُوا . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ
ابْنَ مَرْوَانَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ أَمَرَ غَلَامَهُ أَبَا الزُّعَيْرَةَ بِقَتْلِ عَمْرُو ،
فَقَتَلَهُ وَأَلْقَى رَأْسَهُ إِلَى النَّاسِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ .

قال هشام : قال عوانة : فحدثت أن عبد الملك أمر بتلك الأموال
التي طرحت إلى الناس فجبيبت حتى عادت كلها إلى بيت المال ، ورُمي
بحي بن سعيد يومئذ في رأسه بصخرة ، وأمر عبد الملك بسريره فأبرز إلى

(١) ديوانه ١٥٢ . ردما : ملاه . وبابلون : اسم لموضع الفسطاط .

(٢) لدى الإصبع ، من المفضلية ٣١ .

المسجد ، وخرج فجلس عليه ، وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول :
ويَسْحِكُمْ ! أين الوليد؟ وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أذركوا نأرهم ، فاتاه
إبراهيم بن عربي الكِنَانِي فقال : هذا الوليد عندي ، قد أصابته جراحة ،
وليس عليه بأس ، فأتى عبدُ الملك بيحيى بن سعيد ، فأمر به أن يُقتل ،
فقام إليه عبدُ العزيز ، فقال : جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ يا أميرَ المؤمنين ! أتراك
قاتلاً بنى أمية في يوم واحد ! فأمر بيحيى فحبس ، ثم أتى بعنيسة بن
سعيد ، فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين
في استئصال بنى أمية وهلاكها ! فأمر بعنيسة فحبس ، ثم أتى بعنيسة بن سعيد
فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز بن مروان ، فقال : اذكرك لك الله
يا أمير المؤمنين في استئصال بنى أمية وهلاكها ! فأمر بعنيسة فحبس ، ثم
أتى بعامر بن الأسود الكلبي فضرب رأسه عبدُ الملك بقضيب خيَزُرَان كان
معه ، ثم قال : أتقاتلني مع عمرو وتكون معه علي ! قال : نعم ، لأن
عمرا أكرمني وأهنتني ، وأدنانى وأقصيتني ، وقرّبتني وأبعدتني ، وأحسن إلى
وأساءت إلى ، فكنتُ معه عليك . فأمر به عبدُ الملك أن يُقتل ، فقام
عبدُ العزيز فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين في خالي ! فوهبه له . وأمر
ببني سعيد فحبسوا ، ومكث يحيى في الحبس شهراً ثم أكثر . ثم إن عبد الملك
صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم استشار الناس في قتله ، فقام
بعضُ خطباء الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، هل تلد الحية إلا حية ! نرى
والله أن تقتله فإنه منافق عدو . ثم قام عبدُ الله بن مسعدة الفزاري ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن يحيى ابنُ عمك ، وقرابته ما قد علمت ،
وقد صنعوا ما صنعوا ، وصنعتَ بهم ما قد صنعتَ ، ولست لهم بأمين ،
ولا أرى لك قتلهم ، ولكن سيرهم إلى عدوك ، فإن هم قُتلوا كنتَ قد
كُفيت أمرهم بيد غيرك ، وإن هم سَلِموا ورجعوا رأيتَ فيهم رأبك .
فأخذ برأيه ، وأخرج آل سعيد فألحقهم بمصعب بن الزبير ، فلما
قدموا عليه دخل يحيى بن سعيد ، فقال له ابن الزبير : انفلت
وانحص الذنوب ، فقال : والله إن الذنوب لبهلتني . ثم إن
عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو الكلبيّة : ابغى إلى بالصلح الذي كنتُ كتبه

لعمر و ، فقالت لرسوله : ارجع إليه فأعلمه أني قد لفتت ذلك الصلح معه في
أكفانه ليُخاصمك به عند ربّه ، وكان عمرو بن سعيد وعبد الملك
يُتقبان في النسب إلى أميّة ، وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكيم
ابن أبي العاص عمّة عبد الملك .

قال هشام : فحدثنا عوانة أن الذي كان بين عبد الملك وعمرو كان
شراً قديماً ، وكان ابناً سعيد أمهما أم البنين ، وكان عبد الملك ومعاوية
ابني مروان ، فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحكيم
الكنانية يتحدثون عندها ، فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم
أسود ، وكانت أم مروان إذا أتوها هيأت لهم طعاماً ، ثم تأتيهم به فتضع
بين يدي كل رجل صحيفة على حدة ، وكانت لا تزال تؤرش بين معاوية
ابن مروان ومحمد بن سعيد ، وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد ، فيقتتلون
ويتصارمون الحين ، لا يكلم بعضهم بعضاً ، وكانت تقول : إن لم يكن عند
هذين عقل فعند هذين ، فكان ذلك دأبها كما أتوها حتى أثبتت الشحاء
في صدورهم .

وذكر أن عبد الله بن يزيد القسريّ أبا خالد كان مع يحيى
ابن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة ، فقاتل بني مروان ،
فلما قتل عمرو وأخرج رأسه إلى الناس ركب عبد الله وأخوه خالد
فكبحقوا بالعراق ، فأقام مع ولد سعيد وهم مع مُصعب حتى اجتمعت
الجماعة على عبد الملك ، وقد كانت عين عبد الله بن يزيد فُقيت يوم
المرج ، وكان مع ابن الزبير يُقاتل بني أميّة ، وإنه دخل على عبد الملك
بعد الجماعة ، فقال : كيف أنتم آل يزيد ؟ فقال عبد الله : حرباء حرباء ،
فقال عبد الملك : ذلك بما قدمت أيديكم ، وما الله بظلام للعبيد .

قال هشام عن عوانة : إن ولد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك
بعد الجماعة وهم أربعة : أميّة ، وسعيد ، وإسماعيل ، ومحمد ، فلما نظر
إليهم عبد الملك قال لهم : إنكم أهل بيت لم تزالوا تروون لكم على جميع
قومكم فضلاً لم يجعله الله لكم ، وإن الذي كان بيني وبين أبيكم لم

يكن حديثاً ، بل كان قديماً في انفس أوليكم على أولينا في الجاهلية .
 فاقطع بامية بن عمرو - وكان أكبرهم - فلم يقدر أن يتكلم ، وكان أنبلهم
 وأعقلهم ، فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال : يا أمير المؤمنين ،
 ما تسعى علينا أمراً كان في الجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام فهتدم ذلك ،
 فوعدنا الجنة ، وخذرنا ناراً ! وأما الذي كان بينك وبين عمرو فإن عمراً
 ابن عمك ، وأنت أعلم بما صنعت ، وقد وصل عمرو إلى الله ، وكفني بالله
 حسيباً ، ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خيراً لنا من
 ظهرها . فرق لهم عبد الملك رقعة شديدة ، وقال : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني
 أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم ، وأوصلني
 لقرابتكم ، وأرعاني لحقكم ! فأحسن جوائزهم ، ووصلهم وقربهم .

وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب
 منك ومن عمرو بن سعيد ، كيف أصبت غيرته فقتلته ! فقال عبد الملك :

دَانِيَتْهُ مِنِّي لَيْسَكْنَ رُوعُهُ فَأَصُولَ صَوْلَةَ حَازِمٍ مُسْتَمَكِنِ
 غَضَبًا وَمَحْمِيَةً لِلدِّينِ إِنَّهُ لَيْسَ الْمُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْمُحْسِنِ

قال عروة : لقي رجلٌ سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة ، فقال له : ورب
 هذه البنية ، ما كان في القوم مثل أبيك ، ولكنه نازع القوم ما في أيديهم
 فعتب .

٧٩٦/٢

وكان الواقدي يقول : إنما كان في سنة تسع وستين بين عبد الملك
 ابن مروان وعمرو بن سعيد الحصار ، وذلك أن عمرو بن سعيد تحصن
 بدمشق فرجع عبد الملك إليه من بطنان حبيب ، فحاصره فيها ، وأما
 قتله إياه فإنه كان في سنة سبعين .

•••

وفي هذه السنة (١) أحكم مسحككم من الخوارج بالخيف من منى فقتل
 عند الجمرة ، ذكر محمد بن عمرو أن يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن

(١) قبلها في ١ : « قال أبو جعفر » .

ثم دخلت سنة سبعين ذكر ما كان فيها من الأحداث

في هذه السنة ثارت الروم ، واستجاشوا على من بالشام من ذلك من المسلمين ؛ فصالح عبد الملك ملك الروم ، على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين .

وفيها شخص - فيما ذكر^(١) محمد بن عمر - مصعب بن الزبير إلى مكة فقدمها بأموال عظيمة ، فقسمها في قومه وغيرهم ، وقدم بدواب كثيرة وظاهر وأثقال ، فأرسل إلى عبد الله بن صفوان وجبشير بن شيبه ، وعبد الله بن مطيع مالا كثيراً ، ونحر بدنناً كثيرة .

٧٩٧/٢

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .
وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على المعاون والقضاء .

(١) ب ، ف : « زعم » .

ثم دخلت سنة سبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة ثارت الروم ، واستجاشوا على من بالشام من ذلك من المسلمين ؛ فصالح عبد الملك ملك الروم ، على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين .

وفيهما شخص - فيما ذكر^(١) محمد بن عمر - مصعب بن الزبير إلى مكة فقدمها بأموال عظيمة ، فقسمها في قومه وغيرهم ، وقدم بدواب كثيرة وظهراً وأثقال ، فأرسل إلى عبد الله بن صفوان وجبشير بن شيبه ، وعبد الله بن مطيع مالا كثيراً ، ونحر بدينار كثيرة .

٧٩٧/٢

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .
وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على
المعاون والقضاء .

(١) ب ، ف : زعم .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مسيرُ عبد الملك بن مروان فيها إلى العراق لحرب مُصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك - فيما قيل - لا يزال يقرب من مُصعب ، حتى يبلغ بطنان حبيب ، ويخرج مصعب إلى بَاجْمِيرَا ، ثم تهجمُ الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه ، ثم يعودان ؛ فقال عدى بن زيد بن عدى بن الرقاع العاملي :

لعمري لقد أصحرت خيلنا بأكناف دجلة للمُصعب^(١)
 إذا ما مُنافق أهل العرا قِ عوتب ثمت لم يُعتب^(٢)
 دلفنا إليه بذي تدرأ قليل التَّفَقْدِ للغيب^(٣)
 يهزون كل طويل القنا ة مُلتئم النُضْلِ والثعلب^(٤)
 كأن وعاهم إذا ماغدوا ضجيج قَطَا بلدٍ مُخصب
 فقد منا واضح وجهه كريم الضرائب والمنصب
 أعين بنا ونصرنا به ومن ينصر الله لم يُغلب^(٥)

(١) الأغاني ٩ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٢) ذو تدرأ . مدافع ذو عز ومتمعة . وفي المسموعى : « لدى موقف » .

(٣) الأبيات برواية الأغاني :

(٤) الثعلب هنا : رأس الريح .

لعمري لقد أصحرت خيلنا بأكناف دجلة للمُصعب
 يهزون كل طويل القنا ة لدنٍ ومعتدل الثعلب
 فداوك أمي وأبناؤها وإن شئت زدت عليها أبي
 وما قلتها رهبة إنما يحمل العقاب على المذنب
 إذا شئت نازلت مستقتلا أزاحم كالجمال الأجرَب
 فمن يك منا يبت آمناً ومن يك من غيرنا يهرب

فحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : أقبل عبدُ الملك من الشام يريد مُصعباً - وذلك قبل هذه السنة ، في سنة سبعين - ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال خالد لعبد الملك : إن وجهتني إلى البصرة وأتبعنتني خيلاً يسيرة رجوتُ أن أغلب لك عليها . فوجهه عبد الملك ، فقد مها مستخفياً في مواليه وخاصته ، حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهلي .

قال عمر : قال أبو الحسن : قال مسلمة بن محارب : أجاز عمرو بن أصمع خالداً ، وأرسل إلى عبّاد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر - وكان مُصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر - ورجا عمرو بن أصمع أن يبايعه عبّاد بن الحصين - بأتى قد أجزتُ خالداً فأحببت أن تعلم ذلك لتكون لي ظهراً . فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه ، فقال له عبّاد : قل له : والله لا أضع لبدّ فرسي حتى آتيتك في الخيل . فقال عمرو لخالد : إني لا أغرك ، هذا عبّاد يأتينا الساعة ، ولا والله ما أقدر على منعك ؛ ولكن عليك بمالك بن مسمع .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : ويقال إنّه نزل على علي بن أصمع ، فبلغ ذلك عبّاداً^(١) فأرسل إليه عبّاد : إني سائر إليك .

٧٩٩/١

حدثني عمر [بن شبة]^(٢) ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن مسلمة وعوانة^(٣) أن خالداً خرج من عند ابن أصمع يركض ، عليه قميص قهوي رقيق ، قد حسره عن فخذه ، وأخرج رجليه من الركابين ؛ حتى أتى مالكا ، فقال : إني قد اضطررتُ إليك ، فأجزتني ، قال : نعم ، وخرج هو وابنه ، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد ؛ فكانت أول راية أته راية بني يشكر . وأقبل عبّاد في الخيل ، فتواقفوا ، ولم يكن بينهم ، فلما كان من الغد غدوا إلى حنظرة نافع بن الحارث التي نسبت بعدُ إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه ؛ منهم صعصعة بن معاوية ، وعبد العزيز بن

(٢) من ب ، ف .

(١) ب ، ف : « فقال » .

(٣) ب ، ف : « عن عوانة » .

بشر، ومرة بن مِحْكَنَان ، في عدد منهم ؛ وكان أصحاب خالد جُفْرِيَّة ينسبون إلى الجُفْرَة ، وأصحاب ابن معمر زُبَيْرِيَّة ؛ فكان من الجُفْرِيَّة عبيد الله بن أبي بَكْرَة وحُمران والمغيرة بن المهلب ، ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السُلَمِي ؛ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه ، فتقاضاه رجل أجره فقال : غداً أعطيكها ، فقال غَطَطَان بن أنيف ، أحد بن كعب بن عمرو :

لبئس ما حكمت يا جلاجلُ النقْدُ دَيْنٌ والطَّعَانُ عاجِلُ
• وأنتَ بالبَابِ سَمِيرٌ آجِلُ •

وكان قيس يعلّق^(١) في عنق فرسه جلاجل ، وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وبرة القحيفي^(٢) ؛ وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم ، فيعطونهم عشرة عشرة ، فقبل له :

لبئس ما حكمت يا بن وبرة تُعْطَى ثَلَاثِينَ وتُعْطَى عَشْرَةَ
ووجه المصعب زحر بن قيس الجعفي مددًا لابن معمر في ألف ، ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظببيان مددًا لخالد ، فكتره أن يدخل البصرة ، وأرسل مطر بن التوهم فرجع إليه فأخبره بتفرق الناس ، فلحق بعبد الملك .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : فحدثني شيخ من بني عرين ، عن السكن بن قتادة ، قال : اقتلوا أربعة عشرين يوماً ، وأصابت عين مالك ، فضجر من الحرب ، ومشت السفراء ، بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فصالحه ، على أن يخرج خالدًا وهو آمن ، فأخرج خالدًا من البصرة ، وخاف ألا يجيز المصعب أمان عبيد الله ، فلحق مالك بثأج ، فقال الفرزدق يذكر مالكا ولحوق التميمية به وبخالد :

عجبت لأقوامِ تميمٍ أبوهم وهم في بني سعدٍ عظامُ المبارك^(٣)

(١) كذا في ا ، س ، وفي ط : « يعلم » .

(٢) ب : « الجعفي » ، س : « المجيني » . (٣) ديوانه ٦٠٠ .

وكانوا أعزَّ الناسِ قبلَ مسيرِهِمْ إلى الأزدِ مُصَفَّرًا لِحاها ومالكِ
فما ظَنُّكُمْ بابنِ الحَوَارِيِّ مُصْعَبِ إذا افتَرَّ عن أنيابهِ غيرَ ضاحِكِ
ونحنُ نَفِينا مالِكًا عن بِلادِهِ ونحنُ فقانًا بَعِينُهُ بالنيازِ

٨٠١/٢

قال أبو زيد : (١) قال أبو الحسن : حدثني مسلمة (١) أن المصعب لما
انصرف عبد الملك إلى دمشق لم يكن (٢) له همّة إلا البصرة ، وطمّح أن
يُدرك بها خالدًا ، فوجدته قد خرج ، وأمن ابن معمر الناس ، فأقام
أكثرهم ، وخاف بعضهم مصعبًا فشخص ، فغضب مصعب على ابن
معمر ، وحلف ألا يوليه ، وأرسل إلى الجفريّة فسبّهم وأتّبهم .

قال أبو زيد : فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة أنه أرسل إليهم
فأتى بهم ، فأقبل على عبید الله بن أبي بكر ، فقال : يا ابن مسروح ، إنّما
أنت ابن كلبية تعاورها الكلاب ، فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كل
كلب بما يُشبهه ، وإنّما كان أبو كعبًا نزل إلى رسول الله صلّى الله
عليه وسلم من حصن الطائف ، ثم أقمت البيّنة تدعون أن أبا سفيان
زنى بأمّكم ، أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم . ثم دعا بحمّران
فقال : يا ابن اليهوديّة ، إنّما أنت علج نبطي سببت من عيّن التمر .
ثم قال للحكمم بن المنذر بن الجارود : يا ابن الخبيث ، أتدري من أنت
ومن الجارود ! إنّما كان الجارود علجًا بجزيرة ابن كاوان فارسيًا ، فقطع إلى
ساحل البحر ، فانتمى إلى عبد القيس ، ولا والله ما أعرف حيًا أكثر اشتمالًا
على سوءة منهم . ثم أنكح أخته المكعب الفارسي فلم يصب شرًا قط
أعظم منه ، فهؤلاء ولدوها يا ابن قباذ . ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهراني
فقال : ألسنت من أهل هجر . ثم من أهل سماهيج ! أما والله لأردنك
إلى نسبك . ثم أتى بعل بن أصم ، فقال : أعبد لبي تميم مرة وعزى من
باهلة ! ثم أتى بعبد العزيز بن بشر بن حنّاط فقال : يا ابن المشهور ، ألم
يسرق عمك عنزًا في عهد عمر ، فأمر به فسيّر ليقطعه ! أما والله ما أعنت إلا

٨٠٢/٢

(١-١) ب ، ف : « عمر بن شبة عن أبي الحسن المدائني عن مسلمة » .

(٢) ب ، ف : « لم تكن » .

من يَسْكُحْ أَخْتَكِ - وكانت أختُه تحت مقاتل بن مِسْمَعٍ - ثم أتى بأبي حاضر الأسدى فقال : يا بن الإصْطَخْرِيَّةِ ، ما أنت والأشراف ! وإنما أنت من أهل قطر دَعَى في بني أسد ، ليس لك فيهم قريب ولا نسيب . ثم أتى بزياد بن عمرو فقال : يا بن الكَرَمَانِي ، إنما أنت عُلج من أهل كَرَمَانٍ قطعت إلى فارس فصرت مَلَا حَا ، مَالِكٌ ولِلْحَرَبِ ! لأنْتَ بِسَجْرٍ القَلَسِ (١) أَحْذَقُ . ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال : أَعْلَى تُكْشِرُ وَأَنْتَ عُلج من أهل هَجْرٍ ، لحق أبوك بالطائف وهم يضمون من تَأَسَّبَ إليهم يتعززون به ! أما والله لأردنك إلى أصلك . ثم أتى بشَيْخِ بن النُّعْمَانِ فقال : يا بن الحَبِيثِ ، إنما أنت عُلج من أهل زَنْدَوْرَدِ ، هَرَبْتَ أَمَكِ وَقُتِلَ أبوك ، فتزوج أختَه رجلٌ من بني يَشْكُرٍ ، فجاءت بغلامين ، فألحقناك بنسبهما ، ثم ضربهم مائة مائة ، وحلق رءوسهم ولحاهم ، وهدم دُورهم ، وصهرهم في الشمس ثلاثاً ، وحملهم على طلاق نسائهم ، وجمر أولادهم في البُعوث ، وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم ألا يَسْكُحُوا الحَرَاثِرَ . وبعث مُصْعَبُ خِدَاشَ بنَ يَزِيدَ (٢) الأَسَدِيَّ في طلب من هَرَبَ من أصحاب خالد ، فأدرك مُرَّةَ بنَ مَسْحُكَانَ فأخذه ، فقال مُرَّةُ :

بني أسدٍ إن تقتلوني تحاربوا نجا إذا الحرب العوان اشمعلت
بني أسد هل فيكم من هوادة فتعفون إن كانت بي النعل زلت
فلاتحسب الأعداء إذ غبت عنهم وأوريت معناً أن حربى كلت
تمشى خدأش في الأسيكة آمناً وقد نهلت منى الرماح وعلت

فقربه خدأش فقتله - وكان خدأش على شرطة مُصْعَبِ يومئذ -
وأمر مصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن

(١) القلس : جبل غليظ من جبال السفن .

(٢) ب ، ف : « مرثد » .

مسمع فهدمها ، وأخذ مُصعب ما كان في دار مالك ، فكان فيما أخذ
 بجارية ولدت له عمر بن مُصعب . قال : وأقام مُصعب بالبصرة حتى (١)
 شخص إلى الكوفة ، ثم لم (٢) يزل بالكوفة حتى خرج (٣) لحرب عبد الملك ،
 ونزل عبد الملك مسكن ، وكتب عبد الملك إلى المروانية من أهل العران ،
 فأجابته كلهم وشرط عليه ولاية أصبهان ، فأنعم بها لهم كلهم ، منهم حجاج
 ابن أبيجر ، والغضبان بن القبيعي ، وعتاب بن ورقاء ، وقطن بن عبد الله
 الحارثي ، ومحمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس ، وزحر بن قيس ، ومحمد
 ابن عمير ، وعلى مقدمته محمد بن مروان ، وعلى يمينته عبد الله بن يزيد بن
 معاوية ، وعلى يسرته خالد بن يزيد ، وسار إليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة .
 قال عروة بن المغيرة بن شعبه : فخرج يسير متسكنا على معرفة
 دابته ، ثم تصفح (٤) الناس يمينا وشمالا فوقعت عينه على ، فقال : يا عروة ،
 إلى ، فدنوت منه ، فقال : أخبرني عن الحسين بن علي ، كيف صنع
 بإيائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب ؟ فقال :

إِنَّ الْأَلَى بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأْسُوا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّاسِيَا (٥)

قال : فعلت أنه لا يرجم حتى يقتل ، وكان عبد الملك - فيما ذكر
 محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي قرّة ، عن إسحاق
 ابن عبد الله بن أبي فرّوة ، عن رجاء بن حيوة - قال : لما قتل عمرو بن
 سعيد وضع السيف فقتل من خالفه ، فلما أجمع بالمسير إلى مصعب وقد
 صفت له الشام وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ إلى مصعب ، فاختلف
 عليه رؤساء أهل الشام من غير خلاف لما يريد ، ولكنهم أحببوا أن يقيم ويقدم
 الجيوش ، فإن ظفروا فذاك ، وإن لم يظفروا أمدّهم بالجيوش خشية على
 الناس إن أصيب في لقائه مصعبا لم يكن وراءه ملك ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ،
 لو أقمتم مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ، ثم

(١) ب ، ف : « ثم » .

(٢) ب ، ف : « ولم » . (٣) ب ، ف : « شخص » .

(٤) ب ، ف : « يتصفح » .

(٥) (السان (أسي) من غير نسبة ، وروايته : « التاسيا » .

سرّحتَه إلى مصعب ! فقال عبدُ الملك : إنّه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشيّ له رأى ، ولعلّي أبعث من له شجاعة ولا رأى له ، وإني أجد في نفسي أني بصيرٌ بالحرب ، شجاعٌ بالسيف إن أُلحِثْتُ إلى ذلك ، ومصعب في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قریش ، وهو شجاع ولا علم له بالحرب ، يُحِبُّ الخفض ، ومعه من يُخالفه ، ومعى من ينصح لى . فسار عبد الملك حتّى نزل مسكِين ، وسار مصعب إلى باجُمَيسِرَا ، وكتب عبدُ الملك إلى شيعته من أهل العراق ، فأقبل إبراهيمُ بنُ الأشتر بكتاب عبد الملك محتوماً لم يقرأه ، فدفعه إلى مصعب ، فقال : ما فيه ؟ فقال : ما قرأته ، فقرأه مصعب فإذا هو يدعو إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق ، فقال لمصعب : إنّه والله ما كان من أحد آيس^(١) منه منى ، ولقد كتب إلى أصحابك كلّهم بمثل الذى كتب إلى ، فأطعنى فيهم فاضرب أعناقهم . قال : إذا لا تُناصحنا عشائركم . ٨٠٦/٢

قال : فأقرهم حديدًا وابعث بهم إلى أبيض كسرى فاحبسهم^(٢) هنالك ، ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم ، وإن غلبت مننت بهم على عشائركم . فقال : يا أبا النعمان ، إني لتي شغل عن ذلك ، يرحم الله أبا بَحر ، إن كان ليحذرنى غدر أهل العراق ، كأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه !

حدثني عمر ، قال : حدثنا محمد بن سلام ، عن عبد القاهر بن السرى ، قال : هم أهل العراق بالغدر بمصعب ، فقال قيس بن الهيثم : ويحككم ! لا تدخلوا أهل الشام عليكم ، فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليصفين عليكم منازلكم ، والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسلته في حاجة ، ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير ، وإن الرجل من وجوههم ليتغزو على فرسه وزاده خلفه .

قال : ولما تدانى العسكران بدائر الجائلين من مسكين ، تقدم إبراهيم بن الأشتر فحتمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه ، فوجه عبد الملك بن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية ، فقرب من محمد بن

(١) ب ، ف : « آيس » . (٢) ب ، ف : « واحبسهم » .

مروان . والتقى القومُ فقتلَ مُسلم بن عمرو الباهليّ ، وقتلَ يَحْيَى ابن مبشّر ، أحد بني ثعلبة بن يربوع ، وقتلَ إبراهيم بن الأشتر ، فهرب عتاب ابنُ ورقاء - وكان على الخيل مع مصعب - فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثي : أبا عثمان ، قدّم خيلك ، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولم ؟ قال : أكره أن تُقتلَ مذحجٌ في غير شيء ، فقال الحجّار بن أبجر : أبا أسيد ، قدّم رايتهك ؛ قال : إلى هذه العذرة ! قال : ما تتأخّر إليه والله أنتن وألام ؛ فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك ، فقال : ما أرى أحداً فعَل ذلك فأفعله ، فقال مصعب : يا إبراهيم ولا إبراهيمَ لي اليوم !

٨٠٧/٢

حدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد بن سلام ، قال : أخبرني بنو خازم بمسير مصعب إلى عبد الملك ، فقال : أمّته عمر بن عبّيد الله بن معمر ؟ قيل : لا ، استعمله على فارس ، قال : أمّته المهلب بن أبي صفرة ؟ قيل : لا ، استعمله على الموصل ، قال : أمّته عبّاد بن الحصين ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة ، فقال : وأنا بخراسان !

خُذِينِي فَجُرِّينِي جَعَارٍ وَأُبَشِيرِي بِلَحْمِ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ
فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب : يا بُنَيَّ ، اركب أنتَ ومن معك إلى عمّك بمكة فأخبره ما صنع أهلُ العراق ، ودعني فإني مقتول . فقال ابنه : والله لا أخبر قريشاً عنك أبداً ، ولكن إن أردت ذلك فالحقُ بالبصرة فهم على الجماعة ، أو الحقُّ بأمير المؤمنين . قال مصعب : والله لا تتحدّث قريش أني فررت بما صنعتُ ربيعةً من خذلانها حتى أدخل الحرمَ مُنْهَزِماً ، ولكن^(١) أقاتل ، فإن^(٢) قُتلتُ فلعنتمى ما السيفُ بعار ، وما الفرارُ لي بعادة ولا خلُق ، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل . فرجع فقاتل حتى قتل .

٨٠٨/٢

قال علي بن محمد عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر ، عن أبيه

(١) ب ، ف : « ولكن » . (٢) ب ، ف : « فلن » .

إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان : إن ابن عمك يعطيك الأمان ، فقال مصعب : إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً .

وقال الهيثم بن عدي : حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن عبيد الله ، عن أبيه ، قال : إننا لو قُوف مع عبد الملك بن مروان وهو يُحارب مصعباً إذ دنا زياد بن عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسماعيل بن طلحة كان لي جاراً صدق ، قلماً أرادني مُصعب بسوء إلا دفعه عني ، فإن رأيت أن تؤمنه على جرمه ! قال : هو آمن ، فمضى زياد - وكان ضخمًا على ضخم - حتى صار بين الصفتين ، فصاح : أين أبو البختري إسماعيل بن طلحة ؟ فخرج إليه ، فقال : إني أريد أن أذكر لك شيئاً ، فدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما - وكان الناس ينتطقون بالحواشي المحشوة - فوضع زياد يده في منطقة إسماعيل ، ثم اقتلعه عن سرجه - وكان نحيفاً - فقال : أنشدك الله يا أبا المغيرة ، إن هذا ليس بالوفاء لمصعب ، فقال : هذا أحب إلي من أن أراك غداً مقتولاً .

ولمّا أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له : يا بن أخي ، لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد آمنك عمك فامض إليه ، قال : لا تتحدث نساء قريش أني أسلمت للقتل ؛ قال : فتقدم بين يديّ أحتسبك ، فقاتل بين يديه حتى قتل ، وأثخن مصعب بالرّمى ، ونظر إليه زائدة بن قدامة فشده عليه فطعنه ، وقال : يا لثارات المختار ! فصرعه ، ونزل إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، فاحتز رأسه ، وقال : إنّه قتّل أخى النابى بن زياد . فأتى به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : إني لم أقتله على طاعتك ، إنما قتلته على وتر صنعه بي ، ولا آخذ في حمل رأس مالا . فتركه عند عبد الملك .

وكان الوتر الذي ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان أنه قتل عليه مصعباً أن مصعباً كان ولي في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهلي ثم أحد بني جأوة .

فحدثني عمر بن شبيبة ، قال : حدثني أبو الحسن المدائني ومخالد بن يحيى بن حاضر ، أن مطرفاً أتى بالنابى بن زياد بن ظببيان ورجل من بني نمير قد قطعاً الطريق ، فقتل النابى ، وضرب النميرى بالسياط فتركه ، فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظببيان جتمعاً بعد أن عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز ، فخرج يريد ، فالتقى فتواقفاً وبينهما نهر ، فعبر مطرف إليه النهر ، وعاجله ابن ظببيان فطعمه فقتله ، فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلب ابن ظببيان ، فسار حتى بلغ عسكر مكرم ، فنسب إليه ، ولم يلق ابن ظببيان . ولحق ابن ظببيان بعد الملك لما قتل أخوه ، فقال البعيث اليشكري بعد قتل مصعب يتذكر ذلك :

٨١٠/٢

ولما رأينا الأمر نكساً صدوره
وهم الهوادي أن تكن تواليًا^(١)
صبرنا لأمر الله حتى بقيمة
ولم نرض إلا من أمية واليا
ونحن قتلنا مصعباً وابن مصعب
أخا أسد والنخعي البانيًا
ومرت عقاب الموت منا بمسلم
فأهوت له ناباً فأصبح ثاويًا
سقيننا ابن سيدان بكأس روية
كفتنا ، وخير الأمر ما كان كافيا

حدثني أبو زيد ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مر ابن ظببيان بابنة مطرف بالبصرة ، فقيل لها : هذا قاتل أبيك ، فقالت : في سبيل الله أبي ، فقال ابن ظببيان :

فلا في سبيل الله لاقى حمامه
أبوك ولكن في سبيل الدراهم
فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق إلى البيعة ، فبايعوه ، وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدجيل عند ديار الجاثليق
فلما قتل أمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدُفنا .

٨١١/٢

ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد ، عن أبي بكر بن عمير ، عن عروة

(١) : أن تكون .

قال : قال عبدُ الملك حين قُتِل مُصعب : واروهُ فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة ، ولكن هذا الملك عقيم .

قال أبو زيد : وحدثنى أبو نعيم ، قال : حدثني عبدُ الله بنُ الزبير أبو أبي أحمد ، عن عبد الله بن شريك العامري ، قال : إني لواقفٌ إلى جنب مصعب بن الزبير فأخرجتُ له كتابًا من قبائي ، فقلتُ له : هذا كتابُ عبد الملك ، فقال : ما شئت ، قال : ثم جاء رجلٌ من أهل الشام فدخل عسكره ، فأخرجَ جارية فصاحت : واذُلاه ! فنظر إليها مُصعب ، ثم أعرَض عنها .

قال : وأتى عبدُ الملك برأس مُصعب ، فنظر إليه فقال : متى تغذو قريشٌ مثلك ! وكانا يتحدثان إلى حُببي ، وهما بالمدينة ، فقيل لها : قُتِل مصعب ، فقالت : تتعيس قاتله ! قيل : قتله عبدُ الملك بن مروان ، قالت : بأبي القاتل والمقتول !

قال : وحتجَّ عبدُ الملك بعد ذلك ، فدخلتُ عليه حُببي ، فقالت : أقتلت أخاك مُصعبًا ؟ فقال :

من يذوق الحربَ يجد طعمها
وقال ابن قيس الرقيبات :

لقد أوزتَ المصرين خزيًا وذلةً
قَتِيلُ بَدِيرِ الجائليقِ مُقيمٌ (٢)
فما نصحتُ لله بكرُ بن وائلٍ
ولا صبرتُ عند اللقاءِ تميمٌ
ولو كان بكرُيًا تعطفَ حوارهُ
كتابُ يغلي حَمِيها ويدومُ
ولكنه ضاعَ الدمامُ ولم يكن
بها مُضريُّ يومَ ذاكِ كريمٌ
جزى الله كوفيًا هناك ملامةً
وبضريهم إنَّ المليمَ مليمٌ
وإنَّ بني العلاتِ أخلوا ظهورنا
ونحن صريحٌ بينهم وصميمٌ

(١) لأبي قيس بن الأسلت ، من المفضلية ٧٥ . والجمع : المحبس في المكان الجشب أو الضيق .
(٢) ديوانه ١٩٦ ، وبعده في رواية الديوان :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مُنقذٌ وخميمٌ

فإن نَفْسَ لَا يَبْقُوا وَلَا يَكُ بَعْدَنَا لِيذِي حُرْمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ حَرِيمٌ^(١)

قال أبو جعفر : وقد قيل : إن ما ذكرتُ من مقتل مصعب والحرب التي جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة اثنتين وستين ، وأن أمر خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره إلى البصرة من قبل عبد الملك كان في سنة إحدى وسبعين ، وقتل مصعب في جمادى الآخرة .

[ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة]

وفي هذه السنة دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصريين الكوفة والبصرة على عماله في قول الواقدي ، وأما أبو الحسن فإنه ذكر أن ذلك في سنة اثنتين وسبعين .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين . ولما أتى عبد الملك الكوفة - فيما ذكر - نزل النخيلة ، ثم دعا الناس إلى البيعة ، فجاءت قضاة ، فرأى قباية ، فقال : يا معشر قضاة ، كيف سلمتم من مضر مع قتلتكم ! فقال : عبد الله بن يعلى النهدي : نحن أعز منهم وأمنع ؛ قال : بمن ؟ قال : بمن معك منا يا أمير المؤمنين . ثم جاءت مذبح وهمدان فقال : ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً . ثم جاءت جعفي ، فلما نظر إليهم عبد الملك قال : يا معشر جعفي ، اشتملتكم على ابن أختكم ، وواربتموه ؟ يعني يحيى بن سعيد بن العاص - قالوا : نعم ، قال : فهاتوه ؛ قالوا : وهو آمن ؟ قال : وتشرطون أيضاً ! فقال رجل منهم : إنا والله ما نشترط جهلاً بحقك ، ولكننا نتسحب عليه تسحب الولد على والده ، فقال : أما والله لتسبحن الحى أنتم ؛ إن كنتم لتفرضاننا في الجاهلية والإسلام ، هو أمين ، فجاءوا به وكان يكنى أبا أيوب ، فلما نظر إليه عبد الملك قال أبا قبيح ، بأى وجه تنظر إلى ربك وقد

٨١٤/٢

(١) كذا ورد البيت في ١ .

خلعتني ! قال : بالوجه الذي خلقه ، فبايع ثم ولى فنظر عبدُ الملك في قفاه فقال : لله درّه ! أيّ ابن زوملة هو ! يعني غريبة .
وقال عليّ بن محمد : حدثني القاسم بن معن وغيره أن معبّد بن خالد الحمديّ قال : ثمّ تقدّمنا إليه معشر عدوان ، قال : فقدّمنا رجلاً وسياً جَمِيلاً ، وتأخّرتُ - وكان معبّد دميماً - فقال عبدُ الملك : من ؟ فقال الكاتب : عدوان ، فقال عبدُ الملك :

٨١٥/٢

عذيرَ الحيّ من عدّوا نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ
بغى بعضهمُ بعضاً فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا تُ والموفون بالقرض
ثمّ أقبل على الجميل فقال : إيه ! فقال : لا أدري . فقلتُ من خلفه :
ومنهم حكّم يقضى فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيز الحجّ بالسنة والقرض^(١)
وهم مُدّ ولدوا شبوا بسرّ النسب المحض

قال : فتركني عبدُ الملك . ثمّ أقبل على الجميل فقال : من هو ؟ قال : لا أدري ؛ فقلتُ من خلفه : ذو الإصبع ؛ قال : فأقبل على الجميل فقال : ولم سميّ ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدري ؛ فقلتُ من خلفه : لأنّ حيةً عضت إصبعه فمطّعتّها . فأقبل على الجميل فقال : ما كان اسمه ؟ فقال : لا أدري ؛ فقلتُ من خلفه : حرثان بن الحارث ؛ فأقبل على الجميل ، فقال : من أيّكم كان ؟ قال : لا أدري . فقلتُ من خلفه : من بني ناج ، فقال :

أبعدَ بني ناجٍ وسعيتك بينهم
فلا تُتبعن عينيكَ ما كان هالِكاً

(١) قال أبو الفرج : « بوله : » ومنهم من يجيز الناس - فإن إجازة الحج كانت لخزاعة ، فأخذتها - إن ، فصارت لرجل فيهم يقال له سيرة . الأغاني ٣ : ٨٩ (٣) رواية الأغاني :

« وأما بنو ناجٍ فملا تذكرتهم »

إذا قلتُ مَعْرُوفًا لأُصَلِّحَ بَيْنَهُمْ يقولُ وَهَيْبٌ : لا أَصَالِحُ ذَاكَ
فَأُصْحِي كَظَهْرِ الْعَيْرِ جُبَّ سَنَامُهُ تُطِيفُ بِهِ الْوِلْدَانُ أَحَدَبَ بَارِكَا

٨١٦/٢

ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ ، فَقَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : سَبْعِمِائَةٍ ، فَقَالَ لِي :
فِي كَمْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : فِي ثَلَاثِمِائَةٍ . فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَاتِبَيْنِ ، فَقَالَ : حُطًّا
مِنْ عَطَاءِ هَذَا أَرْبَعِمِائَةٍ . وَزَيْدَاهَا فِي عَطَاءِ هَذَا . فَرَجَعْتُ وَأَنَا فِي سَبْعِمِائَةٍ ،
وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ثُمَّ جَاءَتْ كِنْدَةَ فَنَظَرَ إِيَّيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ ،
فَأَوْصَى بِهِ بِشْرًا أَخَاهُ . وَقَالَ : اجْعَلْنِي فِي صَحَابَتِكَ . وَأَقْبَلَ دَاوُدُ بْنُ
قَسْحَدَمٍ فِي مَائَتَيْنِ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ . عَلَيْهِمُ الْأَقْبِيَّةُ الدَّائِدِيَّةُ ، وَبِهِ
سُدِّيَّةٌ . فَجَلَسَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى سَرِيرِهِ . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ . ثُمَّ
نَهَضَ وَنَهَضُوا مَعَهُ . فَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بِصُرَّةٍ . فَقَالَ : هُوَ لَاءُ الْفُسَّاقِ . وَاللَّهِ
لَوْلَا أَنْ صَاحِبَهُمْ جَاءَنِي مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ مِنْهُمْ طَاعَةَ (١) .

ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى - فِيمَا قِيلَ - قَطَنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيَّ الْكُوفِيَّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَوَلَّى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ وَصَعِدَ مَنِيرَ الْكُوفَةِ فَخَطَبَ فَقَالَ :

إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لَوْ كَانَ خَلِيفَةً كَمَا يَزْعُمُ لَخَرَجَ فَآسَى بِنَفْسِهِ . وَلَمْ
يَغْرُزْ ذَنْبَهُ فِي الْحَرَمِ . ثُمَّ قَالَ : إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ ،
وَأَمَرْتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ . وَالشَّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ . فَاسْمَعُوا لَهُ
وَأَطِيعُوا .

وَاسْتَعْمَلَ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَيْرٍ عَلَى هَمْدَانَ ، وَبِزَيْدَ بْنَ رُوَيْمٍ عَلَى
الرِّيِّ ، وَفَرَّقَ الْعُمَّالَ . وَلَمْ يَفِ لَأَحَدٍ شَرْطَ (٢) عَلَيْهِ وَلَا يَةَ أَصْبِهَانَ ، ثُمَّ
قَالَ : عَلَى هُوَ لَاءُ الْفُسَّاقِ الَّذِينَ أَنْتَغَلُوا الشَّامَ ، وَأَفْسَدُوا الْعِرَاقَ ، فَقِيلَ :
قَدْ أَجَارَهُمْ رُؤَسَاءُ عَشَائِرِهِمْ ، فَقَالَ : وَهَلْ يَجِيرُ عَلَى أَحَدٍ ! وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
يَزِيدَ بْنَ أَسَدٍ لَجَأً إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَلَجَأً إِلَيْهِ أَيْضًا
يُحْيَى بْنُ مَعْنِيٍّ وَهُدَيْدِيُّ بْنُ زُفَرٍ وَبَنُو الْحَارِثِ وَعَمْرُو بْنُ زَيْدٍ (٣)
الْحَكِيمِيُّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ (٣) بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَمَنَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَظَهَرُوا .

٨١٧/٢

(١) انظر الأغاني ، ٣ : ٩١ ، ٩٢ . (٢) ب ، ف : « بشرط » .

(٣) س ، ابن الأثير : « يزيد » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكره وحمران بن أبان ، فحدثني عمر بن شبة قال : حدثني علي بن محمد قال : لما قُتِلَ المُصعب وثب حمران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكره فتنازعا في ولاية البصرة ، فقال ابن أبي بكره : أنا أعظم غناء منك ، أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة . فقيل لحمران : إنك لا تقوى على ابن أبي بكره ، فاستعين بعبد الله بن الأهم ، فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكره ، ففعل ، وغلب حمران على البصرة وابن الأهم على شرطها .

وكان لحمران منزلة عند بني أمية ؛ حدثني أبو زيد قال : حدثني أبو عاصم النبيل قال : أخبرني رجل قال : قدم شيخ أعرابي فرأى حمران فقال : من هذا ؟ فقالوا : حمران ؛ فقال : لقد رأيتُ هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فمابتدره مروان وسعيد بن العاصر أيتهما يسويه . قال أبو زيد : قال أبو عاصم : فحدثتُ بذلك رجلاً من عبد الله بن عامر ، فقال : حدثني أبي أن حمران ممدَّ رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيتهما بغمزها .

٨١٨/٢

* * *

[ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة]

وفي هذه السنة بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة والياً ، حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد . قال : مكث حمران على البصرة يسيراً . وخرج ابن أبي بكره حتى قدم على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب ، فولَّى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها ، فوجه خالد عبيد الله بن أبي بكره خليفته على البصرة ، فلما قدم على حمران ، قال : أقمه جئت لاجئت ! فكان ابن أبي بكره على البصرة حتى قدم خالد .

* * *

وفي هذه السنة رجع عبد الملك - فيما زعم الواقدي - إلى الشام .

قال : وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف . قال : وهو آخر آل لابن الزبير على المدينة ، حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان ، فتهرب طلحة ، وأقام طارق بالمدينة حتى كتب إليه عبد الملك .
وَحَجَّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير في قول الواقدي .

[خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب]

وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى ، قال : حدثني مصعب ابن عثمان ، قال : لما انتهت إلى عبد الله بن الزبير قتل مصعب قام في الناس فقال :

الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، يؤتى الملك من يشاء ، ويتزعج الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء . ويؤذل من يشاء . ألا وإنه لم يذلل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً ، ولم يعزز من كان وليه الشيطان وحزبه وإن كان^(١) معه الأنام طراً . ألا وإنه قد أتانا من العراق خبر حزننا وأفرحنا ، أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه ، فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة ، وأما الذي حزننا فإن لفراق الحميم لوعة يتجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يترعوى من بعدها ذوالرأى إلى جميل الصبر وكريم العزاء ، ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله ، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة ، وما مصعب إلا عبد من عبيد الله وعون من أعوانى . ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق ، أسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فإن يقتل فإننا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص ، والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الإسلام . وما نموت إلا قعصاً^(٢) بالرماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف . ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فإن تقبل لا أخذها أخذ الأشر البطر ، وإن تدبر لا أبك عليها بكاء الحرق المهين ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

• • •

(١ - ١) ف : « الناس معه طراً » . (٢) القمص : الموت السريع .

٨٢٠/٢

وذكر أن عبد الملك لما قتل مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع ، وأمر به إلى الخورنق ، وأذن إذناً عاماً ، فدخل الناس فأخذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حرث بن حريث المخزومي فقال : إلى وعلى سريري ، فأجلسه معه ، ثم قال : أي الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك ؟ قال : عناق^(١) حمراء قد أجيد تمليحها ، وأحكيم نضجها ، قال : ما صنعت شيئاً ، فأين أنت من عمروس^(٢) راضع قد أجيد سسطه ، وأحكيم نضجه ، اختلجت إليك رجلاه ، فأتبعتها يداها ، غدي بشر يجين من لبن وسمن . ثم جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبد الملك بن مروان : ما ألد عيشنا لو أن شيئاً يدوم ! ولكننا كما قال الأول :

وكلُّ جديدٍ يا أميمَ إلى بليِّ وكلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كانٍ
فلما فرغ من الطعام طاف عبدُ الملك في القصر يقول لعسرو بن حريث : لِمَنْ هذا البيت ؟ ومن بنى هذا البيت ؟ وعمرو يخبره ، فقال عبدُ الملك :

وكلُّ جديدٍ يا أميمَ إلى بليِّ وكلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كانٍ
ثم أتى مجلسه فاستلقى ؛ وقال :

١/٢ اعمل على مهلٍ فإنك ميِّتُ واكدهخ لَنفسيك أيها الإنسانُ
فكأنَّ ما قد كان لم يكُ إذ مضى وكانَّ ما هو كائنٌ قد كان

* * *

وفي هذه السنة افتتح عبدُ الملك - في قول الواقدي - قيسارية .

(١) العناق : الأنثى من أولاد المعزى .

(٢) في اللسان : « وفي حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمروس راضع ! لعروس بالضم : الحروف أو الجدى إذا بلغا العدو . »

ثم دخلت سنة اثنتن وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

قال أبو جعفر : فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف أن حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعدما اقتتلوا بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال . أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قُتِل ، فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه ، فناداهم الخوارج : ألا تُخبروننا ما قراكم في مصعب ؟ قالوا : إمام هُدَى ، قالوا : فهو وليكم في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم ، قالوا : وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتاً ؟ قالوا : ونحن أولياؤه أحياء وأمواتاً : قالوا : فما قولكم في عبد الملك بن مروان ؟ قالوا : ذلك ابن اللعين ، نحن إلى الله منه بُراء ، هو عندنا أحلُّ دمًا منكم ، قالوا : فأنتم منه بُراء في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم كبراءتنا منكم ؛ قالوا : وأنتم له أعداء أحياء وأمواتاً ؟ قالوا : نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم ، قالوا : فإن إمامكم مصعباً قد قتله عبدُ الملك بن مروان ، ونراكم ستجعلون غداً عبد الملك إمامكم ، وأنتم الآن تبرءون منه ، وتلعنونه أباه ! قالوا : كذبتُم يا أعداء الله . فلما كان

٨٢٢/٢

من الغد تبين لهم قتل مصعب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا : ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : يا أعداء الله ؛ لا نخبركم ما قولنا فيه . وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم ، قالوا : فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة ، وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتاً ، فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : ذاك إمامنا وخليفتنا - ولم يجدوا إذ بايعوه بُدًّا من أن يقولوا هذا القول - قالت لهم الأزارقة : يا أعداء الله ، أنتم أمس تبرءون منه في الدنيا والآخرة ، وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتاً ، وهو اليوم إمامكم وخليفتكم ، وقد قتل إمامكم الذي كنتم

تولّونه ! فأيهما المحقّ ، وأيهما المهتديّ ، وأيهما الضالّ ! قالوا لهم : يا أعداء الله ، رضينا بذلك إذ كان وليّ^(١) أمورنا ، ونرضى بهذا كما رضينا بذلك ، قالوا : لا والله ولكنكم إخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعبيد الدنيا . وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة . فلما قدّم خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز ومعاونتها ، وبعث عامر بن مسمع على سابور ، ومقاتيل بن مسمع على أردشير خوره ، ومسمع بن مالك بن مسمع على فسّاء ودرابنجرد ، والمغيرة بن المهلب على أصطخر .

ثمّ إنه بعث إلى مقاتيل فبعثه على جيش ، وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة ، فانحطوا عليه من قبيل كترمان حتى أتوا درابنجرد ، فسار نحوهم . وبعث قطريّ مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس ، فأقبل ٨٢٣/٢ يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلاً ، يجرون على غير تعبئة ، فهزم الناس ، ونزل مقاتيل بن مسمع فقاتل حتى قتل ، وانهم عبد العزيز بن عبد الله ، وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الحارود ، فأقيمت فيمن يزيد ، فبلغت مائة ألف - وكانت جميلة - فغار رجل من قومها كان من رموس الخوارج يقال له : أبو الحديد الشنّي ، فقال : تنحوا هكذا ، ما أرى هذه المشركة إلاّ قد فتنتكم ، فضرب عنقه . ثمّ زعموا أنه لحق بالبصرة ، فرآه آل منذر فقالوا : والله ما ندري أنحمّدك أم نذمتك ! فكان يقول : ما فعلته إلاّ غيرة وحميّة . وجاء عبد العزيز حتى انتهى إلى رامهرمز ، وأتى المهلب فأخبر به ، فبعث إليه شيخاً من أشياخ قومه كان أحد فرسانه ، فقال : ائتته فإن كان منهزماً فعزّه وأخبره أنه لم يفعل شيئاً لم يفعلته الناس قبلاً ، وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلاً . ثمّ يعزّه الله وينصره . فأتاه ذلك الرجل ، فوجدوه نازلاً في نحو من ثلاثين رجلاً كئيباً حزيناً ، فسلم عليه الأزديّ ، وأخبره أنه رسول المهلب ، وبلغه ما أمره به ، وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة . ثمّ انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر ، فقال له المهلب : الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر ، ٨٢٤/٢

فقال: أنا آتية أخبره أن أخاه هُزِمَ! والله لا آتية، فقال المهلب^(١): لا والله لا يأتية غيرك، أنت الذي عاينته ورأيتته، وأنت كنت رسولاً إليه، قال: هو إذاً بيهديك^(٢) يا مهلب أن ذهب إليه العام، ثم خرج. قال المهلب: أما أنت والله فإنك لي آمن، أما والله لو أنك مع غيري. ثم أرسلك على رجلينك خرجت تشدد! قال له وأقبل عليه: كأنك إنما تمن علينا بحلمك! فنحن والله نكافئك بل نزيد؛ أما تعلم أننا نعرض أنفسنا للمقتل دونك. ونحديك من عدوك! ولو كنا والله مع من يسجهل علينا، ويسبعتنا في حاجاته على أرجلنا. ثم احتاج إلى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا، ووقينا به أنفسنا. قال له المهلب: صدقت صدقت. ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرحه إلى خالد يخبره خبر أخيه. فأتاه الفتى الأزدي وحوله الناس، وعليه جببة خضراء ومطرف أخضر. فسلم عليه، فرد عليه، فقال: ما جاء بك^(٣)؟ قال: أصلحك الله! أرسلني إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته. قال: وما عاينت؟ قال: رأيت عبد العزيز برامته رمز مهزوماً، قال: كذبت، قال: لا، والله ما كذبت. وما قلت لك إلا الحق. فإن كنت كاذباً فاضرب عنق، وإن كنت صادقاً فأعطني أصلحك الله حببتك ومطرفك. قال: ويحك! ما أسير ما سألت. ولقد رضيت مع^(٤) الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً. فحسبته وأمر بالإحسان إليه حتى تبينت له هزيمة القوم، فكتسب إلى عبد الملك:

أما بعد. فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج. وأنهم لقوه بفارس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس، وقتل مقاتل بن مسمع. وقدم الفل إلى الأهواز. أحبيت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتييني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله.

(١) أ، ب، ف: «قال: فقال له المهلب».

(٢) كذا في أ، في ط «بيهديك».

(٣) ب، ف: «ما حاجتك».

(٤) ب، ف: «من».

فكَتَبَ إليه :

أما بعد، فقد قدِمَ رسولُك في كتابِك. تُعلِمُنِي فيه بِعَظَمَتِكَ أَخَاكَ عَلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ، وَبِهَزِيمَةِ مَنْ هُزِمَ، وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ. وَسَأَلْتُ رَسُولَكَ عَنِ مَكَانِ الْمَهْلَبِ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ عَامِلٌ لَكَ عَلَى الْأَهْوَازِ، فَتَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ حِينَ تَبَّعْتَ أَخَاكَ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى الْقِتَالِ، وَتَدَاعَى الْمَهْلَبِ إِلَى جَنْبِكَ يَتَجَبَّى الْخَرَاجَ، وَهُوَ الْمَيِّمُونَ النَّقِيبَةُ، الْحَسَنَ السِّيَاسَةَ، «الْبَصِيرَ بِالْحَرْبِ، الْمُقَاسِي لَهَا»، ابْنَهَا وَابْنَ أَبْنَائِهَا! انْظُرْ أَنْ تَنْهَضَ بِالنَّاسِ حَتَّى تَسْتَقْبِلَهُمْ بِالْأَهْوَازِ وَمِنْ وَرَاءِ الْأَهْوَازِ. وَقَدْ بَعَثْتُ إِيَّيْكَ بِبَشْرٍ أَنْ يُمَدِّكَ بِجَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. فَإِذَا أَنْتَ لَقَيْتَ عَدُوَّكَ فَلَا تَعْمَلْ فِيهِمْ بِرَأْيٍ حَتَّى تُحْضِرَهُ الْمَهْلَبَ، وَتَسْتَشِيرَهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

فَشَقَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ فَيَّيَّلَ رَأْيَهُ فِي بَعِثَةِ أَخِيهِ (٢) وَتَرَكَ الْمَهْلَبَ، وَفِي أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ رَأْيَهُ خَالِصًا حَتَّى قَالَ: أَحْضَرَهُ الْمَهْلَبَ وَاسْتَشَرَهُ فِيهِ.

٨٢٦/٢

وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِيَّيْكَ بِبَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ:

أما بعد. فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِيَّيْكَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ بِالنَّهْوِضِ إِلَى الْخَوَارِجِ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِ خَمْسَةَ آلَافِ رَجُلٍ. وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ قِبَلِكَ تَرْضَاهُ، فَإِذَا قَضَوْا غَزَاتِهِمْ تِلْكَ صَرَفْتَهُمْ إِلَى الرَّيِّ فَقَاتِلُوا عَدُوَّهُمْ، وَكَانُوا فِي مَسَالِحِهِمْ. وَبَيَّتُوا فِيهِمْ حَتَّى تَأْتِيَ أَيَّامَ عَقَبَتِهِمْ فَتُعَقِبِهِمْ (٣) وَتَبْعَثْ آخِرِينَ مَكَانَهُمْ.

فَقَطَعَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ آلَافٍ، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، وَقَالَ: إِذَا قَضَيْتَ غَزَاتِكَ هَذِهِ فَانصُرْ إِيَّيْكَ الرَّيِّ. وَكُتِبَ لَهُ عَلَيْهَا عَهْدًا. وَخَرَجَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدِمَ الْأَهْوَازَ، وَجَاءَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ بِيَعِثَ أَهْلَ الْكُوفَةِ حَتَّى وَافَاهُمْ بِالْأَهْوَازِ،

(١-١) ب، ف: «المقاسي للحرب» . (٢) ب، ف: «بعثه بأخيه» .

(٣) س: «فتعقبهم» .

وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن مُعسكر القوم ، وقال المهلب لخالد بن عبد الله : إني أرى ها هنا سُفناً كثيرة ، فُضمتها إليك ، فوالله ما أظن القوم إلا مُحرقينها . فما لبث إلا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم إليها فحرقتها . وبعث خالد بن عبد الله على ميمنته المهلب ، وعلى ميسرته داود بن قحدم من بني قيس بن ثعلبة ، ومرّ المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يُخندق ، فقال : يا بن أخي ، ما يَمْنَعُكَ من الخندق ! فقال : والله لهم أهونُ علي من ضرّطة الجمل^(١) ، قال : فلا يَهُونُوا عليك يا بن أخي ، فإنّهم سباعُ العَرَب ، لا أبرح أو^(٢) تَضْرِبُ عليك خندقاً ، ففعل .

وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم : «أهونُ علي من ضرّطة الجمل» ، فقال شاعرهم :

يا طالبَ الحقِّ لا تُستَهو بالأملِ فإنَّ من دون ما تهوى مدى الأجلِ
وأعملُ لربِّك وأسأله مَثوبتهُ فإنَّ تقواه فأعلمُ أفضلُ العملِ
واغزُ المخانيثَ في الماضي معلِّمة^(٣) كما تُصبحُ غدواً ضرّطةَ الجملِ

فأقاموا نحواً من عشرين ليلةً . ثم إن خالداً زحف إليهم بالناس : فرأوا أمراً ها هم من عدد الناس وعدّتهم . فأخذوا يتنحازون . واجترأ عليهم الناس . فكثرت عليهم الخيل . وزحف إليهم فانصرفوا كأنّهم على حامية وهم مولدون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس . وأتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحدم في جيش من أهل البصرة ، وانصرف خالد إلى البصرة ، وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الرّي وأقام المهلب بالأهواز ، فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك :

أمّا بعد . فإني أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أني خربت إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين . وخرجوا من ولاية المسلمين ، فالتقينا بمدينة الأهواز

(١) الميداني ٢ : ٤٠٩ (٢) ب ، ف : « حتى » .

(٣) ١ : « معله » .

فتناهضنا فاقتلنا كأشدّ قتال كان في الناس . ثمّ إنّ الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين ، وضرب الله وجوه أعدائه ، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم ، ولا يمتنعون ولا يمتنعون ، وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ، ثمّ ٨٢٨/٢ أتبعتهم داود بن قحندم ، والله إن شاء مهلكهم ومستأصلهم : والسلام عليك .

فلما قدم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك إلى بشر ابن مروان :

أما بعد ، فابعث من قبلك رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة آلاف فارس ، فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة . فإنّ خالد أكتب إلى يخبرني أنّه قد بعث في طلبهم داود بن قحندم ، فمرّ صاحبك الذي تبعث ألا يخالف داود بن قحندم إذا ما التقيا ، فإنّ اختلاف القوم بينهم عوّن لعدوّهم عليهم . والسلام عليك .

فبعث بشر بن مروان عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة . فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحندم بأرض فارس ، ثمّ اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيولُ عامتهم ، وأصابهم الجهد والجوع ، ورّجع عامةُ ذبّيك الجيشين مشاةً إلى الأهواز ، فقال ابن قيس الرقيّات - من بني مخزوم - في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته :

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم	وتركتهم صرعى بكلّ سبيل ^(١)
من بين ذى عطشٍ يجرودٌ بنفسه	وملحّبٍ بين الرجال قتيل ^(٢)
هلاً صبرت مع الشهيد مقاتلاً	إذ رُخت منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم	فأرجع بعارٍ في الحياة طویل ٨٢٩/٢
ونسيت عرسك إذ تقادُ سبيّة	تُبكي العيون برنةٍ وعویل

* * *

(٢) ملحّب : قطعه السيف .

(١) ديوانه ١٩٠ .

[خروج أبي فديك الخارجي وغلبته على البحرين]

وفي سنة ١٧٤ كان خروج أبي فديك الخارجي ، وهو من بني قيس ابن ثعلبة . فغلب على البحرين . وقتل نجدة بن عامر الحنفي ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطري الأهواز وأمر أبي فديك ، فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كئيف إلى أبي فديك ، فهزمه أبو فديك ، وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه . وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام . فكتب خالد إلى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة .

[خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير]

وفي هذه السنة وجه عبد الملك الحجاج بن يوسف إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزبير . وكان السبب في توجيهه الحجاج إليه دون غيره — فيما ذكر — أن عبد الملك لما أراد الرجوع إلى الشام ، قام إليه الحجاج بن يوسف فقال : يا أمير المؤمنين . إني رأيت في منامي أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته ، فابعثني إليه . وولتني قتاله . فبعثه في جيش كئيف ، من أهل الشام ، فسار حتى قدم مكة ، وقد كتب إليهم عبد الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته . فحدثني الحارث ؛ قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا مصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : بعث عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب ابن الزبير الحجاج بن يوسف إلى ابن الزبير بمكة ، فخرج في ألفين من جند أهل الشام في جمادى من سنة اثنتين وسبعين ، فلم يعرض للمدينة ، وسلك طريق العراق . فنزل بالطائف . فكان يبعث البعث إلى عرفة في الخيل^(١) ، ويبعث ابن الزبير ببعثا فيقتلون هنالك ، فكل ذلك تهزم خيل ابن الزبير وترجع خيل الحجاج بالظفر . ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه . ويخبره أن

(١) كذا في ا ، ب ، ف وفي ط : « الخيل » .

موكنته قد كملت . وتفرق عنه عامة أصحابه ، ويسأله أن يمدّه برجال ،
جاءه كتابُ عبد الملك . وكتب عبدُ الملك إلى طارق بنِ عَمْرٍو يأمره أن
يلحقَ بمن معه من الجنود بالحجّاج . فسار في خمسة آلاف من أصحابه
حتى لحق بالحجّاج . وكان قدومُ الحجّاج الطائف في شعبان سنة اثنتين
سبعين . فلما دخل ذو القعدة رحل الحجّاج من الطائف حتى نزل بئر
مَيْمُون وحصر ابن الزبير .

رحح الحجّاجُ بالناس في هذه السنة . وابن الزبير محصور . وكان قدومُ
طارق مكة للال ذي الحجّة . ولم يطف بالبيت ، ولم يصل إليه وهو
محرم ، وكان يلبس السلاح . ولا يتقرب النساء ولا الطيب إلى أن قُتل
عبدُ الله بنُ الزبير . ونحّر ابنُ الزبير بُدُنًا بمكة يوم النحر ، ولم يحجّ ذلك
عام ولا أصحابه لأنهم لم يتقنوا بعرفة .

قال محمد بنُ عمر : حدثني سعيد بنُ مسلم بن بابك ، عن أبيه ،
ال : حججتُ في سنة اثنتين وسبعين فمنا مكة . فدخلناها من أعلاها ،
نجدُ أصحابَ الحجّاج وطارق فيما بين الحجّاجين إلى بئر مَيْمُون ، فطفنا
البيت وبالصفى والمرّوة ، ثم حجّ بالناس الحجّاج ، فرأيتُه واقفاً بالهَضَبات
من عرفة على فرس ، وعليه الدرع والمِغْفَر ، ثم صدر فرأيتُه عدل إلى
بئر مَيْمُون . ولم يطف بالبيت وأصحابه متسلحون ، ورأيتُ الطّعام عندهم
كثيراً ، ورأيتُ العير تأتي من الشام تحمل الطّعام ، الكعك والسويق
بالدقيق ؛ فرأيتُ أصحابه مخاصيب ، ولقد ابتعنا من بعضهم كعكاً بدرهم ،
فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة وإنّا لثلاثة نفر .

قال محمد بن عمر : حدثني مصعب بنُ ثابت ، عن نافع مولى بني
أسد ، قال - وكان عالماً بفتنة ابن الزبير - قال : حُصر ابنُ الزبير ليلة
هلالِ ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين .

[أمر عبد الله بن خازم السلمى مع عبد الملك]

وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمى يدعوهُ إلى بيئته ويُطعمه خراسانَ سبع سنين ، فذكر عليُّ بن محمد أنَّ المفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هُنَيْد حدثوه - قال : وفي خبرٍ بعضهم زيادةً على خبر بعض - أنَّ مُصعب بن الزبير قُتِل سنة اثنتين وسبعين وعبدُ الله بن خازم بأبر شهر يُقاتل بحير بن وراق الصُّرميُّ صُرِّم بن الحارث ؛ فكتب عبدُ الملك بن مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشيم النُميري : إنَّ لك خراسانَ سبع سنين على أن تُبايع لي . فقال ابنُ خازم لسورة : لولا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتك ولكن كلُّ هذه الصحيفة ، فأكلها .

قال : وقال أبو بكر بن محمد بن واسع : بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سوادة بن عبيد الله النُميري .

وقال بعضهم : بعث عبدُ الملك إلى ابن خازم سينان بن مكمّل الغنوي ، وكتب إليه : إنَّ خراسان طُعْمة لك ، فقال له ابن خازم : إنما بعثك أبو الذبَّان^(١) لأنك من غنبي ، وقد علم أني لا أقتل رجلاً من قيس ، ولكن كلُّ كتابته .

قال : وكتب عبدُ الملك إلى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد - وكان خليفة ابن خازم على مرو - بعهدَه على خراسان ووعده ومنَّاه ، فخلع بكيرُ بن وشاح عبدَ الله بن الزبير ، ودعا إلى عبد الملك بن مروان ، فأجابه أهلُ مرو ، وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكيرُ بأهل مرو ، فيجتمع عليه أهلُ مرو وأهل أبرش شهر ، فترك بحيراً ، وأقبل إلى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمذ ، فأتبعه بحير ، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية : «شاهمغد» ، بينها وبين مرو ثمانية فراسخ .

قال : فقاتله ابن خازم ، فقال مولى لبني ليث : كنت قريباً من معرك

(١) ب : «الذبان» .

القوم في منزل ، فلما طلعت الشمسُ تهايجَ العسكران ، فجعلتُ أسمعُ وقعَ
السيوف ، فلما ارتفعَ النهارُ خفيتِ الأصواتُ . فقلتُ : هذا لارتفاعِ النهارِ ، ٨٣٣/٢
فلما صليتَ الظهرَ - أو قبلَ الظهرَ - خرجتُ . فتلقاني رجلٌ من بني تميم .
فقلتُ : ما الخبرُ ؟ قال : قتلَ عدوَّ الله ابنُ خازمِ وها هو ذا ، وإذا هو
محمولٌ^(١) على بغلٍ ، وقد شدوا في مسدِّ كبيره حبلاً وحجراً وعدلوه به على
البغل .

قال : وكان الذي قتله وكيعُ بنُ عُميرةَ القُرَيعي وهو ابنُ الدَّورقيَّة .
اعتور عليه بحير بن ورقاء وعمَّار بن عبد العزيز الجُشمي ووكيع .
فقطعنوه فصرَّعوه ، فقعده وكيع على صدره فقتله . فقال بعضُ الولاة لو وكيعُ :
كيف قتلَ ابنَ خازم ؟ قال : غلبته بفضلُ القنا ، فلما صرعُ قعدتُ
على صدره ، فحاول القيامَ فلم يتقدِّر عليه . وقلتُ : يا لثاراتِ دُوَيْلة !
ودُوَيْلةُ أخُ لَرَكيحِ لأمته ، قُتِلَ قبلَ ذلك في غير تلك الأيَّام .

قال وكيع : فتسخَّم في وجهي وقال : لعنك الله ! تمتل كبش مضر .
بأخيك . عذج لا يساوي كفاً من نوَّى - أو قال : من تراب - فما رأيتُ
أحدًا أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت .

قال : فدَكَرَ ابنُ هُبيرة يوماً هذا الحديثَ فقال : هذه والله البسالة .
قال : وبعثَ بحير ساعةً قُتِلَ ابنُ خازمِ رجلاً من بني عُدانة إلى عبد الملك
ابن مروان يُخبره بقتل ابن خازم . ولم يبعث بالراس . وأقبل بُكَيْرُ بنُ
وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأراد أخذ رأس ابن خازم .
فمنعه بحيرٌ ، فضربه بكير بعمود ، وأخذ الرأسَ وقبَّله بحيراً وحبسه ، وبعث بكير
بالرأس إلى عبد الملك ، وكتب إليه يُخبره أنَّه هو الذي قتله ، فلما قدِمَ
بالرأس على عبد الملك دعا العُداني رسولَ بَحير وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدري ،
وما فارقتُ القومَ حتَّى قُتِلَ ، فقال رجل من بني سليم :

أَلَيْتَنَا بَنِي سَابُورَ رُدِّي عَلَى الصَّبْحِ وَيَحْكُ أَوْ أَنْبِرِي
كُوا كِبْهَا زَوَاحِفُ لَأَغْبَاتُ كَأَنَّ سَمَاءَهَا بِيَدِي مُدِيرِي

تَلُومٌ عَلَى الْحَوَادِثِ أُمُّ زَيْدٍ وهل لك في الحوادث من نكير!
 جَهْلَنَ كَرَامَتِي وَصَدَدَنَ عَنِّي إلى أجل من الدنيا قصير
 فلو شهد الفوارس من سليمٍ غداة يُطَاف بالأسد العَفيرِ
 لَنَازَلَ حَوْلَهُ قَوْمٌ كِرَامٌ فغزَّ الوترُ في طلب الوُتورِ
 فَقَدَ بَقِيَّتُ كِلَابٌ نَابِحَاتٌ وما في الأرض بعدك من زئيرِ

فولى الحج بالناس في هذه السنة الحججاج بن يوسف .

وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبيل عبد الملك، وعلى الكوفة
 بيشر بن مروان، وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .
 وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد^(١)، وعلى قضائها هشام
 ابن هبيرة . وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السلمى ،
 في قول بعض : بكير بن وشاح . وزعم ابن قال : كان على خراسان
 في سنة اثنتين وسبعين عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل
 بعد ما قتل عبد الله بن الزبير ، وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم
 يدعوه إلى الدخول في طاعته على أن يُطعمه خراسان عشر سنين بعد ما قتل
 عبد الله بن الزبير . وبعث برأسه إليه . وأن عبد الله بن خازم حلف لما
 ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير ألا يُعطيه طاعة أبدًا . وأنه دعا
 بطست فغسل رأس ابن الزبير ، وحسَّطه وكفَّته . وصلَّى عليه . وبعث به
 إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة ، وأطعم الرسول الكتاب . وقال : لولا أنك
 رسول لضربت عنقك . وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضرب عنقه .

٨٣٥/٢

فصل نذكر فيه الكتاب من بدء أمر الإسلام^(١)

روى هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن
 عبد شمس بالعربية ، وأن أول من كتب بالفارسية بيوراسب . وكان في
 زمان إدريس . وكان أول من صنف طبقات الكتاب وبيتنا منازلهم لهراسب
 ابن كاوغان بن كيموس .

(١) هذا الفصل ساقط من ١ .

وحكي أن أبرويز قال لكاتبه : إنما الكلام أربعة أقسام :
سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرُك بالشيء ، ونجرك عن ٨٢٦/٢
الشيء ؛ فهذه دعائمُ المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد ، وإن نقص
منها رابع لم تنم ، فإذا طلبت فأسجع ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا أمرت
فاحتم ، وإذا أخبرت فحقق .
وقال أبو موسى الأشعري : أول من قال : أما بعدُ داود ، وهي فصلُ
الخطاب الذي ذكره الله عنه .
وقال الهيثم بن عدي : أول من قال : أما بعدُ قس بن ساعدة
الإيادي .

أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم
على بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحي ؛
فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت .
وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين
يديه في حوائجه .
وكان عبدُ الله بن الأرقم بن عبد يَغُوثَ والعلاءُ بن عُقبَةَ يكتبان بين
القوم في حوائجهم ، وكان عبدُ الله بن الأرقم ربما كتب إلى الملك عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

[أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة]
وكتب لأبي بكر عثمان ، وزيد بن ثابت ، وعبدُ الله بن الأرقم
وعبدُ الله بن خلف الخزاعي ، وحسنظلة بن الربيع .
وكتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت ، وعبدُ الله بن الأرقم ،
وعبدُ الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة ،
وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك الأنصاري .
وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعُماله : إن القوة على العمل ألا

تؤخروا عمل اليوم لغد ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تذاءبت^(١) عليكم الأعمال ،
٨٣٧/٢ فلا تدرون بأينها تبدءون ، وأينها تأخذون . وهو أول من دون الدواوين
في العرب في الإسلام .

وكان يكتب لعثمان مروان بن الحَكَم ، وكان عبد الملك يكتب له
على ديوان المدينة ، وأبو جَبيرة الأنصاري على ديوان الكوفة ، وكان أبو غطفان
ابن عوف بن سعد بن دينار من بني دُهَمَان من قيس عَيْلَان يكتب له ،
وكان يكتب له أهيب مولاة ، وحران^(٢) مولاة .

وكان يكتب لعلي عليه السلام سعيد بن نمران الهمداني ، ثم ولي
قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان يكتب له عبد الله بن مسعود ، وروى أن
عبد الله بن جبير كتب له . وكان عبيد الله بن أبي رافع يكتب له . واختلف
في اسم أبي رافع ، فقيل : اسمه إبراهيم ، وقيل : أسلم ، وقيل : سنان ، وقيل :
عبد الرحمن .

وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد^(٣) بن أوس الغساني .
وكان يكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي . وكتب له
عبد الرحمن بن دراج ، وهو مولى معاوية ، وكتب على بعض دواوينه
عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمي .

وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الريان بن مسلم ، ويكتب له على
الديوان سرجون . وروى أنه كتب له أبو الزعيرة .

وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب بن حنبل الخزاعي ،
ويكنى أبا إسحاق . وكتب على ديوان الرسائل أبو الزعيرة^(٤)
مولاة .

وكان يكتب للوليد القعقاع بن خالد - أو خليد العبسي ، وكتب له على
ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشتي ، وعلى ديوان الخاتم شعيب

(١) تذابت الأعمال : اجتمعت وتراكت .

(٢) ط : « عمران » ، وانظر الفهرس .

(٣) ط : « عبيد الله » وانظر الفهرس .

(٤) ب : « الزعيرة » .

العُمَانيّ مولاة ، وعلى ديوان الرسائل جناح مولاة ، وعلى المستغلات نعيم ٨٣٨/٢
ابن ذؤيب مولاة .

وكان يكتب لسليمان سليمان بن نعيم الحميري .

وكان يكتب لمسلمة سميع مولاة ، وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبي ربيعة
مولي أم الحَكَم بنت أبي سُفْيَان ، وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد
الخُشَنِيّ ، وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولّي لأهل اليمن من
فلسطين ؛ وقيل : بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الخاتم .

وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبي فروة .

وكان يكتب لعمر بن عبدالعزيز الليث بن أبي ربيعة^(١) مولي أم الحَكَم
بنت أبي سُفْيَان ، ورجاء بن حيوة . وكتب له إسماعيل بن أبي حكيم مولي الزبير ،
وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخُشَنِيّ ، وقلد مكانه صالح بن
جُبَيْر الغَسَاني - وقيل : الغُدَاني - وعدى بن الصباح بن المثنى ، ذكر
الهيثم بن عدى أنه كان من جيلة كتابه .

وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ،
ثم استكتب أسامة بن يزيد السليحي .

وكتب هشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبيلة الكلبي الأبرش ،
ويكنى أبا مخاشع ، وكان نصر بن سيار يتقلد ديوان خراج خراسان
لهشام . وكان من كتابه بالرصافة شعيب بن دينار .

وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن الشماخ ، وعلى ديوان الرسائل سالم
مولي سعيد بن عبد الملك ، ومن كتابه عبد الله بن أبي عمرو ، ويقال :
عبد الأعلى بن أبي عمرو ، وكتب له على الحضرة عمرو بن عتبة . ٨٣٩/٢

وكتب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم ، وكان عمرو
ابن الحارث مولي بني جُمَح يتولى له ديوان الخاتم ، وكان يتقلد له ديوان

(١) ط : « ابن أبي فروة » ، وانظر تصويبات ط .

الرسائل ثابتُ بنُ سليمانُ بنُ سعد الخُشْتَنِيّ - ويقال الربيع بن عرعر الخُشْتَنِيّ -
وكان يتقلد له الحراجَ والديوانَ الذي للخاتم الصغير النَّضْرُ بنُ عَمْرٍو مِن
أهل اليَمَن .

وكتَّـب لإبراهيمَ بن الوليد ابنُ أبي جمعة ، وكان يتقلد له الديوانَ
بفلسطين ، وبابيع الناس إبراهيم - أعني ابن الوليد - سوى أهل حِمْنَص ،
فإنهم بايعوا مروانَ بن محمد الجَعْدِيّ .

وكتَّـب لمروانَ عبدُ الحميد بنُ يحيى مولى العلاء بن وهب العامريّ ،
ومُصعَّب بن الربيع الخُشْعَمِيّ ، وزِيَادُ بنُ أبي الوَرْد . وعلى ديوان الرسائل
عُثْمَانُ بنُ قيس مولى خالد القَسْرِيّ . وكان من كتّابه مخلد بن محمد بن
الحارث - ويكنى أبا هاشم - ومن كتّابه مُصعَّب بن الربيع الخُشْعَمِيّ ،
ويكنى أبا موسى . وكان عبدُ الحميد بنُ يحيى من البلاغة في مكان متكين ،
ومما اختير له من الشعر :

تَرْحَلَ ما لَيْسَ بالقَافِلِ	وأَعقَبَ ما لَيْسَ بالزائِلِ
فلَهْفِي على الخَلْفِ النازلِ	ولَهْفِي على السلفِ الراحلِ
أُبْكِي على ذَا وأُبْكِي لَذَا	بكاءَ مُولَهةٍ ثاكلِ
تُبْكِي من أبْنِ لها قاطِعِ	وتبكي على أبْنِ لها واصلِ
فليستْ تفتَرُّ عن عَبرةٍ	لها في الضميرِ ومن هامِلِ
تقضتْ غَوَاياتُ سُكْرِ الصَّبِي	وردَّ التُّقَى اعنَّ الباطِلِ

٨٤٠/٢

وكتَّـب لأبي العباس خالدُ بنُ بَرْمَك ، ودفع أبو العباس ابنته رَيْطَةَ
إلى خالد بن بَرْمَك حتى أرضعتها زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنت
خالد تُدْعَى أمَّ يحيى ، وأرضعت أم سلمة زوجة أبي العباس أمَّ يحيى
بنت خالد بلبان ابنتها رَيْطَةَ . وقلد ديوان الرسائل صالح بن الهَيْثَم مولى
رَيْطَةَ بنت أبي العباس .

وكتَّب لأبي جعفر المنصور عبدُ الملك بن حُميد مولى حاتم بن
النعمان الباهلي من أهل خراسان ، وكتب له هاشم بن سعيد الجعفي
وعبدُ الأعلى بن أبي طلحة من بني تميم بواسط . وروى أن سليمان بن
مخلد كان يكتُب لأبي جعفر ، ومما كان يتمثل به أبو جعفر المنصور :

وما إن شفى نفساً كأمرٍ صريمةٍ إذا حاجةٌ في النفس طالَ اعتراضها
وكتَّب له الربيع . وكان عُمارةُ بن حَمزة من نُبلاء الرجال ، وله :

لا تشكون دهرًا صححت به إن الغنى في صحة الجسم
هبك الإمام أكنت منتفعًا بغضارة الدنيا مع السقم !
وكان يتمثل بقول عبد بنى الحسن حاس :

أمن أمةٍ دمع العين مذروفٌ لو أن ذامنك قبل اليوم معروفٌ (١)
لا تبيك عينك إن الدهر ذو غيرٍ فيه تفرق ذو ألفٍ ومألوفٍ
وكتَّب للمهدى أبو عبید الله وأبان بن صدقة على ديوان رسائله ،
ومحمد بن حميد الكاتب على ديوان جنده ويعقوب بن داود ، وكان ٨٤١/٢
اتمخذه على وزارته وأمره ، وله :

عجبا لتصريفِ الأمورِ محبةً وكراهيةً
والدهرُ يلعب بالرجا ل له دوائرُ جارئة
ولابنه عبد الله بن يعقوب - وكان له محمدٌ ويعقوبٌ ، كلاهما
شاعرٌ مجيدٌ :

وزع المشيبُ شراستي وغراي ومرى الجفونَ بمسبلِ سجامِ

(١) ديوانه ٦٢ ، ٦٣ ؛ وهي أبيات ثلاثة روايتها هناك :

أمن سميةٍ دمع العين مذروفٌ لو أن ذامنك قبل اليوم معروف
المال مالكم والعبد عبدكم فهل عذابك عنى اليوم مضرور !
كأنها يوم صدت ما تكلمنا ظبي بعسفان ساجي الطرف مطروف

ولقد حَرَصْتُ بِأَنْ أُرَى شَخْصَهُ
 وَصَبَغْتُ مَا صَبَغَ الزَّمَانُ فَلَمْ يَدَمْ
 لَا تَبْعِدِينَ شَبِيهَةً ذِيَالَةً
 مَا كَانَ مَا اسْتَصْحَبَتْ مِنْ أَيَّامِهَا
 عَنْ مَقَلَّتِي فَرَمْتُ غَيْرَ مَرَامٍ
 صِبْغِي وَدَامَتْ صِبْغَةُ الْأَيَّامِ
 فَارْقَتُهَا فِي سَالِفِ الْأَعْوَامِ
 إِلَّا كَبَعْضِ طَوَارِقِ الْأَحْلَامِ

ولأبيه :

طَلَّقُ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَاتَّخِذْ زَوْجًا سِوَاهَا
 إِنَّهَا زَوْجَةٌ سَوَاءٌ لَا تُبَالِي مَنْ أَنَاهَا

واستوزر بعده الفَيْضُ بنَ أَبِي صَالِحٍ ، وَكَانَ جَوَادًا .

وكتب للهادي موسى عُبَيْدُ اللَّهِ بنَ زِيَادِ بنِ أَبِي لَيْلَى وَمُحَمَّدُ بنُ حُمَيْدٍ .
 وسأل المهدي يوماً أبا عُبَيْدِ اللَّهِ عن أشعار العرب ، فصنّفها له ، فقال :
 ٨٤٢/٢ أَحْكَمُهَا قَوْلُ طَرْفَةِ بنِ الْعَبِيدِ :

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ
 تَرَى جُثُوتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا
 أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي
 أَرَى الْعَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ
 لَعْمُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى
 كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ^(١)
 صَفَائِعُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحِ مَصْمَدٍ^(٢)
 عَقِيلَةٌ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٣)
 وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالذَّهْرُ يَنْفَدُ
 لَكَ لِطَوْلِ الْمُرْخِي وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ^(٤)

وقوله :

وَقَدْ أَرَانَا كِلَانًا هُمْ صَاحِبِيهِ
 وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ
 لَوْ أَنَّ شَيْئًا إِذَا مَا فَاتْنَا رَجَعَا
 دَهْرٌ يَكُرُّ عَلَى تَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

(١) ديوانه ٥٢ - ٥٤ . (٢) الجثوتان ، مثنى جثوة ؛ وهي كومة التراب .

(٣) يعمام : يختار ؛ وكذلك يصطون . وعقيلة كل شيء : خياره .

(٤) الطول : الحبل الذي يطول للدابة فترعى به .

وقول لبيد :

ألا تَسْأَلَانِ المرءَ ماذا يُحَاوِلُ
ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خلا اللهَ باطلُ
أرى النَّاسَ لا يدرون ما قدرُ أمرِهِمْ
وكقول النابغة الجعدي :

وقد طالَ عهدي بالشَّبابِ وأهلِهِ
فلم أجِدِ الإخوانَ إلاَّ صحابةً
ألم تعلمي أن قد رُزئتُ مُحارِباً
وكقول هُدبَةَ بنِ نخشَرَمَ :

ولستُ بِمفراحٍ إذا الدهرُ سرَّني
ولا أتبغى الشرَّ والشرُّ تاركِي
وما يَعرفُ الأَقوامُ للدهرِ حقَّهُ
وللدهرِ في أهلِ الفتي وتِلاذِهِ
ولا جازعٍ من صَرفِهِ المتقلِّبِ (٣)
ولكن مَتَى أَحْمَلُ على الشرِّ أركبِ (٤) ٨٤٣/٢
وما الدهرُ مما يكرهون بمُعْتَبِ
نصيبِ كَحزِّ الجازِرِ المتشعبِ

وكقول زيادة بن زيد ؛ وتمثّل به عبدُ الملك بن مروان :

تذكّر عن شُحطِ أميمةَ فارغوى
وإنَّ امرأً قد جَرَّبَ الدهرُ لم يخفِ
هل الدهرُ والأَيامُ إلاَّ كما ترى
وكلُّ الذي يأتي فانتَ نسيئُهُ
لها بعد إكثارٍ وطولِ نجيبِ
تقلِّبَ عَضْرِيهِ لغيرِ لبيبِ
رزيئُهُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ
ولستَ لشيءٍ ذاهبٍ بنَسيبِ

(١) ديوانه ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) أبيات منها في الحماسة - بشرح المرزوق برقمي ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، وأبيات منها أيضا في خزنة الأدب للبغدادى ٢ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الكامل ٤ : ٨٦ ، مع اختلاف في الرواية . (٤) بعده في الكامل :

وَحَرَّبَنِي مَوْلَايَ حَتَّى غَشِيَتْهُ
مَتَى ما يَجْرُبُكَ ابنَ عَمِّكَ تَحْرَبُ

وليس بعيداً ما يجيء كمقبيلٍ ولأما مَضَى من مُفْرِحٍ بقريبٍ

وكقول ابن مقبيل (١) :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ وَالشَّيْبَ أَرْذَلُ هَذِهِ الأَبْدَالِ
وَالنَّاسَ هَمَّهُمُ الحَيَاةُ وَلَا أَرَى طُولَ الحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خَبَالِ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذُّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كصَالِحِ الأَعْمَالِ

ووزر له يحيى بن خالد . ووَزَرَ للرشيذ ابنه جعفر بن يحيى بن خالد ،
فمن مَلِيحِ كَلَامِهِ : الخَطَطُ سِمَةُ الحِكْمَةِ ، به تَفَصَّلُ شُدُورُهَا ، وَيُنظَّمُ
مَنْثُورُهَا . قال ثَمَامَةُ : قلتُ لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون
الاسم محيطاً بمعناك ، مُخْبِرًا عن مَعْنَاكَ ، مُخْرِجًا مِنَ الشَّرْكَةِ ، غير
مستعان عليه بالفكرة . قال الأصمعي : سمعتُ يحيى بن خالد يقول :
الدنيا دُولٌ ، والمال عَارِيَةٌ ، ولنا بمن قَبْلَنَا أَسْوَةٌ ، وفينا لمن بَعْدَنَا عِبْرَةٌ .
ونأى بتسمية باقى كتاب :خلفاء بنى العباس إذا انتهينا إلى الدولة العباسية .
إن شاء الله تعالى .

(١) كذا فى الأصول ؛ والأبيات من قصيدة للأخطل فى ديوانه ١٥٩ - ١٦٣ ، ومطلما :

لمن الديار بجنابلي فوعالٍ دَرَسْتُ وَغَيْرَهَا سِنُونُ خِوَالِ
ونيب المبرد فى التكملة ٣ : ١٤ بيت الثالث إلى الخليل بن أحمد .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير .

* ذكر الخبر عن صفة ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر .
قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن عبيد الله بن القبطية ، قال : كانت
الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة .

قال محمد بن عمر : وحدثني مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بني أسد
— وكان عالما بفتنة ابن الزبير — قال : حُصِرَ ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة
سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة نخلت من جمادى الأولى سنة ثلاث
وسبعين ، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد
ابن عمر : قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن يوسف بن ماهك ، قال :
رأيت المسجنق يرمى به ، فرعدت السماء وبرقت ، وعلا صوت الرعد والبرق
على الحجارة ، فاشتمل عليها ، فأعظم ذلك أهل الشام ، فأمسكوا بأيديهم ،
فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها في منطقتة ، ورفع حجر المسجنق
فوضعه فيه ، ثم قال : ارموا ، ورمى معهم . قال : ثم أصبحوا ، فجاءت
صاعقة تتبعها أخرى ، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلا ، فانكسر أهل
الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، لا تُنكروا هذا فإني ابن تهمامة ،
هذه صواعق تهمامة ، هذا الفتح قد حضر فأبشروا ، إن القوم يُصيبهم
مثل ما أصابكم ، فصعقت من الغد . فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة ؛
فقال الحجاج : ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة ، وهم على خلاف

الطاعة ! فلم تزل الحربُ بينَ ابنِ الزبيرِ والحججاجِ حتَّى كان قبيلَ مقتله وقد تفرَّقَ عنه أصحابه ، وخرجَ عامَّةُ أهلِ مَكَّةَ إلى الحججاجِ في الأمان .

حدَّثني الحارثُ ، قال : حدَّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ عمر ، قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ عبد الله^(١) ، عن المنذرِ بنِ جبهنمِ الأسديِّ ، قال : رأيتُ ابنَ الزبيرِ يومَ قُتِلَ وقد تفرَّقَ عنه أصحابُه ونخله من معه نخلانا شديداً ، وجعلوا يخرجونَ إلى الحججاجِ حتَّى خرجَ إليه نحوُ من عشرةِ آلاف .

وذكرَ أنَّه كان ممَّن فارقه وخرجَ إلى الحججاجِ ابناه حَمزةٌ وخَبِيبٌ ، فأخذا منه لأنفسهما أماناً ، فدخَلَ على أمِّه أسماء - كما ذكرَ محمدُ بنُ عمرَ عن أبي الزنادِ ، عن مخرمةِ بنِ سليمانِ الوالبيِّ ، قال : دخلَ ابنُ الزبيرِ على أمِّه حينَ رأى من الناسِ ما رأى من خِذلانِهِم ، فقال : يا أمِّه ؛ خذْني الناسُ حتَّى ولدي وأهلي ، فلم يَبَقْ معي إلاَّ اليسيرُ ممَّن^(٢) ليس عنده من الدَّفْعِ أكثرُ من صبرِ ساعة ، والقومُ يعطونني ما أردت من الدنيا ، فما رأيُك ؟ فقالت : أنت واللهِ يا بُنيَّ أعلمُ بنفسك ، إن كنتَ تعلمُ أنَّك على حقٍّ وإليه تدعو فامضِ له ، فقد قُتِلَ عليه أصحابك ، ولا تُمكن من رقبتك يتلعبُ بها غلمانُ أميَّة ، وإن كنتَ إنما أردتَ الدنيا فبئسَ العبدُ أنت ! أهلكتَ نفسك ، وأهلكتَ من قُتِلَ معك . وإن قلتَ : كنتُ على حقٍّ فلما وهنَّ أصحابي ضعُفتُ ، فهذا ليس فعلُ الأحرارِ ولا أهلِ الدِّينِ ، وكم خلودُك في الدنيا ! القتلُ أحسنُ . فدنا ابنُ الزبيرِ فقبَّلَ رأسَها وقال : هذا واللهِ رأيي ، والذي قمتُ به داعياً إلى يومِ هذا ما ركَّنتُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياةَ فيها ، وما دعاني إلى الخروجِ إلاَّ الغضبُ لله أن تُستحلَّ حرَّمة . ولكنني أحببتُ أن أعلمَ رأيك ، فزدتُني^(٣) ، بصيرةً مع بصيرتي . فانظري يا أمِّه فإني مقتولٌ من يومِ هذا ، فلا يشتدَّ حُزُنُك ، وسَلِّمي الأمرَ لله ، فإنَّ ابنكَ لم يتعمَّدَ إتيان^(٤) مُنكرٍ ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يتجرَّ في

(١) ط : « عبيد » ، وصوابه من ا . (٢) ب : « ومن » ، ا ، ف : « من » .

(٣) ب ، ف : « فقد زدتنى » . (٤) ب ، ف : « وإشارة » .

حكّم الله ، ولم يغدر في أمان ، ولم يتعمّد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عُمّالي فرضيتُ به بل أنكرته ، ولم يكن شيءٌ آثرَ عندي^(١) من ٨٤٧/٢
 رضا ربّي . اللهم إني لا أقول هذا تزكية منّي لنفسي ، أنت أعلمُ بي ؛ ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني . فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنةً إن تقدّم منّي ، وإن تقدّم منك في نفسي ، اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك . قال : جزاك الله يا أمّه خيرًا ، فلا تدّعي الدّعاء لي قبلُ وبعده . فقالت : لا أدّعه أبدًا ، فن قُتِل على باطل فقد قُتِلت على حقّ . ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في اللّيل الطويل ، وذلك النّحيب والظّمّاء في هواجر المدينة ووكّة ، وبرّه بأبيه وبّي . اللهم قد سلّمته لأمرك فيه ، ورضيتُ بما قضيت ، فأثيبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين^(٢) .

قال مصعب بن ثابت : فما مكثت بعده إلاّ عشراً ، ويقال : خمسة أيّام .

قال محمد بنُ عمر : حدّثني موسى بنُ يعقوب بن عبد الله ، عن عمّه قال : دخل ابنُ الزبير على أمه وعليه الدّرع والمِغفّر ، فوقف فسلم ، ثمّ دنا فتناول يدها فقبلها^(٣) . فقالت : هذا وداع فلا تبعه ، قال ابنُ الزبير : جئت مودّعا ، إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمرّ بي ، واعلمي^(٤) يا أمّه أني إن قُتِلت فإنّما أنا لحم لا يضرّني ما صنّع بي ، قالت : صدقت يا بنيّ ، أتمم على بصيرتك ، ولا تُمكن ابنَ أبي عَقِيل منك ، وادنُ مني أو دّعنك ، فدنا منها فقبلها وعانقها ، وقالت حيث مسّت الدّرع : ما هذا ٨٤٨/٢
 صنيعٌ من يريد ما تريد ؟ قال : ما لبستُ هذا الدّرع إلاّ لأشدّ منك ، قالت العجوز : فإنّه لا يشدّ منّي ، فنزّعتها ثمّ أدرج كميّنه ، وشدّ أسفل قميصه ، وجبّتهُ خزّ تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة ، وأمّه تقول : البس ثيابك مشمّرة . ثمّ انصرف ابنُ الزبير وهو يقول :

(١) ب ، ف : عندي آثر . (٢) ب ، ف : الشاكرين الصابرين .

(٣) ف : يدها قبلها . (٤) ب : واعلمي .

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ
فسمعت العجوزَ قولَه، فقالت : تَصْبِرُ وَاللَّهِ إِن شَاءَ اللَّهُ، أبوك أبو بكر
والزبير، وأمك صفيّة بنت عبد المطلب .

حدّثني الحارث، قال : حدّثني ابنُ سعد، قال : أخبرني محمد بن
عمر، قال : أخبرنا ثور بن يزيد، عن شيخ من أهل حمص شهد
وقعة ابن الزبير مع أهل الشام، قال : رأيتُه يوم الثلاثاء وإنّا لنطلع عليه أهل
حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخله ؛ لا يدخله غيرنا ، فيخرج
إلينا وحدَه في أثرنا ، ونحن منهزمون منه ، فما أنسى أرجوزة له :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
* إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ *

فأقول : أنت والله الحرّ الشريف ، فلقد رأيتُه يقف في الأبطح ما يدنو
منه أحدٌ حتّى ظننّا أنّه لا يقتل .

حدّثني الحارث، قال : حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمد بن
عمر، قال : حدّثنا مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني أسد، قال :
رأيتُ الأبوابَ قد سُحِنَت من أهل الشام يوم الثلاثاء، وأسلم أصحابُ ابن
الزبير المحارس، وكثرهم القومُ فأقاموا على كلِّ باب رجالاً وقائدًا وأهل بلد،
فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني
شيبّة، ولأهل الأردنّ باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جُمح،
ولأهل قنسرين باب بني ستهم، وكان الحجّاج وطارق بن عمرو جميعاً
في ناحية الأبطح إلى المروة، فرّة يتحمّل ابنُ الزبير في هذه الناحية، ومرة
في هذه الناحية فلما كان أسدٌ في أجمة ما يُقدِّم عليه الرجال، فيعدون في أثر
القوم وهم على الباب حتّى يُخْرِجَهُمْ وهو يرتجز :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
ثم يصيح : يا أبا صفوان^(١)، ويلُ أمّه فتشحا لو كان له رجال !

(١) : أبا صفوان . وهو عبد الله بن صفوان بن أما أبو صفوان ، وانظر ص ١٩٠ .

• لو كان قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ^(١) •

قال ابن صفوان : إى والله وألف .

حدثني الحارث، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ عمر ، قال : فحدثني ابنُ أبي الزناد وأبو بكر بنُ عبد الله بنِ مصعب ، عن أبي المنذر^(٢) . وحدثنا نافع مولى بني أسد ، قال : لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبعمائة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحججاجُ على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابنُ الزبير يصلّي عامة الليل ، ثم احتبى بحمائل^{٨٥٠/٢} سيفه فأغنى ، ثم انتبه بالفجر فقال : أذن يا سعد ، فأذن عند المقام ، وتوضأ ابنُ الزبير ، وركع ركعتي الفجر ، ثم تقدم ، وأقام المؤذن فصلّي بأصحابه ، فقرأ ﴿ ن وَالْقَلَم ﴾ حرفًا حرفًا ، ثم سلم ، فقام فحميد الله وأثنى عليه ثم قال :

اكشفوا وجوهكم حتى أنظر، وعليهم المغافر والعمائم، فكشفوا وجوههم فقال : يا آل الزبير ، لو طيبتُم لي نَفْسًا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله لم تصبنا زبَاءُ بَتَّة . أمّا بعد يا آل الزبير ، فلا يرُعكم وقعُ السيوف ، فإنني لم أحضر موطنًا قط إلا ارتشيتُ فيه من القتل ، وما أجدُ من أدواء جراحها أشدّ ممّا أجد من ألمٍ وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ، لا أعلم امرأ كسّر سيفه ، واستبقى نفسه ، فإنّ الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل ، غَضُوا أبصاركم عن البارقة ، وليشغَلْ كلّ امرئ قِرْنَه ، ولا يُلْهينكم السؤالُ عني ، ولا تقولن : أين عبدُ الله بنُ الزبير ؟ ألا من كان سائلًا عني فإنني في الرَّعِيلِ الأوّل .

أبي لابن سلمى أنه غيرُ خالدٍ مُلاقى المنايا أي صرْفِ نيمًا^(٣)
فلستُ بمبتاعِ الحياة بسببٍ ولا مُرتقى من خشية الموتِ سلماً^(٤)

(١) للويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨ .

(٢) ط : « ابن » وصوابه من ا ، وهو أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي .

(٣) للحسين بن الحمام المري ، من المفضلية ١٢ . (٤) المفضليات : « ولا مبتغ » .

أَحْمِلُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .

٨٥١/٢ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَلَغَ بِهِم الْحَسْبُ ، فَرُمِيَ بِأَجْرَةٍ فَأَصَابَتْهُ فِي وَجْهِهِ فَأَرَعِشَ لَهَا ، وَدَمَى وَجْهُهُ ، فَلَمَّا وَجَدَ سَخُونَةَ الدَّمِ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ وَلِحْيَتِهِ قَالَ :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا (١)
وَتَغَاوَوْا عَلَيْهِ .

قَالَ : وَصَاحَتْ مَوْلَاةٌ لَنَا مَجْنُونَةٌ : وَآمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَا : وَقَدْ رَأَتْهُ حَيْثُ هُوَ ، فَأَشَارَتْ لَهُمْ إِلَيْهِ ، فَقَتَلَ وَإِنْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ خَزَنَتْ . وَجَاءَ الْخَبْرَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَسَجَدَ وَسَارَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ طَارِقُ : مَا وَآلَدْتَ النِّسَاءُ أَذْكَرَ مِنْ هَذَا ؛ فَقَالَ الْحَجَّاجُ : تَسْمَدَحُ مَنْ يُخَالِفُ طَاعَةَ آمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ أَعْدَرُ لَنَا ، وَلَوْلَا هَذَا مَا كَانَ لَنَا عُدْرٌ ، إِنَّا مُحَاصِرُوهُ وَهُوَ فِي غَيْرِ خَسَدَقٍ وَلَا حِصْنٍ وَلَا مَسْنَعَةٍ مِنْذُ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ يَنْتَصِفُ مِنَّا ، بَلْ يَفْضِلُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ مَا التَّقِينَا نَحْنُ وَهُوَ ؛ فَبَلَغَ كَلَامَهُمَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَصَوَّبَ طَارِقًا .

حَدَّثَنَا عَمْرٌو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ ، عَنْ رَجَالِهِ ، قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الزَّبِيرِ وَقَدْ قَتَلَ غَلَامًا أَسْوَدًا ، ضَرَبَهُ فَعَرَقَبَهُ ، وَهُوَ يَمْرٌ فِي حَمَلَتِهِ عَلَيْهِ وَيَقُولُ : صَبْرًا يَا بَنِي حَامٍ ، فَنِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاطِنِ تَصْبِرُ الْكِرَامُ !

٨٥٢/٢ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ ، قَالَ : بَعَثَ الْحَجَّاجُ بِرَأْسِ ابْنِ الزَّبِيرِ وَرَأْسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ وَرَأْسِ عُمَارَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فَتَنْصَبَتْ بِهَا ، ثُمَّ ذُهِبَ بِهَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْحَجَّاجُ

(١) للحصين بن الحمام المري ، ديوان الحماسة - بشرح المرزوق ١ : ١٩٢ ، وفي ط : « لسانه » .

مكة ، فبايع^(١) من بها من قريش لعبد الملك بن مروان .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك طارقاً مولى عثمان المدينة فوليتها خمسة أشهر .

وفي هذه السنة توفى بشر بن مروان في قول الواقدي ، وأما غيره فإنه قال : كانت وفاته في سنة أربع وسبعين .

وفيهما أيضاً وجّه - فيما ذكر - عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فدّيك ، وأمره أن يندب معه من أحب من أهل الميصرين ، فقدم الكوفة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرة آلاف ، ثم قدم البصرة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرة آلاف ، فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم ، فأعطوهم . ثم سار بهم عمر بن عبيد الله ، فجعل أهل الكوفة على الميمنة

وعليهم محمد بن موسى بن طلحة ، وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله ، وجعل خيلته في القلب ، حتى انتهوا إلى البحرين ، فصف عمر بن عبيد الله أصحابه ، وقدم الرجالة في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض ، واستتروا بالبراذع . فحمل أبو فدّيك

وأصحابه حملة رجل واحد ، فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى ٨٥٣/٢ ذهبوا في الأرض إلا المغيرة بن المهلب ومعهن بن المغيرة ومُجاعة ابن عبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة وهم ثابتون ، وارتث عمر بن موسى بن عبيد الله ، فهو في القتلى قد أثنى بجراحة .

فلما رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تدمموا ورجعوا وقتلوا وما عليهم أمير حتى مروا بعمر بن موسى بن عبيد الله بجريحا فحملوه حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبس كثير فأحرقوه ، ومالت عليهم الرياح . وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فدّيك ، وحصرهم في المشقر ، فنزلوا على الحكم ، فقتل عمر بن عبيد الله منهم - فيما ذكر - نحواً من ستة آلاف ، وأسّر ثمانمائة ، وأصابوا جارية أمية بن عبد الله حبلى من أبي فدّيك وانصرفوا إلى البصرة .

(١) ب : «فبايعه» ، ا ، س : «فبايع بها» .

وفي هذه السنة عزّل عبدُ الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولّاها أخاه بشر بن مروان ، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه ، فخص بشر لما وُلّي مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حرّيث .
وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة . فهزم الروم .

وقيل : إنّه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية أرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفاً ، فهزمتهم وأكثر القتلى فيهم .

وأقام الحجّ في هذه السنّة للناس الحجّاج بن يوسف وهو على مكّة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة - في قول الواقدي - بشر بن مروان ، وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان ، وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام ابن هبيرة ، وعلى خراسان بكبير بن وشاح .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

[قال أبو جعفر :] فما كان فيها من ذلك عزّلُ عبدِ الملك طارقَ بن عمرو عن المدينة ، واستعماله عليها الحجّاج بن يوسف ، فقدّمها - فيما ذكر - فأقام بها شهراً ثمّ خرج معتمراً .

وفيهما كان - فيما ذُكر - نقضُ الحجّاج بن يوسف بنيان الكعبة الّذى كان ابنُ الزبير بناه ، وكان إذ بناه أدخل في الكعبة الحجر ، وجعل لها بابين . فأعادها الحجّاجُ على بنائها الأوّل في هذه السنة . ثمّ انصرف إلى المدينة في صفر ، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبث بأهل المدينة ويتعنّتهم ، وبنى بها مسجداً في بني سلّمة ، فهو يُنسب إليه .

واستخفّ فيها بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فاختتم في أعناقهم ؛ فذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي ذئبٍ ، حَدَّثَنِي عَنْ رَأْيِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَخْتوماً فِي يَدِهِ .

وعن ابن أبي ذئب ، عن إسحاق بن يزيد ، أنه رأى أنس بن مالك مختوماً ٨٥٥/٢ في عنقه ، يريد أن يُدَلِّه بذلك .

قال ابن عمر : وحدثني شُرْحَبِيلُ بْنُ أَبِي عَوْنٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ الْحَجّاجَ أَرْسَلَ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فَدَعَاهُ ، فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَنْصُرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ ! قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : كَذَبْتَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَخَتَمَ فِي عُنُقِهِ بِرِصَاصٍ .

وفيهما استنقضى عبدُ الملكُ أبا إدريسَ الخَوْلانيّ - فيما ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ . وفي هذه السنة شَخَّصَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ بِشْرِ بْنِ مُرْوَانَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْيَمَامَةِ عَلَيْهَا .

[ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة]

وفي هذه السنة ولّى المهلبُ حربَ الأزارقة من قبيل عبد الملك .

• ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها :

ولمّا صار بِشْرُ بالبصرة كتب عبدُ الملك إليه - فيما ذكر هشامٌ عن أبي مخنف . عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه :

أمّا بعد ، فابعث المهلب في أهل مصره^(١) إلى الأزاقة ، ولينتخب من أهل مِصره وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم^(٢) ، فإنه أعرف بهم ، وخطته ورأيه في الحرب . فإني أوثقُ شيءً بتجربته ونصيحته للمسلمين . وابعث من أهل الكوفة بعثاً كثيفاً . وابعث عليهم رجلاً معروفاً شريفاً ، حسيباً صليباً . يُعرف بالبأس والتجندة والتجربة لاحرَب ، ثم أنهيض إليهم أهل المِصرين فليتبعوهم أيّ وجهٍ ما توجهوا حتى يُبيدَهم الله^(٣) . ويستأصلهم . والسلام عليك^(٤) . ٨٥٦/٢

فدعا بِشْرُ المهلب فأقرأه الكتاب . وأمره أن ينتخب من شاء ، فبعث بجنديع بن سَعِيد بن قَبِيصَة بن سَرَّاق الأزدي - وهو خالُ يزيد ابنه - فأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس ، وشقّ على بشر أن إمرة المهلب جاءت من قبيل عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره . فأوغرت صدره عليه حتى كأنه كان له إليه ذنب . ودعا بِشْرُ بن مروانَ عبدَ الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة . وأمره أن ينتخب فرسان الناس وجوهمهم وأولى الفضل منهم والتجندة .

قال أبو مخنف : فحدثني أشياخ الحنّ ، عن عبد الرحمن بن مخنف قال : دعاني بِشْرُ بن مروان فقال لي : إنك قد عرفت منزلتك مني ، وأثرتك عندي . وقد رأيتُ أن أوليّك هذا الجيش للذي عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك . فكن عند أحسن ظني بك . انظر هذا الكذا كذا - يقع في المهلب - فاستبدّ عليه بالأمر ، ولا تقبلن له مشورة ولا رأياً ، وتسنقنه وقصّر به .

قال : فترك أن يُوصيني بالجند ، وقتال العدو ، والنظر لأهل

(١-١) ب ، ف : « وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم إلى الأزاقة ولينتخب من أحب » . (٢) ب ، س : « يبرهم » . (٣) بعدها في ف : « ورحمة الله وبركاته » .

الإسلام ، وأقبل يُغريني بابتن عمى كانى من السفهاء أو ممن يُستصنى
ويُستجمل ، ما رأيتُ شيخاً مثلى فى مثل هيئتي ومنزلتى طُمع منه فى
مثل ما طُمع فيه هذا الغلامُ مِنى ، شَبَّ عمرو عن الطُّوق .

قال : ولما رأى أنى لستُ بالنشيط^(١) إلى جوابه قال لى : مالك ؟ قلتُ : ٨٥٧/٢
أصلحك الله ! وهل يسعنى إلا إنفاذ أمرى فى كل ما أحببت وكرهت !
قال : امضِ راشداً . قال : فودعته وخرجتُ من عنده ، وخرج المهلبُ
بأهل البصرة حتى نزل رامَ مَهْرُمُزُ فلقى بها الخوارج ، فخندق عليه ، وأقبل
عبدُ الرحمن بنُ مخنفُ بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه^(٢) بِشْرُ بنُ
جرير ، وعلى ربع تميم وهَمْدان محمد بنُ عبدِ الرحمن بن سَعِيد بن قيس ،
وعلى ربع كِنْدَةَ ورَبِيعَةَ إِسْحاقُ بنُ مُحَمَّد بن الأشعث . وعلى ربع مَدْحِج
وأَسَد زَحْر بن قيس . فأقبل عبدُ الرحمن حتى نزل من المهلب على
مِيل أو مِيل ونصف . حيث تراءى العسكران برامَ مَهْرُمُزُ ، فلم يلبث
الناسُ إلا عشرًا حتى أتاهم نعى بِشْر بن مروان ، وتوفى بالبصرة ، قارفضُ
فاس كثيرٌ من أهل البصرة وأهل الكوفة ، واستخلف بشر خالد بن عبد الله
ابن أسيد ، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حُرَيْث . وكان الذين انصرفوا
من أهل الكوفة زَحْر بن قيس وإسحاق بن مُحَمَّد بن الأشعث ومحمد بن
ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، فبعث عبدُ الرحمن بنُ مخنفُ ابنه جعفرًا
فى آثارهم ، فردَّ إِسْحاقَ ومحمدًا ، وفاته زَحْر بن قيس . فحبسهما يومين ،
ثم أخذ عليهما ألاً يفارقه ، فلم يلبثا إلا يوماً^(٣) حتى انصرفا ، فأخذوا^(٤) غير
الطريق . وطلبا فلم يُلحَقا ، وأقبلا حتى لحقا زَحْر بن قيس بالأهواز ،
فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد البصرة . فبلغ ذلك خالد بن عبد الله ، ١٥٨/٢
فكتب إلى الناس كتاباً^(٥) وبعث رسولاً يضرب وجوه الناس ويردهم^(٥) . فقدم
بكتاب مولى له ، فقرأ الكتاب على الناس ؛ وقد جُمِعوا له :

(١) ب ، ف : « بنشيط » .

(٢) ب ، ف : « ومعه » .

(٣) ب ، ف : « يومين » .

(٤) س : « انصرفوا فأخذوا » .

(٥ - ٥) ب ، ف : « وبعث رسولا تضرب وجوه الناس وتردهم » .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن عبد الله ، إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين . سلامٌ عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أمّا بعد ، فإنّ الله كتب على عباده الجهاد ، وفرض طاعة وولاية الأمر ، فمن جاهد فإنّما يُجاهد لنفسه ، ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ، ومن عصى وولاية الأمر والقوّام بالحق أسخط . الله عليه ، وكان قد استحقّ العقوبة في بشره ، وعرض نفسه لاستفاعة ماله وإلقاء عطائه ، والتسيير إلى أبعد الأرض وشترّ البلدان . أيها المسلمون ، اعلموا^(١) على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنّه عبدُ الملك بن مروان أميرُ المؤمنين ، الذي ليست فيه غمّيزة ، ولا لأهل المعصية عنده رخصة ، سوّطه على من عصى ، وعلى من خالف سيفه ، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً ، فإني لم آلكم نصيحة . عباد الله ، ارجعوا إلى مكنبكم^(٢) وطاعة خليفتكم ، ولا ترجعوا عاصين مخالّفين فيأتيتكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أثقف عاصياً بعد كتابي هذا إلا قتلته إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله .

وأخذت كلما قرأ عليهم سطرًا أو سطرين قال له زحر : أوجز ؛ فيقول له مولى خالد : والله إني لأسمع كلام رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع . أشهد لا يعيج^(٣) ، بشيء مما في هذا الكتاب . فقال له : اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به ، ثم ارجع إلى أهلِكَ ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا .

فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس إلى ما في كتابه ، وأقبل زحر^(٤) وإسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية لآل الأشعث إلى جانب الكوفة ، وكتبوا إلى عمرو بن حرّيث :

أما بعد ، فإنّ الناس لما بلغتهم وفاة الأمير رحمة الله عليه تفرّقوا فلم يبق معنا أحد ؛ فأقبلنا إلى الأمير واني مصرنا . وأحببنا ألا نلتخل الكوفة إلا بإذن الأمير وعلمه .

(١) ب ، ف : « أتعلمون » . (٢) ب ، ف : « أمكنتم » .

(٣) لا يعيج : لا يكثرث . وفي ب ، ف : « لا تهيج فتنة إلا كنت رأسها » .

(٤) بعدها في ب ، ف : « وأصحابه » .

فكتب إليهم :

أما بعد، فإنكم تركتم مكتسبكم^(١) وأقبلتم عاصين مخالفين، فليس لكم عندنا إذن ولا أمان .

فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رحالهم ، فلم يزلوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف .

•••

[عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها]
وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاهها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

• ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية :

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان إلى حين قدم^(٢) أمية عليها والياً سنتين في قول أبي الحسن، وذلك أن ابن خازم قتل سنة ثلاث وسبعين وقدم أمية سنة أربع وسبعين .

وكان سبب عزل بكير عن خراسان أن بحيراً - فيما ذكره علي عن المفضل - حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت في رأس ابن خازم ٨٦٠/٢ حين قتله، فلم يزل محبوساً عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد، فلما بلغ ذلك بكيراً أرسل إلى بحير ايصاله، فأبى عليه وقال: ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة! فمشت السفراء بينهم، فأبى بحير. فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي، فقال: ألا أراك مائتاً! يرسل إليك ابن عمك يعتذر إليك وأنت أسير، والمشرق في يده - ولو قتلك ما حبتت فيك عنز - ولا تقبل منه! ما أنت بموثق^(٣). فقبل الصلح، وأخرج وأنت على أمرك. فقبل مشورته: وصالح بكيراً، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفاً. وأخذ علي بحير إلا يقائله. وكانت تميم قد اختلفت بخراسان، فصارت مقاعس والبطون يتعصبون له، فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد، ويقهرهم عدوهم من المشركين، فكتبوا إلى

(١) ب، ف: « أمكتكم » . (٢) ب، ف: « قلوب » .

(٣) ب، ف: « بموثق » .

عبد الملك بن مروان : إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه ، فقال عبد الملك : خراسان ثغر المشرق ، وقد كان به من الشر ما كان ، وعليه هذا التسمية ، وقد تعصب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه ، فيهلك الثغر ومن فيه ، وقد سألوا أن أولي أمرهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا ، فقال أمية بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ، تداركهم برجل منك ، قال : لولا انجيازك عن أبي فدك كنت ذلك الرجل . قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما انحزت حتى لم أجد مقاتلاً ، وخذلني الناس ، فرأيت أن انجيازى إلى فئة أنضل من تعريض عصابة بقيت من المسلمين للهلكة ، وقد علم ذلك مزار بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكتب إليك خالد بن عبد الله بما بلغه من عذري - قال : وكان خالد كتب إليه بعذره ، ويخبره أن الناس قد خذلوه - فقال مزار : صدق أمية يا أمير المؤمنين ، لقد صبر حتى لم يجد مقاتلاً ، وخذلته الناس . فولاه خراسان ، وكان عبد الملك يحب أمية ، ويقول : نتيجتي ، أي ليدتي ، فقال الناس : ما رأينا أحداً عوَّض من هزيمة ما عوَّض أمية ، فر من أبي فدك فاستعمل على خراسان ، فقال رجل من بكر بن وائل في متحسس بكير بن وشاح :

٨٦١/٣

أنتك العيس تنفخ في بُراها تُكشِفُ عَنْ مَذاكِهَا القُطوعُ^(١)
 كأنَّ مَواقِعَ الأَكوارِ منها^(٢) حَمَامٌ كَنائِسٍ بُقَعٌ وَقُوعٌ
 بأبيض من أمية مضرحي^(٣) كأنَّ جبينه سَيْفٌ صَنِيعٌ^(٣)

وبتحير يومئذ بالسَّنَجِ يسأل عن مسير أمية ؛ فلما بلغه أنه قد قارب

٨٦٢/٢ أبرش شهر قال الرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين - أو زبير : دلتني

(١) الأغاني ١٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ونسب الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص ؛ وذكر

البيت الأول ، ثم الثالث . العيس : النوق البيض يخالط بياضها شقرة . والبرى ؛ جمع برة ، وهي حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل في أنف البعير . والقطوع ، بضم القاف ؛ جمع قطع ؛ وهو الطنفسة

تحت الرجل على كتف البعير . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « الأكرار »

(٣) المضرحي : السيد الكريم . والصنيع : السيف الأبيض المجلو .

على طريق قريب لألقى الأميرَ قبل قدومه ، ولك كذا وكذا ، وأجزل لك العظيمة ؛ وكان عالماً بالطريق ، فخرج به فسار من السنج إلى أرض سَرَخَسَ في ليلة ، ثم مضى به إلى نيسابور فوآفتى أمية حين قدم أبرشهر ، فلقبته فأخبره عن خراسان وما يُصلح أهلها وتحسُن به طاعتهم ، ويخف على الوالى مئونتهم ، ورفع على بُكَيْر أموالاً أصابها ، وحدّره غدره .

قال : وسار معه حتى قدم مَرَو ، وكان أمية سيّداً كريماً ، فلم يتعرّض لبُكَيْر ولا لعماله ، وعرض عليه أن يوليّه شرطته ، فأبى بُكَيْر ، فولّاهما بَحِير بن ورّقاء ، فلام بُكَيْراً رجالاً من قومه ، فقالوا : أبيت أن تلي ، فولّيت بَحِيراً وقد عرفت ما بينكما ! قال : كنتُ أمس والى خراسان تُحمّل الحرابُ بين يدي ، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة ! وقال أمية لبُكَيْر : اختر ما شئت من عمل خراسان ، قال : طُخارستان ، قال : هي لك . قال : فتجهز بـبُكَيْر وأنفق مالا كثيراً ، فقال بَحِير لأمية : إن أتى بُكَيْر طُخارستان خلعتك ، فلم يزل يحدّره حتى حذر ، فأمره بالمقام عنده .

وحجّ بالناس في هذه السنة الحجّاجُ بنُ يوسف . وكان ولى قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة قبل شخصه إلى المدينة كذلك ، ذُكر ذلك عن محمد بن عمر .

وكان على المدينة ومكة الحجّاجُ بنُ يوسف ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، ٨٦٣/٢ وقد ذُكر أن عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة ، ولا نعلم صحّة ذلك .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ذكرُ الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل
مرعش .

وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة .
وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك الحجاج بن يوسف العراقَ دون خراسان
وسجستان .

[ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها]

وفيها قدّم الحجاج الكوفة . فحدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد
ابن يحيى أبو غسان ، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار
ابن ياسر ، قال^(١) : خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب
عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان في اثني عشر
راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءه^(٢) ، وقد
كان بشر بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ بالمسجد فدخله ، ثم صعد
المنبر وهو مثلثم بعمامة نحر حمراء ، فقال : على بالناس ، فحسبوه وأصحابه
خارجة^(٣) ، فهتموا به ، حتى إذا اجتمع إليه الناس قام فكشف عن
وجهه وقال :

أنا ابنُ جَلّاءٍ وطلّاعُ الثّنايا متى أضعِ العِمّامةَ تعرّفوني^(٤)

(١) الخبر وما تضمنه من خطبة الحجاج أورده الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٣٠٧ - ٣١٠
بهذا السند أيضاً ، والخطبة أيضاً في الكامل ١ : ٣٨٠ - ٣٨٢ ، والمقدّم ٤ : ١١٩ ، وعيون الأخبار
٢ : ٢٤٣ .

(٢) البياد : « فجأة » . (٣) البيان : « خوارج » .

(٤) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي ، رواها الأصمعي في الأسمعيات ٧٣ (لبيك) .

أما والله إنني لأحمل^(١) الشرَّ محمله ، وأخذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ،
وإني لأرى رموساً قد أينعت وحن قِطافُها ، وإني لأنظر إلى الدِّماء بين
العمائم والملحى .

• قد شمَّرت عن ساقها تشميراً^(٢) .

هذا أوان الشد فاشتدَّى زيمٌ قد لَفَّها الليلُ بسواقٍ حُطَم^(٣)
ليس براعى إبلٍ ولا غنمٍ ولا بجزائرٍ على ظهرٍ وضم^(٤)
قد لَفَّها الليلُ بعصبي^(٥) أزوعٍ خراجٍ من الدَّوى
• مهاجرٍ ليس بأعرابيٍّ .

ليس أوان يكره الخِلاطُ جاءت به والقُلصُ الأعلاطُ

• تهوى هوىً سابقٍ الغَطاطِ .

وإني والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين^(٦) ، ولا يققعقُعُ لي بالشنان
ولقد فررت عن ذكاء^(٧) ، وجريت إلى الغاية القموى^(٨) . إن أمير المؤمنين ،
عبد الملك نشر كنانته ثم عجم عيادتها فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها ٨٦٥/٢
مكسراً ، فوجهني إليكم ؛ فإنكم طالما أوضعتم^(٩) في الفتن ، وسنتتم سنن
الغى . أما والله لألحونكم لحن العود ، ولأعصبنكم عصب السلمة ،

(١ - ١) البيان : « لأحمل الشر بحمله » .

(٢) البيان : « فشمراً » ، العقد : « فشمري » .

(٣) الرجز لرويشد بن رميض العبدي ؛ كما في حواشي الكامل واللسان (حطم) ؛ والأغاني

١٥ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، قال : « الشعر لرشيد بن رميض العنزي يقوله في الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة .
وكان شريح قد غزا اليمن ، فغم وسبى ، ثم أخذ على طريق مغازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك
منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً حتى نجوا ووردوا الماء ، فقال فيه
رشيد الرجز مادحاً ، فلقب الحطم بذلك الرجز » . (٤) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

(٥) الرجز في اللسان (عصلب) . والعصبي : الشديد القادر على المشى والعمل .

(٦) البيان : « تنغاز التين » .

(٧) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليعرف بذلك عمره . والذكاء ؛ نهاية الشباب وتمام السن .

(٨) الغاية : قصبة تنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفي العقد :

« وأجريت إلى الغاية القصوى » . (٩) الإيضاع : ضرب من السير .

ولأضربنكم ضربَ غرائب^(١) الإبلِ . إني والله لا أعيدُ إلاّ وفيتت . ولا أنخلقُ إلاّ فتريت . فإيتاي وهذه الجماعات وقبلاً وقالوا ، وما يقول^(٢) ، [و^(٣)] فيم أنتم وذاك ؟ والله لتستقيمُنَّ على سبيلِ الحقِ أولادَ عَنّ لكلِّ رجلٍ منكم شُغلاً في جسده . مَن وَجَدتُ بعدَ ثالثةٍ من بَعَثِ المهلبِ سَفَكْتُ دَمَهُ ، وأنهبْتُ ماله .

ثم دخل منزله ولم يزدْ على ذلك .

قال : ويقال : إنه لما طال سكوتُه تناوَل محمد بنُ عُميرِ حصي فأراد أن يتحسبه بها ، وقال : قاتله الله ! ما أعيابه وأدمته ! والله إنني لأحسب خبره كُرواته . فلما تكلم الحجاج جعل الحصى يستثر من يده ولا يعقل به ، وأن الحجاج قال في خطبته :

شاهت الوجوه ! إن الله ضربَ ﴿ مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كلِّ مكانٍ فكفرت بأنعمِ الله ، فأذاقها الله لِبِاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(٤) ، وأنتم أولئك وأشباه أولئك ، فاستوثقوا واستقيموا . فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تتدروا^(٥) ، ولأعصبنكم عصب السَّامةِ حتى تنقادوا ، أقسم بالله لتقبِلُنَّ على الإنصاف ، ولتتدَعُنَّ الإرجاف ، وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، والهبروما الهبر ! أو لأهبرنكم^(٦) بالسيف هبراً يدع النساء أيامي ، والولدان يتامى ، وحتى تمشوا السُمهي ، وتقلعوا عن هاوهمَا . إيتاي وهذه الزرافات ، لا يركسبن الرجلُ منكم إلاّ وحده . ألا إنّه لبوساغ لأهل المعصية معصيتهم ماجبي فيءٌ ولا قوتل عدو ، ولعطلت الثغور ، ولولا أنّهم يُغزّون كثرها ما غزوا طوعاً ، وقد بلسغتي رفضكم المهلب ، وإفبالكم على مصركم عصاةً مخالفين ، وإني أقسم لكم بالله لا أجد أحداً بعد ثالثةٍ إلاّ ضربت عنقه .

٨٦٦/٢

(١) الإبل إذا وردت الماء ودخل فيها غريبة من غيرها ضربت وطردت .

(٢) البيان « ما يقولون » . (٣) من البيان .

(٤) سورة النحل ١١٢ . (٥) ب ، ف : « تدرؤا العصيان » .

(٦) م ، ف : « ولأهبرنكم » .

ثم دعا العرفاء فقال : ألقوا الناس بالمهلب ، وأتوني بالبراءات بموافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى تنقضي هذه المدة .

تفسير الخطبة : قوله : «أنا ابنُ جِلا» ، فابنُ جِلا الصبيح لأنه يجلو الظلمة . والثايا : ما صغر من الجبال ونبتاً . وأينع الثمر : بلغ إدراكه . وقوله : «فاشدي زيتم» ، فهي اسمٌ للحرب . والحطيم : الذي يتحطم كل شيء يمسر به . والوَضَمُ : ما وقى به اللحم من الأرض . والعَصَلَبِي : الشديد . والدَوِيَّةُ : الأرض الفضاء التي يُسمع فيها دوى أخفاف الإبل والأعلاط : الإبل التي لا أرسان عليها : أنشد أبو زيد الأصمعي :

واعرورزت العلطُ العرضيُّ تركضهُ أمُّ الفوارس بالديداء والرَبعة

والشنان ، جمع شنة : القربة البالية اليابسة ، قال الشاعر :

كأنك من جمال بني أقيش يُقعقعُ خلفَ رجله بشن

وقوله : «فعمجتم عيدانها» ، أي عَضَّها ، والعمجتم بفتح الجيم : حسب ٨٦٧/٢ الزبيب ، قال الأعشى :

• وملفوظها كلقيط العجم •

وقوله : «أمرها عوداً» ، أي أصلبها ، يقال : حبلى مُمرّاً ، إذا كان شديد القتل . وقوله : «لأعصبتكم عصب السلامة» ، فالعصب القطع ، والسلامة : شجرة من العِضاه . وقوله : «لا أخلق إلا فرابت» ، فالخلق : التقدير ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ مَضَعَهُ مُخْلَقَةً وَغَيْرَ مُخْلَقَةٍ ﴾ (١) ، أي مقدرة وغير مقدرة ، يعني ما يتم وما يكون سيقظاً ، قال الكُميت بصف قرية :

لم تجشيم الخالقات فرينتها ولم يفيض من نطاقها السرب

(١) سورة الحج ٥ ، وفي الأصول : « من نطفة » ، وهو خطأ .

وإنما وصف حواصل الطير ، يقول : ليست كهذه . وصخرة خلقاء ،
أى مَلَسَاء ، قال الشاعر :

وبَهُو هَوَاءٌ فَوْقَ مَوْرِكَانَهُ مِنْ الصَّخْرَةِ الْخَلْقَاءِ زُخْلُوقٌ مَلْعَبٌ
ويقال : فَرَيْتُ الْأَدِيمَ إِذَا أَصْلَحْتَهُ ، وَأَفْرَيْتُ ، بِالْأَلْفِ إِذَا أَنْتَ
أَفْسَدْتَهُ . وَالسُّمَّهَى : الْبَاطِلُ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو وَالشَّيْبَانِيُّ : وَأَصْلُهُ مَا تُسَمِّيهِ
الْعَامَّةُ مُخَاطَ الشَّيْطَانِ ، وَهُوَ لُعَابُ الشَّمْسِ عِنْدَ الظَّهْرِ ، قَالَ أَبُو النَّجْمِ
الْعَجَلِيُّ :

وَذَابَ لِلشَّمْسِ لُعَابٌ فَتَزَلُّ وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ فَاعْتَدَلُ

وَالزَّرَافَاتُ : الْجَمَاعَاتُ . تَمَّ التَّفْسِيرُ .

قال أبو جعفر : قال عمر : فحدثني محمد بن يحيى . عن عبد الله بن
أبي عبيدة ، قال : : فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق ، فخرج
حتى جلس على المنبر ، فقال :

يا أهلَ العراق ، وأهلَ الشَّقَاقِ والنَّفَاقِ ، ومِساوِي الأَخْلَاقِ ، إني سمعتُ
تَكْبِيرًا لَيْسَ بِالتَّكْبِيرِ الَّذِي يَرَادُ اللهُ بِهِ فِي التَّرْغِيبِ ، وَلَكِنَّهُ التَّكْبِيرُ الَّذِي
يُرَادُ بِهِ التَّرْهِيْبُ ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا عَجَابَةٌ تَحْتَهَا قَصْفٌ . يَا بَنِي اللَّكْبِيعَةِ
وَعَبِيدَ الْعَصَا ، وَأَبْنَاءَ الْأَيَّامِي ، أَلَا يَتَرَبَّعُ رَجُلٌ مِنْكُمْ عَلَى ظَلْمِهِ ،
وَيُحْسِنُ حَقْنَ دَمِهِ ، وَيَبْصُرُ مَوْضِعَ قَدَمِهِ ! فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لِأَوْشِكُ أَنْ أَوْقِعَ
بِكُمْ وَقْعَةً تَكُونُ نَكَالًا لِمَا قَبْلُهَا ، وَأَدْبَابًا لِمَا بَعْدَهَا .

قوله : «تحتها قصف» ، فهو شدة الريح . واللَّكْبَاءُ : الْوَرَاهَاءُ ، وَهِيَ
الْحَمَمَاءُ مِنَ الْإِمَاءِ . وَالظَّلْمُ : الضَّعْفُ وَالْوَهْنُ مِنْ شِدَّةِ السَّيْرِ . وَقَوْلُهُ :
«تَهْوَى هَوَى سَابِقِ الْغُطَّاطِ» ، فَالْغُطَّاطُ بضم الغين : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ .
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْغُطَّاطُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ ، وَأَنْشَدَ لِحَسَّانِ
ابْنِ ثَابِتٍ (١) :

يُغَشُونَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْغَطَاطِ الْمُقْبِلِ^(١)

بفتح الغين. قال : والغُطاط بضم الغين : اختلاط الضوء بالظلمة من آخر ٨٦٩/٢ الليل ، قال الراجز :

قَامَ إِلَى أَدْمَاءَ فِي الْغَطَاطِ يَمْشِي بِمِثْلِ قَائِمِ الْفُسْطَاطِ
تمّ التفسير .

قال : فقام إليه عُمَيْرُ بْنُ ضَابِي التَّمِيمِيِّ ثُمَّ الْحَنْظَلِيُّ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَنَا فِي هَذَا الْبَعْثِ ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ ، وَهَذَا ابْنِي ، وَهُوَ أَشَبُّ مِنِّي ؛ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : عُمَيْرُ بْنُ ضَابِي التَّمِيمِيِّ ، قَالَ : أَسَمِعْتَ كَلَامَنَا بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَلَسْتَ اللَّذِي غَزَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ؟ قَالَ : بَلَى ؛ قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ حَبَسَ أَبِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، قَالَ : أَوْلَيْسَ يَقُولُ :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُمَانَ تَبْكِي حَلَالَةً
إِنِّي لِأَحْسَبُ فِي قَتْلِكَ صِلَاحَ الْمِصْرِيِّينَ ، قُمْ إِلَيْهِ يَا حَرَسِي فَاضْرِبْ عُنُقَهُ ؛ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَنْهَبَ^(٢) مَالَهُ .

ويقال : إِنَّ عَنبَسَةَ بِنَ سَعِيدٍ قَالَ لِلْحَجَّاجِ : أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَذَا أَحَدُ قَتَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ؛ فَقَالَ الْحَجَّاجُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَفَلَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثْتَ بَدِيلًا ! ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا ٨٧٠/٢ فَنَادَى : أَلَا إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضَابِيٍّ أَتَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقَدْ كَانَ سَمِعَ النِّدَاءَ ، فَأَمَرْنَا بِقَتْلِهِ . أَلَا فَإِنَّ ذِيَّةَ اللَّهِ بِرَبِيَّةٍ مَنَّ بَاتَ اللَّيْلَةَ مِنْ جُنْدِ الْمَهْلَبِ . فَخَرَجَ النَّاسُ فَازْدَحَمُوا عَلَى الْجِسْرِ ، وَخَرَجَتِ الْعُرَفَاءُ إِلَى الْمَهْلَبِ وَهُوَ بِرَأْمَهْرْمُزٍ فَأَخَذُوا كِتَابَهُ بِمُؤَافَاةٍ ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ : قَدِمَ الْعِرَاقَ الْيَوْمَ رَجُلٌ ذَكَرَ : الْيَوْمَ قُوتِلَ الْعَدُوُّ .

قال ابن أبي عبيدة في حديثه : فعبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف من مدحج ؛ فقال المهلب : قدم العراق رجل ذكّر .

(١) الديوان : « السواد المقبل » . (٢) أنهب ماله : جعله نهباً لغيره .

قال عمر عن أبي الحسن ، قال : لَمَّا قرأ عليهم كتابَ عبد الملك قال القارئ : أمَّا بعد ، سلامٌ عليكم فإني أحمدُ إليكم الله . فقال له : اقطع ، يا عبيد العصا ، أيسلم عليكم أميرُ المؤمنين فلا يردُّ رادٌ منكم السَّلام ! هذا أدبُ ابنِ نِهية^(١) ، أما والله لأؤدبَنَّكم غير هذا الأدب ، ابدأ بالكتاب ، فلمَّا بلغ إلى قوله : « أمَّا بعد ، سلامٌ عليكم » ، لم يبقَ منهم أحدٌ إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السَّلام ورحمة الله .

قال عمر : حدَّثني عبدُ الملك بنُ شيبان بن عبد الملك بن مِسْمَع ، قال : حدَّثني عمرو بن سعيد ، قال : لَمَّا قدم الحجاجُ الكوفةَ خطبهم فقال : إنَّكم قد أخلتُم بعسكر المهلب ، فلا يُصبحنَّ بعد ثلاثة من جنده أحدٌ ، فأمَّا كان بعد ثلاثة أتى رجلٌ يستدني ، فقال : من بك ؟ قال : عمير بنُ ضابئ البرجُمي ، أمرته بالخروج إلى معسكره فضربني - وكذَّب عليه . ٨٧١/٢ فأرسل الحجاجُ إلى عمير بن ضابئ ، فأتني به شيخًا كبيرًا ، فقال^(٢) له : ما خلَّفَكَ عن معسكرك ؟ قال : أنا شيخٌ كبيرٌ لا حراك بي ، فأرسلتُ ابني بدريلا فهو أجلد مني جلدًا ، وأحدث مني سنًا ، فسلُّ عما أقول لك ، فإن كنتُ صادقًا وإلا فعاقبني . قال : فقال عَنبِسة بنُ سعيد : هذا الَّذي أتى عثمان قتيلا ؛ فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه ، فأمر به الحجاجُ فضربتُ عنقه . قال عمرو بنُ سعيد : فوالله إني لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعتُ رَجَزًا مُضْرِبًا ، فعدلتُ إليهم فقلت : ما الخبر ؟ فقالوا : قدَّم علينا رجلٌ من شرِّ أحياء العرب من هذا الحيِّ من ثمود ، أسقف الساقين^(٣) ، ممسُوح الجاعرتين^(٤) . أخفَّش العينين^(٥) ، فقدَّم سيد الحيِّ عمير بن ضابئ فضرَبَ عنقه .

(١) في زيادات الكامل ١ : ٣٨٢ : « زعم أبو العباس أن ابن نِهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج . » . (٢) ب ، ف : « قال . » . (٣) في اللسان : « السقف : أن تميل الرجل على وحشيها ووحشى الرجل : جانبها . » (٤) الجاعرتان : حرفا الوركين المشرفان على الفخذين ، وفي اللسان : « وفي كتاب عبد الملك إلى الحجاج : قاتك الله ، أسود الجاعرتين ! قيل : هما اللذان يتدنَّان الذنب . » (٥) الخفش : ضعف في البصر مع ضيق في العين .

ولما قتل الحجاج عمير بن ضابئ لقي إبراهيم بن عامر أحد بني غاضرة
من بني أسد عبد الله بن الزبير في السوق فسأله عن الخبر ، فقال ابن
الزبير :

أقول لإبراهيم لما لقيته
تجهز وأسرع والحق الجيش لا أرى
تخير فإما أن تزور ابن ضابئ
هما خطنا كره نجاؤك منهما^(٢)
فحال ولو كانت خراسان دونه
فكائن ترى من مكره العذومسمن^(٤)
أرى الأمر أمتى منصبا متشعبا^(١)
سوى الجيش إلا في المهالك مذهبا
عميرا وإما أن تزور المهلبا
ركوبك حوليا من الثلج أشهبا^(٣) ٨٧٢/٢
رأها مكان السوق أو هي أقربا
تحمم جنو السرج حتى تحنبا^(٥)

وكان قدوم الحجاج الكوفة - فيما قيل - في شهر رمضان من هذه السنة ،
فوجه الحكيم بن أيوب الثقفي على البصرة أميرا ، وأمره أن يشتد على
خالد بن عبد الله ، فلما بلغ خالد الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها
الحكيم ، فنزل الجملحاء وشيعة أهل البصرة ، فلم يبرح مسملا حتى
قسم فيهم ألف ألف .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الملك بن مروان ، حدثني بذلك أحمد ٨٧٣/٢
ابن ثابت عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . ووفد
بجى بن الحكيم في هذه السنة على عبد الملك بن مروان ، واستخلف على
عمله بالمدينة أبان بن عثمان ، وأمر عبد الملك بجى بن الحكيم أن يقر على عمله على
ما كان عليه بالمدينة . وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف . وعلى خراسان

(١) الكامل ١ : ٣٨٣ مع اختلاف في الرواية .

(٢) الكامل : « هما خطنا خسف » .

(٣) الحول : المهر أتى عليه الحول . وقوله : « من الثلج أشهبا » ، يريد أن لونه أشد شبة من

(٥) ١ : « يحمم » .

(٤) ١ : « وكائن » .

الثلج

أمية بن عبد الله . وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارة ابن أوفى .

وفي هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة ، فلم يزل عليها حتى رجع إليها بعد وقعة رستقباد .

[ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة]

وفي هذه السنة ثار الناس بالحجاج بالبصرة .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

ذكر هشام . عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العبسي ، قال : خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها ، وقتل ابن ضابئ من فوره ذلك حتى قدم البصرة ، فقام فيها بخطبة مثل الذي قام بها في أهل الكوفة ، وتوعدهم مثل وعيده إياهم ، فأتى برجل من بني يشكر قبيل : هذا عاصي ، فقال : إن بني فتقا ، وقد رأه يشر فعذرتني ، وهذا عطائي ٨٧٤/٣ مَرْدُودُ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، فلم يقبل منه وقتله ، ففرغ لذلك أهل البصرة ، فخرجوا حتى تداركوا^(١) على العارض بقنطرة رامهرمز ، فقال المهلب : جاء الناس رجلاً ذكراً .

وخرج الحجاج حتى نزل رستقباد في أول شعبان سنة خمس وسبعين فثار الناس بالحجاج ، عليهم عبد الله بن الجارود ، فقتل عبد الله بن الجارود ، وبعث ثمانية عشر رأساً^(٢) فنصبت برامهرمز للناس ، فاشتدت ظهور المسلمين ، وساء ذلك الخوارج ، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف ، فانصرف الحجاج إلى البصرة .

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما ندب الناس إلى

(١) س : « تداركوا » ، والمداكاة : التزام على المكان ، وفي ا : « تداركوا » ،

وفي ط : « تداركوا » تصحيف . (٢) ب ، ف : « وبعث الحجاج ثمانية » .

الصحاح بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار^(١) الحجاج حتى نزل رستقباد قريباً من دستوى في آخر شعبان^(١) ومعه وجوه أهل البصرة ، وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً ، فقام في الناس ، فقال : إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق ، ولست أجزئها . فقام إليه عيد الله بن الجارود العبدي فقال : إنها ليست بزيادة فاسق منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتها لنا . فكذبته وتوعده ، فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه ، وبعث برأسه ورووس عشرة من أصحابه إلى المهلب ، وانصرف إلى البصرة ، وكتب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن ٨٧٥/٢ ابن مخنف : أما بعد ، إذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج ، والسلام .

[نبي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز]

وفي هذه السنة نبي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز .
* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العبيسي ، قال : ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة خمس وسبعين ، فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم ، وخرج القوم كأنهم على حامية ، حتى نزلوا سابور بأرض منها يقال لها كازرون ، وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان ، فخندق المهلب عليه ، فذكر أهل البصرة أن المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف : إن رأيت أن تخندق عليك فافعل . وإن أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا : إنما نخدقنا سيوفنا . وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليبيئته ، فوجدوه قد أخذ حذره ، فما لؤوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق ،

(١) ب ، ف : « شخصوا سار » .

فقاتلوه ، فانهزم عنه أصحابه ، فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل ، وقتلوا حوله^(١) ، فقال شاعرهم :

لمن العسكرُ المكدلُ بالصَّرِّ عى فهمم بين ميتٍ وقَتِيلِ
فترأهم تَسْفِي الرياحُ عليهم حاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الذُّيُولِ

وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أن كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف ، أن ناهضاً الخوارج حين أتيا كما كتابي . فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة خمس وسبعين واقتتلوا قتالاً شديداً لم يكن بينهم فيما مضى قتالٌ كان أشدَّ منه ، وذلك بعد الظهر ، فالت الخوارجُ بحدتها على المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى عسكره ، فسرح إلى عبد الرحمن رجالاتاً من صلحاء الناس ، فأتوه ، فقالوا : إن المهلب يقول لك : إنما عدونا واحد . وقد ترى ما قد لقي المسلمون ، فأمدد إخوانك يرحمك الله . فأخذ يمدّه بالخيال بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فلما كان بعد العصر ورأت الخوارجُ ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خف أصحابه ، فجعلوا خمس كتائب أو ستاً تجاه عسكر المهلب ، وانصرفوا بحدتهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مخنف . فلما رأهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القراء ، عليهم أبو الأحوص صاحب عبد الله بن مسعود ، وخرزيمه بن نصر أبو نصر ابن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن علي وصلب معه بالكوفة ، ونزل معه من خاصة قومه أحدٌ وسبعون رجلاً ، وحملت عليهم الخوارجُ فقاتلتهم قتالاً شديداً . ثم إن الناس انكشفوا عنه . فبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب ، فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه . فلم يتبعه إلا ناس^(٢) قليل ، فجاء حتى إذا دنا من أبيه حالت الخوارجُ بينه وبين أبيه ، فقاتل حتى ارتثته الخوارجُ ، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تلٍ مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ، ثم قتل في تلك العصابة . فلما أصبحوا جاء المهلب حتى

(١) بعدها في ب ، ف : « كلهم » . (٢) ب ، ف : « أناس » .

أناه ، فدقته وولتى عليه ، وكتب بمُصابه إلى الحجاج ، فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فنعى عبد الرحمن بمنى ، وذم أهل الكوفة ، وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء ، وأمره إذا ضمتها الحروب أن يسمع للمهلب ويطيع ، فسأه ذلك ، فلم يجد بُدًا من طاعة الحجاج ولم يتقدر على مراجعته ، فجاء حتى أقام في ذلك العسكر ، وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب ، وهو في ذلك يقضى أمره ، ولا يكاد يستشير المهلب في شيء . فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مصلقة بن هبيرة ، فأغرامهم بعتاب .

قال أبو مخنف عن يوسف بن يزيد : إن عتابا أتى المهلب بسأله أن يرزق أصحابه ، فأجلسه المهلب معه على مجلسه ، قال : فسأله أن يرزق أصحابه سؤالاً فيه غلظة وتجهّم ، قال : فقال له المهلب : وإنك لها هنا ٨٧٨/٢ يابن اللخناء! فبنو تميم يتزعمون أنه ردّ عليه ، وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون أنه قال : والله إنها لمعمّة مخلّوة ، ولو ددت أن الله فرق بيني وبينك . قال : فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه ، فوثب عليه ابنه المغيرة ، فقبض على القضيب وقال : أصلح الله الأمير! شيخ من أشياخ العرب ، وشريف من أشرافهم ، إن سمعت منه بعض ما تكرمه فاحتمله له ، فإنه لذلك منك أهل ، ففعل . وقام عتاب فرجع من عنده ، واستقبله بسطام بن مصلقة يشتمه ، ويتقع فيه .

فلما رأى ذلك كتب إلى الحجاج يشكو إليه المهلب ويخبره أنه قد أغرى به سفهاء أهل مصر ، ويسأله أن يضمه إليه ، فوافق^(١) ذلك من الحجاج حاجة إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب ، فبعث إليه أن اقدم واترك أمر ذلك الجيش إلى المهلب ، فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب . وقال حميد بن مسلم يرثي عبد الرحمن بن مخنف :

إن يقتلوك أبا حكيم غدوةً فلقد تشدُّ وتقتل الأبطالاً

(١) : « ووافق » .

سَمَحَ الْخَلِيقَةَ مَا جِدًّا مِفْضَالًا
مَنْ كَانَ بِحَمِلٍ عَنْهُمْ الْأَثْقَالَ
يَوْمًا إِذَا كَانَ الْقِتَالُ نِزَالًا !
حَتَّى تَدْرَعَ مِنْ دَمٍ سِرْبَالًا
بِالْمَشْرِفِيَّةِ فِي الْأَكْفِ نِصَالًا
حِينَ اسْتَبَانُوا فِي السَّمَاءِ هِلَالًا
فَهُنَاكَ نَالَتْهُ الرَّمَاحُ فَمَالًا

أَوْ يُشْكِلُونَا سِيدًا لِمُسُودٍ
فَلَمِثْلٍ قَتْلِكَ هَدُّ قَوْمِكَ كَلِّهِمْ
مَنْ كَانَ يَكْشِفُ غُرْمَهُمْ وَقِتَالَهُمْ
أَقْسَمْتُ مَا نَيْلَتْ مَقَاتِلُ نَفْسِهِ
٨٧٩/٢ وَتَجَزَّ الْأَبْطَالُ تَحْتَ لَوَائِهِ
يَوْمًا طَوِيلًا ثُمَّ آخَرَ لِيْلِهِمْ
وَتَحَشَّيْتُ عَنْهُ الصُّفُوفُ وَخَيْلُهُ
وَقَالَ سُرَاقَةُ بْنُ مِرْدَاسِ الْبَارِقِيِّ :

وَكُونَا كَوَاهِي شَنَّةٍ مَعَ رَاكِبٍ (١)
فَنُوحًا لِعَيْشٍ بَعْدَ ذَلِكَ خَائِبٍ
عَوَائِقُ مَوْتٍ أَوْ قِرَاعُ الْكَتَائِبِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا لِبَعْضِ الْمَذَاهِبِ
وَعَجَّلَ فِي الشُّبَّانِ شَيْبَ الذَّوَائِبِ
وَخَرَّ عَلَى خَدِّ كَرِيمٍ بِحَاحِبِ
مِنَ الْأَزْدِ تَمَشَّى بِالسِّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
إِلَى أَهْلِهِ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِأَيْبِ
وَفُرْسَانَ قَوْمِي قُضْرَةَ وَأَقَارِبِي (٢)

أَعْيَنِي جُودًا بِالذُّمُوعِ السُّوَاكِبِ
عَلَى الْأَزْدِ لَمَّا أَنْ أُصِيبَ سَرَاتُهُمْ
نُرَجِّي الْخُلُودَ بَعْدَهُمْ وَتَعُوقُنَا
وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ قَتْلِ أَبِي مِخْنَفٍ
أَمَارَ دُمُوعَ الشَّيْبِ مِنْ أَهْلِ مِصْرِهِ
وَقَاتَلَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
وَضَارَبَ عَنْهُ الْمَارِقِينَ عَصَابَةً
فَلَا وَلَدَتْ أُنْثَى وَلَا آبَ غَائِبٍ
٨٨٠/٢ فَيَاعِينُ بَكِّي مِخْنَفًا وَأَبْنَ مِخْنَفٍ

وَقَالَ سُرَاقَةُ أَيْضًا يَتَرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ :

وَأَزْدَ عُمَانَ رَهْنِ رَمْسٍ بِكَازِرٍ (٣)
بِأَبْيَضِ صَافٍ كَالْعَقِيْقَةِ بِاتِرٍ
كَرَامُ الْمَسَاعِي مِنْ كِرَامِ الْمَعَاشِرِ

ثَوَى سَيْدُ الْأَزْدِينَ أَزْدَ شُنُوءَةٍ
وَضَارَبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
وَصُرِّعَ حَوْلَ التَّلِّ تَحْتَ لَوَائِهِ

(١) ديوانه ٨٥ ، ٨٦ (٢) قصرة ، أي الدواني في النسب (٣) ديوانه ٤٣

قضى نجبته يوم اللقاء ابن مخنف وأدبر عنه كل الوث دائر
أمد فلم يمدد فراح مشمراً إلى الله لم يذهب بأثواب غادر
وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحواً من سنة .

وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس ،
وكان يرى رأى الصفرية . وقيل : إنه أول من خرج من الصفرية .

•••

ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج

وما كان منه في هذه السنة

ذكر أن صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس حج سنة خمس وسبعين
ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباهم .

٨٨١/٢

وحج في هذه السنة عبد الملك بن مروان ، فهم شبيب بالفتك به ،
وبلغه ذرء من خبرهم ، فكتب إلى الحججاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم ،
وكان صالح يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فليقتل أصحابه ليعيدهم ،
فنبت بصالح الكوفة لئلا طلبه الحججاج ، فتنكبها .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح .

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح

وعن سبب خروجه

وكان سببُ خروجه - فيما ذكره هشام، عن أبي مخنف، عن عبد الله ابن علقمة، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي - أن صالح بن مسرح التميمي كان رجلاً ناسكاً مخبئاً مصفراً الوجه، صاحب عبادة، وأنه كان بداراً وأرض المتوصل والجزيرة له أصحاب يقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم، فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا^(١) أن قصص صالح بن مسرح عنده، وكان ممن يرى رأيهم، فسألوه أن يبعث بالكتاب إليهم، ففعل .

٨٨٢/١

وكان قصصه : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾^(٢) . اللهم إنا لا نعدل بك ، ولا نحفد إلا إليك ، ولا نعبد إلا إياك ، لك الخلق والأمر ، ومنك النفع والضرة ، وإليك المصير . ونشهد أن محمداً عبدك الذي اصطفيته ، ورسولك الذي اخترته وارتضيته لتبليغ رسالاتك ، ونصيحة عبادك ، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة ، ونصح للأمة ، ودعا إلى الحق ، وقام بالقيسط ، ونصر الدين ، وجاهد المشركين ، حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم . أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت، وفراق الفاسقين ، وحب المؤمنين^(٣) ، فإن الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما

(١) ب ، ف : « يحدث أصحابه » . (٢) سورة الأنعام ١ .

(٣) ب ، ف : « وحب المؤمنين وفراق الفاسقين » .

عند الله ، وتُفرَّغ بدنّه لطاعة الله ، وإن كثرة ذكر الموت يُخيف العبد من ربه حتى يتجأر إليه ، ويستكين له ، وإن فراق الفاسقين حق على المؤمنين ، قال الله في كتابه : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وإن حُبّ المؤمنين للسبب (٢) الذي تُنال به كرامة الله ورحمته وجنته ، جعلنا الله وإيّاكم من الصادقين الصابرين . ألا إن من نعمة (٣) الله على المؤمنين أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، فعلمهم الكتاب والحكمة وزكّاهم وطهرهم ٨٨٣/٢ ووفّقهم في دينهم ، وكان بالمؤمنين رعوفاً رحيمًا ، حتى قبضه الله ، صلوات الله عليه ، ثم ولى الأمر من بعده التقيّ الصديق على الرضا من المسلمين ، فاقتدى بهديه ، واستن بسنته ، حتى لحق بالله - رحمه الله - واستخلف عمر ، فولاه الله أمر هذه الرعيّة ، فعمّل بكتاب الله ، وأحيا سنة رسول الله ، ولم يُحنق في الحق على جبرته (٤) ، ولم يخف في الله لومة لائم ، حتى لحق به رحمة الله عليه ، وولى المسلمين من بعده عثمان ، فاستأثر بالفسيء ، وعطل الحدود ، وجار في الحكم ، واستدّل المؤمن ، وعزز المجرم ، فسار إليه المسلمون فقتلوه ، فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين (٥) ؛ وولى أمر الناس من بعده على بن أبي طالب ، فلم ينشب أن حكّم في أمر الله الرجال ، وشكّ في أهل الضلال ، وركن وأدّهن ، فنحن من على وأشياعه بُراء ، فتيسروا رحمكم الله بلجهاد هذه الأحزاب المتحرّبة ، وأئمة الضلال الظلمة ولليخروج من دار الفناء إلى دار البقاء ، واللّهاق بإخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة ، وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله في العاقبة ، ولا تجزعوا من القتل في الله ، فإنّ القتل أيسر من الموت ، والموت نازل بكم غير ما ترجّم الظنون ، فمفرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم ، وحلائدكم ٨٨٤/٢ ودنياكم ، وإن اشتدّ لذلك كرهكم وجزءكم . ألا فبيعوا الله أنفسكم

(١) سورة التوبة ٨٤ .

(٢) ب ، ف : « السبب » .

(٣) ب ، ف : « نعم » .

(٤) س : « جبرته » ، ب ، ف : « حربه » .

(٥) ف : « وصالحوا المؤمنين » .

طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين ، وتعانقوا الحُور العِين ، جعلنا الله وإيّاكم من الشاكرين الذاكرين ، الذين يسهّدون بالحقّ وبه يعدّون .

قال أبو مخنف: فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة ، قال : بينا أصحابُ صالح يختلفون إليه إذ قال لهم ذاتَ يوم : ما أدري ما تنتظرون ! حتى متى أنتم مقيمون ! هذا الجورُ قد فشا ، وهذا العدلُ قد عفا ، ولا تزداد هذه الولايةُ على الناس إلا غلوا وعسّوا ، وتباعدوا عن الحقّ ، وبجرأةٍ على الربّ ؛ فاستعدّوا وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحقّ مثل الذي تريدون ، فيأتوكم فنلتق وننظر فيما نحن صانعون ، وفي أيّ وقت إن خرجنا نحن خارجون .

قال : فتراسل أصحابُ صالح ، وتلاقوا في ذلك ، فبيّسناهم في ذلك إذ قدّم عليهم المحلّل بن وائل اليشكريّ بكتاب من شبيب إلى صالح بن مسرح :

أما بعد ، فقد علمتُ أنّك كنت أردتَ الشخصوص^(١) ، وقد كنت دعوتني إلى ذلك فاستجبتُ لك ، فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخُ المسلمين ، ولن نعدّل بك منّا أحداً ، وإن أردت تأخيرَ ذلك اليوم أعلمتني ؛ فإنّ الآجال غادية ورائحة ، ولا آمن أن تخترمني المنيةُ ولما أجاهد الظالمين . ٨٨٥/٢
فيا له غيبنا ، ويا له فضلاً متروكاً! جعَلنا الله وإيّاك ممن يريد بعَمَلِهِ الله^(٢) ورضوانه ، والنظر إلى وجهه ، ومرافقة الصالحين في دار السلام . والسلام عليك .

قال : فلما قدّم علي صالح المحلّل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب كتب إليه صالح :

أما بعد ، فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عني حتى أهمني ذلك ، ثم إن امرأ من المسلمين نبأني بنباٍ مُخرجك ومقدّمك ، فنحمد الله على قضاء ربنا . وقد قدّم عليّ رسولك بكتابك . فكل ما فيه فد فهمته ، ونحن

(١) ب ، ف : « الخروج والشخص » .

(٢) ا : « بفعله » . وبعدها في ب ، ف : « والدار الآخرة » .

في جهاز واستعداد للخروج ، ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارك ، فأقبل إلينا ، ثم أخرج بنا متى ما أحببت ، فإنك ممن لا يُستغنى عن رأيه ، ولا تُقضى دونه الأمور . والسلام عليك .

فلما قدم على شبيب كتابه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه ؛ منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم ، والمحلل بن وائل اليشكري ، والصقر ابن حاتم من بني تميم بن شيبان ، ويزبراهيم بن حجر أبو الصقير من بني مُحَلِّم ، والفضل بن عامر من بني ذُهَل بن شيبان ، ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بداراً ، فلما لقيه قال : أخرج بنا رحمتك الله ! فوالله ما تزداد السنة إلا دُروساً ، ولا يزداد المجرمون إلا طُغياناً . فبث صالح رسله في أصحابه ، وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وسبعين . فاجتمع بعضهم إلى بعض ، وتهيئوا ، وتيسروا للخروج في تلك الليلة ، واجتمعوا جميعاً عنده في تلك الليلة لِمِيعاده .

٨٨٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط الأزدي ، قال : والله إنني لَمَعَ شبيب بالمدائن إذ حدثنا عن مخزبهم ، قال : لما هممنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج ، فكان رأبي استعراض الناس لِمَا رأيتُ من المنكر والعدوان والفساد في الأرض ، فقلتُ إليه فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف ترى في السيرة في هؤلاء الظلمة؟ أنقتلهم قبل الدعاء ، أم ندعوهم قبل القتال ؟ وسأخبرك برأبي فيهم قبل أن تُخبرني فيهم برأبيك ؛ أما أنا فأرى أن نقتل كل من لا يرى رأينا قريباً كان أو بعيداً ، فإننا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله ، واستحرد عليهم الشيطان . فقال : لا بل ندعوهم ، فلعمري لا يُجيبك إلا من يرى رأيتك وليقاتلنك من يزري عليك ، والدعاءُ أقطع لحجتهم ، وأبلغ في الحجة عليهم . قال : فقلت له : فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ؟ ما تقول في دِمائهم وأموالهم ؟ فقال : إن قتلنا وغنمنا فلنا ، وإن تجاوزنا وعفونا فرسع علينا ولنا . قال : فأحسن القول وأصاب : رحمة الله عليه وعلينا .

قال أبو مخنف : فحدثني رجلٌ من بني مُحَلِّم أن صالح بن مسرح

قال لأصحابه ليلة خرج : اتقوا الله عباد الله ، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلا أن يكونوا قوماً يريدونكم ، وينصّبون لكم ، فإنكم إنما خرجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه ، وعصيت في الأرض ، فسفكت الدماء بغير حيلها ، وأخذت الأموال بغير حقها ، فلا تعيبوا على قوم أعمالا ثم تعملوا بها ، فإن كل ما أنتم عاملون أنتم عنه مسئولون ، وإن عظمتمكم رجالة ، وهذه دواب محمد بن مروان في هذا الرستاق ، فابدعوا بها ، فشدوا عليها ، فاحملوا أراجيلكم^(١) ، وتقووا بها على عدوكم .

فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدواب فحتملوا رجالتهم عليها ، وصارت رجالتها فرسانا ، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سينجار ، وخرج صالح ليلة خرج في مائة وعشرين - وقيل في مائة وعشرة - قال : وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة ، فاستخف بأمرهم ، وبعث إليهم عدى بن عدى بن عميرة من بني الحارث بن معاوية بن ثور في خمسمائة ، فقال له : أصلح الله الأمير ! أتبعني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة ! قد خرج معي رجال من ربيعة قد سُموا لي ، كانوا يعازوننا ، الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة رجل . قال له : فإني أزيدك خمسمائة أخرى ، فسر إليهم في ألف ، فسار من حران في ألف رجل ، فكان أول جيش سار إلى صالح وسار إليه عدى ، وكأنما يساق إلى الموت ، وكان عدى رجلا يتنسك ، فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالناس وسرح إلى صالح بن مسرح رجلا دسه إليه من بني خالد من بني الوريثة ؛ يقال له : زياد بن عبد الله ، فقال : إن عديا بعشيتي إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتي بلدا آخر فتقاتل أهله ؛ فإن عديا للقاتك كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، فقل له : إن كنت ترى رأينا^(٢) فأرنا من ذلك ما نعرف^(٣) ، ثم نحن مُدبحون عنك من هذا البلد إلى غيره ، وإن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء^(٤) رأينا رأينا ، فإن شئنا

(١) ط : « أرجلكم » ، وانظر ابن الأثير . (٢) بعدها في ب ، ف : « فانت آمن » .

(٣) ب ، ف : « ما نعرفه » . (٤) ب ، ف : « المدوان » .

بدأنا بك، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك . فانصرف إليه الرسول فأبلغه ما أرسل به ، فقال له : ارجع إليه فقل له : إني والله ما أنا على رأيك ، ولكني أكره قتالك وقاتل غيرك ، فقاتل غيري ، فقال صالح لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ، ثم تركه ومضى بأصحابه حتى أتى عدى بن عدى بن عميرة في سوق دوغان وهو قائم يصلي الضحى ، فلم يشعر إلا والحيل طالعة عليهم ، فلما بصروا بها نادوا ، وجعل صالح شيبيا في كتيبة في ميمنة أصحابه ، وبعث سويد بن سليم الهندي من بني شيبان في كتيبة في ميسرة أصحابه ، ووقف هو في كتيبة في القلب ، فلما دنا منهم رأهم على غير تعبئة ، وبعضهم يجول في بعض ، فأمر شيبيا فحمل عليهم ، ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يُقاتلوا ، وأتى عدى بن عدى بدابته وهو يصلي فركبها ومضى على وجهه ، وجاء صالح ابن مسرح حتى نزل عسكره وحوى ما فيه ، وذهب فل عدى وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان ، فغضب ، ثم دعا خالد بن جزء السلمى فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعا الحارث بن جعنونة من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعاهما ، فقال : أخرجا إلى هذه الخارجة القليلة الحبيثة ، وعجلا الخروج ، وأغذا السير ، فأيتكما سبق فهو الأمير على صاحبه ، فخرجا من عنده فأغذا السير ، وجعلا يسألان عن صالح بن مسرح فيقال لهما : إنه توجه نحو آمد ، فأتبعاه حتى انتهيا إليه ، وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلا ، فخذقا وانتهيا إليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حدته ، فوجه صالح شيبيا إلى الحارث بن جعنونة العامري في شطر أصحابه ، وتوجه هو نحو خالد بن جزء السلمى .

قال أبو مخنف : فحدثني المسحلمى ، قال : انتهوا إلينا في أول وقت العصر ، فصلت بنا صالح العصر ، ثم عبانا لهم فاقتلنا كأشد قتال اقتله قوم قط ، وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهمهم ، وعلى العشرين فكذلك ، وجعلت خيلهم لا تثبت لحيلنا .

فلما رأى أميراهم ذلك ترجلاً وأمرأ جُلّ من معهما فترجتل : فعند ذلك جعلنا لا نقتدر منهم على الذي نريد ، إذا حمَلنا عليهم استقبلتنا رجالاتهم بالرماح ، ونضحتنا رمايتهم بالنبل ، وخيلهم تطاردنا في خلال ذلك . فقاتلناهم إلى المساء ^(١) حتى حال الليلُ بيننا وبينهم ، وقد أفسرُوا فينا الجراحة ، وأفشيناها فيهم ، وقد قتلوا منا نحواً من ثلاثين رجلاً ، وقتلنا منهم أكثر من سبعين ، ووالله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا ، فوقفنا مُقابِلهم ما يتقدمون علينا وما نقدمُ عليهم ، فلما أمسوا رجعوا إلى عسكرهم ، ورجعنا إلى عسكرنا فصلينا وتروحنا وأكلنا من الكيسر .

ثم إن صالحاً دعا شيبياً وروءس أصحابه فقال : يا أخلاقي ، ماذا ترون ؟ فقال شبيب : أرى أننا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم ، وقد اعتصموا بخندقهم . فلا أرى أن نقيم عليهم ، فقال صالح : وأنا أرى ذلك ، فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين ، فمضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ، ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدسكرة .

فلما بلغ ذلك الحجاج سرح إليهم الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهمداني في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ، ألف من المقاتلة الأولى ، وألفين من الفرص الذي فرض لهم الحجاج . فسار حتى إذا دنا من الدسكرة خرج صالح بن مسرح نحو جملولاء وخانقين ، وأتبعه الحارث ابن عميرة حتى انتهى إلى قرية يقال لها المدبج من أرض الموصل على تخوم ما بينها وبين أرض جُوحى ، وصالح يومئذ في تسعين رجلاً ، فبعي الحارث ابن عميرة يومئذ أصحابه ، وجعل على ميمته أبا الرواغ ^(٢) الشاكري ، وعلى ميسرته الزبير بن الأرواح التميمي ، ثم شدّ عليهم - وذلك بعد العصر - وقد جعل أصحابه ثلاثة كراديس ؛ فهو في كردوس ، وشبيب في كردوس في ميمته . وسويد بن سليم في كردوس في الميسرة ، في كل كردوس منهم ثلاثون رجلاً .

فلما شدّ عليهم الحارث بن عميرة في جماعة أصحابه انكشف سويد

(٢) ط : « الر داع » تحريف .

(١) ب ، ف : « المسى » .

ابن سليم ، وثبت صالح بن مسرح فقتل ، وضارب شبيب حتى صرع ، فوقع في رجالة ، فشدّ عليهم فانكشفوا ، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح ابن مسرح فأصابه قتيلا ، فنادى : إلى يا معشر المسلمين ؛ فلاذوا به ، فقال لأصحابه : ليتعجل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه ، وليطاعن عدوه إذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ، ونرى رأينا ؛ ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب ، وأحاط بهم الحارث بن عميرة مُنْسِيًا ، وقال لأصحابه : احرقوا الباب ، فإذا صار جَمْرًا فدعوه فإنهم لا يتقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبّحهم فنقتلهم . ففعلوا ذلك بالباب ، ثم انصرفوا إلى عسكرهم ، فأشرف شبيب عليهم وطائفة من أصحابه ، فقال بعض أولئك الفَرَض : يا بني الزواني ، ألم يُخزركم الله ! فقالوا : يا فسّاق ، نعم تقاتلوننا لقتالنا إياكم إذ أعماكم الله عن الحق الذي نحن عليه ، فما عذركم عند الله في الفَرَضِ على أمهاتنا ! فقال لهم حلّماؤهم ^(١) : إنّما هذا من قول شباب فينا سفهاء ، والله ما يُعجبنا قولهم ولا نستحلّه . وقال شبيب لأصحابه : يا هؤلاء ، ما تنتظرون ! فوالله لئن صبّحكم هؤلاء غدوةً إنّه لتهلاككم ، فقالوا له : مرنا بأمرِك ، فقال لهم : إن الليل أختي للويل ، بايعوني و من شتم ^(٢) منكم ، ثم اخرجوا ^(٢) بنا حتى نشدّ عليهم في عسكرهم ، فإنّهم لذلك منكم آمنون ، وأنا أرجو أن ينصرّكم الله ^{١٩٢/٢} عليهم . قالوا : فابسط يدك فلنبايعك ، فبايعوه ، ثم جاءوا ليخرجوا ، وقد صار بابهم جمرًا ، فأتوا باللُّبُود فلبّوها بالماء ، ثم ألقوها على الجمر ، ثم قطعوا عليها ، فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر إلا وشبيب وأصحابه يضربونهم ^(٣) بالسيوف في جوف عسكرهم ^(٤) ، فضارب الحارث حتى صرع ، واحتملكه أصحابه وانهمزوا ، وخلصوا لهم العسكر وما فيه ، ومضوا حتى نزلوا المدائن ، فكان ذلك الجيش أول جيش هزّمه شبيب ، وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقية من جمادى الأولى من سنته .

(١) ب ، ف : « علمائهم » . (٢-٢) ب ، ف : « من أصحابكم واخرجوا » .

(٣) ب ، ف : « يضاربونهم » . (٤) ب ، ف : « العسكر » .

[خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجّاج]

وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفةَ ومعه زوجته غزّالة .

• ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجّاج بها

والسبب الذي دعا شبيباً إلى ذلك :

وكان السبب في ذلك -- فيما ذكر هشام^١، عن أبي مخنف، عن عبد الله

ابن علقمة، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي -- أن شبيباً لما قُتِل

صالح بن مسرح بالمديّج وبايعه أصحابُ صالح، ارتفع إلى أرض الموصل

فلقِيَ سلامة بن سيّار بن المضاء التّيميّ تيمّ شيبان، فدعاه إلى الخروج ٨٩٣/١

معه، وكان يتعرفه قبل ذلك إذ كانا^(١) في الديوان والمغنازي، فاشترط عليه

سلامة أن ينتخب ثلاثين فارساً، ثم لا يغيب عنه إلا ثلاث ليالٍ عدداً .

ففعل، فانتخب ثلاثين فارساً، فانطلق بهم نحو عنزة، وإنما أرادهم

ليشفي نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة، وذلك أن فضالة كان خرج قبل

ذلك في ثمانية عشر نفساً حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجبال،

عليه أثلة عظيمة، وعليه عنزة، فلما رآته عنزة قال بعضهم لبعض :

نقتلهم ثم نغدو بهم إلى الأمير فنعطى ونحبي، فأجمعوا على ذلك، فقالت

بنو نصر أخواله : لعمركم الله لا نساعدكم على قتل ولدنا . فنهضت

عنزة إليهم فقاتلوهم فقتلوهم، وأتوا برؤوسهم عبد الملك بن مروان،

فلذلك أنزلهم بانقياً، وفرض لهم، ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا

قليلة، فقال سلامة بن سيّار، أخو فضالة يتذكر قتل أخيه وخيذلان

أخواله إياه :

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الْفَتَى يُسْلِمُونَهُ لِيُوقِعَ السِّلَاحَ قَبْلَ مَا فَعَلْتَ نَصْرُ

قال : وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح

وشبيب .

(١) كذا في ١، وفي ط : • كان • .

فلما بايع سلامة شيبياً اشترط عليه هذا الشرط ، فخرج في ثلاثين فارساً حتى انتهى إلى عترة ، فجعل يقتل المحلّة منهم بعد المحلّة حتى انتهى ٨٩٤/٢ إلى فريق منهم فيهم نخالته ، وقد أكبّت على ابن لها وهو غلام حين احتلم ، فقالت وأخرجت تديتها إليه : أنشدك برحمتك هذا يا سلامة ! فقال : لا والله ، ما رأيت فضالة مذ أناخ بعُمر الشجرة - يعني أخاه - لتقومين عنه ، أو لأجمن عن حافتك بالرمح ، فقامت عن ابنها عند ذلك فقته .

قال أبو مخنف : فحدثني المفضل بن بكر من بني تميم بن شيبان أن شيبياً أقبل في أصحابه نحو راذان ، فلما سمعت به طائفة من بني تميم ابن شيبان خرجوا هرباً منه ، ومعهم ناس من غيرهم قليل ، فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد إلى جنب حولايا ، وهم نحو من ثلاثة آلاف ، وشيب في نحو من سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً ، فنزل بهم ؛ فهابوه وتحصنوا منه . ثم إن شيبياً سرى في اثني عشر فارساً من أصحابه إلى أمه ، وكانت في سفح سائداً ما نازلة في مظلة من مظال الأعراب : فقال : لا تين بأمتي فلا جعلتها في عسكري فلا تفارقي أبداً حتى أموت أو تموت . وخرج رجلان من بني تميم بن شيبان تخوفاً على أنفسهما فنزلا من الدير ، فليحقا بجماعة من قومهما وهم نزلوا بالجبال منهم على مسيرة ساعة من النهار ، وخرج شيب ، في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر ، يريد أمه بالسفح ، فإذا ٨٩٥/٢ هو بجماعة من بني تميم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين ، لا يرون أن شيبياً يمر بهم لمكانهم الذي هم به ، ولا يشعر بهم ، فحمل عليهم في فرسانه تلك ، فقتل منهم ثلاثين شيخاً ؛ فيهم حوثر بن أسد ووبرة بن عاصم اللذان كانا نزلوا من الدير ، فليحقا بالجبال ، ومضى شيب إلى أمه فحملتها من السفح ، فأقبل بها ، وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل على أصحاب شيب ، وقد استخلف شيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ، ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان ، فقال لهم : يا قوم ، القرآن بيننا وبينكم ، ألم تسمعوا قول الله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ ،

عمرو بن شَهْران، وعلى ميسرته عدى بن عميرة الشَّيباني، وأصححَ لهم شبيب، ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه، وقد أكن له أخاه مصادماً معه خمسون في هَزْمٍ (١) من الأرض.

فلما رأوه جَمَعَ أصحابه ثم مضى في سَمْحِ الجبل مُشْرِقاً فقالوا: هرب عدو الله فاتبعوه، فقال لهم عدى بن عميرة الشَّيباني: أيها الناس، لا تعجلوا عليهم حتى نَضْرِبَ في الأرض ونسير بها. فإن يكونوا قد أكنوا لنا كميناً كنا قد حذرنا، وإلا فإن طلبهم لن يفوتنا. فلم يسمع منه الناس، وأسرعوا في آثارهم. فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا الكمينَ عَطَفَ عليهم.

ولما رأى الكمينُ أن قد جاوزوهم خرَّجوا إليهم. فحمل عليهم شبيب من أمامهم، وصاح بهم الكمين من ورائهم، فلم يقاتلهم أحد، وكانت الهزيمة، فثبت ابنُ أبي العالية في نحو من مائتي رجل، فقاتلهم قتالاً شديداً حسناً، حتى ظنَّ أنه انتصف من شبيب وأصحابه. فقال سُويد بن سليم لأصحابه: أمينكم أحد يعرف أمير القوم ابنَ أبي العالية؟ فوالله لئن عرَفْتُهُ لأجهدن نفسي في قتله، فقال شبيب: أنا من أعرف الناس به، أما ترى صاحب الفرس الأغرَ الَّذِي دونه المُرَامِيَةُ! فإنه ذلك. فإن كنت تريدُه ٨٩٨/٢ فأمهله قليلاً. ثم قال: يا قعب، اخرج في عشرين فأتهم من ورائهم، فخرج قعب في عشرين فارتفع عليهم.

فلما رأوه يريدُ أن يأتيهم من ورائهم جعلوا يتنقضون ويتسللون، وحمل سُويد بنُ سليم على سُفيان بن أبي العالية فطاعنه. فلم تصنع رُمحاهما شيئاً، ثم اضطربا بسيفيهما ثم اعتنق كل منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض يعتركان؛ ثم تحاجزوا وحمل عليهم شبيب فانكشفا، وأتى سُفيان غلاماً له يقال له غزوان، فنزل عن برذونه، وقال: اركب يا مولاي، فركب سُفيان. وأحاط به أصحاب شبيب. فقاتل دونه غزوان فقتل، وكانت معه رايته. وأقبل سُفيان بن أبي العالية حتى انتهى إلى بابل مَهْرُوداً،

(١) الهزم: ما اطمأن من الأرض.

فنزل بها ، وكتب إلى الحجّاج :

أمّا بعد . فإني أخير الأمير أصلحه الله أني اتبعت هذه المارقة حتّى لحقتهم بخانقين فقاتلتهم . فضرب الله وجوههم ، ونصرنا عليهم ، فبينما نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غيباً عنهم ، فتحملوا على الناس فهزموهم ، فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر فقاتلتهم ، حتّى خرت بين القتلى ، فتحملت مرتثاً ، فأتى بي بابل مهروذ ، فيها أنا بها والجنّد الذين وجهتهم إلى الأمير وافقوا إلا سورة بن أبجر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي حتّى إذا ما نزلت بابل مهروذ أتاني يقول ما لا أعرف^(١) ، ويبتعد بغير العذر . والسلام

٨٩٩/٢ فلما قرأ الحجّاج الكتاب قال : من صنع كما صنع هذا ، وأبلى كما أبلى فقد أحسن . ثم كتب إليه :

أمّا بعد ، فقد أحسنت البلاء ، وقضيت الندي عليك ، فإذا خفت عنك الوجع فأقبل مأجوراً إلى أهليك . والسلام .

وكتب إلى سـورقـين أبجر :

أمّا بعد فيا بن أمّ سورة ، ما كنت خليفاً أن تجترئ على ترك عهدي ونخلان جندي ، فإذا أتاك كتابي فابعث رجلاً ممن معك صليباً إلى الخيل التي بالمدائن ، فلينتخب منهم خمسمائة رجل ، ثم ليقدم بهم عليك ، ثم سير بهم حتّى تلقى هذه المارقة ، واحزم في أمرك ، وكد عدوك ، فإن أفضل أمر الحرب حسن المكيدة . والسلام .

فلما أتى سورة كتاب الحجّاج بعث عدى بن عميرة إلى المدائن ، وكان بها ألف فارس ، فانتخب منهم خمسمائة ، ثم دخل على عبد الله بن أبي عصفير - وهو أمير المدائن في إمارته الأولى - فسلم عليه ، فأجازه بألف درهم ، وحمله على فرس ، وكساه أثواباً . ثم إنّه خرج من عنده ، فأقبل بأصحابه حتّى قدم بهم على سورة بن أبجر ببابل مهروذ ، فخرج في طلب شيب ، وشيب^(٢)

(١) ب ، ف : « أعرفه » .

(٢) ١ : « وخرج شيب » .

يَسْجُولُ فِي جُوْحَى وَسَوْرَةَ فِي طَلْبِهِ ، فَجَاءَ شَيْبِيبٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُ أَهْلُ الْمَدَائِنِ وَتَحَرَّزُوا ، وَوَهِيَ أَبْنِيَةُ الْمَدَائِنِ الْأُولَى ، فَدَخَلَ الْمَدَائِنَ ، فَأَصَابَ بِهَا دَوَابَّ جَنْدٍ كَثِيرَةً (١) ، فَقَتَلَ مَنْ ظَهَرَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ ، فَأَتَى فَقِيلَ لَهُ : هَذَا سَوْرَةُ بِنِ أَيْجَرَ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ ، فَخَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ ٩٠٠/٢ حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرَوَانِ ، فَنَزَلُوا بِهِ وَتَوَضَّعُوا وَصَلُّوا ، ثُمَّ اتَّوَا مِصَارِعَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ عَلَى بِنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاسْتَغْفَرُوا لِإِخْوَانِهِمْ ، وَتَبَرَّعُوا مِنْ عَلَى وَأَصْحَابِهِ ، وَبَكَوْا فَأَطَالُوا الْبُكَاءَ ، ثُمَّ خَرَجُوا فَقَطَعُوا جِسْرَ النَّهْرَوَانِ ، فَنَزَلُوا مِنْ بَجَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ ، وَجَاءَ سَوْرَةُ حَتَّى نَزَلَ بِقَطْرَاثَا ، وَجَاءَتْهُ عِيُونُهُ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَنْزِلِ شَيْبِيبٍ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَدَعَا رِءُوسَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : إِنَّهُمْ قَلَمًا يُلْتَقُونَ مُصْحِرِينَ أَوْ عَلَى ظَهْرٍ إِلَّا انْتَصَفُوا مِنْكُمْ ، وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ ، وَقَدْ حَدَّثَتْ أَنَّهُمْ لَا يَزِيدُونَ عَلَى مِائَةِ رَجُلٍ إِلَّا قَلِيلًا ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ تُنْتَجِبَكُمْ فَأَسِيرَ فِي ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ أَقْوِيَائِكُمْ وَشُجْعَانِكُمْ فَأَتِيهِمْ الْآنَ إِذْ هُمْ آمِنُونَ لِبَيَاتِكُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَصْرَعَهُمُ اللَّهُ مِصَارِعَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ صُرِعُوا مِنْهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ مِنْ قَبْلُ . فَقَالُوا : اصْنَعْ مَا أَحْبَبْتَ . فَاسْتَعْمَلَ عَلَى عَسْكَرِهِ حَازِمَ بْنَ قُدَّامَةَ الْخَثْعَمِيِّ ، وَانْتَجَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ وَالْجَلْدِ وَالشَّجَاعَةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ النَّهْرَوَانِ ، وَبَاتَ شَيْبِيبٌ وَقَدْ أَذْكَى الْحَرَّسَ ، فَلَمَّا دَنَا أَصْحَابُ سَوْرَةَ مِنْهُمْ نَذَرُوا بِهِمْ ، فَاسْتَوُوا عَلَى خِيُولِهِمْ وَتَعَبَّوْا تَعْبِيَتَهُمْ .

٩٠١/٢ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ سَوْرَةُ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوهُمْ قَدْ سَدَرُوا وَاسْتَعَدَّوْا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ سَوْرَةُ وَأَصْحَابُهُ فَثَبَتُوا لَهُمْ ، وَضَارَبُوهُمْ حَتَّى صَدَّ عَنْهُمْ سَوْرَةُ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ صَاحَ شَيْبِيبٌ بِأَصْحَابِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَرَكَوْا لَهُ الْعُرْصَةَ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ مَعَهُ ، وَجَعَلَ شَيْبِيبٌ يَضْرِبُ وَيَقُولُ :

مَنْ يَنْكِ الْعَيْرَ يَنْكِ نِيَّاكَ جَنْدَلَتَانِ اصْطَكَّتَا اصْطَكَّاكَ

فَرَجَعَ سَوْرَةُ إِلَى عَسْكَرِهِ وَقَدْ هَزَمَ الْفُرْسَانَ وَأَهْلَ الْقُوَّةِ ، فَتَحَمَّلَ بِهِمْ حَتَّى أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ تَحَمَّلَ وَتَعَدَّى الطَّرِيقَ الَّذِي

(١) : « فَأَصَابَ دَوَابَّ مِنْ دَوَابِّ الْجَنْدِ » .

فيه شبيب ، واتبعه شبيب وهو يرجو أن يلاحقه فيصيب عسكره ، ويصيب بهزيمة أهل العسكر ، فأغذَّ السير في طلبهم ، فانتَهوا إلى المدائن فدَخَلوها ، وجاء شبيب حتى انتهى إلى بيوت المدائن . فدفع إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابنُ أبي عَصَيْفِيرٍ في أهل المدائن فرماهم الناس بالنَّبْلِ ، ورُمُوا من فوق البيوت بالحجارة ، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فرَّ على كِلْوَآذًا فأصاب بها دواب كثيرة للحججاج فأخذها ، ثمَّ خرج يسيرُ في أرض جُوخَى ، ثم مضى نحو تكريت ، فبينما ذلك الجُنْدُ في المدائن إذ أرحف الناس بينهم ، فقالوا : هذا شبيب قد دَنَا ، وهو يريد أن يبيت أهل المدائن الليلة ، فارتحل عامة الجُنْد . فلاحقوا بالكوفة .

قال أبو مخنف : وحدثني عبدُ الله بنُ علقمة الخثعمي ، قال : والله لقد هربوا من المدائن وقالوا : نُبِيتُ الليلة ، وإن شبيبا لبيتكبريت ، قال : ولما قدم الفلَّ على الحججاج سرح الجزل بن سعيد بن شريحيل بن عمرو الكندي .

قال أبو مخنف : حدثنا النضر بن صالح العبسي وفضيل بن خديج الكندي أن الحججاج لما أتاه الفلَّ قال : قبح الله سورةا ضيَّع العسكر والجُنْد ، وخرج يبيت الخوارج ، أمَّا والله لأسوءته ، وكان بعدُ قد^(١) حبسه ثم عفا عنه .

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج أن الحججاج دعا الجزل - وهو عثمان بن سعيد - فقال له : تيسرنا خروج إلى هذه المارقة ، فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخريق ، ولا تُحجِّم إحجام الواني الفریق ، هل فهمت ؟ لله أذت يا أخا بني عمرو بن معاوية ! فقال : نعم أصلح الله الأمير قد فهمت ، قال له : فاخرج فعسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج إليك الناس ، فقال : أصلح الله الأمير لا تبعنَّ معي أحداً من أهل هذا الجُنْد المفلول المنزوم ، فإنَّ الرعب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيتُ ألا ينفعك والمسلمين منهم أحد ، قال له : فإنَّ ذلك لك ، ولا أراك إلا قد أحسنت الرأي ووفقت . ثمَّ دعا أصحاب الدواوين فقال : اضربوا على

(١) : « بعدة » .

الناس البعث ، فأخرجوا أربعة آلاف من الدس ، من كل ربيع ألف رجل ، وعجلوا ذلك ، فجمعت العرفاء ، وخلص أصحاب الدواوين ، وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف ، فأمرهم بالعسكر فعمسكروا ، ثم نودي ٩٠٣/٢ فيهم بالرحيل ، ثم ارتحلوا ونادى منادى الحجاج : أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفاً ؛ قال : فمضى الجزل بن سعيد ، وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكندي على مقدمته ، فخرج حتى أتى المدائن ، فأقام بها ثلاثاً ، وبعث إليه ابن أبي عصفير بفرس وبرذون وبغلين وألئ درهم ، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا ، فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعلف الذي وضع لهم ابن أبي عصفير . ثم إن الجزل بن سعيد خرج بالناس في أثر شبيب ، فطلبه في أرض جوحى ، فجعل شبيب يريه الهيبة ، فيخرج من رستاق إلى رستاق ، ومن طسوج إلى طسوج ، ولا يقيم له إرادة أن يفرق الجزل أصحابه ، ويتعجل إليه فيلقاه في سير من الناس على غير تعبته ، فجعل الجزل لا يسير إلا على تعبته ، ولا ينزل إلا خندق على نفسه بخندقاً ، فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعانا ونحن بدير بيرما ستون ومائة رجل ، فجعل على كل أربعين من أصحابه رجلاً ، وهو في أربعين ، وجعل أخاه مصاداً في أربعين ، وبعث سويد بن سليم في أربعين ، وبعث المحلل بن وائل في أربعين ، وقد أتته عيونه فأخبرته أن الجزل بن ٩٠٤/٢ سعيد قد نزل دير يزد جرد ، قال : فدعانا عند ذلك فعبأنا هذه التعبئة ، وأمرنا فعلقنا على دوابنا ، وقال لنا : تيسروا فإذا قضمت دوابكم فاركبوا ، ولا يسر كل امرئ منكم مع أميره الذي أمرناه عليه ، ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعه . ودعا أمراءنا فقدن لهم : إني أريد أن أبيت هذا العسكر الليلة ، ثم قال لأخيه مصاد : إيتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قبيل حلوان . وسأيتهم أنا من أممي من قبيل الكوفة . وأتيتهم أنت يا سويد من قبيل المشرق ، وأتيتهم أنت يا محلل من قبيل المغرب ، وليسلج

كل امرئ منكم على الجانب الذي يتحمل عليه ، ولا تُقلِعوا عنهم ،
تَحْمِلُونَ وتَكْرُونَ عليهم ، وتصيحون بهم حتى يأتبكم امرئ . فلم نزل على
تلك التعبئة ، وكنتُ أنا في الأربعين الذين كانوا معه ، حتى إذا قَضِيتُ
دوابنا - وذلك أول الليل أول ما هدأت العيون - خرجنا حتى انتهينا إلى دَيْرِ
الحرارة ، فإذا للقوم مَسْلَحة ، عليهم عِيَاضُ بنُ أَبِي لَيْثَةَ ، فما هر إلا
أن انتهينا إليهم ، فَحَمَلْ عَلَيْهِمْ مِصَادُ أَخُو شَيْبِ بْنِ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ،
وكان أمام شبيب ، وقد كان أراد أن يَسْبِقَ شَيْبًا حتى يرتفع عليهم ويأتيهم
من ورائهم كما أمره ، فلما لقي هؤلاء قَاتَلَهُمْ فَصَبَرُوا مَاعَةً ، وقَاتَلُوهُمْ . ثم
إننا دفعنا إليهم جميعًا ، فَحَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَهَزَمْنَاهُمْ ، وأخذوا الطريق
الأعظم ، وليس بينهم وبين عسكرهم بَدَيْرِ يَزْدَجِرْدِ إِلَّا قَرِيبَ مِنْ مِيلٍ .
فقال لنا شبيب : اركبوا معاصر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم
إن استطعتم ؛ فاتبعناهم والله مُلِظِينَ^(١) بهم ، ملحين عليهم ، ما نرفه عنهم
وهم منهزمون ، ما لهم همة إلا عسكرهم ، فانتهاوا إلى عسكرهم ، ومنعهم أصحابهم
أن يدخلوا عليهم ، ورشَقْنَا بالنَّيْلِ ، وكانت عيون لهم قد أمتتهم فأخبرتهم
بمكاننا ، وكان الجزل قد خندق عليه ، وتحرز ووضعت هذه المسلحة الذين
لقيناهم بَدَيْرِ الحرارة ، ووضع مسلحة أخرى مما يلي حلوان على الطريق ،
فلما أن دفعنا إلى هذه المسلحة التي كانت بَدَيْرِ الحرارة فألقناهم بعسكر
جماعتهم ورجعت المسالحة الأخرى حتى اجتمعت ، ومنعها أهل العسكر دخول
العسكر وقالوا لهم : قَاتِلُوا ، وانضحوا عنكم بالنَّيْلِ .

قال أبو مخنف : وحدثنى جرير بن الحسين الكندي ، قال : كان علي
المسلحين الأخربيين عاصم بن حجر على التي تلي حلوان ، وواصل
ابن الحارث السكوني على الأخرى . فلما أن اجتمعت المسالحة جعل شبيب
يتحمل عليها حتى اضطرها إلى الخندق ، ورشقتهم أهل العسكر بالنَّيْلِ
حتى ردوهم عنهم . فلما رأى شبيب أنه لا يصل إليهم قال لأصحابه :
سيروا ودعوهم ، فضى على الطريق نحو حلوان حتى إذا كان قريبًا

(١) ملظين ، بمعنى ملحين .

من موضع قِباب حسين بن زُفَر من بني بَدْر بن فزارة - وإنما كانت قِبابُ حسين بن زُفَر بعد ذلك - قال : لأصحابه : انزلوا فاقضوا وأصلحوا ٩٠٦/٢ ذبلكم وتروحووا وصلّوا ركعتين ، ثم اركبوا ، فنزلوا ففعلوا ذلك . ثم إنّه أقبل بهم راجعاً إلى عسكر أهل الكوفة أيضاً ، وقال : سيروا على تعبيتكم التي عبأتكم عليها بدير بيرما أول الليل ، ثم أطيّفوا بعسكرهم كما أمركم ، فأقبلوا . قال : فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مساكنهم إليهم ، وقد آمنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافير خيولنا قريباً منهم ، فانهينا إليهم قبيل الصبح فأحططنا بعسكرهم ، ثم صيحتنا^(١) بهم من كل جانب ، فإذا هم يُقاتلوننا من كل جانب ، ويرموننا بالنبل . ثم إن شبيبا بعث إلى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل إلينا ونخل لهم سبيل الطريق إلى الكوفة ، فأقبل إليه ، وترك ذلك الوجه ، وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة ؛ حتى أصبحنا ، فأصبحنا ولم تستفل منهم شيئاً ، فسرنا وتركناهم ، فجعلوا يصيحون بنا : أين يا كلاب النار ! أين أيتها العصابة المارقة ! أصبحوا نخرج إليكم ، فارتفعنا عنهم فحواً من ميل ونصف ، ثم نزلنا فصلتنا الغداة ، ثم أخذنا الطريق على يراز الروذ ، ثم مضينا إلى جرجرايا وما يليها ، فأقبلوا في طلبنا .

قال أبو مخنف : فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر ، قال : كنت مع الناس تاجراً وهم في طلب الحرورية ، وعلينا الجزل بن سعيد ، فجعل ٩٠٧/٢ يتبعهم فلا يسير إلا على تعبية ، ولا ينزل إلا على خندق ، وكان شبيب يدعه ويضرب في أرض جيوخى وغيرها يكسر الخراج ، وطال ذلك على الحجّاج ، فكتب إليه كتاباً ، فقرأ على الناس :

أما بعد ، فإنى بعثتكم في فرسان أهل المِصر ووجوه الناس ، وأمرتكم بإتباع هذه المارقة الضالة المضلّة حتى تلقاها ، فلا تُقلع عنها حتى تقتلها وتُفنيها ؛ فوجدت التعريس في القرى والتخيم في الخنادق أهون عليك من المضى لما أمرتك به من مناهضتهم ومناجزتهم . والسلام .

فقرأ الكتاب علينا ونحن بقطراثا ودير أبي مسرّم ، فشقق ذلك على

الجزل ، وأمر الناس بالسير ، فخرجوا في طلب الخوارج جاد بن ، وأرجفنا
بأميرنا وقلنا : يعزل .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهَمْدَانِي ثم البرسَمِي أن
الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش ، وعهد إليه إن لقيت المارقة
فازحف إليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم وواقفهم واستعين بالله عليهم ،
ولا تصنع صنيع الجزل ، واطلبهم طلب السبع ، وحيد عنهم ٩٠٨/٢
حيث كان الضبع رأيت . الجزل في طلب شبيب حتى انتهوا إلى النهروان
فأدركوه فلزم عسكره ، وخذق عليه . وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل
عسكر أهل الكوفة أميرا ، فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال :

يا أهل الكوفة ، إنكم قد عجزتم ووهتم وأغضبتكم عليكم أميركم .
أنتم في طلب هذه الأعراب العجف منذ شهرين ، وهم قد خربوا بلادكم ،
وكسروا خراجكم ، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزالونها إلا
أن يبيلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ، ونزلوا بلدا سوى بلادكم ، فخرجوا على
اسم الله إليهم .

فخرج وأخرج الناس معه ، وجمع إليه خيول أهل العسكر ، فقال له
الجزل : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقدم على شبيب في هذه الخيل ،
فقال له الجزل : أقم أنت في جماعة الجيش ، فارسهم وراجلهم ، وأصحح له ؛
فوالله ليقدمن عليك ، فلا تفرق أصحابك ؛ فإن ذلك شر لهم وخير لك .
فقال له : قف أنت في الصف ، فقال : يا سعيد بن مجالد ، ليس لي فيما
سئعت رأي ، أنا برىء من رأيك هذا ، سميع الله ومن حضر من المسلمين .
فقال : هو رأي إن أصبت ؛ فالله وفقني له ، وإن يكن غير صواب فأنتم
منه براء ، قال : فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من
الخدق ، وجعل على ميمنتهم (٢) عياض بن أبي لينة الكِنْدِي ، وعلى ميسرتهم
عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرواسي ، ووقف الجزل في جماعتهم

(٢) : « ميتة » .

(١) ب ، ف : « كصنيع » .

واستقدم سعيد بن مجالد ، فخرج وأخرج الناس معه ، وقد أخذ شبيب إلى ٩٠٩/٢
بَرَازِ الرُّوزِ ، فنزل قَطِيطِيَا ، وأمر دهقَمَانَهَا أَنْ يَشْتَرِيَ لَهُمْ مَا يُصْلِحُهُمْ ،
وَيَتَّخِذَ لَهُمْ غَدَاءً ، ففعل ، ودخل مدينة قَطِيطِيَا وأمر بالباب فأغلق ، فلم
يتفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر ، فصعد
الدَّهْقَانَ السُّورَ فنظر إلى الجُنُودِ مَقْبِلِينَ قَدْ دَنَوْا مِنْ حِصْنِهِ ، فنزل وقد تغير
لونه ، فقال له شبيب : مالي أراك متغير اللون ! فقال له الدَّهْقَانُ : قد
جاءتك الجنود من كل ناحية ، قال : لا بأس ، هل أدرك غداؤنا ؟ قال :
نعم ، قال : فقربته ، وقد أغلق الباب ، وأتى بالغداء ، فتغدى وتوضأ وصلّى
ركعتين ، ثم دعا ببغل له فركبه .

ثم إنهم اجتمعوا على باب المدينة ، فأمر بالباب فتفتح ، ثم خرج على
بغله فحمل عليهم . وقال : لا حكم إلا للحكم الحكيم ، أنا أبو مدله ،
اثبتوا إن شئتم . وجعل سعيد يجمع قومه وخيلته ، ويؤلفها^(١) في أثره ، ويقول :
ما هؤلاء ! إنما هم أكلة رأس ، فلما رأهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا
لف نخيله كلتها ، ثم جمعها ، ثم قال^(٢) : استعرضوهم استعراضاً ، وانظروا ٩١٠/٢
إلى أميرهم ، فوالله لأقتلته أو يقتلني . وحمل عليهم مستعرضاً لهم ، فهزموهم
وثبت سعيد بن المجالد ، ثم نادى أصحابه : إلى إلى ، أنا ابن ذى مران !
وأخذ قَلَسُنْسُوتَهُ فوضعها على قَرَبُوسِ سَرَجِهِ ، وحمل عليه شبيب فعممه
بالسيف ، فخالط دماغه ، فخر ميتاً ، وانهمز ذلك الجيش ، وقتلوا كل
فيلة ، حتى انتهوا إلى الجزل ، ونزل الجزل ونادى : أيها الناس ، إلى .
وناداهم عِيَاضُ بْنُ أَبِي لَيْثَةَ : أيها الناس ، إن كان أميركم القادم قد
هَلَاكَ فَأَمِيرُكُمْ الْمَيْمُونُ النَّقِيبِيُّ الْمُبَارَكُ حَى^(٣) لَمْ يَمِتْ ، فقاتل الجزل قتالاً
شديداً حتى حُمِلَ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى ، فحُمِلَ إِلَى الْمَدَائِنِ مَرَّتَيْنِ ، وَقَدِمَ
فَلْ أَهْلَ ذَلِكَ الْعَسْكَرِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً يَوْمَئِذٍ خَالِدُ بْنُ

(١) : « يدلها » .

(٢) : ب ، ف : « فقال » .

(٣) : ب ، ف : « حى وهو الأمير المبارك » .

نَهَيْكَ مِنْ بَنِي ذُهَلِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَعَبَاضِ بْنِ أَبِي لَيْبَةَ ، حَتَّى اسْتَنْقَذَاهُ وَهُوَ مَرْتَشًا . هَذَا حَدِيثٌ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَالْحَدِيثُ الْآخِرُ قَتْلَهُمْ فِيهَا بَيْنَ دَيْرِ أَبِي مَرْيَمَ إِلَى بَرَّازِ الرَّوْزِ . ثُمَّ إِنَّ الْجَزَلَ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ .

قال : وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ ، وبعث إلى سوق بغداد فآمنهم ، وذلك اليوم يوم سوقهم ، وكان بلغه أنهم يخافونه ، فأحسب أن يؤمنهم ، وكان أصحابه يريدون أن يشتروا من السوق دواب وثيابا وأشياء ليس لهم منها بدء ، ثم أخذ بهم نحو الكوفة ، وساروا أول الليل حتى نزلوا عُقْرَ الْمَلِكِ الَّذِي بِلَى قَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ . ثم أغدَّ السَّيْرَ مِنَ الْغَدِ ، فبات بين حمام عمر بن سعيد وبين قُبَيْنَ . فلما بلغ الحجَّاج مكانه ٩١١/٢ بعث إلى سُؤَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ ، فبعثه في ألفي فارس نقاوة ، وقال له : اخرج إلى شبيب فآلقه ، واجعل ميمنة وميسرة ، ثم انزل إليه في الرجال فإن استطرد ذلك فدهه ولا تتبعه . فخرج فعسكر بالسَّبَخَةِ ، فبلغه أن شبيباً قد أقبل ، فأقبل نحوه وكأنما يساقون إلى الموت ، وأمر الحجَّاج عثمان ابن قَطَنَ فَعَسَكَرَ بِالنَّاسِ بِالسَّبَخَةِ^(١) ، ونادى : ألا برئت الذمَّة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج إلى عثمان بن قَطَنَ بالسَّبَخَةِ ! وأمر سُؤَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ يَسِيرَ فِي الْأَلْفِينَ اللَّذِينَ مَعَهُ حَتَّى يَلْقَى شَبِيبًا فَعَبَّرَ بِأَصْحَابِهِ إِلَى زُرَّارَةَ وَهُوَ يَعْثُثُهُمْ وَيَحْرُضُهُمْ إِذْ قَبِلَ لَهُ : قَدْ غَشَيْتَكَ شَبِيبٌ ، فَنَزَلَ وَنَزَلَ مَعَهُ جُلُودُ أَصْحَابِهِ ، وَقَدَّمَ رَابِتَهُ وَمَضَى إِلَى أَقْصَى زُرَّارَةَ ، فَأَخْبِرَ أَنَّ شَبِيبًا قَدْ أَخْبِرَ بِمَكَانِكَ فَتَرَكْ ، وَوَجَدَ مَخَاضَةً فَعَبَرَ الْفُرَاتَ وَهُوَ يَرِيدُ الْكُوفَةَ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ . ثُمَّ قَبِلَ لَهُ : أَمَا تَرَاهُمْ أَفَنَادَى : فِي أَصْحَابِهِ ، فَرَكِبُوا فِي آثَارِهِمْ .

وإن شبيباً أتى دارَ الرِّزْقِ^(٢) ، فنزلها ، فقيل : إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسَّبَخَةِ ، فلما بلغهم مكان شبيب صاح^(٣) بعضهم ببصر

(١) ب ، ف : « في السبخة » :

(٢) ف : « الرزق » .

(٣) ا : « صاح » .

وجالوا ، وهمّوا أن يتدخلوا الكوفة حتى قيل لهم : إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الحيل .

قال هشام : وأخبرني عمر بن بشير، قال : إنما نزل شبيب الدّير أمر ٩١٢/٢
بغتم تهيأ له ، فصعد الدّهقان ، ثم نزل وقد تغير لونه ، فقال : مالك !
قال : قد والله جاءك جمع كثير ؛ قال : أبلغ الشّواء بعد ؟ قال : لا ، قال : دعه .
قال : ثم أشرف إشرافاً أخرى ، فقال : قد والله أحاطوا بالجوسق ، قال :
هات شواءك ، فجعل يأكل غير مكترث لهم ، فلما فرغ توضأ وصلّى
بأصحابه الأولى ، ثم تقلّد سيفين بعد ما لبس درعه ، وأخذ عمود حديد
ثم قال : أسرجوا لي البغلة ، فقال أخوه مصاد : أفى هذا اليوم تسرج
بغلة ! قال : نعم أسرجوها ، فركبها ، ثم قال : يا فلان ، أنت على الميمنة
وأنت يا فلان على الميسرة ، وقال لمصاد : أنت في القلب ، وأمر الدّهقان
بفتح الباب في وجوههم . قال : فخرج إليهم وهو يحكم ، فجعل سعيد
وأصحابه يزرعون القهقري حتى صار بينهم وبين الدّير نحو من ميل .
قال : وجعل سعيد يقول : يا معشر همّدان ، أنا ابن ذى مرّان ، إلى إلى .
ووجه سيربا مع ابنه وقد أحس أنها تكون عليه ، فنظر شبيب إلى مصاد
فقال : أثكلنك الله إن لم أئكله ولده . قال : ثم علاه بالعمود ،
فسقط ميتاً ، وانهم أصحابه وما قتل بينهم يومئذ إلا قتل واحد . قال :
وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتى أتوا الجزل ، فناداهم الجزل : أيها
الناس ، إلى إلى . وناداهم عياض بن أبي لينة : أيها الناس ، إن يكن
أميركم هذا القادم قد هلك فهذا أميركم الميمون النقيبة ، أقبلوا إليه ، ٩١٣/٢
وقاتلوا معه ؛ فمنهم من أقبل إليه ، ومنهم من ركب رأسه منهزماً ، وقاتل
الجزل قتالا شديداً حتى صرع ، وقاتل عنه خالد بن نهيك وعياض
ابن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرّتث ، وأقبل الناس منهزمين
حتى دخلوا الكوفة ، فأتى بالجزل حتى أدخل المدائن ، وكُتب إلى
الحجاج بن يوسف .

قال أبو مخنف : حدثني بذلك ثابت مولى زهير :

أما بعد ، فإني أخبر الأمير أصلحه الله أني خرجت فيمن قبلي من
الجند الندي وجهني إلى عدوه ، وقد كنت حفظت عهد الأمير إلى فيهم
ورأيتهم ، فكنت أخرج إليهم إذا رأيت الفرصة ، وأحبس الناس عنهم إذا
خشيت الورطة ، فلم أزل^(١) كذلك ، ولقد أرادني العدو بكل ريبة^(٢) فلم
يُصيب مني غيرة ، حتى قدم على سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ، ولقد أمرته
بالتؤدة ، ونهيته عن العجلة . وأمرته ألا يقاثلهم إلا في جماعة الناس
عامّة فعصاني . وتعجّل إليهم في الخيل ، فأشهدت عليه أهل المصربين
أنني بريء من رأيه الندي رأى ، وأنني لا أهوى ما صنع . ففضي فأصيب تجاوز
الله عنه . ودفع الناس إلى ، فنزلت ودعوتهم إلى ، ورفعت لهم رأيتي ،
وقاتلت حتى صرعت ، فحملني أصحابي من بين القتلى ، فما أفقت إلا وأنا
على أيديهم على رأس ميل من المعركة . فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت
الرجل من دونها ويُعاني من مثلها . فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي
له ولجنده ، وعن مكابدي عدوه . وعن موقفي يوم البأس ، فإنه يستبين له
عند ذلك أني قد صدقته وصدقته له . والسلام .

٩١٤/٢

ع

فكتب إليه الحجّاج :

أما بعد . فقد أتاني كتابك وقرأته ، وفهمت كل ما ذكرت فيه ، وقد
صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك ، وحبطتك
على أهل مصرك ، وشدتك على عدوك ، وقد فهمت ما ذكرت^(٣) من أمر
سعيد وعجلته إلى عدوه . فقد رضيت عجلته وتؤدتك ، فأما عجلته
فإنها أفضت به إلى الجنة ، وأما تؤدتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت ،
وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم . وقد أصبت وأحسن البلاء ، وأجرت^(٤) ،
وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة ، وقد أشخصت إليك حيان

(١) ب ، ف : « فإذا لم » .

(٢) أي بكل نوع من أنواع الإرادة . وفي ط : إرادة . وأثبت ما في ا .

(٣) ب ، ف : « ذكرته » .

(٤) أجرت ، أي لقيت الأجر .

ابن أبجر ليداويك ويعالج جراحتك^(١)، وبعث إليك بألفي درهم فأنفقها في حاجتك وما ينوبك . والسلام .

فقدم عليه حسيان بن أبجر الكناني من بني فiras - وهم يعالجون الكبي وغيره - فكان يداويه، وبعث إليه عبد الله بن أبي عصفير بألف درهم . وكان يعودُه ويتعاهدُه باللطف والهدية . قال : وأقبل شبيب نحو المدائن ، فعلم أنه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة ، فأقبل حتى انتهى إلى الكرخ ، فعبر دجلة إليه ، وبعث إلى أهل سوق بغداد وهو بالكرخ أن اثبتوا في سوقكم فلا بأس عليكم - وكان ذلك يوم سوقهم - وقد كان بلغه أنهم يخافونه . ٩١٥/٢
قال : ويخرج سويد حتى جعل بيوت مزينة وبني سليم في ظهره وظهور أصحابه ، وحمل عليهم شبيب حملة منكرة ، وذلك عند المساء ، فلم يقدر منهم على شيء ، فأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة . وأتبعه سويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها إلى الحيرة ، وأتبعه سويد حتى انتهى إلى الحيرة ، فبسجده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهباً ، فتركه وأقام حتى أصبح ، وبعث إليه الحجاج أن أتبعه فأتبعه ، ومضى شبيب حتى أغار في أسفل الفرات على من وجد من قومه ، وارتفع في البر من وراء خفان في أرض يقال لها الغلظة^(٢) ، فصيب رجالاً من بني الورثة ، فتحمل عليهم ، فاضطربهم إلى جدد من الأرض ، فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم ، فلما نفذت وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ، منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحران بن مالك ، كلهم من بني الورثة .

قال أبو مخنف : حدثني بذلك عطاء بن عرفة بن زياد بن عبد الله الوريثي . ومضى شبيب حتى يأتي بني أبيه على اللصف (ماء لرمطه) وعلى ذلك الماء الفيرز بن الأسود ، وهو أحد بني الصلت ، وهو الذي كان ينهي شبيباً عن رأيه ، وأن يفسد بني عمه وقومه ، فكان شبيب يقول : والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزون الفيرز . فلما غشيتهم شبيب ٩١٦/٢

(١) ب ، ف : « جراحتك » .

(٢) ب ، ف : « الغلظة » .

في الخيل سأل عن الفيزر فاتقاه الفيزر ، فخرج على فرس لا تجارى من وراء البيوت ، فذهب عليها في الأرض ، وهرب منه الرجال ، ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القططانة ؛ ثم على قصر مقاتيل ، ثم أخذ على شاطي الفرات حتى أخذ على الحصاصة ، ثم على الأنبار ، ثم مضى حتى دخل دقوقاء ، ثم ارتفع إلى أداني آذربيجان . فتركه الحججاج وخرج إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فما شعر الناس بشيء حتى جاء كتاب من ماذرواسب دهمقان بابل متهرؤذ وعظيمها إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجرًا من تجار الأنبار من أهل بلادى أتاني فدكر أن شبيبًا يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل ، أحببت إعلامك ذلك لتسرى رأيك ، ثم لم ألبث إلا ساعة حتى جاءني جابيان من جبّاتي فحدثاني أنه قد نزل خانيجار . فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسترح به إلى الحججاج بالبصرة ، فلما قرأه الحججاج أقبل جوادًا إلى الكوفة ، وأقبل شبيب يسير حتى انتهى إلى قرية يقال لها حربى على شاطيء دجلة فعب منها ، فقال : ما اسم هذه القرية ؟ فقالوا : حربى ؛ فقال : حرب بصلتى بها عدوكم ، وحرب تدخلونه بسوتهم ، إنما يتطير من عقوق وبتعيف ، ثم ضرب رايته وقال لأصحابه : سيروا ؛ فأقبل^(١) حتى نزل عقرقوفًا ، فقال له سويد بن سليم : يا أمير المؤمنين ، لو تحولت بنا من هذه القرية المشنومة الاسم ! قال : وقد تطيرت أيضًا ! والله لا أتحوّل عنها حتى أسير إلى عدوى منها ، إنما شؤمها إن شاء الله على عدوكم تتحملون عليهم فيها ، فالعقر لهم .

ثم قال لأصحابه : يا هؤلاء ، إن الحججاج ليس بالكوفة ، وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء ، فسيروا بنا . فخرج يسار الحججاج إلى الكوفة ، وكتب عروة إلى الحججاج أن شبيبًا قد أقبل مسرعًا يريد الكوفة ، فالعجل العجل . فطوى الحججاج المنازل ، واستبقا إلى الكوفة ، ونزلها الحججاج صلاة الظهر ، ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب ، فصلّى المغرب والعشاء ، ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيئًا يسيرًا ، ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة ، فجاء شبيب حتى انتهى إلى السوق ، ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده .

(١) : « وأقبل » .

قال أبو المنذر: رأيت ضربة شبيب بباب القصر قد أثرت أثراً عظيماً،
ثم أقبل حتى وقف عند^(١) المصطبة، ثم قال:

وكان حافرًا بكل خميلة كَيْلٌ يَكِيلُ بِهِ شَجِيحٌ مُعْدِمٌ
تَبْدُ دَعِيٌّ مِنْ ثَمَرِ أَصْلِهِ لا بِلْ يُقَالُ أَبُو أَبِيهِمْ يَتَقَدِّمُ

ثم اقتحموا المسجد الأعظم وكان كبيراً لا يفارقه قوم يصلون فيه،
فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعدى بن عمرو الشقي وأبا لسيث بن أبي ٩١٨/٢
سليم مولى عنبسة بن أبي سفيان، وقتلوا أزهراً بن عبد الله العامري، ومروا
بدار حوشب وهو على الشرط فوقفوا على بابه وقالوا: إن الأمير يدعو حوشبا،
فأخرج ميمون غلامه برذون حوشب ليركبه حوشب، فكان أنه أنكرهم
فظنوا أنه قد اتهمهم، فأراد أن يدخل، فقالوا له: كما أنت، حتى يخرج
صاحبك. فسمع حوشب الكلام، فأنكر القوم، فخرج إليهم، فلما رأى
جماعتهم أنكرهم، وذهب لينصرف، فعجلوا نحوه، ودخل وأغلق
الباب، وقتلوا غلامه ميموناً، وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالبحاف
ابن نبيط الشيباني من رهط حوشب، فقال له سويد: انزل إلينا، فقال
له: ما تصنع بنزولي! قال له سويد: أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت
منك بالبادية، فقال له البحاف: بش ساعة القضاء هذه الساعة، وبش
قضاء الدين هذا المكان! أما ذكرت أمانتك إلا والليل مظلم، وأنت على
ظهر فرسك! قبّح الله يا سويد دينا لا يتصلح ولا يتم إلا بقتل ذوى
القرباة وسفك دماء هذه الأمة.

قال: ثم مضوا فرّوا بمسجد بني ذهل فلقوا ذهل بن الحارث، وكان
يصلّى في مسجد قومه فيطيل الصلاة، فصادفوه منصرفاً إلى منزله، فشدوا
عليه ليقتلوه، فقال: اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمتهم وجنّاتهم.
اللهم إني عنهم ضعيف، فانتصر لي منهم! فضربوه حتى قتلوه، ثم مضوا ٩١٧/٢
حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردّمة.

(١) ب، ف: «على متن».

قال هشام : قال أبو بكر بن عبيد بن عبيد : واستتبله النضر بن قعقاع ابن شور الذهلي ، وأمه ناجية بنت هاني بن قبيصة بن هاني الشيباني فأبطره حين نظر إليه - قال : يعني بقوله : «أبطره» أفزعه^(١) - فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ؛ قال له^(٢) «سويد مبادراً : أمير المؤمنين ، ويملك ! فقال : أمير المؤمنين . حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة ، وأمر الحجاج المنادي فنادى : يا خيل الله اركبي وأبشيري ، وهو فوق باب القصر . وسم مصباح مع غلام له قائم ، فكان أول من جاء إليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذي الغصّة ، ومعه مواليه ، وناس من أهله ، فقال : أنا عثمان بن قطن ، أعلموا الأمير مكاني فليأمر^(٣) بأمره ، فقال له ذلك الغلام : قف مكانك حتى يأتيك أمر الأمير ، وجاء الناس من كل جانب ، وبات عثمان فيمن اجتمع إليه من الناس حتى أصبح .

ثم إن الحجاج بعث بسر بن غالب الأسدي من بني والبة في ألى رجل ، وزائدة بن قدامة الثقفي في ألقى رجل ، وأبا الضريس مولى بني تميم في ألف من الموالى ، وأعين - صاحب حمام أعين مولى بشر بن مروان - في ألف رجل ، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان ، وكتب له عليها عهده ، وكتب إلى الحجاج : أمّا بعد ، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهز معه ألقى رجل إلى سجستان ، وعجل سراحه . وأمر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج ، فلما قدم محمد ابن موسى جعل يتحبس في الجهاز ، فقال له نصحاؤه : تعجل أيها الأمير^(٤) إلى عمّلك ؛ فإنك لا تدري ما يكون من أمر الحجاج ! وما يبدو له . فأقام على حاله ، وحدث من أمر شبيب ما حدث ، فقال الحجاج لمحمد ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله : تلق شبيباً وهذه الخارجة فتجاهد هم ثم تمضي إلى عمّلك ، وبعث الحجاج مع هؤلاء الأمراء أيضاً عبد الأعلى بن

(٢) ب ، ف : « فقال » .

(١) ب ، ف : « أهله » .

(٤) ب ، ف : « الرجل » .

(٣) ب ، ف : « بمكاني فليأمر » .

عبد الله بن عامر بن كُرَيْزِ القُرَشِيِّ وزياد بن عمرو العَتَكِيُّ ، وخرج شبيبٌ حيث خرج من الكوفة ، فأتى المردمة وبها رجل من حضر موت على العُشور يقال له ناجية بن مَرثد الحضرمي ، فدخل الحمام ودخل عليه شبيب فاستحرجه فضرب عنقه ، واستقبل شبيب النضر بن القَعَقَاع بن شَوْر - وكان مع الحججاج حين أقبل من البصرة ، فلما طوى الحججاج المنازل خلفه وراه - فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه ، فقال له شبيب : يا نضر بن القَعَقَاع ، لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ - وَإِنَّمَا أَرَادَ شَبِيبٌ ^(١) بِمَقَالَتِهِ لَهُ تَلْقِينَهُ ، فلم يفهم النضر - فقال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فقال أصحاب شبيب : يا أمير المؤمنين ؛ كأنك إنما تريد بمقالتك أن تلقينه . فشدوا ٩٢١/٢ على نضر فقتلوه .

قال : واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات ، فترك شبيب الوجه الذي فيه جماعة أولئك القواد ، وأخذ نحو القادسية ، ووجه الحججاج زحر بن قيس في جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس ، وقال له : أتبع شبيبا حتى تواقعه حين أدركته ، إلا أن يكون منطلقا ذاهبا فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك ، فلا تبرح إن هو أقام حتى تواقعه ، فخرج زحر حتى انتهى إلى السيلحين ، وبلغ شبيبا مسيره إليه ، فأقبل نحوه فالتقيا ، فجعل زحر على يمينته عبد الله بن كَسَّاز النهدى ، وكان شجاعا ، وعلى يسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندي الشيباني ، وجمع شبيب خيله كلها كسبكية واحدة ، ثم اعترض بها الصف ، فوجف وجيفا ، واضطرب حتى انتهى إلى زحر بن قيس ، فنزل زحر بن قيس ، فقاتل زحر حتى صرع ، وانهزم أصحابه ، وظن القوم أنهم قد قتلوه ، فلما كان في السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية فبات بها ، وحمل منها إلى الكوفة وبوجهه ورأسه بضعة عشر جراحة ما بين ضربة وطعنة ، فكث أياما ، ثم أتى الحججاج وعلى وجهه وجراحه القطن ، فأجلسه الحججاج معه على السرير ، وقال لمن حوله : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين الناس وهو ٩٢٢/٢

(١) ب ، ف : « تلقينه بمقالتك هذه » .

شَهِيدٌ فليَنظُرْ إلى هذا . وقال أصحابُ شبيبٍ لشبيبٍ وهم يظنون أنهم قد قتلوا زَحْرًا : قد هزمتنا لهم جُنْدًا ، وقتَلنا لهم أميرًا من أمرائهم عظيمًا ، انصرفت بنا الآن وافرين ، فقال لهم : إن قتلنا هذا الرجل ، وهزمتنا هذا الجند ، قد أُرْعِبْتَ هذه الأمراء والجنود التي بُعِثَتْ في طلبكم ، فاقصدوا بنا قصدَهم ؛ فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجَّاج من شيء وأخذ الكوفة إن شاء الله . فقالوا : نحن لرأيك سمع تبع ، ونحن طوع بديك .

قال : فانقضَّ بهم جوادًا حتى يأتي نَجْران -- وهي نَجْران الكوفة ناحية عَيْنِ التَّمْرِ -- ، ثمَّ سأل عن جماعة القوم فخبَّرَ باجتماعهم برؤذبار في أسفل الفُرات في بهتقُباذ الأسفل ، على رأس أربعة وعشرين فرسخًا من الكوفة . فبلغ الحجَّاج مسيره إليهم . فبعث إليهم عبد الرحمن بن الغرقي مولى ابن أبي عَقِيل - وكان على الحجَّاج كريمًا - فقال له : الحقَّ يجماعتهم - يعني جماعة الأمراء - فأعلمتهم بمسير المارقة إليهم ، وقل لهم : إن جمعكم قتالٌ فأمرُ الناس زائدة بن قدامة ، فاتاهم ابن الغرقي فأعلمهم ذلك ، وانصرف عنهم .

قال أبو ميخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جَسْدُب قال : انتهى إلينا شبيبٌ وفيه سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة ، وقد اعْبَى كلَّ أمير أصحابه على حِدَّة ، ففي ميمنتنا زياد بن عمرو العنكي ، وفي ميسرتنا بشر بن غالب الأسدي ، وكلَّ أمير واقف في أصحابه . فأقبل شبيبٌ حتى وقف على تلٍّ ، فأشرف على الناس وهو على فرس له كُمَيْتٌ أغرٌّ ، فنظر إلى تعبيتهم ، ثمَّ رجع^(١) إلى أصحابه ، فأقبل في ثلاث كتائب يوبخون ، حتى إذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سوَيْد بن سُليم ، فتقف في ميمنتنا ، ومضت كتيبة فيها مَصَاد أخو شبيب ، فوقفت على ميسرتنا ، وجاء شبيبٌ في كتيبة حتى وقف مُقَابِلِ القلب . قال : وخرج زائدة ابن قدامة يسيرُ في الناس فيما بين ميمنتهم إلى ميسرتهم يخرص الناس ويقول :

٩٢٣/٢

(١) ب ، ف : « فني » . (٢) ب ، ف : « ورجع » .

يا عبادَ الله ، أنتم الكثيرون الطيبون ، وقد نزل بكم القليلون الحبيثون ، فاصبروا - جُعِلت لكم الفِداء - لكرتتين أو ثلاث تكرون عليهم ، ثم هو النصر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء . ألا ترون إليهم والله ما يكونون مائتي رجل ، إنما هم أكلة رأس ، إنما هم السراق المراق ، إنما جاءوكم ليُهزِّبوا دماءكم ، ويأخذوا فيثبكم ، فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة ، غَضُّوا الأبصار ، واستقبلوهم بالأسِنَّة ، ولا تحملوا عليهم حتى أمركم ، ٩٢٤/٢ ثم انصرف إلى متوقفه .

قال : ويتحمِّل سويد بن سليم على زياد بن عمرو ، فأنكشف صفَّهم ، وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ، ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ، ثم كرَّ عليهم ثانية ، ثم اطَّعنوا ساعة .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : أنا والله فيهم يومئذ ، قال : اطَّعنا ساعة وصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا ، وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا ، وجعل^(١) ينادى : يا خيلي ، ويشدُّ بالسيف فيقاتل قتالا شديدا ، فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وإنه لأشجع العرب وأشدَّ قتالا ، وما يُعرض له . قال : ثم إنا ارتفعنا عنهم آخرًا فإذا هم يتقوضون ، فقال له أصحابه : ألا تراهم يتقوضون ! احمل عليهم ، فقال لهم شبيب : خلّوهم حتى يتخفوا ، فركبهم قليلا ، ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا . فنظرت إلى زياد ابن عمرو وإنه ليضرب بالسيف^(٢) وما من سيف يضرب به إلا نبا عنه وهو مجفف ، ولقد رأيتُه اعتوره أكثر من عشرين سيفًا فما ضره من ذلك شيء . ثم إنه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة ، وذلك عند المساء . قال : ثم شددنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه ، وما قاتلنا كثيرا ، وقد ضارب ساعة ، وقد بلغني أنه كان جرح ثم لحق بزياد بن عمرو ، فضينا منهزمين حتى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب ، فقاتلنا قتالا شديداً وصبر لنا .

(١) ب ، ف : « وحمل » . (٢) ب ، ف : « بالسيف » .

ذكر هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ، أن أخا شبيب مصاداً حمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة ، فأبلى وكرم والله وصبر ، فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين ، فصاروا بأسيا فمهم حتى قتلوا عن آخرهم ، وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجذ الأزدي ، وأمه زرارة امرأة ولدت في الأزدي ، فيقال لهم بنو زرارة ، فلما قتلوه وانهمز أصحابه مالوا فشدوا على بن الضريس مولى بني تميم ، وهو يلي بشر بن غالب ، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين ، ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزموهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة ، فلما انتهوا إليه نزل ونادى : يا أهل الإسلام ، الأرض الأرض ، إلى إلى ! لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم ؛ فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر . ثم إن شبيباً شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربنضة حوله من أهل الحِفاظ .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال : سمعت زائدة بن قدامة ليلتذ رافعاً صوته يقول : يا أيها الناس ، اصبروا وصابروا ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . ٩٢٦/٢ ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل .

قال أبو مخنف : وحدثني فروة بن لقيط أن أبا الصقير الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة ، وقد حاجه في ذلك آخر يقال له الفضل ابن عامر . قال : ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقاً عظيماً ، وقال شبيب ، لأصحابي : ارفعوا السيف عن الناس وادعواهم إلى البيعة ، فدعواهم إلى البيعة عند الفجر .

قال عبد الرحمن بن جندب : فكنتُ فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة دونه ، فكل من جاء لبايعه نزع سيفه عن عاتقه ، وأخذ سلاحه منه . ثم يدني من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ، ثم يخلني سبيله . قال : وإنما كذلك إذ انفجر الفجر ومحمد بن

موسى بن طلحة بن عبيد الله فى أقصى العسكر ، معه عصابة من أصحابه قد سبروا ، فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن . فلما سمع شبيب الأذان قال : ما هذا ؟ فقال : هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح ؛ فقال : قد ظننت أن حمقه وخيلاءه سيحمه على هذا ؛ نضحوا هؤلاء عنا وانزلوا بنا فلنصل . قال : فنزل فأذن هو ، ثم استقدم فصلى بأصحابه . فقرأ : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) ، و ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾ (٢) ، ثم سلم ، ثم ركبوا فتحمل عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه ، وثبت طائفة . قال فروة : فما أنسى قوله وقد غشيناه وهو يقاتل بسيفه وهو يقول : ﴿آلَمْ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ • وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣) . ٩٢٧/٢

قال : وضارب حتى قتل . قال : فسمعت أصحابى يقولون : إن شبيباً هو الذى قتله ثم . إننا نزلنا فأخذنا ما كان فى العسكر من شىء . وهرب الذين كانوا بايعوا شبيباً ، فلم يبق منهم أحد .

* * *

وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبى مخنف أمراً غير الذى ذكرته عنه ، والذى ذكر من ذلك أن عبد الملك بن مروان كان ولّى محمد بن موسى بن طلحة سجستان ، فكتب إليه الحججاج : إنك عامل كل بلد مررت به ، وهذا شبيب فى طريقك . فعدل إليه محمد ، فأرسل إليه شبيب : إنك امرؤ مخدوع ، قد اتقى بك الحججاج ، وأنت جار لك حق ، فانطلق لما أمرت به ولك الله لا آذيتك ، فأبى إلا محاربتة ، فواقفه شبيب ، وأعاد إليه الرسول ، فأبى إلا قتاله ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه البطين ثم قعب ثم سويد ، فأبى إلا شبيباً ، فقالوا لشبيب : قد رغب عنا إليك ، قال : فما ظنكم هذه (٤) الأشراف ! فبرز إليه شبيب ، وقال (٥) : إني أنشدك الله فى دميك ، فإن لك جيواراً . فأبى إلا قتاله ، فحمل عليه شبيب فضربه بعصا حديد

(٢) سورة الماعون ١ .

(١) سورة الهمة ١ .

(٤) ١ ، ب ، ف : « هاهم » .

(٣) سورة المنكبوت ١ - ٣ .

(٥) ب ، ف : « فقال » .

فيها اثنا عشر رطلا بالشأى ، فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ، ثم كفنه ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره ، فبعث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه وقال : هو جارى بالكوفة ، ولى أن أهب ما غنمت لأهل الردة . ٩٢٨/٢

قال عمر بن شبة : قال أبو عبيدة : كان محمد بن موسى مع عمر ابن عبيد الله بن معمر بفارس ، وشهد معه قتال أبي فديك وكان على ميمنته ، وشهير بالنجدة^(١) وشدة البأس^(٢) وزوجه عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان - فولاه سجستان ، فمر بالكوفة وبها^(٣) الحججاج بن يوسف ، فقيل للحجاج : إن صار هذا إلى سجستان مع نجدته وصهره لعبد الملك فلجأ إليه أحد ممن تطلب ، منعتك منه ؛ قال : فما الحيلة ؟ قيل : تأتبه وتسلم عليه ، وتذكر نجدته وبأسه وأن شيباً في طريقه ، وأنه قد أعياك ، وأنتك ترجو أن يريح الله منه على يده ، فيكون له ذكر ذلك وشهرته . ففعل ، فعدل إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فواقعه شبيب ، فقال له شبيب : إني قد علمت خداع الحججاج ، وإنما اغترت ووتى بك نفسه ، وكأني بأصحابك لو قد التقت حلقته البيطان قد أسلموك ، فصرعت متصرع أصحابك ؛ فأطعنى وانطلق لشأنك ، فلاني أنفست بك عن الموت ؛ فأبى محمد بن موسى ، فبارزه شبيب فقتله .

• • •

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال عبد الرحمن : لقد كان فيمن بايعته تلك الليلة أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، فلما بايعه قال له شبيب : ألسنت أبا بردة ! قال : بلى ؛ قال شبيب لأصحابه : يا أخلاقي ، أبو هذا أحد الحكمين ، فقالوا : ألا نقتل هذا ؟ فقال : إن هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه ؛ قالوا : أجل قال : وأصبح شبيب : فأتى مقبلاً نحو القصر الذي فيه أبو الضريس وأعين

(٢) ب ، ف : « والياس » .

(١) ب : « وكان مشهوراً » :

(٣) ب ، ف : « وفيها » .

فرموه بالنَّيْل ، وتحصَّنا منه ، فأقام ذلك اليوم عليهم ، ثمَّ شخص عنهم ، فقال له أصحابه : ما دون الكوفة أحد يمنعنا ، فنظر فإذا أصحابه قد جُرِّحوا^(١) ، فقال لهم : ما عليكم أكثر ممَّا قد فعلتم ، فخرج بهم على نِفَرٍ ، ثمَّ على الصَّراة ، ثمَّ على بَغْدَاد ، ثمَّ خرج إلى خانيجَتار فأقام بها .

وقال : ولمَّا بلغ الحجَّاجَ أن شبيبًا قد أخذ نحو نِفَرٍ ظنَّ أنه يريد المدائن — وهي باب الكوفة ، ومنَّ أخذ المدائن كان ما في يده من أرض الكوفة أكثر — فهال ذلك الحجَّاجَ ، وبعث إلى عثمان بن قَظَن ، ودعاه وسرَّحه إلى المدائن ، وودَّه منبرها والصلاة ومَعونة جُوخى كلثما وخِراج الأستان . فخرج مسرعًا حتَّى نزل المدائن ، وعزل الحجَّاجُ عبدَ الله بن أبي عَصِيفير ، وكان بها الجزل مقيمًا أشهرًا يُداوي جراحَتَه ، وكان ابن أبي عَصِيفير يعودُه ويكرمه ، فلمَّا قدم عثمانُ بن قطن المدائن لم يَعدُه ، ولم يَكن يَستعاهده

ولا يُلطفه بشيء ، فقال الجزل : اللهم زد ابنَ عَصِيفير جودًا وكرمًا وفضلًا ، ١٣٠/٢ وزد عثمانَ بن قطن ضيقًا وبُخلًا . قال : ثمَّ إن الحجَّاجَ دعا عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : انتخبِ الناس ، واخرج في طلب هذا العدو ، فأمره بنُخبة ستَّة آلاف ، فانتخب فرسان الناس ووجوههم ، وأخرج من قومه ستِّمائة من كِنْدَةَ وحتَّضرموت ، واستحثَّه الحجَّاجُ بالعسكر ، فعسكر بدير عبد الرحمن ، فلمَّا أراد الحجَّاجُ إشخاصَهُم كتب إليهم :

أما بعد ، فقد اعتدتم عادةَ الأذلاء ، ووايتمُّ الدُّبر يومَ الزَّحْف ، وذلك دأب الكافِرِينَ ، وإني قد صفحتُ عنكم مرَّة بعد مرَّة ، ومرَّة بعد مرَّة . وإني أقسم لكم بالله قَسَمًا صادقًا لئن عدتم لذلك لأوقعنَّ بكم إيقاعًا أكون أشدَّ عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب ، وتستترون منه بأثناء الأنهار والوادي^(٢) الجبال ، فخاف من له معقولٌ على نفسه ، ولم يَستجعل عليها سبيلًا ، وقد أعذر من أنذر

وقد أسمعت لَو نَادَيْتَ حَيًّا ولكن لا حياة لمن تُنادي^(٣)

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « حرجوا » . (٢) لوز الجبل : جانبه .

(٣) لعمر بن معد يكرب ، شرح العيون ٤٦٦ .

والسلام عليكم .

قال : ثم سرح ابن الأصم مؤذنته ، فأتى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث عند طلوع الشمس ، فقال له : ارتحل الساعة وناد في الناس : أن برئت الذمّة عن رجل من هذا البعث وجدناه متخلفاً . فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مرّ بالمدائن فنزل يوماً وليلة ، وتشترى أصحابه حوائجهم ، ثم نادى في الناس بالرحيل ، فارتحلوا ، ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ، ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته ، وسأله ساعة وحدثه . ثم إن الجزل قال له : يا بن عم : إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب ، وأحلاس الخيل ، والله إكأنما خلّقوا من ضلوعها ، ثم بنوا على ظهورها ، ثم هم أسد الأجسم ، الفارس منهم أشد من مائة ، إن لم تبدأ به بدأ ، وإن هُجج أقدم ، فإني قد قاتلتهم وبلوتهم ، فإذا أصحرت لهم انتصفوا مني ، وكان لهم الفضل على ، وإذا خندق علي وقاتلتهم في مضيق نلت منهم بعض ما أحب ، وكان لي عليهم الظفر ، فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا في تعبئة أو في خندق . ثم إنه ودّعه ، فقال له الجزل : هذه فرسي الفسيفساء ، خذها فإنها لا تجاري . فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب ، فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب إلى دقوقاء وشهرزور ، فخرج عبد الرحمن في طلبه ، حتى إذا كان على لتخوم أقام ، وقال : إنما هو في أرض الموصل ، فليقاتلوا عن بلادهم أو ليدعوه ، فكتب إليه الحجّاج بن يوسف :

أمّا بعد ، فاطلب شبيباً واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه ، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والخذ جنده .
والسلام .

٩٣٢/٢ مخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجّاج في طلب شبيب ، فكان شبيب يدّعه حتى إذا دنا منه بيته ، فيجده قد خندق على نفسه وحذر ، فيمضي ويدّعه ، فيتبعه عبد الرحمن ، فإذا بلغه أنه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل ، فإذا انتهى إليه وجدّه قد صف الخيل والرجال وأدى

المرامية ، فلا يصيبُ له غيرةٌ ولا له عيلةٌ ، فيمضي ويدعه .

قال : ولمّا رأى شبيبُ أنّه لا يصيب لعبد الرحمن غيرةٌ ولا يصل إليه ، جعل يتخرّج إذا دنا منه عبد الرحمن في خيله ، فينزل على مسيرةِ عشرين فرسخًا ، ثمّ يقيم في أرض غليظة حزنّة^(١) ، فيجىء عبد الرحمن ، فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فصار خمسةَ عشرَ أو عشرين فرسخًا ، فنزل منزلاً غليظًا خشنًا ، ثمّ يقيم حتّى يدنو عبد الرحمن .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب أن شبيبًا كان قد عذب ذلك العسكرَ وشقّ عليهم ، وأحى دوابّهم ، ولتقوا منه كلّ بلاء ، فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتّى مرّ به على خانقين ثمّ على جلولاء ثمّ على تامرا ، ثمّ أقبل حتّى نزل البت - قرية من قرى المتوصل على تخوم المتوصل ، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلاّ نهر يسمى حولايا - قال : وجاء عبدُ الرحمن بنُ محمد بن الأشعث حتّى نزل في نهر حولايا وفي راذان^(٢) الأعلى من أرض جُوخى ، ونزل عواقيل من النهر ، ونزلها عبدُ الرحمن حيث نزلها وهي تعجبه ، يرى أنّها مثل الخندق والحصن . قال : ٩٣٣/٢ وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن : إنّ هذه الأيام أيامُ عيدٍ لنا ولكم ، فإن رأيتم أن تُوادِعونا حتّى تمضي هذه الأيام فافعلوا . فقال له عبدُ الرحمن : نعم ، ولم يكن شيء أحبّ إلى عبدِ الرحمن من المطاولة والمواذعة . قال : وكتب عثمان بن قطن إلى الحجّاج :

أمّا بعد ، فإنّي أخبر الأميرَ أصلححه الله أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جُوخى كلّها خندقًا واحدًا ، ونخلّى شبيبًا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها . والسلام .

فكتب إليه الحجّاج :

أمّا بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرت لي عن عبد الرحمن ، وقد لعمري فعل

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « جدبة » . (٢) ب ، ف : « وهو في راذان » .

ما ذكرت ، فسير إلى الناس فأنت أميرهم ، وعاجل المارقة حتى تلقاهم ، فإن الله إن شاء الله ناصرهم عليهم . والسلام .

قال : وبعث الحجاج إلى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة ، وخرج عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر حنولابا قريباً من البت ، عشية الثلاثاء ، وذلك يوم التروية ، فنادى الناس وهو على بغلة : أيها الناس ، اخرجوا إلى عدوكم . فوثب إليه الناس ، فقالوا : نُنشِدُكَ اللهَ ، هذا المساءُ قد غُشِينَا ، والناس لم يُوطِنُوا أنفسهم على القتال ، فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبئة . فجعل يقول : لأناجزنهم ، ولتكوننَّ الفرصة لي أولهم . فاتاهم عبد الرحمن فأخذ بعنان دابته ، وناشده الله لما نزل ، وقال ^(١) له عَقِيلُ بنُ شَدَّادِ السَّلُولِي : إن الذي تريد من مُناجرتهم الساعة أنت فاعله ^(٢) غداً ، وهو غدٌ أخيرٌ

٩٣٤/٢

لك وللناس . إن هذه ساعة ریح وغبرة ، وقد أمسيت فانزل ، ثم أبكر بنا إليهم غدوة . فنزل ، فسفت عليه الريح ، وشتق عليه الغبار ، ودعا صاحب الخراج العُلُوج فبَسَنُوا له قُبَّةً فَبَاتَ فيها ، ثم أصبح يوم الأربعاء ، فجاء أهل البت إلى شبيب - وكان قد نزل ببيعتهم - فقالوا : أصلحك الله! أنت ترحم الضعفاء وأهل الجزية ، ويكلمك من تلى عليه ، ويشكون إليك ما نزل بهم فتنظر لهم ، وتكف عنهم ، وإن هؤلاء القوم جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر ، والله لئن بلغهم أنك مقيم في بيعتنا ليقتلننا إن قضيت لك أن تترحل عنا ، فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا ، قال : فإني أفعل ذلك بكم ، ثم خرج فنزل جانب القرية . قال : فبات عثمان ليلته كلها بحرّضهم ؛ فلما أصبح - وذلك يوم الأربعاء - خرج بالناس فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة ، فصاح الناس إليه ، فقالوا ^(٣) : نُنشِدُكَ اللهَ أن تخرج بنا في هذا اليوم ، فإن الريح علينا ! فأقام بهم ذلك اليوم ، وأراد شبيب قتالهم ، وخرج أصحابه ، فلما رأهم لم يخرجوا إليه أقام ، فلما كان

(٢) ب ، ف : « قادر عليه » .

(١) س : « فقال » .

(٣) ب ، ف : « وقالوا له » .

ليلة الخميس خرج عثمانُ فعبى الناسَ على أرباعِهِمْ ، فجعل كلُّ رُبْعٍ في جانبِ العسكرِ ، وقال لهم : اخرجوا على هذه التعبئة ، وسألهم : من كان على ميمنتكم ؟ قالوا : خالدُ بنُ نَهَيْك بنِ قيسِ الكِنْدِيِّ ، وكان على ٩٣٥/٢
ميسرتنا عَقِيل بنُ شَدَّادِ السَّلُولِيِّ ، فدعاهما فقال لهما : قفا مواقفكما التي كننا بها ، فقد وليتكما المَجْنَتَيْنِ ، فاثبتا ولا تنفرا ، فوالله لا أزول حتى يزول نَسْخَلُ راذان عن أصوله . فقالا : ونحن والله اللّذي لا إله إلا هو لا ننفِرُ (١) حتى نظفر أو نُقتَلَ ، فقال لهما : جزا كما اللهُ (١) خيراً . ثمّ أقام حتى صلّى بالناس الغداة ، ثمّ خرج فجعل ربع أهل المدينة تميم وهمندان نحو نهر حَوَلايا في الميسرة ، وجعل ربع كِنْدَةَ وربيعة ومدحج وأسَد في الميمنة ، ونزل يمشى في الرِّجَالِ ، وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلاً ، فقطع إليهم النهر ، فكان هو في ميمنة أصحابه ، وجعل على ميسرته سُوَيْد بنِ سُلَيْم ، وجعل في القلب مصاد بن يزيد أخاه ، وزحفوا وسما (٢) بعضهم لبعض .

قال أبو مخنف : فحدثني النَّضْر بنُ صالحِ العَبْسِيِّ أن عثمان كان يقول فيسكّر : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣) . أين المحافظون على دينهم ، المحامون عن فيثهم ! فقال عَقِيل بن شَدَّاد بن حُبَيْشِي السَّلُولِيُّ : لعلى أن أكون أحدَهم ، قتل أولئك يوم رُوذِبَار . ثم قال شبيب لأصحابه : إني حاملٌ على ميسرتهم ممّا يلي النهر ، فإذا هزمتها فليحمل صاحبُ ميسرتي على ميمنتهم ، ولا يبرح صاحب القلب ٩٣٦/٢ حتى يأتيه أمرى . وحمل في ميمنة أصحابه ممّا يلي النهر على ميسرة عثمان بن قَطَنٍ فانهزموا ، ونزل عَقِيل بنُ شَدَّادٍ فقاتل حتى قُتِل ، وقتل يومئذ مالكُ بنُ عبد الله الهمداني ثم المرهبي (٤) ، عمّ عيَّاش بن عبد الله بن عيَّاش المَسْتَوْف ، وجعل يومئذ عَقِيل بنُ شَدَّادٍ يقول وهو يُجالِدُهم :

لَأَضْرِبَنَّ بِالْحُسَامِ البَاسِيرَ ضَرْبَ غُلَامٍ مِنْ سَلُولٍ صَابِرِ

(١-١) ب و ف : « لا نفر نشهد الله الذي لا إله إلا هو علينا بذلك » .

(٢) ب ، ف : « وتسمى » . (٣) سورة الأحزاب ١٦ .

(٤) م ي ف ، المرهبي .

ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سُويد بن سليم في ميسرة شبيب على
 ميمنة عثمان بن قطن فهزّمها ، وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي ،
 فنزل خالد فقاتل (١) قتالاً شديداً ، وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على
 ربيع كندة وربيعه يومئذ ، وهو صاحب الميمنة ، فلم ينثن شبيب حتى علاه (٢)
 بالسيف فقتله ، ومضى عثمان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس
 والفرسان نحو القلب ، وفيه أخو شبيب في نحر من ستين رجلاً ، فلما دنا
 منهم عثمان بن قطن شدّ عليهم في الأشراف وأهل الصبر فصار بهم حتى
 فرقوا بينهم ، وحمل شبيب بالخيال من ورائهم ، فما شعروا إلا والرماح في
 أكتافهم تكبيتهم لوجوههم ، وعطيف عليهم سُويد بن سليم أيضاً في
 خيئله ، ورجع مصاد وأصحابه ، وقد كان شبيب رجلاً ، فاضطربوا
 ساعة ، وقاتل عثمان بن قطن فأحسن القتال . ثم إنهم شدوا عليهم فأحاطوا
 به ، وحمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها ،
 ثم قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٣) . ثم إن الناس قتلوه ، ثم قال يومئذ الأبرار بن
 ربيعة الكندي ، وكان على تل ، فألقى سلاحه إلى غلامه وأعطاه فرسه ،
 وقاتل حتى قُتل . ووقع عبد الرحمن فرآه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على
 بغلة فعرفه ، فنزل إليه فناوله الرمح وقال له : اركب ، فقال عبد الرحمن
 ابن محمد : أينما الرديف ؟ قال : ابن أبي سبرة : سبحان الله ! أنت الأمير
 تكون المقدم ، فركب وقال لابن أبي سبرة : ناد في الناس : الحقوا بدائر
 أبي مريم ، فنادى ، ثم انطلقا ذاهبين ، ودأى واصل بن الحارث السكوني
 فرس عبد الرحمن الذي حمله عليه الجوزل بسجول في العسكر ، فأخذها
 بعض أصحاب شبيب ، فظن أنه قد هلك ، فطلبه في القتلى فلم يجده ،
 وسأل عنه فقيل له : قد رأينا رجلاً قد نزل عن دابته فحمله عليها ، فما أخلقه
 أن يكون إياه ؛ وقد أخذها هنا آنفاً . فأتبعه واصل بن الحارث على
 برذونه ومع واصل غلامه على بغل ، فلما دنوا منها قال محمد بن
 أبي سبرة لعبد الرحمن : قد والله لحيق بنا فارسان ، فقال عبد الرحمن : فهل

(٢) ب ، ف : عطف .

(١) ب ، ف : « وقاتل » .

(٣) الأحزاب ٣٧ .

غيرُ اثنين ؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن : فلا يعجز اثنان عن اثنين :
 قال : وجعل يحدث ابن أبي سبيرة كأنه لا يكثر بهما ، حتى لحقهما
 الرجلان ، فقال له ابنُ أبي سبيرة : رحمتك الله ! قد لحقنا الرجلان ،
 فقال له : فانزل بنا ، فنزلا فانتضيا سيفيهما ، ثم مضيا إليهما ، فلما رأهما ٩٣٨/٢
 واصل عرفهما ، فقال (١) لهما : إنكما قد تركتما النزول في موضعه ، فلا تنزلا
 الآن ، ثم حسر العمامة عن وجهه ، فعرفاه فرحبا به ، وقال لابن الأشعث :
 إني لما رأيتُ فرسك يجولُ في العسكر ظننتُك راجلا ، فأتيتك ببرذوني هذا
 لركبته ، فترك لابن أبي سبيرة بغلته ، وركب البرذون ، وانطلق
 عبدُ الرحمنُ بنُ الأشعث حتى نزل ديار اليعار ، وأمر شبيب أصحابه
 فرفعوا عن الناس السيف ، ودعاهم إلى البيعة ، فأتاه من بقي من الرجال
 فبايعوه ، وقال له أبو الصقيير (٢) المحلبي : قتلت من الكوفيين سبعة في جوف
 النهر كان آخرهم رجلا تعلق بثربي وصاح ، ورهبنى حتى رهبته ، ثم
 إني أقدمت عليه فقتلته . وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من
 سائر الناس أو ستمائة ، وقتل عظيم العرفاء يومئذ .

قال أبو مخنف : حدثني قدامة بن حازم بن سفيان الخشعمي
 أنه قتل منهم يومئذ جماعة ، وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بديار
 اليعار ، فأتاه فارسان فصعدا إليه فوق البيت ، وقام آخرُ قريبا منهما فخلا
 أحدهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ، ثم نزل هو وأصحابه ، وقد كان الناس
 يتحدثون أن ذلك كان شبيبا ، وأنه قد كان كاتبه ، ثم خرج عبد الرحمن
 آخر الليل فسار حتى أتى ديار أبي مریم ، فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع ٩٣٩/٢
 لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبيرة صبر الشعير والقنت بعضه على بعض
 كأنه القصور ، ونحر لهم من الجزر (٣) ما شاءوا ، فأكلوا يومئذ ، وعلفوا دوابهم ،
 واجتمع الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له : إن سمع
 شبيب بمكانك أتاك وكنت له غنيمة ، قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم
 فالحق أيها الرجل بالكوفة . فخرج إلى الكوفة ورجع الناس أيضا ، وجاء

(١) ب ، ف : « وقال » . (٢) ط : « الصفر » . (٣) ا : « الجزور » .

فاختبأ من الحججاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك .

• • •

[نقش الدنانير والدرهم بأمر عبد الملك بن مروان]

وفي هذه السنة أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدرهم . ذكر الواقدي : أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك . قال : وحدثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، أن عبد الملك ضرب الدرهم والدنانير عامئذ ، وهو أول من أحدث ضربها .

قال : وحدثني خالد بن أبي ربيعة ، عن أبي هلال ، عن أبيه ، قال : كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة ، وكان العشرة وزن سبعة .

قال : وحدثني عبد الرحمن بن جرير اللبني عن هلال بن أسامة قال : سألت سعيد بن المسيب في كم تسجيب الزكاة من الدنانير ؟ قال : في كل عشرين مثقالاً بالشأى نصف مثقال ، قلت : ما بال الشأى من المصرى ؟ قال : هو الذي تضرب عليه الدنانير . وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب الدنانير ، كانت (٢) اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة ، قال سعيد . قد عرفته ، قد أرسلت بدنانير إلى دمشق فضربت على ذلك .

• • •

وفي هذه السنة : وفد يحيى بن الحَكَم على عبد الملك بن مروان وولي أبان بن عثمان المدينة في رجب .

وفيهما استنقضي أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خديش من بني عامر بن لؤي .

وفيهما ولد مروان بن محمد بن مروان .

وأقام الحج للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وكان على الكوفة والبصرة الحججاج بن يوسف ، وعلى خراسان أمية بن عبدالله بن خالد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى البصرة زرارة بن أوفى .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

[محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلها]

في هذه السنة قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية
* ذكر الخبر عن سبب مقتلها :

٩٤١/٢ وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام^(١) عن أبي مخنف ، عن عبد الرحمن
ابن جندب وفروة بن لقيط ، أن شبيباً لما هزم الجيش الذي كان
الحجاج وجهه^(٢) مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إليه ، وقتل عثمان
ابن قطن ، وذلك في صيف وحر شديد ، اشتد الحر عليه وعلى أصحابه ،
فأتى ما به شهزاذان فتصيف بها ثلاثة أشهر ، وأتاه ناس كثير ممن يطلب
الدنيا فليحقوا به ، وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تباعات ؛
كان منهم رجل من الحمي يقال له الحر بن عبد الله بن عوف ، وكان
دهقانان من أهل نهر درقيط قد أساء إليه وضيقاً عليه ، فشد عليهما
فقتلتهما ، ثم لحق بشبيب فكان معه بماه ، وشهد معه موطنه حتى
قتل ، فلما آمن الحجاج كل من كان خترح إلى شبيب من أصحاب
المال والتباعات - وذلك بعد يوم السبت - خرج إليه الحر فيمن خرج ،
فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجاج ، فأتى به فدخل ، وقد
أوصى ويثيس من نفسه ، فقال له الحجاج : يا عدو الله ، قتلت رجلين
من أهل الخراج ! فقال له : قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا ، فقال :
وما هو ؟ قال : خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ، ثم آمنت كل من
٩٤٢/٢ خرج إليك ، فهذا أمانى وكتابك لي . فقال له الحجاج : أولى لك ! قد
لعمري فعلت ، ونحلتى سبيله .

قال : ولما انفسخ الحر عن شبيب خرج من ماه في نحو من ثمانمائة
رجل ، فأقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة ، فجاء

(١) ب ، ف بعدها : « بن محمد » . (٢) ب ، ف : « وجهه الحجاج » .

حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان، فكتب ما ذروا سب عظيم بابل مهروذ إلى الحجّاج :

أمّا بعد : فإني أخير الأمير أصلحه الله أن شبيبا قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة ، ولا أدري أين يريد !

فلما قرأ الحجّاج كتابته قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثن إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على الأواء والغیظ منكم ، فيقاتلون عدوكم ، ويأكلون فيئكم .

فقام إليه الناس من كل جانب ، فقالوا : نحن نقاتلهم ونعيب الأمير ، فليندبنا الأمير إليهم فإننا حيث سره . وقام إليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستم قائماً حتى يؤخذ بيده . فقال له : أصلح الله الأمير ! إنك إنما تبعث إليهم الناس متقطعين ، فاستنفر الناس إليهم كافة فليستفروا إليهم كافة^(١) ، وبعث عليهم رجلاً ثبثا شجاعاً مجرباً للحرب ممن يرى الفرار هضمًا وعارًا والصبر مجداً وكرماً . فقال الحجّاج : فأنت ذاك فاخرج ، فقال : أصلح الله الأمير ! إنما يصلح للناس في^(٢) هذا رجل يتحمّل الرمح والدرع ، ويهزّ السيف ، ويثبت على متن الفرس ، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً ، وقد ضعف بصرى وضعفت ، ولكن أخرجني في الناس مع الأمير ، فإني إنما أثبت على الراحلة^(٣) فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأى . فقال له الحجّاج : جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيراً ، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً . فقد نصحت وصدقت ، أنا مخرج الناس كافة . ألا فسيروا أيها الناس . فانصرف الناس فجعلوا يتسرون وليس يتدرون من أميرهم !

وكتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان :

أمّا بعد ، فإني أخير أمير المؤمنين أكرمه الله أن شبيبا قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة ، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة ، في

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فليستفروا إليهم » (٢) ١ ، س : « الناس في هذا » .

(٣) س : « الرجالة » .

كلها يقتلُ أمراءهم . ويقتلُ جنودهم . فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث
إلى أهل الشام فيقاتلوا^(١) عدوهم ويأكلوا بلادهم فليُفعل . والسلام .

فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف .

٩٤٤/٢ وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي^(٢) من مَذْحِجٍ في ألفين . فسرَّحهم
حين أتاه الكتاب إلى الحجَّاج . وجعل أهل الكوفة يتجهزون إلى شبيب
ولا يدرون من أميرهم ! وهم يقولون : يبعث فلاناً أو فلاناً ، وقد بعث
الحجَّاج إلى عتَّاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خييل الكوفة مع المهلب .
وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان يبشُر بن مروان بعث
عبد الرحمن بن مخنف عليهم إلى قطرى . فلم يلبث عبد الرحمن بز
مخنف إلا نحواً من شهرين حتى قدم الحجَّاج على العراق . فلم يلبث
عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجَّاج إلا رَجَبَ وشعبان .
وقتل قطرى عبد الرحمن في آخر رمضان . فبعث الحجَّاج عتَّاب بن
ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن
ابن مخنف ، وأمر الحجَّاج عتَّاباً بطاعة المهلب . فكان ذلك قد كتب على
عتَّاب ، ووقع بينه وبين المهلب شر . حتى كتب عتَّاب إلى الحجَّاج
يستغفیه من ذلك الجيش ويضمه إليه . فلما أن جاءه كتاب الحجَّاج
بإتيانه سرَّ بذلك .

قال : ودعا الحجَّاج أشرف أهل الكوفة : فيهم زهرة بن حويبة
السعدي من بني الأعرج ، وقبيصة بن واثق التغلبي ، فقال لهم : من
تروون أن أبعث على هذا الجيش ؟ فقالوا : رأيتك أيتها الأمير أفضل ؛ قال :
٩٤٥/٢ فإني قد بعثتُ إلى عتَّاب بن ورقاء : وهو قادمٌ عليكم الليلة أو القابلة ،
فيكون هو الذي يسير في الناس^(٣) ؛ قال زهرة بن حويبة : أصلح الله الأمير !
رمتهم بحجرهم ، لا والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل .
وقال له قبيصة بن واثق : إني مشيرٌ عليك برأبي ، فإني يكن خطاً فبعد

(١) ب ، ف : « فليقاتلوا » . (٢) بعد ما في ب ، ف : « من حكم سعد المشيرة » .

(٣) ب ، ف : « بالناس » .

اجتهادى فى النصيحة لأمير المؤمنين والأئمة ولعامّة المسلمين ، وإن يك صواباً فاللهُ سدّ دنى له : إنّا قد تحدّثنا وتحدّث الناسُ أن جيشاً قد فصل إليك من قبيل الشام . وأن أهل الكوفة قد هُزِموا وفلّثوا واستخفّوا بالصبر ، وهان عليهم عارُ الفِرار . فقلوبهم كأنّها ليست فيهم . كأنّما هى فى قوم آخرين ، فإن رأيت أن تبعث إلى جيشك الذى أمددت به من أهل الشام . فياخذوا حذرهم . ولا يبيتوا إلا وهم يرون أنّهم مُبيّتون فعلت ، فإنك تُحارب حوّلاً قلبياً ، ظمّعانا رحّالاً ، وقد جهّزت إليه أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كلّ الثقة ، وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الذين بُعثوا إليك من الشام . إن شبيباً بينا هو فى أرض إذ هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتيتهم وهم غارون فإن يهلكوا نهلك ويهلك العراق . فقال : لله أنت ! ما أحسن ما رأيت ! وما أحسن ما أشرت به على !

قال : فبعث عبد الرحمن بن الغريق مولى عتّيل إلى من أقبل من أهل الشام ، فأناهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجّاج :

أما بعد . فإذا حاذيتم هيت^(١) فدعوا طريق الفرات والأنبار ، وخذوا على عين التمر حتى تقدموا الكوفة إن شاء الله ، وخذوا حذرکم ، وعجلوا السّير . والسلام .

٩٤٦/٢

فأقبل القومُ سِراعاً . قال : وقدم عتاب بن ورقاء فى الليلة التى قال الحجّاج إنّه قادم عليكم فيها ، فأمره الحجّاج فخرج بالناس فعسكر بهم بحمام أعين ، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كلبواذآ فقطع منها دجلة ، ثم أقبل حتى نزل مدينة بتهرسير الدنيا ، فصار بينه وبين مطرف بن المغيرة ابن شعبة جسر دجلة .

فلما نزل شبيب مدينة بتهرسير قطع مطرف الجسر . وبعث إلى شبيب : أن ابعث إلى رجالا من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن ، وأنظر فيما تدعو إليه . فبعث إليه شبيب رجالاً من وجوه أصحابه ، فيهم قعنب وسويد والمحلل ، فلما أرادوا أن ينزلوا فى السفينة بعث إليهم شبيب ألا

(١) : « فإذا حاربتم هيت » .

تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسول من عند مطرف ، فرجع الرسول .
 وبعث إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا
 رهناً في يدي حتى ترد علي أصحابي . فقال مطرف لرسوله : القه وقل
 له : كيف آمنك أنا على أصحابي إذا أنا بعثتهم الآن إليك . وأنت
 لا تأمنني على أصحابك ! فرجع الرسول إلى شبيب فأبلغه ، فأرسل إليه
 شبيب : إنك قد علمت أننا لا نستحل الغدر في ديننا ، وأنتم تفعلونه
 وتستحلونه ، فبعث إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وسليمان بن
 حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاه وراحم حرسه ،
 فلما صاروا في يدي^(١) شبيب سرح إليه أصحابه ، فأتوا مطرفاً فمكثوا أربعة
 أيام يتراسلون ، ثم لم يتفقوا على شيء ، فلما تبين لشبيب أن مطرفاً غير
 تابعه ولا داخل معه تهيأ للمسير إلى عتّاب بن ورقاء وإلى أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعا رءوس
 أصحابه فقال لهم : إنّه لم يثبطني على رأي قد كنت وليته إلا هذا الشقي
 منذ أربعة أيام ، قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى
 ألقى هذا الجيش المقبل من الشام رجاء أن أصادف غيرتهم أو يحذروا
 فلا أبالي كنت ألقاهم منقطعين من الميصر ، ليس عليهم أمير كالحجاج
 يستندون إليه ولا ميصر كالكوفة يعتصمون به ؛ وقد جاءني عيوني اليوم
 فخبروني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر ، فهم الآن قد شارفوا الكوفة .
 وجاءني عيوني من نحو عتّاب بن ورقاء فحدثوني أنه قد نزل بجماعة أهل
 الكوفة الصراة ، فما قرب ما بيننا وبينهم ! فتيسروا بنا للمسير إلى عتّاب بن ورقاء .

قال : وخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله إلى شبيب
 الحجاج ، فخرج نحو الجبال ، وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون
 بين شبيب وعتّاب ، فأرسل إليه شبيب : أما إذ لم تباعني فقد نبذت إليك
 على سواء . فقال مطرف لأصحابه : اخرجوا بنا وافريز فإن الحجاج
 سيقاتلنا ، فيقاتلنا وبنا قوة أمثل . فخرج ونزل المدائن ، فعقد شبيب الجسر ،

(١) ب ، ف : « يد شبيب » .

وبعث إلى (١) المدائن أخاه مصادا ، وأقبل إليه عتّاب حتى نزل بسوق حكمة ، وقد أخرج الحجّاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ، ومن نشط إلى الخروج (٢) من شبابهم (٣) ، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفا سوى الشباب ، ووافى مع عتّاب يومئذ أربعون ألفا من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة ، فكانوا خمسين ألفا ، ولم يدع الحجّاج قرشيّا ولا رجلا من بيوتات العرب إلا أخرجّه .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب ، قال : سمعتُ الحجّاج وهو على المنبر حين وجهه عتّابا إلى شبيب في الناس وهو يقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا مع عتّاب بن ورقاء بأجمعكم ، لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلا رجلا قد وليناه من أعمالنا . ألا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة ، ألا وإن للناكل الهارب (٤) الهوان والجفوة . واللذّي لا إله غيره لن فعلتم في هذا الموطن كفعلكم في المواطن التي كانت لأولينكم كفا نخشنا ، ولأعركنكم بكل كل ثقيل . ثم نزل ، وتوافى الناس مع عتّاب بسوق حكمة .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : عرضنا شبيب بالمدائن فكنا ألف رجل ، فقام فينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر المسلمين ، إن الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلا . وأنقص منه قليلا ، فأنتم اليوم مئون ومئون ، ألا إني مصل الظهر ثم سائر بكم . فصلّى الظهر ثم نودي في الناس : يا خيل الله اركبي وأبشيري . فخرج في أصحابه ، فأخذوا يتخلفون ويتأخرون ، فلما جاوزنا ساباط ونزلنا معه قص علينا وذكرنا بأيام الله . وزهدنا في الدنيا ، ورجبنا في الآخرة ساعة طويلة ، ثم أمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدم فصلّى بنا العصر ، ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتّاب بن ورقاء وأصحابه ، فلما أن رأهم من ساعتهم نزل وأمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدم فصلّى بنا المغرب ،

٩٤٩/٢

(١) : «على المدائن» . (٢) : «للخروج» . (٣) : «من شبابهم» .

(٤) : «الناكل للهارب» : «الناكب الهارب» .

وكان مؤذنه سلام بن مسيار الشيباني ، وكانت عيون عتّاب بن ورقاء قد جاءوه فأخبروه أنه قد أقبل إليه ، فخرج بالناس كلهم فعبأهم ، وكان قد خندق أول يوم نزل ، وكان يُظهِر كل يوم أنه يريد أن يسير^(١) إلى شيب بالمداين^(٢) ، فبلغ ذلك شيبياً ، فقال : أسيرُ إليه أحبّ إلى من أن يسير إلى ، فاتاه ، فلما صفّ عتّاب الناس بعث على ميمته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وقال : يا بن أخي ، إنك شريف فاصبر وصابر ، فقال : أما أنا فوالله لأقاتلن ما ثبتت معي إنسان. وقال لقبیصة بن والقي - وكان يومئذ على ثلث بني تغلب : اكفني الميسرة . فقال : أنا شيخ كبير ، كثير مني أن أثبت^(٣) تحت رأيتي . قد انبت مني^(٤) القيام ، ما أستطيع القيام إلا أن أقام ؛ ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن عليّ التغلبيّان - وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب - فقال : ابعث أيتهما أحببت ، فأيتهما بعثت فلتبعن ذا حزم وعزم^(٥) وغناء . فبعث نعيم بن عليّ على ميسرته ، وبعث حنظلة بن الحارث البربوعي - وهو ابن عم عتّاب شيخ أهل بيته - على الرجالة ، وصفّهم ثلاثة صفوف : صفّ فيهم الرجال معهم السيوف ، وصفّ وهم^(٥) أصحاب الرماح ، وصفّ فيه المرامية ، ثم سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمرّ بأهل راية راية ؛ فيحثّهم على تقوى الله ، ويأمرهم بالصبر ويتقصّ عليهم .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله أن تميم بن الحارث الأزدي قال : وقف علينا فتمصّ علينا قصصاً كثيراً ، كان ممّا حفظتُ منه ثلاث كلمات ؛ قال : يا أهل الإسلام ، إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصّابرين ، ألا ترون أنه يقول : ﴿واصبروا إن الله مع الصّابرين﴾^(٦) ! فنحمد الله فعله فما أعظم

(١ - ١) ب ، ف : « يلقى شيبيا بالمداين وأن يسير إليه » .

(٢) ١ : « أبيت » . (٣) ب ، ف : « فقد انبت » .

(٤) ١ : « وحد » . (٥) ب ، ف : « قبلهم » . (٦) سورة الأنفال ٤٦ .

درجته ، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغى ؛ ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ، لا يرون إلا أن ذلك لهم قرابة عند الله ! فهم شيرار أهل الأرض وكيلاب أهل النار ، أين القصاص ؟ قال ذلك فلم يُجيبه والله أحدٌ مِنَّا ؛ فلما رأى ذلك ، قال : أين من يروى شعر عنترة ؟ قال : فلا والله مارَدَ عليه إنسان كلمة . فقال : إننا لله ! كأنى بكم قد فررتم عن عتّاب بن ورقاء وتركتموه تسيى في استه الرياح .

ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حويّة جالس وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهنم العدوي . وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد تخلف عنه من الناس أربعمائة . فقال : لقد تخلفنا من لا أحب أن يروى فينا . فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى الميسرة ، وبعث المحلل بن وائل في مائتين إلى القلب ، ومضى هو في مائتين إلى الميسرة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر ، فناداهم : لِمَن هذه الرايات ؟ قالوا : رايات ربيعة . فقال : شبيب : رايات طالمنا نصرت الحق ، وطالمنا نصرت الباطل ، لها في كل نصيب ، والله لأجاهدكنم محتسباً للخير في جهادكم . أنتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو المدائن ، لا حُكْمَ إلا لِلْحَكَمِ ، اثبتوا إن شئتم . ثم حمل عليهم وهو على^(١) مسنأة أمام الخنث ففضّهم ، فثبت أصحاب رايات قبضة بن والقي وعبيد بن الحليّس ونعيم بن عليم ، فقتلوا ، وانزمت الميسرة كلُّها وتنادى أناس من بني تغلب : قتل قبضة بن والقي . فقال شبيب : قتلتم قبضة بن والقي التغلبي يا معشر المسلمين ! قال الله :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾^(٢) ، هذا مثل ابن عمك قبضة بن والقي ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم جاء يُقاتلكم مع الكافرين ! ثم وقف عليه فقال : ويحك ! لو ثبت على إسلامك الأول سعدت ، ثم حمل من الميسرة على عتّاب بن ورقاء . وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن ،

٩٥٢/٢

(٢) سورة الأعراف ١٧٥ .

(١) : « في مسنأة » .

فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمئذان ، فأحسنوا القتال ، فما زالوا كذلك حتى أتوا فقيلاً لهم : قُتِلَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ، فَاذْفَضُّوا ، وَلَمْ يَزَلْ عَتَّابٌ جَالِسًا عَلَى طَنْفِيسَةٍ فِي الْقَلْبِ وَ زُهْرَةَ بْنِ حَوَيْبَةَ مَعَهُ ، إِذْ غَشِيَتْهُمْ شَيْبٌ ، فَقَالَ لَهُ عَتَّابٌ : يَا زُهْرَةُ بْنُ حَوَيْبَةَ ، هَذَا يَوْمٌ كَثُرَ فِيهِ الْعَدَدُ ، وَقُتِلَ فِيهِ الْغَنَاءُ ، وَالْهَيْ عَلَى خَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ نَحْوِ رِجَالِ تَمِيمٍ مَعِيَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ ! أَلَا صَابِرٌ لِعَدُوِّهِ ! أَلَا مُؤَاسٍ بِنَفْسِهِ ! فَاذْفَضُّوا عَنْهُ وَتَرَكَوهُ ، فَقَالَ لَهُ زُهْرَةُ : أَحْسَنْتَ يَا عَتَّابُ ، فَعَلْتَ فَعْلَ مِثْلِكَ ، وَاللَّهِ وَاللَّهُ لَوْ مَنْحَتَهُمْ كَتَفَكَ مَا كَانَ بِقَاوِكَ إِلَّا قَلِيلًا ، أَبْشِرْ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَهْدَى إِلَيْنَا الشَّهَادَةَ عِنْدَ فَنَاءِ أَعْمَارِنَا ، فَقَالَ لَهُ : جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا جِزَى أَمْرًا^(١) بِمَعْرُوفٍ وَحَائِثًا عَلَى تَقْوَى .

فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ شَيْبٌ وَثَبَ فِي عَصَابَةٍ صَبْرَتْ مَعَهُ قَلِيلَةٌ ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارُ بْنُ يُزَيْدِ الْكَلْبِيِّ مِنْ بَنِي الْمَدِينَةِ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ قَدْ هَرَبَ عَنْكَ فَاذْفَضُّ^(٢) مَعَهُ أَنَاسٌ كَثِيرٌ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ فَرَ قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَمَا رَأَيْتُ ذَلِكَ الْفَتَى يُبَالِي مَا صَنَعَ ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ سَاعَةً وَهُوَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ مَوْطِنًا لَمْ أُبْتَلْ بِمِثْلِهِ قَطُّ أَقْلَ مَقَاتِلًا وَلَا أَكْثَرَ هَارِبًا خَاذِلًا ، فَرَأَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ مِنْ أَصْحَابِ شَيْبٍ مِنْ بَنِي زَيْدِ بْنِ عَمْرِو يُقَالُ لَهُ عَامِرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ عَمْرِو ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَ دَمًا فِي قَوْمِهِ ، فَلَحِقَ بِشَيْبٍ ، وَكَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ ، فَقَالَ لِشَيْبٍ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُظْنَ هَذَا الْمُتَكَلِّمَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ! فَحَمَلُ عَلَيْهِ فَطَعَنَتْهُ ، فَوَقَعَ فَكَانَ هُوَ وَوَلِيَّ قَتْلِهِ . وَوَطِئَتْ الْخَيْلُ زُهْرَةَ بْنَ حَوَيْبَةَ ، فَأَخَذَ يَبْذُبُ بِسَيْفِهِ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ ، فَجَاءَ الْفَضْلُ بْنُ عَامِرِ الشَّيْبَانِيِّ فَتَقَتَّلَهُ ، فَانْتَهَى إِلَيْهِ شَيْبٌ فَوَجَدَهُ صَرِيعًا فَعَرَفَهُ ، فَقَالَ : مَنْ قَتَلَ هَذَا ؟ فَقَالَ الْفَضْلُ : أَنَا قَتَلْتَهُ ، فَقَالَ شَيْبٌ : هَذَا زُهْرَةُ حَوَيْبَةَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْ كُنْتُ قَتَلْتُ عَلَى ضَلَالَةٍ لَرَبِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ حَسُنَ فِيهِ بِلَاؤُكَ ، وَعَظُمَ فِيهِ غَنَاؤُكَ ! وَلَرَبَّ خَيْلٍ لِلْمُشْرِكِينَ قَدْ هَزَمَتْهَا ، وَسَرِيَّةٍ لَهُمْ قَدْ

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أمر المعروف » . (٢) ب ، ف : « وانصفق عنك » .

ذعرتها^(١) وقرية من قراهم جثم^(٢) أهلها قد افتتحتها ، ثم كان في عليم الله أن تقتل ناصراً للظالمين !

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط قال : رأيناه والله توجع له ، فقال رجل من شبان بكر بن وائل : والله إن أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين ! قال : إنك لست بأعرف بفضالتهم مني ، ولكني أعرف من قديم أمرهم مالا تعرف ، ما لو ثبتوا عليه كانوا إخواناً . وقتل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي ، وقتل أبو خبيشة بن عبد الله يومئذ ، واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس ، فقال : ارفعوا عنهم السيف ، ودعا إلى البيعة ، فبايعه الناس من ساعتهم ، وهربوا من تحت ليلتهم ، وأخذ شبيب يبايعهم . ويقول : إلى ساعة يهزبون . وحرى شبيب على ما في العسكر ، وبعث إلى أخيه . فأناه من المدائن . فلما وافاه بالعسكر أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرّة يومين . ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة . وقد نزل سفينان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مدنجيج فيمن معهما من أهل الشام الكوفة . فشدا وللحجاج ظهرة ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة . فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أهل الكوفة ، فلا أعزّ الله من أراد بكم العزّ . ولا نصّر من أراد بكم النصّر ، اخرجوا عنّا . ولا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملاً ، ومن لم يكن شهيداً قتال عتّاب بن ورقاء .

٩٥٥/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : والله لآخرنا نتبع آثار الناس ، فانتهي إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وهما يمشيان كأنني أنظر إلى رأس عبد الرحمن قد امتلأ طيناً ، فصدت عنهما ، وكرهت أن أذعراهما ، ولو أني أودن بهما أصحاب شبيب لقتلنا مكانهما . وقلت في نفسي : لئن سقت إلى مثليكما من قومي القتل ما أنا برشيد الرأي : وأقبل شبيب حتى نزل الصّراة .

(١) كذا في ١، وفي ط : « أغرتها » ، وفي ب ، ف : « فلتها » . (٢) ١ : « حم أهلها » .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن سوار أن شبيباً خرج يريد الكوفة ، فانتهى إلى سورا ، فندب الناس ، فقال : أيُّكم يأتي برأس عامل سورا ؟ فانتدب له بطينٌ وقعنَّب وسويد ورجلان من أصحابه ، فساروا مُغذِّين حتى انتهوا إلى دار الخراج والعُمَّال في سمرججة^(١) ، فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا : أجيئوا الأمير ، فقالوا : أيُّ الأمراء ؟ قالوا : أميرٌ خرج من قبيل الحجَّاج يريد هذا الفاسق شبيباً ، فاغتر بذلك العامل منهم . ثم إنهم شهروا السيوف وحمكّموا حين وصلوا إليه فضربوا عنقه ، وقبضوا على ما كان من مال ، ولحقوا بشبيب . فلما انتهوا إليه قال : ما أسدى أتيتمونا به ؟ قالوا : جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال^(٢) ، والمال على دابة في بدوره ، فقال شبيب : أتيتمونا بفتنة للمسلمين ، هلُمَّ المحرَّبة يا غلام ، فخرق بها البدور ، وأمر فنخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصرّاة ، فقال : إن كان بقي شيء فاقذفه في الماء . ثم خرج إليه سفّيان بن الأبرد مع الحجَّاج . وكان أتاه قبل خروجه معه ، فقال : ابعثنى أستقبله قبل أن يأتيك . فقال : ما أحب أن نفرق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا .

[ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية]

وفي^(٣) هذه السنة دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجَّاج :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن موسى بن سوار ، قال : قدِم سبيرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة ، وكان مطرف بن المغيرة كتب إلى الحجَّاج : إن شبيباً قد أطلّ عليّ ، فابعث إلى المدائن بعثاً . فبعث إليه سبيرة بن عبد الرحمن ابن مخنف في مائتي فارس ، فلما خرج مطرف يريد الجبل خرج بأصحابه

(١) في اللسان : « السمرج يوم جباية الخراج » . (٢) ب ، ف : « أمواله » .

(٣) قبلها في ١ : « قال محمد بن جرير » .

معهم وقد أعلمهم ما يريد . وكنتم ذلك سبيرة . فلما انتهى إلى دسكرة الملك
دعا سبيرة فأعلمه ما يريد ، ودعاه إلى أمره ، فقال له : نعم أنا معك . فلما
خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم . وأقبل بهم فصادف^(١) عتّاب
ابن ورقاء قد قُتِل وشبيباً قد مضى إلى الكوفة ، فأقبل حتى انتهى
إلى قرية يقال لها بيطري . وقد نزل شبيب حَمَامَ عُمَر . فخرج سبيرة
حتى يعبر الفرات في معبر قرية شامى . ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجّاج ،
فوجد أهل الكوفة مسخوطيناً عليهم ، فدخل على سُفْيَانِ بْنِ الْأَبْرَدِ . فقَصَّ
قصته عليه^(٢) وأخبره بطاعته وفراقه مُطَرَفًا ، وأنه لم يشهد عتّاباً ولم يشهد
هزيمةً في موطن من موطن أهل الكوفة . ولم أزل للأمير عاملاً . ومعى مائتا
رجل لم يشهدوا معى هزيمةً قطّ ، وهم على طاعتهم^(٣) ولم يدخلوا في فتنة .
فدخل سُفْيَانُ إِلَى الْحِجَّاجِ فخبّره بخبر^(٤) ما قصّ عليه سبيرة بن
عبد الرحمن ، فقال : صدق وبرّ ! قلّ له : فليشهد معنا لقاء عدونا ،
فخرج إليه فأعلمه ذلك . وأقبل شبيب حتى نزل موضع حَمَامَ أَعْيَن ،
ودعا الحجّاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثَّقَفِيّ فوجهه في
ناس من الشّرّط لم يكونوا شهداء يوم عتّاب ، ورجالا كانوا عمّالاً في نحو من
مائتي^(٥) رجل من أهل الشام ، فخرج في نحو من ألف . فنزل زُرّارة .
وبلغ ذلك شبيباً . فتعجّل إليه في أصحابه . فلما انتهى إليه حمل عليه
فقتلته . وهزّم أصحابه . وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة . وجاء شبيب
حتى قطع الجسر . وعسكر دونه إلى الكوفة ، وأقام شبيب في عسكره ثلاثة
أيّام : فلم يكن في أول يوم إلا قتل الحارث بن معاوية . فلما كان في
اليوم الثاني أخرج الحجّاج مواليتهم وغلمانهم عليهم السلاح . فأخذوا^(٦) بأفواه
السكّك ممّا يلي الكوفة . وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سيكتكهم ،
ونخشوا إن لم يخرجوا متوجّدة الحجّاج وعبد الملك بن مروان . وجاء شبيب

٩٥٧/٢

٩٥٨/٢

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فصادف » . (٢) ب ، ف : « فقص عليه قصته » .

(٣) ف : « طاعته » . (٤) ب ، ف : « فأخبره بخبر هؤلاء وبخبر ما قص عليه » .

(٥) ب ، ف : « فارس » . (٦) ب ، ف : « وأخذوا » .

حتى ابنتي مسجداً في أقصى السَّبَخَةِ مما يلي موقف أصحاب القت عند الإيوان ، وهو قائمٌ حتى الساعة ، فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجَّاجَ أبا الوَرْدَ مولى له عليه تَجْفَافٌ ، وأخرج مجففة كثيرة وغلماناً له ، وقالوا : هذا الحجَّاج ، فَحَمَلَ عليه شبيبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحجَّاج فقد أَرَحْتُكُمْ منه .

ثم إن الحجَّاجَ أخرج له غلامه طُهْمَانَ في مثل تلك العُدَّة على مثل تلك الهيئة ، فَحَمَلَ عليه شبيبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحجَّاج فقد أَرَحْتُكُمْ منه .

ثم إن الحجَّاجَ خرج ارتفاعَ النهار من القَصْرِ فقال : اثتوني ببغَلٍ أركبُه ما بيئني وبين السَّبَخَةِ ، فأتى ببغَلٍ محجَّلٍ ، فقيل له : إن الأعاجمَ أصلحك الله تَطْيِيرٌ^(١) أن تَرَكَّبَ في مثل هذا اليوم مثل هذا البغَلِ ، فقال : أدنوه مِنِّي ، فإنَّ اليوم يومٌ أغرَّ محجَّلٍ ، فركبه ثمَّ خرج في أهل الشام حتى أخذ في سكة البريد ، ثمَّ خرج في أعلى السَّبَخَةِ ، فلما نظر الحجَّاجَ إلى شبيب^(٢) وأصحابه نزل ، وكان شبيب في سِتِّمِائَةِ فارس . فلما رأى الحجَّاجَ قد خرج إليه أقبل بأصحابه ، وجاء سبيرة بن عبد الرحمن إلى الحجَّاجَ فقال : أين يأمرني الأمير أن أقف ؟ فقال : قف على أفواه السكك ، فإن

٩٥٩/٢

جاءوكم فكان فيكم قتالٌ فقاتلوا ، فانطلق حتى وقف في جماعة الناس ، ودعا الحجَّاجَ بكرسى له فقعد عليه ، ثمَّ نادى : يا أهل الشام ، أنتم أهلُ السَّمْعِ والطاعة والصبر واليقين ، لا يغلبن باطلٌ هؤلاء الأرجاس حَقَّكُمْ ، غضوا الأبصار ، واجشوا على الرِّكَّابِ ، واستقبلوا القوم بأطراف الأسننة ، فجهتوا على الركب ، وأشرعوا الرماح . وكانهم حتررة سوداء . وأقبل إليهم شبيب حتى إذا دنا منهم عبى أصحابه ثلاثة كتراديس ، كتيبة معه ، وكتيبة مع سُويد بن سليم ، وكتيبة مع المحلل بن وائل . فقال لسويد : احمل عليهم في خيلك ، فَحَمَلَ عليهم ، فثبَّتوا له ، حتى إذا غشي أطراف الأسننة وثبوا في وجهه ووجوه أصحابه ، فطعنوهم^(٣) قدماً حتى انصرف ،

(١) : « تطير » . (٢) ب ، ف : « فلما رأى الحجَّاجَ شبيباً » . (٣) ب ، ف : « فطعنوه » .

وصاح الحجّاج : يا أهل السّمع والطاعة ، هكذا فافعلوا . قدّم كُرسىّ يا غلام ، وأمر شبيب المحلّل فتحمّل عليهم ، ففعلوا به مثل ما فعلوا بسويد ، فناداهم الحجّاج : يا أهل السمع والطاعة ؛ هكذا فافعلوا ، قدّم كُرسىّ يا غلام .^(١)

ثمّ إنّ شبيباً حمّل عليهم في كتيبته فثبّتوا له ، حتّى إذا غشى أطراف الرّماح وثبّوا في وجهه ، فقالت لهم طويلاً . ثمّ إنّ أهل الشام طعّسوه قدّمًا حتّى ألحقّوه بأصحابه . فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد ، احمّل في خيالك على أهل هذه السكة - يعنى سيكّة لحام جرير - لعلك تزيل أهلها عنها . فتأى الحجّاج من ورائه ، ونحّل نحن عليه من أمامه . فانفرد سويد بن سليم فتحمّل على أهل تلك السكة ، فرمى من فوق البيوت وأفواه السكك . فانصرف . وقد كان الحجّاج جعل وراءه بن المغيرة بن شعبة في نحو من ثلثمائة رجل من أهل الشام ردّاء له ولأصحابه لئلا يؤتوا من ورائه .^(٢)

٩٦٠/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط : إنّ شبيباً قال لنا يومئذ : يا أهل الإسلام إنّما شربنا لله . ومن شرب لله لم يكبر^(٣) عليه ما أصابه من الأذى والألم في جنب الله . الصبر الصبر : شدّة كشدّاتكم في مواطنكم الكريمة . ثمّ جمع أصحابه ، فلما ظنّ الحجّاج أنه حامل عليهم قال لأصحابه : يا أهل السمع والطاعة ، اصبروا لهذه الشدّة الواحدة ، ثمّ وربّ السماء ما شيءٌ دون الفتح . فتجثّوا على الركب ، وحمّل عليهم شبيب بجميع أصحابه . فلما غشّهم نادى الحجّاج بجماعة الناس . فوثبوا في وجهه ، فما رالوا يطعّسون ويضربون قدّمًا ويبدفّعون شبيباً وأصحابه وهو يقاتلهم حتّى بلغوا موضع بُسْتان زائدة ، فلما بلغ ذلك المكان نادى شبيب أصحابه : يا أولياء الله . الأرض الأرض ، ثمّ نزل وأمر أصحابه فنزل نصفهم وترك نصفهم مع سويد بن سليم ، وجاء الحجّاج حتّى انتهى إلى مسجد شبيب ، ثمّ قال : يا أهل الشام ، يا أهل السمع والطاعة ، هذا

(١) ساقطة من م . (٢) ب ، ف : « ورائهم » . (٣) ا : « لم يكتر » .

أول الفتح والذى نفس الحجاج بيده ! وصعد المسجد معه نحو من
عشرين رجلا معهم النبيل، فقال: إن دنوا منا فارشقوهم، فاقتتلوا عامة النهار
من أشد قتال في الأرض، حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه. ثم إن
خالد بن عتاب قال للحجاج: ائذن لي في قتالهم فإني موتور، وأنا ممن
لا يتهم في نصيحة^(١)، قال: فإني قد أذنت لك، قال: فإني آتيهم
من ورائهم حتى أغير على عسكريهم؛ فقال له: افعل ما بدا لك، قال:
فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتى دخل عسكريهم من ورائهم،
فقتل مصاداً أخا شبيب، وقتل غزاة امرأته، قتلها فروة بن الدفان
الكلبي. وحرق في عسكريه، وأتى ذلك الخبر الحجاج وشبيباً، فأما
الحجاج وأصحابه فكبروا تكبيرة واحدة، وأما شبيب فوثب هو وكل راجل
معه على خيولهم، وقال الحجاج لأهل الشام: شدوا عليهم فإنه قد أتاهم
ما أرب قلبوهم. فشدوا عليهم فهزموهم، وتخلّف شبيب في حامية
الناس.

قال هشام: فحدثني أصغر الخارجي، قال: حدثني من كان مع شبيب
قال: لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه^(٢) خيل الحجاج، قال:
فجعل يخفق برأسه، فقلت: يا أمير المؤمنين، التفت فانظر من خلفك؛
قال: فالتفت غير مكترث، ثم أكب يخفق برأسه؛ قال: وذنوا منا؛
فقلنا: يا أمير المؤمنين، قد دنوا منك، قال: فالتفت والله غير مكترث،
ثم جعل يخفق برأسه. قال: فبعث الحجاج إلى خيله أن دعوه في حرق
الله وناره، فتركوه ورجعوا.

قال هشام: قال أبو ميخنف: حدثني أبو عمرو العذري^(٣)، قال:
قطعت شبيب الجسر حين عبّر. قال: وقال لي فروة: كنت معه حين
انهزمنا فما حرك الجسر، ولا اتبعونا حتى قطعنا الجسر. ودخل الحجاج
الكوفة، ثم صعد المنبر فحمد الله، ثم قال: والله ما قوتل شبيب

(١) ب، ف: «نصيحته» . (٢) ف، ف: «البيش تبعته» .

(٣) ب: «العذري» .

قبيلها ، ولتى والله هارباً ، وترك امرأته يكسر في أسننها القصب .

وقد قيل في قتال الحججاج شبيبا بالكوفة ما ذكره عمر بن شبة قال : حدثني عبد الله بن المغيرة بن عطية ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا مزاحم بن زفر بن جساس التميمي ، قال : لما فُضَّ شبيب كتاب الحججاج أذن لنا فدخلنا عليه في مجلسه الذي يبيت فيه وهو على سرير عليه لحاف ، فقال : إني دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر ، فأشيروا علي ؛ إن هذا الرجل قد تبخبتح بحب وحنسكم ، ودخل حرمتكم ، وقتل مقاتلتكم ، فأشيروا علي ؛ فأطرقوا . وفصل رجل من الصف بكرسيته فقال : إن أذن لي الأمير تكلمت ، فقال ؛ تكلم ، فقال : إن الأمير والله ما راقب الله ، ولا حفظ أمير المؤمنين ، ولا نصح للرعية ، ثم جلس بكرسيه في الصف . قال : وإذا هو قتيبة ، قال : فغضب الحججاج وألقى اللحف ، ودلى قدميه من السرير كأنى أنظر إليهما ؛ فقال : من المتكلم ؟ قال : فخرج قتيبة بكرسيته من الصف فأعاد الكلام ، قال : فما الرأي ؟ قال : أن تخرج إليه فتحاكمه ؛ قال : فارتد لي معسكراً ثم اغد إلى ، قال : فخرجنا نلعن عنبسة بن سعيد ، وكان كلم الحججاج في قتيبة ، فجعله من أصحابه ، فلما أصبحنا وقد أوصيننا جميعاً ، غدونا في السلاح ، فصلت^(١) الحججاج الصبح ثم دخل ، فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة فيقول : أجا بعد ؟ أجا بعد ؟ ولا ندري من يريد ! وقد أفعت المقصورة بالناس ، فخرج الرسول فقال : أجا بعد ؟ وإذا قتيبة يمشي في المسجد عليه قباء هروي أصفر ، وعمامة خبز أحمر ، متقلداً سيفاً عريضاً قصيراً الحمائل كأنه في إبطه ، قد أدخل بركة قبائه في منطقتيه ، والدرع يصفق ساقيته ففتح له الباب فدخل ولم يحجب ، فلتبث طويلاً ثم خرج ، وأخرج معه لواء منشوراً ، فصلت الحججاج ركعتين ، ثم قام فتكلم ، وأخرج اللواء من باب الفيل ، وخرج الحججاج يتبعه ، فإذا بالباب بغلة شقراء غراء محجلة فركبها ، وعارضه الوصفاء بالدواب ، فأبى غيرها ، وركب الناس ،

٩٦٣/٢

(١) : فصل . .

وركب قتيبة فرساً أغرَّ محجلاً كُمنيتا كأنه في سرَّجه رُمانة من عظيم السَّرج ، فأخذ في طريق دارِ السقاية حتى خرج إلى السَّبَّخَة وبها عسكر شبيب ، وذلك يوم الأربعاء ، فتواقفوا ، ثمَّ غدوا يومَ الخميس للقتال : ثمَّ غادوهم يوم الجمعة ، فلمَّا كان وقت الصلاة انهزمت الحوارج .

* * *

قال أبو زيد: حدثني خلاَّد بن يزيد ، قال : حدثنا الحجَّاج بن قتيبة ، قال : جاء شبيبٌ وقد بعث إليه الحجَّاجُ أميراً فقَتَله ، ثمَّ آخر (١) فقَتَله ، أحدهما أعينٌ صاحبُ حَمَامٍ أعين ، قال : فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزاة ، وقد كانت نذرت أن تُصلِّيَ في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران . قال : ففعلت . قال : واتخذ شبيب في عسكره أخصاصاً ، فقام الحجَّاج فقال : لا أراكم تناصحون (٢) في قتال هؤلاء القوم يا أهلَ العراق ! وأنا كاتبٌ إلى أمير المؤمنين ليُمدني بأهل الشام . قال : فقام قتيبة فقال : إنك لم تنصح لله ولا لأمر المؤمنين في قتالهم .

٩٦٤/٢

قال عمرُ بنُ شبيبة : قال خلاَّد : فحدثني محمد بنُ حفص بن موسى ابن عبيد الله بن معمر بن عثمان التميمي أن الحجَّاج خنثق قتيبة بعمامته خنثقاً شديداً .

* * *

ثمَّ رجعَ الحديثُ إلى حديث الحجَّاج وقتيبة . قال : فقال : وكيف ذاك ؟ قال : تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا من الناس فينهزمون عنه . ويستحني فيقاتل حتى يُقتل : قال : فما الرأي ؟ قال : أن تخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك فيؤاسونك بأنفسهم . قال : فلعله دسَّ ثمَّ . وقال الحجَّاج : والله لأبرزن له غداً ؛ فلمَّا كان الغدُ حضرَ الناس . فقال قتيبة : اذكرُ يمينك أصلح الله الأمير ! فلعنوه أيضاً . وقال الحجَّاجُ : اخرج فارتدُّ إلى معسكرٍ . فذهب وتبياً هو وأصحابه فخرجوا ، فأتى على موضع فيه بعضُ القمَدَر : موضع كُناسة .

(١) ب . ف : « أميراً » . (٢) ف . د : « تناصحون » .

فقال : ألقوا لي ها هنا . فقيل : إنَّ الموضع قَدَر ، فقال : ما تدعونني إليه أقدَر ، الأرض تحتَه طيِّبَة ، والسماءُ فوقه طيِّبَة . قال : فنزل وصفَ الناس ونخالد بن عتَّاب بن ورقاء مسخوط عليه فليس في القوم ، وجاء شبيب وأصحابه فمَرَّبوا دوابَّهم ، وخرجوا يمشون ، فقال لهم شبيب : الهوا عن رَمَيْكُمْ ، ودَبُّوا تحت تِراسِكُمْ ، حتَّى إذا كانت أسنَّتْهم^(١) فوقها ، فأزلقوها صُعْدًا ، ثمَّ ادخلوا^(٢) تحتها لتستقبلوا فتقطَّعوا أقداءهم ، وهى الهزيمة بإذن الله . فأقبلوا يدبُّون إليهم . وجاء خالد بن عتَّاب في شاكِرِيَّتِه ، فدار من وراء عسكرهم ، فأضرم أخصاصَهم بالنار ، فلما رأوا ضوءَ النار وسمعوا معنمعتَها التفتوا فرأوها في^(٣) بيوتهم ، فولوا^(٤) إلى خيَلِهم وتبَّعهم الناسُ ، وكانت الهزيمة . ورضيَ الحجَّاج عن خالد ، وعقَّدَ له على قتالهم .

٩٦٥/٢

قال : ولما قتَلَ شبيبُ عتَّابًا أراد دخول الكوفة ثانية ، فأقبلَ حذَّ شارفها فوجَّه إليه الحجَّاج سيف بن هاني ورجلاً معه ليأتياه بخبر شبيب ، فأتيا عسكره ، فنظن بهما ، فقتل الرجل ، وأفلت سيفٌ ، وتبَّعه رجلٌ من الخوارج . فأوثب سيفٌ فرسه ساقية ، ثمَّ سأل الرجلَ الأمان على أن يُصدقه ، فأمنه ، فأخبره أن الحجَّاج بعثه وصاحبَه ليأتياه بخبر شبيب .

قال : فأخبره أنا نأتيه يوم الاثنين . فأتى سيف الحجَّاج فأخبره ؛ فقال : كذَّاب وماق ، فلما كان يومَ الاثنين توجَّهوا يريدون الكوفة ، فوجَّه إليهم الحجَّاجُ الحارث بن معاوية الثَّقَفِيّ ، فلقيه شبيب بزُراة فقتله . وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البَطِين في عشرة فوارس يرتاد له مَنزِلاً على شاطئِ الفرات في دارِ الرِّزْق ، فأقبل البَطِين وقد وجَّه الحجَّاج حَوْشَبَ بنَ يزيدَ في جمع من أهل الكوفة ، فأخذوا بأفواهِ السِّكِّك ، فقَاتَلَتْهم البَطِين فلم يقوْ عليهم ، فبعث إلى شبيب فأمدَّه بفوارس ، فعتقروا فرس حَوْشَب وهزموه ونجا ، ومضى البَطِين إلى دارِ الرِّزْق ، وعسكر على شاطئِ الفرات ، وأقبل شبيب فنزل دون الجِيسر ، فلم يوجَّه إليه الحجَّاج أحدًا ، فمضى فنزل

٩٦٦/٢

(٢) ب ، س : « ادخلوها » .

(١) ب ، ف : « أسنَّتكم » .

(٤) ب ، ف : « ولوا » .

(٣) ب ، ف : « فرأوا ما في بيوتهم » .

السَّبَخة بين الكوفة والفرات ، فأقام ثلاثاً لا يوجه إليه الحجّاج أحدًا ، فأشير على الحجّاج أن يخرج بنفسه ، فوجه قتيبة بن مسلم ، فهياً له عسكرياً ثم رجع ، فقال : وجدتُ المأني سهلاً ، فسِرُّ على الطائر الميمون : فنادى في أهل الكوفة فخرجوا ، وخرج معه الوجوهُ حتّى نزلوا في ذلك العسكر (١) وتراقفوا ، وعلى ميسمينة شبيب البطّين ، وعلى ميسرته قعنب مولى بنى أبي ربيعة بن ذهل ، وهوى زهاء مائتين ، وجعل الحجّاج على ميمنته مطر بن ناجية الرّياحى ، وعلى ميسرته خالد بن عتّاب بن ورقاء الرّياحى في زهاء أربعة آلاف ، وقيل له : لا تُعرّفه موضعك . فتنكر وأخفى مكانه . وشبهه له أبا الورد مولاة ، فنظر إليه شبيب . فحمل عليه . فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلاً فقتله . وشبهه له أعيّن صاحب حمام أعيّن بالكوفة . وهو مولى لبكر (٢) بن وائل فقتله . فركب الحجّاج بغلة غراء محجلة ، وقال : إن الدّين أغرُّ محجل . وقال لأبي كعب : قدّم لواءك ، أنا ابن أبي عقيل . وحمل شبيب على خالد بن عتّاب وأصحابه ، فبلغ بهم الرّحبة ، وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه . فنزل عند ذلك الحجّاج وأمر أصحابه فنزلوا ، فجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد ، فإنهم على ذلك إذ تناول مَصْقَلَةَ بن مُهَلْهَل الضّبّى بلحام شبيب ؛ فقال : ما تقول في صالح بن مُسَرِّح ؟ وبم تشهد عليه ؟ قال : أعلى هذه الحال . وفي هذه الحزّة (٣) ! والحجّاج ينظر ، قال : فبرى من صالح ، فقال مَصْقَلَةَ : برى الله منك . وفارقه إلا أربعين فارساً هم أشدّ أصحابه . وانحاز الآخرون إلى دار الرّزق ؛ وقال الحجّاج : قد اختلفوا . وأرسل إلى خالد بن عتّاب فأناهم فقالتهم ، فقتلت غزاةً . ومترّ برأسها إلى الحجّاج فارسٌ فعرفه شبيب . فأمر علوان فشدّ على الفارس فقتلته وجاء بالرأس ، فأمر به فغسل ودفنه وقال : هي أقرب إليكم رُحماً - يعنى غزاة .

ومضى القوم على حاميتهم ، ورجع خالدٌ إلى الحجّاج فأخبره بانصراف

(١) ب ، ف : « المسكر » . (٢) ف : « البكير » .

(٣) الحزّة : الشدة .

القوم ، فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم ، وأتبعه ثمانية ، منهم قعب والبطين وعلوان وعيسى والمهدب وابن عويمر وسنان ، حتى بلغوا به الرحبة ، وأتى شبيب في موقفه بخُوط بن عمير السدوسي ، فقال له شبيب : يا خُوط ، لا حُكُمَ إلاَّ لله . فقال : لا حُكُمَ إلاَّ لله ، فقال شبيب : خُوط من أصحابكم . ولكنه كان يخاف . فأطلقه . وأتى بعُمير بن القعقاع . فقال له : لا حُكُمَ إلاَّ لله يا عُمير ، فجعل لا يفقه عنه ، ويقول : في سبيل الله شابي . فردَّ عليه شبيب : لا حُكُمَ إلاَّ لله ، ليتخلصه (١) ، فلم يفقه . فأمر بقتله . وقتل مصاد أخو شبيب ، وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالدًا فأبطؤوا ، ونعس شبيب فأيقظته حبيب بن خدره ، وجعل أصحاب الحجَّاج لا يُقدِّمون عليه هيبةً له . وسار إلى دار الرزق ، فجمع رثة (٢) من قتل من أصحابه . وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوا . فظنوا أنهم قتلوه . ورجع مطرٌ وخالدٌ إلى الحجَّاج فأمرَهما فأتبع الرسط الثمانية . وأتبع الرهط شبيبًا . فضوا جميعًا حتى قطعوا جسر المدائن ، فدخلوا ديرًا هنالك وخالد يتقفوهم . فحصرهم في الدَّير ، فخرجوا عليه فهزموه نحوًا من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم في دجلة بخيلهم ، وألقى خالد نفسه بفرسه فمرَّ به ولواؤه في يده . فقال شبيب : قاتله الله فارسًا وفرسه ! هذا أشدُّ الناس ، وفرسه أقوى فرس في الأرض : فقيل له : هذا خالد بن عتاب ، فقال : معرَّق له في الشجاعة ، والله لو علمت لأقحمت خلفه ولو دخل النار .

* * *

٩٦٩/٢ رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . عن أبي عمرو العذري ، أن الحجَّاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب ، ثم صعد المنبر ، فقال : والله ما قوتل شبيب قط قبلها مثلها ، ولَّى والله هاربًا ، وترك امرأته يُكسر في أسننها القعب . ثم دعا حبيب بن

(٢) الرثة : المتاع .

(١) ف . ليتخلصه .

عبد الرحمن الحكمي فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام ، فقال له الحججاج : احذر بيّاتته ، وحيثما لقيته فنازله ، فإن الله قد قلّ حدّه ، وقصم نابه . فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتى نزل الأنبار ، وبعث الحججاج إلى العمّال أن دُسّوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو أمين ، فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هدّه القتال يحيى فيؤمن ، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحججاج يرم هُزيموا : إن من جاءنا منكم فهو أمين ، ففرّق عنه ناس كثير من أصحابه ، وبلغ شبيباً منزلاً حبيب بن عبد الرحمن الأنبار ، فأقبل بأصحابه حتى إذا دنا من عسكرهم نزل فصلّى بهم المغرب .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شبيب فبيّتنا . قال : فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعاً ، وقال لكل رُبْع منا : ليُجزى كل رُبْع منكم بجانبه ، فإن قاتل هذا الرُبْع فلا يُغثهم ^(١) هذا الرُبْع الآخر ، فإنه قد بلغني أن هذه الخوارج منّا قريب . فوطئوا أنفسكم على أنكم مبيّتون ومقاتلون ؛ فما زلنا على تعبيتنا حتى جاءنا شبيب فبيّتنا ، فشدّ على رُبْع منّا ، عليهم عثمان بن سعيد العذري فصار بهم طويلاً ، فما زالت قدم إنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الرُبْع الآخر . وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري فقاتلهم . فما زالت قدم إنسان منهم . ثم تركهم وأقبل على الرُبْع ^(٢) الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميري فما قدر منهم على شيء ، ثم أقبل على الرُبْع الآخر وعليهم ابن أقبصر الخثعمي فقاتلهم طويلاً . فلم يظفر بشيء ، ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل . وألزّ بنا حتى قلنا ، لا يُفارقنا ، ثم نازلنا راجلاً طويلاً ، فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي ، وفُقت الأعيُن ، وكثرت القتلى ، قتلنا منهم نحواً من ثلاثين . وقتلوا منّا نحواً من مائة . والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا . وإيم الله على ذلك ما فارقنا حتى مَللناهم ومثلونا . وكرهونا وكرهناهم .

(١) س : « يغثهم » ، ف : « يعثهم » . (٢) ف : « الرابع » .

ولقد رأيت الرجل منّا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضره شيء من الإعياء والضعف ، ولقد رأيت الرجل منّا يقاتل جالساً يَنْفَحُ بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء^(١) . فلما يشوا منّا ركب شبيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه : اركبوا ، فلما استووا على متون خيولهم وجّه^(٢) منصرفاً عنّا .

٩٧١/٢

قال أبو مخنف : حدثني فروة بن لقيط ، عن شبيب ، قال : لما انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة . وجراحة ظاهرة ، قال لنا : ما أشدّ هذا الذي بنا لو كنا إنما نطلب الدنيا ! وما أيسرَ هذا في ثواب الله ! فقال أصحابه : صدقت يا أمير المؤمنين . قال : فما أنسى منه إقباله على سويد بن سليم ولا مقالته له : قتلتُ منهم أمس رجلين : أحدهما أشجع الناس ، والآخر أجبن الناس ، خرجتُ عشيةً أمس طليعةً لكم فلقيتُ منهم ثلاثة نفر دخلوا قريةً يشترون منها حوائجهم ، فاشترى أحدهم حاجته ، ثم خرج قبل أصحابه وخرجتُ معه ، فقال : كأنك لم تشترِ علفاً ، فقلت : إنني رُفقاء قد كَفَوْنِي ذلك ، فقلت له : أين ترى عدونا هذا نزل ؟ قال : بلغني أنه قد نزل منّا قريباً ، وإيم الله لو دِدْتُ أني قد لقيتُ شبيبتهم هذا ، قلت : فتحبّ ذلك؟ قال : نعم ، قلت : فخذ حذرَكَ ، فأنا والله شبيب ، وانتصيت سبيتي ، فخرّ والله مَيِّتاً ، فقلت له : ارتفع وَيْحَكَ^(٣) ! وذهبتُ أنظرُ فإذا هو قد مات ، فانصرفتُ راجعاً ، فأستقبل الآخر خارجاً من القرية ، فقال : أين تذهب هذه الساعة ؟ وإنما يرجع الناس إلى عسكرهم ! فلم أكلّمه ، ومضيتُ بقرب بي فرسي ، وأتبعني حتى لَحِقَنِي ، فقطعت عليه فقلت له : مالك ؟ فقال : أنت والله من عدونا ؟ فقلت : أجل والله ، فقال : والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك ، فحملت عليه وحملت عليّ ، فاضطربنا بسيفينا ساعة . فوالله ما فضلته في شدة نفس ولا إقدام إلا أن سبني كان أقطع من سيفه ، فقتلته ؛ قال : فضينا حتى قطعنا دجلة ، ثم أخذنا في أرض جُوخَى حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من

٩٧٢/٢

(١) ب ، ف : « من الإعياء والضعف » .

(٢) ب : « وجد » .

(٣) ب ، ف : « ارفع ويحك رأسك » .

عند واسط ، ثم أخذنا إلى الأهوا ثم إلى فارس ، ثم ارتفعنا إلى كرمان .

* * *

[ذكر الخبر عن مهلك شبيب]

وفي هذه السنة هلك شبيب في قول هشام بن محمد ، وفي قول غيره كان هلاكه سنة ثمان وسبعين .

* ذكر سبب هلاكه :

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أقفلنا الحججاج إليه - يعني إلى شبيب - فقسّم فينا مالا عظيما ، وأعطى كل جريح منا وكل ذى بلاء ، ثم أمر سفیان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب ، فتجهز سفیان ، فشق ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي ، وقال : تبث سفیان إلى رجل قد فلتته وقتلت فرسان أصحابه ! فأمضى سفیان بعد شهرين ، وأقام شبيب بكرمان ، حتى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا ، فيستقبله سفیان بجسر دجيل الأهواز ، وقد كان الحججاج كتب إلى الحكيم بن أيوب بن الحكيم بن أبي عقيل ، وهو زوج ابنة الحججاج وعامله على البصرة .

أما بعد ، فابعث رجلا شجاعا شريفا من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب ، ومعه فليتلحق بسفیان بن الأبرد ، وليسمع له وليقطع .

فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف ، فلم ينته إلى سفیان حتى التقى سفیان وشبيب ، ولما أن التقيا بجسر دجيل عبر شبيب إلى سفیان فوجد سفیان قد نزل في الرجال ، وبعث مهاصير^(١) بن صيفي العذري على الخيل ، وبعث على ميمنته بشر بن حسان الفهري ، وبعث على يسرته عمر بن هبيرة الفزاري ، فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه ، هو في كتيبة وسويد في كتيبة ، وقعنّب المحلّمي في كتيبة ، وخلّف المحلّل بن وائل في عسكره . قال : فلما حمل سويد وهو في ميمنته

(١) ف : « مهاصر » .

على ميسرة سُفَيانَ ، وقعنِبٌ وهو في ميسرته على ميمنته حَمَلٌ هو على سُفَيانَ ، فاضطربنا طويلا من النهار ، حتَّى انحازوا فرجعوا إلى المكان الذي كانوا فيه ، فكرَّ علنا هو وأصحابه أكثرَ من ثلاثين كَرَّةً ، كلَّ ذلك لا نزول من صفنا . وقال لنا سُفَيانُ بنُ الأبرد : لا تتفرقوا ، واكن لتزحف الرجالُ إليهم زحفاً ، فوالله ما زلنا نطاعينهم ونضاربهم حتَّى اضطربناهم إلى الجيسر ، فلما انتهى شبيب إلى الجيسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل ، فقَاتَلناهم حتى المساء أشدَّ قتال قاتله قومٌ قطَّ ، فما هو إلا أن نزلوا فأوقعوا لنا من الطعن والضرب شيئا ما رأينا مثله من قوم قطَّ . فلما رأى سُفَيانُ أنَّه لا يتقدِر عليهم ، ولا يأمن مع ذلك ظفرهم ، دعا الرماة فقال : ارشقوهم بالنبل ، وذلك عند المساء ، وكان التقاؤهم نصفَ النهار ، فرماهم أصحابُ النبل بالنبل عند المساء ، وقد صفَّهم سُفَيانُ بنُ الأبرد على حِدَّة ، وبعث على المرامية رجلا ، فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم ، فلما شدوا على رُماتنا شددنا عليهم ، فشغَلناهم عنهم ، فلما رموا بالنبل ساعة ركب شبيب وأصحابه ثم كَرَّوا على أصحاب النبل كَرَّةً صرَّع منهم أكثرُ من ثلاثين رجلا ، ثم عطف بخياله علينا ، فبشي عامداً نحونا ، فطاعنناه حتَّى اختلط الظلام ، ثم انصرف عنا ، فقال سُفَيانُ لأصحابه : أيُّها الناس ، دعوهم لا تتبعوهم حتى نُصبِحهم غدوة . قال : فكفَّفنا عنهم وليس شيء أحبَّ إلينا من أن ينصرفوا عنا .

٩٧٤/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بنُ لقيط ، قال : فما هو إلا أن انتهينا إلى الجيسر ، فقال : اعبروا معاشرَ المسلمين ، فإذا أصبحنا باكرناهم إن شاء الله ، فعبَرنا أمامه ، وتخلَّف في أحرانا ، فأقبل على فرسه ، وكادت بين يديه فرس أنثى ماذيانية ، فنزا فرسه عليها وهو على الجيسر فاضطربت الماذيانية ، ونزل حافرُ رجل فرس شبيب على حرف السفينة ، فسقط في الماء ، فلما سقط قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .

فارتس (١) في الماء ، ثم ارتفع فقال : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

٩٧٥/٢

(١) ارتس في الماء . إذا ارتس فيه حتى يغيب رأسه وجميع جسده فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي بهذا الحديث— وكان ممن يقاتله من أهل الشام، وحدثني فروة بن لقيط ، وكان ممن شهد موطنه— فأما رجل من رهطه من بني مرة بن همام فإنه حدثني أنه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ، ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة ، وكان قد قتل من عشائهم رجالا كثيرا ، فكان ذلك قد أوجع قلوبهم ، وأوغر صدورهم ؛ وكان رجل يقال له مقاتل من بني تيم بن شيبان من أصحاب شبيب ، فلما قتل شبيب رجالات من بني تيم بن شيبان أغار هو على بني مرة بن همام فأصاب منهم رجلا ، فقال له شبيب : ما حملك على قتلهم بغير أمرى ! فقال له : أصلحك الله ! قتلت كفار قومي ، وقتلت كفار قومك ، قال : وأنت التوالى على حتى تقطع الأمور دونى ! فقال : أصلحك الله ! أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا ، منّا كان أو من غيرنا ! قال : بلى ، قال : وإنما فعلت ما كان ينبغي ، ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عشر ما أصبت من رهطى ، وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تتجد من قتل الكافرين ؛ قال : إني لا أجد من ذلك . وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائهم ، فزعموا أنه لما تخلف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض : هل لكم أن تقطع به الجسر فندرك ثأرتنا الساعة ! فقطعوا الجسر ، فالت السفن ، ففزع الفرس ونفر ، ووقع في الماء ففرق .

٩٧٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ذلك المرى بهذا الحديث ، وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا ؛ وأما حديث العامة فالحديث الأول .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : إننا والله لنتهيا للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال : أين أميركم ؟ قلنا : هو هذا ، فجاءه فقال : أصلحك الله ! إن رجلا منهم وقع في الماء ، فتنادوا بينهم : غرق أمير المؤمنين ! ثم إنهم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكرهم ليس في أحد ، فكبر سفيان وكبرنا ، ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر ، وبعث مهاصير بن صيفي فعبّر إلى عسكرهم ، فإذا ليس فيه منهم صاف

ولا آثر^(١) . فنزل فيه ، فإذا أكثرُ عسكر خلقِ الله خيراً ، وأصبحنا فطلبنا شيباً حتى استخرجناه وعليه الدرع ، فسمعتُ الناس يزعمون أنه شقّ بطنه فأخرج قلبه ، فكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة ، وإنه كان يضرب به الأرض فيثب قائماً إنسان ؛ فقال سفيان : احمّدوا الله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا .

قال أبو زيد عمر بن شبة : حدثني خلاّد بن يزيد الأرقط ، قال : كان شيب ينعى لأمه فيقال : قتل فلا تقبل قال : فقيل لها : إنّه غرق ، فتقبلت ، وقالت : إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار ، فعلمت أنه لا يطفئه إلا الماء .

قال هشام عن أبي مخنف : حدثني فروة بن لقيط الأزدي ثم الغامري أن يزيد بن نعيم أبا شيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه^(٢) الوليد بن عقبة عن أمير عثمان إياه بذلك مدداً لأهل الشام أرض الروم ، فلما قفل المسلمون أقيم السبي للبيع ، فرأى يزيد ابن نعيم أبو شيب جارية حمراء ، لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين ، فابتاعها ثم أقبل بها ، وذلك سنة خمس وعشرين أوّل السنة ، فلما أدخلتها الكوفة قال : أسلمى ، فأبت عليه ، فضربها فلم تزد إلا عصياناً ، فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت ، ثم دعا بها فأدخلت عليه ، فلما تغشأها تلقت منه بحمّل فولدت شيباً ، وذلك سنة خمس وعشرين في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت . وأحبّت مولاها حباً شديداً - وكانت حدّته^(٣) - وقالت : إن شئت أجبّتك إلى ما سألتني من الإسلام ، فقال لها : شئت ، فأسلمت ، وولدت شيباً وهي مسلمة ، وقالت : إني رأيت فيما يرى النائم أنه خرج من قبلي شهاب فتقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلّها ، فيينا هو كذلك إذ وقع في ماء كثير جارٍ فخبأ ، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء ، وإني

٩٧٧/٢

(١) يقال : ما في الدار من صافر ، أي أحد يصفر ، وهو مثل .

(٢) ١ : « معد الوليد بن عقبة » . (٣) كذا في ١ ، وفي ط : « تحدته » .

قد أولت رؤياي هذه أني أرى وليدي هذا غلاماً، أراه سيكون صاحب دماء
يُهَرِّيقها، وإني أرى أمره سيعلو ويتعظم سريعاً. قال: فكان أبوه يتخلف ٩٧٨/٢
به وبأتمه إلى البادية إلى أرض قومه على ماء يدعى اللصاف.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن أبي سويد بن رادي أن
جند أهل الشام الذين جاءوا حملوا معهم الحجار فقالوا: لا نفر من
شيب حتى نفر هذا الحجر؛ فبلغ شيباً أمرهم، فأراد أن يكيدهم، فدعا
بأفراس أربعة. فربط في أذناها ترسة في ذنب كل فرس ترسين، ثم
ندب معه ثمانية نفر من أصحابه، ومعه غلام له يقال له حيان، وأمره
أن يحمل معه إداوة من ماء، ثم سار حتى يأتي ناحية من العسكر،
فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحي العسكر، وأن يجعلوا مع كل رجلين فرساً،
ثم يمسيوها الحديد حتى تجد حره ويخلوها في العسكر، وواعدهم تلة
قريبة من العسكر، فقال: من نجا منكم فإن موعدة هذه التلة؛ وكره
أصحابه الإقدام على ما أمرهم به، فنزل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع
بالخييل مثل الذي أمرهم، ثم وغلّت في العسكر، ودخل يتلونها مُحْكَمًا
فضرب الناس بعضهم بعضاً، فقام صاحبهم الذي كان عليهم، وهو
حبيب بن عبد الرحمن الحكمي، فنادى: أيها الناس، إن هذه مكيدة،
فالزموا الأرض حتى يتبين لكم الأمر، ففعلوا وبقى شيب في عسكرهم،
فلزم الأرض حيث رأهم قد سكنوا، وقد أصابته ضربة عمود أوهنته،
فلما أن هدا الناس ورجعوا إلى أبنيتهم خرج في غمارهم حتى أتى التلة، ٩٧٩/٢
فإذا هو بحيان، فقال: أفرغ يا حيان على رأسي من الماء؛ فلما مد رأسه
ليصب عليه من الماء هم حيان أن يضرب عنقه، فقال لنفسه: لا أجد
لى مكرمة ولا ذكراً أرفع من قلبي هذا، وهو أمانى عند الحجاج، فاستقبلته
الرعدة حيث هم بما هم به، فلما أبطأ بحل الإداوة قال: ما يبطلك
بحلتها! فتناول السكين من موزجه^(١) فخرقها به، ثمناولها إياه،
فأفرغ عليه من الماء. فقال حيان: منعتني والله الجبن وما أخذتني من

(١) الموزج: الحف، فارسي معرب. الجواليق ٣١١.

الرَّعْدَةَ أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ بَعْدَ مَا هَمَّتْ بِهِ . ثُمَّ لَتَحِقَ شَيْبٌ بِأَصْحَابِهِ فِي عَسْكَرِهِ .

•••

[خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج ، وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجبال فقتل .

* ذكر السبب الذي كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان :

قال هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني يوسف بن يزيد بن بكر الأزدي أن بني المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نبلاء ، أشرفاً بأبدانهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم^(١) في قومهم . قال : فلما قدم الحجاج فلقوه وشافهم علم أنهم رجال قومه وبنو أبيه . فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة ، ومطرف بن المغيرة على المدائن ، وحمزة بن المغيرة على همدان^(٢) .

قال أبو مخنف : فحدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفييل الأزدي ، قال : قدم علينا مطرف بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولاقي عليكم ، وأمرني بالحكم بالحق ، والعدل في السيرة ، فإن عملت بما أمرني به فأنا أسعد الناس . وإن لم أفعل فنفسي أوبقت ، وحظ نفسي ضيقت . ألا^(١) إني جالس لكم العصرين ، فارفعوا إلى حوائجكم^(٢) ، وأشيروا على بما يصلحكم ويصلح بلادكم ، فإنني لن آتوكم خيراً ما استطعت . ثم نزل .

وكان بالمدائن إذ ذاك رجال من أشرف أهل المصر وبيوتات الناس ، وبها مقاتلة لا تسعها عدة . إن كان كعون بأرض جوحى أو بأرض الأنبار . فأقبل مطرف حين نزل حتى جالس للناس في الإيوان ، وجاء حكيم بن الحارث الأزدي يمشى نحوه ، وكان من وجوه الأزد وأشرفهم ، وكان الحجاج قد

(١) : « وميراثهم » .

(٢-٢) : ب ، ف : « ارفعوا إلى حوائجكم فإنني جالس لكم العصرين » .

استعمله بعد ذلك على بيت المال - فقال له : أصلحك الله ! إني كنتُ منك نائياً حين تكلمتَ ، وإني أقبلتُ نحوك لأجيبك ، فوافقتُ ذلك نزولك ، إننا قد فهمنا ما ذكرتَ لنا ، أنه عهد إليك ، فأرشد الله العاهد والمعهود إليه ، وقد منيتُ من نفسك العدل ، وسألتُ المعونة على الحق ، فأعانك الله على ٩٨١/٢ ما نويتَ ، إنك تشبه أباك في سيرته برضا الله والناس ، فقال له مطرف : ها هنا إلى ؛ فأوسع له فجلس إلى جنبه .

قال أبو مخنف : فحدثني الحصين بن يزيد أنه كان من خير عامل قدم عليهم قط ، أقمعه لمُريب ، وأشدّه إنكاراً للظلم ، فتقدم عليه بشر بن الأجدع الهمداني ، ثم الثوري ، وكان شاعراً فقال :

إني كلفتُ بخود غيرِ فاحشةٍ
كأنها الشمس يوم الدَّجنِ إذ برزتُ
سلُّ الهوى بعلنداةٍ مُذكرةٍ
إلى الفتى الماجدِ الفياضِ نعرفهُ
من الأكارم أنساباً إذا نُسبوا
إني أعيدك بالرحمنِ من نفرٍ
فرسانُ شيبانٍ لم نسمعِ بِمثلهمِ
شدوا على ابنِ حصينٍ في كتيبتِهِ
وابنُ المجالدِ أَرَدتُهُ رماحهمِ
وكلُّ جمعٍ برودابارٍ كان لهمِ
فقال له : ويحك ! ما جئتُ إلا لترغبنا . وقد كان شيبانٍ أقبل من سأتيدما ،
فكتب مطرف إلى الحجَّاج :

أما بعد ، فإني أخبر الأميرَ أكرمهُ الله أن شيباناً قد أقبل نحونا ، فإن رأى الأميرُ أن يمدتني برجال أضيظ بهم المدائن فتعل ، فإن المدائن باب الكوفة وحصنها .

فبعث إليه الحجَّاجُ بنُ يوسفَ سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفِ في مائتين وعبد الله بن كَنَازِ في مائتين ، وجاء شبيب فأقبل حتى نزل قناطرَ حُدَيْفَةَ ، ثمَّ جاء حتى انتهى إلى كَلَدَوَاذَا ، فعَبَّرَ منها دَجَلَةَ ، ثمَّ أقبل حتى نزل مدينة بَهْرَسِيرَ ومطرف بن المغيرة في المدينة العتيقة التي فيها منزل كَسْرَى والقَصْرُ الأبيض ، فلَمَّا نزل شبيب بَهْرَسِيرَ قطع مطرف الجسر فيما بينه وبين شبيب ، وبعث إلى شبيب أن ابعث إلى رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن ، وأنظر ما تدعون إليه ، فبعث إليه رجالا ؛ منهم سويد بن سليم وقعب والحمل بن وائل ، فلما أدنى منهم الميعر وأرادوا أن يتنزلوا فيه أرسل إليهم شبيب ألا تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسولى من عند مطرف ، وبعث إلى مطرف : أن ابعث إلى بعدة من أصحابك حتى ترد على أصحابى ، فقال لرسوله : القه فقل له : فكيف آمنك على أصحابى إذا بعثتهم الآن إليك ، وأنت لا تأمنى على أصحابك ! فأرسل إليه شبيب : إنك قد علمت أننا لا نستحل في ديننا الغدر ، وأنتم تفعلونه وتهوتونه . فسرح إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدى ، وسليمان بن حُدَيْفَةَ بن هلال بن مالك المزنى ، ويزيد بن أبى زياد مولى المغيرة - وكان على حرس مطرف - فلما وقعوا في يديه بعث أصحابه إليه .

قال أبو مِخْنَفِ :

حدثني النضر بن صالح ، قال : كنت عند مطرف ابن المغيرة بن شعبة فما أدري أقال : إني كنت في الجند الذين كانوا معه ، أو قال : كنت بإزائه حيث دخلت عليه رُسُلُ شبيب ! وكان لي ولأخى ٩٨٤/٢ ودًا مكرمًا ، ولم يكن ليستر منّا شيئًا ، فدخلوا عليه وما عنده أحدٌ من الناس غيرى وغير أخى حلام بن صالح ، وهم ستة ونحن ثلاثة ، وهم شاكون في السلاح ، ونحن ليس علينا إلا سيوفنا ، فلما دنوا قال سويد : السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله ، فقال له مطرف : أجبل ، فسلم الله على أولئك ، ثم جلس القوم ، فقال لهم

مطرف : قُصُوا عَلَىٰ أَمْرِكُمْ ، وَخَبَرُونِي مَا الَّذِي تَطْلُبُونَ؟ وَإِلَامَ تَدْعُونَ؟
 فَحَمِدَ اللَّهُ سُؤِيدُ بْنُ سُلَيْمٍ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الَّذِي
 نَدَعُو إِلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ الَّذِي نَقَمْنَا عَلَىٰ
 قَوْمِنَا الْإِسْتِثَارَ بِالْفَيْءِ وَتَعْطِيلَ الْحُدُودِ وَالتَّسَلُّطَ بِالْجَبْرِيةِ . فَقَالَ لَهُمْ
 مَطْرَفٌ : مَا دَعْوَتُمْ إِلَّا إِلَىٰ حَقٍّ ، وَلَا نَقَمْتُمْ إِلَّا جَوْرًا ظَاهِرًا ، أَنَا لَكُمْ
 عَلَىٰ هَذَا مُتَابِعٌ ، فَتَابِعُونِي إِلَىٰ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ لِيَجْتَمَعَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ ،
 وَتَكُونَ يَدِي وَأَيْدِيكُمْ وَاحِدَةً ، فَقَالُوا : هَاتِ ، إِذْ كَرَّمَا تَرِيدُ أَنْ تَتَذَكَّرَ ،
 فَإِنْ يَكُنْ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ حَقًّا نُجِيبُكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ أَنْ نَقَاتَ
 هَؤُلَاءِ الظَّالِمَةَ الْعَاصِينَ عَلَىٰ إِحْدَاثِهِمُ الَّذِي أَحْدَثُوا^(١) ، وَأَنْ نَدْعُوهُمْ إِلَىٰ
 كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ شُورَىٰ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُؤْمَرُونَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ يَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ عَلَىٰ مِثْلِ الْحَالِ الَّتِي تَرَكْتُمْ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؛
 فَإِنَّ الْعَرَبَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّ مَا يَرَادُ بِالشُّورَى الرَّضَا مِنْ قَرِيشٍ رَضُوا ،
 وَكَثُرَ تَبَعُكُمْ مِنْهُمْ وَأَعْوَانُكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ ، وَتَمَّ لَكُمْ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي
 تَرِيدُونَ .

قال : فَوَثَبُوا مِنْ عِنْدِهِ ، وَقَالُوا : هَذَا مَا لَا نُجِيبُكَ إِلَيْهِ أَبَدًا ، فَلَمَّا ٩٨٥/٢
 مَضَوْا فَكَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ صُفَّةِ الْبَيْتِ التَّفْتُ إِلَيْهِ سُؤِيدُ بْنُ سُلَيْمٍ ، فَقَالَ :
 يَا بَنَ الْمُغِيرَةَ ، لَوْ كَانَ الْقَوْمُ عُدَاةً غُدْرًا كُنْتَ قَدْ أَمَكَّنْتَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ،
 فَفَرَّعَ لَهَا مَطْرَفٌ ، وَقَالَ : صَدَقْتَ وَإِلَهُ مُوسَىٰ وَعِيسَى .

قال : وَرَجَعُوا إِلَىٰ شَيْبٍ فَأَخْبَرُوهُ بِمَقَالَتِهِ ، فَطَمَعَ فِيهِ ، وَقَالَ لَهُمْ :
 إِنَّ أَصْبَحْتُمْ فَلْيَأْتِهِ أَحَدُكُمْ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا بَعَثَ إِلَيْهِ سُؤِيدًا وَأَمَرَهُ بِأَمْرِهِ ،
 فَجَاءَ سُؤِيدٌ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ بَابِ مَطْرَفٍ ، فَكُنْتُ أَنَا الْمُسْتَأْذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ
 وَجَلَسَ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصُرَ ، فَقَالَ لِي مَطْرَفٌ : اجْلِسْ فليسْ دُونَكَ سِترٌ ؛
 فَجَلَسْتُ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَابٌ أَغْيَدٌ ، فَقَالَ لَهُ سُؤِيدٌ : مَنْ هَذَا الَّذِي لَيْسَ لَكَ
 دُونَهُ سِترٌ ؟ فَقَالَ لَهُ : هَذَا الشَّرِيفُ الْحَسِيبُ ، هَذَا ابْنُ مَالِكِ بْنِ
 زُهَيْرِ بْنِ جَدِيْمَةَ ، فَقَالَ لَهُ : بَخٍ أَكْرَمْتَ فَارْتَبِطْ ، إِنْ كَانَ دِينُهُ عَلَىٰ

(١) ا ، س : « عَلَىٰ أَحْدَاثِهِمُ الَّتِي أَحْدَثُوا » .

قدّر حسبه فهو الكامل ، ثم أقبل عليه فقال : إننا لقينا أمير المؤمنين بالذي ذكرت لنا ، فقال لنا : القمّوه فقولوا له : ألسنت تعلم أن اختيار المسلمين منهم خير لهم فيما يرون رأياً رشيداً ! فقد مضت به السنة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا قال لكم : نعم ، فقولوا له : فإننا قد اخترنا لأنفسنا أرضاً لنا فيها ، وأشدنا اضطلاماً لِمَا حُمِلَ ، فما لم يغيّر ولم يُبدل فهو ولي أمرنا . وقال لنا : قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت : إن العرب إذا علمت أنّكم إنّما تريدون بهذا الأمر قريشاً^(١) كان أكثر لتبعكم منهم : فإن أهل الحق لا ينقصهم عند الله أن يقلّوا ، ولا يزيد الظالمين خيراً أن يكثرُوا ، وإن تركنا حقنا الذي خرجنا له ، ودخولنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئةٌ وعجز ورخصةٌ إلى نصر الظالمين ووهن ، لأننا لا نرى أن قريشاً أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب . وقال^(٢) : فإن زعم أنّهم أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له : ولم ذاك ؟ فإن قال : لقراءة محمد صلى الله عليه وسلم بهم فقولوا^(٣) له : فوالله ما كان ينبغي إذا لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأولين أن يتولّوا على أسرة محمد ، ولا على ولد أبي لهب لو لم يبق غيرهم ؛ ولولا أنّهم علموا أن خير الناس عند الله اتقاهم ، وأن أولاهم بهذا الأمر اتقاهم وأفضلهم فيهم ، وأشدّهم اضطلاماً بحمّل أمورهم ما تولّوا أمور الناس ، ونحن أول من أنكر الظلم وغير الجور وقاتل الأحزاب ، فإن اتبعنا فله مالنا وعليه ما علينا ، وهو رجل من المسلمين ، وإلاّ يفعل فهو كبعض من نُعادي ونُقَاتِل من المشركين .

فقال له مطرف : قد فهمت ما ذكرت ، ارجع يومك هذا حتى تنظر في أمرنا .

فرجع ، ودعا مطرف رجالاته من أهل ثقافته وأهل نصائحه ؛ منهم سليمان بن حذيفة المزني . والربيع بن يزيد الأسدي . قال النضر بن صالح : وكنت أنا ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبه قائمين على

(١) ب : « قريشياً » . (٢) ط : « فقال له » . (٣) ط : « فقل » .

رأسه بالسيف ، وكان على حرسه ، فقال لهم مطرف : يا هؤلاء ، إنكم نصحائي وأهل مودتي ومن أثق بصلاحي وحسن رأيه ، والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارها ، أنكرها بقلبي ، وأغيرها ما استطعت بفعلي وأمرى ، فلما عظمت خطيئتهم ، ومرّ بي هؤلاء القوم يجاهدونهم ، لم أر أنه يسعني إلا مناهضتهم وخلافهم إن وجدت أعواناً عليهم ، وإني دعوت هؤلاء القوم فقلت لهم كَيْتَ وكَيْتَ ، وقالوا لي كَيْتَ وكَيْتَ ، فليست أرى القتال معهم ، ولو تابَعوني على رأيي وعلى ما وصفت لهم لخلعتُ عبدَ الملك والحجّاج ، ولسيرت إليهم أجاهدِهم . فقال له المُرّاني : إنهم لن يتابعوك ، وإنك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام ولا تُظهره لأحد ، وقال له الأسدى مثل ذلك ، فجثّاً مولاة ابن أبي زياد على ركبتيه ثم قال : والله لا يتخفى مما كان بينك وبينهم على الحجّاج كلمة واحدة ، وليزيدن على كل كلمة عشرة أمثالها ، والله أن لو كنت في السحاب هارباً من الحجّاج ليلتمسن أن يصل إليك حتى يهلكك^(١) أنت ومن معك ؛ فالنجاء النجاء من مكانك هذا ، فإن أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب ، وأهل عسكر شيب يتحدّثون بما كان بينك وبين شيب ، ولا تمس من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجّاج ؛ فاطلب داراً غير المدائن . فقال له صاحبه : ما نرى الرأي إلا^{٩٨٨/٢} كما ذكرلك^(٢) ، قال لهما مطرف : فما عندكما ؟ قالوا : الإجابة إلى ما دعوتنا إليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجّاج وغيره . قال : ثمّ نظر إلى ، فقال : ما عندك ؟ فقلت : قتال عدوك ، والصبر معك ما صبرت ، فقال لي : ذاك الظنّ بك .

قال : ومكث حتى إذا كان في اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له : إن تابعتنا فأنت منا ، وإن أبيت فقد نابذناك ، فقال : لا تعجلوا اليوم فإننا ننظر .

قال : وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا اللبنة من عند آخركم حتى توفوا الدسكرة معي لحدّث حدث هنالك .

(١) ب ، ف : « تهلك » .

(٢) ب ، ف ، « ما قال » .

ثم أدلج وخرج أصحابه معه حتى مرَّ بدَيْرِ يَزْدَجِرْدَ فتزله ، فلقبه قَبِيصَةَ بنُ عبد الرحمن القحافي من خَشْعَم ، فدماه إلى صُحْبته ، فصَحِبَه فكسَاه وحمَلته . وأمرَ له بنفقته ، ثم سَار حتى نزل الدَّسْكَرَةَ : فلما أراد أن يرتحل منها لم يجد بداً من أن يُعَلِّمَ أصحابه ما يريد ، فجمع إليه رءوسَ أصحابه . فذكر الله بما هو أهله وصلَّى على رسوله ، ثم قال لهم : أمَّا بعد . فإنَّ الله كتب الجهاد على خلقه ، وأمر بالعدل والإحسان ، وقال فيما أنزل علينا : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى . وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) وإني أشهد الله أني قد خلعتُ عبدَ الملك بن مروانَ والحجَّاجَ بن يوسفَ ، فمن أحبَّ منكم صُحْبتي وكان على مثل رأبي فليُتَابِعني ، فإن له الأسوة وحُسن الصَّحبة ، ومن أبى فليذهب حيث شاء . فإني لست أحبُّ أن يتبعني من ليست له نيَّةٌ في جهادِ أهلِ الجَوْرِ . أدعوكم إلى كتابِ الله وسنَّةِ نبيِّه وإلى قتالِ الظَّلمة . فإذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمرُ شُورَى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا .

٩٨٩/٢

قال : فتوثب إليه أصحابه فبايعوه . ثم إنَّه دخل رحلته وبعث إلى سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ وإلى عبد الله بن كِنَازِ النَّهْدِيِّ فاستخلاهما . ودعاهما إلى مثل ما دعا إليه عامَّةُ أصحابه ، فأعطياه الرِّضَا . فلما ارتحل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجَّاجَ فوجداه قد نازل شيبًا . فشهدا معه وقعة شيب . قال : وخرج مطرف بأصحابه من الدَّسْكَرَةَ موجَّهًا نحو حُلُوَان . وقد كان الحجَّاجُ بعث في تلك السنة سُويِدَ بن عبد الرحمن السَّعْدِيَّ على حُلُوَان وما سبذان . فلما بدَّغُه أن مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عرَّفَ أنه إن رَفَقَ في أمره أو داهنَ لا يقبل ذلك منه الحجَّاجُ ، فجمع له سُويِدَ أهلَ البلد والأكراد ، فأما الأكراد فأخذوا عليه ثنِيَّةَ حُلُوَان . وخرج إليه سُويِدَ وهو يحبُّ أن يتسلَّم من قتاله . وأن يُعَافَى من الحجَّاجِ ، فكان خروجه كالتعذير .

قال أبو مِخْنَفٍ : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة الخثعميُّ أن

الحجّاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل أتسه في نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرهم . قال : وكنت فيهم فليحقناه بحلوان ، فكنّا ممن شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن . ٩٩٠/٢

قال أبو مخنف : وحدثني بذلك أيضا النضر .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة . قال : ما هو إلا أن قدّمنا على مطرف بن المغيرة ، فسّر بمتقدّمنا عليه . وأجلس الحجّاج ابن جارية معه على مجلسه .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح . وعبد الله بن علقمة . أن سويداً لما خرج إليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت ، وقدّم ابنه القعقاع في الخييل ، وما حينه يومئذ بكثير .

قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : أراهم كانوا مائتين . وقال ابن ابن علقمة : أراهم كانوا ينقصون عن (١) الثلاثمائة . قال : فدعا مطرف الحجّاج بن جارية فسّرحه إليهم في نحو من عديتهم (٢) . فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادون في قتاله ، وهم فرسان متعاليمون . فلما رأهم سويد قد تيسروا (٣) نحو ابنه أرسل إليهم غلاماً له يقال له رستم - قتل معه بعد ذلك بدّير الجماجم - وفي يده راية بني سعد ، فانطلق غلامه حتى انتهى إلى الحجّاج بن جارية ، فأسرّ إليه : إن كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنا ، فإننا لا نريد قتالكم . وإن كنتم إيانا تريدون فلا بدّ من منّع ما في أيدينا . فلما جاءه بذلك قال له الحجّاج بن جارية : إئت أميرنا فاذكر له ما ذكرت لي ، فخرج حتى أتى مطرفاً فذكر له مثل الذي ذكر للحجّاج بن جارية ، فقال له مطرف : ما أريدكم ولا بلادكم ، فقال له : فالزم هذا الطريق حتى تخرج من بلادنا ، فإننا لا نجد بدّاً من أن يترى الناس وتسمع بذلك أننا قد خرجنا إليك . قال : فبعث مطرف إلى الحجّاج فأتاه ، ولزموا الطريق حتى مروا بالثنية فإذا الأكراد بها ، فنزل مطرف ونزل معه عامّة أصحابه

٩٩١/٢

(١) كذا في ١ ، وفي ط : «من» . (٢) ١ : «عدهم» . (٣) ١ ، س : «سيلوا» .

وصعد إليهم في الجانب الأيمن الحجّاجُ بنُ جارية، وفي الجانب (١) الأيسر سليمانُ بنُ حذيفة، فهزّماههم (٢) وقتلّاهم، وسلم مطرف وأصحابه فمضوا حتى دنوا من همدان، فتركها وأخذت اليسار إلى ماه دينار، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان، فكره أن يدخلها فيقتلهم أخوه عند الحجّاج، فلما دخل مطرف أرض ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة :

أما بعد، فإن النفقة قد كثرت والمؤنة قد اشتدت، فامدّد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح.

وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة، فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرف ليلاً، فلما رآه قال له : ثكلتك أمك ! أنت قتلت مطرفاً ؟ فقال له : ما أنا قتلته جعلتُ فداك ! ولكن مطرفاً قتل نفسه وقتلني، وليته لا يقتلك، فقال له : ويحك ! من سؤل له هذا الأمر ! فقال : نفسه سؤلت هذا (٣) له. ثم جلس إليه فقص عليه القصص، وأخبره بالخبر، ودفع كتاب مطرف إليه، فقرأه ثم قال : نعم، وأنا باعتهُ إليه بمال وسلاح، ولكن أخبرني ترى ذلك يخفى لي ؟ قال : ما أظن أن يخفى، فقال له حمزة : فوالله لئن أنا خذلتك في أنفع النصيرين له نصر العلانية. لا أخذله في أيسر النصيرين نصر السريرة. قال : فسرح إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح، فأقبل به حتى أتى مطرفاً ونحن نزول في رُستاق من رُستاق ماه دينار، يقال له : سامان متاخيم أرض أصبهان، وهو رُستان كانت الحمراء تُنزله.

٩٩٢/٢

قال أبو مخنف : فحدثني النصير بن صالح. قال : والله ما هو إلا أن مضى يزيد بن أبي زياد، فسمعت أهل العسكر يتحدثون أن الأمير بعث إلى أخيه يسأله النفقة والسلاح. فأتيت مطرفاً فحدثته بذلك، فضرب بيده على جيبه ثم قال : سبحان الله ! قال الأول : ما يخفى إلا ما لا يكون (٤).

(١) ب، ف : « في الجانب » . (٢) س : « فهزموهم » .

(٣) ب، س : « له هذا » . (٤) كذا في ١، وهو الصواب، وفي ط : « قال » .

قال : وما هو إلا أن قدم يزيدُ بن أبي زياد علينا ، فسار مطرفُ بأصحابه حتى نزل قُمَ وقاشان وأصبتهان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة أن مطرفاً حين نزل قُمَ وقاشانَ واطمأنَ ، دعا الحججاجَ بن جارية فقال له : حدثني عن هزيمة شبيب يوم السَّبَخة أكانت وأنتَ شاهدَها ، أم كنتَ خرجتَ قبل الوقعة ؟ قال : لا ، بل شهدتُها^(۱) ، قال : فحدثني حديثهم كيف كان ؟ فحدثته ، فقال : إني كنتُ أحبُّ أن يظفر شبيب وإن كان ضالاً فيقتل ضالاً . قال : فظننت أنه تمنى ذلك لأنه كان يرجو أن يتم له الذي يطلب لو هلك الحججاج . قال : ثم إن مطرفاً بعث عماله .

قال أبو مخنف : فحدثني النضرُ بنُ صالح أن مطرفاً عمل عملاً ۹۹۲/۲ حازماً لولا أن الأقدار غالبه . قال : كتب^(۲) مع الربيع بن يزيد إلى سويد ابن سرحان الثقفي ، وإلى بكير بن هارون البسجلي :

أما بعد ، فإننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى جهادٍ من عند الحق ، واستأثر بالفقهاء ، وترك حكم الكتاب ، فإذا ظهر الحق ودُمِغ الباطل ، وكانت كلمةُ الله هي العليا ، جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضا ، فمن قبيل هذا منا كان أخانا في ديننا ، ووليتنا في ميماننا وممانينا ، ومن رد ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه فكفسي بنا عليه حجة ، وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غيبنا ، وبمداهنة الظالمين في أمر الله وهنا ! إن الله كتب القتال على المسلمين وسماه كُرْهاً ، ولن يُنال رضوانُ الله إلا بالصبر على أمر الله ، وجهاد أعداء الله ، فأجروا رحمكم الله إلى الحق ، وادعوا إليه من ترجون إجابته ، وعرفوه مالا يعيرفه ، وليقبيل إلى كل من رأى رأينا ، وأجاب دعوتنا ، ورأى عدوه عدونا . أرشدنا الله وإياكم ، وتاب علينا وعليكم ، إنه هو التواب الرحيم . والسلام .

(۱) ب ، ف : « شاهدها » .

(۲) ب ، ف : « وكتب » .

فلما قَدِمَ الكِتَابُ عَلَى ذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ دَبَّأَ فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ وَدَعَا مِنْ تَابِعَيْهِمَا ، ثُمَّ خَرَجَا فِي نَحْوِ مِائَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ سِرًّا لَا يُفْطَنُ (١) بِهِمْ ، فَجَاءُوا حَتَّى وَافُوا مَطْرَفًا . وَكَتَبَ الْبَرَاءُ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَهُوَ عَامِلُ الْحِجَاةِ عَلَى أَصْبَهَانَ :

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنْ كَانَ لِلْأَمِيرِ أَصْلَحُهُ اللَّهُ حَاجَةً فِي أَصْبَهَانَ فَلْيَبْعَثْ إِلَى مَطْرَفٍ جَيْشًا كَثِيفًا يَسْتَأْصِلُهُ وَمَنْ مَعَهُ ، فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ عَصَابَةٌ قَدْ انْتَفَحَتْ لَهُ مِنْ بَلَدَةٍ مِنَ الْبِلْدَانِ حَتَّى تُؤَافِيَهُ (٢) بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ بِهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَكْتَفَى وَكَشَّرَ تَبَعَهُ ، وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحِجَاةُ :

أَمَّا بَعْدُ ، إِذَا أَتَاكَ رَسُولِي (٣) فَعَسْكَرِي بِمَنْ مَعَكَ ، فَإِذَا مَرَّ بِكَ عَدِيَّ ابْنَ وَتَادٍ فَاخْرُجْ مَعَهُ فِي أَصْحَابِكَ ، وَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِيعْ . وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ خَرَجَ فَعَسَكَرَ . وَجَعَلَ الْحِجَاةُ بْنُ يَوْسُفٍ بِسَرِّحٍ إِلَى الْبَرَاءِ بْنِ قَبِيصَةَ الرَّجَالَ عَلَى دَوَابِّ الْبَرِيدِ (٤) عَشْرِينَ عَشْرِينَ ، وَخَمْسَةَ عَشْرَ خَمْسَةَ عَشْرَ ، وَعَشْرَةَ عَشْرَةَ . حَتَّى سَرَّحَ إِلَيْهِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ فِي الْفَيْنِ . وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ سَعْدِ الْهَمْدَانِيِّ (٥) أَتَى الرَّيَّ فِي فَتْحِ اللَّهِ عَلَى الْحِجَاةِ يَوْمَ لَقِيَ شَبِيبًا بِالسَّبَبَخَةِ ، فَمَرَّ بِهِمَا سَدَانِ وَالْجِبَالِ ، وَدَخَلَ عَلَى حَمْزَةَ فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ الْأَسْوَدُ : فَأَبْلَغْتَ الْحِجَاةَ عَنْ حَمْزَةَ . فَقَالَ : قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ ، وَأَرَادَ عِزْلَتَهُ ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْمُكِرَ بِهِ ، وَأَنْ يَمْتَنِعَ مِنْهُ ، فَبَعَثَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ الْعِجْلِيِّ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى شُرْطَةِ (٦) حَمْزَةَ بْنِ الْمَغِيرَةَ وَلِبْنَى عِجْلٍ وَرَبِيعَةَ عَدَدٌ بِهِمَا سَدَانِ - فَبَعَثَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ بِعَهْدِهِ عَلَى هَمْدَانِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أُوثِقَ حَمْزَةَ ابْنَ الْمَغِيرَةَ فِي الْحَدِيدِ (٧) ، وَاحْبِسَهُ قَبْلَكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي .

فَلَمَّا أَتَاهُ عَهْدُهُ وَأَمْرُهُ أُقْبِلَ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَافَقَ الْإِقَامَةَ لِصَلَاةِ الْعَصْرِ . فَصَلَّى حَمْزَةَ (٨) ، فَلَمَّا انْصَرَفَ حَمْزَةَ انْصَرَفَ مَعَهُ

(٢) ب : « يوقيه » .

(١) ب ، ف : « ففطن » .

(٤) ب : « البرد » .

(٣) ب : ف : « كتابي ورسولي » .

(٦) ب ، ف : « شرط » .

(٥) كذا في أ ، وفي ط : « الهمداني » .

(٨) أ : « وصلى مع حمزة » .

(٧) ب ، ف : « بالحديد » .

قيس بن سعد العجليّ صاحب شُرطه ، فأقرأه كتابَ الحجّاج إليه ، وأراه عهدَه ، فقال حمزة . سمعاً وطاعة ؛ فأوثقه وحبسه في السجن ، وتولى أمر مَمَدان ، وبعث عماله عليها ، وجعل عماله كلهم من قومه ؛ وكتب إلى الحجّاج :

أما بعد ، فإنّي أخير الأمير أصلحه الله ، أني قد شدتُ حمزة بن المغيرة في الحديد ، وحبسته في السجن ، وبعثتُ عمالي على الحجّاج ، ووضعتُ يدي في الجبابة ، فإن رأى الأمير أبقاه الله أن يأذن لي في المسير إلى مطرف أذن لي حتى أجاهده في قومي ، ومن أطاعني من أهل بلادى ؛ فإنّي أرجو أن يكون الجهادُ أعظم أجراً من جبابة الحجّاج . والسلام .

فلما قرأ الحجّاج كتابه ضحك ثم قال : هذا جانب آثراً ما قد أمناه . وقد كان حمزة بهمذان أثقل ما خلق الله على الحجّاج مخافة أن يمدّ أخاه بالسلاح والمال ، ولا يدرى لعله يبدو له فيعوق ، فلم يزل يكيدُه حتى عزله ؛ فاطمأن وقصد قصد مطرف .

قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة أن الحجّاج لما قرأ كتاب قيس بن سعد العجليّ وسمع قوله : إن أحبّ الأمير سرت إليه حتى أجاهده في قومي ، قال : ما أبغض إليّ أن تتكثر العرب في أرض الحجّاج . قال : فقال لي ابن الغرق : ما هو إلا أن سمعتها من الحجّاج فعلمت أنه لو ٩٩٦/٢ قد فرغ له قد عزّله .

قال : وحدثني النضر بن صالح أن الحجّاج كتب إلى عدى بن وتاد الإيادي وهو على الرّي بأمره بالمسير إلى مطرف بن المغيرة وبالممرّ على البراء ابن قبيصة ، فإذا اجتمعوا فهو أمير الناس .

قال أبو مخنف : وحدثني أبي عن عبد الله بن زهير : عن عبد الله بن سليم الأزدي . قال : إنّي لجالس مع عدى بن وتاد على مجلسه بالرّي إذ أتاه كتاب الحجّاج ، فقرأه ثم دفعه إليّ ، فقرأته فإذا فيه :

أما بعد . فإذا قرأت كتابي هذا فانفض بثلاثة أرباع من معك من أهل الرّي . ثمّ أقبل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصة بجيّ ، ثم سيراً جميعاً ، فإذا

لقيتهما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفاً ، فإذا كَفَى الله المؤمنين مؤنته فانصرف إلى عملك في كَسَف من الله وكتلاءته وسيره . فلما قرأته قال لي : قم وتجهز .

قال : وخرج فعسكر ، ودعا الكتاب فصرَبوا البعث على ثلاثة أرباع الناس ، فما مضت جمعة حتى سرنا فانتبهينا إلى جى ، ويؤافينا بها قبيلة القحافى فى تسعمائة من أهل الشام ، فيهم عمر بن هبيرة ، قال : ولم نلبث بجى إلا يومين حتى نهض عدى بن وتاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الرى وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه الحجاج من الكوفة ، وسبعمائة من أهل الشام ، ونحو ألف رجل من أهل أصبهان والأكراد ، فكان فى قريب من ستة آلاف مقاتل ، ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة .

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح ، عن عبد الله بن علقمة ، أن مطرفاً لما بلغه سيرهم إليه خندق على أصحابه خندقاً ، فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه .

قال أبو مخنف : وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير ، قال : كنت مع مولاى إذ ذاك ؛ قال : خرج عدى بن وتاد فعبى الناس ، فجعل على يمينه عبد الله بن زهير ، ثم قال للبراء بن قبيصة : قم فى الميسرة ، فغضب البراء ، وقال : تأمرنى بالوقوف فى الميسرة وأنا أمير مثلك ! تلك خيلى فى الميسرة ، وقد بعثت عليها فارس مضر الطُفَيْل بن عامر بن وائلة ؛ قال : فأنتهى ذلك إلى عدى بن وتاد ، فقال لابن أقيصر الحثعمى : انطلق فأنت على الخيل ، وانطلق إلى البراء بن قبيصة فقل له : إنك قد أمرت بطاعتى ، ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرجالة فى شىء ، إنما عليك أن تؤمر فتطيع ، ولا تعرض لى فى شىء أكرهه فأتنكر لك - وقد كان له مكرما .

ثم إن عديتا بعث على الميسرة عمر بن هبيرة ، وبعثه فى مائة من أهل الشام ، فجاء حتى وقف برايته ، فقال رجل من أصحابه للطُفَيْل بن عامر :

خَلَّ رَايَتَكَ وَتَنَحَّ عَنَّا ، فَإِنَّمَا نَحْنُ أَصْحَابُ هَذَا الْمَوْقِفِ ؛ فَقَالَ الطُّفَيْلُ :
 إِنِّي لَا أَنْصَحُكُمْ ، إِنَّمَا عَقَدْتُ لِي هَذِهِ الرَّايَةَ الْبَرَاءَ بْنَ قَبِيصَةَ ، وَهُوَ أَمِيرُنَا ،
 وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ عَلَى جَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَإِن كَانَ قَدْ عَقَدَ لَصَاحِبِكُمْ ٩٩٨/٢
 هَذَا فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ ، مَا أَسْمَعْنَا وَأَطَوَعْنَا ! فَقَالَ لَهُمْ عَمْرُ بْنُ هَبِيرَةَ : مَهْلًا . كُفُّوا
 عَنِ أَخِيكُمْ وَابْنِ عَمِّكُمْ ، رَايَتُنَا رَايَتَكَ ، فَإِن شِئْتَ آثَرْنَاكَ بِهَا . قَالَ : فَمَا
 رَأَيْنَا رَجُلَيْنِ كَانَا أَحْلَمَ مِنْهُمَا فِي مَوْقِفِهِمَا ذَلِكَ . قَالَ : وَنَزَلَ عَدِيُّ بْنُ وَتَادٍ ثُمَّ
 زَحَفَ نَحْوَ مَطْرَفٍ .

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة أن
 مطرفاً بعث على ميمنته الحججاج بن جارية ، وعلى ميسرته الربيع بن يزيد
 الأسدي ، وعلى الحامية سليمان بن صخر المزني^(١) ، ونزل هو يمشي في الرجال ،
 ورأيتُه مع يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة بن شعبة . قال : فلما زحف
 القوم بعضهم إلى بعض وتنادوا قال لبكير بن هارون البجلي : اخرج
 إليهم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وبكتبتهم بأعمالهم الحبيثة . فخرج
 إليهم بكبير بن هارون على فرس له أدهم أقرح ذنوب عليه الدرع والمغفر
 والساعدان ، في يده الرمح ، وقد سدّ درعته بعصابة حمراء من حواشي البرود ،
 فنادى بصوت له عال رفيع : يا أهل قبيلتنا ، وأهل ملتنا ، وأهل دعوتنا ،
 إنا نسألکم بالله الذي لا إله إلا هو الذي علمه بما تُسرّون مثل علمه بما تُعلنون
 لما أنصفتُمونا وصدقتُمونا ، وكانت نصيحتکم لله لا لحلقه ، وكنتم شهداء
 لله على عباده بما يعلمه الله من عباده . خبروني عن عبد الملك بن مروان ،
 وعن الحججاج بن يوسف ، ألسن تعلمونهما جبّارين مستأثرين يتبعان الهوى ، ٩٩٩/٢
 فيأخذان بالظنّة ، ويقتلان على الغضب . قال : فتنادوا من كل جانب :
 يا عدو الله كذبت ، ليسا كذلك ، فقال لهم : ويلکم ﴿ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴾^(٢) ويلکم ، أو تعلمون من الله ما لا يعلم ،
 إني قد استشهدتکم وقد قال الله في الشهادة : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾^(٣) ،

(١) ١ : « المرى » . (٢) سورة طه ٦١ . (٣) سورة البقرة ٢٨٣ .

فخرج إليه صارم مولى عدى بن وتاد وصاحب رايته ، فحمل على بكير ابن هارون البجلي ، فاضطربا بسيفيهما ، فلم تعمل ضربة مولى عدى شيئاً ، وضربه بكير بالسيف فقتله . ثم استقدم ، فقال : فارس لفارس ، فلم يخرج إليه أحد ، فجعل يقول :

صَارِمٌ قَدْ لَا قَيْتَ سَيْفًا صَارِمًا وَأَسَدًا ذَا لِبْدَةِ ضَبَارٍ مَا (١)

قال : ثم إن الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة ، وفيها الطفيل بن عامر بن وائلة . فالتقى هر والطفيل -- وكانا صديقين متواخيين -- فتعارفا ، وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه . فكفأ أيديهما . واقتتلا طويلا . ثم إن ميسرة عدى بن وتاد زالت غير بعيد ، وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقفه . ثم إن الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير ، فاقتتلا طويلا ، ثم إن جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته . وانكشفت ميسرة مطرف ابن المغيرة حتى انتهت إليه . ثم إن عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتلوه طويلا ، ثم إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف ، وحمل ابن أقيصر الخثعمي في الخليل على سليمان بن صخر المزني فقتله ، وانكشفت خيلهم ، حتى انتهى إلى مطرف . فقتلت الفرسان أشد قتال رآه الناس قط ، ثم إنه وصل إلى مطرف .

١٠٠٠/٢

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٢)

قال : ولم يزل يقاتل حتى قُتل ، واحتز رأسه عمر بن هبيرة ، وذكر أنه قتله . وقد كان أسرع إليه غير واحد ، غير أن ابن هبيرة احتز رأسه وأوفده

(٢) سورة آل عمران ٦٤ .

(١) الضبارم : الشديد ! لخلق من الأسد .

به عدى بن وتاد وحظى به ، وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاءً حسناً .

قال أبو مخنف : وقد حدثني حكيم بن أبي سنيان الأزدي أنه قتل يزيد بن زياد مولى المغيرة بن شعبة . وكان صاحب راية مطرف . قال : ودخلوا عسكر مطرف ، وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقتل ، وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً .

أبو مخنف : حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمي . فما ملكت نفسي أن قلت له : أما والله لقد قتلت من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيراً . قال : فأقبل نحوي وقال : من أنت ؟ فقال له مولاى : هذا غلامى ١٠٠١/٢ ماله ؟ قال : فأخبره بمقاتلي ، فقال : إنه ضعيف العقل . قال : ثم انصرفنا إلى الرى مع عدى بن وتاد . قال : وبعث رجلاً من أهل البلاء إلى الحجاج ، فأكرمهم وأحسن إليهم . قال : ولما رجع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدى بن وتاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فآمنه ، وطلبت ثقيف لسويد بن سرحان الثقفي الأمان فآمنه ، وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته ، فآمنهم وأحسن في ذلك ، وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف ، فنادوا : يا براء ، خذنا الأمان . يا براء ، اشفع لنا . فشفع لهم . فتركوا . وأسّر عدى ناساً كثيراً فختأى عنهم .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بخلوان ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الرى وكان مكتئباً بها ، فطلب إلى عدى فيه . فقال : هذا رجل مشهور قد شهير مع صاحبه . وهذا كتاب الحجاج إن فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير قال . كتب فيمن كلمه في الحجاج بن جارية . فأخرج إلينا كتاب الحجاج بن يوسف :

أما بعد: فإن كان الله قتل الحجاج بن جارية فبُعْدًا له . فذاك ما أهوى وأحِبُّ ؛ وإن كان حيًّا فاطلبه قبلك حتى تؤثِّقَه ، ثم سَرِّحْ به إلى إن شاء الله . والسلام .

١٠٠٢/٢

قال : فقال لنا : قد كُتِبَ إلىّ فيه . ولا بدّ من السمع والطاعة ، ولو لم يُكْتَبَ إلىّ فيه آمنته لكم ، وكففتُ عنه فلم أطلبه . وقمنا من عنده . قال : فلم يزل الحجاج بن جارية خائفًا حتى عُزل عدي بن وتّاد . وقدم خالد ابن عتاب بن ورقاء ، فمُشيتُ إليه فيه ، فكلّمته فأمنه . وقال حبيب بن خديرة مولى لبني هلال بن عامر :

هل أتى فائدَ عن أيسارنا	إذ خَشِينَا مِنْ عَدُوِّ خُرُقًا
إذ أتانا الخوفُ من مأمِننا	فَطَوِينَا فِي سَوَادِ أَفُقًا
وسلي هديّة يومًا هل رأت	بشرا أكرمَ منا خلُقًا !
وسليها أعلى العهد لنا	أو يُصِرُّونَ علينا حنقًا !
ولكم من خلّة من قبلها	قد صرّمنا حبلها فانطلقا
قد أصبنا العيش عيشاناعما	وأصبنا لعيش عيشا رنقا
وأصبتُ الدهرَ دهرًا أشتهى	طبّقنا منه وألوى طبّقنا
وشهدتُ الخيل في مَلْمُومَةٍ	ما ترى منهنّ إلا الحدقا
يتساقون بأطراف القنا	من نجيع الموت كما دها
فطرادُ الخيلِ قد يُوثِقُنِي	ويردّ اللهُو عني الأنقا
بمشيخ البيض حتى يتركوا	لسيوفِ الهند فيها طرُقا
فكأنّي من غدٍ وافقتها	مثل ما وافقَ سنُّ طبّقنا

١٠٠٣/٢

[ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب

(١) ١ : « هل أتانا الخوف » ، وسقط البيت الأول .

قَطْرَى بن الفُجَاءَة . فخرآله بعضهم واعتزلآه ، وبأبع عبد ربآه ^(١) الكببر ، وأقام بعضهم على ببعآ قطرى .

* ذكر الخبر عن ذلك . وعن السبب الذى من أبله حدث الأختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك :

ذكر هشام عن أبى مخرنف . عن يوسف بن يزيد . أن المهلب أقام بسابور فقاتل قَطْرِيًّا وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحججاج عتاب بن ورقاء عن عسكره نحواً من سنة . ثم إنه زاحفهم يوم البُسْتَان فقاتلهم قتالاً شديداً ، وكانت كبرمان فى أبدى الخوارج . وفارس فى يد المهلب ، فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذى هم به . لا يأتهم من فارس مادة ، وبعدت ^(١) ديارهم عنهم ، فخرجوا حتى أتوا كبرمان وتبعهم المهلب حتى نزل بجيرفت - وجيرفت مدينة كبرمان - فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالاً شديداً ، وحازهم عن فارس كلها . فلما صارت فارس كلها فى يدى المهلب بعث الحججاج عليها عمالآه وأخذها من المهلب ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إلى الحججاج :

أما بعد ، فدع بييد المهلب خراج جبال فارس . فإنه لا بد للجيش ١٠٠٤/٢ من قوة ، ولصاحب الجيش من معونة ، ودع له كورة فسأودرأبجرد ، وكورة إصطنخر .

فركتها للمهلب . فبعث المهلب عليها عمالآه ، فكانت له قوة على عدوه وما يصلحه . فى ذلك يقول شاعر الأزد وهو يعاتب المهلب :

نقاتلُ عن قُصورِ درأبجردِ ونجيبى للمغيرةِ والرُقَادِ

وكان الرُقَادُ بنُ زياد بن همام - رجل من العتيك - كريماً على

المهلب ، وبعث الحججاج إلى المهلب البراء بن قبيصة . وكتب إلى المهلب :

أما بعد ، فإنك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة ، ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حوآلك . وقد بعثت إليك البراء بن

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « عبد رب » . (٢) ١ ، ط ، « بعد » ، وأثبت ما فى ب ، ف .

قبیصة لیُنیهضك إلیهم ، فانھض إلیهم إذا قدیم علیك بجمیع المسلمین ،
ثمّ جاهدھم أشدّ الجھاد ، وإیتاك والعیل والأباطیل ، والأموّر التي لیست
لك عندی بسائغة ولا جائزة ؛ والسلام .

فأخرج المهلب بنیه ؛ كلّ ابن له فی كتیبة ، وأخرج الناس علی رباتھم
ومتصافھم وأخماسھم ، وجاء البراء بن قبیصة فوقف علی تل قریب منهم ١٠٠٥/٢
حیث یراهم . فأخذت الكتائب تحمل علی الكتائب ، والرجال علی الرجال ،
فیقتلون أشدّ (١) قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلی انتصاف النهار ، ثم انصرفوا .
فجاء البراء بن قبیصة إلی المهلب فقال له : لا والله ما رأیت كبنیك فرسانا
قطّ . ولا كفرسانك من العرب فرسانا قطّ ، ولا رأیت مثل قوم یقاتلونك
قطّ أصبر ولا أبأس . أنت والله المعذور . فرجع بالناس المهلب ، حتی إذا كان
عند العصر خرج إلیهم بالناس وبنیه فی كتائبهم . فقاتلوه كقتالهم فی أول مرّة .

قال أبو مخنف : وحدثنی أبو المغلس الكنانی ، عن عمه أبی طلحة ،
قال : خرجت كتیبة من كتائبهم لكتیبة من كتائبنا . فاشتدّ بینھما القتال ،
فأخذت كل واحد منهما لا تصدّ عن الأخری ، فاقتلتا حتی حجّز اللیل
بینھما . فقالت إحداهما للأخری : ممن أنتم ؟ فقال هؤلاء : نحن من بنی تمیم ؛
وقال هؤلاء : نحن من بنی تمیم ؛ فانصرفوا عند المساء ، قال المهلب للبراء :
كيف رأیت ؟ قال : رأیت قوماً والله ما یعینك علیهم إلاّ الله . فأحسن إلی
البراء بن قبیصة وأجازہ ، وحملته وكساه ، وأمر له بعشرة آلاف درھم ، ثمّ
انصرف إلی الحجاج فأثاه بعذر المهلب ، وأخبره بما رأى ، وكتب المهلب إلی
الحجاج :

أما بعد . فقد أتانی كتابُ الأمير أصلحه الله . واتهامه إیتای فی هذه الخارجة ١٠٠٦/١
المارقة . وأمرنی الأميرُ بالنهوض إلیهم ، وإشهاد رسولیه ذلك ، وقد فعلت ،
فلیسألہ عما رأى ، فأما أنا فوالله لو كنت أقدر علی استئصالهم وإزالتهم عن
مكانهم ثمّ أمسكتُ عن ذلك لقد غششتُ المسلمین ، وما وفیتُ

(١) بعد ما فی ب ، ف : « وأعظم » .

لأمير المؤمنين . ولا نصحتُ للأمير (١) - أصلحه الله - فعاذ الله أن يكون هذا من رأى ، ولا مما أدين الله به ، والسلام .

ثم إن المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقلّ منهم شيئاً ، ولا يرى في موطن ينقعون له ولن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يتردّ عونهم به ويكفونهم عنهم .

ثم إن رسلاً منهم كان عاملاً لقطريّ على ناحية من كيرمان خرج في سرية لم يدعى المتعطر من بني ضبّة ، فقتل رجلاً قد كان ذا بأس من الخوارج . ودخل منهم في ولاية . فقتله المتعطر . فوثبت الخوارج إلى قطريّ . فذكروا له ذلك . وقالوا : أمكينا من الضبيّ نقتله بصاحبنا . فقال لهم : ما أرى أن أفعل ؛ رجلٌ تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوى الفضل منكم . والسابقة فيكم . قالوا : بلى : قال لهم : لا . فوقع الاختلاف بينهم . فولّوا عبد ربّ الكبير . وخلعوا قطريّاً ، وباع قطريّاً منهم عصابة نحواً من ربعمهم أو خيسهم . فقتلهم نحواً من شهر غدوة وعشية . فكتب بذلك المهلب إلى الخجاج :

أما بعد . فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم ، فخلع عظمهم قطرياً وباعوا عبد ربّ ، وبقيت عصابة منهم مع قطريّ ، فهم يقاتل بعضهم بعضاً غدوةً وعشياً ، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله : والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها ، فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا ، فتكون مشؤنتهم عليك أشد

فكتب إليه :

أما بعد . فقد بلغنى كتاب الأمير . وكل ما فيه قد فهمت ، ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضاً . وينقص بعضهم عداد بعض ، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم ، وإن اجتمعوا لم

(١) : « الأمير » .

يجمعوا إلا وقد رقت بعضهم بعضاً ، فأناهيضهم على تفيئة^(١) ذلك ، وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة ، إن شاء الله ، والسلام .

فكف عنه الحجاج ، وتركهم المهلب يقتلون شهراً لا يحركهم .

ثم إن قَطْرِيَا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان ، وبابح عامتهم عبد ربّه الكبير ، فنهض إليهم المهلب ، فقاتلوه قتالاً شديداً . ثم إن الله قتلهم فلم ينج منهم إلا قليل ، وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا ، لأنهم كانوا يسبون المسلمين . وقال كعب الأشقرى - والأشقر بطن من الأزد - يذكر يوم رامهرمز . وأيام سابور ، وأيام جيرفت^(٢) :

يا - عَصَ إني عداني عنكم السفرُ
علّمت يا كعبُ بعد الشيبِ غانيةً
أمسك أنت عنها بالذي عهدت
علقتُ خوداً بأعلى الطّف منزلها
دوماً مناكبها رياء ما كملها
وقد تركتُ بشطّ الزابيين لها
واخترتُ داراً بها حتى أسر بهم
لما نبت بي بلادى سرتُ منتجعاً
أبا سعيد فإني جئتُ منتجعاً
لولا المهلبُ ما زرنا بلادهم
فما من الناس من حتى علمتهم
أحييتهم بسجال من نذاك كما

وقد أرقّت فاذى عيني السهر^(٣)
والشيبُ فيه عن الأهواء مزدجرُ
أم حبّلها إذ نأتك اليوم منبتيرُ
في غرفة دونها الأبواب والحجر^(٤)
نكاد إذ نهضت للمشى تنبتير^(٥)
داراً بها يسعدُ البادون والحضر
ما زال فيهم لمن نختارهم خيرُ
وطالبُ الخير مرثادُ ومنتظرُ
أرجو نوالك لما مسني الضرُ
ما دامت الأرض فيها الماء والشجرُ
إلا يرى فيهم من سيبكم أثرُ
تحياً البلاد إذا ما مسها المطرُ

١٠٠٨/٢

(١) أي بعد ذلك . (٢) بعد ما في ب ، ف : « قصيدة » .

(٣) مطلع القصيدة في الكامل ٣ : ٤٠٣ ، وأبيات منها في الأغاني ١٤ : ٢٨٤ ، ٢٨٥

وفي الكامل : « وقد سهرت فأودي عيني السهر » . وعداني : صرفني وشغلني .

(٤) في الأغاني : « ذكرت خوداً » .

إني لأرجو إذا ما فاقة نزلتُ
فاجبر أنا لك أو هي الفقر قوته
جفا ذوو نسبي عنى وأخلفني
يا واهب القينة الحسناء سنتها
وما تزال بدور منك رائحة
نماك للمجد أملاك ورثتهم
ثاروا بقتلى وأوتار تعددها
واستسلم الناس إذ حل العدو بهم
وما تجاوز باب الجسر من أحد
وأدخل الخوف أجواف البيوت على
واشتدت الحرب والبلوى وحل بنا
نظاً من دون خفض معصمين بهم
كنا نهون قبل اليوم شأنهم
لما وهنا وقد حلوا بساحتنا
نادى امرؤ لا خلاف في عشيرته
أفشى هنالك مما كان مذ عصروا
تلبسوا لقراع الحرب بزنتها
ساروا بألوية للمجد قد رفعت
حتى إذا خلّموا الأهواز واجتمعوا
نعي بشر فجال القوم وانصدخوا
ثم استمر بنا راض ببيعته

فضلا من الله في كفيك يبتدر
لعله بعد وهي العظم ينجبر
ظني فله دري كيف آتمر
كالشمس هر كولة في طرفها فتر^(١)
وآخرون لهم من سيبك الغرور
ثم العرائن في أخلاقهم يسر
في حين لا حدث في الحرب ينتر^{١٥١١/٢}
فما لأمرهم ورد ولا صدر
وعصت الحرب أهل المصر فاجحروا
مثل النساء رجال ما بهم غير
أمر تشر في أمثاله الأزر
فشر الشيخ لما أعظم الخطر
حتى تفاقم أمر كان يحتقر
واستنفر الناس تارات فما نفروا
عنه وليس به في مثله قصر
فيهم صنائع مما كان يدخر
فأصبحو من وراء الجسر قد عبروا
وتحتهن ليوث في الوغى وقر
برامهرمز وافاهم بها الخبر
إلا بقايا إذا ما ذكروا ذكروا
ينوي الوفاء ولم نغدر كما غدروا

(١) امر كولة : الحنة الحسم واختر وامشية .

سُبِّتْ لَنَا وَلَهُمْ نَارٌ لَهَا شَرُّ
 جِنِّ نِقَارِعُهُمْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرُّ
 مُسْتَأْنِفِي اللَّيْلِ حَتَّى أَسْفَرَ السُّحْرُ
 مِنَّا وَمِنْهُمْ دِمَاءٌ سَفَكَهَا هَدَرُ
 مَنَا لِيُوْثَ إِذَا مَا أَقْدَمُوا جَسَرُوا
 عِنْدَ الطَّعَانِ وَلَا الْمَكْرُ الَّذِي مَكَّرُوا
 حَوْلَ الْمَهْلَبِ حَتَّى نَوَّرَ الْقَمَرُ
 وَحَالَ دُونَهُمُ الْأَنْهَارُ وَالْجُدُرُ
 بِكَازِرُونَ فَمَا عَزُّوا وَلَا ظَفَرُوا^(١)
 ظَنُّوا بَأَنَّ يُنْصَرُوا فِيهَا فَمَا نُصِرُوا
 أَسَدٌ بِسَفَكِ دِمَاءِ النَّاسِ قَدْ زَيَّرُوا
 فِيهِمْ عَلَى مَنْ يِقَاسِي حَرْبَهُمْ صَعْرُ
 وَالْعَاطِفِينَ إِذَا مَا ضَيَّعَ الدَّبْرُ
 وَوَلَّوْا خَزَايَا وَقَدْ فُلُّوا وَقَدْ قُهِرُوا
 إِلَّا أَصَابَهُمْ مِنْ حَرْبِنَا ظَفَرُ
 تَرَوْحُ مِنَّا مَسَاعِيرُ وَتَبْتَكُرُ
 نَحْوَ الْحُرُوبِ فَمَا نَجَّاهُمْ الْحَنْدُرُ
 ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ لَا وَإِنْ وَلَا غَمْرُ^(٢)
 لَا يُسْتَخَفُّ وَلَا مِنْ رَأْيِهِ الْبَطْرُ
 يُقَارِعُ الْحَرْبَ أَطْوَارًا وَيَأْتَمُرُ

حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِسَابُورِ الْجُنُودِ وَقَدْ
 نَلَقَى مَسَاعِيرَ أَبْطَالًا كَانَهُمْ
 نُسْقَى وَنَسْقِيهِمْ سَمًا عَلَى حَنْقِ
 قَتَلَى هِنَالِكَ لَا عَقْلٌ وَلَا قَوْدُ
 حَتَّى تَنَحَّوْا لَنَا عَنْهَا تَسُوقَهُمْ
 لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ غَدَاةَ التَّلِّ كَيْدُهُمْ
 بَاتَتْ كِتَابُنَا تَرْدِي مَسْوَمَةً
 هِنَاكَ وَلَوْأَ حِزَانًا بَعْدَ مَا فَرِحُوا
 عَبَّوْا جُنُودَهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا
 وَقَدْ لَقُوا مَضْدَقًا مِنَّا بِمَنْزَلَةٍ
 بَدَشْتِ بَارِينَ يَوْمَ الشُّعْبِ إِذْ أَحَقَّتْ
 لَا قَوَا كِتَابَ لَا يُخْلُونَ ثَغْرَهُمْ
 الْمُقَدِّمِينَ إِذْ مَا خَيْلَهُمْ وَرَدَتْ
 فِي جُبَيْرِينَ إِذْ صَفُّوا بِزَحْفِهِمْ
 وَاللَّهِ مَا نَزَلُوا يَوْمًا بِسَاحَتِنَا
 نَنْفِيهِمْ بِالْقَنَا عَنْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ
 وَلَوْأَ حَذَارًا وَقَدْ هَزُّوا أَسْنَتَنَا
 صَلَّتْ الْجَبِينَ طَوِيلُ الْبَاعِ ذَوْفَرِحِ
 مُجَرَّبُ الْحَرْبِ مَيْمُونُ نَقِيئْتَهُ
 فِي ثَلَاثِ سَنِينَ يَسْتَدِيمُ بِنَا

١٠١٢/٢

(١) الأغاني : « وما نصرنا » .

(٢) الدسيعة : مجتمع الكتفين ، يقال ذلك للرجل الجواد .

يقولُ إِنَّ غَدًا مُبْدٍ لِنَاظِرِهِ
دَعُوا التَّتَابِعَ وَالْإِسْرَاعَ وَارْتَقِبُوا
حَتَّى أَتَتْهُ أُمُورٌ عِنْدَهَا فَرَجٌ
لَمَّا زَوَّاهُمْ إِلَى كَرْمَانَ وَانصَدَعُوا
سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الْمَوْجِ وَازْدَلَفُوا
وَزَادَنَا حَنَقًا قَتَلَى نَذَكْرَهَا
إِذَا ذَكَرْنَا جَرُوزًا وَالذِّينَ بِهَا
تَأْتَى عَلَيْنَا حَزَازَاتُ النُّفُوسِ فَمَا
وَلَا يُقِيلُونَنَا فِي الْحَرْبِ عَثْرَتَنَا
لَا عُذْرَ يُقْبَلُ مِنَّا دُونَ أَنْفُسِنَا
صَفَّانِ بِالْقَاعِ كَالطُّودِينَ بَيْنَهُمَا
عَلَى بَصَائِرَ كُلِّ غَيْرٍ تَارِكِهَا
يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ إِذْ وَرَدُوا
وَشِخْنَا حَوْلَهُ مِنَّا مُلْمَمَةٌ
فِي مَوْطِنٍ يَقْطَعُ الْأَبْطَالُ مَنْظَرَهُ
مَا زَالَ مِنَّا رِجَالٌ ثُمَّ نَضْرِبُهُمْ
وَبَادَ كُلُّ سِلَاحٍ يُسْتَعَانُ بِهِ
نَدُّوسُهُمْ بَعْنَاجِيحٍ مُجَفَّفَةٍ
يَغْشَيْنَ قَتَلَى وَعَقْرَى مَا بِهَا رَمَقٌ
قَتَلَى بِقَتَلَى قِصَاصٌ يُسْتَقَادُ بِهَا

وَفِي اللَّيَالِي فِي الْأَيَّامِ مُعْتَبِرٌ
إِنَّ الْمُحَارِبَ يَسْتَأْنِي وَيَنْتَظِرُ
وَقَدْ تَبَيَّنَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
وَقَدْ تَقَارَبَتِ الْأَجَالُ وَالْقَدَرُ
وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ بَيْنَنَا مِثْرٌ^(١)
لَا تَسْتَنْبِئُ عَيْونُ كُلَّمَا ذُكِرُوا
قَتَلَى مَضَى لَهُمْ حَوْلَانِ مَا قُبِرُوا
نُبْقَى عَلَيْهِمْ وَمَا يَبْقُونَ إِنْ قَدَرُوا ١٠١٥/٢
وَلَا نَقِيلُهُمْ يَوْمًا إِذَا عَثَرُوا
وَلَا لَهُمْ عِنْدَنَا عُذْرٌ لَوْ اعْتَذَرُوا
كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ حَتَّى يَشْخَصَ الْبَصَرُ
كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ تُتْلَى فِيهِمُ السُّورُ
مَشَى الزَّوَامِلُ تَهْدِي صَفَّهُمْ زُمْرٌ^(٢)
حَتَّى مِنْ الْأَزْدِ فِيهَا نَابَهُمْ صَبْرٌ
تُشَابِطُ فِيهِ نُفُوسٌ حِينَ تَبْتَكِرُ
بِالْمَشْرِقِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَسْتَعِيرُ
فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ إِلَّا الصَّارِمَ الذَّكْرُ ١٠١٦/٢
وَبَيْنَنَا ثُمَّ مِنْ صُمِّ الْقَنَا كِسْرٌ
كَأَنَّهَا فَوْقَهَا الْجَادَى يُعْتَصِرُ
تَشْفِي صُدُورَ رِجَالِ طَالِمَا وَتَرُوا

(١) المثر : جمع مثرة؛ وهي الذحل والمداوة .

(٢) الزوامل : جمع زاملة ؛ وهو البعير يحمل الطعام والمتاع .

مجاورين بها خيلاً معقراً
 في معركٍ تحسبُ القتلى بساحتِـ
 وفي مواطنٍ قبلَ اليومِ قد سلفتُ
 في كلِّ يومٍ تُلَاقِي الأزدُ مفضِعةً
 والأزدُ قومي خیارُ القومِ قد علموا

فيهم معاقِلٌ من عِزِّ بلادِ بها

١٠٧/٢

حىُّ بأسيا فيهم يَبغونَ مجدَهُمُ
 لولا المهلبُ للجيشِ الذي وردوا
 إنا اعتصمنا بحبلِ اللهِ إذ جحدوا
 جاروا عن القصدِ والإسلامِ واتبعوا

وقال الظنبيُّ بنُ عامرِ بنِ واثلة وهو يذكر قتلَ عبدِ ربِّه^(١) الكبيرِ وأصحابه،
 وذهابَ قَطْرِي في الأرضِ واتباعَهُم إِيَّاهِ ومراوغته إِيَّاهُم :

لقد مسَّ منَّا عبدَ ربِّ وجندُه
 بما لهمُ بالجيشِ حتى أراحَهُمُ
 وما قَطْرِي الكُفْرُ إِلَّا نَعَامَةٌ
 إذا فرَّ منَّا هارباً كانَ وَجْهُهُ
 فليسَ بهِ منجِيهِ الفِراقُ وإنْ جَرَّتْ

عقابُ فأمسى سَبِيهِمُ في المقاسمِ -
 بكرمانَ عن مشوى من الأرضِ ناعِمِ
 طريدٌ يدوى ليلهُ غيرَ نائِمِ -
 طريقاً سوى قصدِ الهدى والمعالمِ
 بهِ الفلْكَ في نُجُجٍ من البحرِ دائمِ

[ذكر الخبر عن هلاك قَطْرِي وأصحابه]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كانت هلكة قَطْرِي وعبيدة بن هلال
 وعبد ربِّ الكبير ومن كان معهم من الأزارقة .

(١) كذا في م ، وفي ط : « عبد رب » .

• ذكرُ سببِ مهلكِهِمْ (١) :

وكان سبب ذلك أن أمر^(٢) الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذي حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربه الكبير وبعضهم مع قطري ووهي أمر قطري ، توجه يريد طبرستان ، وبلغ أمره الحجاج ، فتوجه - فيما ذكر هشام^(٣) عن أبي مخنف ، عن يونس بن يزيد - سفيان بن الأبرد ، وتوجه معه جيشاً من أهل الشام عظيم^(٤) في طلب قطري ، فأقبل سفيان حتى أتى الرقة ثم أتتهم . وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد ابن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان . أن اسمع وأطيع لسفيان . فأقبل إلى سفيان فسار معه في طلب قطري حتى لحقوه في شعب من شعاب طبرستان ، فقاتلوه ، ففرق عنه أصحابه ، ووقع عن دابته في أسفل الشعب فتدهى^(٥) حتى خر إلى أسفله ، فقال معاوية بن مخصن الكندي : رأيتُه حيث هوى ولم أعرفه ، ونظرت إلى خمس عشرة امرأة عربية هن في الجمال والبزاة وحسن الهيئة كما شاء ربك ، ما عدا عجوزاً فيهن ، فحملت عليهن فصرفتهن إلى سفيان بن الأبرد .

فلما دنوت بهن منه انتحت لي بسيفها^(٥) العجوز فتضرب به عنق ، ١٠١٩/٢ فقطعت المغفر ، وقطعت جلدة من حلقتي ، وأختلج السيف فأضرب به وجهها ، فأصاب قحف رأسها ، فوقعت ميتة ، وأقبلت بالفتيات حتى دفعتهن إلى سفيان وإنه ليضحك من العجوز ، وقال : ما أردت^(٦) إلى قتل هذه أخزاهما الله - فقلت : أو ما رأيت أصلحك الله ضربتها إيتاي ! والله إن كادت لتقتلني ؛ قال : قد رأيت . فوالله ما ألومك على فعلك ، أبعدها الله . ويأتني قطرياً حيث تدهى من الشعب عالج من أهل البلد ، فقال له قطري : اسقني من الماء - وقد كان اشتد عطشه - فقال : أعطني شيئاً حتى أسقيك ، فقال : ويحك ؛ والله ما معي إلا ما ترى من سلاحي . فأنا مؤتيكمه إذا

(١) : « هلكهم » ، ب ، ف : « هلاكهم » .

(٢) ف : « الأمراء » .

(٣) ب ، ف : « عظيماً من أهل الشام » .

(٤) ب ، ف : « فتدهى » ، ا ، س : « فتدهى » .

(٥) س : « سيفها » . (٦) ب : « أردت » .

أتيتني بماء ، قال : لا ، بل أعطنيه الآن ، قال : لا ، ولكن ائتي بماء قبل ، فانطلق العليج حتى أشرف على قطري ، ثم حذر عليه حَجْرًا عظيمًا من فوقه دَهِدَاه عليه ، فأصاب إحدى وركبه فأوهته ، وصاح بالناس ، فأقبلوا نحوه ، والعلنج حينئذ لا يعرف قطريًا ، غير أنه يظن أنه من أشرافهم لحسن هيئته . وكمال سلاحه ، فدفع إليه نفرًا من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه . منهم سَوْرَة بن أبيجر التميمي ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف ، والصبح بن محمد بن الأشعث ، وبإذام مولى بنى الأشعث ، وعمر بن أبي الصلت بن كئارا مولى بنى نصر بن معاوية ، وهو من الدهاقين ، فكل هؤلاء ادّعوا قتله . فدفع إليهم أبو الجهم بن كنانة الكلبي - وكلهم يزعم أنه قاتله - فقال لهم : ادفعوه إلى حتى تصطلحوا ، فدفعوه إليه .

۱۰۲۰/۲

فأقبل به إلى إسحاق بن محمد - وهو على أهل الكوفة - ولم يأت به جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك - وكان لا يكلمه ، وكان جعفر مع سُفْيَان بن الأبرد ، ولم يكن معه إسحاق ، وكان جعفر على ربيع أهل المدينة بالري ، فلما مر سُفْيَان بأهل الرى انتخب فرسانهم بأمر الحجاج ، فسار بهم معه ، فلما أتى القوم بالرأس فاختصموا فيه إليه وهو في يدي^(۱) أبي الجهم^(۲) بن كنانة الكلبي ، قال له : امض به أنت . ودّع هؤلاء المختلفين ، فخرج برأس قطري حتى قدم به على الحجاج ، ثم أتى به عبد الملك بن مروان ، فألحق في ألفين ، وأعطى فطما^(۱) - يعنى أنه يفرض للصغار في الديوان - وجاء جعفر إلى سُفْيَان فقال له : أصلحك الله ! إن قطريًا كان أصاب والذى فلم يكن لي هم غيره ، فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادّعوا قتله . فسألهم ، ألم أكن أماءهم حتى بدرتهم فضربتهم ضربة فصرعته ، ثم جاءوني بعد ، فأقبلوا يضربونه بأسيافهم ! فإن أقرؤا نى بهذا فقد صدقوا . وإن أبوا فأنا أحلف بالله أنى صاحبه . وإلا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه ، وأنهم لا يعرفون ما أقول ، ولا حق نى فيه . قال : جئت الآن وقد سرحنا بالرأس . فانصرف عنه فقال له أصحابه : أما والله إنك لأخلق القوم أن تكون صاحبه .

(۱) ب ، ف : « يد » .

(۲) س : « جهم » .

ثم إن سفيان بن الأبرد أقبل منصرفاً إلى عسكر عبدة بن هلال ،
وقد تحصن في قصر بقوميس ، فحاصره فقاتله أياماً . ثم إن سفيان بن
الأبرد سار بنا إليهم حتى أحططنا بهم ، ثم أمر مناديه فنادى فيهم : أيما
رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن ؛ فقال عبدة بن هلال :

لعمري لقد قام الأصم بخطبة
لعمري لئن أعطيت سفيان بيعة
إلى الله أشكو ما ترى بجيادنا
تعاورها القذاف من كل جانب
فإن يك أفناها الحصار فربما
وقد كنّ مما إن يُقدن على الوجي

لذي الشك منها في الصدور غليل
وفارقت ديني إنني لجهول
تساوك هزلي مخهن قليل^(١)
بقوميس حتى صعبهن ذلول
تشحط فيما بينهن قتيل
لهن بأبواب القباب صهيل

فحاصرهم حتى جهدوا ، وأكلوا دوابهم . ثم إنهم خرجوا إليه فقاتلوه ،
فقتلهم وبعث برءوسهم إلى الحججاج ، ثم دخل إلى دنباوند وطبرستان ،
فكان هنالك حتى عزله الحججاج قبل الحماجم .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدي أمية بن
عبد الله بن خالد بن أسيد :

* ذكر سبب قتله إياه .

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد - أن
أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ، ولّى بكيراً
غزواً ما وراء النهر . وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان . فتجهز للخروج
إليها ، وأنفق نفقة كثيرة ، فوشى به إليه بحير بن ورقاء الصريمي على ما بيئت
قبل . فأمره أمية بالمقام .

(١) التساوك : السير الصعيف ، والبيت في اللسان (سوك) بنسبته إلى عبدة بن خالد بن الحر

فلما ولّاه غزوة ما وراء النهر تجهز وتكلف الخيل والسلاح ، وادّان من رجال السغد وتجارهم ، فقال بغير لأمية : إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه ، فأرسل إليه أمية : أقم لعل أغزو فتكون معي ، فغضب بكير وقال : كأنه يضارني . وكان عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير ، فلما أقام أخذه غرماؤه ، فحبس فأدى عنه بكير وخرج ، ثم أجمع أمية على الغزو . قال : فأمر بالجهاز ليغزو بخارى ، ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترميد ، فاستعدّ الناس وتجهزوا ، واستخلف على خراسان ابنه زياداً ، وسار معه بكير فعسكر بكشمهاتن ، فأقام أياماً ، ثم أمر بالرحيل ، فقال له بغير : إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكبير : فلتكن في الساقة ولتحشر الناس . قال : فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر ، فقال له أمية : اقطع يا بكير . فقال عتاب اللقوة الغداني : أصلح الله الأمير ! اعبّر ثم يعبّر الناس بعدك . فعبّر ثم عبّر الناس ، فقال أمية لبكبير : قد خفت ألا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث . فارجع إلى مرو فاكفنيها فقد وليتسكنها . فزيّن ابني وقم بأمره . فانتخب بكير فرساناً من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر . ومضى أمية إلى بخارى وعلى مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة . فقال عتاب اللقوة لبكبير لما عبر وقد مضى أمية : إنا قتلنا أنفسنا وعشائرتنا حتى ضبطننا خراسان ، ثم طلبنا أميراً من قريش يجمع أمرنا ، فجاءنا أميرٌ يلعّب بنا يحولنا من سجن إلى سجن ، قال : فما ترى ؟ قال : أحرق^(١) هذه السفن . وامض إلى مرو فانزع أمية ، وتقيم بمرو تأكلها إلى يوم ما . قال : فقال الأحنف بن عبد الله العنبري : الرأي ما رأى عتاب . فقال بكير : إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي . فقال : أتخاف عدم الرجال ! أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك من هؤلاء الذين معك ، قال : يهلك المسلمون ؛ قال : إنما يكفئك أن ينادي مناد : من أسلم رفعنا عنه الحراج فبأتيك خمسون ألفاً من المسلمين أسمعك من هؤلاء ، وأعوّج . قال : فيهلك أمية ومن معه . قال : ولهم يهلكون ولم عدّة وعمدّ وسجدّة وسلاح ظاهر وأداة كاملة . ليقاتلوا عن

١٠٢٣/٢

١٠٢٤/٢

(١) : «أحرق» .

أنفسهم حتى يبلغوا الصين ! فأحرق بكير السفن ، ورجع إلى مرو . فأخذ ابن أمية فحبسه ، ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه ، وبلغ أمية ، فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ، ورجع فأمر باتخاذ السفن ، فأتخذت له وجسمت ، وقال لمن معه من وجوه تميم : ألا تعجبون من بكير ! إني قدمت خراسان فحدرتة ، ورفع عليه وشكى منه ، وذكروا أموالاً أصابها ، فأعرضت عن ذلك كله ، ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحداً من عماله . ثم عرضت عليه شرطى فأبى ، فأعفيته . ثم وليته فحدرتة ، فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظراً له ، ثم رددته إلى مرو ، ووليته الأمر . فكفر ذلك كله . وكافأني بما ترون . فقال له قوم : أيها الأمير . لم يكن هذا من شأنه . إنما أشار عليه بإحراق السفن عتاب اللقوة . فقال : وما عتاب ! وهل (١) عتاب إلا دجاجة ١٠٢٤/٢ حاضنة ، فبلغ قوله (٢) عتاباً . فقال عتاب في ذلك :

إِنَّ الْحَوَاضِنَ تَلْقَاهَا مَجْفَفَةً	غُلِبَ الرَّقَابَ عَلَى الْمَنَسُوبَةِ النَّجْبِ
تَرَكْتَ أَمْرَكَ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَوْرٍ	وَجِئْتَنَا حُمُقًا يَا أَلَمَ الْعَرَبِ
لَا رَأَيْتَ جِبَالَ السُّغْدِ مُعْرَضَةً	وَأَيْتَ مُوسَى وَنُوحًا عُكُوءَ الذَّنْبِ
وَجِئْتَ ذِيخًا مُغْدًا مَا تُكَلِّمُنَا	وِطْرْتَ مِنْ سَعْفِ الْبَحْرَيْنِ كَالْخَرَبِ
أُوْعِدْ وَعِيدَكَ إِنِّي سَوْفَ تَعْرِفُنِي	تَحْتَ الْخَوَافِقِ دُونَ الْعَارِضِ اللَّجْبِ
يَخُبُّ بِي مَشْرَفٌ عَارٍ نَوَاهِقُهُ	يَغْشَى الْكُتَيْبَةَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْخَبَبِ

قال : فلما تهيأت السفن ، عبرت أمية وأقبل إلى مرو . وترك موسى بن عبد الله ، وقال : اللهم إني أحسنت إلى بكير ، فكفر إحداي ، وصنع ما صنع ، اللهم اكفنيه .

فقال شماس بن دثار - وكان رجع من سجدتان بعد قتل ابن خازم ، ١٠٢٦/٢ فغزا مع أمية : أيها الأمير . أنا أكفيك إن شاء الله . فقدّمته أمية في ثمانمائة . فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر ، وسار إليه بكير ومعه مندرك بن أذف وأبوه

(٢) ف : « ذلك » .

(١) ب ، ف : « وما » .

مع شماس ، فقال : أما كان في تميم أحدٌ يجاريني غيرك ! ولامته . فأرسل إليه شماس : أنت ألوم وأسوأ صنيعاً مني ، لم تَفِ لأمية ولم تشكر له صنيعه بك ؛ فقدم فأكرمك ولم يتعرض لك ولا لأحد من عمالك .

قال : فبيته بكير ففرق جمعه وقال : لا تقتلوا منهم أحداً ، وخذوا سلاحهم ، فكانوا إذا أخذوا رجلاً سلبوه وخلوا عنه ، ففترقوا ، ونزل شماس في قرية لطيفة يقال لها : بُوَيْنَةَ ، وقدم أمية فنزل كَشْمَاهُن ، ورجع إليه شماس بن دثار فقدم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة ، فلقية بكير فأسر ثابتاً وفرق جمعه ، ونحى بكير سبيل ثابت ليبد كان له عنده . قال : فرجع إلى أمية ، فأقبل أمية في الناس ، فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رُسَم الخليل بن أوس العَبَشَسِيّ ، فأبى يومئذ ، فنادوه : يا صاحب شرطة عارمة - وعارمة جارية بكير - فأحجم ، فقال له بكير : لا أبالك ، لا يهدك نداء هؤلاء القوم . فإن للعارمة فسحلاً يمنعها ، فقدم لواءك ، فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط ، فنزل (١) السوق العتيقة ، ونزل أمية بآسمان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد ، فانكشفوا يوماً ، فحماهم بكير ، ثم التقوا يوماً آخر في الميدان ، فضرب رجلٌ من بني تميم على رجله فجعل يسحبها ، وهريم يحميه ، فقال الرجل : اللهم أيدنا فأمدنا بالملائكة ، فقال له هريم : أيها الرجل ، قاتل عن نفسك ، فإن الملائكة في شغل عنك ، فتحامل ثم أعاد قوله : اللهم أمدنا بالملائكة ، فقال هريم : لتكفن عني أو لأدعنك والملائكة ، وحماه حتى ألحقه بالناس . قال : ونادى رجلٌ من بني تميم : يا أمية ، يا فاضح قريش : فألى أمية إن ظنير به أن يذبحه ، فظنير به فذبحه بين شرفتين من المدينة . ثم التقوا يوماً آخر ، فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى : أنا ابن وشاح ؛ فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير . فانحاز بكير ، وانكشف أصحابه ، وأتبع حريث بكيراً حتى بلغ القنطرة . فناداه : أين يا بكير ؟ فكر عليه ، فضربته حريث على رأسه ، فقطع المغفر ، وعَضَّ

١٠٢٧/٢

السيفُ برأسه ، فصُرِعَ ، فاحتتملته أصحابه ، فأدخلوه المدينة .
 قال : فكانوا على ذلك يقاتلونهم ، وكان أصحابُ بكير يتغدُون متفضلين
 في ثياب مصبغة ، وملاحفَ وأزرَ صُفْرَ وحُمْرَ ، فيجلسون على نواحي
 المدينة يتحدَّثون ، وينادي مناد : مَنْ رَمَى بسهمِ رَمِينَا إليه برأس رجل من
 ولديه وأهله ؛ فلا يرميهم أحد .

قال : فأشفق بكير ، وخاف إن طال الحصار أن يخذله الناس ، فطلب
 الصلح ، وأحب ذلك أيضاً أصحابُ أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة ، فقالوا
 لأمية : صالحه - وكان أمية يحب العافية - فصالحه على أن يقضى عنه
 أربعمئة ألف ، ويصِلَ أصحابه ويوليه أيضاً أيَّ كُورِ خراسان شاء ،
 ولا يسمع قولَ بسحير فيه ، وإن رابته منه ريب فهو أمين أربعين يوماً حتى
 يخرج عن مرو ، فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك ، وكتب له كتاباً على
 باب سنجان^(١) ، ودخل أمية المدينة .

قال : وقوم يقولون : لم يخرج بكير مع أمية غازياً ، ولكن أمية لما غزا
 استخلفه على مرو فخلعه ، فرجع أمية فقاتله ، ثم صالحه ودخل مرو
 ووفى أمية لبكير . وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحسن الإذن ، وأرسل
 إلى عتاب اللقوة ، فقال : أنت صاحبُ المشورة ؛ فقال : نعم أصلح الله
 الأمير ! قال : ولِمَ ؟ قال : خف ما كان في يدي ، وكشّر ديني ،
 وأعديت على غرمائي ؛ قال : ويحك ! فضربت بين المسلمين ، وأحرقت السفن
 والمسلمون في بلاد العدو ، وما خفت الله ! قال : قد كان ذلك ، فأستغفر
 الله ، قال : كم دينك ؟ قال : عشرون ألفاً ؛ قال : تكف عن غيش
 المسلمين وأقضي دينك ؟ قال : نعم ، جعلني الله فداك ! قال : فضحك
 أمية وقال : إن ظني بك غير ما تقول ، وسأقضي عنك . فأدى عنه عشرين
 ألفاً ، وكان أمية سهلاً ليناسخياً ، لم يُعط أحدٌ من عمال خراسان بها مثل
 عطايه ؛ قال : وكان مع ذلك ثقبلاً عليهم ، كان فيه زهو شديد ، وكان
 يقول : ما أكتفي بخراسان^(٢) وسجستان لمطبخي . وعزل أمية بجيرا

(١) ا ، ب ، ف : « شجاره » . (٢) بعدا في ب ، ف : « كلها » .

١٠٢٩/٢

عن شرطته ، وولّاهما عطاء بن أبي السائب . وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحته عنه . ففرض عبد الملك بعثنا إلى أمية بخراسان . ففتجعاء على الناس . فأعطى شقيق بن سليل الأسدي جمعاً لته رجلاً من جرّم ، وأخذ أمية الناس بالحراج . واشتدّ عليهم فيه . فجلس بكير يوماً في المسجد وعنده ناس من بني تميم . فذكروا شدة أمية على الناس . فذمّوه . وقالوا : سلط علينا الدهاقين في الجباية وبخير وضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية ابن قدامة في المسجد . فنقل بخير ذلك إلى أمية فكذبه فادّعى شهادة ، وادّعى شهادة مزاحم بن أبي المسجشر السلمي . فدعا أمية مزاحم فساله فقال : إنما كان يمزح ، فأعرض عنه أمية ، ثم أتاه بخير فقال : أصلح الله الأمير ! إن بكيراً والله قد دعاني إلى خلعك . وقال : لولا مكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان . فقال أمية : ما أصدق بهذا وقد فعل ما فعل ، فأمنتّه ووصلته .

قال : فاتاه بضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية فشهدا أن بكيراً قال لهما : لو أظعنماني لقتلت هذا القرشي المخنث ، وقد دعانا إلى التمسك بك . فقال أمية : أنتم أعلم وما شهدتم . وما أظنّ هذا به وإن تركه . وقد شهدتم بما شهدتم عجزاً . وقال خاجبه عبيدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب : إذا دخل بكير ، وبدل وشمر دل ابنا أخيه ، فنهضت فيخذوهم . وجلس أمية للناس . وجاء بكير وابنا أخيه . فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل ، وخرج الناس وخرج بكير . فحبسوه وابني أخيه ، فدعا أمية ببكير فقال : أنت القائل كذا وكذا ؟ قال : تشببت أصلحك الله ولا تسمعن قول ابن مخلوقه ! فحبسه . وأخذ جاريته العاربة حبسها . وحبس الأحنف ابن عبد الله العنبري ، وقال : أنت ممن أشار على بكير بالخلع .

١٠٣٠/٢

فلما كان من الغد أخرج بكيراً لشهد عليه بخير وضرار وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خلعهم والتمسك به . فقال : أصلحك الله ! تشببت فإن هؤلاء أعدائي . فقال أمية نزياد بن عتبة - وهو رأس أهل العافية - ولابن والآن العدوي - وهو من بني تميم - ليعتري بن خالد الدهلي :

أنتقلونه ؟ فلم يجيبوه . فقال لبَحِير : أنتقلته ؟ قال . نعم . فدفعه إليه .
 فنهض يعقوبُ بن القَعْنَقِ الأعلم الأزدي من مجلسه . وكان صديقاً لبُكَيْر .
 فاحتضن أمية . وقال : أذكرك الله أيها الأمير في بكير . فقد أعطيتَه ما
 أعطيتَه من نفسك . قال : يا يعقوب ما يقتله إلا قومه . شهدوا عليه . فقال
 عطاءُ بن أبي السائب الليثي وهو على حرس أمية : نخل عن الأمير : قال :
 لا . فضربه عطاءُ بتأمم السيف . فأصاب أنفه فأدمته . فخرج . ثم قال
 لبَحِير : يا بحير . إن الناس أعطوا بكيراً ذمتهم في صلحه . وأنت منهم .
 فلا تخفر ذمتك . قال : يا يعقوب . ما أعطيتَه ذمته . ثم أخذ بغير سيف
 بكير الموصول الذي كان أخذه من أسوار الترحمان ترحمناً ابن خازم .
 فقال له بكير : يا بحير . إنك تفرق أمر بني سعد إن قتلته . فدفع هذا
 القرشي إلى منى ما يريد . فقال بحير : لا والله يا بن الإصمائية لا تصلح
 بنو سعد ما دوننا حينئذ . قال : فشأنك يا بن أخذرقه . فقتلته . وذلك يوم
 جمعة .

وقتل أمية ابني أخي بكير . وومب جارية بكير العارمة لبَحِير . وكلم
 أمية في الأحنف بن عبد الله العنبري . فدعا به من السجن . فقال : وأنت
 من أشار على بكير . وشتمته . وقال : قد وهبتك ذللاً . قال : ثم وجه أمية
 رجلاً من خزاعة إلى موسى بن عبد الله بن خازم . فقتله عمرو بن خالد بن
 حصين الكلبي غيلة . ففترق جيشه . فاستأمن طائفة منهم موسى .
 فصاروا معه . ورجع بعضهم إلى أمية .

وفي هذه السنة عبر النهر . نهر بسخ أمية الغزوة . فحوصر حتى جهده
 هو وأصحابه . ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك . فانصرف والذين معه من
 ابخند إلى مرو . وقال سيد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة
 يزجو أمية :

ألا أبلغ أمية أن سيجزى ثواب الشر إن له ثواباً
 ومن ينظر عتابك أو يرده فلست بناظر منك العتاباً

(١) ط : « حصن » . وانظر الفهرس .

معا المعروف منك خلال سؤء
ومن سَمَّاكَ إذ قسم الأسمي
مُنحتَ صَنِيعَهَا باباً فباباً
أُميَّةٌ إذ وُلِدتَ فقد أصابا

• • •

قال أبو جعفر : وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وهو أميرُ علي
المدينة ، وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف : وعلى خراسان أمية
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . ١٠٣٢/٢

وحدثني أحمدُ بنُ ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
أبي معشر ، قال : حجَّ أبانُ بنُ عثمانَ وهو على المدينة بالناس حجَّتَيْن سنة
ستَ وسبعين سنة سبع وسبعين .

وقد قيل : إنَّ هلاكَ شبيب كان في سنة ثمان وسبعين ، وكذلك قيل في
هلاك قَطَرِيٍّ وَعَبِيدَةَ بن هلال وعبد ربه (١) الكبير .

* * *

وغزاً في هذه السنة الصائفة الوليدُ .

ع

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « عبد ربه » .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة
فمن ذلك عزّل عبد الملك بن مروان أميّة بن عبد الله عن خراسان
وضمته خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف . فلما ضم ذلك إليه فرق
فيه عماله (١) .

• • •

ذكر الخبر عن العمال الذين ولّاهم الحجاج خراسان وسجستان
وذكر السبب في توليته من ولّاه ذلك وشيئا منه

ذكر أن الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخّص من الكوفة إلى
البصرة ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل - وقد
قيل : إنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، ثم عزّله .
وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله - فقدم عليه المهلب بها ، وقد فرغ من
[أمر] (٢) الأزارقة .

فقال هشام : حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي ، أن
المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدّم على الحجاج - وذلك سنة
ثمان وسبعين - فأجلسه معه ، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب ،
فأخذ الحجاج لا يتذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن إلا
صدقة الحجاج بذلك ، فحملتهم الحجاج وأحسن عطاياهم ، وزاد في
أعطياتهم ، ثم قال : هؤلاء أصحاب الفعّال ، وأحقّ بالأموال . هؤلاء
حماة الثغور ، وغيظ الأعداء .

قال هشام عن أبي مخنف : قال يونس بن أبي إسحاق : وقد كان
الحجاج ولي المهلب سجستان مع خراسان ، فقال له المهلب : ألا أدلك على
رجل هو أعلم بسجستان مني ، وقد كان ولي كابل وزابل ، وجباهم

(١) « عماله فيها » . (٢) من ١

وقَاتَلْتَهُمْ وَصَالَحْتَهُمْ ؟ قَالَ لَهُ : بَلَى ، فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ عبيد الله بن أبي بكره .
 ثمَّ إِنَّهُ بَعَثَ الْمُهَلَّبَ عَلَى خُرَاسَانَ وَعَبِيدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَلَى سِجِسْتَانَ ،
 وَكَانَ النَّعْمَانُ هُنَاكَ أُمِيَّةً بِنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي النَّعِيصِ بْنِ أُمِيَّةٍ ،
 وَكَانَ عَدُوًّا لِعَبِيدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . لَمْ يَكُنْ لِلْحِجَابِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ حِينَ بُعِثَ
 إِلَى خُرَاسَانَ حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ السَّنَةُ . فَعَزَّاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَجَمَعَ سُلْطَانَهُ لِلْحِجَابِ .
 ثُمَّ بَعَثَ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ إِلَى سِجِسْتَانَ . فَكُتِبَ
 لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ بِفِيَّةِ سَنَتِهِ .

بِهِ رَوِيَتْهُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي خَذْرَجٍ . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ ذَكَرَ
 عَنْ أَبِي نَسْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ جُمُعَتَا لِحِجَابِ مَعَ الْعِرَاقِ فِي
 أَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ مَا قُتِلَ الْخَوَارِجُ . فَاسْتَعْمَلَ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ
 عَلَى خُرَاسَانَ . وَالْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ عَلَى سِجِسْتَانَ . فَكَرِهَ الْمُهَلَّبُ سِجِسْتَانَ ،
 فَخَفِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبِيدِ بْنِ طَارِقِ الْعَبَّاشِيُّ — وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ الْحِجَابِ —
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ وِلَايَتِي سِجِسْتَانَ . وَوَلِي ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ خُرَاسَانَ . وَأَنَا
 أَعْرِفُ بِخُرَاسَانَ مِنْهُ . قَدْ عَرَفْتُهَا أَيَّامَ الْحَكْمِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ . وَابْنُ
 أَبِي بَكْرَةَ أَقْوَى عَلَى سِجِسْتَانَ مِنِّي . فَكَلِمَةُ الْأَمِيرِ يَحْوِثُنِي إِلَى خُرَاسَانَ . وَابْنُ
 أَبِي بَكْرَةَ يَنْبَغِي لِسِجِسْتَانَ : قَالَ : نَعَمْ . وَكُنْتُمْ زَادَانِ فَرَوُخَ يُعِينُنِي : فَكَلِمَةُ .
 فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبِيدِ لِلْحِجَابِ : وَلَيْتَ الْمُهَلَّبُ سِجِسْتَانَ
 وَابْنُ أَبِي بَكْرَةَ أَقْوَى عَلَيْهَا مِنْهُ . فَقَالَ زَادَانِ فَرَوُخَ : صَدَقَ . قَالَ : إِنَّمَا
 قَدْ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ : قَالَ زَادَانِ فَرَوُخَ : مَا أَهْوَى تَحْوِيلَ عَهْدِهِ : فَحَوْلَ ابْنِ
 أَبِي بَكْرَةَ إِلَى سِجِسْتَانَ . وَالْمُهَلَّبُ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَأَخَذَ الْمُهَلَّبُ بِأَلْفِ أَلْفٍ
 مِنْ خَرَاجِ الْأَمْوَالِ . وَكَانَ وِلَايَتَهَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِابْنِهِ
 الْمَغِيرَةَ : إِنَّ خَالِدًا وِلَايَتِي الْأَهْوَاةَ ، وَوِلَايَتُكَ إِصْطَخَرَ . وَقَدْ أَخَذَنِي الْحِجَابُ
 بِأَلْفِ أَلْفٍ . فَانصَفَ عَلِيٌّ وَانصَفَ عَلَيْكَ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْمُهَلَّبِ مَالٌ . كَانَ
 إِذَا عَزَلَ اسْتَفْرَضَ : قَالَ : فَكَلِمَةُ أَبِي مَأْوِيَّةَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ — وَكَانَ
 أَبُو مَأْوِيَّةَ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ — فَأَسْلَفَ الْمُهَلَّبُ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ (١) ،

١٠٣٥/٢ فقالت خَيْرَةُ القُشَيْرِيَّةُ امرأة المهلب : هذا لا يني^(١) بما عليك ؛ فباعته حُلِيًّا لها ومتاعًا ، فأكمل خمسمائة ألف ، وحمل المغيرة إلى أبيه خمسمائة ألف^(٢) فحملها إلى الحجّاج ، ووجه المهلب ابنه حبيبًا على مقدّمته ، فأنى الحجّاج فودّعه ، فأمر الحجّاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء ، قال : فسار حبيبٌ على تلك البغلة حتى قدّم خُرَاسَانَ هو وأصحابه على البريد ، فسار عشرين يومًا ، فتلقاهم حين دخلوا حملٌ حطب ، فنزّفت البغلة فتعجبوا منها ومن نِفارها بعد ذلك التعب وشدة السير . فلم يعرض لأمية ولا لعمّاله ، وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك ، حدثني بذلك أحمدُ ابنُ ثابتٍ عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكان أميرَ المدينة في هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، وأميرَ الكوفة والبصرة خُرَاسان وسجستان وكيرمان الحجّاجُ بنُ يوسف ، وخليفته بخُرَاسان المهلبُ ، وبسجستان عبّيد الله ابنُ أبي بكرّة ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة - فيما قيل - موسى بن أنس .

* * *

وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم .

(٢) ب ، ف : « ألف ألف » .

(١) ب ، ف : « لا يني هذا » .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفتنون من شدته ، فلم يغرز في تلك السنة أحدٌ - فيما قيل - للطاعون الذي كان بها ، وكثرة الموت .

١٠٣٦/٢

وفيها - فيما قيل - : أصابت الرومُ أهلَ أنطاكية .

• • •

[ذكر الخبر عن غزو عبید الله بن أبي بكره رُتبيل]

وفيها غزا عبید الله بن أبي بكره رُتبيل .

ذكر الخبر عن غزوته إياه :

قال هشام : حدثني أبو ميخنف ، عن أبي المخارق الراسبي ، قال : لما ولّى الحجاجُ المهلبَ خراسانَ ، وعبید الله بن أبي بكره سجستانَ ، مضى المهلبُ إلى خراسانَ وعبید الله بن أبي بكره إلى سجستانَ ، وذلك في سنة ثمان وسبعين ، فكث عبید الله بن أبي بكره بقيته سنته . ثم إنه غزا رُتبيل وقد كان مصالحتاً ، وقد^(١) كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجاً ، وربما امتنع فلم يفعل . فبعث الحجاج إلى عبید الله بن أبي بكره أن ناجزه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيح أرضه ، وتهدم قلاعته ، وتقتل مقاتلته ، وتسي ذريته . فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة ، وكان على أهل الكوفة شريح بن هاني الحارثي ثم الضبابي ، وكان من أصحاب علي ، وكان عبید الله على أهل البصرة ، وهو أمير الجماعة ، فمضى حتى وغل في بلاد رُتبيل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء وهدم قلاعاً وحصوناً ، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة ، وأصحاب^(٢) رُتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض ، حتى أمعنوا في بلادهم

١٠٣٧/٢

(١) ساقطة من أ . (٢) ب ، ف : « وأصاب » .

ودنوا من مدينتهم ، وكانوا منها ثمانية عشر فرسخًا ، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب ، وخلتوهم والرّسّاتيق ، فسقط في أيدي المسلمين ، وظنوا أن قد هلكوا ، فبعث ابن أبي بكرّة إلى شريح بن هاني : إني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ، ويخلتوا بيني وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، فلقية شريح فقال : إنك لا تصالح على شيء إلاّ حسبه السلطان عليكم في أعطيّاتكم ، قال : لو منّنا العطاء ما حيينا كان أهون علينا من هلاكنا ؛ قال شريح : والله لقد بلغت سنًا ، وقد هلكت لِدَاتي ، ما تأتي على ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت ، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ، ولئن فاتني اليوم ما إخالني مدركها حتى أموت ، وقال : يا أهل الإسلام ، تعاونوا على عدوكم ؛ فقال له ابن أبي بكرّة : إنك شيخ قد خرفت ، فقال شريح : إنما حسبك أن يقال : بُستان ابن أبي بكرّة وحمّام ابن أبي بكرّة ، يا أهل الإسلام ، من أراد منكم الشهادة فإلى . فاتبعه ناسٌ من المتطوعة غير كثير ، وفرسان الناس وأهل الحِفاظ ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلاّ قليلا ، فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول :

أصبحتُ ذا بَثُّ أفاسى الكِبرِا قد عِشتُ بين المشركين أعصرا
ثمّت أدركتُ النبيّ المُنذِرا وبعده صديقُه وعُمرَا
ويومَ مِهْرانَ ويومَ تُستِرا والجمَعُ في صِفيهِم والنهرا
وباجُميرَاتِ مع المُشَقِرا هيهاتَ ما أطولَ هذا عُمرَا
فقاتل حتى قُتِلَ في ناسٍ من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رُتبيل حتى خرجوا منها ، فاستقبلتهم من خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة ، فإذا أكلَ أحدهم وشبع مات ، فلما رأى ذلك الناسُ حذروا يطعمونهم ، ثمّ جعلوا يطعمونهم السّمْنُ قليلا قليلا ، حتى استمروا . وبلغ ذلك الحجاج ، فأخذه ما تقدّم وما تأخر ، وبلغ ذلك منه كلّ مبلغ ، وكتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنّ جُنْدَ أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم

يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ ، وَقَدْ اجْتَرَأَ الْعَدُوَّ بِالَّذِي أَصَابَهُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ
فَدَخَلُوا بِلَادَهُمْ ، وَغَلَبُوا عَلَى حَصُونِهِمْ وَقُصُورِهِمْ ، وَقَدْ أَرَدَتْ أَنْ أَوْجِهَ إِلَيْهِمْ
جُنْدًا كَثِيفًا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرَيْنِ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْتَطْلَعَ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَى لِي بَعْثَةَ ذَلِكَ الْجُنْدِ أَمْضِيَّتُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ فَإِنْ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِجُنْدِهِ ، مَعَ أَنِّي أَتَخَوَّفُ إِنْ لَمْ يَأْتِ رُتْبِيلٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ
الْمَشْرِكِينَ جُنْدٌ كَثِيفٌ عَاجِلًا أَنْ يَسْتَوْلُوا عَلَى ذَلِكَ الْفَرَجِ كُلَّهُ .

١٠٣٩/٢

• • •

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ الْمَهْلَبُ خُرَّاسَانَ أَمِيرًا ، وَانصَرَفَ عَنْهَا أَمِيَّةُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ ، وَقِيلَ اسْتَعْفَى شُرَيْحَ الْقَاضِي مِنَ الْقِضَاءِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَشَارَ
بِأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَأَعْفَاهُ الْحِجَّاجُ وَوَلَّى أَبَا بُرْدَةَ .

• • •

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرَ - أَبَانَ بْنِ عُمَانَ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ
وغيره من أهل السير .

وَكَانَ أَبَانُ هَذِهِ السَّنَةِ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ الْحِجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ .

وَكَانَ عَلَى خُرَّاسَانَ الْمَهْلَبُ مِنْ قِبَلِ الْحِجَّاجِ .

وَقِيلَ : إِنَّ الْمَهْلَبَ كَانَ عَلَى حَرْبِهَا ، وَابْنَهُ الْمَغِيرَةَ عَلَى خَرَّاجِيهَا ، وَعَلَى
قِضَاءِ الْكُوفَةِ أَبُو بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى ، وَعَلَى قِضَاءِ الْبَصْرَةِ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ (١) .

(١) يطها في ١ : « وهو آخر الجزء السادس والأربعون » .

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الأحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة

« وفي هذه السنة جاء ^(١) - فيما حدثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدي - سيل بمكة ذهب بالحجاج ، فغترقت بيوت مكة فسمي ذلك العام عام الجحاف ، لأن ذلك السيل جتحف كل شيء مرّ به .

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن رفاعة بن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : جاء السيل حتى ذهب بالحجاج ببطن مكة ، فسمي لذلك عام الجحاف ، ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تتمرّ بهم مالأحد فيهم حيلة ، وإني لأنظر إلى الماء قد بلغ الركن وجاوزه .

وفي هذه السنة كان بالبصرة طاعون الجحاف ، فيما زعم الواقدي .

• • •

[ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر]

وفي هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ فنزل على كيس ، فذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدمة المهلب حين نزل على كيس أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف إلا أن أبا الأدهم كان يُغني غناء ألفين في البأس والتدبير والنصيحة . قال : فأتى المهلب وهو نازل على كيس ابن عم ملك الختل ، فدعاه إلى غزو الختل ، فوجه معه ابنه يزيد ، فنزل في عسكره ، ونزل ابن عم الملك - وكان ١٠٤١/٢ الملك يومئذ اسمه السبيل ^(٢) - في عسكره على ناحية ، فبيت السبيل ابن عمه ، فكبر في عسكره ، فظن ابن عم السبيل أن العرب قد غدروا به ، وأنهم خافوه . على الغدر حين اعتزل عسكرهم ، فأسر السبيل ، فأتى به قلعتَه فقتله . قال : فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبيل ، فصالحوه على فدية حَمَلوها إليه ، ^(٣) ورجع إلى المهلب فأرسلت أمّ الذي قتله السبيل إلى أمّ السبيل : كيف ترجين

(١-١) ب ، ف : « فيها » . وقبلها في ١ : « قال أبو جعفر » .

(٢) ط : « كس » ، صوابه من . (٣) ابن الأثير : « رجع » .

بقاء السبيل بعد قتل ابن عمه ، وله سبعة إخوة قد وترهم ! وأنت أمّ واحد فأرسلت إليها : إن الأسدَ تَقِيلَ أولادُها ، والحنازير كثير أولادها .

ووجه المهلب ابنه حبيباً إلى رِبِنَجَن (١) فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً ، فدعا رجلٌ من المشركين إلى المبارزة ، فبرز له جَبَلَة غلام حبيب ، فقتل المشرك ، وحمل على جمعهم ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ثم رجع ورجع العسكر ، ورجع العدو إلى بلادهم ، ونزلت جماعة من العدو قرية ، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف ، فقاتلهم فظفر بهم ، فأحرقها ، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة . ويقال إن الذي أحرقها جَبَلَة غلام حبيب .

قال : فكث المهلب سنتين مقياً بكس ، فقيل له : لو تقدمت إلى السغدوما وراء ذلك ! قال : ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند ، حتى يرجعوا إلى مرو سالمين .

قال : وخرج رجلٌ من العدو يوماً ، فسأله البراز ، فبرز إليه هريم بن عدى ، أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدّها فوق البيضة ، فأنتهى إلى جدّوآل ، فجاوآله المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سلبه ، فلامه المهلب ، وقال : لو أصبت ثم أمددت بألف فارس ما عدكوك عندي ، واتهم المهلب وهو بكيس قوماً من مضر فحبسهم بها ، فلما قفل وصار صلح خلاهم ، فكتب إليه الحجاج : إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم ؛ وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم . فقال المهلب : خفتهم فحبستهم ، فلما أمنت تخليتهم .

وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري . ثم صالح المهلب أهل كيس على فدية ، فأقام ليقبضها ، وأتاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحجاج ويدعوه إلى مساعدته على خلعته ، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجاج .

• • •

[تسيير الجنود إلى مع ابن الأشعث لحرب رُتَيْبِل]

وفي هذه السنة وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رُتَيْبِل صاحب الترك ؛ وقد اختلف أهل السير في سبب

(١) : صاحب ربنجن .

توجيهه إياه إليها ، وأين كان عبد الرحمن يوم ولاته الحجّاج سجستان وحرب
رتبيل ؛ فأما يونس بن أبي إسحاق - فيما حدث هشام . عن أبي مخنف
عنه فإنه ذكر أن عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجّاج بن يوسف بخبر الجيش
الذي كان مع عبيد الله بن أبي بكر في بلاد رتبيل وما لتقوا بها كتب إليه :

١٠٤٣/٢

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان ،
وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى متضاجعهم ، وعلى الله ثوابهم .
وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأي من توجيه الجنود وإمضائها إلى (١) ذلك الفرّج
الذي أصيب فيه المسلمون أو كفتها ، فإن رأي في ذلك أن تُمضي رأيك
راشداً موفّقاً .

وكان الحجّاج وليس بالعراق رجل أبغض إليه من عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيته قط إلا أردت قتله .

قال أبو مخنف : فحدثني نمر بن وَعَلَة الهَمْدَانِي ، ثمّ اليناعي ،
عن الشعبي ، قال : كنتُ عند الحجّاج جالساً حين دخل عليه عبد الرحمن بن
محمد بن الأشعث ، فلما رآه الحجّاج قال : انظر إلى مشيئته ، والله لَهَممتُ
أن أضرب عنقه . قال : فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانتظرته على
باب سعيد بن قيس السبيعي ، فلما انتهى إلى قلت : ادخل بنا الباب ،
إني أريد أن أحدثك حديثاً هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجّاج .
فقال : نعم ، فأخبرته بمقالة الحجّاج له ؛ فقال : وأنا كما زعم الحجّاج إن لم
أحاول أن أزيله عن سلطانه ، فأجهّد الجهد إذ طال بي وبه بقاء .

١٠٤٤/٢

ثمّ إنّ الحجّاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ،
وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، وجدّ في ذلك وشمر ، وأعطى الناس
أعطياتهم كملاً (٢) ، وأخذهم بالخيول الرّوائع ، والسلاح الكامل ، وأخذ في
عرض الناس ، ولا يرى رجلاً تُذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته ، فرّ
عبيد الله بن أبي محجن الثقفي على عباد بن الحصين الحبطي ، وهو مع
الحجّاج يريد عبد الرحمن بن أمّ الحَكَمِ الثقفي ، وهو يعرض الناس ، فقال

(٢) يقال : أعطاه المال كلاً ، أي كاملاً .

(١) : « في ذلك الفرّج »

عباد: ما رأيتُ فرساً أروعَ ولا أحسنَ من هذا^(١) ، وإنَّ الفرسَ قوةٌ وسلاحٌ وأنَّ هذه البغلة عَمَلَنَدَاةٌ ، فزاده الحجاجُ خمسينَ وخمسمائةَ درهمٍ ، ومرَّ به عطيةُ العنبريُّ ، فقال له الحجاجُ : يا عبدَ الرَّحْمَنِ ، أحسِنَ إلى هذا . فلما استتَبَّ له أمرُ ذَيْنِكَ الجندَيْنِ ، بعثَ الحجاجُ عطارداً بنَ عمرَ التميميِّ فعسكَرَ بالأهوازِ ، ثمَّ بعثَ عبیدَ الله بنَ حجر بنِ ذی الجوشنِ العامريِّ من بني كلاب . ثمَّ بدا له ، فبعثَ عليهم عبدَ الرحمن بنَ محمد بنَ الأشعثِ وعزلَ عبیدَ الله بنَ حجر ، فأتى الحجاجُ عمَّهُ إسماعيلَ بنَ الأشعثِ ، فقال له : لا تبعثه فإنِّي أخافُ خلافه ، والله ما جازَ جسرَ الفراتِ قطَّ فرأى لوالٍ من الولايةِ عليه طاعةً وسلطاناً . فقال الحجاجُ : ليس هناك ، هُوَ لى أهيبُ وفيَّ أرغبُ من أن يخالفَ أمرى ، أو يخرجَ من طاعتي ؛ فأمضاه على ذلك الجيشِ ، فخرجَ بهم حتى قدمَ سِجستانَ سنة ثمانينَ ؛ فجمعَ أهلها حينَ قدِمَ مَها .

قال أبو ميخنف : فحدثني أبو الزبير الأرحبيُّ - رجلٌ من همدانٍ كان معه - أنه صعدَ منبرها فحمدَ الله وأثنىَ عليه ثمَّ قال : أيها الناس ، إنَّ الأميرَ الحجاجَ ولاتى ثغرَكم ، وأمرَني بجهادِ عدوكم الذى استباحَ بلادكم وأبادَ خيارَكم ، فإياكم أن يتخلفَ منكم رجلٌ فيُحِلَّ بنفسِهِ العقوبةَ ، اخرجوا إلى معسكرِكم فعسكروا به مع الناسِ . فعسكَرَ الناسُ كلهمُ فى معسكرهم ووُضِعَت لهم الأسواقُ ، وأخذَ الناسُ بالجهازِ والهيئةِ بآلةِ الحربِ ، فبلغَ ذلك رُتبيلَ ، فكتَبَ إلى عبدِ الرحمن بنِ محمدٍ يعتذرُ إليه من مُصابِ المسلمينِ ويخبره أنه كان لذلك كارهاً ، وأنهم أُلجئوا إلى قتالهم ، ويسأله الصلحَ ويعرضُ عليه أن يقبلَ منه الحراجَ ، فلم يُجِبْه ، ولم يقبلَ منه . ولم ينشَبِ عبدُ الرحمن أن سارَ فى الجنودِ إليه حتى دخلَ أوَّلَ بلاده ، وأخذَ رُتبيلَ يضمُّ إليه جنده ، ويدعُ له الأرضَ رُستاقارستاقاً ، وحصناً حصناً ، وطفقَ ابنُ الأشعثِ كلما حوىَ بلدًا بعثَ إليه عاملاً ، وبعثَ معه أعواناً ، ووضعَ

١٠٤٥/٢

(١) : « من ذا » .

(٢) الطنادة : الغليظة .

البرُدَ فيما بين كلِّ بلد وبلد، وجعل الأرصادَ على العقاب والشعاب، ووضع المسالِحَ بكلِّ مكانٍ مخوفٍ، حتى إذا جاز من أرضه أرضاً عظيمةً، وملاً يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة، حبس الناسَ عن الوُغول في أرض رُتَيْبيل وقال: نكتني بما أصبناهُ العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها، وتجترئُ المسلمون على طُرُقها، ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها، ثم لم نزل نتنقصهم في كلِّ عام طائفةً من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم، وفي أقصى بلادهم، وممتنع حصونهم، ثم لا نزال بلادهم حتى يهلكهم الله. ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو، وبما صنع الله للمسلمين، وبهذا الرأي الذي رآه لهم.

١٠٤٦/٢

وأما غيرُ يونسَ بن أبي إسحاق وغيرُ من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستانَ ومسيره إلى بلاد رُتَيْبيل غير الذي رويت عن أبي مخنف، وزعم أن السبب في ذلك كان أن الحجاج وجه هيمان بن عدى السدوسيَّ إلى كرمان، مسلحة لها ليمد عاملَ سجستانَ والسند إن احتاجا إلى مدد، فعصى هيمانُ ومن معه، فوجه الحجاج ابن الأشعث في محاربتة، فهزمه، وأقام بموضعه.

ومات عبید الله بن أبي بكر، وكان عاملاً على سجستان، فكتب الحجاج عهداً لابن الأشعث عليها، وجهز إليها جيشاً أنفق عليهم ألفي ألف سوى أعطياتهم، كان يُدعى جيش الطواويس، وأمره بالإقدام على رُتَيْبيل.

• • •

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي.

١٠٤٧/٢

وقال بعضهم: الذي حجَّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك. وكان على المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق كلُّه

الحجاجُ بن يوسف ، وعلى خراسانَ المهلب بن أبي صفرة من قبيل الحجاج ،
وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس .

• * •

وأغزى عبدُ الملك في هذه السنة ابنه الوليد .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

في هذه السنة كان فتح قاليقلا، حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أغزى عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبید الله بن عبد الملك، ففتح قاليقلا.

• • •

[ذكر الخبر عن مقتل بحير بن ورقاء بخراسان]

وفي هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمي بخراسان.

ذكر الخبر عن مقتله :

وكان سبب قتله أن بحيرا كان هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله إياه بذلك، فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء يحض رجلا من الأبناء من آل بكير بالوتر: لعمرى لقد أغضبت عيننا على القذى وخبئت نارا طل واخترت نومة فلو كنت من عوف بن سعد ذوابة فقل لبجير نم ولا تخش نائرا دع الضان يوما قد سبقتم بوتركم وهبوا فلو أمسى بكير كعهديه وقال أيضا :

فلو كان بكر بارزا في أداتيه وذى العرش لم يقدم عليه بحير

(١) ابن الأثير : « ومن يشرب » . (٢) الحبلى : صغار الغنم .

(٣) في اللسان : « كتيبة جاواه : بينة الجاهى، وهى التى يعلوها لون السواد لكثرة الدروع » .

ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب وفي الله طالب بذاك جدير

وبلغ بحيرا أن الأبناء يتوعدونه ، فقال :

توعدني الأبناء جهلاً كأنما يرون فينائي مُقْفِرًا من بني كعب
رفعت له كفى بحد مهند^(١) حُسام كلون الملح ذي روثق عصب^(٢)

فذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن سبعة عشر رجلاً من
بني عوف بن كعب بن سعد تعاقبوا على الطلب بدم بكير ، فخرج فتى
منهم يقال له الشمردل من البادية حتى قدم خراسان ، فنظر إلى بحير
واقفاً ، فشد عليه فطعنه فصرعه ، فظن أنه قد قتله ، وقال الناس : خارجي ،
فراكتهم ، فعشر فرسه فنذر عنه فقُتِل .

١٠٤٩/٢

ثم خرج صعصعة بن حرب العوفي ، ثم أحد بني جندب ، من البادية
وقد باع غنيمات له ، واشترى حماراً ، ومضى إلى سجستان فجاور
قراية لبحير هناك ولاطفهم ، وقال : أنا رجل من بني حنيفة من أهل
اليمامة ، فلم يزل يأتيهم ويجالسهم حتى أنسوا به ، فقال لهم : إن لي بخراسان
ميراثاً قد غلبت عليه ، وبلغني أن بحيراً عظيم^(٣) للقدربخراسان ، فاكتبوا
لي إليه كتاباً يعينني على طلب حتى ، فكتبوا إليه ، فخرج فقدم مرو
والمهلب غاز . قال : فلقى قوماً من بني عوف ، فأخبرهم أمره ، فقام^(٤) إليه
مولي لبكير صيقل^(٤) ، فقبل رأسه ، فقال له صعصعة : اتخذ لي خنجراً ، فعمل له
خنجرأ وأحماه وغمسه لبيّن أتان ميراناً ، ثم شخّص من مرو فقطع النهر
حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ ، فلقى بحيراً بالكتاب ، وقال :
إني رجل من بني حنيفة ، كنت من أصحاب ابن أبي بكر ، وقد ذهب
مالي بسجستان ، ولي ميراث بمرو ، فقد مت لأبيعتي ، وأرجع إلى اليمامة .
قال : فأمر له بنفقة وأنزله معه ، وقال له : استعين بي على ما أحببت ،
قال : أقيم عندك حتى يقفل الناس ، فأقام شهراً أو نحواً من شهر بحضر

١٠٥٠/٢

(١) ب ، ف : « بعصب » . (٢) ابن الاثير : « كلون الثلج » .

(٣) ب ، ف : « فأقبل » . (٤) الصقيل : شحاذ السيوف وجلالها .

معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به . قال : وكان بحير يخاف الفتك به ، ولا يأمن أحداً ، فلما قدم صعصعة بكتاب أصحابه قال : هو رجل من بكر بن وائل ، فأمنه ، فجاء يوماً وبحير جالس في مجلس المهلب ، عليه قميص ورداء ونعلان ، فقعده خلفه ، ثم دنا منه ، فأكب عليه كأنه يكلمه ، فوجاه بخنجره في خاصرته ، فغيبه في جوفه ، فقال الناس : خارجي ! ، فنادى : يا لثارات بكير ، أنا ثائر بكير ! فأخذه أبو العجفاء بن أبي الحرقاء ، وهو يومئذ على شرط المهلب ، فأتى به المهلب فقال له : بؤساً لك ! ما أدركت بثارك ، وقتلت نفسك ، وما على بحير بأس ، فقال : لقد طعنته طعنة لو قُسمت بين الناس لماتوا ، ولقد وجدت ریح بطنه في يدي ، فحبسه فدخل عليه السجن قوم من الأبناء فقبلوا رأسه . قال : ومات بحير من غد عند ارتفاع النهار ، فقيل لصعصعة : مات بحير ، فقال : اصنعوا بي الآن ما شئتم ، وما بدا لكم ، أليس قد حلت نذور نساء بني عوف ، وأدركت بثاري ! لا أبالي ما لقيت ، أما والله لقد أمكنني ما صنعت خالياً غير مرة ، فكرهت أن أقتله سرّاً ، فقال المهلب : ما رأيت رجلاً أسخى نفساً بالموت صبراً من هذا ؛ وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبـحـير ، فقال له أنس بن طلق : ١٠٥١/٢ ويحك ! قتل بحير فلا تقتلوا هذا ، فأبى وقتله ، فشتمه أنس .

وقال آخرون : بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت ، فقال له أنس ابن طلق العيشي : يا بحير ، إنك قتلت بكيراً ، فاستحي هذا ، فقال بحير : ادنوه مني ، لا والله لا أموت وأنت حي ، فأذنوه منه ، فوضع رأسه بين رجله وقال : اصبر عفاق ، إنه شرّ باق ، فقال ابن طلحة لبـحـير : لعنك الله ! أكلتلك فيه وتقتله بين يدي ! فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير ، فقال المهلب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غزوة أصيب فيها بحير ، فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا : علام قتل صاحبنا ، وإنما طلب بثاره ! فنازعتهم مقاعس والبطنون حتى خاف الناس أن يعظم البأس ، فقال أهل الحجى : احملوا دم صعصعة ، واجعلوا دم بحير بواءً ببكير

فودّوا صعصعة ، فقال رجل من الأبناء بمدح صعصعة :
 لله در فتى تجاوزَ همّةً دونَ العراقِ مفاوزاً وبُحوراً
 ما زال يدأبُ نفسه ويكسدها حتى تناولَ في خرّونَ بحيراً
 قال : وخرج عبدُ ربّه الكبير أبو وكيع ، وهو من رهط صعصعة إلى
 البادية ، فقال لرهط بؤكير : قتل صعصعة بطليبه بدمٍ صاحبكم ،
 فودّوه ، فأخذ لصعصعة ديتين .

• • •

[ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجّاج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
 الحجّاج ومن معه من جنود العراق ، وأقبلوا إليه لحربه في قول أبي مخنف
 وروايته لذلك عن أبي المخارق الراسبي . وأما الواقدي فإنه زعم أن ذلك كان
 في سنة اثنتين وثمانين .

١٠٥٢/٢

• ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل

من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجّاج في هذه السنة :

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رُتْبِيل ،
 وكتابه إلى الحجّاج بما كان منه ^(١) هناك ، وبما عرض ^(٢) عليه من الرأي فيما
 يستقبل من أيامه في سنة ثمانين ^(٣) ، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى
 وثمانين في رواية أبي مخنف ، عن أبي المخارق .

ذكر هشام عن أبي مخنف قال : قال أبو المخارق الراسبي : كتب

الحجّاج إلى عبد الرحمن بن محمد جواب كتابه :

أما بعد . فإن كتابك أتاني ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وكتابك كتاب
 امرئ يحب الهدنة . ويستريح إلى الموادعة ، قد صانع عدواً قايلاً ذليلاً ، قد
 أصابوا من المسلمين جنوداً كان بلاؤهم حسناً ، وغناؤهم في الإسلام عظيماً .
 لعمرُك يا بن أم عبد الرحمن : إنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندى وحدتى

١٠٥٣/٢

(٢) انظر ص ٣٢٦

(١-١) ب ، ف : « هناك وما عزم » .

وما بعدها

لسخبي النفس عمن أصيب من المسلمين . إني لم أعد رأيتك الذي زعمت أنك رأيتَه رأى مكيدة ، ولكني رأيتُ أنه لم يحملك عليه إلاّ ضعفك ، والتياتُ رأيتُ ، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم ، والهدم لحصونهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسبى ذراريهم .

ثم أردفه كتاباً فيه :

أما بعد ، فمَنْ قِبَلِك من المسلمين فليحرقوا وليقيموا ، فإنها دارهم حتى يفتتحها الله عليهم .

ثم أردفه كتاباً آخر فيه :

أما بعد ، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم ، وإلاّ فإن إسحاق ابن محمد أخاك أمير الناس ، فخله وما وليته .

فقال حين قرأ كتابه : أنا أحمل ثقل إسحاق ؛ فعترض له ، فقال :

لا تفعل ، فقال : وربّ هذا - يعني المصحف - لن ذكرتَه لأحد لأقتلنك . فظنّ أنه يريد السيف ، فوضع يده على قائم السيف ، ثم دعا

الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني لكم ناصح ، ولصلاحيكم محبّ ، ولكم في كل ما يُحيط بكم نفعه ناظر ، وقد كان من

رأى فيما بينكم وبين عدوكم رأياً استشرت فيه ذوى أحلامكم ، وأولى التجربة للحرب^(١) منكم ، فرضوه لكم رأياً ، ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً ،

وقد كتبت^(٢) إلى أميركم الحجاج ، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ، ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك إخوانكم

فيها^(٣) بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا متّصيتم ، وآبى إذا أبيتم . فثار إليه الناس فقالوا : لا ، بل نأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة الكنانى أن أباه كان أول متكلّم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أما بعد ، فإنّ الحجاج والله ما يترى بكم إلاّ ما رأى القائل الأوّل إذ قال

(٢) بعدها في ب ، ف : « بذلك » .

(١) ب ، ف : « منكم للحرب » .

(٣) ب ، ف : « فيها إخوانكم » .

لأخيه : احميل عبدك على الفرس ، فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك . إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهب والصبوب^(١) ، فإن ظفرتم فغنمتم أكمل البلاد وحاز المال ، وكان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنتم ، ولا يبتى عليهم ، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن ، فإني أشهدكم أني أول خالع . فنادى الناس من كل جانب ، فعلنا فعلنا ، قد خلعنا عدو الله ، وقام عبد المؤمن بن شبيب بن ربيع التميمي ثانياً - وكان على شرطته حين أقبل - فقال : عباد الله ، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وجمركم تجمير فرعون الجنود ، فإنه بلغني أنه أول من جمّر البعوث ، ولن تعابنوا الأحبة^(٢) فيما أرى أو يموت أكثركم^(٣) . بايعوا أميركم ، وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم ، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه ، فقال : تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصر لي وجهاده معي حتى ينفية الله من أرض العراق . فبايعه الناس : ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء .

١٠٥٥/٢

قال أبو مخنف : حدثني عمر بن ذر القاصي أن أباه كان معه هنالك ، وأن ابن محمد كان ضربته وجبسه لانقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد ، فلما كان من أمره الذي كان من الخلاف دعاه فحملته وكساه وأعطاه ، فأقبل معه فيمن أقبل ، وكان قاصاً خطيباً .

قال أبو مخنف : حدثني سيف بن بشر العجلي ، عن المنخل بن حابس العبدى أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بسنت عياض ابن هميان البكري ، من بني سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمي ثم الدارمي ، ثم بعث إلى رتبيل ، فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقي ، وإن هزم فأراده أبحاه عنده .

(١) اللهب : جمع لب ، وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه ، والصبوب : جمع لصب ، وهو مضيق الوادي . (٢-٢) ب ، ف : « فيما أرى أو يموت أكثرهم » .

قال أبو مخنف : حدثني خُشَيْبَةُ بنُ الْوَلِيدِ الْعَبْسِيُّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
لَمَّا خَرَجَ مِنْ سَجِسْتَانَ مَقْبَلًا إِلَى الْعِرَاقِ سَارِبِينَ يَدِيهِ الْأَعَشَى عَلَى فَرَسٍ ،
وَهُوَ يَقُولُ :

سَطَّتْ نَوَى مِنْ دَارُهُ بِالْإِيوَانِ إِيوَانَ كِشْرَى ذِي الْقُرَى وَالرَّيْحَانَ (١)
مِنْ عَائِشَتِي أَمْسَى بِزَابُلِسْتَانَ إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانَ
كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَابُ ثَانَ أَمْكَنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفِ هَمْدَانَ
يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَانَ
حِينَ طَغَى فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
سَارَ بِجَمْعِ كَالدَّبِّيِّ مِنْ قَحْطَانَ (٢) وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى ابْنَ عَدْنَانَ
بِجَحْفَلِ جَمٍّ شَدِيدِ الْإِرْنَانَ (٣) فَقُلْ لِحِجَّاجٍ وَلى الشَّيْطَانَ
يَثْبُتُ لَجَمْعِ مَذْحِجٍ وَهَمْدَانَ فَإِنَّهُمْ سَاقُوهُ كَأْسَ الذِّيفَانَ

١٠٥٦/٢ • وَمُلِحِقُوهُ بِقُرَى ابْنِ مَرْوَانَ •

١٠٥٧/٢

قال : وبعث على مقدمته عطية بن عمرو العنبري . وبعث الحجاج إليه
الخيل ، فجعل لا يلقى خيلا إلا هزمتها . فقال الحجاج : من هذا ؟ فقيل له :
عطية . فذلك قول الأعشى :

فَإِذَا جَعَلْتَ دُرُوبَ فَارِسٍ خَلْفَهُمْ دَرْبًا فَدَرْبًا (٤)
فَابْعَثْ عَطِيَّةً فِي الْخِيُولِ لِيُكَبِّهَنَّ عَلَيْكَ كَبًّا
ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَقْبَلَ يَسِيرُ بِالنَّاسِ ، فَسَأَلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْيِيِّ ،
وَكَانَ قَدْ كَتَبَهُ فِي أَصْحَابِهِ . وَكَانَ يَقُولُ : أَنْتَ نَحَالِي . فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَأْتِيهِ
فَقَدْ سَأَلَ عَنْكَ ! فَكَبَّرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ . ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى مَرَّ بِكَرْمَانَ فَبِعَثَ عَلَيْهِمْ خَمْرًا
ابْنِ عَمْرٍو التَّمِيمِيِّ ، وَنَزَلَ أَبُو إِسْحَاقَ بِهَا ، فَلَمْ يَدْخُلْ فِي فِتْنَتِهِ حَتَّى كَانَتْ

(١) هو أعشى همدان ، وانظر الأغاني ٦ : ٥٩ ، ٦٠ ، فهناك رواية مخالفة .

(٢) الدب : الجراد ، وفي الأغاني : « كالقطا » .

(٣) الإرنان : الضوضاء والحلبة .

الجحاجم ، ولما دخل الناسُ فارسَ اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا :
إنا إذا خلعنا الحجاجَ عاملَ عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك ، فاجتمعوا إلى
عبد الرحمن ، فكان أول الناس .

قال أبو مخنف فيما حدثني أبو الصلت التيمي : خلع عبد الملك بن
مروان تيحان بن أبجر من بني تيم الله بن ثعلبة ، فقام فقال : أيها الناس ،
إني خلعت أبا ذيبان^(١) كخلعتي قميصي ، فخلعه الناسُ إلا قليلا منهم ،
ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه ، وكانت بيعته : تُبايعون على كتاب الله وسنة
نبيه وخلع أئمة الضلالة^(٢) وجهاد المحلّين ، فإذا قالوا : نعم بايع . فلما
بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن
الأشعث ، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه إلى عبد الملك
يتمثل في آخره بهذه الأبيات ، وهي للمحارث بن وعلّة :

١٠٥٨/٢

سَائِلٌ مُجَاوِرَ جَرْمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهُمْ حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْخُلُطِ^(٣)
وَهَلْ سَمَوْتُ بِجَرَارٍ لَهُ لَجِبٌ^(٤) جَمُّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرْطِ^(٥)
وَهَلْ تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدْنَ بِالْغُبُطِ^(٦)
وجاء حتى نزل البصرة . وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو
بسيجستان ، فكتب إليه :

أما بعد ، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرر طويل التغي على أمة
محمد صلى الله عليه وسلم . الله الله فانظر^(٧) لنفسك لا تهلككها ، ودماء
المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبسعة فلا تنكشها ،
فإن قلت : أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه عليها من الناس ،
فلا تعرضها لله في سننك دم ، ولا استحلال محرّم والسلام عليك .

١٠٥٩/٢

(١) أبو ذيبان ، كنيته عبد الملك بن مروان ، وكان يبرز بها . وانظر ثمار القلوب ٢٤٦
(٢) ب ، ف : « وعلى جهاد أهل الضلالة وخطمهم » .
(٣) الأغاني ١٩ : ١٤٠ . (٤) الأغاني : « أم هل علوت » .
(٥) الأغاني : « ينشئ المحارم بين السهل والفرط » .
(٦) الأغاني : « حتى تركت » . (٧) ب ، ف : « انظر » .

وكتب المهلب إلى الحجاج :

أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السبيل المنحد من عتل ،
وليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شرةً في أول
مخرجهم وصباية إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردّهم حتى يسقطوا
إلى أهلهم ، ويشموا أولادهم ، ثم واقفهم عندها ، فإن الله ناصرٌ عليهم
إن شاء الله .

فلما قرأ كتابه قال : فععل الله به وفعل ، لا والله مالي نظّر . ولكن
لابن عمّه نصّح . لما وقع كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ثم نزل عن
سريه وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، ودعاه فأقرأه الكتاب ، ورأى
ما به من الجزع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان هذا الحدث من قبيل
سجستان ، فلا تسخفه ، وإن كان من قبيل خراسان تخوفته . قال : فخرج
إلى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

١٠٦٠/٢

إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري . اللهم سلط عليهم
سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سُخطك .
ثم نزل .

وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن محمد ، وترك رأى المهلب
وفرسان^(١) الشام يسقطون إلى الحجاج ، في كل يوم مائة وخمسون وعشرة وأقل
على البرد من قبيل عبد الملك ، وهو في كل يوم تسقط إلى عبد الملك
كتبه ورسله بخبر ابن محمد أي كورة نزل ، ومن أي كورة يرتحل ،
وأي الناس إليه أسرع .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج أن مكتبه كان بكرمان ،
وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فلما مرّ بهم
ابن محمد بن الأشعث ، انجفوا معه ، وعزم الحجاج رأيه على استقبال ابن
الأشعث ، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر ، وقدم بين يديه مطهر بن حرّ
العكّي - أو الجُدّامي - وعبد الله بن رُمَيْثه الطائي ، ومطهر على الفريقين ،
فجاءوا حتى انتهوا إلى دُجَيْل ، وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلاً له ،

(١) ب ، ف : وسار .

عليها عبد الله بن أبان الحارثي في ثلثمائة فارس - وكانت مسلحة له وللجنود - فلما انتهى إليه مطهر بن حرّ أمر عبد الله بن رُمَيْثَةَ الطائي فأقدم عليهم ، فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه ، وجرح أصحابه .

١٠٦١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الزبير الهَمْدَانِي . قال : كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثم قال : اعبروا إليه من هذا المكان ، فأقحم الناس خيولهم دَجِيل من ذلك المكان الذي أمرهم به ، فوالله ما كان بأسرع من أن عَبَّرَ عَظْمَ خِيُولِنَا . فما تكاملت حتى حملنا على مطهر بن حرّ والطائي فهزمناهما يوم الأضحى في سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قتلاً ذريعاً ، وأصبنا عسكرهم . وأنت الحجاج الهزيمة وهو يخطب ، فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرجيس فأخبره بهزيمة الناس . فقال : أيتها الناس ، ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة . فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند . ثم انصرف راجعاً وتبعته خيول أهل العراق ، فكلما أدركوا منهم شاذاً قتلوه ، وأصابوا ثِقلاً حووه . ومضى الحجاج لا يتلوى على شيء حتى نزل الزاوية . وبعث إلى طعام التجار بالكلاء (١) فأخذه فحمله إليه ، ونحلت البصرة لأهل العراق به وكان عامله عليها الحكيم ابن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي . وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة . وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعاً دعا بكتاب المهلب ، فقرأه ثم قال : لله أبوه ! أي صاحب حرب هو ! أشار علينا بالرأي ، ولكننا لم نقبل .

* * *

وقال غير أبي مخنف : كان عامل البصرة يومئذ الحكيم بن أيوب على الصلاة والصدقة ، وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط ، فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رُسْتُقْبَاد وهي من دَسْتَوَى من كور الأهواز ، فعسكر بها ، وأقبل ابن الأشعث فنزل تُسْتَر ، وبينهما نهر ، فوجّه الحجاج مُطَهَّر ابن حرّ العكبي في ألفي رجل ، فأوقعوا بمسلة لابن الأشعث ، وسار ابن

١٠٦٢/٢

(١) الكلاء : سوق بالبصرة .

الأشعث مبادراً، فواقعتهم، وهي عشية عرفة من سنة إحدى، وثمانين فيقال :
 إنهم قتلوا من أهل الشام ألفاً وخمسمائة ، وجاءه الباكون منهزمين . ومعه
 يومئذ مائة وخمسون ألف ألف، ففرقتها في قوادده، وضمتهم إياها . وأقبل
 منهزماً إلى البصرة . وخطب ابن الأشعث أصحابه فقال : أما الحجاج فليس
 بشيء ، ولكننا نريد غزو عبد الملك ، وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج ،
 فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونه . فرشاه الحكيم
 ابن أيوب مائة ألف ، فكف عنه . ودخل الحجاج البصرة . فأرسل إلى
 ابن عامر فانتزع المائة الألف منه . . .

• • •

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي الزبير الهمداني .
 فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج ،
 وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرائنها وكهولها ، وكان رجل من الأزد من
 الجاهليين يقال له عتبة بن عبد الغافر له صحابة ، فتز فبايع^(١) عبد الرحمن
 مستبصراً في قتال الحجاج ، وحنق الحجاج عليه ، وحنق عبد الرحمن
 على البصرة . وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذى الحجة من سنة
 إحدى وثمانين . .

١٠٦٣/٢

• • •

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك ، كذا حدثني أحمد
 ابن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك
 قال الواقدي ، وقال : في هذه السنة وليد ابن أبي ذئب .
 وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان . وعلى العراق
 والمشرق الحجاج بن يوسف ، وعلى حرب خراسان المهلب ، وعلى خراسانها
 المغيرة بن مهلب من قبيل الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن
 أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة .

(١) ب ، ف : « فرأى أن يبايع » .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

* * *

[خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية]

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية. ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني قال: ١٠٦٤/٢ كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في المحرم من سنة اثنتين وثمانين، فتزاحفوا ذات يوم، فاشتد قتالهم. ثم إن أهل العراق هزمهم حتى انتهوا إلى الحجاج، وحتى قاتلهم على خنادقهم، وانهمزت عامة قريش وثقيف، حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكاتبه:

فر البراء وابن عمه مضعب وفرت قريش غير آل سعيد
ثم إنهم تزاحفوا في المحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق أهل الشام، فنكصت ميمنتهم وميسرتهم، واضطربت رماحهم، وتقوض صفهم؛ حتى دنوا منا، فلما رأى الحجاج^(١) ذلك جثا على ركبتيه، وانهضى نحو من شبر من سيفه، وقال: لله در مضعب! ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل! فعلمت أنه والله لا يريد أن يفر. قال: فغمزت أبي بعيني لبأذن لي فيه فأضربه بسيفي، فغمزني غمزة شديدة، فسكنت^(٢)، وحانت مني التفاتة، فإذا سفيان بن الأبرد الكلبى قد حمل عليهم فهزموهم من قبل الميمنة، فقلت: أبشر أيها الأمير، فإن الله قد هزم العدو. فقال لي: قم فانظر، قال: فقممت فنظرت؛ فقلت: قد هزمهم الله، قال: قم يا زياد فانظر، قال: فقام فنظر فقال: الحق أصلحك الله يقيناً^(٣) قد هزموا، فخر ساجداً، فلما رجعت شتمني أبي وقال: أردت أن تهلكني وأهل بيتي.

(١) ب، ف: «فلما رأى ذلك الحجاج». (٢) س: «فسكنت».

(٣-٢) ب، ف: «أيها الأمير أصلحك الله».

وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عَوْسَجَةَ أَبُو سَفْيَانَ النَّهْمِيَّ ، وقتل عقبة ابن عبد الغافر الأزدي ثم الجهمي ، في أولئك القراء في رِبِضَةَ (١) واحدة ، وقتل عبد الله بن رِزَامِ الحَارِثِيَّ ، وقتل المنذر بن الجارود ، وقتل عبد الله ابن عامر بن مِسْمَعٍ ، وأتى الحجاجُ برأسه ، فقال : ما كنتُ أرى هذا فارقي حتى جاءني الآن برأسه ؛ وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتله ، وزعموا أنه كان مولى للفضل (٢) بن عباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، كان شجاعاً يُدعى نُصَيْرًا ، فلما رأى مشيته بين الصفيين ، وكان يلومه على مشيته قال : لا ألومه على هذه المشية أبداً .

وقتل الطفيل بن عامر بن وائلة ، وقد كان قال وهو بفارس يُقبل مع عبد الرحمن من كَرَمَانَ إلى الحجاج :

ألا طَرَقْتَنَا بِالغَرِيِّينَ بَعْدَ مَا كَلَلْنَا عَلَى شَحْطِ المَزَارِ جُنُوبُ
أَتَوْكَ بِقُودُونَ المَنَابِا وَإِنَّمَا هَدَّتْهَا بِأَوْلَانَا إِلَيْكَ ذُنُوبُ
ولا خَيْرَ في الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ القَرَارِ نَصِيبُ
ألا أَبْلِغِ الحِجَّاجَ أَنْ قَدْ أَظَلَّهُ عَذَابُ بِأَيْدِي المُؤْمِنِينَ مُصِيبُ
مَنْ نَهَبَ المَصْرِينَ يَهْرُبُ مُحَمَّدُ وَلَيْسَ بِمُنْجِي ابْنِ اللِّعِينِ هُرُوبُ
قال : مَنَيْتَنَا أَمْراً كان في علم الله أنك أولى به ، فَعَجَّلَ لك في الدنيا ، وهو معذبك في الآخرة . وانهزم الناس ، فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة ، وتبَّعَهُ أَهْلُ القُوَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الحَيْلِ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ .

ولما مضى عبدُ الرحمن نحو الكوفة وثب أهل البصرة إلى عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل بهم خمسَ ليالٍ الحجاجُ أشدَّ قتالٍ رآه الناس ، ثم انصرف فلاحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة فلاحقوا به ، وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة - وكان جريحاً - إلى مسفوان فمات من جراحته ،

(١) الرِبِضَةُ بكسر الراء وسكون الباء ؛ مقتل كل قوم قتلوا في بقعة واحدة .

(٢) ط : « المفضل » ، تصحيف .

وقُتِلَ في المعركة زيادُ بنُ مقاتل بن مِسمع من بني قيس بن ثعلبة ، فقامت
حَميدة ابنته تَسدُبُه ، وكان على خُمس بكر بن وائل مع ابن الأشعث
وعلى الرجال ، فقالت :

١٠٦٧/٢

وحامى زيادُ على رابتيه^(١) وفرَّ جُدَى بني العنبرِ

فجاء البلتع السعدى فسمعها وهي تَسدُبُ أباهَا ، وتعيب التميمي ، فجاء
وكان يبيع سَمْنًا بالميربد ، فترك سَمْنَه عند أصحابه ، وجاء حتى قام تحتها
فقال :

علامَ تلومينَ من لم يُلِمَ تطاول ليلك من مُعَصِرِ !
فإن كانَ أَردى أباكِ السَّنانُ فقدَ تَلَحَّقُ الخَيْلُ بالمَدْبِرِ
وقدَ تَنطَحُ الخَيْلُ تحتَ العَجَا ج غيرَ البرى ولا المُعَدِرِ
ونحنُ منَعنا لواءَ الحَرِيشِ وطاح لواءُ بني جَحْدِرِ

فقال عامر بن وائلة يرثي ابنه طفيلًا :

خَلَى طُفَيْلٌ عَلَيَّ الهمَّ فانشَعَبَا وَهَدَّ إِذْكَ رُكْنِي هَدَّةً عَجَبَا^(٢)
وابنَى سُمِيَّةً لا أنساها أَبداً فيمن نَسيتُ وكل كان لي نَصَبَا^(٣)
وأخطأتني المنايا لا تُطالَعُنِي حتى كَبِرتُ ولم يَتْرُكْنِي لِ نَشَبَا
وكنْتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كالذى نَضَبْتُ عنه المِيَاهُ وفاض المَاءُ فأنقَضَبَا
فلا بَعِيرَ لَهُ في الأَرْضِ يَرَكِبُهُ وإن سَعى إِثر مَنْ قَدَ فاتَهُ لَغَبَا
وسارَ من أرضِ خاقانِ الَّتِي غَلَبْتُ أبناءَ فارسِ في أربائِها غَلَبَا
ومن سَجِسْتانِ أسبابُ تَزِينُهَا لك المَنِيَّةُ حِيناً كان مُجْتَلَبَا
حتى وَرَدتْ حياضَ الموتِ فأنكَشَفْتُ عنكَ الكَتائِبُ لا تخفى لها عَقَبَا
وَغادَرُوكَ صَريعاً رهنَ مَعْرَكَةٍ تُرى النُّسورُ على القَتلى بها عُصَبَا

١٠٦٨/١

(١) ط : « حامى » . (٢) الأغاني ١٥ : ١٥٣ ، مع اختلاف في الرواية .

(٣) الأغاني : « وصبا » .

تَعَاهَدُوا ثُمَّ لَمْ يُؤْفُوا بِمَا عَاهَدُوا وَأَسْلَمُوا لِلْعَدُوِّ السَّبْيِ وَالسَّلْبَا
يَا سَوْعَةَ الْقَوْمِ إِذْ تُسَبِّي نِسَاوَهُمْ وَهُمْ كَثِيرٌ يَرَوْنَ الْخَزْيَ وَالْحَرْبَا

قال أبو مخنف : فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل
الثقفي أن الحجاج أقام بقبية المحرم وأول صفر ، ثم استعمل على البصرة أيوب
ابن الحكم بن أبي عقيل ، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة ، وقد كان الحجاج
خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، حليف حرب
ابن أمية على الكوفة .

قال أبو مخنف - كما حدثني يونس بن أبي إسحاق : إنه كان على أربعة
آلاف من أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني أنهم كانوا
ألفين ، وكان حنظلة بن الوراد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب
ابن ورقاء على المدائن ، وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعونة ،
فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبل حتى دنا من الكوفة ، فتحصن
منه ابن الحضرمي في القصر ، ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية بابن
الحضرمي ومن معه من أهل الشام فحاصروهم ، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلتوه
والقصر ، فصالحهم .

قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق أنه رأى يترلون من
القصر على العجّل ، وفتح باب القصر لمطر^(١) بن ناجية ، فآذ حتم الناس على
باب القصر ، فزحم مطر على باب القصر ، فاخترط سيفه ، فضرب به جحفة
بغل من بغال أهل الشام وهم يخرجون من القصر ، فألقى جحفته ودخل
القصر ، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم . قال يونس : وأنا رأيتها
تقسم بينهم ، وكان أبو السقر فيمن أعطيها . وأقبل ابن الأشعث منهزماً إلى
الكوفة ، وتبعه الناس إليها .

(١) ب ، ف : « لمطر » .

[وقعة دبير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كانت وقعة دبير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم . قال الواقدي : كانت وقعة دبير الجماجم في شعبان من هذه السنة ، وفي قول بعضهم : كانت في سنة ثلاث وثمانين .
* ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دبير الجماجم وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو الزبير الهمداني ثم الأرحبي ، قال : كنت قد أصابتني جراحة ، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أقبل ، فاستقبلوه بعد ما جاز قنطرة زبارا^(١) ، فلما دنا منها قال لي : إن رأيت أن تعدل عن الطريق - فلا يرى الناس جراحتك فإني لا أحب أن يستقبلهم الجرحى - فافعل . فعدلتُ ودخل الناس . فلما دخل الكوفة مال إليه أهل الكوفة كلهم ، وسبقت همدان إليه ، فحفت به عند دار عمرو بن حريث إلا طائفة من تميم لم يسوا بالكثير قد أتوا مطر بن ناجية ، فأرادوا أن يقاتلوا دونه ، فلم يطبقوا قتال الناس . فدعا عبد الرحمن بالسلالم والعجّل ، فوضعت ليصعد الناس القصر ، فصعد الناس القصر فأخذوه ، فأتى به عبد الرحمن بن محمد ، فقال له : استبقني فإني أفضل فرسانك وأعظمهم عنك غناء ، فأمر به فحبس ، ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه . وبايعه مطر ، ودخل الناس إليه فبايعوه ، وسقط إليه أهل البصرة ، وتقدمت إليه المساليم والثغور ، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعرف بذلك ، وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثا ، فبلغ ذلك عبد الملك ابن مروان ، فقال : قاتل الله عدى الرحمن ، إنه قد فر ! وقاتل غلمان من غلمان قريش بعده ثلاثا . وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البر حتى مر بين القادسية والعديب ، ومنعوه من نزول القادسية ، وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصريين

١٠٧١/٢

١٠٧٢/٢

(١) ب : « زبارا » ، س : « دبارا » .

فنعوه من نزول القادسية ، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادي السباع ، ثم
تسايروا حتى نزل الحجاج دبير قرة ، ونزل عبد الرحمن بن العباس دبير
الجماجم ، ثم جاء ابن الأشعث فنزل بدبير الجماجم والحجاج بدبير قرة ،
فكان الحجاج بعد ذلك يقول : أما كان عبد الرحمن يزجر الطير حيث
رآني نزلت دبير قرة ، ونزل دبير الجماجم !

واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدبير الجماجم
والقرآء من أهل المصريين ، فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج . وجمعتهم
عليه بغضهم والكراهية له ، وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ،
ومعهم مثلهم من مواليتهم . وجاءت الحجاج أيضاً أمداده^(١) من قبيل
عبد الملك من قبل أن ينزل دبير قرة ، وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل
دبير قرة أن يرتفع إلى هيت وناحية الجزيرة إرادة أن يقرب من الشام والجزيرة
فيأتيه المدد من الشام من قريب ، ويقرب من رفاغة سيعر الجزيرة ، فلما مر
بدبير قرة قال : ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين ، وإن الفلاليج وعين
التمر إلى جنبنا . فنزل فكان في عسكره محمد قما وابن محمد في عسكره محمد قما ،
والناس يخرجون في كل يوم فيقتلون ، فلا يزال أحدهما يذني خندقه نحو
صاحبه ، فإذا رآه الآخر خندقاً أيضاً ، وأذني خندقه من صاحبه . واشتد
القتال بينهم . فلما بلغ ذلك رءوس قريش وأهل الشام قبيل عبد الملك ومواليه
قالوا : إن كان إنما يرضي أهل العراق أن يتزع عنهم الحجاج ، فإن نزع
الحجاج أيسر من حرب أهل العراق ، فانزع عنهم تسخلص لك طاعتهم ،
وتحتمن به دماءنا ودماءهم . فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وبعث إلى
أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه ، فاجتمعوا جميعاً
عنده ؛ كلاهما في جنديهما ، فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع
الحجاج عنهم ، وأن يجري عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام ،
وأن ينزل ابن محمد أي بلد من عراق شاء ، يكون عليه والياً ما دام حياً ، وكان
عبد الملك والياً ؛ فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج ، وكان محمد بن مروان

١٠٧٣/٢

(١) ب ، ف : « أمداد » .

أمير العراق ، وإن أبوا أن يقبلوا فالحجاج أمير جماعة أهل الشام وولى القتال ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته . فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أغبط له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم ، فكتب إلى عبد الملك :

يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان ، فلما سأهم ما يريدون قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ! إن الحديد بالحديد يفلح . خار الله لك فيما ارتأيت . والسلام عليك .

فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب . فلما اجتمعا مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال : يا أهل العراق ، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال التي ذكرنا . وقال محمد بن مروان : أنا رسول أمير المؤمنين إليكم . وهو يعرض عليكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال . قالوا : نرجع العشيّة ، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلا أتاه ، فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فقد أعطيتم أمراً انتهزكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن يكون على ذى الرأى غداً حسرة ، وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء ، والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون^(١) . فلا والله^(٢) لا زلم عليهم جرأاً . ولا زلم عندهم أعزاء . إن أنتم قبلتم أبداً ما بقيتم .

فوثب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلكهم ، فأصبحوا في

(١) ب : « متقصون » .

(٢) ب ، ف : « فواقه » .

الأزل والضمنك والمجاعة والقلّة والذلة ، ونحن ذوو العدد الكثير ، والسعر الرفيع^(١) ، والمادة القريبة ، لا والله لا نقبل .

فأعادوا خلعه ثانية . وكان عبد الله بن ذواب السلمى وعمير بن تبحان أول من قام بخلعه فى الجماجم ، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم^(٢) أجمع من خلعهم إياه بفارس .

فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا : شأذك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك ، فإننا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع ، فقال : قد قلت لكما : إنه لا يراد بهذا الأمر غيركما ، ثم قال : إنما أقاتل لكما ، وإنما سلطاني سلطانكما ، فكانا إذا لقياه سلما عليه بالإمرة ، وقد زعم أبو يزيد السكسكى أنه إنما كان أيضا يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيتهما ، وخلياه والحرب فتولاها .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجماجم سمعت عبد الرحمن بن محمد وهو يقول : ألا إن بني مروان يعيرون بالزرقاء ، والله ما لهم نسب أصح منه إلا أن بنى أبى العاص أعلام من أهل صفورية . فإن يكن هذا الأمر فى قريش فعنى فقتت بيضة قريش ، وإن يك فى العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس - ومد بها صوتته يسمع الناس - وبرزوا للقتال ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن ابن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم الأحمي ، وعلى خيله سفيان ابن الأبرد الكلبي ، وعلى رجاله عبد الرحمن^(٣) بن حبيب^(٤) الحكمي ، وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمي ، وعلى ميسرته الأبرد بن قرّة التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي ، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبى وقاص ، وعلى مجففته^(٥) عبد الله بن رزام الحارثي ، وجعل على القراء جسيمة بن زحر بن قيس الجعفي ،

(١) السعر الرفيع : السهل .

(٢) ب ، ف : « بدير الجماجم » .

(٣) ب ، ف : « الله » .

(٤) ابن الأثير : « خبيب » .

(٥) الخيل المجففة : التى عليها التجفاف ، وهو ما جليل به من سلاح .

وكان معه خمسة عشر رجلاً من قريش ، وكان فيهم عامر الشعبي ، وسعيد ابن جبيرة وأبو البخترى الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلي .

ثم إنهم أخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقتتلون ؛ وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيما شاعوا من خيبيهم ، وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد ، قد غلت عليهم الأسعار ، وقتل عندهم ، الطعام ، وفتقدوا اللحم ، وكانوا كأنهم في حصار ، وهم على ذلك يتغادون أهل العراق ويرأو حوونهم ، فيقتتلون أشد القتال ، وكان الحجاج يُدنى خندقه مرة وهؤلاء أخرى ، حتى كان اليوم الذي أصيب فيه جبيلة بن زحر . ثم إنه بعث إلى كميل بن زياد النخعي وكان رجلاً ركيناً وقوراً عند الحرب ، له بأس وصوت في الناس ، وكانت كتيبته تُدعى كتيبة القراء ، يُحمل عليهم فلا يكادون يبرحون ، ويحملون فلا يكذبون ، فكانوا قد عرفوا بذلك ، فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون ، وخرج الناس ، فعبى الحجاج أصحابه ، ثم زحف في صفوفه ، وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض ، وعبى الحجاج لكتيبة القراء التي مع جبيلة بن زحر ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي ، فأقبلوا نحوهم .

١٠٧٧/٢

قال أبو مخنف : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في الخيل التي عبّيت لجبيلة بن زحر ، قال : حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات ؛ كل كتيبة تحمل حملة ، فلا والله ما استنقصنا منهم شيئاً .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب]

وفي هذه السنة توفي المغيرة بن المهلب بخراسان .

ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : كان المغيرة بن المهلب خليفة أبيه بمرو على عماله كله ، فمات في رجب سنة اثنتين وثمانين ، فأتى الخبر يزيد . وعلمته أهل العسكر فلم يُخبروا المهلب ، وأحب يزيد أن يبلغه ، فأمر النساء فصرخن ، فقال المهلب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ،

فاسترجع ، وجزع حتى ظهر جزعه عليه ، فلامه بعض خاصته ، فدعا يزيد فوجهته إلى مرو ، فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته . وكتب الحجاج إلى المهلب يعزیه عن المغيرة ، وكان سيداً ، وكان المهلب يوم مات المغيرة مقياً بكيس وراء النهر لحرب أهلها .

قال : فسار يزيد في ستين فارساً - ويقال : سبعين - فيهم مجاعة بن عبد الرحمن العتكي ، وعبد الله بن معمر بن سمير اليشكري ، ودينار السجستاني ، والهيثم بن المنخل الجرموزي ، وغنم وان الإسكاف صاحب زم - وكان أسلم على يد المهلب - وأبو محمد الزمي ، وعطية - مولى لعتيك - فلقبتهم خمسمائة من الترك في مفازة نسف ، فقالوا : ما أنتم ؟ قالوا : تجار ، قالوا : فأين الأثقال ؟ قالوا : قد مناها ، قالوا : فأعطونا شيئاً ، فأبى يزيد ، فأعطاهم جماعة ثوباً وكرابيس وقوساً ، فانصرفوا ثم غدرُوا وعادوا إليهم ، فقال يزيد : أنا كنت أعلم بهم فقاتلوهم ، فاشتد القتال بينهم ، ويزيد على فرس قريب من الأرض ، ومعه رجل من الخوارج كان يزيد أخذته ، فقال : استبقني ، فن عليه ، فقال له : ما عندك ؟ فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل رجلاً ، ثم كر فخالطهم حتى تقدمهم وقتل رجلاً ثم رجع^(١) إلى يزيد . وقتل يزيد عظيمًا من عظمائهم . ورى يزيد في ساقه ، واشتدت شوكتهم ، وهرب أبو محمد الزمي ، وصبر لهم يزيد حتى حاجزوه ، وقالوا : قد غدرنا ، ولكن لا ننصرف حتى نموت جميعاً أو تموتوا أو تعطونا شيئاً ، فحلف يزيد لا يعطيهم شيئاً ، فقال مجاعة : أذكرك الله ، قد هلك المغيرة ، وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه ، فأنشدك الله أن تصاب اليوم !

قال : إن المغيرة بعد أجله ، ولست أعدو أجلى . فرى إليهم جماعة بعمامة صفراء فأخذوها وانصرفوا ، وجاء أبو محمد الزمي بفوارس وطعام ، فقال له يزيد : أسلمتانيا أبا محمد ؛ فقال : إنما ذهبت لأجبتكم بمدد وطعام ، فقال الراجز :

(١) س : « ورجع » .

يزيدُ يا سيفَ أبي سعيدٍ
والجمعُ يومَ المجمعِ المشهودِ
وقال الأشقريُّ :

والتُّركُ تعلمُ إذ لاقى جُموعَهُمْ
بفِئبَةٍ كأُسودِ الغابِ لم يجدوا
نرى سُرائجَ تَغشى القومَ من علقِ
وتحتَهُمْ قَرَحٌ يَرَكِبُنَ ما ركبوا
في حازةِ الموتِ حتى جَنَّ ليلُهُمْ
أنْ قد لقوهُ شهاباً يَفْرِجُ الظُّلماً
غَيْرَ النَّاسِ وَغَيْرَ الصَّبْرِ مُعْتَصِماً
وما أرى نبوةً منهم ولا كزماً
من الكربةِ حتى ينتلحن دَمًا
كِلَا الفريقيينِ ما ولى ولا انهزما

١٠٨٠/٢

* * *

وفي هذه السنة صالح المهبأ أهل كس^(١) على فدية، ورحل عنها يريد مرو.

ذكر الخبر عن سبب انصراف المهبأ عن كس

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد: أن المهبأ اتهم قومًا من مضر فحبسهم وقتل من كس ونخلتهم، ونخلت حرث بن قطبة مولى نخزاعة، وقال: إذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن. وقطع النهر فلما صار ببلخ أقام بها وكتب إلى حرث: إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك، فإذا قبضت الفدية فلا تخلي الرهن حتى تقدم أرض بلخ. فقال حرث للملك كس: إن المهبأ كتب إلى أن احبس الرهن حتى أقدم أرض بلخ، فإن عجلت لي ما عليك سلمت إليك رهائتك، وسرت فأخبرته أن كتابه ورد، وقد استوفيت ما عليكم، ورددت عليكم الرهن؛ فعجل لهم صلحتهم، ورد عليهم من كان في أيديهم منهم. وأقبل فعرض لهم الترك، فقالوا: أفدي نفسك ومن معك، فقد لقينا

(١) ط: «كش»، وكس مدينة تقارب سمرقند.

يزيد بن المهلب فمَدَى نفسه. فقال حُرَيْث: ولدتني إذا أم يزيد! وقَاتَلَتْهم فقتلتهم، وأسرَ منهم أسرى فقتلهم، فمنَ عليهم وخلاهم، وردَ عليهم الفداء. وبلغ المهلب قوله: ولدتني أم يزيد إذا، فقال: يأنف العبدُ أن تُلده رَحِمُهُ! وغَضِبَ.

فلما قدم عليه بَلَخَ قال له: أين الرَّهْنُ؟ قال: قبضتُ ما عليهم وخليتُهم، قال: ألم أكتبُ إليك ألا تخليتهم! قال: أتاني كتابك وقد خليتُهم، وقد كُفيتُ ما خفتُ، قال: كذبتُ، ولكنك تقربت إليهم وإلى ملكيهم فأطلعتَه على كتابي إليك. وأمرَ بتجريدِه، فجزع من التجريد حتى ظنَّ المهلبُ أن به برصاً، فجزده وضرَّبه ثلاثين سوطاً. فقال حُرَيْث: ودِدْتُ أنه ضربني ثلاثمائة سوط ولم يجردني، أنفأ واستحياء من التجريد، وحلف ليقتلنَّ المهلب.

فركب المهلب يوماً وركب حُرَيْث، فأمر غلامين له وهو يسيرُ خلفَ المهلب أن يضرباه، فأبى أحدهما وترَّكه وانصرف، ولم يجترأ الآخرُ لما صار وحده أن يُقدِّم عليه، فلما رجع قال لغلامه: ما منعك منه؟ قال: الإشفاق والله عليك، والله ما جزعتُ على نفسي، وعلمتُ أنا إن قتلناه أنك ستقتل ونقتل، ولكن كان نظري لك، ولو كنت أعلم أنك تسلم من القتل لقتلته.

قال: فترك حُرَيْث إتيانَ المهلب، وأظهر أنه وجيعٌ، وبلغ المهلب أنه تمارض وأنه يريد الفتك به، فقال المهلب لثابت بن قطبة: جئني بأخيك، فإنما هو كبعض ولدي عندي، وما كان ما كان مني إليه إلا نظراً له وأدباً، ولربما ضربتُ بعضَ ولدي أودَّ به. فأتى ثابت أخاه فناشده، وسأله أن يركبَ إلى المهلب، فأبى وخافه وقال: والله لا أجيئه بعد ما صنَّع بي ما صنَّع، ولا آمنه ولا يأمنني. فلما رأى ذلك أخوه ثابت قال له: أما إن كان هذا رأيتُك فاخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم، وخاف ثابت أن يفتك حُرَيْثُ بالمهلب فيقتلوا جميعاً، فخرجا في ثلاثمائة من شاكرَيْتِهما والمنقطعين إليهما من العرب.

[خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفى المهلب بن أبي صفرة .

* ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته :

قال علي بن محمد : حدثني المفضل ، قال : مضى المهلب منصوراً من كسرى يريد مرواً ، فلما كان بزاعول من مرو والرؤذ أصابته الشوصة - وقوم يقولون : الشوكة^(١) - فدعا حبيباً ومن حضره من ولده ، ودعا بسهام فحزمت ، وقال : أترونكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا : لا ، قال : أفترونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم . فإن صلة الرحم تنسى في الأجل . وتشرى المال ، وتكثر العداة ؛ وأنها كم عن القطيعة ، فإن القطيعة تعقب النار . وتورث الذلّة والقلّة ، فتحابوا وتواصلوا ، وأجمعوا أمرهم ولا تختلفوا . وتباروا تجتمع أموركم ؛ إن بني الأم يختلفون ، فكيف بينى العائلات ! وعليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالكم أفضل من قولكم ، فإن أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه ، واتقوا الجواب وزلّة اللسان ، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ، ويزل لسانه فيتهلك . اعرفوا لمن يغشاكم حقه . فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له ، وآثروا الجود على البخل ، وأحببوا العرب واصطنعوا العرف . فإن الرجل من العرب تعدّه العدة فيموت دونك ، فكيف الصنعة عنده ! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل : أتى الأمر من وجهه ، ثم ظفر فحمد ، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل : ما فرط ولا ضيغ ، ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنن ، وأدب الصالحين ، وإياكم والحيفة وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجند حتى يتقدم بهم على يزيد ، فلا تبخالفوا يزيد ، فقال له المفضل : لو لم تقدمه لقد مناه .

١٠٨٣/٢

(١) في اللسان : الشوصة : ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة هنا ومرة هنا ، ومرة في الجنب ومرة في الظهر ومرة في الحواقي . وفيه أيضاً : « الشوكة داء كاطاعون » .

ومات المهلب وأوصى إلى حبيب، فصلت عليه حبيب، ثم سار إلى مرو .
 وكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج (١).
 ويقال : إنه قال عند موته ووصيته : لو كان الأمر إلى لوليت سيد ولدي
 حبيباً . قال : وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ، فقال نهار بن
 توسعة التميمي :

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب (٢)
 أقاماً بمرو الروذ رهني ضريحه وقد غيباً عن كل شرقٍ ومغربٍ
 إذا قيل أيُّ الناس أولى بنعمة على الناس؟ قلناه ولم نتهيب
 أباح لنا سهل البلاد وحزنها بخيل كارسال القطا المتسرب
 يعرضها للطعن حتى كأنما يجللها بالأرجوان المخضب
 تطيف به قحطان قد عصبت به وأحلافها من حي بكرٍ وتغلب
 وحيًا معدُّ عودٌ بِلوائه يقدونه بالنفس الأم والأب

* * *

وفي هذه السنة ولي الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد
 موت المهلب .

وفيهما عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة ؛ قال الواقدي : عزله
 عنها لثلاث عشرة ليلة نخلت من جمادى الآخرة .

قال : وفيها ولي عبد الملك هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة . وعزل
 هشام بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفل بن مساحق العامري ، وكان
 يحيى بن الحكم هو الذي استقضاه على المدينة . فلما عزل يحيى ووليها أبان
 ابن عثمان أقره على قضائها ؛ وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة
 أشهر وثلاث عشرة ليلة ، فلما عزل هشام بن إسماعيل نوفل بن مساحق
 عن القضاء ولي مكانه عمرو بن خالد الزرقى .

(١) ابن الأثير : « فلما توفي كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاة ، فأقر يزيد على خراسان » .

(٢) البيت الأول والثاني في كتاب المعمرين ١٤٣ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، كَذَلِكَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ
 ثَابِتٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ
 وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالْمَشْرِقِ الْحِجَّاجُ ، وَعَلَى خُرَّاسَانَ يَزِيدُ
 بْنُ الْمُهَلَّبِ مِنْ قَبْلِ الْحِجَّاجِ .

تم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

[خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم]

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم .
الجماجم .

* ذكر الخبر عن سبب انهزامه :

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني، قال: كنت في نخييل جبيلة بن زحل، فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة، نادانا^(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال: يا معشر القراء، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بئس إني سمعت علياً^(٢) - رفع الله درجته في الصالحين، وأثابته^(٣) أحسن ثواب الشهداء والصدّيقين^(٤) - يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون، إنه من رأى عدواناً يُعمل به، ومُنكراً يُدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبسرى، ومن أنكر بلسانه فقد أجز، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العلياً وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، ونور في قلبه اليقين^(٤). فقاتلوا هؤلاء المُحِلِّين المُحدِّثين المُبتدِعِينَ الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس يُنكرونه.

وقال أبو البختري: أيها الناس، قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليُفسدُنَّ عليكم دينكم، وليَغلبُنَّ على دنياكم .
وقال الشعبي: يا أهل الإسلام، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم،

(١) ب: « نادى يا »، ابن الأثير: « نادى جبلة يا » .

(٢) ب: « على بن أبي طالب » . (٣ - ٣) ب: « ثواب الصديقين والشهداء » .

(٤) نهج البلاغة ٢: ٢٢٤ .

فوالله ما أعلم قوماً على بتسيط الأرض أعمل بظلم ، ولا أجور منهم في الحكم^(١) ، فليكن بهم البدار . ١٠٨٧/٢

وقال سعيد بن جبير : قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيتة وبقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جوارهم في الحكم ، وتجبرهم في الدين ، واستذلاليهم الضعفاء ، وإماتتهم الصلاة .

قال أبو مخنف ، قال أبو الزبير : فتهبنا للحملة عليهم ، فقال لنا جبيلة : إذا حملتم عليهم فاحملوا حملة صادقة ، ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفتهم . قال : فحملنا عليهم حملة يجد منا في قتالهم ، وقوة منا عليهم ، فضربنا الكتاب الثلاث حتى اشفرت^(٢) ، ثم مضينا حتى واقعنا صفتهم فضربناهم حتى أزلناهم عنه ، ثم انصرفنا ففررنا بجبيلة صريعاً لا ندري كيف قُتل .

قال : فهدنا ذلك وجبينا فوقفنا موقفنا الذي كنا به ، وإن قرأنا لتوافرون ، ونحن نتمناعي جبيلة بن زحر بيننا ، كأنما فقد به كل واحد منا أباه أو أخاه ، بل هو في ذلك الموطن كأنه أشد علينا فقداً . فقال لنا أبو البختري الطائي : لا يستبينن فيكم قتل جبيلة بن زحر ، فإنما كان كرجل منكم أنته منيته ليومها ، فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه ، وكلكم ذائق ما ذاق ، ومدعو فمجيب . قال : فنظرت إلى^(٣) وجوه القرأ فإذا انكابة على وجوههم بيته ، وإذا ألسنتهم منقطعة . وإذا الفشل فيهم قد ظهر ، وإذا أهل الشام قد سرروا وجدوا ، فنادوا^(٤) : يا أعداء الله ، قد هلككم ، وقد قتل الله طاغوتكم^(٥) .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي أن جبيلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفتنا ، وتبعونا ، وافرقت منا فرقة فكانت^(٦) ناحية ، فنظرنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابنا ، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه عنى

(١) ب : « بحكم » . (٢) اشفرت : افرقت . (٣) ب : « في » . (٤) ب ، ف : « فنادونا » . (٥) ب ، ف : « طاغيتكم » . (٦) ب ، ف : « فقامت » .

رأس رهوة ، فقال بعضنا ، هذا والله جبيلة بن زحر ، احملاوا عليه ما دام
أصحابه مشاغيل بالقتال عنه لعلكم تصيبونه . قال : فحملنا عليه ، فأشهد
ما ولى ، ولكن حمل علينا بالسيف . فلما هبط من الرهوة^(١) شجرتاه
بالرماح فأذربناه عن فرسه فوق قتيل ، ورجع أصحابه ، فلما رأيناهم مقبلين
تنحينا عنهم ، فلما رأوه قتيلاً رأينا من استرجاعهم وجزعهم ما قررت به
أعيننا ، قال : فتبيننا ذلك في قتالهم إيانا وخرجهم إلينا .

* * *

قال أبو مخنف : حدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني ، قال : لما
أصيب جبيلة هد الناس مقتله ، حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن
هيرة الشيباني ، فشجع الناس مقدمه ، وقالوا : هذا يقوم مقام جبيلة ،
فسمع هذا القول من بعضهم أبو البخري . فقال : قبضتم ! إن قتل منكم
رجل^(٢) واحد ظننتم أن قد أحيط بكم . فإن قُتل الآن ابن مصقلة ألقيم
بأيديكم إلى التهلكة ، وقلم : لم يسبق أحد يقاتل معه ! ما أخلفكم أن
يخلف رجاؤنا فيكم ! وكان مقدم بسطام بن الرى ، فالتقى هو وقتيبة
في الطريق . فدعاه قتيبة إلى الحجاج وأهل الشام ، ودعاه بسطام إلى عبد الرحمن
وأهل العراق ، فكلاهما أبى على صاحبه ، وقال بسطام : لأن أموت مع أهل
العراق أحب إلى من أن أعيش مع أهل الشام ، وكان قد نزل ماسبندان .
فلما قدم قال لابن محمد : أمرتني على خيل ربيعة ؛ ففعل ، فقال لهم :
يا معشر ربيعة ، إن في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لي - وكان شجاعاً -
فخرج الناس ذات يوم ليقتتلوا . فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم ،
فأصابوا فيهم نحواً من ثلاثين امرأة من بين أمة وسرية ، فأقبل بهن حتى
إذا دنا من عسكره ردهن ، فجن ودخلن عسكر الحجاج ، فقال : أولتني لها
منع القوم نساءهم ، أما لولم يردوهن لسبيت نساؤهم غداً إذا ظهرت . ثم اقتتلوا
يوماً آخر بعد ذلك ، فحمل عبد الله بن مليل الهمداني في خيل له حتى دخل

(١) ب ، ف : « رهو » ، والرهو : ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله .

(٢) ب ، ف : « رجل واحد منكم » .

عسكرهم فسبا ثمانى عشرة امرأة ، وكان معه طارق بن عبد الله الأسدي - وكان رامياً - فخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطه ، فأخذ الأسدي يقول لبعض أصحابه : استر منى (١) هذا الشيخ لعلنى أرميه أو أحمل عليه فأطعنه ، فإذا الشيخ يقول رافعاً صوته : اللهم لئمتنا وإيتاهم بعافية ؛ فقال الأسدي : ما أحب أن أقتل مثل هذا ، فتركه ، وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ؛ ثم نلتى سبيلهن أيضاً ، فقال الحجاج مثل مقالته الأولى .

١٠٩٠/١

قال هشام : قال أبي : أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بني عامر في كتيبة إلى جبيلة بن زحر ، فانحط عليه الوليد من رابية - وكان جسيماً ، وكان جبيلة رجلاً ربعة - فالتقى ، فضربه على رأسه فسقط ، وانهزم أصحابه وجيء برأسه .

قال هشام : فحدثني بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبي ، قال : لما جىء برأس جبيلة بن زحر إلى الحجاج حمله على رحين ثم قال : يا أهل الشام ، أيشروا ؛ هذا أول الفتح ، لا والله ما كانت فتنة قط فخبست حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليممن ، وهذا من عظمائهم . ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه الحجاج ابن جارية ، فحمل عليه ، فطعنه فأذراه ، وحمل أصحابه فاستنقذوه ، فإذا هو رجل من نخشعم يقال له أبو الدرداء ، فقال الحجاج بن جارية : أما إنى لم أعرفه حتى وقع ، ولو عرفته ما بارزته ، ما أحب أن يصاب من قومي مثله . وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤاسي أبو حميد فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ابن عم له من أهل الشام ، فاضطربا بسيفيهما ، فقال كل واحد منهما : أنا الغلام الكلابي ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : من أنت ؟ فلما تساءلا تحاجزاً . وخرج عبد الله بن رزام الحارثي إلى كتيبة الحجاج ، فقال : أخرجوا إلى رجلا رجلاً ، فأخرج إليه رجل ، فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام ، يقتل كل يوم رجلاً ، حتى إذا كان اليوم الرابع

١٠٩١/٢

(١) ب ، ف : « استراعى » .

أقبل ، فقالوا : قد جاء لا جاء الله به ! فدعا إلى المبارزة ، فقال الحجاج للجراح : اخرج إليه ، فخرج إليه ، فقال له عبد الله بن رزام - وكان له صديقاً : ويحك يا جراح ! ما أخرجك إن ! قال : قد ابتليت بك ، قال : فهل لك في خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك ، وأما أنا فإني أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حباً لسلامتك ، فإني لا أحب أن أقتل من قومي مثلك ، قال : فافعل ، فحمل عليه فأخذ يستطرد له - وكان الحارثي قد قطعته كاهاته ، وكان يعطش كثيراً ، وكان معه غلام له معه إداوة من ماء ، فكلما عطش سقاه الغلام - فاطرد له الحارثي ، وحمل عليه الجراح حملةً بجد لا يزيد إلا قتله ، فصاح به غلامه : إن الرجل جاد في قتلك ! فعطف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصرعه ، فقال لغلامه : انضح على وجهه من ماء الإداوة ، واسقه : ففعل ذلك به ، فقال : يا جراح ، بشما ما جزيتني . أردت بك العافية وأردت أن تزيروني المنية ! فقال : لم أرد ذلك ، فقال : انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة .

قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني ابن أبي سبيرة ، عن صالح بن كيسان ، قال : قال سعيد الحرشي : أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق ، يقال له : قدامة بن الحرش التميمي ، فوقف بين الصنفين ، فقال : يا معشر جرّامية أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن أبيتم فليخرج إلى رجل ، فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله ، حتى قتل أربعة ، فلما رأى ذلك الحجاج أمر منادياً فنادى : لا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، قال : فكف الناس . قال سعيد الحرشي : فدنوت من الحجاج فقلت : أصلح الله الأمير ! إنك رأيت ألا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بأجلهم ، ولهذا الرجل أجمل ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأذن لأصحابي الذين قدّموا معي فليخرج إليه رجل منهم ، فقال الحجاج : إن هذا الكلب لم يزل هذا^(١) له عادة

(١) بعدها في ب ، ف : الدعاء .

وقد أَرعَبَ الناسَ ، وقد أذنت لأصحابك ، فمن أحبَّ أن يقوم فليقم .
فرجع سعيد الحرشى إلى أصحابه فأعلمهم ، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز
إليه رجل من أصحاب الحرشى . فقتله قدامه ، فشق ذلك على سعيد ، وثقل
عليه لكلامه الحجاج ، ثم نادى قدامة : من يبارز ؟ فدنا سعيد من الحجاج ،
فقال : أصلح الله الأمير ! ائذن لى فى الخروج إلى هذا الكلب ، فقال :
وعندك ذلك ؟ قال سعيد : نعم ، أنا كما تحب^(١) ، فقال الحجاج : أرني
سيفك ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج : معى سيف أثقل من هذا ، فأمر
له بالسيف^(٢) ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج - ونظر إلى سعيد فقال : ما أجود
درعك وأقوى فرسك ! ولا أدرى كيف تكون مع هذا الكلب ! قال سعيد :
أرجو أن يظفرنى الله به ، قال الحجاج : اخرج على بركة الله . قال سعيد :
فخرجت إليه ، فلما دنوت منه ، قال : قف يا عدو الله ، فوقفت ، فسرتنى
ذلك منه ، فقال : اختر إما أن تمكينى فأضربك ثلاثا ، وإما أن أمكنك
فتضربنى ثلاثا ، ثم تمكينى . قلت : أمكنى ، فوضع صدره على قرابوسه
ثم قال : اضرب ، فجمعت يدي على سيني ، ثم ضربت على المغفر
متمكنا ، فلم يصنع شيئا ، فسأنى ذلك من عمى ومن ضربتى ، ثم أجمع
رأى أن أضربه على أصل العاتق ، فإما أن أقطع وإما أن أوهن يده عن ضربته ،
فضربته فلم أصنع شيئا ، فسأنى ذلك ومن غاب عنى ممن هو فى ناحية العسكر
حين بلغه ما فعلت ، والثالثة كذلك . ثم اخترط سيفاً ثم قال : أمكنى ،
فأمكنته ، فضربنى ضربة صرعى منها ، ثم نزل عن فرسه وجلس على
صدرى ، وانتزع من خفيته خنجراً أو سكيناً فوضعها على حلقى يريد
ذبحى ، فقلت له : أنشدك الله ! فإنك لست مصيباً من قتلى الشرف
والذكر مثل ما أنت مصيب من تركى ، قال : ومن أنت ؟ قلت : سعيد
الحرشى ، قال : أولى يا عدو الله ! فانطلق فأعلم صاحبك^(٣) ما لقيت .
قال سعيد : فانطلقت أسعى حتى انتهيت إلى الحجاج ، فقال : كيف

١٠٩٣/٢

١٠٩٤/٢

(٢) ب ، ف : « سيف » .

(١) ب ، ف : « كما يحب الأمير » .

(٣) ب ، ف : « أصحابك » .

رأيت! فقلت: الأميرُ كان أعلمَ بالأمر (١).

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف، عن أبي يزيد (٢)، قال: وكان أبو البختري الطائي وسعيد بن جببير يقولان: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلاً...﴾ (٣) إلى آخر الآية، ثم يميلان حتى يواقعها الصف. قال أبو المخارق: قاتلناهم مائة يوم سواء أعدّها عدّا. قال: نزلنا دير الجماجم مع ابن محمد غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين، وهزمتنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد الضحى ومُتَوِّع النهار، وما كنا قطّ أجزأ عليهم ولا هم أهون علينا منهم في ذلك اليوم.

قال: خرجنا إليهم وخرجوا إلينا يوم الأربعاء. لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة، فقاتلناهم عامة النهار أحسن قتال قاتلناهموه قطّ، ونحن آمنون من الهزيمة، عالون للقوم، إذ خرج سفيان بن الأبرد الكلبي في الخيل من قبيل ميمنة أصحابه، حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمي، وهو على ميسرة عبد الرحمن بن محمد، فوالله ما قاتلته كبير قتال حتى انهزم، فأنكبرها الناس منه، وكان شجاعاً، ولم يكن الفرار له بعادة، فظن الناس أنه قد كان أومين، وصولح على أن ينهزم بالناس، فلما فعلها ١٠٩٥/٢ تقوّضت الصفوف من نحوه، وركب الناس وجوههم (٤) وأخذوا في كل وجه، وصعد عبد الرحمن بن محمد المنبهر، فأخذ (٥) ينادي الناس: عباد الله، إلى أنا ابن محمد؛ فأتاه عبد الله بن رزام الحارثي، فوقف تحت منبره، وجاء عبد الله بن ذؤاب السلمي في خيل له (٦)، فوقف منه قريباً، وثبت حتى دنا منه أهل الشام، فأخذت نبلهم تحوزة، فقال: يا بن رزام، احمل على هذه الرجال والخيل، فحمل عليهم حتى أمعنوا. ثم جاءت

(١) بعدها في ب، ف: «منى».

(٢) أول الحديث ص ٣٥٨.

(٣) سورة آل عمران ١٤٥.

(٤) ب، ف: «روسهم».

(٥) ب، ف: «وأخذ».

(٦) ب، ف: «لم خيل».

خبل لهم أخرى ورجالة ، فقال : احمل عليهم يا بن ذؤاب ، فحمل عليهم حتى أمعنوا ، وثبت لا يبرح منبره ، ودخل أهل الشام العسكر ، فكبروا^(١) ، فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي - وكانت مليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن - فقال : انزل ، فإني أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤسّر ، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جَمْعاً يُهلكهم الله به بعد اليوم . فنزل وخطب أهل العراق العسكر ، وانهمزوا لا يلوون على شيء ، ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هبيرة ومعه أناس من أهل بيته ؛ حتى إذا حاذوا قرية بني جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر ، فعبروا فيه ، فأنهى إليهم بسطام بن مصقلة ، فقال : هل في السفينة عبد الرحمن بن محمد ؟ فلم يكلموه ، وظن أنه فيهم ، فقال :

• لا وألت نفس عليها تُحاذِرُ •

ضَرَمَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَاءِ دَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمْتَ أَجْذَمًا^(١) ١٠٩٦/٢

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم ينزل عنه ، فخرجت إليه ابنته فالتزمها ، وخرج إليه أهله يبكون ، فأوصاهم بوصية وقال : لا تبكوا ، رأيتم إن لم أترككم . كم عسيت أن أبقى معكم حتى أموت ! وإن أنا ميت فإن الذي رزقكم الآن حتى لا يموت ، وسيرزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي ؛ ثم ودع أهله وخرج من الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب ، أنهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتد وامتد ، قال : جئت أشدد وهمي الرمح والسيف والترس حتى بلغت أهل من يومي ، ما ألقيت شيئاً من سلاحي ، فقال الحجاج : اتركوهم فليبتدوا ولا تتبعوهم . ونادى المنادي : من رجع فهو أمين . ورجع محمد بن مروان إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الواقعة ، وخطب الحجاج والعراق ، وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة ، وأجلس مصقلة ابن كرب بن ربيعة العبدى إلى جنبه ، وكان خطيباً ، فقال : اشتم كل

(١) س : «فكبروا» . (٢) من أبيات للربيع بن زياد ، ديوان الحماسة بشرح التبريزي ٢ : ٦١ .

امري بما فيه ممن كُننا أحسنا إليه، فاشتبه بقلته شكره، ولؤم عهده؛ ومن علمت منه عيباً فعنه بما فيه، وصغرُ إليه نفسه . وكان لا يبایعه أحدٌ إلا قال له :
 ١٠٩٧/٢ أتشهد أنك قد كفرت ؟ فإذا قال : نعم ، بایعه وإلا قَتَله ، فجاء إليه رجل من خشعَمَ قد كان مُعْتزِلاً للناس جميعاً من وراء الفُرات ، فسأله عن حاله فقال : ما زلتُ مُعْتزِلاً وراءَ هذه النطفة ، منتظراً أمرَ الناس حتى ظهرت ، فأتيتُك لأبایعُك مع الناس ؛ قال : أمتربص ! أتشهد أنك كافر ؟ قال : بئسَ الرجل أنا إن كنتُ عبدتُ الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر ؛ قال : إذا أقتلتك ؛ قال : وإن قتلتني فوالله ما بقي من عُمرى إلا ظيمٌ حمار ، وإني لأنتظر الموتَ صباحَ مساءً ، قال : اضربوا عنقه ، فضربتُ عنقه ، فترعموا أنه لم يبق حوله قرشي ولا شامي ولا أحد من الحزبِين إلا رحمه ورثي له من القتل .

ودعاً بكُميل بن زياد النخعي فقال له : أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين ؟ قد كنت أحب أن أجدَ عليك سبيلاً ، فقال : والله ما أدري على أيِّنا أنت أشدَّ غضباً ؟ عليه حين أقاد من نفسه ، أم على حين عفوتُ عنه ؟ ثم قال : أيها الرجل من ثقيف ، لا تصرف على أنيابك ، ولا تهدم على تهدم الكشييب ، ولا تكثير كشران الذئب ، والله ما بقي من عمرى إلا ظيمٌ الحمار ، فإنه يشرب غُدوة ويموت عشية ، ويشرب عشية ويموت غُدوة ، اقض ما أنت قاض ، فإن الموعد الله ، وبعد القتل الحساب . قال الحجاج : فإن الحججة عليك ، قال : ذلك إن كان القضاء إليك ، قال : بلى ، كنتَ فيمن قتلَ عثمان ، وخلعت أمير المؤمنين ، اقتلوه .
 ١٠٩٨/٢ فقُدِّم فقتل ، قتلته أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف ، ابن عم منصور بن جمهور .

وأتى بأخر من بعده ، فقال الحججاج : إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر ، فقال : أتخادعني عن نفسي ! أنا أكفر أهل الأرض ، وأكفر من فرعون ذي الأوتاد ، فضحك الحججاج وخلق سبيله .

وأقام بالكوفة شهراً ، وعزّل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة .

[هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن]

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم .

ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن أبي يزيد السكسكي ، قال : خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن ، وجمع إليه ناس كثير . وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القُرشي حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبي عقيل . ابن عم الحجاج . فأخذها . وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم بالبصرة وهو بها . فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن ونزل ، فأقبل عبيد الله حينئذ من ابن محمد بن الأشعث ، وقال له : إني لم أريد فراقك ، وإنما أخذتها . وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن ، فأقام عليها ختماً حتى هب الرجال في المعابر . فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم إليهم خرجوا حتى لحقوا بابن الأشعث جميعاً . وأقبل نحوهم الحجاج ، فخرج الناس معه إلى مسكن عن دجيب . وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف ، وتلاوم الناس على شيراز . وباع أكثرهم بسطام بن مصلح على الموت ، وخذق عبد الرحمن عن أصحابه . وبشق الماء من جانب ، فجعل القتال من وجه واحد ، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسري من خراسان في ناس من بعث الكوفة . فاقتتلوا خمس عشرة ليلة^(١) من شعبان أشد القتال حتى قتل زياد بن غنيم القيني . وكان على مسالح الحجاج ، فهذه ذلك وأصحابه^(٢) هداً شهيداً .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جهمم الأزدي ، قال : بات الحجاج ليلة كثر يسير فيقول لنا : إنكم أهل الطاعة ، وهم أهل المعصية ، وأنتم تسعون في رضوان الله ، وهم يسعون في سخط الله ، وعادة الله عندكم فيهم

(١) ب : « خمسة عشر يوماً » .

(٢) ب : « هداً أصحابه » .

حَسَنَةً ؛ ما صدقتموهم في موطنٍ قطّ ولا صبرتم لهم إلاّ أعقبكم الله النصرَ عليهم والظفرَ بهم ؛ فأصبحوا إليهم عاديّين جادّين ، فإنّي لست أشكّ في النصر إن شاء الله .

١١٠٠/٢

قال : فأصبحنا^(١) ، وقد عبّأنا في السّحر ، فباكرناهم^(٢) فقاتلناهم أشدّ قتال قاتلنا همّوه قطّ ، وقد جاءنا عبدُ الملك بن المهلب مجتفاً ، وقد كُشفتُ خيل سُفَيان بن الأبرد ، فقال له الحجاج : ضمّ إليك يا عبد الملك هذا النّشتر^(٣) لعلّ أحمل عليهم ، ففعل ، وحمل الناسُ من كلّ جانب ، فانهزم أهلُ العراق أيضاً ، وقتل أبو البختري الطائيّ وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقالوا قبل أن يُقتلوا : إنّ الفِرار كلّ ساعة بنا لتقبيح . فأصيبا . قال : ومشي بسطام بن مَصْقَلَة الشيبانيّ في أربعة آلاف من أهل الحفياظ من أهل المصريين ، فكسروا جفون السيوف ، وقال لهم ابن مَصْقَلَة : لو كنا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجونا منه فررنا ، ولكننا^(٤) قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل ، فأين المسّحيد عما لا بدّ منه ! يا قوم إنكم مُحِقون ، فقاتلوا على الحقّ ، والله لو لم تكونوا على الحقّ لكان موتٌ في عزّ خيراً من حياة في ذلّ . فقاتل هو وأصحابه قتالاً شديداً كَشَفُوا فيه أهلَ الشّام مراراً ، حتى قال الحجاج : على بالرمّة لا يقاتلهم غيرهم ، فلما جاءتهم الرّماة وأحاطَ بهم الناس من كلّ جانب قُتِلوا إلاّ قليلاً ، وأخذ بكير بن ربيعة بن ثروان^(٥) الضّبيّ أسيراً ، فأتي به الحجاج فقتله .

١١٠١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجهمّ ، قال : جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس ، فقال الحجاج : يا أهل الشّام ، إنه من صنّع الله لكم أن هذا غلام من الغلّمان جاء بفارس أهل العراق أسيراً ، اضرب عنقه ، فقتله .

قال : ومضى ابن الأَسْعَث والفَلّ من المنهزمين معه نحو سِجِسْتان فأنبَعهم الحجاج عمارة بن تميم اللّخميّ ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أمير

(١) بعدها في ب : « إليهم » .

(٢) ب : « وباكرناهم » .

(٣) النثر : القوم المتفرقون لا يجمعهم رئيس . وفي ب : « البشر » .

(٤) ب : « لكننا » .

(٥) ط : « أبي ثروان » ، والصواب ما أثبت .

على القوم؛ فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فأدركه بالسوس، فقَاتَلَهُ ساعةً من نهار، ثم إنه انهزم هو وأصحابه فمَضُوا حتى أتوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكرادُ مع من كان معه من الفُلول، فقَاتَلَتْهُمْ عمارة بن تميم قتالاً شديداً على العَقَبَةِ حتى جُرح عمارة وكثيرٌ من أصحابه، ثم انهزم عمارة وأصحابه وخذلوا لهم عن العَقَبَةِ، ومضى عبد الرحمن حتى مرَّ بكرمان.

قال الواقدي: كانت وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ثلاث وثمانين.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدي، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كرممان تلقاه عمرو بن لقيط العبدي - وكان عامله عليها - فهياً له نزلًا فنزل، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل: والله لقد بلغنا عنك يا ابن الأشعث أن قد كنت جباناً، فقال عبد الرحمن: والله ما جبننت، والله لقد دلفت الرجال بالرجال، ولففت الخيل بالخيل، ولقد قاتلت فارساً، وقاتلت راجلاً، وما انهزمت، ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلاً ولا أرى معي مقاتلاً، ولكني زاوتُ مسلماً مؤجلاً. ثم إنه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كرممان.

قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي، قال: لما مضى ابن محمد في مفازة كرممان وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرًا في المفازة، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة اليشكري، وهي قصيدة طويلة:

أيا لهفأ ويا حزنأ جميعأ	ويا حرأ الفواد ليمأ لقينأ!
تركنا الدينَ والدنيا جميعأ	وأسلمنا الحلائلَ والبينأ
فما كنا أناسأ أهلَ دينِ	فنصبرَ في البلاء إذا ابتلينا
وما كنا أناسأ أهلَ دنيا	فمنعها ولولم نرجُ دينأ

تركنا دُورنا لَطْغَامِ عَكُّ وَأَنْبَاطِ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِينَا^(١)

ثمَّ إنَّ ابنَ محمدٍ مضى حتى خرج على زَرَنْجِ مَدِينَةِ سِجِسْتَانَ ، وفيها رجلٌ من بني تميمٍ قد كان عبدَ الرحمنِ استعملتهُ عليها ، يقال له عبدُ الله بنُ عامرِ البَعَارِ من بني مُجَاشِعِ بنِ دَارِمِ ، فلما قَدِمَ عليه عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ ١١٠٣/٢ منهزمًا أغلَقَ بابَ المَدِينَةِ دُونَهُ ، ومنعه دُخُولَهَا ، فأقامَ عليها عبدُ الرَّحْمَنِ أيامًا رجاءَ افْتِتَاحِهَا ودُخُولِهَا . فلما رأى أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا خَرَجَ حَتَّى أَتَى بُسْتًا ، وقد كان استعملَ عليها رجلاً من بكرِ بنِ وائلٍ يقال له عِيَاضُ بنُ هِمِيَّانِ أَبُو هِشَامِ بنِ عِيَاضِ السُّدُوسِيِّ ، فاستقبلتهُ ، وقال له : انزِلْ ، فجاء حتى نزل به ، وانتظر حتى إذا غفَلَ أصحابُ عبدِ الرَّحْمَنِ وتفرَّقوا عنه وثب عليه فأوثقتهُ ، وأراد أن يأمَنَ بها عندَ الحِجَاجِ ، ويتخذُ بها عندَهُ مَكَانًا . وقد كان رُتَبِيلٌ سمعَ بمقدمِ عبدِ الرَّحْمَنِ عليه ، فاستقبله في جنوده ، فجاء رُتَبِيلٌ حتى أحاط ببُسْتٍ ، ثمَّ نزل وبعثَ إلى البَكْرِى : والله لئن آذيتَهُ بما يُقَدِّى عَيْنَهُ ، أو ضررتَهُ ببعضِ المَضْرَةِ ، أو رزأته حَبِيلًا من شَعَرٍ لا أُبْرَحُ العَرِضَةَ حَتَّى أَسْتَزِلَّكَ فَأَقْتُلُكَ وَجَمِيعَ من مَعَكَ ، ثمَّ أسبى ذراريَكُم ، وأقسمَ بينَ الجُندِ أَمْوَالِكُم . فأرسلَ إليه البَكْرِى أن أعطنا أمانًا على أنفسنا وأموالنا ، ونحن نُدْفِعُهُ إِلَيْكَ سَالِمًا ، وما كان له من مالٍ مُوَفَّرًا . فصالحهم على ذلك ، وآمنهم ، ففتَّحوا لابنَ الأشعثِ البابَ وخلَّوا سبيلَهُ ، فأتى رُتَبِيلٌ فقال له : إنَّ هذا كان عامليَ على هذه المَدِينَةِ ، وكنتُ حيثُ وليتهُ واثقابه ، مطمئنًا إليه ، فغدَرَ بِي وركبَ مِنِّي ما قد رأيتَ ، فأذن لي في قَتْلِهِ ، قال : قد آمنتُهُ وأكرهه أن أغدِرَ به ، قال : فأذن لي في دَفْعِهِ وَهَزِهِ^(٢) ، والتصغيرِ ١١٠٤/٢ به ، قال : أمَّا هذا فنعم . ففعلَ به عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ ، ثمَّ مضى حتى دخلَ مع رُتَبِيلِ بِلَادِهِ ، فأنزله رُتَبِيلٌ عنده وأكرمه وعظَّمه ، وكان معه ناسٌ من الفُتُلِ كثيرٌ .

ثمَّ إنَّ عَظْمَ الفُتُلِ وجماعةَ أصحابِ عبدِ الرَّحْمَنِ ومن كان لا يرجو

(١) انظر الأغانى ١١ : ٣١٢ ، ٣١٣ . (٢) الهمز : الضرب .

الأمان؛ من الرءوس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الأشعث، ولم يقبلوا أمان الحجاج في أول مرة، وجهتوا عليه الجهد كله، أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي طلبه حتى سقَطوا بسجستان، فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من ستين ألفاً، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعاري فحصره، وكتبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدميهم وعددهم وجماعتهم، وهو عند رُتَيْبيل. وكان يصلي بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتبوا إليه: «أن أقبل إلينا لعلنا نسير إلى خراسان، فإن بها منا جنوداً عظيماً، فلعلهم يبايعوننا على قتال أهل الشام، وهي بلاد واسعة عريضة، وبها الرجال والحصون. فخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عامر البعاري حتى استنزلوه، فأمر به عبد الرحمن فضرب وعذَّب وحُبِس. وأقبل نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام، فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرج بنا عن سجستان فلندعها^(١) له ونأثي خراسان، فقال عبد الرحمن بن محمد: على خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع صارم، وليس بتارك لكم سلطانته، ولو دخلتموها وجدتموه إليكم سريعاً، ولن يدع أهل الشام اتباعتكم، فأكره أن يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشام، وأخاف ألا تنالوا ما تطلبون^(٢)»، فقالوا: «إنما أهل خراسان منا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر من يقاتلنا، وهي أرض طويلة عريضة نتحى^(٣) فيها حيث شئنا، وتمكث حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا. فقال لهم عبد الرحمن: سيروا على اسم الله.

١١٠٥/٢

فساروا حتى بلغوا هرة، فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكره عبید الله بن عبد الرحمن بن سمر القريشي في ألفين، ففارقته، فأخذ طريقاً سوى طريقهم، فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحسم الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإنني قد شهدتكم في هذه المواطن، وليس فيها مشهود

(١) ب: «ولندعها». (٢) ب: «ألا تنالوا ما تطلبونه». (٣) ب: «نتحى».

إلا أصبر لكم فيه نفسى حتى لا يبقى منكم فيه أحد ، فلما رأيتُ أنكم لا تقاتلون ، ولا تصبرون ، أتيتُ ملجأً ومأمناً فكنتُ فيه ، فجاءتني كتبكم بأن أقبل إلينا ، فإننا قد اجتمعنا وأمرنا واحد ، لعلنا نقاتل عدونا ، فأتيتكم فرأيتُ أن أمضى إلى خراسان وزعمتم أنكم مجتمعون لى ، وأنكم لن تفرقوا عني . ثم هذا عبيد الله بن عبد الرحمن قد صنع ما قد رأيتم ، فتحسبى منكم يومى هذا فاصنعوا ما بدا لكم ، أما أنا فنصرف إلى صاحبي الذى أتيتكم من قبله ، فن أحب منكم أن يتبعنى فليتبعتنى ، ومن كثره ذلك فليذهب حيث أحب في عياد من الله .

١١٠٦/٢

فتفرقت منهم طائفة ، ونزلت مع طائفة^(١) ، وبقي عظيم العسكر ، فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العباس لما انصرف عبد الرحمن ، فبايعوه . ثم مضى ابن محمد إلى رتبيل ومضوا هم إلى خراسان حتى انتهوا إلى هراة ، فلقوا بها الرقاد الأزدي من العتيك ، فقتلوه ، وسار إليهم يزيد بن المهلب . وأما على بن محمد المدائني فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن ابن الأشعث لما انهزم من مسكين مضى إلى كابل ، وأن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمره أتى هراة ، فذم ابن الأشعث وعابته بفراره ، وأتى عبد الرحمن بن عباس سجستان فانضم إليه فتل ابن الأشعث ، فسار إلى خراسان في جمع يقال عشرين ألفاً ، فنزل هراة ولقوا الرقاد بن عبيد العتيكى فقتلوه ، وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس عبد الرحمن بن المنذر بن الجارود ، فأرسل إليه يزيد بن المهلب : قد كان لك في البلاد متسع ، ومن هو أكل منى حنذاً وأهون شوكة ، فارتحل إلى بلد ليس فيه سلطان ، فإني أكره قتالك ، وإن أحببت أن أمدك بمال لسفرك أعنتك به ، فأرسل إليه : ما نزلنا هذه البلاد لمحاربة ولا لمقام ، ولكننا أردنا أن نريح ، ثم نشخص إن شاء الله ، وليست بنا حاجة إلى ما عرضت . فانصرف رسول يزيد إليه ، وأقبل الهاشمي على الجباية ، وبلغ يزيد ، فقال : من أراد أن يريح ثم يجتاز لم يجنب الحراج ؛ فقدم المفضل في أربعة آلاف - ويقال في ستة آلاف -

١١٠٧/٢

(١) ب : « طائفة معه » .

ثم أتبعه في أربعة آلاف ، ووزن يزيد نفسه بسلاحه ، فكان أربعمائة رطل ، فقال : ما أراني إلا قد ثقلت عن الحرب ، أي فرس يحملني ! ثم دعا بفرسه الكامل فركبه ، واستخلف على مرو خاله جنديع بن يزيد ، وصير طريقته على مرو الروذ ، فأتى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام ، وأعطى من معه مائة درهم مائة درهم ، ثم أتى هرة فأرسل إلى الهاشمي : قد أرحنت وأسمنت وجببت ، فلك ما جببت ، وإن أردت زيادة زدناك ، فأخرج فوالله ما أحب أن أقاتلك . قال : فأبى إلا القتال ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، ودس الهاشمي إلى جند يزيد بمنسبهم ويدعوهم إلى نفسه ، فأخبر بعضهم يزيد ، فقال : جعل الأمر عن العتاب ، أتغدئ بهذا قبل أن يتعشى بي ؛ فسار إليه حتى تدانى العسكران ، وتأهبوا للقتال ، وألقى ليزيد كرسى فقعد عليه ، وولت الحرب أخاه المفضل ، فأقبل رجل من أصحاب الهاشمي - يقال له خليد عيينين من عبد القيس - على ظهر فرسه ، فرفع صوته فقال (١) :

دَعْتُ يَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ دَعْوَةً لَهَا جَزَعٌ ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ عِيُونُهَا
 وَلَوْ يُسْمِعُ (٢) الدَّاعِيَ النَّدَاءَ (٣) أَجَابَهَا بِصُومِ اللَّحْنِ وَالْبَيْضِ تُلْقَى جَفُونُهَا
 وَقَدْ فَرَّ أَشْرَافُ الْعِرَاقِ وَغَادَرُوا بِهَا بَقْرًا لِلْحَيْنِ جُمًّا قُرُونُهَا (٤)

وأراد أن يحض يزيد ، فسكت يزيد طويلا حتى ظن الناس أن الشعر قد حره ، ثم قال لرجل : ناد وأسمعهم ، جشتموم ذلك ، فقال خليد : لبس المنادي والمنوة باسمه يزيد إذا يدعى ليوم حفيظة فإني أراه عن قليل بنفسه فلا حرة تبكيه لكن نوائح

(٢) ر : « تسمع » .
 (٤) ب : « بها نفر » .

(١) ب : « وقال » .
 (٣) ب : « يزيد » .

فقال يزيدُ للمفضل: قدّم خيلك ، فتقدّم بها ، ونهايتسجوا فلم يكن
 بينهم كبيرُ قتال حتى تفرّق الناس عن عبد الرحمن ، وصبر وصبرت معه ١١٠٩/٢
 طائفةٌ من أهل الحِفاظ ، وصبر معه العبدّيون ، وحمل سعد بن نجد القُرْدوسيّ
 على حُلَيْس (١) الشيباني وهو أمام عبد الرحمن ، فطعنه حُلَيْس فأذراه عن
 فرسيه ، وحماه أصحابه ، وكثرهم الناس فانكشفوا ، فأمر يزيدُ بالكفّ عن
 اتباعهم ، وأخذوا ما كان في عسكرهم ، وأسروا منهم أسرى ، فولى يزيدُ
 عطاء بن أبي السائب العسكر ، وأمره بضمّ ما كان فيه ، فأصابوا ثلاث
 عشرة امرأة ، فأتوا بهن يزيدُ ، فدفعهن إلى مرة بن عطاء بن أبي السائب ، فحملهن
 إلى الطّبَسَيْن ، ثم حملهن إلى العراق . وقال يزيد لسعد بن نجد: من
 طعنك؟ قال : حليس الشيباني ، وأنا والله راجلاً أشدّ منه وهو فارس . قال :
 فبلغ حُلَيْسًا ، فقال : كذب والله ، لأننا أشدّ منه فارسًا وراجلاً . وهرب
 عبد الرحمن بن منذر بن بشر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد الله بن
 خازم . قال : فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعمرو بن
 موسى بن عبيد الله بن معمر ، وعيَّاش بن الأسود بن عوف الزّهريّ
 والهلّاق بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زُرارة ، وفَيْرُوز حصين ، وأبو العليج
 مولى عبّيد الله بن معمر ، ورجل من آل أبي عَقِيل ، وسوّار بن مروان ، ١١١٠/٢
 وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَّاف ، وعبد الله بن فضالة الزّهرايّ .
 ولحق الهاشميّ بالسند ، وأتى ابن سَمُرَة مرو ، ثم انصرف يزيدُ إلى مرو وبعث
 بالأسرى إلى الحجاج مع سَبْرَة بن نَخْف بن أبي صُفْرَة ، ونخلى عن ابن طلحة
 وعبد الله بن فضالة ، وسعى قومٌ بعبّيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرَة ، فأخذه
 يزيدُ فحبسه .

وأما هشام فإنه ذكر أنه حدّثه القاسم بن محمد الحضرميّ ، عن حفص
 ابن عمرو بن قبيصة ، عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة ، أن
 يزيد بن المهلب حبس عنده عبد الرحمن بن طلحة وآمنه ، وكان الطلحيّ
 قد آتى على يمين ألا يترى يزيد بن المهلب في موقف إلاّ أتاه حتى يقبل يده
 شكرًا لما أبلاه . قال : وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيد : أسألك

(١) ب : « حليس » .

بدعوة أبي لأبيك ! فخلت سبيلته . ولقول محمد بن سعد ليزيد : « أسألك بدعوة أبي لأبيك » حديث فيه بعض الطول .

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، قال : حدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي ، قال : بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسف ؛ بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، فقال : أنت صاحب شرطة عبد الرحمن ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! كانت فتنة

١١١١/٢

شملت البر والفاجر ، فدخلنا فيها ، فقد أمكنك الله منا ، فإن عفوت « فبحلمك وفضلك »^(١) ، وإن عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين ، فقال^(٢)

الحجاج : أما قولك : « إنها شملت البر والفاجر » فكذبت ، ولكنها شملت الفجار ، وعوفى منها الأبرار ، وأما اعترافك بذنبك فعسى أن يتفعلك . فعزل ، ورجا الناس له العافية حتى قدم بالهلقام بن نعيم ، فقال له

الحجاج : أخبرني عنك ، ما رجوت من إتياع عبد الرحمن بن محمد ؟ أرجوت أن يكون خليفة ؟ قال : نعم ، رجوت ذلك ، وطمعت^(٣) أن ينزلي منزلك من عبد الملك ، قال : فغضب الحجاج وقال : اضربوا عنقه ، فقتل .

قال : ونظر إلى عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وقد نُحى عنه فقال : اضربوا عنقه ، وقتل بقيتهم . وقد كان آمن عمرو بن أبي قرّة الكندي ثم الحجري وهو شريف وله بيت قديم ، فقال : يا عمرو ، كنت تفضي إلى وتحدثني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ، ثم تبع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : والله ما بك عن اتباعهم رغبة ، ولا نعمة عين لك ولا كرامة .

قال : وقد كان الحجاج حين هزم الناس بالجمام نادى مناديه : من لحق بقتيبة بن مسلم بالرى فهو أمانه ، فلحق ناس كثير بقتيبة^(٤) ، وكان^(٥) فيمن لحق به عامر الشعبي ، فذكر الحجاج الشعبي يوماً فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقال له يزيد بن أبي مسلم : بلغني أيها الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالرى ، قال : فابعث إليه فلنوت^(٦) به

١١١٢/٢

(١-١) ب : « بفضلك وحلمك » . (٢) بعدما في ب : « له » .

(٣) ب : « فطمعت فيه » . (٤) ب : « بأرض قتيبة » .

(٥) ب : « فكان » . (٦) ر : « فليوت » .

فكتب الحجاج إلى قتيبة: أما بعد ، فابعث إلى الشعبي حين تنظر في كتابي هذا ؛ والسلام عليك ؛ فسرح إليه .

قال أبو مخنف: فحدثني السري بن إسماعيل عن الشعبي، قال: كنت لابن أبي مسلم صديقاً ، فلما قدم بي^(١) على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم فقلت: أشير عليّ ؛ قال: ما أدري ما أشيرُ به عليك^(٢) غير أن أعتذر ما استطعت من عذر^(٣) ! وأشار بمثل ذلك على نصحائي وإخواني ، فلما دخلت عليه رأيت والله غير ما رأوا لي ، فسلمت عليه بالإمرة^(٤) ثم قلت: أيتها الأمير ، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً ، قد والله سودنا^(٥) عليك ، وحرصنا وجهدنا عليك كل الجهد ، فما آلونا^(٦) ، فما كنا بالأقوياء الفسجرة ، ولا الأتقياء^(٧) البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذُنوبنا وما جرت إليه أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحلمك ، وبعد الحججة^(٨) لك علينا ، فقال له الحجاج: أنت والله أحب إلى قولا ممن يدخل علينا يتقطر سيفه من دمائنا ثم يقول: ما فعلت ولا شهدت؛ قد أمنت عندنا يا شعبي ، فانصرف. قال: فانصرفت ، فلما مشيت قليلاً قال: هلم يا شعبي ؛ قال: فوجيل لذلك قلبي ، ثم ذكرت قوله: «قد أمنت يا شعبي» ، فاطمأنت نفسي ، قال: كيف وجدت الناس يا شعبي بعدنا ؟ قال - وكان لي مكرماً : فقلت: أصلح الله الأمير ! اکتحلت والله بعدك السهَر . واستوعرت الحناب ، واستحلست الخوف ، وفقدت صالح الإخوان ، ولم أجد من الأمير خلتفا . قال: انصرف يا شعبي ، فانصرفت .

قال أبو مخنف: قال خالد بن قطن الحارثي: أتيت الحجاج بالأعشى ، أعشى همدان . فقال: إيه يا عدو الله ! أنشدني قولك: «بين الأشج وبين

(١) ب: « قدمت » . (٢) ب: « عليك به » . (٣) ب: « بعدر » .

(٤) ر: « فلما دخلت عليه سلمت » . (٥) ب: « تمدنا » . (٦) ب: « وما آلونا » .

(٧) ب: « ولا بالأتقياء » .

(٨) ب: « فالحجة » .

قيس ، أنفذ بيتك ، قال : بل أنشدك ما قلت لك ؛ قال : بل أنشدني هذه ؛ فأنشده :

ويُطْفئُ نُورَ الْفَاسِقِينَ فَيَخْمُدُ^(١)
ويُعْدِلُ وَقَعَ السَّيْفِ مِنْ كَانَ أَصِيدَا
لِإِذَا نَقَضُوا الْعَهْدَ الْوَثِيقَ الْمَوْكَدَ^(٢)
مِنَ الْقَوْلِ لِمَ تَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مَصْعَدًا^(٣)
إِذَا ضَمِنُوهَا الْيَوْمَ خَاسُوا بِهَا غَدًا
فَمَا يَقْرَبُونَ النَّاسَ إِلَّا تَهْدًا
وَلَكِنَّ فَخْرًا فِيهِمْ وَتَزِيدًا
وَمَزَقَهُمْ عَرْضَ الْبِلَادِ وَشَرْدًا !
وَحَيْهْمُ أَمْسَى ذَلِيلًا مُطْرَدًا^(٤)
وَأَبْرَقَ مِنَّا الْعَارِضَانَ وَأَرْعَدَا
قَطَعْنَا وَأَهْضَيْنَا إِلَى الْمَوْتِ مُرْصِدًا^(٥)
كِفَاحًا وَلَمْ يَضْرِبْ لَذَلِكَ مَوْعِدًا
إِذَا مَا تَجَلَّى بِيضُهُ وَتَوَقَّدَا
جِبَالُ شَرَوْرَى لَوْتَعَانُ فَتَنَّهُدَا
عَلَيْنَا فَوَلَّى جَمْعُنَا وَتَبَدَّدَا
مَعَانًا مُلْقَى لِلْفَتْوحِ مُعَوَّدَا

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّمَ نُورَهُ
وَيُظْهِرَ أَهْلَ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَيُنْزِلَ ذُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ
وَمَا أَخَذْتُوا مِنْ بِدْعَةٍ وَعَظِيمَةٍ^(٦)
وَمَا نَكَّثُوا مِنْ بَيْعَةٍ بَعْدَ بَيْعَةٍ
وَجُبْنَا حَشَاءَ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ
فَلَا صِدْقَ فِي قَوْلٍ وَلَا صَبْرَ عِنْدَهُمْ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ فَرَّقَ جَمْعَهُمْ
فَقَتَلَاهُمْ قَتْلَى ضَلَالٍ وَفْتَنَةٍ
وَلَمَّا زَحَفْنَا لِابْنِ يُوسُفَ غُدُوَّةً^(٧)
قَطَعْنَا إِلَيْهِ الْخُنْدَقِينَ وَإِنَّمَا
فَكَافَحْنَا الْحَجَّاجُ دُونَ صُفُوفِنَا^(٨)
بِصَفِّ كَأَنَّ الْبَرْقَ فِي حَجْرَاتِهِ
دَلَفْنَا إِلَيْهِ فِي صُفُوفٍ كَأَنَّهَا
فَمَا لَبِثَ الْحَجَّاجُ أَنْ سَلَّ سَيْفَهُ
وَمَا زَاحَفَ الْحَجَّاجُ إِلَّا رَأَيْتَهُ

١١١٤/٢

١١١٥/٢

(١) الأغاني ٦ : ٥٩ - ٦١ ، المسعودي ٣ : ١٦٢

(٢) المسعودي : « وضلالة » .

(٣) الأغاني : « كما نقضوا » .

(٤) ابن الأثير : « وجيشهم أمسى » .

(٥) ابن الأثير : « لم يصعد » .

(٦) مرصداً : مترقباً .

(٧) الأغاني : « ضلة » .

(٨) الأغاني : « فصادفنا الحججاج » .

وإنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَقِيَ مَرْجِحَةَ
فَمَا شَرَعُوا رُمْحاً وَلَا جَرَدُوا لَهُ
وَكَرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَّةً
وَسُفْيَانَ يَهْدِيهَا كَانَ لَوَاءَهُ
كُهُولٌ وَمُرْدٌ مِنْ قُضَاعَةَ حَوْلَهُ
إِذَا قَالَ شُدُّوا شِدَّةَ حَمَلُوا مَعَا
جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلُهُ
فِيهِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
نَزَوْا يَشْتَكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أَمْرَائِهِمْ
وَجَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ خَيْرَ أُمَّةٍ
وَخَيْرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشٍ أَرْوَمَةً
إِذَا مَا تَدَبَّرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
سَيُغْلَبُ قَوْمٌ غَالَبُوا اللَّهَ جَهْرَةً^(١)
كَذَاكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
فَقَد تَّرَكُوا الْأَهْلِينَ وَالْمَالَ خَلْفَهُمْ
يُنَادِينَهُمْ مُسْتَعْبِرَاتٍ إِلَيْهِمْ
فَالَا تُنَاوِلُهُنَّ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ
أَنْكثَا وَعِضْيَانًا وَغَدْرًا وَذِلَّةً
لَقَدْ شَامَ الْمِضْرِينَ فَرَّخُ مُحَمَّدٍ

(١) الأغاني : « سيغلب قوماً » .

(٢) رواية الأغاني :

لَقَدْ شَمَّتْ يَابْنَ الْأَشْعَثِ الْعَامِ مِضْرَنَا

نُشِبَّهَا قِطْعاً مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدَا
أَلَا رَبِّمَا لَاقَى الْجَبَانَ فَجَرَدَا
بِفُرْسَانِهَا وَالسَّمْهَرَى مُقْصِدَا
مِنَ الطَّعْنِ سِنْدُ بَاتٍ بِالصَّبْغِ مُجَسِّدَا
مَسَاعِيرُ أَبْطَالٍ إِذَا النَّكْسُ عَرَدَا
فَأَنْهَلَ خِرْصَانَ الرَّمَاحِ وَأُورَدَا
وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى عَزِيزًا مُؤَيَّدَا
عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بَغَاةً وَحُسِّدَا
وَكَانُوا هُمْ أَبْغَى الْبَغَاةِ وَأَعْنَدَا
وَأَفْضَلَ هَدَى النَّاسِ حِلْمًا وَسُودَدَا
وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدَا
وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسَدَّدَا
وَإِنْ كَايَدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدَا
مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى النِّفَاقَ وَالْحَدَا
وَبَيْضًا عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ خُرَدَا
وَيُذْرِينَ دَمْعًا فِي الْخُدُودِ وَإِثْمِدَا
يَكُنَّ سَبَايَا وَالْبُعُولَةَ أَعْبُدَا
أَهَانَ الْإِلَاهَةَ مِنْ أَهَانَ وَأَبْعَدَا
يَحِقُّ وَمَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا^(٢)

فظلوا وما لاقوا من الطير أسعدا

كما شامَ اللهُ النُّجَيْرَ وأَهْلَهُ بَجْدٌ لَهُ قَدْ كَانَ أَشَقَى وَأَنْكَدَا

فقال أهل الشام: أحسن: أصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسّف ألا يكون ظهّر وظفير، وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألناك، أنفذ لنا قولك:

« بين الأشجّ وبين قيسٍ باذخٌ »^(١)

فأنفذها. فلما قال:

« بَخْ بَخْ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِهِ »

قال الحجاج: لا والله لا تبخبخ بعدّها لأحد أبداً، فقدّمه فضرَبَ عُنُقَهُ.

وقد ذكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسرهم يزيد بن المهلب ووجهتهم إلى الحجاج ومن قلول ابن الأشعث الذين انهزموا يوم مسكين أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه. والذي ذكر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابن الأشعث مضى هؤلاء مع سائر القمل إلى الرى. وقد غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كنارا بن بني نصر بن معاوية. وكان من أفرس الناس، فانضموا إليه. فأقبل قتيبة بن مسلم إلى الرى من قبيل الحجاج وقد ولاه عليها. فقال انفر الذين^(٢) ذكرت أن يزيد بن المهلب ووجهتهم إلى الحجاج مقيدين وسائر قلول ابن الأشعث الذين صاروا إلى الرى لعمر بن أبي الصلت: فوليك أمرنا وتحارب بنا قتيبة؛ فشاور عمر أباه أبا الصلت، فقال له أبوه: والله يا بني ما كنت أبالي إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تقتل من غد. فعقد لواءه. وسار فتهزم وهزم أصحابه، وانكشروا إلى سجستان، واجتمعت بها القلول. وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رتبيل، ثم كان من أمرهم وأمر يزيد بن المهلب ما قد ذكرت.

(١) المسمى ٣ : ٦٣

(٢) ب : « الذى » .

وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجه الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حبيب : بأى وجه تنظر إلى البمانية وقد بعثت ابن طلحة ! فقال يزيد : هو الحجاج ، ولا يتعرض له ! وقال : وطن نفسك على العزل ، ولا ترسل به ، فإن له عندنا بلاء ، قال : وما بلاؤه ؟ قال لزم المهلب في مسجد الجماعة بمائتي ألف ، فأدأها طلحة عنه . فأطلقه ، وأرسل بالباقيين ، فقال الفرزدق :

وَجَدَ ابْنَ طَلْحَةَ يَوْمَ لَاقَى قَوْمَهُ قَحْطَانَ يَوْمَ هَرَاةَ خَيْرَ الْمَعَشِرِ

وقيل : إن الحجاج لما أتى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه : إذا دعوتك بسيدهم فأتني بفسيروز ، فأبرز سريره - وهو حينئذ بواسط القصب قبل أن تبني مدينة واسط - ثم قال لحاجبه : جنني بسيدهم ؛ فقال لفسيروز : قم ؛ فقال له الحجاج : أبا عثمان ، ما أخرجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمك من لحمهم ، ولا دمك من دمائهم ! قال : فتنة عمّت الناس ، فكنا فيها ، قال : اكتب لي أموالك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اكتبها أول ؛ قال : ثم أنا أمين على دمي ؟ قال : اكتبها ، ثم أنظر ؛ قال : اكتب يا غلام ، ألف ألف ألى ألف ؛ فذكر ما لا كثيراً ، فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندي ، قال : فأدأها ؛ قال : وأنا أمين على دمي ؟ قال : والله لتؤدبنيها ثم لأقتلنك ؛ قال : والله لا تجمع مالي ودمي ، فقال الحجاج للحاجب : نحه ، فنحاه .

ثم قال : اتنى بمحمد بن سعد بن أبي وقاص ، فدعاه ، فقال له الحجاج : إيها يا ظيل الشيطان أعظم الناس تيهاً وكبراً ، تنأى بيعة يزيد بن معاوية ، وتشبه بحسين وابن عمر ، ثم صرت مؤذناً لابن كنارا^(١) عبد بنى نصر - يعنى عمر بن أبي الصلت - وجعل يضرب بعود في يده رأسه حتى أدماه ؛ فقال له محمد : أيرها الرجل ، مملكة فأسجح ! فكف يده ، فقال : إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكاً في ذلك محموداً ، وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعدرت . فأطرق ملياً ثم قال : اضرب عنقه ، فضربت عنقه .

(١) ط : « كزاز » ، وانظر التصويبات .

ثم دعا بعمر بن موسى فقال : يا عبد المرأة ، أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك^(١) . وتشرب معه الشراب في حمام فارس ، وتقول المقالة التي قلت ! أين الفرزدق ؟ قم فأنشده ما قلت فيه ، فأنشده :

وخصبت أيرك للزناء ولم تكن يوم الهياج لتخضب الأبطالاً
فقال : أما والله لقد رفعتُه عن عقائل نساءك . ثم أمر بضرب عنقه .
ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، فإذا غلام حدث . فقال :
أصلح الله الأمير ! ما لي ذنب ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمي لا أمر لي ولا نهى ، وكنت معهما حيث كانا ، فقال : وكانت أمك مع أبيك في هذه الفتن كلها ؟ قال : نعم . قال : على أبيك لعنة الله .

ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال : اجعل ابن الأشعث طلب ما طلب ، ما الذي أملت أنت معه ؟ قال : أملت أن يملك فيوليني العراق كما ولاك عبد الملك . قال : قم يا حوشب فاضرب عنقه . فقام إليه . فقال له الهلقام : يا بن لقيطة^(٢) ، أتسكتاً القرح ! فضرب عنقه .

ثم أتى بعبد الله بن عامر ، فلما قام بين يديه قال : لا رأيت عينك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع . قال : ولم صنع ؟ قال :

لأنه كاس في إطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضرًا
وقى بقومك ورذ الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطراً
فأطرق الحجاج ملبياً ووقرت في قلبه ، وقال : وما أنت وذاك ! اضرب عنقه . فضربت عنقه . ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه . ١١٢٢/٢

ثم أمر بفتيروز فعذب ، فكان فيما عذب به أن كان يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ، ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ، ثم ينضح عليه الخلل والملح ، فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يشككون أني قد قُتلت ، ولي ودائع وأموال عند الناس ، لا تؤدني

(١) ابن الحائك ، هو محمد بن الأشعث ، وكان يعبر بذلك .

(٢) كذا في ب ، س ، وفي ط : « لطيفة » .

إليكم أبدأ ، فأظهروني للناس ليعلموا أني حتى فيؤدوا المال . فأعلم الحجاج ، فقال : أظهره ، فأخرج إلى باب المدينة ، فصاح في الناس : من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا فيروزُ حصين ؛ إن لي عند أقوام مالا ، فمن كان لي عنده شيء فهو له ، وهو منه في حيل ، فلا يؤدين منه أحد درهما ، ليبلغ الشاهد الغائب . فأمر به الحجاج فقتل . وكان ذلك مما روى الوليد بن هشام بن قحدم . عن أبي بكر الهذلي .

وذكر ضمرة بن ربيعة ، عن أبي شوذب ، أن عمال الحجاج كتبوا إليه : إن الحجاج قد انكسر ، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ، فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها . فخرج الناس فعسكروا ، فجعلوا يتبعون وينادون : يا محمداه يا محمداه ! وجعلوا لا يدرون أين يذهبون ! فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين فيبكون لما يسمعون منهم ويرون . قال : فقدم ابن الأشعث على ١١٢٣/٢ تفيئة ذلك ، واستبصر قراء أهل البصرة في قتال الحجاج مع عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث .

وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيباني ، قال : قتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفا ، ما استحييا منهم إلا واحدا ، كان ابنه في كتاب الحجاج ، فقال له : أتحب أن نغفوا لك عن أبيك ؟ قال : نعم ، فتركه لابنه ؛ وإنما خدعهم بالأمان ، أمر مناديا فنادى عند الهزيمة : ألا لا أمان لفلان ولا فلان ، فسمى رجلا من أولئك الأشراف ، ولم يتقل : الناس آمنون ، فقالت العامة : قد آمن الناس كلهم إلا هؤلاء النفر ، فأقبلوا إلى حُجْرته فلما اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ، ثم قال : لأمرن بكم اليوم رجلا ليس بينكم وبينه قرابة ، فأمر بهم عمارة بن تميم اللخمي فقتلهم .

وروى عن النضر بن شميل ، عن هشام بن حسان ، أنه قال : بلغ

(١) ب : « فانتصر » .

ما قَتَلَ الحِجَّاجُ صَبْرًا مائةً وعشرين ، أو مائةً وثلاثين ألفًا .

وقد ذكر في هزيمة ابن الأشعث بمسكن قول غير الذي ذكره أبو مخنف؛ والذي ذكر من ذلك أن ابن الأشعث والحجاج اجتمعا بمسكن من أرض أبزقباد ، فكان عسكر ابن الأشعث على نهر يدعى خدش مؤخر النهر ، نهر نيرى ، ونزل الحجاج على نهر أفريد والعسكران جميعاً بين دجلة والسيب والكرخ ، فاقتتلوا شهراً - وقيل : دون ذلك - ولم يكن الحجاج يتعرف إليهم طريقاً إلا الطريق الذى يلتقون فيه ، فأتى بشيخ كان راعياً يدعى زورقا ، فدلته على طريق من وراء الكرخ طوله ستة فراسخ ، فى أجمة وضحاضح من الماء ، فانتخب أربعة آلاف من جلة أهل الشام ، وقال لقائدهم : ليكن هذا العليج أمامك ، وهذه أربعة آلاف درهم معك ، فإن أقامك على عسكرهم فادفع المال إليه ، وإن كان كذبتاً فاضرب عنقه ، فإن رأيتهم فاحمل عليهم فيمن معك ، وليكن شعاركم : يا حجاج يا حجاج . فانطلق القائد صلاة العصر ، والتقى عسكر الحجاج وعسكر ابن الأشعث حين فصل القائد بمن معه وذلك مع صلاة العصر ، فاقتتلوا إلى الليل ، فانكشف الحجاج حتى عبر السب - وكان قد عقده - ودخل ابن الأشعث عسكره فانتهب ما فيه ، فقبل له : لو اتبعته ؟ فقال : قد تعيبنا ونصبتنا ، فراجع إلى عسكره فألقى أصحابه السلاح ، وباتوا آمنين فى أنفسهم لهم الظفر . وهجم القوم لهلهم نصف الليل يصيحون بشعارهم ، فجعل الرجل من أصحاب ابن الأشعث لا يدرى أين يتوجه ! دجيل عن يساره ودجلة أمامه ، ولها جرف منكر ، فكان من غرق أكثر ممن قتل . وسمع الحجاج الصوت فعبر السب إلى عسكره ، ثم توجه خيلته إلى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث ، وانحاز فى ثلثائة ، فضى على شاطئ دجلة حتى أتى دجيلاً فعبه فى السفن ، وعقرروا دوابهم ، وانحدروا فى السفن إلى البصرة ، ودخل الحجاج عسكره فانتهب ما فيه ، وجعل يقتل من وجد حتى قتل أربعة آلاف ، فيقال : إن فيمن قتل عبد الله

١١٢٤/٢

١١٢٥/٢

ابن شداد بن الهاد ؛ وقتل فيهم بسطام بن مصلقة بن هبيرة ، وعمر (١)
ابن ضبيعة الرقاشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن مخزومة
العبدي بن ، وبكبير بن ربيعة بن ثروان الضبي ، فأتى الحجاج برءوسهم على
ترس ، فجعل ينظر إلى رأس بسطام ويتمثل :

إذا مررت بوادي حية ذكر فاذهب ودعني أقاسي حية الوادي

ثم نظر إلى رأس بكبير ، فقال : ما ألقى هذا الشقي مع هؤلاء . أخذ بأذنه
يا غلام فألقه عنهم . ثم قال : ضع هذا الترس بين يدي مسمع بن مالك
ابن مسمع ، فوضع بين يديه ، فبكى ، فقال له الحجاج : ما أبكاك ؟ أحزنا
عليهم ؟ قال : بل جزعاً لهم من النار .

* * *

[ذكر خبر بناء مدينة واسط .]

وفي هذه السنة : بنى الحجاج واسطاً ، وكان سبب بنائه ذلك - فيما ذكر -
أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى حرامان ، فعسكروا بحمام
عمر . وكان فتى من أهل الكوفة من بني أسد حديث عهد بعمرس بابنة
عم له ، انصرف من العسكر إلى ابنة عمه ليلاً ، فطرق الباب طارقاً ودقته دقاً
شديداً ، فإذا سكران من أهل الشام ، فقالت للرجل ابنة عمه : لقد لقينا
من هذا الشامي شراً ، يفعل بنا كل ليلة ما ترعى ، يريد المكروه ، وقد
شكوته إلى مشيخة أصحابه ، وعرفوا ذلك (٢) ، فقال : ائذنوا له ، ففعلوا ،
فأغلق الباب ، وقد كانت المرأة نجت منزلها وطيبته ، فقال الشامي :
قد آن لكم ، فاستقناه الأسدي ، فأنذر رأسه (٢) ، فلما أذن بالفجر
خرج الرجل إلى العسكر وقال لامرأته : إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين
أن أخرجوا صاحبكم ، فسيأتون بك الحجاج ، فاصدقيه الخبر على وجهه ؛

(١) ابن الأثير : « عمرو » .

(٢ - ٢) ابن الأثير : « فقال لما زوجها : ائذني له ، فأذنت له ، فقتله زوجها » . وفي

اللسان : « أفنأت الرجل : حملته على القتل » .

ف فعلت ، ورُفِعَ القَتِيلُ إلى الحجّاج ، وأدخلت المرأة عليه وعنده عَنبَسَةٌ ابن سعيد على سريره ، فقال لها : ما خَطْبُكَ ؟ فأخبرته ، فقال : صدقتني . ثم قال لُولَاةَ الشاميّ : ادفنوا صاحبكم فإنه قَتِيلٌ اللهُ إلى النار ، لا قَوَدَ له ولا عَقْلٌ ، ثم نادى مناديه : لا ينزلن أحدٌ على أحد ، واخرُجوا فعسكروا . وبعث رُوَادًا يرتادون له منزلاً ، وأمعن^(١) حتى نزل أطراف كَسَكْرٍ ، فبينما هو في موضع واسِطٍ إذا راهبٌ قد أقبل على حمار له وعبرَ دِجْلَةَ ، فلما كان في موضع واسِطٍ تفاجت الأتان فبالت ، فنزل الراهبُ ، فاحتفر ذلك البول ، ثم احتملته فرمى به في دِجْلَةَ ، وذلك بتعيين الحجّاج ، فقال : علىّ به ، فأتى به ، فقال : ما حَمَلَك على ما صنعت ؟ قال : نجد في كُتُبنا أنه يُبْنَى في هذا الموضع مَسْجِدٌ يُعْبَدُ اللهُ فيه ما دام في الأرض أحدٌ يوحده . فاخطت الحجّاج مدينةَ واسِطٍ ، وبني المسجدَ في ذلك الموضع .

* * *

وفي هذه السنة عزلَ عبدُ الملك - فيما قال الواقدي - عن المدينة أبنانَ بنَ عثمان ، واستعملَ عليها هشامَ بنَ إسماعيلَ المخزومي .
وحتجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ ، حدثني بذلك أحمدُ ابنُ ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بنِ عيسى ، عن أبي معشر .
وكان العمال في هذه السنة على الأمصار سِوَى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلتها ؛ وأمّا المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها^(٢) .

١١٢٧/٢

(١) ب : « فأبعد » .

(٢) ب : « فيها عليها » س : « عليها في السنة التي قبلها » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوةُ عبد الله بن عبد الملك بن مروانَ الروم . ففتَحَ فيها المصَيِّمَةَ ، كذلك ذَكَرَ الواقدي .

• • •

[خبر قتل الحجاجُ أيوبَ بنَ القِريَّةِ]

وفيها قَتَلَ الحجاجُ أيوبَ بنَ القِريَّةِ ، وكان ممن كان مع ابن الأشعث ، وكان سبب قتله إياه— فيما ذُكِرَ— أنه كان يدخل حَوْشِبَ بن يزيد بعد انصرافه من دَيْرِ الحِمْيَرِ— وحَوْشِبَ على الكوفة عامل للحجاج^(١)— فيقول حَوْشِبُ : انظروا إلى هذا الواقف معي ، وغداً أو بعد غد يأتي^(٢) كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذه ، فبينما هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتابٌ من الحجاج :

أما بعد ، فإنك قد صرت كنهفاً لمنافقي أهل العراق ومناوئى ، فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلى بابن القِريَّةِ مشدودةً يده إلى عنقه ، مع ثقةٍ من قبلك .

فلما قرأ حَوْشِبُ الكتابَ رمى به إليه ، فقرأه فقال : سمعاً وطاعة ؛ فبعث به إلى الحجاج مؤثِقاً . فلما دخل الحجاج قال له : يا ابن القِريَّةِ ، ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : أصلح الله الأمير ! ثلاثة حروف كأنهن ركبٌ وقوف ، دنيا ، وآخرة ، ومعروف . قال : اخرج مما قلت ، قال : أفعل ، أما الدنيا فال حاضر ، يتأكل منه البر والفجر ، وأما الآخرة فميزان عادل ، ومشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فإن كان على اعترفت ، وإن كان لي اغترفت . قال : إمتا لا فاعترف بالسيف إذا وقع بك . قال : أصلح الله الأمير ! أقلني عشرتي ، وأسغني^(٣) ريتي ؛ فإنه ليس بجوادٍ إلا له

(٢) ب : « يأتيني » .

(١) ب : « الحجاج » .

(٣) ط : « وأسغني » .

كَبَبُوهُ ، وَلَا شَجَاعٌ إِلَّا لَهُ هَبَبُوهُ. (١) . قَالَ الْحَجَّاجُ : كَلَّا وَاللَّهِ لَا أُرِينُكَ (٢) جَهَنَّمَ ، قَالَ : فَأَرِحْنِي فَإِنِّي أَجِدُ حَرَّهَا ، قَالَ : قَدَمْتُهُ يَا حَرَمِي فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَالَ : لَوْ كُنَّا تَرَكْنَا ابْنَ الْقَيْرِيَّةِ حَتَّى نَسْمَعَ مِنْ كَلَامِهِ ! ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَخْرِجْ فَرُومِي بِهِ .

قَالَ هِشَامُ : قَالَ عَوَانَةُ : حِينَ مَنَعَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْكَلَامِ ابْنَ الْقَيْرِيَّةِ ، قَالَ لَهُ ابْنُ الْقَيْرِيَّةِ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى السَّوَاءِ لَسَكُنَّا جَمِيعًا ، أَوْلَا لَفَيَّتْ مَنِيْعًا .

١١٢٦/٢

* * *

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك ببادغيس]

وفي هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك ببادغيس .

* ذكر سبب فتحه إيَّاهَا :

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْمُفْضَلِ بْنِ مُحَمَّدٍ . قَالَ : كَانَ نَيْزَكُ يَنْزِلُ بِقَلْعَةِ بَادَغِيْسٍ ، فَتَحِيْنُ يَزِيْدُ غَزْوَهُ . وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْعِيُونَ ، فَلَبِغَهُ خُرُوجُهُ ، فَخَالَفَهُ يَزِيْدُ إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ نَيْزَكُ فَرَجَعَ ، فَصَالَحَهُ عَلِيُّ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَا فِي الْقَلْعَةِ مِنَ الْخَزَائِنِ ، وَيَرْتَحِلَ عَنْهَا بِعِيَالِهِ ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَعْدَانَ الْأَشْقَرِيُّ :

وبادغيس التي من حل ذروتها
منبئة لم يكدها قبله ملك
تخال نيرانها من بعد منظرها
لما أطاف بها ضاقت صدورهم
فذل ساكنها من بعد عزته
وبعد ذلك أياماً نعددها
أعطاك ذاك ولي الرزق يقسيمه

عزَّ الملوك فإن شا جَار أو ظلما
إلا إذا واجهت جيشاً له وجماً
بعض النجوم إذا ماليلها عتاً
حتى أقرّوا له بالحكم فاحتكما
يُعطي الجزى عارفاً بالذل مهتضماً
وقبلها ما كَشَفَتْ الكرب والظلما
بين الخلائق والمحروم من حرماً

١٢٣٠/٢

(٢) ابن الأثير : « لأزيرتك » .

(١) البيان والتبيين ١ : ١١٢ ، ٣٥٠ .

يداك إحداهما تُسنى العدو بها
فهل كَسَيْبِ يَزِيدَ أَوْ كَنَائِلِهِ
ليسا بأجود منه حين مَدُّهُمَا
وقال :

ثنائي على حيِّ العتيك بأنَّها
إذا عقِدوا للجارِ حلٌّ بِنَجْوَةٍ
نَفَى نيزكاً عن بادغيسٍ ونيزكٌ
مُحَلِّقَةٌ دونَ السماءِ كأنَّها
ولا يبلُغُ الأزوى شاريخها العلا
وما خُوفتُ بالذئبِ ولدانُ أهلها
تمنيتُ أن ألقى العتيك ذوى النُهَى
كما يَتَمَنَّى صاحبُ الحرثِ أعطشتُ
فَأَسْقَى بعد اليأسِ حتى تحيرتُ
لقد جمع الله النوى وتَشَعَّبَتْ
شعوبٌ من الآفاقِ شتى مآبها

قال : وكان نيزك يُعظَّمُ القلعة إذا رآها سَجَدَ لها . وكَسَيْبِ يَزِيدُ بن
المهلب إلى الحجاج بالفتح ، وكانت كُتِبَ يَزِيدُ إلى الحجاج بـكـتـبـها
يحيى بن يعمر العَدَوَانِي ، وكان حليفاً لهذيل . فكتب : إنا لتقينا العدو
فمنحنا الله أكتافهم ، فقتلنا طائفةً . وأسرنا طائفةً . ولحقت طائفة برءوس
الجبال وعراعر الأودية ، وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار^(١) : فقال الحجاج :
من يكتب ليزيد ؟ فقيل : يحيى بن يعمر . فكتب إلى يزيد فحملته على
البريد ، فقدم عليه أفصح الناس ، فقال له : أين ولدت ؟ قال : بالأهواز ؛
قال : فهذه الفصاحة ؟ قال : حفظت كلام أبي وكان فصيحاً^(٢) . قال : من

(١) المرعة قلة الجبل ، وجمعها عراعر ، والأهضام : أحضان الأودية وأسافلها .

(٢) الفائق ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

١١٣١/٢

١١٣٢/٢

هناك فأخبرني هل يَلْحَنُ عنبسة بن سعيد؟ قال : نَعَمْ كثيراً ، قال : ففلان؟
 قال : نعم ، قال : فأخبرني عنى أَلْحَنُ؟ قال : نعم تَلْحَنُ لِحْنًا خَفِيًّا ،
 تزيد حرفًا وتَنْقُصُ حرفًا ، وتَجْمَعُ أنْ في موضع إنْ ، وإنْ في موضع أنْ .
 قال : قد أجبلك ثلاثًا ، فإن أجدك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتك .
 فرَجَعَ إلى خراسان .

* * *

وَحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومي ، كذلك حدثني
 أحمد بن ثابت ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
 وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين سميتُ قبلُ في سنة
 ثلاث وثمانين .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ذكر ما كان فيها من الأحداث

[خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث]

ففيها كان هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

* ذكر السبب الذي به هلك ، وكيف كان :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : لما انصرف ابن الأشعث من امرأة راجعاً إلى رُتَيْبِل (١) كان معه رجلٌ من أود يقال له علقمة بن عمرو ، فقال له : ما أريد أن أدخل معك ، فقال له عبد الرحمن : لم ؟ قال : لأنني (٢) أتخوف عليك وعلى من معك ، والله لكأني بكتاب الحجاج قد جاء ، فوقع إلى رُتَيْبِل يرُغِبُه ويرُهِّبُه ، فإذا هو قد بعث بك سَلْمًا أو قَتَلَكُم . ولكن ها هنا خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة فنتحصن (٣) فيها ، ونقاتل حتى نُعطَى أماناً أو نموت كراماً . فقال (٤) له عبد الرحمن : أما لو دخلت معي لآسيتك (٥) وأكرمتك ، فأبى عليه علقمة . ودخل عبد الرحمن بن محمد إلى رُتَيْبِل . وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودودا النَّضْرِي ، وأقاموا حتى قدم عليهم عمارة بن تميم اللَّحْمِي فحاصروهم ، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم ، فخرجوا إليه فتوفى لهم .

قال : وتتابعت كتب الحجاج إلى رُتَيْبِل في عبد الرحمن بن محمد أن ابعث به إلى ، وإلا فوالذي لا إله إلا هو لأوطئن أرضك ألف مقاتل . وكان عند رُتَيْبِل رجلٌ من بني تميم ثم من بني يربوع يقال له عبيد بن أبي سبيع ، فقال لرُتَيْبِل : أنا آخذُ لك من الحجاج عهداً ليكفن الحجاج

(١) بعدد في ب : « ملك الترك » . (٢) س : « إنى » .

(٣) ب : « نتحصن » . (٤) ب : « قال » .

(٥) ب : « لآمتك » .

عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن بن محمد ، قال رُتبيل لعبيد : فإن فعلت فإن لك عندي ما سألت .

فكتب إلى الحجاج يُخبره أن رُتبيل لا يعصيه ، وأنه لن يدع رُتبيل حتى يبعث إليه بعبد الرحمن بن محمد ، فأعطاه الحجاج على ذلك مالاً وأخذ من رُتبيل عليه مالاً ، وبعث رُتبيل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجاج ، وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبع سنين . وكان^(١) الحجاج يقول : بعث إلى رُتبيل بعدو الله . فألقى نفسه من فوق إجمار فات .^(٢)

١١٣٤/٢

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد . أنه سمع مُليكة ابنة يزيد تقول : والله لَمَاتَ عبدُ الرحمن وإن رأسه لعلى فخذي ، كان السل قد أصابه . فلما مات وأرادوا دفنه بعث إليه رُتبيل فتحز رأسه ، فبعث به إلى الحجاج ، وأخذ ثمانية عشر رجلاً من آل الأشعث فحبسهم عنده ، وترك جميع من كان معه من أصحابه . وكتب إلى الحجاج يأخذه الثمانية عشر رجلاً من أهل بيت عبد الرحمن ، فكتب إليه : أن اضرب رقابهم ، وابعث إلى برءوسهم . وكره أن يؤتى بهم إليه أحياء فيطلب فيهم إلى عبد الملك ، فترك منهم أحداً .

وقد قيل في أمر بن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي مخنف ، وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يقول : زعم أن عمارة بن تميم خرج من كرمان فأتى سجستان وعليها رجل من بني العنبر يدعى مودودا ، فحصره ثم آمنه ، ثم استولى على سجستان ، وأرسل إلى رُتبيل . وكتب إليه الحجاج : أما بعد ، فإنني قد بعثت إليك عمارة بن تميم في ثلاثين ألفاً من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ، ولم يخلعوا خليفة ، ولم يتبعوا إمام ضلالة . يُجري على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم ، يستطيعون الحرب استطعاماً ، يطلبون ابن الأشعث . فأبى رُتبيل أن يسلمه . وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع التميمي قد خص به ،

١١٣٥/٢

(١) ب : « فكان » .

(٢) كذا في ط ، وانظر الصفحة التالية . والإجمار : سطح المنزل .

وكان رسوله إلى رُتَيْبِيل ، فخصَّ برُتَيْبِيل أيضا ، وخفَّ عليه . فقال القاسم ابن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : إني لا آمن غدرَ التميمي ، فاقتله ، فهَمَّ به ، وبلغ ابن أبي سبيح ، فخافه فوشى به إلى رُتَيْبِيل ، وخوفه الحجاج ، ودعاه إلى الغدْر بـابن الأشعث فأجابه ، فخرج سرا إلى عمارة بن تميم ، فاستعجل في ابن الأشعث ، فجعل له ألف ألف ، فأقام عنده ، وكتب بذلك عمارة إلى الحجاج ، فكتب إليه أن أعط عبيدا ورُتَيْبِيلَ ما سألاك واشترط^(١) ، فاشترط رُتَيْبِيلُ ألا تغزى بلاده عشر سنين ، وأن يؤدي بعد العشر سنين في كل سنة تسعمائة ألف ، فأعطى رُتَيْبِيلَ وعبيدا^(٢) ما سألا ، وأرسل رُتَيْبِيلَ إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعد لهم الجوامع والقيود ، فألقى في عنقه جماعة ، وفي عنق القاسم جماعة ، وأرسل بهم جميعا إلى أدنى مسالح عمارة منه ، وقال لجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس : تفرقوا إلى حيث شئتم ، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فمات ، فاحتز رأسه ، فأتى به وبالأسرى عمارة ، فضرب أعناقهم ، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرءوس أهله وبامراته إلى الحجاج ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

هيهات موضعُ جُثَّةٍ من رأسها رأسٌ بمصرَ وجُثَّةٌ بالرَّحِجِ^(٣)

١١٣٦/٢

وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك ، فأرسل^(٤) به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر .

وذكر عمر بن شبة أن ابن عائشة حدثه قال : أخبرني سعد بن عبيد الله قال : لما أتى عبد الملك برأس ابن الأشعث أرسل به مع خصي إلى امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش ، فلما وُضِعَ بين يديها قالت : مرحبا بزائر لا يتكلم ، مَلِكٌ من الملوك طلب ما هو أهله فأبت المقادير . فذهب الحَصِيَّ يأخذ الرأس فاجتذبتته من يده ، قالت : لا والله حتى أبلغ

(١) كذا في ب ، وفي ط : « فاشترط » . (٢) ر : « وعبيد الله » .

(٣) ر : « بالرحج » ، س : « بالرجح » . (٤) ب : « وأرسل » .

حاجتي ، ثم دعت بختمي فغسلته وغلفته ثم قالت : شأنك به الآن .
فأخذه ، ثم أخبر عبد الملك ، فلما دخل عليه زوجها ، قال : إن استطعت
أن تصيب منها سخلة .

وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هارب إلى بلاد
رتبيل فتمثل :

يطرده الخوف فهو تائه^(١) كذلك من يكره حرّ الجلال
منخرق الخفين يشكو الوجأ تنكبه أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

فالتفت إليه فقال : يا لحيه ، هلاّ ثبتّ في موطن من المواطن فتموت
بين يديك ، فكان خيراً لك مما صرت إليه !

قال هشام : قال أبو مخنف : خرج الحجاج في أيامه تلك يسير ومعه
حميد الأرقط وهو يقول :

١١٣٧/٢

ما زال يبني خندقاً ويهدمه^(٢) عن عسكر يقوده فيسلمه
حتى بصير في يديك مقسمة هيات من مصفه منهزمة
• إن أخا الكيظا من لا يسأله •

فقال الحجاج : هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان :

نُبئت أن بُني يو سيف خرّ من زلق فتباً

قد تبين له من زلق وتبّ ودحّض فانكبّ ، وخاف وخاب ، وشكّ
وارتاب ؛ ورفع صوته فما بقي أحدٌ إلاّ فزع لغضبه ، وسكت الأرقط ، فقال
له الحجاج : عدّ فيما كنت فيه ، مالك يا أرقط ! قال : إني جعلت
فداك أيها الأمير وسلطان الله عزيز ، ما هو إلا أن رأيتك غضبت فأرعدت
خصائلي ، واحزالت مفاصلي ، وأظلم بصري ، ودارت بي الأرض . قال له

(١) ب : « طرده الخوف » . (٢) ر : « وتهدمه » .

الحجاج : أجل ، إن سلطان الله عزيز ، عدو فيما كنت فيه ، ففعل .
 وقال الحجاج وهو ذات يوم يسيرُ ومعه زياد بن جترير بن عبد الله البجليّ
 وهو أعور ، فقال الحجاج للأريقط : كيف قلت لابن سمرّة؟ قال : قلت :
 يا أعور العين فديت العوراً^(١) كنت حسيبت الخندق المحفورا
 يرُدُّ عنك القدر المقدورا ودائرات السوء أن تدورا
 وقد قيل : إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان في سنة أربع وثمانين . ١١٣٨/٢

* * *

[عزل يزيد بن المهلب عن خراسان]

وفي هذه السنة عزّل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان
 وولاهما المفضل بن المهلب أخا يزيد .

* ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل :
 ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن الحجاج وفد إلى
 عبد الملك ، فمرّ في منصرفه بدير فنزلّه ، فقيل له : إن في هذا الدائر
 شيخاً من أهل الكُتُب عالمًا ، فدعا به فقال : يا شيخ ، هل تجدون في
 كُتُبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم ، نجد ما مضى من أمرِكُم وما أنتم فيه
 وما هو كائن ؛ قال : أفسمّي أم موصوفًا ؟ قال : كل ذلك ؛ موصوف بغير
 اسم ، واسم بغير صفة ، قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجده
 في زماننا الذي نحن فيه ؛ ملك أقرع ، من يقيم لسبيله بصرع ، قال : ثم
 من ؟ قال : اسم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل اسمه
 اسمُ نبيّ يفتح به على الناس ، قال : أفتعرفني ؟ قال : قد أخبرت بك .
 قال : أفتعلم ما ألي ؟ قال : نعم ، قال : فمن يليه بعدى ؟ قال : رجل
 يقال له يزيد ، قال : في حياتي أم بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال : أفتعرف
 صفته ؟ قال : يغدر غُدرةً ؛ لا أعرف غير هذا . ١١٣٩/٢

(١) ب : « قديت » .

قال : فوقَّع في نفسه يزيدُ بنُ المهلب ، وارتحل فسار سبَّعاً وهو
وجيل من قول الشيخ ؛ وقدِم فكتَّب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق ،
فكتب إليه : يا بن أمّ الحجاج ، قد علمتُ الذي تغزو ، وأنتك تريد أن تعلم
رأى فيك ، ولعمري إني لأرى مكان نافع بنِ علقمة ، فإلهُ عن هذا
حتى يأتي الله بما هو آت ؛ فقال الفرزدق يتذكرُ سيره :

لو أن طيراً كُلفت مثل سيره إلى واسطٍ من إيلياء لملت^(١)
سرى بالمهاري من فلسطين بعدما دنا الليل من شمس النهار فولت^(٢)
فما عاد ذلك اليوم حتى أناخها بميسان قد ملت سراها وكتت^(٣)
كأن قطامياً على الرّحل طاوياً إذا غمره الظلماء عنه تجلت^(٤)

قال فينا^(٥) الحجاج يوماً نحال^(٦) إذ دعا عبيد^(٧) بن موهب ،
فدخل وهو ينكُت في الأرض ، فرفع رأسه فقال : ويحك يا عبيد !
إن أهل الكتب يذكرون أن ماتحت يدي يليه رجل يُقال له يزيد . وقد تذكرت
يزيد بن أبي كبشة ، ويزيد بن حصين بن نمير ، ويزيد بن دينار ، فليسوا
هناك . وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلب ؛ فقال عبيد : لقد شرفتهم
وأعظمت^(٨) ولايتهم ، وإن لهم لعدداً وجلداً ، وطاعة وحظاً ، فأخلق به .
فأجمع على عزل يزيد فلم يجد له شيئاً حتى قدم الخيار بن أبي سبرة بن
ذؤيب بن عرفة بن محمد بن سفيان بن مجلشيع - وكان من فرسان المهلب -
وكان مع يزيد - فقال له الحجاج : أخبرني عن يزيد ، قال : حسن
الطاعة . لئن السيرة ، قال : كذبت . أصدقني عنه ، قال : الله أجل وأعظم ،
قد أسرج ولم يلجم . قال : صدقت ، واستعمل الخيار على عُمان بعد
ذلك .

١١٤٠/٢

(١) ديوانه ١٣٧ .

(٢) الديوان : « قد حلت عراها وملت » .

(٣) الديوان : « قد حلت عراها وملت » .

(٤) ب : « خاليا » .

(٥) ب : « فينا » .

(٦) ب : « بعيد » .

(٧) ب : « وعظمت » .

(٨) ب : « وعظمت » .

قال : ثم كتبت إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب بالزيرية .
فكتب إليه عبد الملك : إني لا أرى نقصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير ،
بل أراه وفاء منهم لهم ، وإن وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي . فكتبت إليه
الحجاج يخوفه غدرهم لما أخبره به الشيخ . فكتب إليه عبد الملك : قد أكثرت
في يزيد وآل المهلب ، فسم لي رجلاً يصلح خراسان ، فسمي له جماعة بن
سعر السعدى ، فكتب إليه عبد الملك : إن رأيك الذى دعاك إلى استفساد
آل المهلب هو الذى دعاك إلى جماعة بن سعر ، فانظر لي رجلاً صارماً ،
ماضياً لأمرى ، فسمي قتيبة بن مسلم ، فكتب إليه : ولله . وبلغ يزيد أن الحجاج
عزله ، فقال لأهل بيته : من تزون الحجاج يولى خراسان ؟ قالوا : رجلاً
من ثقيف ، قال : كلاً ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهدته ، فإذا قدمت
عليه عزله وولى رجلاً من قيس ، وأخلق بقتيبة ! قال : فلما أذن عبد الملك
للحجاج فى عزل يزيد كره أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه أن استخلف
المفضل وأقبل . فاستشار يزيد حُضَيْنَ بن المنذر ، فقال له : أقم واعتل ،
فإن أمير المؤمنين حسن رأى فىك ، وإنما أتيت من الحجاج ، فإن أقمت
ولم تتعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقر يزيد ، قال : إنا أهل بيت بُورِكَ
لنا فى الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ، فأخذ فى الجهاز ، وأبطأ ذلك
على الحجاج ، فكتب إلى المفضل : إني قد ولّيتك خراسان ، فجعل المفضل
يستحيّ يزيد ، فقال له يزيد : إن الحجاج لا يقرّك بعدى ، وإنما دعاه
إلى ما صنتع مخافة أن أمتنع عليه ، قال : بل حسدتنى ، قال يزيد : يا بن
بهلة ، أنا أحسدك ! ستعلم . وخرج يزيد فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين .
ف عزل الحجاج المفضل ، فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمه :

يا بنى بهلة إنما أخزأكما ربى غداة غدا الهمام الأزهر
أحفرتم لأخيكم فوقتم فى قعر مظلمة أخوها المغور
جودوا بتوبة مخلصين فإنما يابى ويأنف أن يتوب الأخر

وقال حُضَيْن ليزيد :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني
فما أنا بالباكي عليك صباباً
فأصبحت مسلوب الإمارة نادماً
وما أنا بالداعي لترجع سالمًا

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين : كيف قلت ليزيد؟ قال : قلت :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني
فإن يبلغ الحجاج أن قد عصيته
فإنفسك أول اللوم إن كنت لانما
فإنك تلقى أمره متفاقما

قال : فإذا أمرته به فعصاك ؟ قال : أمرته ألا يدع صفراء ولا
بيضاء إلا حملها إلى الأمير ، فقال رجل لعياض بن حضين : أما أبوك
فوجدته قتيبة حين فره قارحاً بقوله : « أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء
إلا حملها إلى الأمير » .

قال علي : وحدثنا كليب بن خلف . قال : كتب الحجاج إلى يزيد
أن اغز خوارزم ، فكتب إليه : أيها الأمير ، إنها قليلة السلب ، شديدة
الكلب . فكتب إليه الحجاج : استخلف واقدم ، فكتب إليه : إني
أريد أن اغزو خوارزم . فكتب إليه : لا تغزها فإنها كما وصفت ؛ فغزا
ولم يطعه ، فصالحه أهل خوارزم ، وأصاب سبباً مما صالحوه ، وقتل
في الشتاء ، فاشتد عليهم البرد ، فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها . فمات
ذلك السبي من البرد . قال : ونزل يزيد بلستانة ، وأصاب أهل مرو
الروذ طاعون ذلك العام ، فكتب إليه الحجاج : أن اقدم ، فقدم ، فلم يمر
ببلد إلا فرشوا له الرباحين . وكان يزيد ولي سنة اثنتين وثمانين ، وعزل سنة خمس
وثمانين ، وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، وولى قتيبة .

وأما هشام بن محمد . فإنه ذكر عن أبي مخنف في عزل الحجاج يزيد عن
خراسان سبباً غير الذي ذكره علي بن محمد ، والذي ذكر من ذلك عن
أبي مخنف أن أبا المخارق الراسبي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين
فرغ من عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته - وقد

كان الحجاج أذلّ أهل العراق كلّهم إلا يزيد وأهل بيته ومنّ معهم من أهل
المِصْرَيْن بخُرَاسان ، ولم يكن يتخوّف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق
غير يزيد بن المهلب - فأخذ الحجاج في مواربة يزيد ليستخرجته من خُرَاسان ،
فكان يبعث إليه لياثيه ، فيعتلّ عليه بالعدوّ وحرّب خُرَاسان ، فكث
بذلك^(١) حتى كان آخر سلطان عبد الملك . ثم إن الحجاج كتب إلى عبد الملك
يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب ، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير ،
وأنه لا وفاء لهم ؛ فكتب إليه عبد الملك : إنى لا أرى تقصيراً بولّد المهلب
طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم . فإن طاعتهم ووفاءهم لهم ، هو دعاهم إلى
طاعتي والوفاء لي .

١١٤٤/٢

ثم ذكر بقية الخبر نحو الذي ذكره علي بن محمد .

* * *

[غزو المفضل باذغيس وأخرون]

وفي هذه السنة غزا المفضل باذغيس ففتّحها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : عزل الحجاج
يزيد ، وكتب إلى المفضل بولاية على خُرَاسان سنة خمس وثمانين ، فوليتها
تسعة أشهر ، فغزا باذغيس ففتّحها وأصاب مغاناً ، فقسّمه بين الناس ،
فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم ، ثم غزا أخرون وشومان ، فظفر
وغنم ، وقسم ما أصاب بين الناس ، ولم يكن للمفضل بيت مال ، كان
يُعطي الناس كلما جاءه شيء ، وإن غم شيئاً قسّمه بينهم ، فقال كعب
الأشقرى يمدح المفضل :

ترى ذا الغنى والفقر من كلّ معشر^(٢) عصائب شتى ينتوون المفضلاً
فمن زائر يرجو فواضل سببه وآخر يقضى حاجه قد ترحلاً^(٣)

(٢) ب : « ترى ذا الغنى » .

(١) ب : « كلك » .

(٣) ب : « ترحلاً » .

إذا ما انتويننا غير أرضك لم نجد
 إذا ما عددنا الأكرمين ذوى النهى
 لعمرى لقد صاب الفضل صولة
 ويوم ابن عباس تناولت مثلها
 صفت لك أخلاق المهلب كلها
 أبوك الذى لم يسع ساخ كسعيه
 بها منتوى خيراً ولا متعللاً
 وقد قدموا من صالح كنت أولاً
 أباحت بشومان المناهل والكللا
 فكانت لنا بين الفريقين فيصلاً
 وسرّبت من مسعاته ما تسربلاً
 فأورث مجداً لم يكن متنعلاً^(١)

١١٤٥/٢

* * *

[خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ]

وفى هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلمي بالترمذ .

* ذكر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قتل بها :

ذكر أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قتل
 من قتل من بني تميم بفرتنا - وقد مضى ذكرى خبر قتله إياهم - تفرق
 عنه عظم من كان بى معه منهم . فخرج إلى نيسابور وخاف بى تميم على
 ثقله بمرو ، فقال لابنه موسى : حول ثقلى عن مرو ، واقطع نهر بلخ حتى
 تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى^(٢) حصن تميم^(٣) فيه . فشخص موسى من
 مرو فى عشرين ومائتى فارس ، فأتى آمل وقد ضوى إليه قوم من الصعاليك ،
 فصار فى أربعمائة ، وانضم إليه رجال من بنى سليم ، منهم زرعة بن علقمة ،
 فأتى زم فقاتلوه ، فظنير بهم وأصاب^(٤) مالا ، وقطع النهر ، فأتى بخارى
 فسأل صاحبها أن يلجأ إليه . فأبى وخافه ، وقال : رجل فانتك ، وأصحابه
 مثله أصحاب حرب وشر ، فلا آمنه . وبعث إليه بصلة عين ودواب
 وكسوة ، ونزل على عظيم من عظماء أهل بخارى فى نوقان ، فقال له : إنه

١١٤٦/٢

(٢) ب : « وإلى » .

(١) ب : « متنعلاً » .

(٣) ابن الأثير : « تقوم » .

(٤) ب : « فأصاب » .

لا خير في المقام في هذه البلاد ، وقد هتأبتك القوم وهم لا يأمنونك . فأقام عند دهقان نوقان أشهراً ، ثم خرج يلتمس ملكاً يلجأ إليه أو حصناً ، فلم يأت بلداً إلا كثرهوا مقامه فيهم ، وسألوه أن يخرج عنهم .

قال علي بن محمد: فأتى سمرقند فأقام بها ، وأكرمه طرخون ملكها ، وأذن له في المقام ، فأقام ما شاء الله ، ولأهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم ودك^(١) وخببز وإبريق شراب ، وذلك في كل عام يوماً ، يُجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقربه أحد غيره ، هو طعامه في ذلك اليوم ، فإن أكل منه أحد غيره بارزه فأبهما قتلت صاحبه فالمائدة له ، فقال رجل من أصحاب موسى: ما هذه المائدة ؟ فأخبر عنها ، فسكت ، فقال صاحب موسى : لا أكلن ما على هذه المائدة ، ولأبارزن فارس الصغد ، فإن قتلته كنت فارسهم . فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة ، فجاء مغضباً ، فقال : يا عربي ، بارزني ، قال : نعم ، وهل أريد إلا المبارزة ! فبارزه فقتله صاحب موسى ، فقال ملك الصغد : أنزلتكم وأكرمتمكم فقتلتم فارس الصغد ! لولا أني أعطيتك وأصحابك الأمان لقتلتكم ، انخرجوا عن بلدي ، ووصله . فخرج موسى فأتى كيس فكاتب صاحب كيس إلى طرخون يستنصره ، فأناه ، فخرج إليه موسى في سبع مائة فقاتلهم حتى أمسوا ، وتحتاج جزوا وبأصحاب موسى جراح كثيرة ، فلما أصبح أمرهم موسى فحلقوا رؤوسهم كما يصنع^(٢) الخوارج ، وقطعوا صفيحات أخبيبتهم كما يصنع العجم إذا استماتوا . وقال موسى لزرعة بن علقمة : انطلق إلى طرخون فاحتل له . فأناه ، فقال له طرخون: ليم صنع أصحابك ما صنعوا ؟ قال : استقتلوا فما حاجتك إلى أن تقتل أيها الملك موسى وتقتل ! فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مثل عدتهم منكم ، ولو قتلته وإياهم جميعاً ما فلت حظاً ، لأن له قدراً في العرَب ، فلا يلي أحد خراسان إلا طالبك بدمه ، فإن سلمت من واحد لم تسلم من آخر ؛ قال : ليس إلى ترك كيس في يديه سبيل ؛ قال : فكف عنه حتى

(١) لحم ودك : فيه دم .

(٢) ب : « تصنع » .

يَرْتَحِل ، فكف وأتى موسى الترميد وبها حصن يُشْرِف على النهر إلى جانب منه ، فنزل موسى على بعض دهاقين الترميد خارجاً من الحصن والدّهقان مُجَانِب ليرميدشاه ، فقال لموسى : إن صاحب الترميد متكرم شديد الحياء ، فإن ألطفته^(١) وأهديت إليه أدخلتك حصنه ، فإنه ضعيف ، قال : كلاً ، ولكني أسأله أن يدخلني حصنه ، فسأله فأبى ، فأكتره موسى وأهدى له^(٢) وألطفه ، حتى لطف الذي بينهما ، وخرج فتصيد معه ، وكثر إلفاف موسى له ، فصنع صاحب الترميد طعاماً وأرسل إليه : إني أحب أكرمك ، فتغدّ عندي ، واثني في مائة من أصحابك . فانتخب موسى من أصحابه مائة ، فدخلوا على خيولهم ، فلما صارت في المدينة تصاهلت ، فتطير أهل الترميد وقالوا لهم : انزلوا ، فنزلوا ، فأدخلوا بيتاً ، خمسين في خمسين ، وغدّوهم .

١١٤٨/٢

فلما فرغوا من الغداء اضطجع موسى ، فقالوا له : اخرج ، قال : لا أصيب منزلاً مثل هذا . فليست بخارج منه حتى يكون بيتي أو قبوري . وقاتلهم في المدينة ، فقتل من أهل الترميد عدّة ، وهرب الآخرون فدخلوا منازلهم ، وغلب موسى على المدينة ، وقال ليرميد شاه : اخرج ، فإنني لست أعرض لك ولا لأحد من أصحابك . فخرج الملك وأهل المدينة فاتوا الترك يستنصرونهم ، فقالوا : دخل إليكم مائة رجل فأخرجوكم عن بلادكم ، وقد قاتلناهم بكس ، فنحن لا نقاتل هؤلاء . فأقام ابن خازم بالترميد ، ودخل إليه أصحابه ، وكانوا سبعمائة ، فأقام ، فلما قتل أبوه انضم إليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس ، فقوى ، فكان يخرج فيغير على من حوله . قال : فأرسل الترك قوماً إلى أصحاب موسى ليتعلموا علمه ، فلما قدّموا قال موسى لأصحابه : لا بد من مكيدة هؤلاء - قال : وذلك في أشد الحر - فأمر بنار فأججت ، وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء ، ولبسوا فوقها لُبوداً ، ومدوا أيديهم إلى النار كأنهم يصطلون . وأذن موسى للترك فدخلوا ، ففزعوا مما رأوا ، وقالوا :

(١) ب : « لطفته » .

(٢) ب : « إليه » .

لِمَ صَنَعْتُمْ هَذَا؟ قَالُوا: نَجِدُ الْبَرْدَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَنَجِدُ الْحَرَّ فِي الشِّتَاءِ، فَرَجَعُوا وَقَالُوا: جِنٌّ لَا نُقَاتِلُهُمْ. قَالَ: وَأَرَادَ صَاحِبُ^(١) التُّرْكِ أَنْ يَغْزُوَ مُوسَى، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ رُسُلًا، وَبَعَثَ بِسَمِّ وَنُشَابٍ فِي مَسْكِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالسَّمِّ أَنْ حَرِبَهُمْ شَدِيدَةً، وَالنُّشَابَ الْحَرْبَ، وَالْمَسْكَ السَّلْمَ، فَاخْتَرَهُ الْحَرْبَ أَوْ السَّلْمَ، فَأَحْرَقَ السَّمَّ، وَكَسَرَ النُّشَابَ، وَنَثَرَ الْمَسْكَ، فَقَالَ الْقَوْمُ: لَمْ يَرِيدُوا الصَّلْحَ، وَأَخْبِرَ أَنَّ حَرِبَهُمْ مِثْلَ النَّارِ، وَإِنَّهُ يَتَكَسَّرُنَا، فَلَمْ يَتَغَزَّهُمْ.

قَالَ: فَوَلَّى بَكِيرُ بْنُ وِشَاحٍ خُرَّاسَانَ فَلَمْ يَتَعَرِّضْ لَهُ، وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَيْهِ أَحَدًا، ثُمَّ قَدِمَ أُمِيَّةُ^(١) فَسَارَ بِنَفْسِهِ يَرِيدُهُ، فَخَالَفَتْهُ بِكِيرٌ، وَخَلَعَ، فَرَجَعَ إِلَى مَرُو، فَلَمَّا صَالِحَ أُمِيَّةٌ بِكَبِيرًا أَقَامَ عَامَهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ فِي قَابِلٍ وَجَّهَهُ إِلَى مُوسَى رَجُلًا مِنْ خُرَّاعَةَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، فَعَادَ أَهْلُ التُّرْمِذِ إِلَى التُّرْكِ فَاسْتَنْصَرُوهُمْ فَأَبَتُوا، فَقَالُوا لَهُمْ: قَدْ غَزَاهُمْ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَحَصَرُوهُمْ، فَإِنْ أَعْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ ظَفِيرُنَا بِهِمْ. فَسَارَتِ التُّرْكُ مَعَ أَهْلِ التُّرْمِذِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، فَأُطَافَ بِمُوسَى التُّرْكُ وَالخُرَّاعِيُّ، فَكَانَ يُقَاتِلُ الخُرَّاعِيَّ أَوَّلَ النَّهَارِ وَالتُّرْكُ آخِرَ النَّهَارِ، فَقَاتَلَتْهُمْ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ، فَقَالَ مُوسَى لِعَمْرُو بْنِ خَالِدِ بْنِ حَصِينِ^(٢) الْكَلَابِيِّ— وَكَانَ فَارِسًا: قَدْ طَالَ أَمْرُنَا وَأَمْرُهُؤَلَاءِ. وَقَدْ أَجْمَعْتُ أَنْ أُبَيِّتَ عَسْكَرَ الخُرَّاعِيَّ، فَإِنَّهُمْ لِلْبِيَاتِ آمِنُونَ، فَمَا تَرَى؟ قَالَ: الْبِيَاتُ نِعْمًا هُوَ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ بِالْعَجَمِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ أَشَدَّ حَذَرًا، وَأَسْرَعُ فَنَزَعًا، وَأَجْرًا عَلَى اللَّيْلِ مِنَ الْعَجَمِ، فَبَيَّيْتَهُمْ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ تَنَفَّرَ لِقِتَالِ الخُرَّاعِيَّ فَنَحْنُ فِي حِصْنٍ وَهُمْ بِالْعَرَاءِ، وَلَيْسُوا بِأَوْلَى بِالصَّبْرِ، وَلَا أَعْلَمُ بِالْحَرْبِ مِنَّا. قَالَ: فَأَجْمَعَعَ مُوسَى عَلَى بِيَاتِ التُّرْكِ، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثُهُ خَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ، وَقَالَ لِعَمْرُو بْنِ خَالِدٍ: أَخْرِجُوا بَعْدَنَا وَكُونُوا مِنَّا قَرِيبًا، فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا، وَأَخِذْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ حَتَّى ارْتَفَعَ فَوْقَ الْعَسْكَرِ، ثُمَّ أَخِذْ مِنْ نَاحِيَةِ كَفْتَانِ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ جَعَلَ أَصْحَابَهُ أَرْبَاعًا، ثُمَّ قَالَ: أَطِيفُوا بِعَسْكَرِهِمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا، وَأَقْبَلْ

(١) هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.

(٢) ب، ر: «حصن».

وقدم عمرا بين يديه ومشوا خلفه ، فلما رآته أصحاب الأرصاد قالوا : من أنتم ؟ قالوا : عابري سبيل .

قال : فلما جازوا الرصد تفرقوا وأطافوا بالعسكر وكبروا ، فلم يشعر الترك إلا بوقع السيوف ، فثاروا يقتل بعضهم بعضا وولّوا ، وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا ، وحتّوا عسكرهم وأصابوا سلاحا ومالا ، وأصبح الخزاعي وأصحابه قد كسرهم ذلك^(١) ، وخافوا مثلها من البيات ، فتحذروا^(٢) . فقال لموسى عمرو بن خالد : إنك لا تظفر^(٣) إلا بمكيدة^(٤) ولم أمداد وهم يكثرون ، فدعني آتيتهم لعلني أصيب من صاحبهم فرصة ؛ إني^(٥) إن خلوتُ به قتلته ، فتناولني بضرب ، قال : تتعجل الضرب وتعرض للقتل ! قال : أما التعرض للقتل فأنا كل يوم متعرض له ، وأما الضرب فما أيسره في جنب ما أريد . فتناوله بضرب ، ضربه خمسين سوطا ، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخزاعي مستأمنا وقال : أنا رجل من أهل اليمن كنتُ مع عبد الله بن خازم ، فلما قتل أتيته ابنه فلم أزل معه ، وكنتُ أول من أتاه ، فلما قدمت اتهمتني ، وتعصب علي ، وتنكر لي وقال لي : قد تعصبت لعدونا ، فأنت عين له ، فضرّبتني ، ولم آمن القتل ، وقلت : ليس بعد الضرب إلا القتل ، فهربت منه ، فأمنه الخزاعي وأقام معه .

قال : فدخل يوما وهو خالٍ ولم يترّ عنده سلاحا ، فقال كأنه ينصح له : أصلحك الله ! إن مثلك في مثل حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح ، فقال : إن معي سلاحا ، فرفع صدر فراشه فإذا سيفٌ منتضى ، فتناوله عمرو فضرّبه فقتله ، وخرج فركب فرسه ، ونذروا به بعد ما أمعن ، فطلبوه ففاتهم ، فأتى موسى وتفرق ذلك الجيش ، فقطع بعضهم النهر ، وأتى بعضهم موسى مستأمنا ، فأمنه ، فلم يوجه إليه أمية أحدا . قال : وعزل أمية ، وقدم المهلب أميرا ، فلم يتعرض لابن خازم ،

(٢) ب : « فتحذروا » .

(١) ب : « ذاك » .

(٤) ب : « لمكيدة » .

(٣) ب : « إنكم لا تظفرون » .

(٥) ب : « فإني » .

١١٥٢/٢

وقال لبيته : إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون ولادة هذا الثغر ما أقام هذا الثغر^(١) ، فإن قُتل كان أول طالع عليكم أميراً على خراسان رجل من قيس . فات المهلب ولم يوجه إليه أحداً ، ثم تولى^(٢) يزيد بن المهلب فلم يعرض له . وكان المهلب ضرب حرِيث بن قُطبة الخزاعي ، فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى ، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمتهما وقتل أخاهما لأمهما ؛ الحارث بن مُنقذ ، وقتل صهراً لهما كانت عنده أم حفص ابنة ثابت ، فبذلغهما ما صنع يزيد .

قال : فخرج ثابت إلى طرخون فشكوا إليه ما صنع به - وكان ثابت محبوباً في العجم ، بعيد الصوت ، يعظمونه ويثقون به ، فكان الرجل منهم إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يتغير - فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبيل وأهل بخارى والصغمانيان ، فقد مواع ثابت إلى موسى بن عبد الله ، وقد سقط إلى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة ، وقل ابن الأشعث من العراق ومن ناحية كابل ، وقوم من بني تميم ممن كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خراسان ، فاجتمع إلى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعه واليمن ، فقال له ثابت وحرِيث : سر تقطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان ؛ ونوليك ، فإن طرخون ونيزك والسبيل وأهل بخارى معك ، فهم أن يفعل ، فقال له أصحابه : إن ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد ، وإن^(٣) أخرجت يزيد عن خراسان وأميناً تولياً الأمر وغلباك على خراسان ، فأقم مكانك . فقبل رأيهم ، وأقام بالترمذ . وقال لثابت : إن أخرجنا يزيد قديم عامل لعبد الملك ، ولكننا نخرج عمال يزيد من وراء النهر مما يلينا ، وتكون هذه الناحية لنا ناكلها . فرضى ثابت بذلك ، وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر ، وحملت إليهم الأموال . وقوى أمرهم وأمر موسى ، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبيل إلى بلادهم . وتسد بئر الأمر لحرِيث وثابت . والأمير موسى ليس له غير الاسم ،

١١٥٣/٢

(١) الثغر : الثقيل البطن ، أو الكوسج الذي عرى وجهه من الشعر .

(٢) ر : « ولي » ، س : « نزل » . (٣) ب : « فإن » .

فقال لموسى أصحابه : لسنا نرى من الأمر في يدك شيئاً أكثر من اسم
الإمارة ، فأما التدبير فليحريث وثابت ، فاقتلتهما وتولّ الأمر . فأبى وقال :
ما كنت لأغدر بهما وقد قويا أمرى ، فحسدوهما وألحوا على موسى في
أمرهما حتى أفسدوا قلبه ، وخوفوه غدرهما ، وهمّ بمتابعتهم على الوثوب
بثابت وحرّيث . واضطرب أمرهم ؛ فإنهم لى ذلك إذ خرجت عليهم الهياطلة
والتبّت والتّرك ، فأقبلوا في سبعين ألفاً لا يعدّون الحاسر ولا صاحب بيضة
جماء ، ولا يعدون إلا صاحب بيضة ذات قونّس . قال : فخرج ابن
خازم إلى ربض المدينة في ثلثمائة راجل وثلاثين مجتفياً ، وألقى له كرسى
فقعد عليه . قال : فأمر طرخون أن يثلم^(١) حائط الربض ، فقال موسى :
دعّوهم ، فهدموا ودخل أوائلهم ، فقال : دعّوهم يكثرّون ، وجعل يقلّب
طبرزيناً بيده ، فلما كثروا قال : الآن امنعهم ، فركب وحمل^(٢) عليهم
فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثلّة . ثمّ رجع فجلس على الكرسى وذمّر
الملك أصحابه ليعودوا . فأبوا . فقال لفرسانه : هذا الشيطان ، من سرّه أن
ينظر إلى رسم فلينظر إلى صاحب الكرسى . فن أبى فليقدّم عليه . ثمّ
تحوّلت الأعاجم إلى رُستاق كفتان . قال : فأغاروا على سرح موسى ، فاغتم
ولم يتّطم ، وجعل يتعبّ بلحيته . فسار ليلاً على نهر في حافته^(٣)
نبات لم يكن فيه ماء ، وهو يفضي إلى نخند قهم ، في سبعمائة ، فأصبحوا عند
عسكرهم ، وخرج السرح فأغار عليه فاستاقه . وأتبعه قوم منهم ، فعطف
عليه سوار . مولى لموسى . فطعن رجلاً منهم فصرّعه ، فرجعوا عنهم وسلم
موسى بالسرح . قال : وغاداهم العجّم القتال ، فوقف ملكهم على تلّ في
عشرة آلاف في أكمل عدّة . فقال موسى : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون
بشيء . فقصد لم حرّيث بن قطبة فقاتلهم صدر النهار ، وألح عليهم حتى
أزالوهم عن التلّ ، ورُمى يومئذ حرّيث بشصابة في جبهته . فتحاجزوا . فبيّتهم
موسى . وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شعبة ملكهم ،

١١٥٤/٢

(٢) ب : « وركب فحمل » .

(١) ب : « يستلم » .

(٣) ب : « فاحيته » .

فوجاً رجلاً منهم بقبيصة^(١) سيفه ، فطعن فرسه ، فاحتملته فألقاه في نهر
يلتخ فغرق ، وعليه درعان ، فقتل العجم قتلاً ذريعاً ، ونجا منهم من
نجا بشر ، ومات حرِيث بن قطبة بعد يومين ، فدُفن في قبته .

١١٥٥/٢

قال : وارتحل موسى ، وحملوا الرؤوس إلى الترمذ ، فبنوا من تلك الرؤوس
جوتسقين ، وجعلوا الرؤوس يقابل بعضها بعضاً . وبلغ الحجاج خبر الواقعة ،
فقال : الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكافرين ، فقال أصحاب موسى :
قد كُفينا أمر حرِيث ، فأرحنا من ثابت ، فأبى وقال : لا . وبلغ ثابتاً بعض
مايخوضون فيه ، فدرس محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي ، عم نصر بن
عبد الحميد عامل أبي مسلم على الرمي - وكان في خدمة موسى بن عبد الله - وقال
له : إياك أن تتكلم بالعربية ، وإن سألوك من أين أنت ! فقل : من سبى
الباميان^(٢) ، فكان يتخدم موسى وينقل إلى ثابت خبرهم ، فقال له :
تحفظ ما يقولون . وحذر ثابت فكان لا ينام حتى يرجع الغلام ، وأمر قوماً
من شاكريته بحرسونه ويبيتون عنده في داره ، ومعهم قوم من العراب ،
وألح القوم على موسى فأصجروه ، فقال لهم ليلة : قد أكثرتم علي ، وفيم تريدون
هلاكنكم ، وقد أبرمتموني ! فعلى أي وجه تفتكون به ، وأنا لا أغدر به ! فقال
نوح بن عبد الله أخو موسى : نخلنا وإياه ، فإذا غدا إليك غدوة عدلنا به
إلى بعض الدور ، فضربنا عنقه فيها قبل أن يذ لك . قال : أمّا والله
إنه لهلاككم ، وأنتم أعلم - والغلام يسمع - فأتى ثابتاً فأخبره ، فخرج من
ليلته في عشرين فارساً . فمضى وأصبحوا وقد ذهب فلم يدروا من أين أوتوا ،
وفقدوا الغلام ، فعلموا أنه كان عينا له عليهم . ولحق ثابت بحشورا فنزل
المدينة ، وخرج إليه قوم كثير من العراب والعجم ، فقال موسى لأصحابه :
قد فتحتم على أنفسكم باباً فسُدوه . وسار إليه موسى^(٣) ، فخرج إليه ثابت
في جمع كثير فقاتلهم ، فأمر موسى بإحراق السور . وقتلتهم حتى ألقوا
ثابتاً وأصحابه إلى المدينة . وقتلهم عن المدينة .

١١٥٦/٢

(١) القبيصة : ما يكون على طرف مقبض السيف : تكون من فضة أو حديد .

(٢) ر : « الباميان » .

(٣) ب : « موسى إليه » .

فأقبل رقية بن الحر العنبري حتى اقتحم النار^(١)؛ فانتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقفٌ يحمي أصحابه، فقتله، ثم رجع فحاض النار وهي تلتهب، وقد أخذتُ بجوانب نمط عليه، فرمى به عنه ووقف، وتحصن ثابت في المدينة، وأقام موسى في الربض، وكان ثابت حين شتخص إلى حشورا أرسل إلى طرخون، فأقبل طرخون مُعِينًا له، وبلغ موسى مجيء طرخون، فرجع إلى الترميد، وأعانه أهل كيس ونسف وبخاري، فصار ثابت في ثمانين ألفًا. فحصرُوا موسى وقطعوا عنه المادة حتى جُهدوا.

قال : وكان أصحابُ ثابتٍ يعبرون نهرًا إلى موسى بالنهار—ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم . فخرج يوماً رقية - وكان صديقًا لثابت ، وقد كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا - فنادى ثابتًا، فبرز له - وعلى رقية قباء خنز - فقال له : كيف حالك يا رقية ؟ فقال : ما تسأل عن رجلٍ عليه جُبَّة خنز في حَمَارَةِ القَيْظ ! وشكا إليه حالهم ، فقال : أنتم صنعتم هذا بأنفسكم ، فقال : أما والله ما دخلتُ في أمرهم ، ولقد كرهتُ ما أرادوا، فقال ثابت : أين تكون حتى يأتيك ما قُدِّر لك ؟ قال : أنا عند المُحِلِّ الطفاوي - رجلٌ من قيس من يتعصر - وكان المُحِلُّ شَيْخًا صاحب شراب - فنزل رقية عنده .

١١٥٧/٢

قال : فبعث ثابت إلى رقية بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر الخزاعي، وقال : إن لنا تجارتًا قد خرجوا من بلخ . فإذا بلغك أنهم قد قدموا فأرسل إلى تأتيك حاجتُك . فأتى علي باب المُحِلِّ . فدخل فإذا رقية والمُحِلُّ جالسان بينهما جفنة فيها شراب . وحيوانٌ عليه دجاج وأرغفة ، ورقية شعث الرأس، متوشح بميلحفة حمراء . فدفع إليه الكيس . وأبلغته الرسالة وما كلمه، وتناول الكيس وقال له بيده . اخرج ، ولم يكلمه . قال : وكان رقية جسيما كبيرا . غائر العينين . فأتى الوجنتين ، مفلج ، بين كل سنين له موضع من ، كأن وجهه تُرس .

قال : فلما أضاق أصحابُ موسى واشتدَّ عليهم الحصارُ قال يزيدُ بنُ هزبل : إنما مقامُ هؤلاء مع ثابتٍ والقَتْلُ أحسنُ من الموتِ جُوعاً ، والله لأفتكنَّ بثابتٍ أو لأموتنَّ . فخرج إلى ثابتٍ فاستأمنه ، فقال له ظهير : أنا أعرفُ بهذا منك ، إن هذا لم يأتِكَ رغبةٌ فيكَ ولا جَزَعاً لك ، ولقد جاءك بغُدْرَةٍ ، فاحذَره ونحلتني وإياه ، فقال : ما كنتُ لأقدمُ على رجلٍ أتاني ، لا أدرى أكذلك هو أم لا . قال : فدعني أرتهن منه رهناً ، فأرسل ثابتٌ إلى يزيدٍ فقال : أما أنا فلم أكن أظنُّ رجلاً يتغدر بعد ما يسأل الأمان ، وابنُ عمِّك أعلم بك مني ، فانظر ما يعاملك عليه ، فقال يزيد لظهير : أبيت يا أبا سعيد إلا حسداً ! قال : أما يكفيك ما ترى من الذلِّ ! تشردتُ عن العراق وعن أهلي ، وصرتُ بخراسان فيما ترى ، أفما تعطفك الرَّحْمُ ! فقال له ظهير : أما والله لو تركتُ ورأيي فيكَ لما كان هذا ، ولكن أرهنا ابنيتك قدامة والضحاك . فدفعهما^(١) إليهم ، فكانا في يدي ظهير .

١١٥٨/٢

قال : وأقام يزيدُ يلمس غيرةَ ثابتٍ ، لا يتقدَّر منه على ما يريد ، حتى مات ابنُ لزياد القصير الخزاعي ، أتى أباه نعيته من مرو ، فخرج متفضلاً إلى زياد ليعزيه ، ومعه ظهير ورهطٌ من أصحابه ، وفيهم يزيدُ بنُ هزبل ، وقد غابت الشمس ، فلما صار على نهر الصغغانيان تأخر يزيدُ بنُ هزبل ورجلان معه ، وقد تقدم ظهير وأصحابه ، فدنا يزيدُ من ثابتٍ فضربه فعصَّ السيف برأسه ، فوصل إلى الدماغ . قال : ورمى يزيدُ وصاحبه بأنفسهم في نهر الصغغانيان ، فرمواهم ، فنجا يزيدُ سباحةً وقتل صاحبه ، وحمل ثابتٌ إلى منزله ، فلما أصبح طرخون أرسل إلى ظهير : اثنتي بابنتي يزيد ، فأتاه بهما ، فقدم ظهير الضحاك بن يزيد فقتله ، ورمى به وبرأسه في النهر ، وقدم قدامة ليقتله ، فالتفت فوقع السيف في صدره . ولم يبسن ، فألقاه في النهر حياً فغرق ، فقال طرخون : أبوهما قتلها وغدره . فقال يزيدُ بنُ هزبل : لأقتلن يابني كلَّ خزاعي بالمدينة ، فقال له عبدُ الله بنُ بُدَيْل بن عبد الله بن بُدَيْل بن وراقاء - وكان ممن أتى موسى من قتل ابن الأشعث :

(١) ب « فدفنهم » .

لو رُمْتَ ذاكَ من خِزاعةٍ لَتَصْعَبُ عَلَيْكَ . وعاش ثابت سبعةَ أيامٍ ثمَّ مات . وكان يزيدُ بن هزِيلٍ سخياً شجاعاً شاعراً ، ولي أيام ابن زياد جزيرةَ ابن كاوان ، فقال :

١١٥٩/٢

قد كنتُ أدعو اللهَ في السرِّ مخلصاً لِيُمكننِي من جزيرةٍ ورجالٍ^(١)
فأتُركُ فيها ذكراً طَلْحَةً خاملاً ويُحمَدُ فيها نائليَ وفعالي

قال : فقام بأمرِ العِجَمِ بعد موتِ ثابتِ طَرْنُخون ، وقام ظُهَيْرٌ بأمرِ أصحابِ ثابت . فقاما قياماً ضعيفاً ، وانتَشَرَ أمرُهُم ، فأجمع موسى على بَيَاتِهِمْ . فجاء رجلٌ فأخبرَ طَرْنُخون ، فضَحِكَ وقال : موسى يتعجز أن يدخلَ متوضأه . فكيف يبييتنا ! لقد طار قلبك ، لا يحرسن الليلةَ أحدٌ العسكِرَ . فلما ذهب من الليل ثلثه خرج موسى في ثمانمائةٍ قد عبأهم من النهار ، وصيرهم^(٢) أرباعاً . قال : فصيرَ على رُبْعِ رَقَبَةِ بنِ الحَرِّ وعلى رُبْعِ أخاه نُوحِ بن عبد الله بن خازم . وعلى رُبْعِ يزيدَ بن هزِيلِ . وصار هو في ربيع . وقال لهم : إذا دخلتم^(٣) عسكِرَهُم ففترقوا ، ولا يَمُرَنَّ أحدٌ منكم بشيءٍ إلاَّ ضربه . فدخلوا عسكِرَهُم من أربعِ نواحٍ لا يَمُرُّونَ بدابَّةٍ ولا رجلٍ ولا خيابةٍ ولا جوالقٍ إلاَّ ضَرَبُوهُ . وسمعَ الوجيئةُ نَيْزَكَ فلبسَ سلاحه ، ووقف في ليلةٍ مظلمةٍ ، وقال لعلِّي بنِ المُهاجرِ الحُزاعيِّ : انطلق إلى طَرْنُخونَ فأعلمه مَوقِفي . وقل له : ما ترى أعملُ به ، فأتى طَرْنُخونَ ، فإذا هو في فِازةٍ^(٤) قاعدٌ على كرسِيٍّ وشاكِرِيته قد أوقدوا النيرانَ بين يديه ، فأبلغه رسالةَ نَيْزَكَ ، فقال : اجلسْ ، وهو طامحٌ ببصره نحو العسكِرِ والصوتِ ، إذا أقبلَ حَمِيَّةُ السُّلَمِيِّ وهو يقول : «حم لا يُنصَرُونَ» ، فتفرق في الشاكِرِيَّةِ ، ودخلَ حَمِيَّةُ الفِازةَ . وقام إليه طَرْنُخون فبَدَرَهُ فضَرَبَهُ ، فلم يَغْنِ شيئاً ، قال : وطعنَه طَرْنُخونَ بِدُبَابِ السيفِ في صدرِهِ فصرَّعَه ، ورجع إلى الكرسِيِّ فجلسَ عليه ، وخرجَ حَمِيَّةُ يتعدُّو .

١١٥٩/٢

(١) ب ، ر : « حربه وحلالى » . (٢) ب : « ويميزهم » .

(٣) ب : « ادخلوا » . (٤) الفِازة : مظلة تمد بممود .

قال : ورجعت الشاكرية ، فقال لهم طرّخون : فترّتم من رجل ! أرايتم لو كان ناراً هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد ! فما فرغ من كلامه حتى دخل جواريه الفازة ، وخرج الشاكرية هراًبا ، فقال للجواري : اجلسن ، وقال لعلّ بن المهاجر : قم ، قال : فخرجا فإذا نوح بن عبد الله ابن خازم في السرادق ، فتجاولا ساعة ، واختلّفا ضربتين ، فلم يتصنعا شيئاً ، وولّى نوح وأتبعه طرّخون ، فطعن فرس نوح في خاصرته فشسب ، فسقط نوح والفرس في نهر الصغانيان ، ورجع طرّخون وسيفه يتقطر دماً ، حتى دخل السرادق وعلى بن المهاجر معه ، ثم دخلا الفازة .

وقال طرّخون للجواري : ارجعن ، فرجعن إلى السرادق ؛ وأرسل طرّخون إلى موسى : كُف أصحابك ؟ فإننا نرتحل إذا أصبحنا ، فرجع موسى إلى عسكره . فلما أصبحوا ارتحل طرّخون والعجم جميعاً ، فأتى كل قوم بلادهم . قال : وكان أهل خراسان يقولون : ما رأينا مثل موسى ابن عبد الله بن خازم ، ولا سمعنا به ، قاتل مع أبيه سنتين ، ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكاً فغلبه على مدينته وأخرجته منها ، ثم سارت إليه الجنود من العرب والترك فكان يُقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار ، وأقام في حصنه خمس عشرة سنة ، وصار ما وراء النهر لموسى ، لا يُعازره فيه أحد .

قال : وكان بقوميس رجل يُقال له عبد الله ، يجتمع إليه فتيان يتنادمون عنده في مؤونته ونفقتته ، فلزمه دين ، فأتى موسى بن عبد الله ، فأعطاه أربعة آلاف ، فأتى بها أصحابه ، فقال الشاعر يُعاتب رجلاً يُقال له موسى :

فما أنت موسى إذ يُناجى إلهه ولا واهب القينات موسى بن خازم
قال : فلما عزل يزيد وولّى المفضل خراسان أراد أن يحظى عند
الحجاج بقتال موسى بن عبد الله ، فأخرج عثمان بن مسعود - وكان يزيد
حبسه - فقال : إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله ، فقال : والله
لقد وترّني ، وإني لثائر بابن عمي^(١) ثابت وبالحزاعي ، وما يد أبليك

(١) س : « عمي » .

وأخيك عندي وعند أهل بيتي بالحسنة ، لقد حبستموني وشردتم بني عمي ، واصطفيتهم أموالهم . فقال له المفضل : ادع هذا عنك ، وسر فادرك بثأرك ، فوجهه في ثلاثة آلاف ، وقال له : مر منادياً فليناد : من لحق بنا فله ديوان ، فنادى بذلك في السوق ، فسارع إليه الناس . وكتب المفضل إلى مدرك وهو يتلخ أن يسير معه ، فخرج ، فلما كان يتلخ خرج ليلة يطوف في العسكر ، فسمع رجلاً يقول : قتلته والله ، فرجع إلى أصحابه ، فقال : قتل موسى ورب الكعبة !

١١٦٢/٢

قال : فأصبح فسار من يتلخ وخرج مدرك معه مشتاقلاً ، فقطع النهر فنزل جزيرة بالترمذ يقال لها اليوم جزيرة عمان - لنزول عمان بها في خمسة عشر ألفاً - وكتب إلى السبيل وإلى طرخون فقدموا عليه ، فحاصروا موسى ، فضيقوا عليه وعلى أصحابه ، فخرج موسى ليلاً فأتى كفتان ، فامتار منها ، ثم رجع فكث شهرين في ضيق ، وقد خندق عمان وحذر البيئات ، فلم يتقدّر موسى منه على غيرة ، فقال لأصحابه : حتى متى ! انخرجوا بنا فاجعلوا يومكم ؛ إما ظفرتم وإما قنيتم . وقال لهم : اقصدوا للصغد والترك ، فخرج وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة . وقال له : إن قتلت فلا تدفن المدينة إلى عمان ، وادفعها إلى مدرك بن المهلب . وخرج فصبر ثلث أصحابه بإزاء عمان وقال : لا تهايجوه إلا أن يقاتلكم ، وقصد لطرخون وأصحابه ، فصدم قوهم ، فانهزم طرخون والترك ، وأخذوا عسكرهم فجعلوا ينقلونه ، ونظر معاوية بن خالد بن أبي برزة إلى عمان وهو على برذون لخالد بن أبي برزة الأسلمي ، فقال : انزل أيها الأمير ، فقال خالد : لا تنزل فإن معاوية مشوم . وكرت الصغد والترك^(١) راجعة ، فحالوا بين موسى وبين الحصن ، فقالت لهم ، فعقير به فسقط ، فقال لمولى له : احملني ، فقال : الموت كريبه ، ولكن ارتد ، فإن نجونا نجونا جميعاً ، وإن هلكنا هلكنا جميعاً . قال : فارتد ، فنظر إليه عمان حين وثب فقال : وثبة موسى ورب الكعبة ! وعليه مغفر له موسى بخز أحمر

١١٦٢/٢

(١) ب : « الترك والصغد » .

في أعلاه^(٢) يا قوتة اسما نَجُونِيَّةَ ، فخرج من الخندق فكشفتوا أصحاب موسى .
فقصد لموسى ، وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه ، فابتدروه فانطروا
عليه فقتلوه ، ونادى منادى عثمان : لا تقتلوا أحداً ، من لقيتموه فخذوه
أسيراً .

قال : ففرق أصحاب موسى ، وأسير منهم قومٌ ، فعرضوا على عثمان ،
فكان إذا أتى بأسير من العرب قال : دماؤنا لكم حلال ، ودماؤكم علينا
حرام ! ويأمر بقتله ، وإذا أتى بأسير من الموالى شتمه ، وقال : هذه العرب
تقاتلني ، فهلاً غضبت لي ! فيأمر به فيشده . وكان فظاً غليظاً . فلم
يسلم عليه يومئذ أسيراً إلا عبد الله بن بُدَيْل بن عبد الله بن بُدَيْل بن
ورقاء ؛ فإنه كان مولاه ، فلما نظر إليه أعرض عنه وأشار بيده أن تخلوا عنه ،
ورقية بن الحر لما أتى به نظر إليه وقال : ما كان من هذا إلينا كبير ذنب ،
وكان صديقاً ثابتاً ، وكان مع قوم فتوى لهم ، والعجب كيف أسرتموه !
قالوا : طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسير ؛ فأطلقه وحمله ، وقال
لخالد بن أبي برزة : ليكن عندك . قال : وكان الذي أجهز على موسى
ابن عبد الله واصل بن طيسلة العنبري .

ونظر يومئذ عثمان إلى زُرعة بن علقمة السلمي والحجاج بن مروان
وسنان الأعرابي ناحية فقال : لكم الأمان ، فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه .
قال : وبقيت المدينة في يدي النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم ، فقال :
لا أدفعها إلى عثمان ، ولكني أدفعها إلى مُدرك ، فدفعها إليه وآمنه ، فدفعها
مُدرك إلى عثمان . وكتب المفضل بالفتوح إلى الحجاج ، فقال الحجاج : العجب
من ابن بهلة ! أمره بقتل ابن سمرة فيكتب إلى أنه لمآبه ويكتب إلى : إنه
قتل موسى بن عبد الله بن خازم ، قال : وقتل موسى سنة خمس وثمانين ،
فذكر البحري أن مغراء بن المغيرة بن أبي صفرة قتل موسى فقال :

وقد عركت بالترمد الخيل خازماً ونوحاً وموسى عركة بالكلاكل

(١) ب : « وفي أعلاه » .

قال : فضرب رجل من الجند ساقَ موسى ، فلما ولت قتيبة أخبر عنه فقال :
ما دعاك إلى ما صنعتَ بفتى العرب بعد موته ! قال : كان قَتَلَ أخى ،
فأمَرَ به قُتِيبة فقتل بين يديه .

* * *

[عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز]

وفي هذه السنة أراد عبدُ الملك بنُ مروانَ خلعَ أخيه عبدِ العزيز بنِ
مروان .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه :

ذكر الواقدي أن عبد الملك هم بذلك ، فسناه عنه قبيصة بن ذؤيب ،
وقال : لا تفعل هذا ، فإنك باعثٌ على نفسك صوتَ نعار ، ولعل الموتَ
يأتيه فتستريح منه ! فكفَّ عبدُ الملك عن ذلك ونفسه تنازعه إلى أن يخلعه .
ودخل عليه رَوْح بنُ زنباع الجندامي - وكان أجَلَ الناسِ عندَ عبدِ الملك -
فقال : يا أمير المؤمنين ، لو خلعتَه ما انتطَّح فيه عنزان ، فقال : ترى
ذلك يا أبا زرعة ؟ قال : إي والله ، وأنا أولُ من يُجيبك إلى ذلك ؛ فقال :
نصيح^(٢) إن شاء الله . قال : فبينما هو على ذلك وقد نامَ عبدُ الملك ورَوْح
ابنُ زنباع إذ دخل عليهما قبيصة بنُ ذؤيب طروقاً ، وكان عبدُ الملك قد
تقدّم إلى حُجابه فقال : لا يُحجب عنى قبيصة أى ساعة جاء من ليل أو نهار ،
إذا كنت خالياً أو عندي رجل واحد ، وإن كنت عند النساء أدخل المجلسَ
وأعلمتُ بمكانه فدخَلَ ، وكان الخاتمُ إليه ، وكانت السكّة إليه ، تأتبه الأخبارُ
قبل عبدِ الملك ، ويقرأ الكتبَ قبله ، ويأتى بالكتاب إلى عبدِ الملك منسجوراً
فيقرؤه ، إعظاماً لقبیصة - فدخَلَ عليه فسلم عليه وقال : آجرك الله يا أمير المؤمنين
في أخيك عبدِ العزيز ! قال : وهل تُوفى ؟ قال : نعم ، فاسترجع
عبدُ الملك ، ثم أقبل على رَوْح فقال : كفانا الله أبا زرعة ما كنا نريد
وما أجمعتنا عليه ، وكان ذلك مخالفاً لك يا أبا إسحاق ، فقال قبيصة :
ما هو ؟ فأخبره بما كان ؛ فقال قبيصة : يا أمير المؤمنين ، إن رأى كله

١١٦٥/٢

(١) ابن الأثير : عاره . (٢) ابن الأثير : نصيح .

في الأناة، والعجلة فيها ما فيها ، فقال عبدُ الملك : ربما كان في العجلة خيراً كثيراً ، رأيتَ أمرَ عمرو بنِ سعيد ، ألم تكن العجلة فيه خيراً من التأني !

* * *

[خبر موت عبد العزيز بن مروان]

وفي هذه السنة توفى عبدُ العزيز بنُ مروان بمصر في جمادى الأولى ، فضمَّ عبد الملك عمَلَه إلى ابنه عبدِ الله بن عبد الملك ، وولاه مصر .
وأما المدائني فإنه قال في ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه ، أن الحجاج كتَّب إلى عبد الملك يزيِّن له بيعة الوليد ، وأوفدَ وفداً في ذلك عليهم عمرانُ ابن عيصام العنزى ، فقام عمران خطيباً ، فتكلَّم وتكلَّم الوفد وحشوا عبد الملك ، وسألوه ذلك ، فقال عمران بنُ عيصام :

أمير المومنين إليك نهدي	على النأي التحية والسلاماً ^(١)
أجبتني في بنيك يكن جواي	لهم عادية ولنا قواماً
فلو أن الوليد أطاع فيه	جعلت له الخلافة والذماماً ^(٢)
شبهك حول قبته قريش	به يستمطر الناس الغماما
ومثلك في التقى لم يضب يوماً	لذن خلع القلائد والتماما
فإن تؤثر أخاك بها فإننا	وجدك لا نطبق لها أتهاما
ولكننا نحاذر من بنيه	بني العلات مآثرة سماما
ونخشى إن جعلت الملك فيهم	سحاباً أن تعود لهم جهاماً
فلايك ما حلبت غداً لقوم	وبعد غد بنوك هم العياما
فأقيم لو تخطاني عيصام	بذلك ما عذرت به عيصاما
ولو أنني حبت أخاً بفضل	أريد به المقالة والمقاما

(١) الأغاني ١٦ : ٥٨ (سامي) وفيه : « على الشحط » .

(٢) الأغاني : « جعلت له الإمامة » .

لَعَقَبَ فِي بَنِيَّ عَلَى بَنِيهِ كَذَلِكَ أَوْ لَرُمْتُ لَهُ مَرَامًا^(١)
 فَمَنْ يَكُ فِي أَقَارِبِهِ صُدُوعٌ فَصَدَعُ الْمَلِكِ أَبْطُوهُ التَّشَامَا
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا عِمْرَانُ ، إِنَّهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : احْتَلَّ لَهُ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ عَلِيٌّ : أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ قَبْلَ أَمْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، لِأَنَّ
 الْحِجَّاجَ بَعَثَ فِي ذَلِكَ عِمْرَانَ بْنَ عَصَامٍ ، فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَعْرَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ
 عَمَّا أَرَادَ حَتَّى مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْخَلَعَ أَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَيُبَايِعَ
 لَابْنَهُ الْوَلِيدَ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَصِيرَ هَذَا الْأَمْرَ لَابْنِ أَخِيكَ ! فَأَبَى ،
 فَكَتَبَ إِلَيْهِ : فَاجْعَلْهَا لِي مِنْ بَعْدِكَ ، فَإِنَّهُ أَعَزَّ الْخَلْقِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَكَتَبَ
 إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : إِنِّي أَرَى فِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا تَرَى فِي الْوَلِيدِ ،
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ قَطَعَنِي فاقطعه . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
 عَبْدُ الْمَلِكِ : أَحْمِلْ خِرَاجَ مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي
 وَإِيَّاكَ قَدْ بَلَغْنَا مِينًا لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَّا كَانَ بِقَاوِهِ قَلِيلًا ،
 وَإِنِّي لَا أَدْرِي وَلَا تَدْرِي^(٢) أَيُّنَا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ أَوَّلًا ! فَإِنْ رَأَيْتَ إِلَّا تَغَثَّ عَلَيَّ
 بَقِيَّةَ عَمْرِي فافعل .

فَرَفَعَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَعَمْرِي لَا أَغَثُّ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ ، وَقَالَ
 لَابْنَتِيهِ : إِنْ يُرَدُّ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكُمْوهَا لَا يَتَقَدَّرُ أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ .
 وَقَالَ لَابْنَتِيهِ : الْوَلِيدُ وَسَلِيمَانُ : هَلْ قَارَفْتُمَا حَرَامًا قَطُّ ؟ قَالَا : لَا وَاللَّهِ ،
 قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، نَلِئْتُمَاهَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !

قَالَ : فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَنْ يَجِيبَ عَبْدَ الْمَلِكِ إِلَى مَا أَرَادَ ، قَالَ
 عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ قَدْ قَطَعَنِي فاقطعه ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ أَهْلُ
 الشَّامِ : رَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهِ ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْحِجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِشِيرُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَكْتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ
 الْأَنْصَارِيَّ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنْ أَرَدْتَ رِجْلًا مَأْمُونًا فَاضْلَأْ عَاقِلًا وَدِيْعًا مُسْلِمًا

(١) ب : « أولزمت » .

(٢) ب : « ولا أرى » .

كَتَبُوا تَتَّخِذُهُ لِنَفْسِكَ، وَتَضَعُ عِنْدَهُ سِرِّكَ، وَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ، فَاتَّخِذْ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَحْمِلْهُ إِلَى . فَحَمَلَهُ ، فَاتَّخِذْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ كَاتِبًا . قَالَ مُحَمَّدٌ : فَلَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ كِتَابٌ إِلَّا دَفَعَهُ إِلَى ، وَلَا يَسْتَرُ شَيْئًا إِلَّا أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَكَتَمَهُ النَّاسَ ، وَلَا يَكْتُبُ إِلَى عَامِلٍ مِنْ عَمَالِهِ إِلَّا أَعْلَمَنِيهِ ، فَإِنِّي لَجَالِسٌ يَوْمًا نِصْفَ النَّهَارِ إِذَا بَسْرِيْدٌ قَدِ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، فَقَالَ : الْإِذْنَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قُلْتُ : لَيْسَتْ هَذِهِ سَاعَةٌ إِذْنَ ، فَأَعْلَمْنِي مَا قَدْ قَدِمْتَ لَهُ ، قَالَ : لَا . قُلْتُ : فَإِنْ كَانَ مَعَكَ كِتَابٌ فَادْفَعْهُ إِلَى . قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَبْلَغَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ نِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَخَرَجَ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قُلْتُ : رَسُولٌ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، قَالَ : فَخُذْ الْكِتَابَ ، قُلْتُ : زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ كِتَابٌ ، قَالَ : فَسَلَّهُ عَمَّا قَدِمَ لَهُ ، قُلْتُ : قَدْ سَأَلْتُهُ فَلَمْ يُخَبِّرْنِي ، قَالَ أَدْخِلْهُ ، فَأَدْخَلْتُهُ ، فَقَالَ : آجْرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ ! فَاسْتَرْجَعَ وَبَكَى وَوَجَّهَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمَ اللَّهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ ! مَضَى وَاللَّهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ لَشَأْنِهِ ، وَتَرَكَنَا وَمَا نَحْنُ فِيهِ ، ثُمَّ بَكَى النِّسَاءُ وَأَهْلَ الدَّارِ ، ثُمَّ دَعَانِي مِنْ غَدٍ ، فَقَالَ : إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَلَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ عِلْمِهِ وَقَائِمٌ يَقُومُ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي ، فَمَنْ تَرَى ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَيِّدَ النَّاسِ وَأَرْضَاهُمْ وَأَفْضَلُهُمُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : صَدَقْتَ وَفَقَكَ اللَّهُ ! فَمَنْ تَرَى أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ ^(١) ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْنَ تَعْلَمُهَا عَنْ سُلَيْمَانَ فَتَى الْعَرَبِ ! قَالَ : وَفَقْتُ ، أَمَا إِنَّا لَو تَرَكَنَا الْوَلِيدَ وَإِيَّاهَا لَجَعَلْتَهَا لِبَنِيهِ ، أَكْتُبُ عَنْهَا لِلْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَكُتِبَتْ بَيْعَةُ الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ . فَغَضِبَ عَلَى الْوَلِيدِ فَلَمْ يُؤَلِّنِي شَيْئًا حِينَ أَشْرْتُ بِسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ .

١١٦٩/٢

قَالَ عَلِيٌّ ، عَنْ ابْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيِّ أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ لِبَيْعَةِ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ ، فَبَايَعُوا غَيْرَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَإِنَّهُ أَبِي ، وَقَالَ : لَا أَبَايَعُ وَعَبْدَ الْمَلِكِ حَتَّى ؛ فَضْرَبَهُ هِشَامُ ضَرْبًا

(١) ب : « ثم من » ، ر : « ثم قال من » .

(٢) ب : « ابن جعدة » . ر : « عن أبي جعدة » .

مُبْرَحًا وَالْبَسَّةَ الْمَسُوحَ ، وَسَرَّحَهُ إِلَى ذَبَابٍ - ثَنِيَّةَ بِالْمَدِينَةِ كَانُوا يُقْتَلُونَ عِنْدَهَا وَيُصَلَّبُونَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ . فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ رَدَّوهُ ، فَقَالَ : لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَا يَصَلَّبُونِي مَا لَبَسْتُ سِرَاوِيلَ مَسُوحٍ ، وَلَكِنْ قُلْتُ : يَصَلَّبُونِي فَيَسْتَرْنِي . وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَبْرُ ، فَقَالَ : قَبِحَ اللَّهُ هَشَامًا ! إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَإِنْ أَبِي يَضْرِبُ عُنُقَهُ ، أَوْ يَكْفُ عَنْهُ .

١١٧٠/٢

* * *

[بيعة عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنَيْهِ : الْوَلِيدَ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِسُلَيْمَانَ ، وَجَعَلَهُمَا وَلِيَّيْ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَتَبَ بِبَيْعَتِهِ لِهَٰمَا إِلَى الْبُلْدَانِ ، فَبَايَعَ النَّاسَ ، وَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيَّبِ . فَضْرِبَهُ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ - وَهُوَ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ - وَطَافَ بِهِ وَحَبَسَهُ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هَشَامٍ يَلُومُهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَالَ ضَرْبَهُ سَتِينَ سَوَاطِنًا ، وَطَافَ بِهِ فِي تَبْيَانٍ^(١) شَعَرَ حَتَّى بَلَغَ بِهِ رَأْسَ الثَّنِيَّةِ .

وَأَمَّا الْحَارِثُ فَإِنَّهُ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو الْوَاقِدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا : اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفِ الزَّهْرِيِّ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيَّبِ : لَا ، حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَضْرِبَتْهُ سَتِينَ سَوَاطِنًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ إِلَى جَابِرٍ يَلُومُهُ ، وَقَالَ : مَا لَنَا وَلِسَعِيدٍ ، دَعَا !

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو أَخْبَرَهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ تَوَفَّى بِمِصْرَ فِي جِسَادِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، فَعَقَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنَيْهِ الْوَلِيدَ وَسُلَيْمَانَ الْعَهْدَ ، وَكَتَبَ بِابْتِيعَةِ هَٰمَا إِلَى الْبُلْدَانِ ، وَعَامِلُهُ يَوْمَئِذٍ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيُّ ،

١١٧١/٢

(١) تَبْيَانٌ : سِرَاوِيلٌ صَغِيرَةٌ يَسْتَرُ الْعَوْرَةَ .

فدعا الناسَ إلى البيعة ، فبايعَ الناسُ ، ودعا سعيد بن المسيَّب أن يبايع
لهما ، فأبى وقال : لا حتى أنظر ، فضرَّبه هشام بن إسماعيل ستين سوطاً ،
وطاف به في تُبَّانِ شِعْرٍ حتى بلغ به رأسَ الثنية ، فلما كرَّوا به قال : أين
تكرُّون^(١) بي ؟ قالوا : إلى السجن ؛ قال : والله لولا أني^(٢) ، ظننتُ أنه
الصلب لما لبست هذا التُّبَّانَ أبداً . فردَّه^(٣) إلى السجن ، وحبَّسه^(٤) وكتبَ
إلى عبد الملك يُخبره بخلافه^(٥) ، وما كان من أمره ، فكتب إليه عبد الملك
يلومه فيما صنَّع ويقول : سعيدٌ والله كان أحوجَ أن تصل رحمته من أن
تضرَّبه ، وإنا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خِلاف .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بن إسماعيل المخزومي ، كذلك حدَّثنا
أحمدُ بنُ ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج بن يوسف .

(١) ر : « تكررون » .
(٢) ب : « إنني » .
(٣) ب : « فردوه » .
(٤) ب : « فحبسه » .
(٥) ب : « بنجر خلافته » .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[خبر وفاة عبد الملك بن مروان]

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ هَلَاكُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ مَهْلِكُهُ فِي النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ مِنْهَا . حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرَ، قَالَ : تَوَفَّى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ^(١)، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ^(٢).

وَأَمَّا الْحَارِثُ فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ : حَدَّثَنِي شُرَّحْبِيلُ بْنُ أَبِي عَتُونَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : أَجْمَعَ^(٣) النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ سَنَةَ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ .

قَالَ ابْنُ عَمْرٍو : وَحَدَّثَنِي أَبُو مَعْشَرَ نَجِيحٌ، قَالَ : مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِدِمَشْقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ، فَكَانَتْ^(٤) وَلايَتُهُ مِنْذَ^(٥) يَوْمِ بُوَيْجِ إِلَى يَوْمِ تُوَفَّى إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا وَنِصْفًا، كَانَ^(٦) تِسْعَ سِنِينَ مِنْهَا يُقَاتِلُ فِيهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَيَسْلَمُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ بِالشَّامِ، ثُمَّ بِالْعِرَاقِ بَعْدَ مَقْتَلِ مِصْعَبٍ، وَبَقِيَ بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ، فَإِنَّهُ - فِيمَا حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ عَنْهُ - قَالَ : مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ بِدِمَشْقَ، وَكَانَتْ وَلايَتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

(١) بعدها في س : « بدمشق » .

(٢) ب : « اجتمع » .

(٣) ب : « من يوم بويج » .

(٤) بعدها في س : « وذلك بعد موت ابن الزبير » .

(٥) ب : « وكانت » .

(٦) ب : « وكان » .

ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفى

اختلف أهل السيرة في ذلك، فكان أبو معشر فيه - ما حدثني الحارث عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، قال: حدثني أبو معشر نجيح. قال: مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة. قال الواقدي: وقد روي لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة. قال: والأول أثبت. وهو على مولده، قال: وولد سنة ست وعشرين في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وشهيد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين. وقال المدائني علي بن محمد - فيما ذكر، أبو زيد عنه: مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ذكر نسبه وكنيته

أما نسبه، فإنه عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف. وأما كنيته فأبو الوليد. وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وله يقول ابن قيس الرقيبات:

أنت ابن عائشة التي فضلت أروم نساها^(١)
لم تلتفت ليلداتها ومضت على غدوائها

* * *

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر - درج^(٢) - وعائشة؛ أمهم ١٧٤/٢
ولادة بنت العباس بن جزيء بن الحارث بن زهير بن جنديمة بن رباحة بن

(٢) درج، أي مات صغيراً.

(١) ديوانه ١١٧.

ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيْبَةَ بن عَبَّس بن بَغِيض .
 ويزيد، ومَرْوَان، ومعاوية - دَرَج - وأمّ كُثُوم، وأمهم عاتكة بنت
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
 وهشام، وأمّه أمّ هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن
 المغيرة المخزومي . وقال المدائني : اسمها عائشة بنت هشام .
 وأبو بكر، واسمُه بكار، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبّيدالله،
 والحكّم - دَرَج - أمّه أمّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان .
 وفاطمة بنت عبد الملك، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص
 ابن هشام بن المغيرة .
 وعبد الله ومسلّمَة والمنذر وعنيسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج ؛ لأمهات
 أولاد .

* * *

قال المدائني : وكان له من النساء - سوى من ذكرنا - شقراء بنت سلّمة
 ابن حلبس الطائي، وابنة لعلّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأمّ أبيها بنت
 عبد الله بن جعفر .

وذَكَرَ المدائني، عن عوانة وغيره أن سلّمة بن زيد بن وهب بن نُبَاتَةَ
 الفهمي دخل على عبد الملك فقال له : أيّ الزمان أدركت أفضل ؟ وأيّ
 الملوك أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أرَ إلاّ ذاماً وحامداً ؛ وأما الزمان فيترفع
 أقواما ويضع أقواما، وكلهم يتدّم زمانه لأنه يسبلي جديدهم، ويهرم صغيرهم،
 وكلّ ما فيه منقطع غير الأمل ؛ قال : فأخبرني عن فتهم ، قال : هم
 كما قال من قال :

١١٧٥/٢

دَرَجُ اللَّيْلِ النَّهَارَ عَلَى فَهٍ مـ بن عمرو فأصبحوا كالرّميمـ
 وَخَلَّتْ دَارُهُمْ فَأُضْحَتْ يَبَاباً بَعْدَ عَزٍّ وَثَرَوَةٍ وَنَعِيمـ
 كَذَلِكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بِالنَّا س وَتَبَقِيَ دِيَارُهُمْ كَالرُّسُومـ

قال : فمن يقول منكم^(١) :

رَأَيْتُ النَّاسَ مَذْخُلُقُوا وَكَانُوا
وإن كَانَ الْغَنِيُّ قَلِيلَ خَيْرٍ
فَمَا أَذْرَى عَلَامَ وَفِيمَ هَذَا
أَلِدُنْيَا ؟ فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنْيَا
يُحِبُّونَ الْغَنِيَّ مِنَ الرُّجَالِ
بَخِيلًا بِالْقَلِيلِ مِنَ النَّوَالِ
وَمَاذَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْبِخَالِ^(٢) !
وَلَا يُرْجَى لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي

قال : أنا .

قال عليّ : قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عتبة بن أبي معيط
لعبد الملك بن مروان :

نَبِّئْتُ أَنَّ ابْنَ الْقَلَمَسِ عَابَنِي
فَأَبْصَرَ سُبُلَ الرُّشْدِ سَيِّدُ قَوْمِهِ
فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ هَا خَبَرُونَا مِنْ أَنْتُمْ ؟
وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الصَّحِيحِ الْمَسْلَمِ^(٣) !
وَقَدْ يُبْصِرُ الرُّشْدَ الرَّئِيسُ الْمَعْمَمُ
وَقَدْ جَعَلْتَ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ

١١٧٦/٢

فقال عبد الملك : ما كنت أرى أن مثلنا يقال له : من أنتم ! أما
والله لولا ما تعلم لقلت قولا أحقكم بأصلكم الخبيث ، ولضربتك حتى
تموت .

وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبي لعبد الملك :

يَا بَنَ أَبِي الْعَاصِ وَيَا خَيْرَ فَتَى
أَنْتَ الَّذِي لَا يَجْعَلُ الْأَمْرَ سُدى
إِنَّ أَبَا الْعَاصِي فِي ذَاكَ أَعْتَصَى
إِنْ يَسْعُرُوا الْحَرْبَ وَيَأْبُوا مَا أَبِي
شَزْرًا وَوَضَلًا لِلسُّيُوفِ بِالْخُطَا
أَنْتَ سِدَادُ الدِّينِ إِنْ دِينٌ وَهَى^(٤)
جِيبتُ قَرِيشَ عَنْكُمْ جُوبَ الرَّحَى
أَوْصَى بَنِيهِ فَوَعَوْا عَنْهُ الْوَصَى
الطَّاعِنِينَ فِي النُّحُورِ وَالْكُلَى
إِلَى الْقِتَالِ فَحَوَّوْا مَا قَدْ حَوَى

(٢) البغال : جمع بخيل ، مثل كريم وكرام .

(٣) الأغاني ١ : ٣٤ ، والقلمس : الرجل الداهية .

(٤) الأغاني ١٣ : ١٦٩ ، مع اختلاف في الرواية .

وقال أعشى بنى شيبان :

عرفت قريش كلها لبتى أبى العاص الإمارة
 لأبرها وأحقها عند المشورة بالإشارة
 المانعين لِمَا ولُوا والنافعين ذوى الضرارة
 وَهُمْ أَحَقُّهُمْ بها عند الحلاوة والمرارة

وقال عبد الملك : ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر منى ، وإن
 ابن الزبير لطويل الصلاة ، كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن
 يكون سائساً .

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بُويِعَ للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فبَدُّ كِرْأَنَهُ لَمَّا دَفِنَ أباه وانصرف عن قبره، دَخَلَ المسجدَ فصعد المنبرَ، واجتَمَعَ إليه الناسُ، فَخَطَبَ فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة. قوموا فبايعوا. فكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولي، فإنه قام وهو يقول:

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا وقد أراد المُلْحِدُونَ عَوَقَهَا
عَنكَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلَدُوكَ طَوْقَهَا
فبايعته، ثم تتابع الناسُ على البيعة.

١١٧٨/٢

وأما الواقدي فإنه ذكر أن الوليد لما رجع من دفن أبيه، ودفن خارج باب الحابية، لم يدخل منزله حتى صعد على منبر دمشق، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

أيها الناس، إنه لا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ اللهُ، ولا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ اللهُ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتبت على أنبيائه وحملة عرشه الموت. وقد صار إلى منازل الأبرار ولي هذه الأمة الذي يحق عليه الله من الشدة على المرئيب، والدين لأهل الحق والفضل، وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وأعلامه؛ من حجج هذا البيت، وغزوة هذه الثغور، وشن هذه الغارة على أعداء الله، فلم يكن عاجزاً ولا مُفْرَطاً. أيها الناس، عليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، فإن الشيطان مع الفرد. أيها الناس، من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيِّناه، ومن سكت مات بدائه.

ثم نزل، فنظر إلى ما كان من دواب الخلافة فحمازه، وكان جباراً عنيداً.

[ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج]

وفي هذه السنة قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج . فذكر علي بن محمد أن كليب بن خديف ، أخبره عن طفيل ابن مرداس العمي^(١) والحسن بن رشيد . عن سليمان بن كثير العمي ، قال : أخبرني عمي قال : رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ست وثمانين ، فقدم والمفضل يعرض الجند ، وهو يريد أن يغزو آخرون وشومان ، فخطب الناس قتيبة . وحثهم على الجهاد . وقال : إن الله أحلتكم هذا الخلل ليُعزَّ دينه ، ويذبَّ بكم عن الحرمات . ويزيد بكم المال استفاضة . والعدو وقمًا^(٢) . ووعده نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق . وكتاب ناطق . فقال : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأوكره المشركون ﴾^(٣) . ووعده المجاهدين في سبيله أحسن الثواب . وأعظم الذخر عنده فقال : ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ﴾ ، إلى قوله : ﴿ أحسن ما كانوا يعملون ﴾^(٤) . ثم أخبر عن قتيل في سبيله أنه حي مرزوق . فقال : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾^(٥) . فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم ، وإيتاي والهويني .

* * *

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكرع ، وسار واستخلف بمرو على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو ، وعلى الحجاج عثمان بن السعدى^(٦) ، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلسخ وبعض عظمائهم فساروا معه ، فلما قطع النهر تلقاه تيش^(٧) الأعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من

(١) ب : « العمي » . (٢) الوقم : الذل . (٣) سورة الصف ٩ .

(٤) سورة التوبة ١٢٠ ، ١٢١ . (٥) سورة آل عمران ١٦٩ .

(٦) ابن الأثير : « عثمان السعدى » . (٧) ط : « بيش » .

ذهب ، فدعاه إلى بلاده ، فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ، ودعاه إلى بلاده ، فمضى مع بيش إلى الصغمانيان ، فسلم إليه بلاده ، وكان ملك أخرون وشومان قد أساء جوار تيش وغزاه وضيّق عليه ، فسار قتيبة إلى أخرون وشومان - وهما من طُخارستان ، فجاءه غشتاسبان^(١) فصالحه على فدية أداها إليه ، فتقبلها قتيبة ورضى ، ثم انصرف إلى مرو ، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، وتقدم بجندة فسبقتهم إلى مرو ، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة بأسارا ، وكان معه نصر بن سيار فابلى يومئذ ، فوهب له قرية تدعى تنجانة ، ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ .

قال : وأما الباهليّون فيقولون : قدم قتيبة خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند ، فكان جميع ما أحصوا من الدرّوع في جند خراسان ثلاثمائة وخمسين درعاً ، فغزا أخرون وشومان ، ثم قفل فركب السفن فأنحدر إلى أمّ ، وخلف الجند ، فأخذوا طريق بلخ إلى مرو ، وبلغ الحجّاج ، فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند ، وكتب إليه : إذا غزوت فكن في مقدّم الناس ، وإذا قفلت فكن في أخرياتهم وساقستهم .

وقد قيل : إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة على بلخ ، لأن بعضها كان منتقضا عليه ، وقد ناصب المسلمين ، فحارب أهلها ، فكان ممن سبى امرأة برمك ، أبي خالد بن برمك - وكان برمك على الثوبهار - فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير ، أخي قتيبة بن مسلم ، فوقع عليها ، وكان به شيء من الجذام . ثم إن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة ، فأمر قتيبة برد السبى ، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم : يا تازى ، إنى قد علققت منك . وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة ، فأوصى أن يلحق به ما فى بطنها ، وردت إلى برمك ، فذكر أن ولد عبد الله بن مسلم جاءوا أيام المهدي حين قدم الرى إلى خالد ، فادعوه ، فقال لهم مسلم بن قتيبة : إنه لا بد لكم إن

(١) ط : « غسشتان » .

استلحقتموه ففعل من أن تزوتجوه ، فتركوه وأعرضوا عن دعواتهم .
وكان برمك طبيبا ، فدأوى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به .

• • •

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم .
وفيها حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب ، وعزل حبيب بن
المهلب عن كرمان ، وعبد الملك بن المهلب عن شرطته .

١١٨٢/٢

* * *

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف . وعلى
الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل . وعلى الحرب بها من قبل
الحجاج زياد بن جرير بن عبد الله . وعلى البصرة أيوب بن الحكم . وعلى
خراسان قتيبة بن مسلم .

٤

ثم دخلت سنة سبع وثمانين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن المدينة ،
ووردَ عزله عنها - فيما ذكر - ليلة الأحد لسبع ليال خلون من شهر
ربيع الأول سنة سبع وثمانين . وكانت إمرته^(١) عليها أربع سنين غير شهر
أو نحوه .

* * *

[خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة]

وفي هذه السنة ولي الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة . قال الواقدي :
قدمها والياً في شهر ربيع الأول ؛ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وولد
سنة اثنتين وستين .

قال : وقدم على ثلاثين بعيراً ، فنزل دار مروان . قال : فحدثني
عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : لما قدم عمر بن عبد العزيز
المدينة ونزل دار مروان دخل عليه الناس فسلموا ، فلما صلى الظهر دعا
عشرة من فقهاء المدينة : عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ،
وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة^(٢) ، وسليمان بن
يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله
ابن عمرو ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد ؛ فدخلوا عليه
فجلسوا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق ،
ما أريد أن أقطع أمراً إلاّ برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً

(١) ب : « إمرته » .

(٢) ط : « خيشمة » ، وانظر الفهرس .

يتعدى ، أو بلغتكم عن عامل لى ظلامه ، فأحرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغنى .

فخرجوا يُجزونه خيراً ، وافترقوا .

قال : وكتب الوليدُ إلى عمرَ يأمره أن يقف هشامَ بن إسماعيلَ للناس ، وكان فيه سببُ الرأى .

قال الواقدي : فحدثني داودُ بن جبير ، قال : أخبرتني أمّ ولد سعيد بن المسيب أن سعيداً دعا ابنه ومواليه فقال : إن هذا الرجل يُوقف للناس - أو قد وقف - فلا يتعرض له أحدٌ ولا يؤذيه بكلمة ، فإنما ستترك ذلك لله وللرحيم ، فإن كان ما علمتُ لسببِ النظر لنفسه ، فأما كلامه فلا أكلمه أبداً .

قال : وحدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر ، عن أبيه ، قال : كان هشامُ بن إسماعيلَ يسىء جوارنا ويؤذينا ، ولقي منه على بن الحسين أذى شديداً ، فلما عزل أمر به الوليدُ أن يُوقف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من على بن الحسين . فمر به على وقد وقف عند دار مروان ، وكان على قد تقدم إلى خاصته ألا يتعرض له أحد منهم بكلمة ؛ فلما مر ناداه هشامُ بن إسماعيلَ : الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

١١٨٤/٢

* * *

[خبر صلح قتيبة ونيزك]

وفي هذه السنة قدّم نيزك على قتيبة ، وصالح قتيبة أهل باذغيس على ألا يدخلها قتيبة .

• ذكر الخبر عن ذلك :

• ذكر على بن محمد أن أبا الحسن الجشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان ، وجبله بن فروخ عن محمد بن المثني ، أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين ، وكتب إليه قتيبة حين صالح مملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم ، ويهدده^(١) في كتابه ،

(١) ب : • وتهده • .

فخافته^(١) نيزك ، فأطلق الأسرى ، وبعث بهم إلى قتيبة ، فوجه إليه قتيبة سلباً الناصح مولى عبید الله بن أبي بكره يدعو إلى الصلح وإلى أن يؤمنه ، وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله : لئن لم يقدم عليه ليغزونه ، ثم ليطلبته حيث كان ، لا يقطع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك . فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة - وكان يستنصحه - فقال له : يا سليم ، ما أظن عند صاحبك خيراً ، كتبت إلى كتاباً لا يكتب إلى مثلي ! قال له سليم : يا أبا الهيثاج ، إن هذا رجل شديد في سلطانه ، سهل إذا سهيل ، صعب إذا عوسر ، فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك ، فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر ! فقدم نيزك مع سليم على قتيبة ، فصالحه أهل باذغيس في سنة سبع وثمانين على ألا يدخل باذغيس .

[خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم]

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم، ومعه يزيد بن جبير ، فلقى الروم في عدد كثير بسوسة من ناحية المصبيصة . قال الواقدي : فيها لاقى مسلمة ميمونا الجرجماني ومع مسلمة نحو من ألف مقاتل من أهل أنطاكية عند طوانة ، فقتل منهم بشراً كثيراً ، وفتح الله على يديه حصوناً .

وقيل : إن الذي غزا الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ، ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الأخرم وحصن بولس وقمم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل ، وسبي^(٢) ذراريهم ونساءهم .

[خبر غزو قتيبة بيكند]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بيكند .

• ذكر الخبر عن غزوته هذه :

(٢) ر : « وساق » .

(١) ب : « مخافة » .

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ أَبَا الذِّيَالِ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ إِيَّاسٍ . عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حُسَيْنٍ ^(١) بْنِ مُجَاهِدِ الرَّازِيِّ وَهَارُونَ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ يُونُسِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقٍ وَغَيْرِهِمْ ، أَنَّ قَتَيْبَةَ لَمَّا صَالَحَ نِيْزَكَ أَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْغَزْوِ ، ثُمَّ غَزَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ - سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ - بِيكَنْدَ ، فَسَارَ مِنْ مَرَّوٍ وَأَتَى مَرَّوَ الرَّوْدِ ، ثُمَّ أَتَى آمُلَ ! ثُمَّ مَضَى إِلَى زَمٍّ فَقَطَعَ النَّهْرَ ، وَسَارَ إِلَى بِيكَنْدَ - وَهِيَ أَدْنَى مَدَائِنِ بُخَارَى إِلَى النَّهْرِ ، يُقَالُ لَهَا مَدِينَةُ التَّجَارِ عَلَى رَأْسِ الْمَفَازَةِ مِنْ بُخَارَى - فَلَمَّا نَزَلَ بَعَثُوا تَهُمَ اسْتَنْصَرُوا الصُّغُنْدَ . وَاسْتَمَدُوا مَنْ حَوْلَهُمْ . فَأَتَوْهُمْ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَأَخَذُوا بِالطَّرِيقِ ، فَلَمْ يَنْفِذْ لِقَتَيْبَةَ رَسُولٌ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ رَسُولٌ ، وَلَمْ يَجْرِ لَهُ خَيْرٌ شَهْرَيْنِ ، وَأَبْطَأَ خَيْرُهُ عَلَى الْحِجَّاجِ . فَأَشْفَقَ الْحِجَّاجُ عَلَى الْبَلْعَدِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالِدَّعَاءِ لَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ . وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْصَارِ وَهُمْ يَتَقَتِلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

قال : وكان لقُتَيْبَةَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهُ تَنْدَرٌ ^(٢) . مِنَ الْعَجَمِ . فَأَعْطَاهُ أَهْلُ بُخَارَى الْأَعْلَى مَالًا عَلَى أَنْ يَنْفِثَ عَنْهُمْ قَتَيْبَةَ ؛ فَأَتَاهُ . فَقَالَ : أَخْلِنِي ، فَتَهَيَّضَ النَّاسُ وَاحْتَبَسَ قَتَيْبَةَ ضِرَّارَ بْنَ حَمَّانِ الضَّبِّيِّ . فَقَالَ تَنْدَرٌ : هَذَا عَامِلٌ يَتَقَدَّمُ عَلَيْكَ ، وَقَدْ عَزَلَ الْحِجَّاجُ ؟ فَلَوْ انصرفتَ بِالنَّاسِ إِلَى مَرَّوٍ ! فَدَعَا قَتَيْبَةَ سَيِّئًا مَوْلَاهُ ، فَقَالَ : اضْرِبْ عُنُقَ تَنْدَرٍ ، فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَضِرَّارٍ : لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَعْلَمُ هَذَا الْخَبْرَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ، وَإِنِّي ^(٣) أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا إِنْ ظَهَرَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى تَنْقُضِيَ حَرْبَنَا هَذِهِ لِأَلْحَقْنِكَ بِهِ ؛ فَاْمَلِكْ لِسَانَكَ ، فَإِنْ انْتَشَرَ هَذَا الْحَدِيثُ يَنْفُتَ فِي أَعْضَادِ النَّاسِ . ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ .

قال : فدخلوا ، ففراعتهم قتلُ تَنْدَرٍ ، فَوَجَمُوا وَأَطْرَقُوا ، فَقَالَ قَتَيْبَةَ : مَا يَرَوْعُكُمْ مِنْ قَتْلِ عَبْدِ أَحَاذِنَةِ اللَّهِ ! قَالُوا : إنا كنا نظننه ناصحًا للمسلمين ، قال : بل كان غاشيًا ^(٤) فأحازنه الله بذنبيه ، فقد مضى لسبيله ، فاغدوا على

(١) ب : « وحصين » .

(٢) ر : « تندر » .

(٣) ب : « فاني » .

(٤) بعدها في ب : « لم » .

قتال عدوكم ، والقوم بغير ما كنتم تطلقونهم به . فغدا الناس متأهبين ،
وأخذوا مصافحهم ، ومشي قتيبة فحضر أهل الرايات ، فكانت بين الناس
مُساولة^(١) ، ثم تزاحفوا^(٢) والتقوا ، وأخذت السيوف مأخذها ، وأنزل الله على
المسلمين الصبر ، فقاتلوهم حتى زالت الشمس ، ثم منحه الله المسلمين
أكتافهم ، فانهزموا يريدون المدينة ، واتبعهم المسلمون فشغلوهم عن الدخول
فتفرقوا ، وركبهم المسلمون قتلاً وأسرًا كيف شاءوا ، واعتصم من دخل
المدينة بالمدينة ، وهم قليل ، فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهدمها . فسأله
الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم رجلا من بني قتيبة .

وارتحل عنهم يريد الرجوع ، فلما سار مرحلة أو ثنتين ، وكان منهم على
خمس فراسخ نفضوا وكفروا ، فقتلوا العامل وأصحابه ، وجدعوا
أنفهم وآذانهم ، وبلغ قتيبة فرجع إليهم ، وقد تحصنوا . فقاتلهم
شهرًا ، ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها^(٣) بالحشب ، وهو يريد إذا
فرغ من تعليقها أن يحرق الحشب فتهدم ، فسقط الحائط وهم يعلقونه .
فقتل أربعين من الفعلة ، فطابوا الصلح ، فأبى وقاتلهم ، فظفر بهم
عشوة ، فقتل من كان فيها من المقاتلة ، وكان فيمن أخذوا في المدينة رجُل
أعور كان هو الذي استجاش التُّرك على المسلمين ، فقال لقتيبة : أنا أفدي
نفسى ، فقال له سُلَيْم الناصح : ما تبذل ؟ قال : خمسة آلاف حريرة
صينية قيمتها ألف ألف ، فقال قتيبة : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن فداءه
زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كَيْد هذا ! قال : لا
والله لا تُروِّع بك مسلمة أبدًا ، وأمر به فقتل .

قال علي : قال أبو الذِّيال ، عن المهلب بن إياس ، عن أبيه والحسن
ابن رُشيد ، عن طُفَيْل بن مِرْداس ، أن قتيبة لما فتح بيكند أصابوا فيها
من آنية الذهب والفضة ما لا يُحصى ، فولى الغنائم والقسم عبد الله بن وألان
العدوى أحد بني مَلَكان - وكان قتيبة يسميه الأمين ابن الأمين - وإياس بن

(١) ب : « مساواة » . والمساولة : القتال بالرمح . (٢) ب : « تراجعوا » .

(٣) ب : « فعلقها » .

بَيْتِهِسَ الْبَاهِلِيَّ ، فَأَذَابَا الْآنِيَّةَ وَالْأَصْنَامَ فَرَفَعَاهُ إِلَى قَتِيْبَةِ ، وَرَفَعَاهُ إِلَيْهِ
خَبَيْتَ مَا أَذَابَنَا ، فَوَهَبَهُ لَهَا ، فَأَعْطِيَا بِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَأَعْلَمَاهُ فَرَجَعَ
فِيهِ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يُذَيِّبَاهُ فَأَذَابَاهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ أَلْفٌ مِثْقَالٌ -
أَوْ خَمْسُونَ أَلْفٌ مِثْقَالٌ - وَأَصَابُوا فِي بَيْكَنْدَ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَصَارَ فِي أَيْدِي
الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْكَنْدَ شَيْءٌ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهُ بِخُرَاسَانَ . وَرَجَعَ قَتِيْبَةُ إِلَى مَرَوْ ،
وَقَتَوَى الْمُسْلِمُونَ ، فَاشْتَرَوْا السِّلَاحَ وَالْحَيْلَ ، وَجُلِبَتْ إِلَيْهِمُ الدَّوَابُّ ، وَتَنَافَسُوا
فِي حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَالْعُدَّةِ ، وَغَالَتُوا بِالسِّلَاحِ حَتَّى بَلَغَ الرَّمْحُ سَبْعِينَ ؛ وَقَالَ
الْكُمَيْتُ :

١١٨٩/٢

وَيَوْمَ بَيْكَنْدَ لَا تُحْصِي عَجَائِبُهُ وَمَا بُخَارَاءُ مِمَّا أَخْطَأَ الْعَدَدُ

وَكَانَ فِي الْخَزَائِنِ سِلَاحٌ وَآلَةٌ مِنْ آلَةِ الْحَرْبِ كَثِيرَةٌ ، فَكَتَبَ قَتِيْبَةُ
إِلَى الْحِجَّاجِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي دَفْعِ ذَلِكَ السِّلَاحِ إِلَى الْجُنُودِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَخْرَجُوا
مَا كَانَ فِي الْخَزَائِنِ مِنْ عُدَّةِ الْحَرْبِ وَآلَةِ السَّفَرِ ، فَتَقَسَّمَهُ فِي النَّاسِ ،
فَاسْتَعَدُّوا ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّبِيعِ نَدَبَ النَّاسَ وَقَالَ : إِنِّي أَغْزِيكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا
إِلَى حَمَلِ الزَّادِ ، وَأَنْتَقِلْكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى الْإِدْفَاءِ ؛ فَسَارَ فِي عُدَّةِ
حَسَنَةٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَالسِّلَاحِ ، فَأَتَى أَمْلَ ، ثُمَّ عَبَرَ مِنْ زَمٍّ إِلَى بُخَارَى ،
فَأَتَى نَوْمِشْتَكَّتْ - وَهِيَ مِنْ بُخَارَى - فَصَالِحُوهُ .

قَالَ عَلِيٌّ : حَدَّثَنَا أَبُو الذِّيَالِ ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، أَنَّ مُسْلِمًا
الْبَاهِلِيَّ قَالَ لِوَأَلَانٍ : إِنَّ عِنْدِي (١) مَالًا أَحَبَّ أَنْ أَسْتَوْدِعَكَهُ ،
قَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا أَوْ لَا تَكْرَهُ أَنْ يَتَلَمَّهَ النَّاسُ ؟ قَالَ : أَحِبُّ أَنْ
تَسْكُتَهُ ؛ قَالَ : ابْعَثْ بِهِ مَعَ رَجُلٍ تَشِيقُ بِهِ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، وَمُرَّهُ
إِذَا رَأَى رَجُلًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَنْ يَتَّضِعَ مَا مَعَهُ وَيَتَصَرِّفُ ؛ قَالَ : نَعَمْ ،
فَجَعَلَ مُسْلِمَ الْمَالِ فِي نَحْرُجٍ ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى بَعْلِ وَقَالَ لِمَوْلَى لَهُ : انْطَلِقْ
بِهَذَا الْبَعْلَ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا جَالِسًا فَخَلِّ عَنْ الْبَعْلَ
وَانصَرِفْ . فَانطَلَقَ الرَّجُلُ بِالْبَعْلِ . وَقَدْ كَانَ وَأَلَانُ أَتَى الْمَوْضِعَ لِمَبَاعَدِهِ ،

١١٩٠/٢

(١) ب : « عِنْدِي مَالٌ » .

فأبطأ عليه رسولُ مسلم ، ومضى الوقتُ الذي وَعَدَهُ ، فظنَّ أنه قد بدا له ، فانصرف ، وجاء رجلٌ من بني تَغْلِبَ فجلس في ذلك الموضع ، وجاء مولَى مسلم فرأى الرَّجُلَ جالسًا ، فخلَّى عن البغل ورجع ، فقام التغلبيُّ إلى السَّبْغَلِ ، فلما رأى المال ولم يَرمع البَغْلَ أحدًا قَادَ البَغْلَ إلى منزله ، فأخذ البَغْلَ وأخذَ المالَ ، فظنَّ مسلم أن المال قد صار إلى وآلان ، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه ، فَلَيقِيَه فقال : مالي ! فقال : ما قبضت شيئًا ، ولا لك عندي مال . قال : فكان مُسَلِمٌ يشكوه ويتنقّصه . قال : فأتى يوماً مجلس بني ضُبَيْعَةَ فشكاه والتغلبىُّ جالسٌ ، فقام إليه فخلا به وسأله عن المال ، فأخبره ، فانطلقت به إلى منزله ، وأخرج الخُرْج فقال : أتعرّفه؟ قال : نَعَمْ ، قال : والخاتم؟ قال : نعم ؛ قال : اقبض مالك ، وأخبره الخبر ، فكان مسلم يأتي الناسَ والقبائلَ التي كان يشكو إليهم وآلان فيعيذره ويخبرهم الخبر ، وفي وآلان يقول الشاعر :

لست كَوَألانَ الَّذي سَادَ بالتقى ولست كعمرانَ وَلَا كالمُهَلَّبِ ١٩١/٢
وعمرانُ : ابنُ الفصِيلِ البُرْجُمِي .

• • •

وحجَّ بالناس في هذه السنة - فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمَّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر - عمر بن عبد العزيز ، وهو أميرُ على المدينة .

وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبَلِ عمر بن عبد العزيز .

وكان على العراق والمشرق كلُّه الحجَّاج بن يوسف ، ونخليفته على البصرة في هذه السنة - فيما قيل - الجراح بن عبد الله الحكمي . وعلى قضائها عبد الله ابن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جريير بن عبد الله ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

[خبر فتح حصن طُوانة من بلاد الروم]

فمن ذلك ما كان من فتح الله على المسلمين حصنًا من حصون الروم يُدعى طُوانة في جمادى الآخرة (١) ، وشتوا بها ، وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك .

فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال : كان فتح طُوانة على يد مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم ، ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظننوا ألا يجتروها أبدًا ، وبقي العباس معه نفيير ، منهم ابن مُحيريز الجُمحى ، فقال العباس لابن مُحيريز : أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابن مُحيريز : نادهم بأتوك ، فنادى العباس : يا أهل القرآن ! فأقبلوا جميعًا ، فهزم الله العدو حتى دخلوا طُوانة .

١١٩٢/٢

وكان الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة . فذكر محمد بن عمر ، عن أبيه ، أن تخمرمة بن سليم الوالى قال : ضرب عليهم بعث ألفين . وأنهم تجاءتلوا فخرج ألف وخمسمائة ، وتخلف خمسمائة ، ففوزوا الصائفة مع مسلمة والعباس ، وهما على الجيش . ولأنهم شتوا بطُوانة وافتتحوها .

وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(١) ب وابن الأثير : « الأولى منها » .

[ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم]

وفيها أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد ، فذكر محمد بن عمر ، أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال : رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قديماً في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، قدم مُعْتَجِراً ، فقال الناس : ما قديم به الرسول ! فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حُجَرِ أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له : قدم القبيلة إن قدرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، فإنهم لا يخالفونك ، فمن أبي منهم فرأى أهل مصر فليقوموا له قيمة عدل ، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان ، فإن لك في ذلك سَلَفٌ صِدْقٌ ، عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده ، فأجاب القوم إلى الثمن ، فأعطاهم إياه ، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد ، فلم يَمَكُثْ إِلَّا يَسِيراً ^(٢) حتى قدم الفعلة ، بَعَثَ بِهِمُ الْوَلِيدُ . قال محمد بن عمر : وحدثني موسى بن يعقوب ، عن عمه ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس : القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد الله بن عمر ، يرؤونه أعلاماً في المسجد ويقدرونه ، فأسسوا أساسه .

قال محمد بن عمر : وحدثني يحيى بن النعمان الغفاري ، عن صالح بن كيسان ، قال : لما جاء كتاب الوليد من دمشق وسار ^(٣) خمس عشرة بهدم المسجد ، تجرد عمر بن عبد العزيز . قال صالح : فاستعملني على هدمه وبنائه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدم علينا الفعلة الذين بَعَثَ بِهِمُ الْوَلِيدُ .

(١) ب : « رسول الله » . (٢) ب : « قليلا » .

(٣) ط : « سار » .

قال محمد : وحدثني موسى بن أبي بكر ، عن صالح بن كيسان ، قال : ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من سنة ثمان وثمانين ، وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يعينه فيه ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب ، وبعث إليه بمائة عامل ، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً ، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز .
وفي هذه السنة ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد .

* * *

وفيهما غزاً أيضاً مسلمة الروم ، ففتح على يديه حصون ثلاثة : حصن قسطنطينية ، وغزاة ، وحصن الأخرم . وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سبى الذرية وأخذ الأموال .

* * *

[ذكر غزو قتيبة نومشكث وراميشنه]

وفي هذه السنة غزا قتيبة نومشكث وراميشنه .

* ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه :

ذكر علي بن محمد ، أن المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حبان ، عن مولى لهم أدرك ذلك ، أن قتيبة غزا نومشكث في سنة ثمان وثمانين ، واستخلف على مرو بشار بن مسلم ، فتلقاه أهلها ، فصالحهم ، ثم صار إلى راميشنه فصالحه أهلها ، فانصرف عنهم^(١) وزحف إلى الترك ، معهم^(٢) السغد وأهل فرغانة ، فاعترضوا المسلمين في طريقهم ، فلاحقوا عبد الرحمن ابن مسلم الباهلي وهو على الساقة ، بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل ، فلما قربوا منه أرسل رسولا إلى قتيبة بخبره ، وغشيه الترك فقاتلوه ، وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس ، فأنهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم ، وقد كاد

١١٩٥/٢

(٢) ب : « ومعهم » .

(١) ب : « عنها » .

الترك يستعملونهم، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا ، وقاتلوهم إلى الظهر ، وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة ، فهزم الله الترك ، وفض جمعهم ، ورجع قتيبة يريد مرو ، وقطع النهر من الترمذ يريد بلخ ، ثم أتى مرو . وقال الباهلييون : لى الترك المسلمين عليهم كورمغانون التركي ابن أخت ملك الصين في مائتي ألف ، فأظهر الله المسلمين عليهم .

* * *

[ذكر ما عمل الوليد من المعروف]

وفي هذه السنة كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البُلْدان .

قال محمد بن عمر : حدثني ابن أبي سبرة ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، قال : كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة ، وخرجت كتبه إلى البُلْدان بذلك ، وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله بذلك . قال : وحيس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس ، وأجرى عليهم أرزاقاً ، وكانت^(٢) تُجرى عليهم .

وقال ابن أبي سبرة ، عن صالح بن كيسان ، قال : كتب الوليد إلى عمر ابن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم ، فعملها عمر وأجرى ماءها ، فلما حج الوليد وقف عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفوارة ، فأعجبته ، وأمر لها بقوام يتقوون عليها ، وأن يسقوا أهل المسجد منها ، ففعل ذلك .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر . ذكر أن محمد بن عبد الله بن جبير - مولى لبني العباس - حدثه عن صالح بن كيسان ، قال : خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة - يعني سنة ثمان وثمانين - بعدة من قريش ، أرسل إليهم بصلات وظهور للحُمولة ، وأحرموا معه من ذى الحليفة ، وساق معه بُدْناً ، فلما كان بالتنعيم لقيتهم نفر

(٢) ب : « فكانت » .

(١) ط : « كور بغانون » .

من قريش، منهم ابن أبي مُلَيْكَة وغيره ، فأخبروه أن مكة قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاج العطش ، وذلك أن المطر قل ، فقال عمر : فإلّا طلب هاهنا بين ، تعالوا ندع الله . قال : فرأيتهم دعوا ودعا معهم ، فألحقوا في الدعاء . قال صالح : فلا^(١) والله إن وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل ، وسكبت السماء ، وجاء سيل الوادي ، فجاء أمرٌ نخافته أهل مكة ، ومطرت عرفة ومي وجمع ؛ فما كانت إلا عبراً ، قال : ونبت مكة تلك السنة للخصب .

١١٩٧/٢

وأما أبو معشر فإنه قال : حج بالناس سنة ثمان وثمانين عمر بن الوليد ابن عبد الملك ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى عنه .

وكانت العمال على الأمصار في هذه السنة العمال الذين ذكرنا أنهم كانوا عمالها في سنة سبع وثمانين .

٤

(١) ب : « فواقه » ، س : « ولا واقه » .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

[خبر غزو مسلمة أرض الروم]

فمن ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سوريّة ، وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك ، زعم الواقدي أن مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم ، ومعه العباس بن الوليد ودخلها جميعاً ثم تفرقا ، فافتتح مسلمة حصن سوريّة ، وافتتح العباس أذروليّة ، ووافق من الروم جمعاً فهزمهم .
وأما غير الواقدي فإنه قال : قصد مسلمة عمورية فوافق بها للروم جمعاً كثيراً ، فهزمهم الله ، وافتتح هرقلة وقمودية .
وغزا العباس الصائفة من ناحية البندنون .

[خبر غزو قتيبة بخارى]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بخارى ، ففتح راميشته . ذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذلك ، وأن قتيبة رجع بعد ما فتحها في طريق بلخ ، فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحجاج : أن رد وردان خذاه . فرجع قتيبة سنة تسع وثمانين ، فأق زم ، فقطع النهر ، فليقيه السغد وأهل كس ونسّف في طريق المفازة ، فقاتلوه ، فظفر بهم ومضى إلى بخارى ، فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتلهم يومين وليلتين ، ثم أعطاه الله الظفر عليهم ؛ فقال نهار بن توسعة :
وبانت لهم منا بخرقان ليلة وليلتنا كانت بخرقان أطولا
قال علي : أخبرنا أبو الذبّال ، عن المهلب بن إياس وأبو العلاء ، عن

١١٩٩/٢ إدريس بن حنظلة ، أن قتيبة غزا وِردانَ حُدَاه (١) ملكَ بُخارى سنة تسع وثمانين فلم يُطِقه ، ولم يَظفر من البلد بشيء ، فرجع إلى مرو ، وكتب إلى الحجاج بذلك ، فكتب إليه الحجاج : أن صَوْرَهَا لي ، فبعث إليه بصورتها ، فكتب إليه الحجاج : أن ارجع إلى مَرَاغِتِكَ (٢) فتب إلى الله مما كان منك ، وأتيا من مكان كذا وكذا .

وقيل : كتب إليه الحجاج أن كِسْ بِكْسٍ وانسف نَسْفٍ وِردِ وِردانَ ، وإياك والتحويط (٣) ، ودعني من بُنِيَّاتِ الطريق (٤) .

* * *

[خبر ولاية خالد القسري على مكة]

وفي هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فيما زعم الواقدي ، وذكر أن عمر بن صالح حدثه عن نافع مولى بني مخزوم ، قال : سمعت خالد بن عبد الله يقول على منبر مكة وهو يخطب :

أيها الناس ، أيتهما أعظم ؟ الخليفة الرجل على أهليه ، أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة ، إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحاً أجاجاً ، واستسقاه (٥) الخليفة فسقاه عذبا فراتا ، بئراً حفرتها الوليد بن عبد الملك بالثنتين - ثنية طوى وثنية الحجون (٦) - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليُعرف فضله على زمزم .

١١٠٠/٢ قال : ثم غارت البئر فذهبت فلا يدري أين هي اليوم .

(١) ب : « خداه » .

(٢) المراغة في الأصل : ممرغ الدابة ؛ أراد بها بخارى أي أن يفتحها ويتخذها معقلاً يتقلب فيه كما تتقلب الدابة في مراغتها .

(٣) حوط حول الأمر ، أي دار ، وأصله من حوط كرمه تحويطاً ، أي بني حوله حانطاً ؛ يريد : إياك والدوران في القول وكثرة المراجعة فيه .

(٤) بنيات الطريق : الطرق الصغار تنشب من الجادة ، أي اسلك الطريق المستقيم الذي لا تعرج فيه .

(٥) ابن الأثير : « ثنية طوى في ثنية الحجون » .

* * *

وفيهَا غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التُّرْكِيَّ حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ مِنْ نَاحِيَةِ
أَذْرَبَيْجَانَ ، فَفَتَحَ حُصُونًا وَمَدَائِنَ هُنَاكَ .

* * *

وَحَبَّجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ
ابْنُ ثَابِتٍ ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ .
وَكَالَ الْعَمَّالُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْأَمْصَارِ الْعَمَّالِ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبَّلَهَا ،
وَقَدْ ذَكَرْنَا هُمْ قَبْلًا .

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

في هذه السنة غزا مسلمة أرض الروم—فيما ذكر محمد بن عمر— من ناحية سورية، ففتح الحصون الخمسة التي بسورية.

وغزا فيها العباس بن الوليد؛ قال بعضهم: حتى بلغ الأرزان؛ وقال بعضهم: حتى بلغ سورية. وقال محمد بن عمر: قول من قال: حتى بلغ سورية أصح.

وفيهما قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صصة ملك السند، وهو على جيش من قبيل الحجاج بن يوسف.

وفيهما استعمل الوليد قرّة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك.

وفيهما أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك.

١٢٠١/٢

* * *

[خبر فتح بخارى]

وفيهما فتح قتيبة بخارى، وهزم جموع العدو بها.

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبّره عن المهلب بن إياس؛ وأبو العلاء، عن إدريس بن حنظلة؛ أن كتاب الحجاج لما ورد على قتيبة بأمره بالتوبة مما كان، من انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه، ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه، نخرج قتيبة إلى بخارى في سنة تسعين غازياً، فأرسل وردان خذاه إلى السغد والترك ومن حولهم

يستصرونهم^(١)، فاتوهم وقد سبق إليها قتيبة فحصرهم، فلما جاءتهم
أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزد: اجعلونا على حدة^(٢)، وخذلوا
بيننا وبين قتالهم. فقال قتيبة: تقدموا؛^(٣) فتقدموا يقاتلونهم^(٣) وقتيبة
جالس، عليه رداء أصفر فوق سلاحه، فصبروا جميعاً ملياً، ثم جال
المسلمون، وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه
حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكبين، فكروا راجعين، وانطوت مجنبتنا
المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردتهم إلى مواقعهم، فوقف الترك على
نشر، فقال قتيبة: من يزيلهم لنا عن هذا الموضع^(٤)؟ فلم يقدم عليهم
أحد،^(٥) والأحياء كلها وقوف^(٥).

فشى قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم، إنكم أنتم بمنزلة الحطمية،
فيوم كأيامكم، أبي^(٦) لكم الفداء! قال: فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال:
يا بني تميم، أتسلمونني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرف - وهريم بن
أبي طحمة المجاشعي على خيل بني تميم ووكيع رأسهم، والناس وقوف -
فأحجموا جميعاً، فقال وكيع: يا هريم، قدّم^(٧)، ودفع إليه الراية، وقال:
قدّم خيلك فتقدم هريم، ودب وكيع في الرجال، فأنتهى هريم إلى نهر
بينه وبين العدو فوقف، فقال له وكيع: اقحم يا هريم؛ قال: فنظر هريم
إلى وكيع نظر الجمل الصئول^(٨) وقال: أنا أقحم^(٩) خيلي هذا النهر، فإن
انكشفت كان هلاكها! والله إنك لأحمق؛ قال: يا بن اللئخنة، ألا أراك
تردّ أمرى! وحدّفه بعمود كان معه، فضرّب هريم فرسه فأقحمته؛ وقال:
ما بعد هذا أشدّ من هذا، وعبر هريم في الخيل، وانتهى^(١٠) وكيع إلى النهر،
فدعا بخشب؛ فتنظر النهر وقال لأصحابه: من وطن منكم نفسه على
الموت فليعبّر، ومن لا فليثبت مكانه؛ فما عبّر معه إلا ثمانمائة

(٢) ب: « فاحية » .

(٤) ب: « الموقف » .

(٦) ر: « إني » .

(٨) ب: « الهائج » .

(١٠) ب: « فأنتهى » .

(١) ب: « يستصرونهم فاتوهم » .

(٣-٣) ب: « فقاتلوهم » .

(٥-٥) ب: « والأحياء من العرب كلهم وقوف » .

(٧) ابن الأثير: « قدم خيلك » .

(٩) ابن الأثير: « أقحم » .

راجل^(١)، فذبّ فيهم حتى إذا أعيوا^(٢) أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو، فجعل^(٣) الخيلَ مجنبتين، وقال لهريم: إني مطاعن القوم، فاشغلهم عنا بالخيل، وقال للناس: شدّوا، فحملوا فما انثنوا حتى خالطوهم، وحمل هرّيم خيلته عليهم فطاعنهم بالرماح، فما كفوا عنهم حتى حدّروهم عن موقفهم، ونادى قتيبة: أما ترون العدو منهزمين! فما عبر أحدٌ ذلك النهر حتى ولّى العدو منهزمين، فأتبعهم الناس، ونادى قتيبة: من جاء برأس فله مائة.

١٢٠٣/٢

قال: فزعم موسى بن المتوكل القرّيعي، قال: جاء يومئذ أحد عشر رجلاً من بني قرّيع، كلّ رجل يبيء برأس، فيقال له: من أنت؟ فيقول: قرّيعي. قال: فجاء رجل من الأزد برأس فألقاه، فقالوا له: من أنت؟ قال: قرّيعي؛ قال: وجههم بن زحر قاعد، فقال: كذب والله أصلحك الله! إنه لابن عمي؛ فقال له قتيبة: ويحك! ما دعاك إلى هذا؟ قال: رأيت كل من جاء قرّيعي: فظننت أنه ينبغي لكل من جاء برأس أن يقول: قرّيعي. قال: فضحك قتيبة.

قال: وجرح^(٤) يومئذ خاقان وابنه، ورجع قتيبة إلى مرو، وكتب إلى الحجّاج: إني بعثت عبد الرحمن بن مسلم، ففتح الله على يديه.

قال: وقد كان شهد الفتح مولّي للحجّاج، فقَدِم فأخبره الخبر، فغضب الحجّاج على قتيبة، فاغتم^(٥) لذلك، فقال له الناس: ابعث وفداً من بني تميم وأعطهم وأرضهم يُخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت، فبعث رجالاً فيهم عُرّام بن شتير الضبي، فلما قدموا على الحجّاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجّام بيده مقرّاض فقال: لأقط من ألسنتكم أو لتصدقنني، قالوا: الأمير قتيبة، وبعث عليهم عبد الرحمن، فالفتح^(٦) للأمير والرأس الذي يكون على الناس، وكلمه بهذا عُرّام بن شتير، فسكن الحجّاج.

١٢٠٤/٢

(٢) ب : « عبروا » .

(٤) ب ، ر : « وخرج » .

(٦) ب : « بالفتح » .

(١) ب : « رجل » .

(٣) ب : « وجعل » .

(٥) ب : « كذلك » .

[خبر صلح قتيبة مع السغد]

وفي هذه السنة جدد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال عليّ : ذكر أبو السري عن الجهتم الباهليّ ، قال : لما أوقع قتيبة بأهل بخارى ففضّ جمعهم هابه أهل السغد ، فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريباً من عسكر قتيبة ، وبينهما نهر بخارى ، فسأل أن يبعث إليه رجلاً يكلمه ، فأمر قتيبة رجلاً فدنا منه .
وأما الباهليون فيقولون : نادى طرخون حيان النبطي فاتاه ، فسأهم الصلح على فدية يؤدّيها إليهم ، فأجابه قتيبة إلى ما طلب ، وصالحه ، وأخذ منه رهناً حتى يبعث إليه بما صالحه عليه ، وانصرف طرخون إلى بلاده ، ورجع قتيبة ومعه نيزك .

* * *

[غدر نيزك]

وفي هذه السنة غدر نيزك ، فنقض الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته ، وعاد حرباً ، فغزاه قتيبة .

* ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به :

قال عليّ : ذكر أبو الديال ، عن المهلب بن إياس والمفضل الضبيّ ، عن أبيه ، وعليّ بن مجاهد وكليب بن خلف العمي ؛ كل قد ذكر شيئاً فألفته ؛ وذكر الباهليون شيئاً فألحقته في خبر هؤلاء والفتة ؛ أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد ذعره ما قد رأى من الفتوح ، وخاف قتيبة ، فقال : لأصحابه وخاصته : منتهم أنا مع هذا ، ولست آمنه ؛ وذلك أن العربيّ بمنزلة الكلب ؛ إذا ضربته نبتح ، وإذا أطعمته بصبّص واتبعك ، وإذا غزوته ثم أعطيته شيئاً رضى ، ونسى ما صنعت به ، وقد قاتلته طرخون مراراً ، فلما أعطاه فدية قبلها ورضى ، وهو شديد السطوة فاجر

١٢٠٥/٢

فلو استأذنت^(١) ورجعتُ كان الرأي . قالوا : استأذنه . فلما كان قتيبة بأمْل استأذنه في الرجوع إلى تُخارِسْتان ، فأذن له ، فلما فارق عسكره متوجّهاً إلى بَلْسَخ قال لأصحابه : أغذُّوا السَّيرَ : فساروا^(٢) سيراً شديداً حتى أتوا التوبهسار^(٣) . فنزّل يصلي فيه وتبرك به . وقال لأصحابه : إني لا أشكّ أن قتيبة قد ندم حين فارقنا عسكره على إذنه لي ، وسيُقدم الساعة رسولُه على المغيرة بن عبد الله بأمره بحبسني ، فأقيموا ربيثةً تنظر ، فإذا رأيتم الرسولَ قد جاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البروقان حتى يبلغ تخارِسْتان ، فيبعث المغيرة رجلاً فلا يُدركنا حتى ندخلَ شِعب خَلْم : ففعلوا .

قال : وأقبل رسولٌ من قِبل^(٤) قتيبة إلى المغيرة بأمره بحبس نيزك . فلما مرّ الرسول إلى المغيرة وهو بالبروقان - ومدينة بَلْسَخ يومئذ خراب - ركب نيزك وأصحابه فمضوا ، وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه ، فوجدته قد دخلَ شِعب خَلْم ، فانصرف المغيرة ، وأظهر نيزك الخلع . وكتب إلى أصبهيد بَلْسَخ وإلى باذام ملك مَرَوَرُوذ ، وإلى سهراب^(٥) ملك الطالقان . وإلى ترسل ملك الفارياب . وإلى الجوزجان ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة ، فأجابوه ، وواعدهم للربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة . وكتب إلى كابل شاه يستظهر به ، وبعث إليه بثقله وماله ، وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده ، فأجابته إلى ذلك وضمّ ثقله .

قال : وكان جبغويه ملك تخارستان ضعيفاً ، واسمه الشذ ، فأخذه نيزك فقيده بتسيّد من ذهب مخافة أن يشغب عليه - وجبغويه ملك تخارستان ونيزك من عبده - فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء ، وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه ، وكان العامل محمد بن سليم الناصح ، وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء . وقد تفرّق الجند فلم يبق مع قتيبة إلا أهل مَرَو ، فبعث عبد الرحمن أنجاه إلى بَلْسَخ في اثني عشر ألفاً إلى البروقان . وقال : أقم بها ،

(١) ب : « استأذنته » .

(٢) ب : « وسار » .

(٣) ب : « التوبهسار » .

(٤) ب : « عند » .

(٥) ط : « سهراب » ، وانظر الطبري ٢ : ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ (أوربا) .

ولا تُحدث شيئاً، فإذا حَسَرَ الشتاء فَمَسْكِرٍ وَسِرٍّ نحو تخارستان، واعلم
أني قريب منك، فسار عبدُ الرَّحْمَنِ فنزل البروقان، وأمهَل قتيبة حتى
إذا كان في آخر الشتاء كَتَبَ إلى أبرشهر وبيورد وسرخس وأهل هراة
ليقدّموا قبل أوانهم الذي كانوا يتقدّمون عليه فيه .

• • •

[خبر فتح الطالقان]

وفي هذه السنة، أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان - فيما قال بعض
أهل الأخبار - فقتل من أهلها مقتلةً عظيمة، وصلب منهم ستمائتين أربعة
فراسخ في نظام واحد .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن نيزك طرخان لما غدر وخنل قتيبة
وعزّم على حربه، طابقتَه على حربه ملك الطالقان، وواعدَه المصيرَ
إليه من استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة، فلما هرب نيزك من
قتيبة ودخل شعب خلم الذي يأخذ إلى طخارستان عليم أنه لا طاقة له
بقتيبة، فهرب، وسار قتيبة إلى الطالقان فأوقع بأهلها، ففعل ما ذكرتُ فيما قبل .
وقد نحولف قائلُ هذا القول فيما قال من ذلك، وأنا ذاكرُه في أحداث
سنة إحدى وتسعين .

• • •

وحجّج بالناس في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز، كذلك حدثني أحمد
ابن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر . وكذلك
قال محمد بن عمر .

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على
مكة والمدينة والطائف . وعلى العراق والمشرق الحجّاج بن يوسف، وعامل
الحجّاج على البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة،
وعلى الكوفة زياد بن جرير بن عبد الله . وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى .
وعلى خراسان قتيبة بن مسلم . وعلى مصر قرّة بن قرّة بن شريك .

[هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج]

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم، فلاحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج ابن يوسف، والوليد بن عبد الملك.

• ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان :

قال هشام : حدثني أبو مخنف، عن أبي المخارق الراسبي، قال :
 خرج الحجاج إلى رُسْتُقْبَاذَ اللَّبْعَثِ، لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة
 أرض فارس . فخرج بيزيد وإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم
 رُسْتُقْبَاذَ : فجعلهم في عسكره ، وجعل عليهم كهبيشة الحنْدُقِ ، وجعلهم
 في فسطاط قريباً من حُجْرته ، وجعل عليهم حرماً من أهل الشام ،
 وأغرمهم ستة آلاف ألف ، وأخذ يعذبهم ، وكان يزيد يتصبر صبراً
 حسناً . وكان الحجاج يتغيظه ذلك ، فقبل له : إنه رُمي بنُشابة فثبَّت
 نصلها في ساقه . فهو لا يمستها شيء إلا صاح ، فإن حركت أدنى شيء
 سمعت صوته ، فأمر أن يعذب ويُدَهَقُ^(١) ساقه ، فلما فعل ذلك به
 صاح . وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج ، فلما سمعت صياح يزيد صاحت
 وناحت ، فطلقتها . ثم إنه كف عنهم ، وأقبل يستأديهم ، فأخذوا يؤدون
 وهم يتعملون في التخلص من مكانهم ، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو
 بالبصرة يأمره أن يضمهم لهم الخيل ، ويرى الناس أنه إنما يريد بيعها
 ويعرضها على البيع ، ويغلي بها لثلاً تشتري فتكون لنا عُدَّة إن نحن قدرنا
 على أن ننجو مما هاهنا . ففعل ذلك مروان ، وحبيب بالبصرة^(٢) يعذب أيضاً ،
 وأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا ؛ وأمر بشار فسقوا ،
 فكانوا متشاغلين به ، ولبس يزيد ثياب طبائخه ، ووضع على لحيته لحيّة

(١) الدهق : شد الساق بخشبتين .

(٢) ب : « يعذب بالبصرة » .

بَيْضَاء ، وخرج فرآه بعضُ الحرس فقال : كانَ هذه مِشْيَةً يزيد ! فجاء حتى استعرض وجهه ليلاً ، فرأى بياضَ اللُّحية ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ . وخرج المفضل على أثره ، ولم يُفطن له ، فجاءوا إلى سُفنهم وقد هبشوها في البطائح ، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشرَ فرسخًا ، فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبدُ الملك وشغل عنهم ، فقال يزيد للمفضل : اركب بنا فإنه لاحقٌ ، فقال المفضل - وعبد الملك أخوه لأُمته - وهي بهلة ، هندية : لا والله ، لا أبرح حتى يجيء ولو رجعتُ إلى السجن . فأقام يزيدُ حتى جاءهم عبد الملك ، وركبوا عند ذلك السفن ، فساروا ليلتهم حتى أصبحوا ، ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم ، فرُفِع ذلك إلى الحججاج ، وقال الفرزدق في خروجهم (١) :

فلم أر كالرَّهْطِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا على الجذع والحراس غير نيام -
مَضُوا وَهُمْ مُسْتَيْقِنُونَ بِأَنَّهُمْ إلى قدرِ آجالهم وجمام -
وإن منهم إلا يُسَكَّنُ جَائِشُهُ (٢) بعَضْبِ صَقِيلِ صَارِمٍ وَحُسامِ -
فلما التقوا لم يلتقوا بمنفَه (٣) كبيرٍ ولا رخصِ العظامِ غلامِ -
بمثلِ أبيهم حين تمت لِدَاتُهُمْ لخمسين قل في جُرْأَةٍ وتمامِ -

ففرغ له الحججاج ، وذهب وهمه أنهم ذهابوا قبيل خراسان ، وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ، ويأمره أن يستعد لهم ، وبعث إلى أمراء الثغور والكُور أن يرصدوهم ، ويستعدوا لهم ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يُخبره بهربهم ، وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان . ولم يزل الحججاج يظن بيزيد ما صنع ، كان يقول : إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابنُ الأشعث .

ولما دنا يزيدُ من البطائح ، من مَوْقُوع (٤) استقبلته الخيل قد هبشت له وإخوته ، فخرجوا عليها ومعهم دليلٌ لهم من كَلْبِ يقال له : عبد الجبار بن يزيد بن الربعة ، فأخذ بهم على السَّماوة ، وأتى الحججاج بعد يومين ، فقيل

(١) ديوانه ٨١٦ - ٨١٧ . (٢) الديوان : « وما منهم » .

(٣) كذا في ب والديوان ، والمنفَه : الضعيف من العلة . وفي ط : « بمنفه » .

(٤) موقوع : ماء بناحية البصرة .

له : إنما أخذ الرجل طريق الشام ، وهذه الخيل حسرى في الطريق ، وقد أتى من رآهم موجّهين في البر ، فبعث إلى الوليد يُعلمه ذلك ، ومضى يزيد حتى قدم فلسطين ، فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريماً على سليمان - وأنزل بعض ثقله وأهله على سفیان بن ساجان الأزدي ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان ، فقال : هذا يزيد بن المهلب ، وإخوته في منزلي ، وقد أتوك هرباً من الحجاج متعوذين بك ، قال : فأتني بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبداً وأنا حتى . فجاء بهم حتى أدخلتهم عليه ، فكانوا في مكان آمن . وقال الكلبي^(١) دليلهم في مسيرهم :

١٢١٢/٢

ألا جعل الله الأخلاء كلهم
لنعم الفتى با معشر الأزد أسعفت
عدلن يميناً عنهم رمل عاليج
فإلا تصبح بعد خميس ركابنا
تقر قرار الشمس مما وراءنا^(٥)
بقوم هم كانوا الملوك هديتهم^(٦)
ولا قمر إلا ضيلاً كأنه
فداء على ما كان لابن المهلب
ركابكم بالوهد شرقي منقب^(٢)
وذات يمين القوم أعلام غرب^(٣)
سليمان من أهل اللوى تناوب^(٤)
وتذهب في داج من الليل غيب
بظلماء لم ينصر بها ضوء كركب
سوار حناه صانع السور مذهب

قال هشام : فأخبرني الحسن بن أبان العُلَيْمِيّ ، قال : بينا عبد الجبار ابن يزيد بن الرّبعة يسرى بهم فسقطت عمامة يزيد ، ففقدتها فقال : يا عبد الجبار ، ارجع فاطلبها لنا ، قال : إن مثلي لا يؤمر بهذا ، فأعاد ، فأبى ، فتناولته بالسوط ، فانتسب له ، فاستحيا منه ، فذلك قوله :

١٢١٣/٢

ألا جعل الله الأخلاء كلهم

فداء على ما كان لابن المهلب

(١) ب : « وقد قال ابن » .

(٢) ب : « ركابهم بالوهد » .

(٣) ب : « عزب » ، ر : « عرب » .

(٤) ب : « تناوب » .

(٥) ب : « نفر فرار » .

(٦) ب : « بقوم من أبناء الملوك » .

وكتب الحجاج: إن آل المهلب خانوا مال الله وهرّبوا مني ولحقوا بسليمان، وكان آل المهلب قدّموا على سليمان، وقد أمر الناس أن يحصلوا ليسرّحوا إلى خراسان، لا يترّون إلا أن يزيد توجه إلى خراسان ليفتن من بها. فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان هوّن عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضباً للمال الذي ذهب به. وكتب سليمان إلى الوليد: إن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف، وبقي ثلاثة آلاف ألف، فهي على. فكتب إليه: لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلى. فكتب إليه: لئن أنا بعثت به إليك لأجيتن معه، فأشدك الله أن تفضحني ولا أن تخيفني. فكتب إليه: والله لئن جئتني لا أؤمنه. فقال يزيد: ابعثني إليه، فوالله ما أحب أوقع بينك وبينه^(١) عداوةً وحرّبا، ولا أن يتشاءم بي لكما الناس، ابعث إليه بي^(٢)، وأرسل معي ابنك، واكتب إليه بالطف ما قدرت عليه. فأرسل ابنه أيوب معه. وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق، فبعث به إليه، وقال لابنه: إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلا جميعاً على الوليد، ففعل ذلك به حين انتهى إلى الوليد، فدخلا عليه، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان! ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمته وقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك! لا تخفر ذمة أبي، وأنت أحق من منعتها، ولا تقطع منا رجاء من رجاء السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تذل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك. وقرأ الكتاب:

١٢١٤/٢

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك. أما بعد يا أمير المؤمنين، فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدو قد نأبذك وبجاهدك فأنزله وأجرتته أنك لا تذل تجاري، ولا تخفر جوارى، بله لم أجير إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثت به إليك، فإن كنت إنما تغزو قطيعتي والإنخفاً لذمتي، والإبلاغ في مسأاتي، فقد

(١) ب: «بينه وبينك». (٢) ب: «بي إليه».

قدرت إن أنت فعلت . وأنا أعيدك بالله من احتراد^(١) قَطيبي ، وانتهاكِ حُرمتي وتركِ بيري وصِلتي ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى يُفترق الموت بيني وبينك ! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ألا يأتي علينا أجلُ الوفاة إلا وهو لي واهلي واهلي ، ولحقى مؤد ، وعن مساءتي نازع ، فليُفعل . والله يا أمير المؤمنين ما أصبحتُ بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأمر مني برضاك وسرورك . وإن رضاك مما ألتبس به رضوان الله ، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتي وصِلتي وكرامتي وإعظام حقتي فتجاوز لي عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو علي .

١٢١٥/٢

فلما قرأ كتابه ، قال : لقد شققنا على سليمان ! ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه . وتكلم يزيدُ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيته صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسنُ البلاء ، فن يسنس ذلك فلاسنا ناسيه ، ومن يكفر فلاسنا كافر به ، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغرب ما إن المنة علينا فيها عظيمة .

فقال له : اجلس ، فجلس فأمنه وكف عنه ، ورجع إلى سليمان وسعى لإخوته في المال الذي عليه ، وكتب إلى الحججاج :
لني لم أصِل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان ، فاكف عنهم ، والله عن الكتاب إلى فيهم .

فلما رأى ذلك الحججاج كف عنهم . وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحججاج عليه ألف ألف درهم ، فتركها له ، وكف عن حبيب بن المهلب . ورجع يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يُعلِّمه الهَيْئَةَ ، ويصنَع له طيبَ الأَطعمة ، ويهدِي له^(٢) الهدايا العظام . وكان من أحسن الناس عنده منزلةً ، وكان لا تأتي يزيد بن المهلب هدية إلا بعث بها إلى سليمان ، ولا تأتي سليمان هديةً ولا فائدةً إلا بعث بنصفها إلى يزيد بن المهلب ،

١٢١٦/٢

(١) الاحتراد ؛ من الحرد ؛ وهو القصد ، وفي ابن خلكان ٢ : ٢٧٠ : « اختيار » .

(٢) ب : « إليه » .

وكان لا تُعجبه جاريةٌ إلاّ بعث بها إلى يزيدٍ إلاّ خطيئة الجارية . فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك ، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعريّ ، فقال : انطلق إلى سليمان فقل له : يا خالفةَ أهيل بيته ، إن أمير المؤمنين قد بلغه (١) أنه لا تأتيك هديّة ولا فائدةٌ إلاّ بعثت إلى يزيدٍ بنصّفها ، وإنك تأتي الجاريةُ من جواريك فلا يتنقى (٢) طهرُها حتى تبعث بها إلى يزيدٍ ، وقبّح ذلك عليه ، وعيّرهُ به ، أتراك مبلغاً ما أمرتُك به ؟ قال : طاعتك طاعة ، وإنما أنا رسول ، قال : فاته فقل له ذلك ، وأقيم عندَه ، فإني باعته إليه بهدية فادفعها إليه ، ونحذُ منه البراءة بما تدفع إليه .

ثمّ أقبلَ فتصّى حتى قدّم عليه وبين يديه المصحف ، وهو يقرأ ، فدخل عليه فسلم ، فلم يردّ عليه السلام حتى فرغ من قراءته ، ثمّ رفع رأسه إليه فكلّمه (٣) بكلّ شيء أمره به الوليدُ ، فتمعر وجهه ، ثمّ قال : أما والله لئن قدرتُ عليك يوماً من الدهر لأقطعنّ منك طابقاً ! فقال له : إنما كانت على الطاعة .

ثمّ خرج من عنده . فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليدُ إلى سليمان ، دخل عليه (٤) الحارثُ بن ربيعة الأشعريّ وقال له : أعطيتني البراءة بهذا الذي دفعتُ إليك ، فقال : كيف قلت لي ؟ قال : لا أعيدُه علماً أبداً (٥) ، إنما كان علىّ فيه الطاعة . فسكّن ، وعلم أن قد صدّقه الرجل ، ثمّ خرج وخرجوا معه ، فقال : نحذُوا نصفَ هذه الأعدال وهذه الأسفاط (٦) وابعثوا بها إلى يزيدٍ (٧) .

قال : فعلم الرجل أنه لا يطيع في يزيدٍ أحداً ، ومكث يزيدُ بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر .
وتوفّي الحجاج سنة خمس وتسعين في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة .

(١) ب : « إنه قد بلغ أمير المؤمنين » .

(٢) ب : « يقضى » .

(٣) ب : « وكلّمه » .

(٤) ر : « إليك أبداً » .

(٥) ب : « ونصف هذه الأسفاط » .

(٦) ب : « يزيد بن المهلب » .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا - فيما ذكر محمد بن عمرو وغيره - الصائفة عبد العزيز بن الوليد، وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك .

وفيهما غزا أيضاً مسلمة الترك ؛ حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح على يديه مدائن وحصون .

وفيهما غزا موسى بن نصير الأندلس ، ففتح على يديه أيضاً مدائن وحصون .

* * *

وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان .

١٢٢٨/٢

* * *

[تتمة خبر قتيبة مع نيزك]

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظفر قتيبة به حتى قتله . ولما قدم من كان قتيبة كتبت إليه يأمره بالقدوم عليه من أهل أبرشهر وبيورد وسرخس وهراة على قتيبة ، سار بالناس إلى مرووروذ واستخلف على الحرب حنّاد بن مسلم ، وعلى الحجاج عبد الله بن الأهم . وبلغ مرزبان مرووروذ إقباله إلى بلاده ، فهرب إلى بلاد الفرس . وقدم قتيبة مرووروذ فأخذ ابنين له فقتلتهما وصلبهما ، ثم سار إلى الطالقان فقام صاحبها ولم يحاربه ، فكف عنه ، وفيها اصوص ، فقتلهم قتيبة وصلبهم ، واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم ، ومضى إلى الفارياب ، فخرج إليه ملك الفارياب منذعنا مقرأ بطاعته ، فرضى عنه ، ولم يقتل بها أحداً ، واستعمل عليها رجلاً من باهيلة . وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم ، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هارباً ، وسار قتيبة إلى الجوزجان فلقبه أهلها سامعين مطيعين ،

فقتل منهم ، فلم يقتل فيها ^(١) أحداً ، واستعمل عليها عامر بن مالك
إحمانى ، ثم أتى بلسخ فلقبته الأصهبند في أهل بلسخ ، فدخلها فلم يقسم
بها إلا يوماً واحداً .

١٢١٩/٢ ثم مضى يتبع عبد الرحمن حتى أتى شعب خلم ، وقد مضى نيزك فعسكر
ببغلان ، وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه بمنعونه ^(٢) ، ووضع
مقاتلة في قلعة حصينة من وراء الشعب ، فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على
مضيق الشعب لا يقدر منهم على شيء ، ولا يقدر على دخوله ، وهو مضيق ،
الوادي يجري وسطه ، ولا يعرف طريقاً يفضي به ^(٣) إلى نيزك إلا الشعب
أو مفازة لا تحتل العساكر ، فبقي متلداً يلتمس الحيل .

قال : فهو في ذلك إذ قدم عليه الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان ،
فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل القلعة التي وراء هذا الشعب ، فأمنه
قتيبة ، وأعطاه ما سأله ، وبعث معه رجلاً ليلاً ، فأنهى بهم إلى القلعة التي
من وراء شعب خلم ، فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم ، وهرب من بقي منهم
ومن كان في الشعب ، فدخل قتيبة والناس الشعب ، فأتى القلعة ثم مضى
إلى سمنجان ونيزك ببغلان بعين تدعى فنسج بجاه ، وبين سمنجان وبغلان
مفازة ليست بالشديدة

١٢٢٠/٢ قال : فأقام قتيبة بسمنجان أياماً ، ثم سار نيزك ، وقدم أخاه
عبد الرحمن ، وبلغ نيزك فارتحل من منزله حتى قطع وادي فرغانة ، ووجه
ثقلته وأمواله إلى كابل شاه ، ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بن
مسلم يتبعه ، فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ، ونزل قتيبة أسكيمشت
بينه ^(٤) وبين عبد الرحمن فرسخان . فتحرز نيزك في الكرز وليس إليه
مسالك إلا من وجه واحد ، وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب ، فحصره
قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام ، وأصابهم الجُدري وجدد
جغويه ، وخاف قتيبة الشتاء ، فدعا سلبا الناصح ، فقال : انطلق إلى نيزك

(٢) ر : « بمنعون » .

(٤) ب : « وبينه » .

(١) ب : « ولم يقتل بها » .

(٣) ب : « فيه » .

واحتل لأن تأتي به بغير أمان ، فإن أعياك وأبي فأمنه ، واعلم أني إن عابنتك وليس هو معك صلبتُك ؛ فاعمل لنفسك . قال : فاكتب لي إلى عبد الرحمن لا يخالفني ؛ قال : نعم . فكتب له إلى عبد الرحمن فقَدِم عليه ، فقال له : ابعث رجلاً فليكونوا على فَمِ الشعب ، فإذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيتحولوا بيننا وبين الشعب . قال : فبعث عبدُ الرحمن خبيلاً فكانوا حيث أمرهم سليم ، ومضى سليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبي أياماً والأخبِصة أوقاراً ، حتى أتى نيزك ، فقال له نيزك : خذلتني يا سليم ، قال : ما خذلتك ، ولكنك عصيتني وأسأت بنفسك ، خلعت وغدرت ، قال : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن تأتيه فقد أمحكته^(١) ، وليس ببارح موضعه هذا ، قد اعترم على أن يشتروا بمكانه^(٢) ؛ هلك أوسلم ؛ قال : آتبه^(٣) على غير أمان ! قال : ما أظنه يؤمنك لما في قلبه عليك ، فإنك قد ملأته غيظاً ، ولكني أرى ألا يعلم بك حتى تضع يدك في يده ، فإني أرجو إن فعلت ذلك أن يستحي ويعفو عنك ، قال : أترى ذلك^(٤) ؟ قال : نعم ؛ قال : إن نفسي لتأبى هذا ، وهو إن رآني قتلتني ، فقال له سليم : ما أتيتك إلا لأشير عليك بهذا ، ولو فعلت لرجوت أن تسلم وأن تعود^(٥) حالك عنده إلى ما كانت ؛ فأما إذ أبيت فإني منصرف . قال : فنغديك^(٦) إذا ، قال : إني لأظنكم في شغل عن تهيئة الطعام ، ومعنا طعام كثير .

١٢٢١/٢

قال : ودعا سليم بالفداء فجاءوا بطعام كثير لا عهد لهم بمثله منذ حصروا ، فانتهبه الأتراك ، فغم ذلك نيزك ، وقال سليم : يا أبا الهيثاج ، أنا لك من الناصحين ، أرى أصحابك قد جهدوا ، وإن طال بهم الحصار وأقمت على حالك لم آمنهم أن يستأمنوا بك ، فانطلق وأت قتيبة ، قال : ما كنت لأمنه على نفسي ، ولا آتبه على غير^(٧) أمان ؛ فإن ظني به أنه

- | | |
|-------------------------------|----------------------|
| (١) المحك : الغضب والمشاركة . | (٢) ب : « مكانه » . |
| (٣) ب : « آتبه » . | (٤) ب : « ذلك » . |
| (٥) ب : « ويعود » . | (٦) ب : « فيغديك » . |
| (٧) ب : « بغير » . | |

قاتلي وإن آمني ، ولكن الأمان أعذر لي وأرجتي ، قال : فقد آمنتك
أفتتهمني ا قال : لا ، قال : فانطلق معي ، قال له أصحابه : اقبل قول
سليم ، فلم يكن ليقول إلا حقاً ، فدعا بدوابه وخرج مع سليم ، فلما انتهى
إلى الدرجة التي يهبط منها إلى قرار الأرض قال : يا سليم ، من كان لا يعلم
متى يموت فإني أعلم متى أموت ، أموت إذا عاينت قتيبة ؛ قال : كلاً
أبقتلك مع الأمان ! فركب ومضى معه جبغويه - وقد برأ من الجُدري-
وصولُ وعثمانُ ابنا أخى نيزك - وصول طرخان خليفة جبغويه ، وخنس طرخان
صاحب شرطه ^(١) - قال : فلما خرج ^(٢) من الشعب عطفَت الخيلُ التي
خلفها سليم على فوهة ^(٣) الشعب ، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج ، فقال
نيزك لسليم : هذا أول الشر ؛ قال : لا تفعل ، تخلف هؤلاء عنك خير لك .

١٢٢٢/٢

وأقبل سليم ونيزك وبن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم ،
فأرسل رسولا إلى قتيبة يعلمه ، فأرسل قتيبة عمرو بن أبي مِهزَم إلى عبد الرحمن :
أن اقدم بهم على ، فقدم بهم عبد الرحمن عليه ، فحبس أصحاب
نيزك ، ودفع نيزك إلى ابن بسام الليثي ، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل
نيزك ، فجعل ابن بسام نيزك في قبته ، وحفر حول القبة خندقا ، ووضع
عليه حرسا . ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العُلمِي ، فاستخرج
ما كان في الكُرز من متاع ومن كان فيه ، وقدم به على قتيبة ، فحبسهم
ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب إليه ، فأناه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً
بأمره بقتل نيزك . قال : فدعا به فقال : هل لك عندي عقْد أوعند عبد الرحمن
أو عند سليم ؟ قال : لي عند سليم ؛ قال : كذبت ، وقام فدخل ورد
نيزك إلى حبسه ، فكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس . قال : فقام ^(١) المهلب
ابن إياس العدوي ، وتكلم في أمر نيزك ، فقال بعضهم : ما يحل له أن
يقتله ، وقال بعضهم : ما يحل له تركه ، وكثرت الأقاويل فيه .

(٢) ب : « خرجوا » .

(١) ب : « شرطه » .

(٤) ب : « خرجوا » .

(٣) ب : « فم الشعب » .

(٥) كذا في ر ، وفي ط : « فقال » .

وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس، فقال: ما ترون في قتل نيزك؟
فاختلّفوا، فقال قائل: اقتله، وقال قائل: أعطيته عهداً فلا تقتله؛
وقال قائل: ما نأمنه^(١) على المسلمين. ودخل ضرار بن حصين الضبي فقال:
ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إني سمعتك تقول: أعطيت الله عهداً إن
أمكنك منه أن تقتله، فإن لم^(٢) تفعل لا ينصرتك^(٣) الله عليه أبداً. فأطرق
قتيبة طويلاً، ثم قال: والله لو لم يبق من أجلي إلا ثلاث كلمات لقلت:
اقتلوه، اقتلوه، اقتلوه؛ وأرسل إلى نيزك فأمر بقتله وأصحابه^(٤) فقتل مع
سبعائة.

١٢٢٣/٢

وأما الباهليّون فيقولون: لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم، فلما أراد قتله دعا به
ودعا بسيف حنّتي فانتضاه^(٥) وطول كميته^(٥) ثم ضرب عنقه بيده، وأمر
عبد الرحمن فصرّب عنق وصول، وأمر صالحاً فقتل عثمان - ويقال:
شقران ابن أخي نيزك - وقال لبكر بن حبيب السهمي من باهليّة: هل
بك قوة؟ قال: نعم، وأريد - وكانت في بكر أعرابيّة - فقال: دونك
هؤلاء الدهاقين. قال: وكان إذا أتى برجلٍ صرّب عنقه وقال: أوردوا
ولا تُصدروا، فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهليّين، وصلب
نيزك وابني أخيه في أصل عين تدعى وخش خاشان في أسكيمشت، فقال
المغيرة بن حبيّنا^(٦) يتذكر ذلك في كلمة له طويلة:

لَعَمْرِي لِنِعْمَتِ غَزْوَةِ الْجُنْدِ غَزْوَةٌ قَضَتْ نَحْبَهَا مِنْ نِيزِكٍ وَتَعَلَّتِ

قال علي: أخبرنا مصعب بن حيان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس
نيزك مع محفّس بن جرز الكلابي، وسوار بن زهدم الحرّمي، فقال
الحجاج: إن كان قتيبة لحقيقاً أن يبعث برأس نيزك مع وائد مسلم،
فقال سوار:

١٢٢٤/٢

(٢ - ٢) ب: «يفعل فلا ينصرك».

(١) ب: «نأمنه».

(٤) ب: «فانتضى».

(٣) ب: «فقتل وقتل أصحابه».

(٦) ابن الأثير: «نهار بن تومة».

(٥) ب: «كنه».

أَقُولُ لِمُحْفَنٍ وَجَرَى سَنِيعٌ وَآخِرُ بَارِحٌ مِنْ عَنِّ يَمِينِي
 وَقَدْ جَعَلْتُ بَوَائِقُ مِنْ أَمُورٍ تَرْفَعُ حَوْلَهُ وَتَكْفُ دُونِي
 نَشِدْتُكَ هَلْ يَسُرُّكَ أَنْ سَرَجِي وَسَرَجُكَ فَوْقَ أَبْغُلِ بَاذِينِي
 قال : فقال مُحْفَنٌ : نعم وبالصَّيْنِ .

قال عليّ : أَخْبَرَنَا حمزة بن إبراهيم وعليّ بن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريدة ، عن مَرْزبان قهستان وغيرهما ، أن قتيبة دعا يوماً بنيزك وهو محبوس ، فقال : ما رأيك في السَّبَل والشذ؟ أترأهما يأتيان إن أرسلت إليهما؟ قال : لا ؛ قال : فأرسل إليهما قتيبة فقد ما عليه ، ودعا نيزك وجبغويه فدخلا ، فإذا السَّبَل والشذ بين يديه على كرسيين ، فجلسا بإزائهما ، فقال الشذ لقتيبة : إن جبغويه - وإن كان لي عدواً - فهو أسن مني ، وهو الملك وأنا كعبيده ، فأذن لي أذن منه ، فأذن له ، فدنا منه ، فقبل يده وسجد له ، قال : ثم استأذنته في السَّبَل ، فأذن له فدنا منه فقبل يده ، فقال نيزك لقتيبة : ائذن لي أذن من الشذ ، فأذن له ، فدنا منه فقبل يده ، ثم أذن قتيبة للسَّبَل والشذ^(١) فانصرفا إلى بلادهما ، وضم إلى الشذ الحججاج القيني ، وكان من وجوه أهل خراسان . وقتل قتيبة نيزك ، فأخذ الزبير مولى عابس ائباهلي خفياً لنيزك فيه جوهر ، وكان أكثر من في بلاده مالا وعقاراً ؛ من ذلك الجوهر الذي أصابه في خفته . فسوغه إياه قتيبة . فلم ينزل مؤسراً حتى هلك بكابل في ولاية أبي داود .

قال : وأطلق قتيبة جبغويه ومن عليه ، وبعث به إلى الوليد ، فلم يزل بالشام حتى مات الوليد . ورجع قتيبة إلى مرو ، واستعمل أخاه عبد الرحمن على بلخ ، فكان الناس يقولون : غدر قتيبة بنيزك ، فقال ثابت قطنة :

لا تحسبن الغدرَ حزمًا فربما ترقّت به الأقدامُ يوماً فزلت
 وقال : وكان الحججاج يقول : بعثت قتيبة فتى غيراً فما زدته ذراعاً إلا

(١) ب : « الشذ والسبل » .

زادني باعاً .

قال عليّ : أخبرنا حمزة بن إبراهيم ، عن أشياخ من أهل خراسان ، وعلى بن مجاهد ، عن حسن بن أبي حريدة ، عن مَرْزُبَان قَهِيَسْتَان وغيرهما ، أن قتيبة بن مسلم لما رجع إلى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان - وكان قد هرب عن بلاده - فأرسل يطلب الأمان ، فأمنه عليّ أن يأتيه فيصالحه ، فطلب رهناً يكونون في يديه ويعطي رهائن ، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، فتخلف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض^(١) حصونه ، وقدم عليّ قتيبة فصالحه ، ثم رجع فمات بالطالقان . فقال أهل الجوزجان : سموه ، فقتلوا حبيباً ، وقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عنده ، فقال نهار بن توسعه لقتيبة :

١٢٢٦/٢

أراك الله في الأتراك حكماً
كحكّم في قرينة والنصير
قضاء من قتيبة غير جور
به يشفى الغليل من الصدور
فإن ير نيزك خزيًا وذلاً
فكم في الحرب حمق من أميرا
وقال المغيرة بن حبيشة يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول ابن
أخي نيزك وعمان - أو شقران :

لَمَنْ الدِّيارُ عَفَتْ بِسَفْحِ سَنامِ
عَصَفَ الرِّياحُ ذُبُولَها فَمَحَوَها
إلا بقية أبيضر وتمام
وجرين فوق عراضها بتمام
دار ليجارية كأن رضاءها
ميسك يشاب مزاجه بتمام
أبلغ أبا حفص قتيبة مدحتي
واقرا عليه تحيتي وسلامي
يا سيف أبلغها فإن ثناءها
حسن وإنك شاهد لقاءي
يسموفتضع الرجال إذا سما
لقتيبة الحامي حمي الإسلام

(١) ب : و بعض .

لَأَغْرُ مُنْتَجِبٍ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ
 عَمَضَى إِذَا هَابَ الْجَبَانُ وَأَحْمِشَتْ^(٢)
 تَرَوَى الْقَنَاءَ مَعَ اللِّوَاءِ أَمَامِهِ
 وَالْهَامُ تَفْرِيبِ السُّيُوفِ كَأَنَّهُ
 وَتَرَى الْجِيَادَ مَعَ الْجِيَادِ ضَوَامِرًا
 وَبَهَنَ أَنْزَلَ أُنْبِزَكَ مِنْ شَاهِقِ
 وَأَخَاهُ شَقْرَانًا سَقَيْتَ بِكَأْسِهِ^(٥)
 وَتَرَكَتَ صَوْلًا حِينَ صَالَ مُجَدَّلًا
 نَحَرَ يَبَاحُ بِهِ الْعَدُوُّ لُهُامِ^(١)
 حَرْبٌ تَسَعَّرُ نَارُهَا بِضِرَامِ
 تَحْتَ اللِّوَامِ وَالنَّحُورُ دَوَامِ^(٣)
 بِالْقَاعِ حِينَ تَرَاهُ قَيْضُ نَعَامِ^(٤)
 بِفَنَائِهِ لِحَوَادِثِ الْأَيَامِ
 وَالكَرْزِ حَيْثُ يَرُومُ كُلِّ مَرَامِ
 وَسَقَيْتَ كَأْسَهُمَا أَخَا بَادَامِ
 يَرْكَبْنَهُ بِدَوَابِرِ وَحَوَامِ

١٢٢٧/٢

* * *

(خبر غزو قتيبة شومان وكس ونسف)

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وتسعين - غزا قتيبة شومان وكس
 ونسف غزواته الثانية وصالح طوخان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال علي : أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان ، وأبو السري
 وجبلة بن فروخ عن سليمان بن مجالد ، والحسن بن رشيد عن طفيل بن
 مرداس العمي ، وأبو السري المرزوزي عن عمه ، وبشر بن عيسى وعلي
 ابن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريدة عن مبرز بن قهستان ، وعياش
 ابن عبد الله الغنوي ، عن أشياخ من أهل خراسان ، قال : حدثني ظفري -
 كل قد ذكر شيئا ، فألفته ، وأدخلت من حديث بعضهم في حديث بعض -
 أن فيلسنشب باذق - وقال بعضهم : قيسبستان^(٧) ملك شومان - طرد عامل
 قتيبة ومنع الفدية التي صالح عليها قتيبة ، فبعث إليه قتيبة عياشا الغنوي
 ومعه رجل من نساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان إلى أن يؤدي الفدية

١٢٢٨/٢

(٢) ب : « وأحست » .

(٤) ر : « بيض نعام » .

(٦) ط : « طرخان » .

(١) النحر : العاقل المهرب .

(٣) ب : « دوامي » .

(٥) ر : « وأخوه شقرانا سقيت » .

(٧) ط : « قيسبستان » .

على ما صالح عليه قتيبة، فقدما البلدة، فخرجوا إليهما فرموهما، فانصرف الرجل وأقام عياش الغنوي فقال: أما ها هنا مسلم! فخرج إليه رجل من المدينة فقال: أنا مسلم. فما تريد؟ قال: تُعِينُنِي عَلَى جِهَادِهِمْ، قال: نعم. فقال له عياش: كن خلتني لتمنع لي ظهري: فقام خلفه - وكان اسم الرجل المهلب - فقاتلهم عياش، فحمل عليهم، ففترقوا عنه، وحمل المهلب على عياش من خلفه فقتله، فوجدوا به ستين جراحة، فغمتم قتلته، وقالوا: قتلنا رجلاً شجاعاً.

وبلغ قتيبة، فسار إليهم بنفسه، وأخذ^(١) طريق بلسخ، فلما أتاها قدم أخاه عبد الرحمن، واستعمل على بلسخ عمرو بن مسلم، وكان ملك شومان صديقاً لصالح بن مسلم، فأرسل إليه صالح رجلاً يأمره بالطاعة، ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح، فأبى وقال لرسول صالح: ما تخوفني به من قتيبة، وأنا أمتنع الملوك حصناً أرعى أعلاه، وأنا أشد الناس قوساً وأشد الناس رمياً^(٢)، فلا تبليغ نُسَابَتِي نَصْفِ حِصْنِي، فما أخاف من قتيبة! ففضى قتيبة من بلسخ فعبّر النهر، ثم أتى شومان وقد تحصن ملكها فوضع عليه المجانيق، ورعى حصنه فتهشمه، فلما خاف أن يظهر عليه، ورأى ما نزل به جماع ما كان له من مال وجواهر فرمى به في عين في وسط القلعة لا يدرك قعرها.

قال: ثم فتحت القلعة وخرج إليهم فقاتلهم فقتل، وأخذ قتيبة القلعة عنوة، فقتل المقاتلة وسبي الذرية^(٣)، ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كيس ونسّف، وكتب^(٤) إليه الحجاج، أن كس بكس وانسّف نسّف^(٥)، وإيالك والتحويط. ففتحت كس ونسّف، وامتنع عليه فرياب^(٦) فحرقها فسميت المحترقة. وسرح قتيبة من كيس ونسّف أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السغد^(٧)، إلى طرخون، فسار حتى نزل بمرج قريباً منهم، وذلك في وقت

١٢٢٩/٢

(٢) كذا في ب، وفي ط: «أشده».

(٤) ب: «فكتب».

(٦) ب: «قريات».

(١) ب: «فأخذ».

(٣) ب: «من فيها».

(٥) ب: «نسفا».

(٧) ب: «الصغد».

العَصْر ، فانتبذ الناسُ وشربوا حتى عبثوا وعاشوا وأفسدوا ، فأمر عبدُ الرحمن
أبا مرضية - مولى لهم - أن يمنع الناس من شرب العصير ، فكان يضربهم
ويكسر آنيتهم ويصب نبيذهم ، فسأل في الوادي ، فسُمي مترج النبيذ ،
فقال بعض شعرائهم :

أما النبيذُ فليستُ أشربُهُ أخشى أبا مرضية الكلبِ
متعسفاً يسعى بشكته يتوثب الحيطان للشربِ

فقبض عبدُ الرحمن من طرخون شيئاً كان قد صالحه عليه قتيبة ،
ودفع إليه رهناً كانوا معه ، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببخارى ،
فرجعوا إلى مرو ، فقالت السفند لطرخون : إنك قد رضيت بالذل
واستطبت^(١) الجزية ، وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا بك^(٢) . قال : فولوا من
أحببتهم . قال : فولوا غوزك^(٣) ، وحبسوا طرخون ، فقال طرخون : ليس بعد
سلب الملك إلا القتل ، فيكون ذلك بيدي أحب إلى من أن يليه مني
غيري ، فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره . قال : وإنما صنعوا بطرخون
هذا^(٤) حين خرج قتيبة إلى سجستان وولوا غوزك .

وأما الباهليون فيقولون : حصر قتيبة ملك شومان ، ووضع على قلعته
المسجانيق ، ووضع منجنيقاً كان يسميها الفتحجاء ، فرمى بأول حججر
فأصاب الحائط ، ورمى بآخر فوقع في المدينة ، ثم تابعت الحجارة في
المدينة فوقع حججر منها في مجلس الملك . فأصاب رجلاً فقته ، ففتح
القلعة عشوة ، ثم رجع إلى كس ونسب ، ثم مضى إلى بخارى فنزل
قرية فيها بيت نار وبيت آهة ، وكان فيها طواويس ، فسموه منزل
الطواويس ، ثم سار إلى طرخون بالسفند ليقبض منه ما كان صالحه عليه ،
فلما أشرف على وادي السفند فرأى حسنه تمثل :

(٢) ب : « فيك » .

(١) ر : « وأعطيت » .

(٤) ب : « هذا بطرخون » .

(٣) ويقال . « غورك » .

وَادِ خَصِيبٌ عَشِيبٌ ظَلَّ يَمْنَعُهُ مِنْ الْأَيْبِيسِ حِذَارُ الْيَوْمِ ذِي الرَّهَجِ (١)
وَرَدَّتُهُ بَعْنَانِجٍ مُسَوِّمَةٌ يَرْدِينُ بِالشُّعْثِ سَفَاكِينَ لِلْمُهَجِ (٢)

قال: فقَبِضَ من طَرِخُونِ صَلْحَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بُخَارَى فَتَلَّكَ بِبُخَارَى
نَحْدَاهُ غَلَامًا حَدَثًا ، وَقَتَّلَ مِنْ خَافِ أَنْ يُضَادَّهُ ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى آمَلٍ
ثُمَّ أَتَى مَرَّوً .

قال: وذكر الباهليون عن بشار بن عمرو، عن رجل من باهليّة، قال:
لم يفرغ الناس من ضرب أبينتهم حتى افتتحت القلعة .

• • •

[ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة]

وفي هذه السنة ولّى الوليدُ بنُ عبد الملك مكةَ خالدَ بنَ عبد الله القسريّ
فلتم يزلّ والياً عليها إلى أن مات الوليد. فذكر محمد بن عمر الواقدي أن إسماعيلَ
بن إبراهيم بن عتبة حدثه عن نافع مولى بني مخزوم ، قال : سمعتُ
خالدَ بنَ عبد الله يقول :

يأتيها الناس ، إنكم بأعظم بلادِ الله حرمةً ، وهي التي اختار الله من
البلدان ، فوضع بها بيته ، ثم كتب على عباده حُجَّه من استطاع إليه
سبيلاً . أيرها الناس ، فعليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وإياكم والشبهات ،
فإني والله ما أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم . إن الله
جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها ، فسلموا وأطيعوا ، ولا تقولوا كَيْتَ
وكَيْتَ . إنه لا رأى فيما كتبت به الخليفة أوراها إلا إمضاؤه ، واعلموا أنه
بلغني أن قوماً من أهل الخلفاء يقدمون عليكم ، ويقيمون في بلادكم ، فإياكم
أن تنزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائع عن الجماعة ، فإني لا أجد أحداً منهم
في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله (٣) ، فانظروا من تنزلون في منازلكم ،
وعليكم بالجماعة والطاعة ، فإن الفرقة هي البلاء العظيم .

قال محمد بن عمرو : حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيم ، عن موسى بن عتبة

(١) ب : الموت والرهج . (٢) المناجيج : جمع منجوج ؛ وهي الخيل النجبية .

(٣) ب : هلمته .

عن أبي حسيبة ، قال : اعتمرتُ فنزلتُ دورَ بني أسدٍ في منازل الزبير ، فلم أشعر إلا به يدعوني ، فدخات عليه ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة ، قال : ما أنزلتكَ^(١) في منازل المخالفين للطاعة ! قلت : إنما مقامي إن أقمت يوماً أو بعضه ، ثم أرجع إلى منزلي وليس عندي خلاف ، أنا ممن يُعظم أمرَ الخلافة ، وأزعمُ أن من جحدَها فقد هلك . قال : فلا عليكَ ١٢٣٢/٢ ما أقمت ، إنما ينكره^(٢) أن يُقيمَ مَنْ كان زارياً على الخليفة . قلت : معاذ الله !

وسمعتُه يوماً يقول : والله لو أعلمُ أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقرَّ بالطاعة لأخرجتها من الحرم . إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالفٌ للجماعة ، زارٍ عليهم . قلتُ : وفق الله الأمير .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك . حدثني أحمدُ بنُ ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى . عن أبي معشر . قال : حجَّ الوليد بنُ عبد الملك سنة إحدى وتسعين .

وكذلك قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن أبي بكر . قال : حدثنا صالح بن كيسان ، قال : لما حضر قدوم الوليد أمرَ عمرُ بنُ عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يخرجون معه ، فيتلقون الوليد بن عبد الملك ، منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام ، وأخوه محمد بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فخرجوا حتى بلغوا السويداء ، وهم مع عمر بن عبد العزيز - وفي الناس يومئذ دوابٌ وخييلٌ - فلقوا الوليد وهو على ظهْر ، فقال لهم الحاجب : انزلوا لأمر المؤمنين ، فنزلوا ، ثم أمرهم فركبوا ، فدعا بعمر بن عبد العزيز فسايره حتى نزل بذي خشب ، ثم أحضروا ، فدعاهم رجلاً رجلاً ، فسلموا عليه ، ودعا^(٣) بالغداء ، فتغدوا عنده ، وراح من ذي خشب ، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، فما ترك

(٢) ر : « نكره » .

(١) ب : « فا أنزلك » .

(٣) ب : « ثم دعا » .

فيه أحدٌ ، وبتى سعيد بن المسيب ما يجترئ أحد من الحرس (١) أن يخرجه ، وما عليه إلا رِبَطَتَانِ ما تساويان إلا خمسة دراهم في مُصَلَاةٍ ، فقيل له : لو قمت ! قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلمت على أمير المؤمنين ! قال : والله لا أقوم إليه . قال عمر بن عبد العزيز : فجعلتُ أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاءً ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة ، فقال : من ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيب ؟ فجعل عمر يقول : نعم يا أمير المؤمنين ومين حاله ومين حاله ... ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمتُ حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه ، فدار في المسجد حتى وقف على القبر ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام ، فقال : بخير والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس ، فقلت : أجل يا أمير المؤمنين .

قال : وقسم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً عجباً بين الناس ، وآنية من ذهب وفضة ، وأموراً وخطب بالمدينة في الجمعة وصلى بهم .

قال محمد بن عمر : وحدثني إسحاق بن يحيى ، قال : رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام حج ، قد صف له جنده صفين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد ، في أيديهم الجريزة وعمد الحديد على العواتق ، فرأيتهم طلع في دراعة وقلنسوة ، ما عليه رداء ، فصعد المنبر ، فلما صعد سلم ثم جلس فأذن (٢) المؤذنون ، ثم سكتوا ، فخطب الخطبة الأولى وهو جالس ، ثم قام فخطب الثانية قائماً ، قال إسحاق : فلقيت رجاء بن حيوة وهو معي ، فقلت : هكذا يصنعون (٣) ! قال : نعم ، وهكذا صنع معاوية فهلم جيراً ، قلت : أفلا تكلمه ؟ قال : أخبرني قبصة بن ذؤيب أنه كلم عبد الملك بن مروان

١٢٣٤/٢

(٢) ب : « وجلس وأذن » .

(١) ر : « الناس » .

(٣) ابن الاثر : « تصنعون » .

فأبى أن يفعل ؛ وقال : هكذا خطب عثمان ، فقلت : والله ما خطب هكذا ، ما خطب عثمان إلا قائماً . قال رجاء : روى لهم هذا فأخذوا به . قال إسحاق : لم نر منهم أحداً أشدّ تجبراً منه .

قال محمد بن عمر : وقدم بطيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجمره وبكسوة الكتعبة فنشّرت وعُلقت على حبال في المسجد من ديباج حسن لم ير مثله قط ، فنشّرها يوماً وطوى^(١) ورفع .

قال : وأقام الحج الوليد بن عبد الملك .

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة تسعين ، غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسري في قول الواقدي .

وقال غيره : كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز .

(١) ب : « ثم طوى » .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففي ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ،
ففتح على يدي مسلمة حصون ثلاثة ، وجيلاً أهل سُوسنة إلى جتوف
أرض الروم .

* * *

[فتح الأندلس]

وفيه غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني
عشر ألفاً ، فلقى ملك الأندلس - زعم الواقدي أنه يقال له أدريونق ، وكان
رجلاً من أهل أصبهبان ، قال : وهم ملوك عجم الأندلس - فزحف
له طارق بجميع من معه ، فزحف الأدريونق في سرير الملك ، وعلى
الأدريونق تاجه وقفازه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك ،
فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الله الأدريونق ، وفتح الأندلس سنة
اثنتين وتسعين .

• • •

وفيه غزوا - فيما زعم بعض أهل السير - قتيبة مسجستان يريد رُبيل
الأعظم والزابل ، فلما نزل مسجستان تلقته رُسُل رُبيل بالصلح ،
فقبل ذلك وانصرف ، واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عمير
الليثي .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلتها .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم، ففتتح الله على يديه سمسطية .

وفيهما كانت أيضاً غزوة مروان بن الوليد الروم ، فبلغ نخنجرة .
وفيهما كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، فافتتح مائة
وحصن الحديد وغزاة وبرجمة من ناحية ملطية .

* * *

[صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد]

وفيهما قتلت قتيبة ملك خام جرد ، وصالح ملك خوارزم صلحاً مجدداً .
* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

١٢٣٧/٢ / ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس
والحسن بن رشيد، عن طفيل بن مرداس العمي وعلي بن مجاهد، عن حنبل
ابن أبي حريذة ، عن مرزبان قهستان وكليب بن خلف والباهلين
وغيرهم - وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعضه - أن ملك خوارزم
كان ضعيفاً، فغلبه أخوه خرزاد علي أمره - وخرزاد أصغر منه - فكان إذا
بلغه أن عند أحد من هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعاً فاخراً
أرسل فأخذه، أو بلغه أن لأحد منهم بنتاً أو أختاً أو امرأة جميلة أرسل
إليه فغصبه، وأخذ ما شاء، وحبس ما شاء، لا يمنع عليه أحد، ولا يمنعه
الملك، فإذا قيل له، قال: لا أقوى عليه، وقد ملأه مع هذا غيظاً. فلما
طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعو إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه،
وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم. ثلاثة مفاتيح من ذهب. واشترط عليه أن
يدفع إليه أخاه وكل من كان يصاده، يحكم فيه بما يرى. وبعث في
ذلك رسلاً، ولم يطلع أحداً من مرازبته ولا دهاقينه على ما كتب به

إلى قتيبة ، فقدِمَتْ رملُهُ على قتيبةَ في آخر الشتاء ووقت الغزْو ، وقد
تهيأ للغزْو ، فأظهر قتيبة أنه يريد السُّغند ، ورجع رُسلُ خوارزم شاه إليه
بما يُحب من قبَل قتيبة ، وسار واستخلف على مرَّو ثابتا الأعور مولى مُسلم .
قال : فَجَمَعَ ملوكَه وأخبارَه ودهاقينَه فقال : إن قتيبة يريدُ السُّغند ،
وليس بيغازيكم ، فهلَمْ نتنعم في ربيعنا هذا . فأقبلوا ^(١) على الشرب ^(٢) ،
والتنعم ، وأمنوا عند أنفسهم الغزْو .

قال : فلم يشعروا حتى نزل قتيبةُ في هزارسب دون النهر ، فقال
خوارزم شاه لأصحابه : ما ترون؟ قالوا : نرى أن نقاتله ^(٣) ، قال :
لكني لا أرى ذلك ، قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكةً ؛ ولكني
أرى أن نصرفه بشيء نوديه إليه ، فنصرفه عامنا ^(٤) هذا ، ونرى رأينا .
قالوا : ورأينا رأيك . فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر .
قال : ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد ، فمدينة الفيل
أحصنها ، فنزلها خوارزم شاه - وقتيبة في هزارسب دون النهر لم يعبره بينه وبين
خوارزم شاه نهر بلخ - فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومَتاع ،
وعلى أن يُعينه على ملك خام جرد ، وأن يتى له بما كتَّسب إليه ، فقبل
ذلك منه قتيبة ، ووفى له . وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد ،
وكان يُعادي خوارزم شاه ، فقاتلته ، فقتلته عبد الرحمن ، وغلب على
أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير ، فقتلهم ، وأمر قتيبة
لما جاءه بهم ^(٥) عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس . قال : وأمر
بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وختلف
ظهره ألف . قال : قال المهلب بن إياس : أخذت يومئذ سيوف الأشراف
فضربت بها الأعناق ، فكان فيها ما لا يقطع ولا يسرح ، فأخذوا سيوفى
فلم يضرب به شيء إلا أبانه ، فحسدني بعض آل قتيبة ، فغمز الذي
يضرب أن أصفح به ، فصفح به قليلا ، فوقع في ضرس المقتول فثلمه .
قال أبو الذيال : والسيف عندي . قال : ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه

١٢٣٨/٢

١٢٣٩/٢

(١) ب : « فهلما » . (٢) ر : « الشراب » . (٣) ب : « نقاتل » .

(٤) ب : « عامتنا » . (٥) كذا في ب ، وفي ط : « لما جاءه بهم أخاه عبد الرحمن » .

ومن كان يخالفه فقتلهم ، واصطفى أموالهم فبعث بها إلى قتيبة ،
ودخل قتيبة مدينة فيل ، فقبيل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ، ثم رجع
إلى هزاسب . وقال كتعب الأشرى :

رَمَتِكَ فِيلٌ بِمَا فِيهَا وَمَا ظَلَمْتُ
لَا يُجْزِي الثُّغْرَ خَوَارُ الْقَنَاةَ وَلَا
هَلْ تَذْكُرُونَ لِيَالِي التُّرْكِ تَقْتُلُهُمْ
لَمْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَ مَا كَبَرُوا
أَنْتُمْ شَبَاسٌ وَمِرْدَاذَانٌ مُحْتَقِرٌ
إِنِّي رَأَيْتُ أَبَا حَفْصٍ تَفْضُلُهُ
قَيْسٌ صَرِيحٌ وَبَعْضُ النَّاسِ يَجْمَعُهُمْ
لَوْ كُنْتَ طَاوَعْتَ أَهْلَ الْعِزْمِ مَا اقْتَسَمُوا
وَفِي سَمَرْقَنْدٍ أُخْرَى أَنْتَ قَاسِمُهَا
مَا قَدَّمَ النَّاسُ مِنْ خَيْرٍ سَبَقَتْ بِهِ
قَالَ : أَنْشَدَنِي عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ :

ورامها قبلك الفجفاجة الصلِفُ^(١)
هش المكاسير والقلب الذي يجف
ما دون كازه والفجفاج ملتجف
فهم ثقيل على اكتافها عنف
ربسخراء قبور حشوها القلف^(٢)
أيامه ومساعي الناس تختلف
قرى وريف فمنسوب ومقترف
سبعين ألفاً وعو السغد مرتنف
لئن تأخر عن حوبائك التلف
ولا يفوتك مما خلفوا شرف

* رَمَتِكَ فِيلٌ بِمَا فِيهَا ... *

قال : وكذلك قال الحسن بن رشيد الجوزجاني ؛ وأما غيرهما فقال :

* رَمَتِكَ فِيلٌ بِمَا فِيهَا ... *

وقالوا : فيل مدينة سمرقند ؛ قال : وأثبتها عندي قول علي بن مجاهد .

قال : وقال الباهليون : أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس . قال :

وكان خاصة قتيبة كلموه سنة ثلاث وتسعين وقالوا : الناس كانوا قد مروا

(١) الأغاني ١٤ : ٢٩٩ ، ياقوت ٦ : ٤١٤ . والفجفاجة : الكثير الكلام .

(٢) رواية البيت في الأغاني :

منهم شناس ومرداذاة نعرفه وفسخراء قبور حشوها القلف

قال في شرحه « : شناس اسم أبي صفرة ، فغيره وتسمى ظلما ، ومرداذاة : أبو أبي صفرة ، وسموه
بسراق لما تعربوا . وفسخراء : جده وهم قوم من الخوز من أعمال أهل عمان ، نزلوا الأزدي ثم ادعوا
أنهم صليبة صرحاء منهم » .

من سجستان فأجمتهم عامتهم هذا، فأبى. قال: فلما صالح أهل خوارزم
سار إلى السغد، فقال الأشقرى:

لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتسموا سبعين ألفاً وعز السغد مؤتلف

• • •

[فتح سمرقند]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم منصورته من خوارزم
سمرقند، فافتتحها.

• ذكر الخبر عن ذلك:

قد تقدم ذكرى الإسناد عن القوم الذين ذكر على بن محمد أنه أخذ عنهم
حين صالح قتيبة صاحب خوارزم، ثم ذكر مدريجا في ذلك أن قتيبة لما
قبض صلح خوارزم قدام إليه المجشتر^(١) بن مزاحم السلتمي فقال: إن لي حاجة،
فأخيلني، فأخلاه، فقال: إن أردت السغد يوماً من الدهر فالآن، فإنهم
آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام.
قال: أشار بهذا عليك أحد؟ قال: لا، قال: فأعلمتهُ أحداً؟ قال:
لا، قال: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك. فأقام يومه ذلك، فلما
أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال: سير في الفرسان والمرامية، وقدّم
الأثقال إلى مرو، فوجهت الأثقال إلى مرو، ومضى عبد الرحمن
يتبع الأثقال يريد مرو يومه كله، فلما أمسى كتب إليه: إذا أصبحت
فوجه الأثقال إلى مرو وسر في الفرسان والمرامية نحو السغد، واكتم الأخبار،
فإني بالأثر.

١٢٤٢/٢

قال: فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الأثقال أن يمضوا إلى
مرو، وسار حيث أمره، وخطب قتيبة الناس فقال:

إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن، وهذه^(٢)
السغد شاغرة بريجلها، قد نمتضوا العهود الذي كان بيننا، منعونا ما كنا

(٢) ب: « هذه » .

(١) ط: « المجر »، تحريف.

صَالِحًا عَلَيْهِ طَرْخُونَ ، وَصَنَعُوا بِهِ مَا بَلَغَكُمْ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾^(١) ، فَسِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خُوارزم والسُّغْد كَالنَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدَرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾^(٢) .

قال : فَأَتَى السُّغْدَ وَقَدْ سَبَقَتْهُ إِلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ قَتِيْبَةُ فِي أَهْلِ خُوارزم وَبُخَارَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ مِائِينَ نَزُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهِمْ ، فَقَالَ : إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمِ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾^(٣) . فَحَصَرَهُمْ شَهْرًا ، فَقَاتَلُوا فِي حِصَارِهِمْ مِرَارًا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . وَكَتَبَ أَهْلُ السُّغْدِ وَخَافُوا طَوْلَ الْحِصَارِ إِلَى مَلِكِ الشَّاشِ وَإِخْشَادِ فَرَّغَانَةَ : إِنَّ الْعَرَبَ إِنْ ظَفَرُوا بِنَا عَادُوا^(٤) عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا أَتَوْنَا بِهِ ، فَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ . فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوهُمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : أَرْسِلُوا مَنْ يَشْغَلُهُمْ حَتَّى نَبِيْتِ عَسْكَرَهُمْ .

قال : وَانْتَخَبُوا فُرْسَانًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمَرَّازِبَةِ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالْأَشْدَاءِ الْأَبْطَالِ ١٢٤٣/٢ فَوَجَّهَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبِيْتُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَجَاءَتْ عِيُونَ الْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرُوهُمْ . فَانْتَخَبَ قَتِيْبَةُ ثَلَاثَةَ أَوْ سِتْمِائَةَ مِنْ أَهْلِ النَّجْدَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ^(٥) عَلَيْهِمْ صَالِحَ ابْنِ مُسْلِمٍ ، فَصَيَّرَهُمْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يُؤْتِيَ مِنْهُ . وَبَعَثَ صَالِحٌ عِيُونًَا يَأْتُوهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، وَنَزَلَ عَلَى فَرَسٍ سَخِيْنٍ مِنْ عَسْكَرِ الْقَوْمِ ، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ عِيُونُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهِمْ يَصِلُونَ إِلَيْهِ مِنْ لَيْلَتِهِمْ ، فَفَرَّقَ صَالِحٌ خَيْلَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ ؛ فَجَعَلَ كَتَمِيْنًا فِي مَوْضِعَيْنِ ، وَأَقَامَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَطَاقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ لَيْلًا ، وَلَا يَتَعْلَمُونَ بِمَكَانِ صَالِحٍ ، وَهُمْ آمِنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُمْ أَحَدٌ دُونَ الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ يَتَعْلَمُوا بِصَالِحٍ حَتَّى غَشِيَهُ . قَالَ : فَشَدَّوْا عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا اخْتَلَفَتِ الرِّمَاحُ بَيْنَهُمْ خَرَجَ الْكَتَمِيْنَانِ فَاقْتَتَلَا . قَالَ : وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِمِ : حَصَرْتُهُمْ فَمَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوا أَشَدَّ قِتَالًا مِنْ أَبْنَاءِ أَوْلِيكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَصْبَرَ ، فَقَدْ تَلَّنَاهُمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا نَفْرًا يَسِيرًا . وَحَوَّيْنَا

(١) سورة الفتح ١٠ . (٢) سورة الفتح ٢١ . (٣) سورة الصافات ١٧٧

(٤) ب : « أغاروا » . (٥) ب : « فاستعمل » .

سلاحهم ، واحتزنا رءوسهم ، وأسرننا منهم أسرى ، فسألناهم عن قتلنا ، فقالوا : ما قتلتم إلا ابن ملك ، أو عظيماً من العظماء ، أو بطلاً من الأبطال ، وأقد قتلتم رجالاً إن كان الرجل ليعدك بمائة رجل . فكتبنا على آذانهم ، ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا وما منا رجل إلا معاق رأساً معروفاً باسمه ، وسلبنا من جيد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ودواب فرسه ، فنقلنا قتيبة ذلك كله . وكسرت ذلك أهل السغد ، ووضع قتيبة عليهم المجانيق ، فرماهم بها ، وهو في ذلك يقاتلهم لا يفلح عنهم ، وناصحة من معه من أهل بخارى وأهل خوارزم ، فقاتلوا قتالا شديداً ، وبذلوا أنفسهم .

١٢٤٤/٢

فارس إلى غوزك : إنما تقاتلني بإخوتى وأهل بيتى من العجم ، فأخرج إلى العرب ، فغضب قتيبة ودعا الجدل فقال : اعرض الناس ، ومييز ، أهل البأس فجمعهم ، ثم جلس قتيبة يعرضهم بنفسه ، ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل . فيقول : ما عندك ؟ فيقول العريف : شجاع ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : مختصر ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : جبان ، فسمى قتيبة الحبباء الأنتان ، وأخذ خيلهم وجيد سلاحهم فأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك لهم رث السلاح ، ثم زحف بهم فقاتلهم بهم فرساناً ورجالاً ، ورمى المدينة بالمجانيق ، فشلم فيها ثلثة فسدوا بغرائر الدخن ، وجاء رجل حتى قام على الثلثة فشتم قتيبة ، وكان مع قتيبة قوم رماة ، فقال لهم قتيبة : اختاروا منكم رجلين ، فاختاروا ، فقال : أيكما يرمى هذا الرجل ، فإن أصابه فله عشرة آلاف ، وإن أخطاه قطعت يده ؟ فتلكأ أحدهما وتقدم الآخر ، فرماه فلم يخطئ عينه ، فأمر له بعشرة آلاف .

قال : وأخبرنا الباهليون ، عن يحيى بن خالد ، عن أبيه خالد بن باب مولى مسلم بن عمرو ، قال : كنت في رماة قتيبة ، فلما افتتحنا المدينة صعدت السور فأتيت مقام ذلك الرجل الذى كان فيه فوجدته ميتاً على الحائط ، ما أخطأت النشابة عينه حتى خرجت من قفاه ، ثم أصبحوا من

١٢٤٥/٢

غد فرموا المدينة ، فثَلَمُوا فيها . وقال قتيبة : أَلِحُوا عليها حتى تَعْبُرُوا
الثُلَمَةَ ، فقاتلهم حتى صاروا على ثُلَمَةِ المدينة ، ورماهم السَّغْدُ بالنشاب ، فوَضَعُوا
تَرَسَتَهُمْ ^(١) فكان الرجل يضعُ ترسَهُ على عَيْنِهِ ، ثمَّ يَحْمِلُ ^(٢) حتى
صاروا على الثلثة ، فقالوا له : انصِرِفْ عنا اليومَ حتى نصالحك غداً .

فأما باهلة فيقولون : قال قتيبة : لانصالحهم إلاَّ ورجائنا على الثلثة ،
ومجانقتنا تَخِطِرُ على رؤسِهِمْ ومدينتِهِمْ .

قال : وأما غيرُهُم فيقولون : قال قتيبة : جَزَعَ العبيدُ ، فانصرفوا
على ظفرِ كُمٍ ، فانصرفوا ، فصالحتهم من الغد على أَلْفِ ألف ومائتي ألف ^(٣) .
في كلِّ عامٍ ، على أن يُعْطَوْهُ تِلْكَ السَّنَةَ ثلاثين ألف رأسٍ ، ليس فيهم
صبيٌّ ولا شَيْخٌ ولا عيبٌ ، على أن يُخَلُّوا المدينةَ لقتيبة فلا يكون لهم فيها
مُقاتِلٌ ، فيُبنى له فيه مسجدٌ فيدخل ويصلي ، ويُوَضَّعُ له فيها منبرٌ
فيخطب ، ويتغدَّى ويخرج .

قال : فلما تمَّ الصلح بعث قتيبةً عشرةً ، من كلِّ خُمسٍ برجلين ،
فقبَضُوا ما صالحهم عليه ، فقال قتيبة : الآنَ ذَلُّوا حين صار إخوانهم وأولادهم
في أيديكم . ثمَّ أخلوا المدينة وبنوا مسجداً ووضعوا منبراً ، ودخلتها في
أربعة آلاف انتخبهم ، فلما دخلتها أتى المسجدَ فصلَّى وخطبَ ثمَّ
تغدَّى ، وأرسل إلى أهل السَّغْدِ : من أراد منكم أن يأخذَ متاعه فليأخذْه ؛
فإني لستُ خارجاً منها ، وإنما صنعتُ هذا لكم ، ولستُ آخذُ منكم أكثرَ
مما صالحتكم عليه ، غير أن الجُنْدَ يقيمون فيها .

قال : أما الباهليون فيقولون : صالحتهم قتيبةٌ على مائة ألف رأسٍ ،
وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقَبَضَ ما صالحهم عليه ، وأتى بالأصنام
فسَلَبَتْ ؛ ثمَّ وُضِعَتْ بين يديه ، فكانت كالقَصْرِ العظيم حين جُمِعَتْ ،
فأمَرَ بتحريقها ، فقالت الأعاجم : إنَّ فيها أصناماً منَّ حرقها هَلَكُ ،
فقال قتيبة . أنا أحرقها بيدي ، فجاء غوزك ، فجشأ بين يديه وقال :

(١) ب : « ترسهم » . (٢) ب : « ويحمل » . (٣) بعدها في ب : « مثقال » .

أيها الأمير ، إن شكرك على واجب ، لا تعرض لهذه الأصنام ؛ فدعا قتيبة بالنار وأخذ شُعلة بيده ، وخرج فكبر ، ثم أشعلها . وأشعل الناس فاضطربت ، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال .

* * *

قال : وأخبرنا مَخْلَد بن حمزة بن بَيْض ، عن أبيه ، قال : حدثني من شهد قتيبة وفتح سمرقند أوبعض كُور خراسان فاستخرجوا منها قدورا عظاما من نحاس ، فقال قتيبة لحضين : يا أبا سامان ، أتري رقاش كان لها مثل هذه القدور ؟ قال : لا ، لكن كان لعَيْلان قِدْر مثل هذه القدور ، فضحك قتيبة وقال : أدركت بثأرك .

قال : وقال محمد بن أبي عَيْسَةَ لسَلْم بن قتيبة بين يدي سليمان بن علي : إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر إنه غدر بخوارزم وسمرقند .

قال : فأخبرنا شيخ من بني سَدُوسَ عن حمزة بن بيض قال : أصاب قتيبة بخراسان بالسغد جارية من ولد يزيد جرد ، فقال : أترون ابن هذه يكون هجينا ؟ فقالوا : نعم ، يكون هجينا من قبل أبيه ، فبعث بها إلى الحجاج ، فبعث بها الحجاج إلى الوليد ، فولدت له يزيد ابن الوليد .

١٢٤٧/٢

قال : وأخبرنا بعض الباهليين ، عن نَهْشَل بن يزيد ، عن عمه - وكان قد أدرك ذلك كله - قال : لما رأى غوزكُ إلحاح قتيبة عليهم كتب إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان : إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب ، فإن وصل إلينا كنتم أضعف وأذل ، فهما كان عندكم من قوة فابذلوها ؛ فنظروا في أمرهم فقالوا : إنما نؤتى من سفيلتنا ، وإنهم لا يتجدون كسوجدنا ، ونحن معشر الملوك المعنيون بهذا الأمر ، فانتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم ، فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة فليبيت ، فإنه مشغول بحصار السغد ، ففعلوا ، ولوا عليهم ابنا لخاقان ، وساروا وقد

أجمعوا أن يبيتوا العسكر ، وبلغ قتيبةُ فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس ، فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب . فكانوا أربعمائة ، فقال لهم : إن عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم ، وتأيدوا إياكم في مزاحمتكم ومكائرتكم . كل ذلك يفلجكم الله عليهم ، فأجمعوا على أن يحتالوا غررتكم وبياتكم ، واختاروا دهاقينهم ومسلوكهم ، وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم . وقد فضلكم الله بدينه . فأبلوا الله بلاءً حسناً تستوجبون به الثواب ، مع الذب عن أحسابكم .

١٢٤٨/٢

قال : ووضع قتيبةُ عيوناً على العدو حتى إذا قرَّبوا منه قدراً ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم ، فكلَّمهم وحضَّهم ، واستعمل عليهم صالح بن مسلم ، فخرجوا من العسكر عند المغرب . فساروا ، فنزلوا على فرسَين من العسكر على طريق القوم الذين وَّصفوا لهم ، ففرَّق صالح خيلَه . وأكمن كميناً عن يمينه ، وكميناً عن يساره ، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ، جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت ، وصالح واقفٌ في خيلَه ، فلما رأوه شدوا عليه ، حتى إذا اختلفت الرماح شدَّ الكمينان عن يمين وعن شمال ، فلم نسمع إلا الاعتزاء ، فلم نرَ قوماً كانوا أشدَّ منهم .

قال : وقال رجلٌ من البراجم : حدثني زهير أوشعبة قال : إنا لنختلف عليهم بالطعن والضرب إذ تبينت تحت الليل قتيبةً ، وقد ضربتُ ضربةً أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة ، فقلت : كيف ترى بأبي أنت وأمي ! قال : اسكُت دقَّ اللهُ فاك ! قال : فقتلناهم فلم يُفلت منهم إلا الشريد ، وأقمنا نحوي الأسلاب ونحتزَّ الرعوس حتى أصبحنا ، ثم أقبلنا إلى العسكر ، فلم أر جماعةً قطَّ جاءوا بمثل ما جئنا به ، ما مِننا رجلٌ إلا معلق رأساً معروفاً باسمه ، وأسير في وثاقه .

قال : وجئنا قتيبةً بالرعوس ، فقال : جزاكم الله عن الدين والأعراض خيراً .

١٢٤٩/٢

وأكرمني قتيبة من غير أن يكون باح لي بشيء ، وقرن بي في الصلَّة والإكرام حيانَ العدوِّ وحليساً الشيباني ، فظننتُ أنه رأى منهما مثل الذي رأى

منى ، وكسر ذلك أهل السُّغَد ، فطلبوا الصلح ، وعَرَضُوا الفِديَةَ فأبى ، وقال : أنا ثائر بدم طَرْنُخون . كان مولاي وكان من أهل ذمى .
قالوا : حدث عمرو بن مسلم . عن أبيه ، قال : أطال قتيبةُ المُقام . وثُلِمَتِ
الثلمة في سمرقند . قال : فنادى مناد فصيح بالعربية يَشْتُمُ قتيبةً ؛ قال :
فقال عمرو بن أبي زهْدَم : ونحنُ حولَ قتيبةَ ، فحين سمعنا الشتم خرجنا
مسرِّعين ، فمكثنا طويلاً وهو مُلِحٌّ بالشتم ، فجئْتُ إلى رِواقِ قُتيبةَ فاطلعت ،
فإذا قتيبةُ مُخْتَبِ بِشَمْلَةٍ يقول كالمناجي لنفسه : حتى متى يا سمرقند
يعشش فيك الشيطان ! أما والله لئن أصبحتُ لأحاولن من أهلك أقصى
غاية ، فانصرفتُ إلى أصحابي ، فقلت : كم من نفس أبيّة ستموت غداً منا
ومنهم ! وأخبرتهم الخبر .

قال : وأما باهلة فيقولون : سار قتيبةُ فجعل النهرَ يمينه حتى وردَ بُخارى ،
فاستنهضهم معه ، وسار حتى إذا كان بمدينة أربنجن ، وهي التي تُجلبب
منها اللبود الأربنجنيّة ، لقبهم غوزك صاحبُ السُّغَد في جمع عظيم من
الترك وأهل الشاش وفرغانة ، فكانت بينهم وقائعٌ من غير مُزاحفة ، كلُّ
ذلك يَظْهَرُ المسلمون ، ويتحاجزون حتى قرَّبوا من مدينة سمرقند ، فتزاحفوا
يومئذ ، فحمل السُّغَد على المسلمين حملةً حَطَموهم حتى جازوا عسكرهم ،
ثم كَرَّ المسلمون عليهم حتى ردَّوهم إلى عسكرهم ، وقتل الله من المشركين
عددًا كثيراً ، ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم .

١٢٥٠/٢

قال : وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبي صغيرة ؛ قال : رأيت خيلاً يومئذ
تُطاعِنُ خيلاً المسلمين ، وقد أمر يومئذ قتيبةُ بسريه فأبرز ، وقعد عليه ،
وطاعنوه حتى جازوا قتيبةً ، وإنه لمُخْتَبِ بسيفه ما حَلَّ حَبْوتَه ، وانطوت
مجنبتا المسلمين على الدين هزَموا القلْب ، فهزَموهم حتى ردَّوهم إلى عسكرهم ،
وقُتِلَ من المشركين عددٌ كثير ، ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم . وصنع
غوزك طعاماً ودعا قتيبةً ، فأتاه في عدد من أصحابه ، فلما تغدَّى استوهبَ
منه سمرقند ، فقال للملِك : انتقل عنها ، فانتقل عنها ، وتلا قُتيبةُ :
﴿ وَأَنه أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى • وَنَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ .

قال : وأخبرنا أبو الذّيال ، عن عمر بن عبد الله التميمي ، قال : حدثني الذي سرحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند ، قال : قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام ، فقدمتها فدخلت مسجداً ، فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنبتي رجلٌ ضريب ، فسألته عن شيء من أمر الشام ، فقال : إنك ١٢٥١/٢ لغريب ، قلت : أجل ، قال : من أي بلد أنت ؟ قلت : من خراسان . قال : ما أقدم ملك ؟ فأخبرته ، فقال : والذي بعث محمدًا بالحق ما افتتحتموها إلا غدرًا ، وإنكم يا أهل خراسان لتلذذون بتسليبي بن أمية ملككم ، وتسقضون دمشق حَجْرًا حَجْرًا .

قال : وأخبرنا العلاء بن جرير ، قال : بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جنبها فنظر إلى الناس متفرقين في مروج السغد ، فتمثل قول طرفة :

وأرتع أقوام ولولا محلنا بمخشيّة ردوا الجمال فقوضوا

قال : وأخبرنا خالد بن الأصمّح ، قال : قال الكميت :
كانت سمرقند أحقاباً يمانية فاليوم تنسبها قيسية مضر

قال : وقال أبو الحسن الجشمي : فدعا قتيبة نهار بن تَوْسِعة حين صالح أهل السغد ، فقال : يا نهار ، أين قولك :

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب^(٤)
أقاما بمرور الرود رهن ضريحه وقد غيبا عن كل شرق ومغرب

أفغزوه هذا يا نهار ؟ قال : لا ، هذا أحسن^(٦) ، وأنا الذي أقول :

وما كان مذكنا ولا كان قبلنا ولا هو فيما بعدنا كأبن مسلم
أعم لأهل الترك قتلاً بسيفه وأكثر فينا مقسماً بعد مقسم

(١) في الشعر والشعراء ٥٢٣ : « إن الذي أنت فيه ليس بالغزو ولكنه الحرب » .

قال : ثم ارتحل قتيبة راجعاً إلى مرو ، واستخلف على سمرقند عبد الله ابن مسلم ، وخلف عنده جنداً كثيراً ، وآلة من آلة الحرب كثيرة ، وقال : لا تدعنّ مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا محتوم اليد ، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقنله ، وإن وجدت معه حديدة ، سيكينا فما سواه فاقنله ، وإن أغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقنله ، فقال كعب الأشقرى - ويقال رجل من جعنى :

كُلَّ يَوْمٍ يَخْوِي قَتِيبَةَ نَهْبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَدِيدًا
 باهليُّ قد ألبس التاجَ حتَّى شاب منه مفارقٌ كنَّ سودًا
 دَوْخُ السُّغْدِ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ السُّغْدَ بِالْعِرَاءِ قُعُودًا
 فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مُوجِعٌ يُبْكِي الْوَلِيدَا
 كلما حلَّ بلدةٌ أو أتاها تَرَكَتْ خَيْلُهُ بِهَا أَخْدُودًا

قال : وقال قتيبة : هذا العداء لا عداة عيرين ، لأنه فتح خوارزم وسمرقند في عام واحد ؛ وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد عيرين قيل : عادى بين عيرين . ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو .

* * *

وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها ، وكان ضعيفاً . وكان على خراجها عبید الله بن أبي عبید الله مولى بنى مسلم . قال : فاستضعف أهل خوارزم إياما ، وجمعوا له ، فكتب عبید الله إلى قتيبة ، فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً ، وقال : اضرب إياس بن عبد الله وحيان النبطي مائة مائة ، واحلقنهما ، وضم إليك عبید الله بن أبي عبید الله ، مولى بنى مسلم ، واسمع منه فإن له وفاء . فضى حتى إذا كان من خوارزم على سكة ، فدس إلى إياس فأنذره فتنحى ، وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقه .

قال : ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود إلى خوارزم ، فبلى عنهم ذلك ، فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم

خوارزم شاه، وقالوا: لا نعينك، فهرب إلى بلاد الترك. وقدِم المغيرة فسبى وقتل،
وصالحتَه الباقون، فأخذ الجزية. وقدِم على قتيبة، فاستعمله على نيسابور.

• • •

[فتح طليطلة]

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس
ووجهه إلى مدينة طليطلة.

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غضب على طارق في سنة
ثلاث وتسعين، فشخص إليه في رجب منها، ومعه حبيب بن عتبة بن نافع
الفهري، واستخلف حين شخص على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن
نصير، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف، فلقاه، فرضاه
فرضي عنه، وقبيل منه عذره، ووجهه منها إلى مدينة طليطلة - وهي
من عظام مدائن الأندلس، وهي من قرطبة على عشرين يوماً^(١) - فأصاب
فيها مائة سليمان بن داود، فيها من الذهب والحوهر ما الله أعلم به.

١٢٥٤/٢

• • •

قال: وفيها أجدب أهل إفريقية جدياً شديداً، فخرج موسى بن نصير
فاستسقى، ودعا يوماً حتى انتصف النهار، وخطب الناس، فلما أراد
أن ينزل قيل له: ألا تدعو لأمير المؤمنين! قال: ليس هذا يوم ذاك،
فسقوا سقياً كفاهم حيناً.

* * *

[خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز]

وفيها عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة.

* ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد
يُخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم
بغير حق ولا جناية، وأن ذلك بلغ الحجاج، فاضطغنه على عمر، وكتب
إلى الوليد: إن من قبلي من مرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلدوا عن

(١) بعدها في ابن الأثير: « ففتحها ».

العراق ، ولجئوا إلى المدينة ومكة ، وإن ذلك وهن .
فكتب الوليدُ إلى الحجّاج : أن أشرُ عليّ برجلين ، فكتب إليه يشير عليه
بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله ، فولى خالدًا مكة وعثمان المدينة . وعزل
عمر بن عبد العزيز .

قال : محمد بنُ عمر : خرج عمرُ بنُ عبد العزيز من المدينة فأقام
بالسويداء وهو يقول لمزاحم : أتخاف أن تكون ممن نَفَثَهُ طيبة !

• • •

وفيها ضربَ عمرُ بن عبد العزيز خُبيبَ بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد
إيَّاه ، وصبَّ على رأسه قِربةً من ماء بارد . ذكر محمد بنُ عمر ، أن أبا المليح
حدثه عن حضر عمر بن عبد العزيز حين جَلَسَ خُبيب بن عبد الله بن
الزبير خمسين سَوَاطِءَ ، وصبَّ على رأسه قِربةً من ماء في يوم شاتٍ ،
ووقفه على باب المسجد ، فَسَكَتَ يومه ثم مات .

١٣٥٤/٢

• • •

وحجَّجَ بالناس في هذه السنة عبدُ العزيز بنُ الوليد بن عبد الملك ، حدثني
بذلك أحمد بنُ ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكانتُ عمَّالَ الأمصار في هذه السنة تُعْمَلُها في السنة التي قبلها ، إلا ما كان من
المدينة ، فإنَّ العاملَ عليها كان عثمان بن حيان المُرِّي ، وليها - فيما قيل -
في شعبان سنة ثلاث وتسعين .

وأما الواقدي فإنه قال : قدِمَ عثمانُ المدينةَ للبلتين بقيتا من شوال
سنة أربع وتسعين .

وقال بعضهم : شَخَّصَ عمرُ بنُ عبد العزيز عن المدينة معزولا في
شعبان من سنة ثلاث وتسعين وغزاه فيها ، واستخلف عليها حين شَخَّصَ
عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري . وقدِمَ عثمانُ بنُ
حيان المدينة للبلتين بقيتا من شوال .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، فقبل : إنه
فتّح فيها أنطاكية .

وفيها غزوا - فيما قبل - عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزاة .
وبلغ الوليد بن هشام المعيطى أرض بروج الحمام ، ويزيد بن أبي كبشة
أرض سورية .

وفيها كانت الرجفة^(١) بالشام^(٢) .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند .

* * *

[غزو الشاش وفرغانة]

وفيها غزوا قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان ؛ مدينتي
فرغانة .

• ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه :

ذكر علي بن محمد ؛ أن أبا الفوارس التميمي ، أخبره عن ماهان ويونس
ابن أبي إسحاق ، أن قتيبة غزا سنة أربع وتسعين . فلما قطع النهر فرض على
أهل بخارى وكس ونسف وخرارزم عشرين ألف مقاتل . قال : فساروا
معه إلى السغد ، فوجهوا إلى الشاش ، وتوجه هو إلى فرغانة ، وسار حتى أتى
خجندة ، فجمع له أهلها . فلقوه فاقتلوا مراراً ، كل ذلك يكون الظفر
للمسلمين . ففرغ الناس يوماً فركبوا خيولهم ، فأوفى رجل على نَشْرٍ
فقال : تالله ما رأيت كاليوم غرة ، لو كان هبج اليوم ونحن على ما أرى

(١) ب : « الزحفة » .

(٢) ابن الأثير : « وفيها كانت الزلازل بالشام ، ودامت أربعين يوماً ، فخربت البلاد ؛ وكان
عظم ذلك في أنطاكية » .

من الانتشار لكانت الفضيحة ، فقال له رجل إلى جنبه : كلا ، نحن كما قال عوف بن الحرير :

نوم البلاد لحب اللقما ولا نتقى طائراً حيث طاراً
سنيحاً ولا جارياً بارحاً على كل حال نلأ في اليساراً^(١)

وقال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة :

فسل الفوارس في خجندة تحت مرهفة العوالي
هل كنت أجمعهم إذا^(٢) هزموا وأقدم في قتالي
أم كنت أضرب هامة الـ عاني وأصبر للعوالي^(٣)
هذا وأنت قريع قبـ من كلها ضخم النوال
وفضلت قيساً في الندى وأبوك في الحجج الخوالي
ولقد تبين عدن حكا بك فيهم في كل مال
تمت مروءتكم ونا غي عزكم غلب الجبال

قال : ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة . وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها . وانصرف قتيبة إلى مرو . وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم ينتهـي أن وجه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة . ووجه إليهم جهنم بن زحر بن قيس . فإنه في أهل العراق خير منه في أهل الشام . وكان محمد واداً لجهنم بن زحر . فبعث سليمان بن صعصعة وجهنم بن زحر . فلما ودعه جهنم بكى وقال : يا جهنم ، إنه للفراق : قال : لا بد منه .

قال : وقدم على قتيبة سنة خمس وتسعين .

• • •

(١) ر : « النصارا » . (٢) ب : « أحبيهم » . (٣) ب : « العاني » .

[ولاية عثمان بن حيان المرّي على المدينة]

وفي هذه السنة قدّم عثمان بن حيان المرّي المدينة واليًّا عليها من قبيل الوليد بن عبد الملك .

* ذكر الخبر عن ولايته :

قد ذكرنا قبلُ سببَ عزّل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة وتأميره على المدينة عثمان بن حيان ، فزعم محمد بن عمر أن عثمان قدم المدينة أميراً عليها للسلتين بقيتتا من شوال سنة أربع وتسعين ، فنزل بها دار مروان وهو يقول : محلة والله مِظعانٌ ، المغرور من غربك . فاستقصى أبا بكر بن حزم ، .

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن عبد الله بن أبي حرة ، عن عمه قال : رأيتُ عثمان بن حيان أخذ رباح بن عبید الله ومنقذا العِراق فحبسهم وعاقبهم ، ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجّاج بن يوسف ، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر ، وأمر بهم أن يُسخرَجوا من كل بلد ، فرأيتهم في الجوامع ، وأتبع أهل الأهواء ، وأخذ هَيِّصاً فقطعه ، ومنحوراً . وكان من الخوارج قال : وسمعتُه يخطُب على المنبر يقول بعد حمد الله :

أيها الناس ، إنا وجدناكم أهل غشٍّ لأمر المؤمنين في قديم الدهر وحديثه ، وقد ضوّى إليكم من يزيدكم خبيلاً . أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق ، هم والله عشّ النفاق وبَيِّضتُه التي تفلقت عنه . والله ما جربتُ عراقياً قطّ إلاّ وجدتُ أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل ١٢٥٩/٢

أبي طالب ما يقول : وما هم لحم بشيعة ، وإنهم لأعداءُ لهم ولغيرهم ، ولكن لما يريد الله من سفك دمائهم فإني والله لا أوتى بأحد أوتى أحداً منهم ، أو أكراه منزلاً . ولا أنزلته . إلاّ هدمتُ منزله . وأنزلتُ به ما هو أهله . ثم إنّ البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على ما يصلاح رعيته جعل عمر عليه من يريد الجهاد فيستشيره : الشأم أحب إليك أم العراق ؟ فيقول : الشأم أحب إليّ . إني رأيتُ العراق داءً عضالاً . وبها فرخ الشيطان . والله

لقد أعضلوا^(١) بي ، وإني لأراني سأفرقهم في البلدان ، ثم أقول : لو فرقتهم لأفسدوا من دخلوا عليه بجدال وحجاج ، وكيف ؟ ولیم ؟ وسرعة وجيف في الفتنة . فإذا نخبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل^(٢) . لم يصلحوا على عثمان . فلقى منهم الأمرين^(٣) . وكانوا أول الناس فشق هذا الفشق العظيم . ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة ، وأنغلوا^(٤) البلدان . والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم . ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فدامسجهم^(٥) فلم يصلحوا عليه ، ووليهم رجل الناس^(٦) . جلدأ فبسط عليهم السيف ، وأخافهم ، فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا ، وذلك أنه خببرهم وعرفهم .

أيها الناس ، إنا والله ما رأينا شعراً قط مثل الأمن ، ولا رأينا حلياً^(٧) قط شراً من الحيرف : فالزموا الطاعة ، فإن عندى يا أهل المدينة خيرة من الخلاف . والله ما أنتم بأصحاب فتال ، فكوزوا من أحلاس بيوتكم : وعصوا على النواجذ ، فإنى قد بعثت في مجالسكم من يتسع فيبلغنى عنكم . إنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم ، فدعوا عيب الولاية ، فإن الأمر إنما ينقض شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء ، والفتنة تذهب بالدين وبالمال والولد .

قال : يقول القاسم بن محمد : صدق في كلامه هذا الأخير ، إن الفتنة هكذا

قال محمد بن عمر : حدثني خالد بن القاسم ، عن سعيد بن عمرو الأنصارى ، قال : رأيت منادى عثمان بن حيان ينادى عندنا : يا بني أمية بن زيد ، برئت ذمة ممن آوى عراقياً - وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل

(١) عضل به الأمر وأعضل : اشتد . (٢) الطائل والطائلة والطول : الفضل والقدرة .

(٣) الأمران : الفقر والمهرم ؛ وهما كناية عن اشتداد الأمر .

(٤) أنغلوا : أفسدوا ، من نغل الأديم إذا فسد في الدباغ ، وأنغله : أفسده .

(٥) دامسجهم : وافقهم ؛ من المدامجة وهي مثل المداجاة . (٦) رجل الناس ، يريد الحجاج .

(٧) الحلي : الأصباء : كساء عما ظن به . وضعه تحت رحله ؛ والمداد : الكحل .

يقال له أبو سوادة، من العباد - فقال: والله ما أحب أن أدخل عليكم مكرهًا، بلغوني! (١) مآمتي، قلت: لا خير لك في الخروج. إن الله يتدفع عنا وعنك. قال: فأدخلته بيته. وبلغ عثمان بن حيان فبعث أحراسًا فأخرجته إلى بيت أخي، فما قدروا على شيء. وكان الذي سعى بي عبدًا وأنا. فقلت للأمير: أصلح الله الأمير! يؤتني بالباطل فلا تعاقب عليه. قال: فصرّب الذي سعى بي عشرين سوطًا. وأخبرنا العراقي. فكان يصلني معنا ما يغيب يومًا واحدًا، وحدثب عليه أهل دارنا. فقالوا: نموت دوزلك! فما بترح حتى عزل الخبيث.

قال محمد بن عمر: حدثنا عبد الحكيم (٢) بن عبد الله بن أبي فرّوة. قال: إنما بعث الوليد عثمان بن حيان إلى المدينة لإخراج من بها من العراقيين وتفريق أهل الأهواء ومن ظهروا (٣) عليهم أو علا بأمرهم (٤)، فلم يبعثه واليساء، فكان لا يصعد المنبر ولا يخطب عليه، فلما فعل في أهل العراق ما فعل. وفي مشهور وغيره أثبتته على المدينة، فكان يصعد على المنبر.

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير]

وفي هذه السنة قتل الحجاج سعيد بن جبير.

• ذكر الخبر عن مقتله :

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عليه مع من خرج عليه. مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج جعله على عطاء الجند حين وجّه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلتعه معه، فلما هزم عبد الرحمن وهرب إلى بلاد رتبيل هرب سعيد.

فحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان - وكان سعيد، قال الطبري: أظنه أنه لما هرب

(١) ب : « بلغوا بي » . (٢) ط : « الحكم » ، تصحيف

(٣) ب : « طعن » . (٤) ب : « عاب أمرهم » .

من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه - : إن سعيداً عندك فخذّه .
فجاء الأمر إلى رجل تخرج ، فأرسل إلى سعيد : تحول عني ، فتنحى عنه ،
فأتى أذربيجان ، فلم يزل بأذر بيجان فطال عليه السنون ، واعتصر
فخرج إلى مكة فأقام بها ، فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يخبرون
بأسمائهم . قال : فقال أبو حصين وهو يحدثنا هذا : فبئسنا أن فلاناً قد أمر
على مكة ، فقلت له : يا سعيد ، إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل
سوء ، وأنا أتقيه عليك ، فاطعن واشخص ، فقال : يا أبا حصين ، قد
والله فررت حتى استحييت من الله ! سيحييني ما كتب الله لي . قلت :
أظنك والله سعيداً كما سميتك أمك . قال : فقدم ذلك الرجل إلى مكة ،
فأرسل فأخذ فلان له وكلمه ، فجعل يديره^(٣)

١٢٦٢/٢

وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس ، قال : كتب الحجاج إلى
الوليد : إن أهل النفاق والشقاق قد لجئوا إلى مكة ، فإن رأى
أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم ! فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري ؛
فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد^(١) وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار ؛
فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلوا لأنهما مكيتان ، وأما الآخرون فبعث بهم
إلى الحجاج ، فمات طلق في الطريق ، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج .
وقتل سعيد بن جبير .

حدثنا أبو كريب . قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا الأشجعي ،
قال : لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزل منزلاً قريباً من الربذة ،
فانطلقت أحد الحرسيين في حاجته وبني الآخر ، فاستيقظ الذي عنده ،
وقد رأى رؤيا ، فقال : يا سعيد ، إني أبرأ إلى الله من دمك ! إني رأيت
في منامي ؛ فقيل لي : ويلك ! تبرأ من دم سعيد بن جبير . اذهب
حيث شئت لا أطلبك أبداً . فقال سعيد : أرجو العافية وأرجو . وأني حتى

١٢٦٣/٢

(١) هو أبو حصين عثمان بن عاصم ، روى عنه أبو بكر بن عياش ، وانظر الجزء الأول

جاء ذاك؛ فتنزلاً من الغد، فأرى مثلها، فقيل: ابراً من دم سعيد.
 فقال: يا سعيد، اذهب حيث شئت، إني ابراً إلى الله من دمك، حتى جاء به.
 فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه، حدثنا
 أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد
 مولى بنى هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه، جىء به
 مقيداً فدخل عليه قرأ أهل الكوفة. قلت: يا أبا عبد^(١) الله، فحدثكم؟
 قال: إى والله ويضحك، وهو يحدثنا، وبُنيته له في حجره، فنظرت
 نظرة فابصرت القيد فبكت، فسمعتُه يقول: أى بُنيته لا تطيرى،
 إياك - وشقّ والله عليه - فاتبعناه نشيعه، فانتبهينا به إلى الجسر، فقال
 الحرسيان: لا نعبئ به أبداً حتى يعطينا كفيلاً، نخاف أن يفرق نفسه.
 قال: قلنا: سعيدٌ يفرق نفسه! فما عبروا حتى كفلنا به.

قال وهب بن جرير: حدثنا أبي، قال: سمعتُ الفضل بن سويد
 قال: بعثتني الحجاج في حاجة، فجىء بسعيد بن جبير، فرجعتُ
 فقلت: لأنظرن ما يصنع. فتمت على رأس الحجاج، فقال له الحجاج: ١٢٦٤/٢
 يا سعيد، ألم أشركك في أماني! ألم أستعملك! ألم أفعل! حتى ظننتُ
 أنه يخلى سبيله: قال: بلى، قال: فما حَمَمَكَ على خروجك على؟
 قال: عزم على، قال: فطار غضباً وقال: هيه! رأيت لعزمة عدو
 الرحمن عليك حقاً، ولم تر لله ولا لأمر المؤمنين ولا لى عليك حقاً!
 اضربا عنقه، فضربت عنقه، فنسدر رأسه عليه كمة بيضاء
 لا طية صغيرة.

وحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، قال: سمعتُ خلف بن خليفة
 يذكر عن رجل قال: لما قتل سعيد بن جبير فنسدر رأسه لله، مائل ثلاثاً:
 مرة يفتضح بها، وفي الثنتين يقول. مثل ذلك فلا يفتضح بها.
 وذكر أبو بكر^(٢) الباهلي، قال: سمعتُ أنس بن أبي شيخ، يقول: لما

(١) أبو عبد الله كنية يزيد بن أبي زياد. تهذيب التهذيب.

(٢) ط: «بكرة»، وانظر الفهرس.

أتى الحجاج بسعيد بن جبير ، قال : لعن الله ابن النصرانية - قال : يعنى خالداً القسرى ، وهو الذى أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ! بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة . ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ، ما أخرجك على ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! إنما أنا امرؤ من المسلمين يُخطئ مرة ويصيب مرة ، قال : فطابت نفس الحجاج ، وتطلق وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، قال : فعاودته فى شيء ، فقال له : إنما كانت له بيعة فى عنق ، قال : فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفى رداه عن منكبه ، فقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ، ثم أخذت^(١) بيعة أهلها ، وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ! قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة ، فأخذت بيعتك له ثانية ! قال : بلى ، قال : فشتك^(٢) بينعتين لأمر المؤمنين . وتغيبى بواحدة للحائك ابن الحائك ! اضربا عنقه ؛ قال : فإياه عنى جرير بتموله :

١٢٦٥/٢

يَارُبُّ نَاكِثٍ بِيَعْتَيْنِ تَرَكَتَهُ
وَخِضَابُ لِحْيَتِهِ دَمُ الْأَوْدَاجِ^(٣)

وذكر عتاب بن بشر ، عن سالم الأفطس . قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب ، وقد وضع إحدى رجليه فى الفرز - أو الركاب - فقال : والله لا أركب حتى تسبوا مقعدك من النار ، اضربوا عنقه . فضربت عنقه . فالتبس مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه قال : القيود التى على سعيد بن جبير ، فقطعوا رجله من أوصاف ساقيه وأخذوا القيود .

قال محمد بن حاتم : حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن خبيب^(٤) قال : جىء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : أكتببت إلى مصعب ابن الزبير ؟ قال : بل كتببت إلى مصعب ؛ قال : والله لأقتلنك ؛ قال :

(١) ب : « وأخذت » .

(٢) ب : « فشتك » .

(٣) ديوانه ٩٠ .

(٤) ط : « جناب » ، وانظر الفهرس .

إنتى إذا لسعيد كما ستمنى أمى! قال : فقتله ؛ فلم يسلبته بعده إلا نحواً
من أربعين يوماً ، فكان إذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجاميع ثوبه فيقول :
يا عدو الله ، ليم قتلتنى ؟ فيقول : مالى ولسعيد بن جببتر! مالى ولسعيد
ابن جببتر!

* * *

قال أبو جعفر: وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء، مات فيها عامة
فقهاء أهل المدينة، مات فى أولها على بن الحسين عليه السلام^(١)، ثم
عروة بن الزبير، ثم سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام.

واستقضى الوليد فى هذه السنة بالشام سليمان بن حبيب .
واختلف فيمن أقام الحج للناس فى هذه السنة ، فقال أبو معشر -
فما حدثنى أحمد بن ثابت عن ذكره : عن إسحاق بن عيسى عنه -
قال : حج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة أربع وتسعين .
وقال الواقدي : حج بالناس سنة أربع وتسعين عبد العزيز بن الوليد بن
عبد الملك - قال : ويقال : مسلمة بن عبد الملك .

وكان العامل فيها على مكة خالد بن عبد الله القسرى ، وعلى المدينة
عثمان بن حبان المرى . وعلى الكوفة زياد بن جبرير ، وعلى قضائها أبو بكر
ابن أبى موسى . وعلى البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضائها عبد الرحمن
ابن أذينة . وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى مصر قرّة بن شريك ،
وكان العراق والمشرق كله إلى الحجاج^(٢) .

(١) ب : على بن الحسين بن على صلى الله عليهم .

(٢) بعه فى ب : « بن يوسف » .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قيل . وهي : طولس ، والمرزبانين ، وهيرقلة . وفيها فتح آخر الهند إلا الكيبرج والمندل . وفيها بُنيت واسط القصب في شهر رمضان . وفيها انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس ، وضحت بقصر الماء - فيما قيل - على ميل من القيسروان .

١٢٦٧/٢

• • •

[بقية الخبر عن غزو الشاش]

وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش .

ذكر الخبر عن غزوته هذه :

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد ، قال : وبعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين ، فمغزوا ، فلما كان بالشاش - أو بكشماهن - أتاه موت الحجاج في شوال ، فغمته ذلك ، وقفل راجعاً إلى مرو ، وتمثل :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر
بحوران أمسى أعلقته الحبال^(١)

فإن تخي لا أمل حياتي وإن تمت
فما في حياة بعد موتك طائل

قال : فرجع بالناس ففرقهم ، فخلف في بخارى قوماً ، ووجه قوماً

إلى كس ونسف ، ثم أتى مرو فأقام بها ، وأتاه كتاب الوليد : قد عرّف

أمير المؤمنين بلاءك وجيدك^(٢) في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين^(٣)

١٢٦٨/٢

(١) للحطية ، ديوانه ١٠٠ ، وذكروا أنه خرج يريد علقمة بن علاثة وهو بحوران ، فات

علقمة قبل أن يصل إليه الحطية ؛ فقال أبياتاً منها هذان البيتان . (٢) ب : « جهادك » .

(٣) ب : « المسلمين » .

رافعك وصانع بك كالذى يجب لك ، فإلم متغازيك ، وانتظر ثواب ربك . ولا تغيب^(١) عن أمير المؤمنين كتبك : حتى كأتى أنظر إلى بلادك^(٢) والثغر الذى أتت به^(٣) .

* * *

وفيهما مات الحجاج بن يوسف فى شوال - وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة - وقيل : كانت وفاته فى هذه السنة لخمس ليال بقين من شهر رمضان .

وفيهما استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج . وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما قال الواقدى عشرين سنة . وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين .

وفيهما قتل الوضاحى بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه .

وفيهما - فيما ذكر - ولد المنصور عبد الله بن محمد بن على .

وفيهما ولّى الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبى كعبشة على الحرب والصلاة بالمصرين^(٤) : الكوفة والبصرة ، وولّى خراجهما يزيد بن أبى مسلم .

وقيل : إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلهم يزيد بن أبى كعبشة ، وعلى خراجهما يزيد بن أبى مسلم ، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه . وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم ، أقرهم بعنده على أعمالهم التى كانوا عليها فى حياتهم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك ، حدثنى

(٢) ب : « بلادك » .

(١) ب : « تغيب » .

(٣) ب : « فيه » .

(٤) ب : « على المصرين » .

بذلك أحمدُ بنُ ثابتٍ عمَّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

* * *

وكان عُمالُ الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة
التي قبلها، إلا ما كان من الكوفة والبصرة، فإنهما ضُمَّتا إلى مَنْ
ذُكرتُ بعد موتِ الحجَّاج .

٤

ثم دخلت سنة ست وتسعين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت - فيما قال الواقدي - غزوة بشر بن الوليد الشامية ،
فقتل وقد مات الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك]

وفيهما كانت وفاة الوليد بن عبد الملك، يوم السبت في النصف من
جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير .
واختلف في قدر مدة خلافته، فقال الزهري في ذلك - ما حدثت
عن ابن وهب عن يونس عنه : مملكت الوليد عشر سنين إلا شهراً .
وقال أبو معشر فيه ، ما حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ،
عن إسحاق بن عيسى ، عنه كانت : خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر .

١٢٧٠/٢

وقال هشام بن محمد : كانت ولاية^(١) الوليد ثمان سنين وستة^(٢) أشهر .
وقال الواقدي : كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين .
واختلف أيضاً في مبلغ عمره ، فقال محمد بن عمر : توفي بدمشق
وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر .

وقال هشام بن محمد : توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة .
وقال علي بن محمد : توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر .
وقال علي : كانت وفاة الوليد بتدير مران ، ودفن خارج باب الصخير .
ويقال : في مقابر الفراديس .

ويقال : إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة .
وقيل : صلى عليه عمر بن عبد العزيز .

(١) ب : « ثلاثة » .

(٢) ب : « ثمانية » .

وكان له—فيا قال عليّ— تسعة عشر ابناً: عبدالعزیز، ومحمد، والعباس، وإبراهيم، وتمّام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، ومسرور، وأبو عبّیدة، وصدّقة، ومنصور، مروان، وعنّیسة، وعمرو، وروّح، وببشر، ویزید، وبیحی؛

وأُمّ عبد العزیز ومحمد وأُمّ البنین بنت عبد العزیز ابن مروان، وأمّ أبی عبّیدة فزاریة، وسائرهم لأمهات شتی.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

حدثني عمّار، قال: حدثني عليّ، قال: كان الوليدُ بنُ عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم، بنى المساجيدَ مسجدَ دمشق ومسجدَ المدينة، ووضع المنار، وأعطى الناسَ، وأعطى المُجندّين، وقال: لا تسألوا الناسَ. وأعطى كلَّ مُقعدٍ خادماً، وكلَّ ضَريرٍ قائداً. وفتحَ في ولايته فتوحَ عظام؛ فتحَ موسى بنُ نصير الأندلسَ، وفتحَ قتيبة كاشغَرَ، وفتحَ محمد بنُ القاسم الهندَ.

١٢٧١/٢

قال: وكان الوليدُ يمرّ بالبقال فيتقيف عليه فيأخذ حُرمة البقل فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلس؛ فيقول: زد فيها.

قال: وأتاه رجلٌ من بني مخزوم يسأله في دينه، فقال: نعم، إن كنت مستحقاً لذلك، قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادنُ مني، فدنا منه، فنزع عمامته بقضيب كان في يده، وقرّعه قرّعات بالقضيب، وقال لرجل: ضمّ هذا إليك، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمانُ ابنُ يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن عليّ ديننا، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشرَ آيات من الأنفال. وعشرَ آيات من براءة، فقرأ، فقال: نعم، نَقَضِي (١) عنكم، ونصّل أرحامكم على هذا.

١٢٧٢/٢

(١) ب: «يقضي».

قال : ومَرِضَ الوليدُ فرهقته غَشِيَةً ، فكثَّ عامَّةَ يومِهِ عندَهم مَبْتَأًا ، فبُكِيَ عَلَيْهِ ، وخرجت البُرْدُ بِمَوْتِهِ . فقَدِمَ رسولُ علي الحجاج . فاسترجع ، ثمَّ أمرَ بجبل فُشِدَّ في يديه . ثمَّ أوثِقَ إلى أسطوانة ، وقال : اللهم لا تسلط عليَّ من لا رحمةَ له . فقد طالما سألتك أن تجعل مني قبل منيته ! وجعل يدعُو ، فإنه ليكذلك إذ قدِمَ عليه يريدُ بإفافته .

قال عليٌّ : ولما أفاق الوليدُ قال : ما أحدٌ أسرَّ بعافيةِ أميرِ المؤمنين (١) من الحجاج ، فقال عمرُ بنُ عبد العزيز : ما أعظمَ نعمةَ الله علينا بعافيتك ، وكأني بكتاب الحجاج قد أتاك يذكرُ فيه أنه لما بلغه برؤك خرت لله ساجداً . وأعتق كلَّ مملوكٍ له ، وبعث بقوارير من أنبج الحِند . فما لبث إلا أياماً حتى جاء الكتابُ بما قال .

قال : ثمَّ لم يَمُتِ الحجاجُ حتى ثَقُلَ على الوليد ، فقال خادمٌ للوليد : إني لأوضي الوليدَ يوماً للغداء ، فدَّ يده ، فجعلتُ أصبُّ عليه الماء ، وهو ساوٍ والماءُ يسيلُ ولا أستطيعُ أن أتكلم ، ثمَّ نَضَحَ الماءَ في وجهي ، وقال : أنا عسٌّ أنتَ ! ورفَعَ رأسه إلى وقال : ما تدري ما جاء الليلة ؟ قلتُ : لا ؛ قال : ويحك ! مات الحجاج ! فاسترجعتُ . قال : اسكُتْ ما يسرَّ مولاك أن في يده تفاحةٌ يشتمها .

قال عليٌّ : وكان الوليدُ صاحبَ بناءٍ واتخاذٍ للمصانع والضبائع ، وكان الناس يلتقون في زمانه ، فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع . فولى سليمان ، فكان صاحبَ نكاحٍ وطعام ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والحواري . فلما ولَّى عمرُ بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تسخيم ؟ ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟ ورثي جرير الوليد فقال :

يا عَيْنِ جُودِي بِدَمْعِ هَاجَةِ الذِّكْرِ فما لدمعِكِ بَعْدَ اليَوْمِ مُدْخَرٌ (١)

(١) س : « الوليد » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شَمَائِلَهُ غِبْرَاءُ مُلْحَدَةٌ فِي جُولِيهَا زَوْرٌ^(١)
أَضْحَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا جَمِيعاً فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عَمْرٌ^(٢)

حدثني عمر . قال : حدثنا علي . قال : حج الوليد بن عبد الملك ، وحج محمد بن يوسف من اليممن ، وحمل هدايا للوليد ، فقالت أم البنين للوليد : يا أمير المؤمنين ، اجعل لي هدية محمد بن يوسف ، فأمر بصرفها إليها ، فجاءت رسل أم البنين إلى محمد فيها . فأبى وقال : ينظر إليها أمير المؤمنين فيرى رأيه - وكانت هدايا كثيرة - فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك أمرت بهدايا محمد أن تصرف إلى . ولا حاجة لي بها ، قال : ولِمَ ؟ قالت : بلغني أنه غصبها الناس . وكلفهم عملها ، وظلمهم . وحمل محمد المتاع إلى الوليد ، فقال : بلغني أنك أصبتها غصبا ، قال ، معاذ الله ! فأمر فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يمينا بالله ما غصب شيئا منها ، ولا ظلم أحدا . ولا أصابها إلا من طيب ؛ فحلف ، فقبلتها الوليد ودفعها إلى أم البنين . فمات محمد بن يوسف باليممن ، أصابه داء تقطع منه .

١٢٧٤/٢

وفي هذه السنة كان الوليد أراد الشخصوص إلى أخيه سليمان لخلعه ، وأراد البسعة لابنه من بعده ، وذلك قبل مراضته التي مات فيها . حدثني عمر ، قال : حدثنا علي . قال : كان الوليد وسليمان ولي عهد عبد الملك ، فلما أفضى الأمر إلى الوليد ، أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان ، فأبى سليمان ، فأراده علي أن يجعله له من بعده . فأبى ، فعرض عليه أموالا كثيرة ، فأبى ، فكتسب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز ،

(١) الديوان : « غبراء ملحودة » . وأجوال البئر : نواحيها . والزور : الاعوجاج .

(٢) بعده في الديوان .

ونخالد لو أراد الدهر فديته أغدوا مخاطرة لو يقبل الخطر
قد شفني روعة العباس من فزع لما أتاه بدير القسطل الخبر

ودعا الناس إلى ذلك ؛ فلم يُجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس .
فقال عبّاد بن زياد : إن الناس لا يجيبونك إلى هذا . ولو أجابوك لم آمنهم
على الغدر بابنك ، فاكتب إلى سليمان فليقدم عليك ، فإن لك عليه طاعة ،
فأردّه على البيعة لعبد العزيز من بعده ، فإنه لا يتقدر على الامتناع وهو
عندك ، فإن أبي كان الناس عليه .

فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم^(١) ، فأبطأ . فاعتزم الوليد على المسير
إليه وعلى أن يتخلعه . فأمر الناس بالتأهب ، وأمر بحجره فأخرجت . ففرض .
ومات قبل أن يسير^(٢) وهو يريد ذلك .

قال عمر : قال علي : وأخبرنا أبو عاصم الزيادي من الهذات الكلبية ،
قال : كنا بالهند مع محمد بن القاسم ، فقتل الله داهراً^(٣) . وجاءنا كتاب
من الحجاج أن اخلعوا سليمان . فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان ، أن
ازرعوا واحرثوا ، فلا شأم لكم ، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن
عبد العزيز فأوقفنا .

قال عمر : قال علي : أراد الوليد أن يبني مسجداً دمشق . وكانت
فيه كنيسة ، فقال الوليد لأصحابه : أقسمت عليكم لمتأ أتاني كل رجل منكم
بليبية ، فسجعل كل رجل يأتيه بليبية ، ورجل من أهل العراق يأتيه بليبيتين ،
فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق ؛ قال : يا أهل العراق .
تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة ! وهدموا الكنيسة وبنوها مسجداً .
فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا ذلك إليه ، فقيل : إن كل ما كان خارجاً
من المدينة افتتح عشوة . فقال لهم عمر : نرد عليكم كنيسةكم ونهدم
كنيسة توما . فإنها فتحت عشوة ، نبنوها مسجداً ، فلما قال لهم ذلك
قالوا : بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ، ودعوا لنا كنيسة توما .
ففعّل عمر ذلك .

(١) بعدها في ب : « عليه » .

(٢) بعدها في ب : « إليه » .

(٣) داهر ، ملك مكران .

[فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين]

وفي هذه السنة افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر ، وغزى الصين .

* ذكر الخبر عن ذلك :

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبل . قال : ثم غزا قتيبة في سنة ست وتسعين ، وحمّل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يحجز عياله في سمرقند خوفاً من سليمان ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواليه يقال له الخوارزمي على مقطع النهر ، وقال : لا يجوزن أحد إلا يجواز ؛ ومضى إلى فرغانة ، وأرسل إلى شعب عصام من يستهمل له الطريق إلى كاشغر ، وهي أذننى مدائن الصين ، فأتاه موت الوليد وهو بفرغانة .

١٢٧٦/٢

قال : فأخبرنا أبو الذبالب عن المهلب بن إياس ، قال : قال إياس بن زهير : لما عبر قتيبة النهر أتته فقلت له : إنك خرجت ولم أعلم رأيتك في العيال . فأنخذ أهبة ذلك ، وبني الأكاير معي ، ولي عيال قد خلقتهم وأم عجوز ، وليس عندهم من يقوم بأمرهم ، فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً مع بعض بني أوجهه فيقدم على بأهلي ! فكتب ، فأعطني الكتاب فأنتهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخر ، فألويت بيدي ، فجاء قوم في سفينة فقالوا : من أنت ؟ أين جوازك ؟ فأخبرتهم ، فقعد معي قوم ورد قوم السفينة إلى العامل ، فأخبروه . قال : ثم رجعوا إلى فحملوني ، فأنتهيت إليهم وهم يأكلون وأنا جائع ، فرميت بنفسي ، فسألني عن الأمر ، وأنا آكل لا أجيبه ، فقال : هذا أعرابي قد مات من الجوع ، ثم ركب فضيت فأتيت مرو ، فحملت أمي ، ورجعت أريد العسكر ، وجاءنا موت الوليد ، فانصرفت إلى مرو .

وقال : وأخبرنا أبو مخنف ، عن أبيه ، قال : بعث قتيبة كثير بن فلان إلى كاشغر ، فسبى منها سببياً ، فخم أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة ، ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد .

قال : وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمداني عن أشياخ من أهل خراسان

والحكيم بن عثمان ، قال : حدثني شيخ من أهل خراسان . قال : وغل قتيبة حتى قرب^(١) من الصين . قال : فكاتب إليه ملك الصين أن ابعث إلينا رجلاً من أشراف من معكم يُخبرنا عنكم ، ونسأله عن دينكم . فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً - وقال بعضهم : عشرة - من أفناء القبائل ، لهم جمال وأجناس وألسن وشعور وبأس ، بعد ما سأل عنهم فوجدتهم من صالح من هم منه . فكلّمهم قتيبة ، وفاضت عنهم فرأى عقولا وجمالاً ، فأمرهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيّد من الخبز والشئ واللبن من البياض والرقيق^(٢) والنعال^(٣) والعطر ، وحملتهم على خيول مطهّمة تُقاد معهم ، ودواب يركبونها^(٤) . قال : وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوهاً بسيطاً اللسان ، فقال : يا هبيرة ، كيف أنت صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قد كُفيت الأدب وقل ما شئت أقله . وأخذ به ، قال : سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق . لا تضعوا العمامة عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجني خراجهم .

قال : فساروا ، وعليهم هبيرة بن المشمرج ، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم ، فدخلوا الحمام ، ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاء تحتها الغلائل ، ثم مسّوا الغالية ، وتبخنوا^(٥) ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا ، فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوماً ما هم إلا نساء ، ما بقي منا أحد حين رأهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده .

قال : فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخبز والمطاريف ، وغدوا عليه . فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فقال لأصحابه : كيف

(١) ب : « بلغ قرب » .

(٢) ب : « الرقاق » .

(٣) ب : « والبغال » .

(٤) ب : « يربطونها » .

(٥) في اللسان : « الدخنة : بخور يدخن به الثياب أو البيت ، وقد تدخن بها ودخن غيره » .

رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه الهيئة أشبهتُ بهيئة الرجال من تلك الأولى ، وهم أولئك ، فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فشدوا عليهم سلاحهم ، ولبسوا البيضَ والمغافيرَ ، وتقلدوا السيوفَ ، وأخذوا الرماحَ ، وتنكبوا القسيَ ، وركبوا خيولهم ، وغدوا فنظر إليهم صاحبُ الصين فرأى أمثالَ الجبالِ مقبلةً ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقبل لهم قبل أن يدخلوا : ارجعوا : لِمَا دَخَلَ قلوبهم من خوفهم .

قال : فانصرفوا فركبوا خيولهم ، واختلجوا رماحهم . ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها . فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء قط . فلما أمسى أرسل إليهم الملك : أن ابعثوا إلى زعيمكم وأفضلكم رجلاً . فبعثوا إليه هُبيرةً ، فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم^(١) عظيمَ ملكي . وإنه ليس أحدٌ يمنعكم مني . وأنتم في بلادى . وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفى . وأنا سائلك^(٢) عن أمر فإن لم تصدقني^(٣) قتلتمكم . قال : سئل : قال : لِمَ صنعتم ما صنعتم من الزى في اليوم الأول والثاني والثالث ؟ قال : أما زينا الأول فلباسنا في أهالينا^(٤) وريحنا عندهم ، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا . وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا ، فإذا هاجتنا هبج ووزع^(٥) كنا هكذا . قال : ما أحسن ما دبترتم دهركم ! فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له : ينصرف . فإنني قد عرفت حيرصه وقلة أصحابه . وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه . قال له : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ! وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ! وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل . فلسنا نكرهه ولا نخافه ، قال : فما الذي يرضي صاحبك ؟ قال : إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يبطأ أرضكم ، ويختم ملوككم . ويُعطي الجزية . قال : فإننا نخرجه من بينه ، نبعث إليه

١٢٧٩/٢

(١) ب : « رأيتم » .

(٢) ب : « أسألك » .

(٣) ب : « تصدقني » .

(٤) ب : « أهالنا » .

(٥) ب : « أو فزع » .

بتراب من تراب أرضنا فيطوئه . ونبتعت ببعض أبنائنا فيختتمهم . ونبتعت إليه
بجزبة يرضاهها . قال : فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب . وبتعت بحريير
وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم . ثم أجازهم فأحسن بهم واثرتهم .
فساروا فقدوا بما بتعت به . فقبيل قتيبة الجزيية . ونخم الغلثة ورددهم .
ووطئ التراب ، فقال سودة بن عبد الله السدولي :

لا عيب في الوفي الذين بعثتهم للصين إن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى حاشا الكريم هبيرة بن مشمرج
لم يرض غير الختم في أعناقهم ورهائن دفعت بحمل سمرج
أدى رسالتك التي استرعيت وأتاك من حنث اليمين بمخرج
قال : فأوفد قتيبة هبيرة إلى الوليد . فمات بقرية (١) من فارس . فترثه
سودة . فقال :

لله قبر هبيرة بن مشمرج ماذا تضمن من ندى وجمال !
وبديه يعيا بها أبنائها عند احتفال مشاهد الأقوال
كان الربيع إذا السنون تتابعت والليث عند تكعكع الأبطال
فسقت بقربة حيث أمسى قبره غر يرحن بسبل هطال
بكت الجياد الصافنات لفقدته وبكاه كل مثقف عسال
وبكته شعث لم يجدن مؤاسيا في العام ذي السنوات والإمجال

قال : وقال الباهليون : كان قتيبة إذا رجع من غزواته كل سنة اشترى
اثنى عشر فرسا من جياد الحليل : واثني عشر هجينا . لا يجاوز بالفرس أربعة
آلاف ، فيقام عليها إلى وقت الغزو . فإذا تاهب للغزو وعسكر قيادت
وأضمرت . فلا يقطع نهرا بخيل حتى تخف لحومها . فتبديل عليها
من يحملها في الطلائع . وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف .
ويبعث معهم رجالا من العجم ممن يستنصيح على تلك الهجن . وكان إذا بعث

(١) قرية : اسم موضع .

بطليعة^(١) أمر بلووح فنقيش ، ثم يشقه شقتين فأعطاه شقة ، واحتبس شقة ، لئلا يمثل مثلها ، ويأمره أن يدفنها في موضع يصفه له من^(٢) مخاضة معروفة ، أو تحت شجرة معلومة ، أو خربة ، ثم يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادق في طليعته أم لا .

وقال ثابت قطنة العسكى يذكر من قتل من ملوك الترك :

أقر العين مقتل كازرنك وكشبير وما لاقى يباد

وقال الكُميت يذكر غزوة السغد وخواارزم :

وبعد في غزوة كانت مباركة	تردى زراعة أقوام وتحتصد
نالت غمامتها فيلاً بوابلها	والسغد حين دنا شوئوبؤها البرد
إذ لا يزال له نهب يُنقله	من المقاسيم لا وخش ولا نكد
تلك الفتوح التي تذل بحجتها	على الخليفة إنا معشر حشد
لم تشن وجهك عن قوم غزوتهم	حتى يُقال لهم : بعداً وقد بعدوا
لم ترض من حصنهم إن كان ممتنعاً	حتى يكبر فيه الواحد الصمد

(١) ب : « طليعة » .

(٢) ب : « في » .

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بُويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة ، وذلك في اليوم الذي توفى فيه الوليد بن عبد الملك ، وهو بالرَّملة .
وفيها عَزَلَ سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة ، ذَكَرَ محمد بن عمر ، أنه نَزَعَهُ عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ست^(١) ١٢٨٢/٢ وتسعين .

قال : وكان عمله على المدينة ثلاث سنين . وقيل : كانت إمرته عليها سنتين غير سَبْعِ^(٢) ليال .

قال الواقدي : وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قد استأذن عثمان أن ينام في غد ، ولا يجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين ، فأذن له . وكان أيوب بن سلمة الخزومي عنده ، وكان الذي بين أيوب بن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حزم سيئًا . فقال أيوب لعثمان : ألم تَرَ إلى ما يقول هذا ؟ إنما هذا منه رِثاء ؛ فقال عثمان : قد رأيتُ ذلك . ولست لأبى إن أرسلتُ إليه غُدوةً ولم أجده جالسًا لأجلدنه مائة . ولأحلقن رأسه ولحيته .

قال أيوب : فجاءني أمرٌ أحبه ، فَعَجَلتُ من السحر . فإذا شَمَعته في الدار ، فقلتُ : عَجِلِ المرى ، فإذا رسولُ سليمان قد قَدِمَ على أبي بكر بتأميره وعَزَلَ عثمانَ وحده .

قال أيوب : فدخلتُ دارَ الإمارة ، فإذا ابنُ حسيان جالس ، وإذا بأبي بكر على كرسى يقول للحداد : اضربْ في رجل هذا الحديد ، ونظر إلى عثمان فقال^(٣) :

آبُوا على أدبارهم كُشُفَا والأمرُ يَحْدُثُ بعده الأمرُ

(١) ب : « في سنة » .

(٢) ط : « سبعة » ، والصواب ما أثبتته من ب .

(٣) بعدها في ب : « متمثلا » .

وفي هذه السنة عزّل سليمانُ يزيدَ بنَ أبي مسلمٍ عن العراق ، وأمر عليه يزيدَ بنَ المهلب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ويَبْسُط عليهم العذاب . فحدثني عمرُ بن شَبَّه . قال : حدثني علي بن محمد . قال : قدِم صالح العراق على الخراج . ويزيدُ على الحرب . فبعث يزيد زيادَ بن المهلب على عُمان ، وقال له : كاتبُ صالحا . وإذا كتبت إليه فابدأ باسمه . وأخذ صالح آلَ أبي عقيل فكان يُعذبهم . وكان يلي عذابهم عبدُ الملك بن المهلب .

١٢٨٣/٢

* * *

[خبر مقتل قتيبة بن مسلم]

وفي هذه السنة قُتِل قتيبة بنُ مسلمٍ بخراسان .

• ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنته عبد العزيز ابن الوليد وليّ عهده . ودسّ في ذلك إلى القواد والشعراء . فقال جرير في ذلك :

إذا قيلَ أيُّ الناس خيرُ خليفة؟ أشارت إلى عبد العزيز الأصابع^(١)
رأوه أحنَّ الناس كلِّهم بها وما ظلموا . فبايعوه وسارَعوا^(٢)

وقال أيضاً جرير يحضّ الوليد على بيعة عبد العزيز :

إلى عبد العزيز سمّت عيونُ الرُّعية إذ تحيرت الرِّعاء^(٣)
إليه دعت دواعيه إذا ما عمادُ الملكِ خرَّت والسَّماءُ
وقال أولو الحكومة من قريش علينا البيعُ إن بلغ الغلاء^(٤)

(١) ديوانه ٣٥٧ .

(٢) ب : « إذ بايعوه وسارَعوا » ، ر : « فبايعوه وسارَعوا » .

(٣) ديوانه ٩ .

(٤) الديوان : « إذ بلغ الغلاء » .

رَأَوْا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَلِيَّ عَهْدٍ وَمَا ظَلَمُوا بِذَلِكَ وَلَا أَسَاءُوا
فَمَاذَا تَنْظُرُونَ بِهَا وَفِيكُمْ جُسُورٌ بِالْعِظَامِ وَاعْتِلَاءٌ !
فَزَحَلْفَهَا بِأَزْمَلِهَا إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَشَاءُ (١)
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ مَدُّوا إِلَيْهِ أَكْفَهُمْ وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
وَلَوْ قَدْ بَايَعوكَ وَلِيَّ عَهْدٍ لِقَامِ الْوِزْنِ وَاعْتَدَلَ الْبِنَاءُ (٢)

فبَايَعَهُ عَلَى خَلْعِ سُلَيْمَانَ الْخِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ وَقَتِيْبَةَ . ثُمَّ هَلَكَ الْوَلِيدُ
وَقَامَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَخَافَهُ قَتِيْبَةُ .

قال علي بن محمد : أَخْبَرَنَا بِيْشْرُ بْنُ عَيْسَى وَآخِسَنُ بْنُ رَشِيدٍ وَكُلَيْبُ
ابن خَلَّافٍ . عَنْ طُفَيْلِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، وَجَبَلَةَ بْنِ فَرَّوْخٍ . عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزِ
الْكِنْدِيِّ . وَجَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ (٣) وَمُسْلِمَةَ بْنِ مَحَارِبٍ . عَنِ السَّكِّينِ بْنِ قَتَادَةَ ؛
أَنَّ قَتِيْبَةَ لَمَّا أَتَاهُ مَوْتُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقِيَامُ سُلَيْمَانَ . أَشْفَقَتْ مِنْ سُلَيْمَانَ
لأنه كان يَسْعَى فِي بَيْعَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ مَعَ الْخِجَاجِ . وَخَافَ أَنْ
يُولِيَ سُلَيْمَانَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ خُرَّاسَانَ . قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُنَهْنِئُهُ
بِالْخِلاَفَةِ . وَيُعْزِيهِ عَلَى الْوَلِيدِ ، وَيُعَلِّمُهُ بِإِلَاءِهِ وَطَاعَتِهِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدِ .
وَأَنَّهُ لَهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ لَهَا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيْحَةِ إِنْ لَمْ يَتَّعِزْلُهُ عَنْ
خُرَّاسَانَ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ يُعَلِّمُهُ فِيهِ فَتُوْحَهُ وَنِيْكَائِيْتَهُ وَعَظْمَ
قَدْرِهِ عِنْدَ مُلُوكِ الْعَجَمِ . وَهَيْبَتِهِ فِي صُدُورِهِمْ . وَعَظْمَ صَوْتِهِ فِيهِمْ . وَيَذَمُّ
الْمُهَلَّبَ وَآلَ الْمُهَلَّبِ ، وَيُحْلِفُ بِاللَّهِ لَنْ اسْتَعْمَلَ يَزِيدَ عَلَى خُرَّاسَانَ لِيُخْلَعَنَّهُ .
وَكَتَبَ كِتَابًا ثَالِثًا فِيهِ خَلْعُهُ ، وَبَعَثَ بِالْكَتُوبِ الثَّلَاثَةِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ (٤) .
وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ . فَإِنْ كَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَاضِرًا . فَقْرَأْ
ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيْهِ . فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ . فَإِنْ قَرَأَهُ وَأَلْقَاهُ إِلَى يَزِيدَ فَادْفَعْ
إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ . فَإِنْ قَرَأَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يَدْفَعْهُ إِلَى يَزِيدَ فَاحْتَبِسِ الْكِتَابَيْنِ
الْآخَرَيْنِ .

(١) زحلفها إليه ، أي ادفعها . وقوله : « بأزملها » ، أي بأجمعها .

(٢) الديوان : « لِقَامِ الْقِسْطِ » . (٣) ط : « دَوَادِ » ، تحريف . (٤) ب : « أهله » .

قال : فقَدِمَ رسولُ قتيبةَ فدخلَ على سليمانَ وعندَه يزيدُ بنُ المهلبِ ، فندفعُ إليه الكتابَ ، فقرأه ، ثم ألقاهُ إلى يزيدِ ، فدفعُ إليه كتاباً آخرَ فقرأه ، ثم رمى به إلى يزيدَ ، فأعطاهُ الكتابَ الثالثَ ، فقرأه فتمعرَ لونه^(١) ، ثم دعا بطينٍ فخنمه ثم أمسكه بيده .

* * *

وأما أبو عبيدةَ معمرَ بنُ المثنى . فإنه قال - فيما حدثت عنه : كان في الكتابِ الأوَّلِ وقيةٌ في يزيدِ بنِ المهلبِ ، وذكرُ غدره وكفره وقلةُ شكره ، وكان في الثاني ثناءً على يزيدِ . وفي الثالث : لئن لم تُقرتني على ما كنتُ عليه وتؤمّنيني لأخلعنك خلعَ النعلِ ، ولأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . وقال أيضاً : لما قرأ سليمانُ الكتابَ الثالثَ وضعه بين مثاليين من المشغل التي تحته ولم يُحيرَ في ذلك مرجوعاً .

* * *

رجع الحديثُ إلى حديثِ عليّ بنِ محمدٍ . قال : ثم أمر - يعني سليمانَ - برسولِ قتيبةَ أن يُنزَلَ ، فحوَّلَ إلى دارِ الضيافة . فلما أمسى دعا به سليمانَ . فأعطاهُ صُرَّةً فيها دنانيرٌ . فقال : هذه جائزتك . وهذا عهدُ صاحبك على خراسانِ فسرّ ، وهذا رسولي معك بعَهْدِهِ . قال : فخرج الباهليّ ، وبعثَ معه سليمانُ رجلاً من عبدِ القيسِ ، ثم أحدُ بني لَيْثٍ يقال له صَعَصَعَةُ - أو مُصْعَبٌ - فلما كان بحُلوانَ تلقاهم الناسُ بخيلٍ قتيبةَ . فرجع العبدىّ ، ودفعَ العهدَ إلى رسولِ قتيبةَ ، وقد خلعَ ؛ واضطرب الأمرُ . فدفعَ إليه عهدَه ، فاستشار إخوته . فقالوا : لا يَشُقُّ بك سليمانُ بعدَ هذا .

١٢٨٦/٢

قال عليّ : وحدثني بعضُ العنبريين ، عن أشياخِ منهم ، أن تَوْبَةَ ابنِ أبي أسيدِ العنبريِّ ، قال : قدِمَ صالحُ العراقِ . فوجهني إلى قتيبةَ ليُطْلِعَني^(٢) طليحَ ما في يده ، فصحبني رجلٌ من بني أسدٍ ، فسألني عما خرجتُ فيه . فكاتمتهُ أمرى ، فإننا لنسيرَ إذ سمعَ لنا سائحٌ ؛ فنظرَ إلى رفيقي

(١) تمعرَ لونه ، أى تغيرَ .

(٢) ب : « ليطلع » .

فقال : أراك في أمر جسيم وأنت تكتنني ! فضيت ، فلما كنت بحلوان تلقاني الناسُ بقتل قتيبة .

قال عليّ : وذكر أبو الذّيال وكُليب بن خَلّاف وأبو عليّ الجوزجانيّ عن طفيل بن مِرْداس ، وأبو الحسن الحشميّ ومصعب بن حيّان (١) عن أخيه مقاتل بن حيّان . وأبو مخنف وغيرهم ، أن قتيبة لما همّ بالخلع استشار إخوته ، فقال له عبدالرحمن : اقطع بعثاً فوجه فيه كلّ من تخافه ، ووجه قوماً إلى مرو ، وسِرّ حتى تنزل سمرقند ، ثم قل لمن معك : من أحبّ المقامَ فله المواساة ، ومن أراد الانصرافَ فغير مستكره ولا متبوعٍ بسوء ، فلا يقيم معك إلا مناصح . وقال له عبد الله : اخلعه مكانك ، وادع الناس إلى خلعهِ ، فليس يختلف عليك رجلان . فأخذ برأى عبد الله : فخلع سليمان . ودعا الناس إلى خلعهِ ، فقال للناس :

١٢٨٧/٢

إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضمنت الأخ إلى أخيه ، والولد إلى أبيه ، وقسمت بينكم فينكم ، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكذّرة ولا مؤخّرة . وقد جرتتم الولاية قبلي . أتاكم أمية (٢) فكتب إلى أمير المؤمنين إن خراج خراسان لا يقوم (٣) بمطبخي ، ثم جاءكم أبو سعيد (٤) فدوّم بكم (٥) ثلاث سنين لا تدرون أي طاعة أنتم أم في معصية ! لم يحبّ فيننا ، ولم ينكأ عدواً . ثم جاءكم بنوه بعده : يزيد ، فحل تبارى إليه النساء ، وإنما خليفتمكم يزيد بن ثروان هبنقة القيسي (٦) .

قال : فلم يجبه أحد . فغضب فقال : لا أعزّ الله من نصرتم ، والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنّها ، يا أهل السافلة - ولا أقول أهل العالية - يا أوباش الصدقة ، جمعتمكم كما تجمع إبل الصدقة من كلّ أوب . يا معشر بكر بن وائل ، يا أهل النفخ والكذب والبخل ، بأيّ

(١) ط : « حبان » ، تحريف .
 (٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، عامل عبد الملك على خراسان حتى سنة ٧٨ . (٣) ط : « لا يقيم » ، وفي البيان : « لو كان في مطبخه لم يكفه » .
 (٤) أبو سعيد كنية المهلب بن أبي صفرة .
 (٥) ب : « فرزم فيكم » .
 (٦) هو يزيد بن ثروان بن هبنقة ذو الودعات القيسي ، المضروب به المثل في الحق .

يَوْمَيْكُمْ تَفْخَرُونَ ؟ بِيَوْمِ حَرْبِكُمْ . أَوْ بِيَوْمِ سَلْمِكُمْ ! فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ
 مِنْكُمْ . يَا أَصْحَابَ مُسَيْلِمَةَ . يَا بَنِي ذَمِيمٍ - وَلَا أَقُولُ تَمِيمٍ - يَا أَهْلَ الْحَمُورِ (١) ،
 وَالْقَصْفِ وَالغَدْرِ ، كُنْتُمْ تَسْمُونَ الْغَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ (٢) . يَا أَصْحَابَ
 مَهْجَاتِحَ ، يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ الْقُسَاةَ . تَبَدَّلْتُمْ بِأَبْرِ النَّحْلِ (٣) أَعْنَةَ الْخَيْلِ .
 يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ . تَبَدَّلْتُمْ بِقَلْبُوسِ (٤) الْسَفْنِ أَعْنَةَ الْخَيْلِ الْحِصْنِ (٥) . إِنْ هَذَا لَسَبْدَةٌ
 فِي الْإِسْلَامِ ! وَالْأَعْرَابِ . وَمَا الْأَعْرَابُ ! لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَعْرَابِ ! يَا كِنَاسَةَ
 الْمَصْرِيَّةِ ، جَمَعْتُمْ مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ وَمَنَابِتِ الْقَلْقَلِ (٦) ، تَرْكَبُونَ
 الْبَقَرَ وَالْحُمْرَ فِي جَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ . حَتَّى إِذَا جَمَعْتُمْ كَمَا تُجْمَعُ قَرْعَ
 الْحَرِيفِ (٧) قُلْتُمْ كَيْتَ وَكَيْتَ ! أَمَا وَاللَّهِ إِنْ لَابْنِ أَبِيهِ ! وَأَخُو أَخِيهِ ،
 أَمَا وَاللَّهِ لَأَعْصِبْتُمْ عَصَبَ السَّلَامَةِ . إِنْ حَتُولَ الصَّلْيَانَ الزَّمْزَمَةَ (٨) .
 يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، هَلْ تَدْرُونَ مَنْ وَلِيْتُمْ ؟ وَلِيْتُمْ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ . كَأَنِّي
 بِأَمِيرِ مَرْجَاءٍ (٩) . وَحَسَبْتُمْ قَدْ جَاءَكُمْ فَغَلَبَكُمْ عَلَى فَيْتِكُمْ وَأَظْلَالِكُمْ . إِنْ هَا هُنَا
 نَارًا أَرْمُوهَا أَرْمُوهَا ، أَرْمُوا غَرْضَكُمْ الْأَقْصَى . قَدْ اسْتُخْلِفَ عَلَيْكُمْ
 أَبُو نَافِعِ ذُو الْوَدَاعَاتِ . إِنْ الشَّامُ أَبُو مَبْرُورٍ ، وَإِنْ الْعِرَاقُ أَبُو مَكْفُورٍ .
 حَتَّى مَتَى يَتَبَطَّحُ (١٠) أَهْلُ الشَّامِ بِأَفْنِيَّتِكُمْ وَظِلَالِ دِيَارِكُمْ ! يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ،
 انْسَبُونِي تَجِدُونِي عِرَاقِي الْأُمِّ . عِرَاقِي الْأَبِ . عِرَاقِي الْمَوْلِيدِ . عِرَاقِي الْهَوَايِ وَالرَّأْيِ
 وَالدِّينِ (١١) . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ الْيَوْمَ فِيمَا تَرَوْنَ مِنَ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ قَدْ فَتَّحَ اللَّهُ
 لَكُمْ الْبِلَادَ . وَأَمِنْ سُبُلِكُمْ . فَالظَّعِينَةَ تَخْرُجُ مِنْ مَرَوْا إِلَى بَلَخِ بِغَيْرِ جَبَّازٍ ،

١٢٨٨/٢

- (١) ب : « الجور » . (٢) البيان : « وأما هذا الحى من تميم ، فإنهم كذا
 يسمون الغدر كيسان » . (٣) أبر النحل : إصلاحه ، وفي ب : « تأبير » . و .
 (٤) قلوبس : جمع قلس ؛ وهو جبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرها من قلوبس سفن
 البحر . (٥) الحصن : جمع حصان . (٦) الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ وَالْقَلْقَلِ : من منابت البادية .
 (٧) ط : « قَرْع » تحريف ؛ ونقزع : كل شيء يكون قطعاً متفرقة ؛ ومنه قطع انسحاب .
 (٨) الصليان : نبت من أفضل المرعى ، يختلج للخيال أنتى لا تفارق الحى . والززممة ،
 يعنى صوت الفرس إذا رآه ؛ وهو مثل يضرب برجل يخدم لثروته . قال الميداني ١ : ٢٠٦ : « ويروى :
 « حول الصليان الززممة » : جمع صنيب ، والززممة : صوت عابديها ؛ يضرب لمن يحوم حول الشيء لا
 يظهر مرته . . (٩) مرجاء لطفى . أى كثير الإزجاء لها ، زجها وأزجها : ساقها .
 (١٠) س : « يتبطح » . (١١) ب : « الرأى والهوى » .

فاحمدوا الله على النعمة ، وسئلوه الشكر والمزيد^(١) .

قال : ثم نزل فدخل منزله ، فأناه أهل بيته فقالوا : ما رأينا كالיום قط ، والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك وِدثارك ، حتى تناولت بركاً وهم أنصارك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تمياً وهم إخرتك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم بدك ! . فقال : لما تكلمت فلم يجبني أحدٌ غضبت . فلم أدري ما قلت ، إن أهل العالية كإبل الصدقة قد جمعت من كل أوب ، وأما برك فإنها أمة لا تمنع يد لاميس ، وأما تميم فجمل أجرب ، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه . وأما الأزد فأعلاج ، شرار من خلق الله ، لو ملكت أمرهم لوسمتهم .

قال : فغضب الناس وكبرها وخلع سليمان ، وغضبت القبائل من شتم قتيبة ، فأجمعوا على خلافه وخلعه . وكان أول من تكلم في ذلك الأزد ، فأتوا حُضَيْن بن المنذر فقالوا : إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلع الخليفة ، وفيه فساد الدين والدنيا . ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا ، فما ترى يا أبا حفص ؟ وكان يُكْتَسَى في الحرب بأبي ساسان ، ويقال : كُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّد - فقال لهم : حُضَيْن : مُضَرُّ بخراسان تعدل هذه الثلاثة الأنحماص : وتميم أكثر الخمسين ، وهم فرسان خراسان . ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مُضَر . فإن أخرجتموهم من الأمر أعانوا قتيبة : قالوا : إنه قد وتر بنى تميم بقتل ابن الأهم ، قال : لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصبون للمُضَرِّيَّة ، فانصرفوا رادين لرأى حُضَيْن . فأرادوا أن

يولوا عبد الله بن حوْذان الجَهْضَمِي . فأبى . وتدافعوها . فرجعوا إلى حُضَيْن ، فقالوا : قد تدافعنا الرياسة . فنحن نوليك أمرنا ، وربيعة لا تخالفك . قال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ؛ قالوا : ما ترى ؟ قال : إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم ، قالوا : فمن ترى من تميم ؟ قال : ما أرى أحداً غير وكيع ، فقال حيان مولى بنى شيبان : إن أحداً لا يتقلد هذا الأمر فيصلي بحمره ، ويبذل دمه ، ويتعرض للقتل ، فإن قديم أمير

(١) أورد الجاحظ خطبة قتيبة في ثلاث خطب متفرقة ، في البيان والتبيين ٢ : ١٣٢ - ١٣٥ .

أخذته بما جنتى وكان المهناً لغيره إلا هذا الأعرابي وكيع ؛ فإنه مقدم لا يبالي ما ركب ، ولا ينظر في عاقبة ، وله عشيرة كثيرة تطيعه ، وهو متوتور يطلب قتيبة برياسته التي صرفتها عنه وصيرها لضرار بن حصين بن زبند الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي . فشى الناس بعضهم إلى بعض سراً ، وقيل لقتيبة : ليس يفسد أمر الناس إلا حيان ، فأراد أن يغتاله - وكان حيان يلاطف حشَمَ الولاية فلا يخفون عنه شيئاً - قال : فدعا قتيبة رجلاً فأمره بقتل حيان ، وسمعه بعض الخدم . فأتى حيان فأخبره ، فأرسل إليه يدعوه ، فحذر وتمارض ، وأتى الناس وكيعاً فسأله أن يقوم بأمرهم ؛ فقال : نعم ، وتمثل قول الأشهب بن ربيعة :

سأجني ماجنيت وإن ركني لمعتمد إلى نضد ركين

قال : وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف ، وبسكر سبعة آلاف ، رئيسهم الحُضَيْن بن المنذر ، وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الكندي ، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن عُلوان عوذى^(١) ، والأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله ابن حوذان ، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جيهم بن زحر - أو عبید الله بن علي - والموالي سبعة آلاف عليهم حيان - وحيان يقال إنه من الديلم ، ويقال : إنه من خراسان ، وإنما قيل له نبطي للكنية - فأرسل حيان إلى وكيع : أرأيت إن كفت عنك وأعنتك تجعل لي جانب نهر بلسخ وخرأجه ما دمت حياً ، وما دمت والياً ؟ قال : نعم ؛ فقال للعجم : هؤلاء يقاتلون على غير دين ، فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً ؛ قالوا : نعم ، فبايعوا وكيعاً سراً ، فأتى ضرار بن حصين قتيبة ، فقال : إن الناس يختلفون إلى وكيع ، وهم يبايعونه - وكان وكيع يأتي منزل عبد الله بن مسلم الفقير فيشرب عنده - فقال عبد الله : هذا يحسد وكيعاً ، وهذا الأمر باطل ، هذا وكيع في بيتي يشرب ويسكر ويسلخ في ثيابه ؛ وهذا يزعم أنهم يبايعونه . قال : وجاء وكيع إلى قتيبة فقال : احذر ضراراً فإنه

١٢٩١/٢

(١) س : « عوذى » .

لا آمنه عليك ، فأنزل قتيبة ذلك منهما على التحاسد . وتمارض وكيع .
 ثم إن قتيبة دس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع فبايعه سرا . فتبين لقتيبة
 أن الناس يبايعونه ، فقال لضرار : قد كنت صدقتني . قال : إني لم أخبرك
 إلا بعلم ، فأنزلت ذلك مني على الحسد ، وقد قضيت الذي كان علي . قال : ١٢٩٢/٢
 صدقت . وأرسل قتيبة إلى وكيع يدعوه ^(١) فوجدته رسول قتيبة قد طلبني
 على رجله مغرة ، وعلى ساقه ^(٢) خمرزا وودعا . وعنده رجلان من
 زهران يرقيان رجله ، فقال له : أجب الأمير ، قال : قد تررى ما بيري .
 فرجع الرسول إلى قتيبة فأعاده إليه ، قال : يقول لك : ائني محمولا على
 سرير ، قال : لا أستطيع . قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد
 بني وائل - وكان على شرطته - ورجل من غنى انطلقا إلى وكيع فأتيا به .
 فإن أبي فاضربا عنقه ، ووجهه معها خيلا ، ويقال : كان على شرطه
 بخراسان ورقاء بن نصر الباهلي .

قال علي : قال أبو الذبالي : قال ثمامة بن ناجد العدوي : أرسل قتيبة
 إلى وكيع من يأتيه به ، فقلت : أنا آتيك به أصلحك الله ! فقال : ائني
 به ، فأتيت وكيعا - وقد سبق إليه الخبر أن الخيل تأتيه - فلما رأني قال :
 يا ثمامة ، ناد في الناس ؛ فناديت ، فكان أول من أتاه هريم بن
 أبي طحمة في ثمانية .

قال : وقال الحسن بن رشيد الجوزجاني : أرسل قتيبة إلى وكيع .
 فقال هريم : أنا آتيك به ، قال : فانطلق . قال هريم : فركبت برذوني
 مخافة أن يردني ، فأتيت وكيعا وقد خرج .

قال : وقال كليب بن خلف : أرسل قتيبة إلى وكيع شعبة بن ظهير
 أحد بني صخر بن نهشل ، فاتاه ، فقال : يا بن ظهير :

* لبث قليلا تلحق الكتاب *

ثم دعا بسكين فقطع خمرزا كان على رجليه ، ثم لبس سلاحه ، وتمثل : ١٢٩٣/٢

شدوا على سرتي لا تنقليف يوم لهمدان ويوم للصدف

(١ - ١) ب : « فوجده قد طلى رجله بمغرة وعلق على رأسه » . والمغرة : طين أحمر يصبغ به .

وخرج وحده . ونظر إليه نسوة فقلن : أبو مطرف وحده : فجاء هُرَيْمُ بن أبي طَحْمَةَ في ثمانية . فيهم عميرة البَرِيد بن ربيعة العُجَيْبِي . قال حمزة بن إبراهيم وغيره : إن وكيعاً خرج فتلقاه رجل ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من بني أسد ؛ قال : ما اسمك ؟ قال : ضِرْغامَة ؛ قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابن لَيْث ، قال : دونك هذه الراية .

قال المنضَل بن محمد الضَّبِّي : ودفع وكيع رايته إلى عقبه بن شهاب المازني . قال : ثم رجع إلى حديثهم . قالوا : فخرج وكيع وأمر غلمانته ، فقال : اذهبوا بشتملى إلى بني العم . فقالوا : لا نعرف موضعهم ، قال : انظروا رُمُحِينَ مجموعين أحدهما فوق الآخر . فوقهما نخلاة . فهم بنو العم . قال : وكان في العسكر منهم خمسمائة ؛ قال : فنادى وكيع في الناس . فأقبلوا أرسالا من كل وجه . فأقبل في الناس يقول :

قَرْمٌ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةٌ شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ^(١)

وقال قوم : تمثل وكيع حين خرج :

أَنْخَنُ بَلُقَمَانَ بْنِ عَادٍ فَجُسْنَهُ أَرِيئِي سِلَاحِي لَنْ يَطْبِرُوا بِأَعْزَلِ
واجتمع إلى قتيبة أهل بيته . وخواص عن أصحابه وثقاته ، فيهم إياس ابن بَيْهَس بن عمرو . ابن عم قتيبة دنيا . وعبد الله بن وآلان العدوي ، وناس من رهنطيه ، بنى وائل . وأتاه حيتان بن إياس العدوي في عشرة ، فيهم عبد العزيز بن الحارث . قال : وأتاه ميسرة الجدلي - وكان شجاعاً - فقال : إن شئت أتيتك برأس وكيع . فقال : قف مكانك . وأمر قتيبة رجلا . فقال : ناد في الناس ، أين بنو عامر ؟ فنادى : أين بنو عامر ؟ فقال محض بن جزء الكلابي - وقد كان جفاهم : حيث وضعتهم ؛ قال : ناد أذكركم الله والرحيم ! فنادى محض : أنت قطعتهما ، قال : ناد لكم العتبي ، فناداه محض أو غيره : لا أقالنا الله إذا . فقال قتيبة :

يَا نَفْسٍ صَبِرًا عَلَى مَا كَانَ مِنَ أَلْمِ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْقَوْمِ أَقْرَانًا

(١) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . والحزيم : موضع الحزام

من الصدر والظهر .

ودعا بعمامة كانت أمته بعثت بها إليه . فاعتم بها ، كان يعتم بها في الشدائد . ودعا ببردون له مدرّب . كان يتطير إليه في الزحوف ، فتقرب إليه ليركبته ، فجعل يقمص حتى أعياه . فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فتعدّ عليه وقال : دعوه ؛ فإنّ هذا أمرٌ يراد . وجاء حيّان النبطي في العجم ، فوقف وقتيبة واجد عليه . فوقف معه عبدُ الله بنُ مسلم . فقال عبدُ الله لحيّان : احمل على هذين الطّرفين . قال : لم يأنِ لذلك ، فتغضب عبدُ الله . وقال : ناولني قوسى . قال حيّان : ليس هذا يوم قوس ، فأرسل ١٢٩٥/٢ وكيع إلى حيّان : أين ما وعدتني ؟ فقال حيّان لابنه : إذا رأيتني قد حولت قلنسوتي . ومضيت نحوَ عسكرِ وكيع . فليل بمن معك في العجم إلى . فوقف ابنُ حيّان مع العجم . فلما حول حيّان قلنسوته مالت الأعجام إلى عسكرِ وكيع ، فكبر^(١) أصحابه . وبعث قتيبةً أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجلٌ من بني ضبّة يقال له سليمان الزنجيرج - وهو الحرُّ نوب . ويقال : بل رماه رجلٌ من بلعم فأصاب هامته - فحميل إلى قتيبة ورأسه مائل ، فوضع في مُصلاّه . فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة ، ثمّ تحول إلى سريره .

قال : وقال أبو السري الأزدي : رمى صالحاً رجلٌ من بني ضبّة فأثقله ، وطعنته زياد بنُ عبد الرحمن الأزدي . من بني شريك بن مالك . قال : وقال أبو مخنف : حمّل رجلٌ من غنى على الناس فرأى رجلاً مجتفاً فشبّهه بجهنم بن زحر بن قيس فطعنته . وقال :

إِنَّ غَنِيًّا أَهْلُ عِزٍّ وَمَصْدَقٍ إِذَا حَارَبُوا وَالنَّاسُ مُفْتَتِنُونَا
فَإِذَا الَّذِي طُعِنَ عِلْجٍ وَتَهَابَتِ النَّاسُ . وَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ
نَحْوَهُمْ ، فَرَمَاهُ أَهْلُ السُّوقِ وَالغَوَاغَاءِ . فَتَمَلَّوْهُ . وَأَحْرَقَ النَّاسُ مَوْضِعًا
كَانَتْ فِيهِ إِبِلٌ لِقَتِيْبَةَ وَدَوَابَّهُ . وَدَنَوْا مِنْهُ . فَتَمَاتَلَ عَنْهُ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ مِنْ
بَنِي وَائِلٍ . فَقَالَ لَهُ قَتِيْبَةُ : انْجُ بِنَفْسِكَ . فَقَالَ لَهُ : بئس ما جزيتك إذا ،

(١) ب : « فكثر » .

وقد أطعمتني الجرذق^(١) وألبستني النرملق^(٢) !

قال : فدعا قتيبةً بدابته . فأتى بيبرذون فلم يقر لركبه ، فقال : إن له لشأنا ؛ فلم يركبه . وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسوطاط ، فخرج إلياس بن بيتهس وعبد الله بن وآلان حين بلغ الناس الفسوطاط وتركوا قتيبة . وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمراً - أو عمر - فلقية الطائي فحذره . ووجد ابنه فأردفته . قال : وفطن قتيبةً للهيم بن المنخل وكان ممن يعين عليه . فقال :

١٢٩٦/٢

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال : وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ، بنو مسلم ، وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ، ونجا أخوه ضرار ، استنقذه أخواله ، وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة . وقال قوم : قتل عبد الكريم بن مسلم بقرزوين . وقال أبو عبدة : قال أبو مالك : قتلوا قتيبة سنة ست وتسعين ، وقتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً ، فصلبهم وكيع ، سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم : قتيبة ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الفقير ، وعبيد الله ، وصالح ، وبشار ، ومحمد بنو مسلم . وكثير بن قتيبة ، ومغلس بن عبد الرحمن ، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو - وكان عامل الجوزجان - وضرار ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، فجاء أخواله فدفعوه حتى نحتوه ، ففى ذلك يقول الفرزدق :

١٢٩٧/٢

عَشِيَّةَ مَا وَدَّ ابْنُ غَرَّةَ أَنَّهُ لَهْ مِنْ سِوَانَا إِذْ دَعَا أَبَوَانِ^(٢)

وضرب إلياس بن عمرو - ابن أخي مسلم بن عمرو - على ترقوته فعاش . قال : ولما غشى القوم الفسوطاط قطعوا أطنابته . قال زهير : فقال جتهم ابن زحر لسعد : انزل . فحز رأسه . وقد أثنى جراحاً ، فقال : أخاف ،

(١) الجرذق : الرغيف ، بالفارسية . والنرملق : اللين ، وهو فارسي أيضاً . وفي ب : «الفرق» .

(٢) ديوانه ٨٧٢ .

أن تَجُولَ الحَيْلُ ، قال : تخاف وأنا إلى جَنِّبِكَ ! فنزل سعد فشَقَّ صَوْقَةَ^(١) الفُسْطَاطِ ؛ فاحترَّ رأسه ، فقال حُضَيْنُ بن المنذر :

وإن ابن سعد وابن زحرٍ تعاورا بسيفيهما رأس الهمام المتوج
عشيّة جئنا بابن زحر وجئتم بأدغم مرقوم الذراعين ديزج
أصم غدائي كأن جبينه لطاخة نقيس في أديم ممجمج

قال : فلما قتل مسلمة يزيد بن المهلب استعمل على خراسان سعيد بن خديجة بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، فحبس عمال يزيد ، وحبس فيهم جثمهم بن زحر الجعفي ، وعلى عذابه رجل من باهلة ، فقيل له : هذا قاتل قتيبة ، فقتله في العذاب ، فلامه سعيد ، فقال : أمرتني أن أستخرج منه المال فعذبتني فأتى علي أجله .

قال : وسقطت على قتيبة يوم قتل جارية له خوارجية ، فلما قتل ١٢٩٨/٢ خرجت ، فأخذها بعد ذلك يزيد بن المهلب ، فهي أم خالدة .

قال علي : قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليقظان : لما قتل قتيبة صعد عمارة بن جنية الرياحي المنبر فتكلم فأكثر ، فقال له وكيع : دعنا من قذررك وهذرك ، ثم تكلم وكيع فقال : مثلي ومثلي قتيبة كما قال الأول :

• من ينيك العير ينيك نياكا •

أراد قتيبة أن يقتلني وأنا قتال .

قد جربوني ثم جربوني من غلوتين ومن المشين
حتى إذا شبت وشيبوني خلوا عناني وتنكبوني
أنا أبو مطرف .

قال : وأخبرنا أبو معاوية ، عن طلحة بن إياس ، قال : قال وكيع يوم قتل قتيبة :

(١) صوقة الفسطاط ، أي أعلاه .

أنا ابن خندف تميمي قبائليها للصالحات وعمي قيس عيلانا
ثم أخذ بلحيته ثم قال :

شيوخ إذا حمل مكرهه شدا الشرايف لها والحريم

والله لأقتلن ، ثم لأقتلن . ولأصلبن . ثم لأصلبن ؛ إني والنغ دما ، إن
مر زبانيكم هذا ابن الزانية قد أغلى عليكم أعماركم ، والله ليصيرون القفيز
في السوق غدا بأربعة أو لأصلبته . صدوا على نبيكم . ثم نزل .

قال علي : وأخبرنا المفضل بن محمد وشيخ من بني تميم ، ومسلمة بن
محارب ، قالوا : طلب وكيع رأس قتيبة ونخاته . فقبل له : إن الأزد أخذته ،
فخرج وكيع وهو يقول : ده درين . سعد القين :

١٢٩٩/٢

في أي يوم من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدِر
لا خير في أحزم جباد القرع في أي يوم لم أرع ولم أرع

والله الذي لا إله غيره لا أبرح حتى أوتى بالرأس . أو يذهب برأسي
مع رأس قتيبة . وجاء بخشب فقال : إن هذه الخيل لا بد لها من فرسان -
ينهدد بالصلب - فقال له حُضَيْن : يا أبا مطرف ، تؤتي به فاسكن . وأتى
حُضَيْن الأزدي فقال : أحسقتي أنتم ! بابعنا وأعطينا المقاتلة ، وعرض
نفسه . ثم تأخذون الرأس ! أخرجوه لعنه الله من رأس ! فجاءوا بالرأس
فقالوا : يا أبا مطرف . إن هذا هو احتزه . فاشكمه : قال : نعم . فأعطاه
ثلاثة آلاف . وبعث بالرأس مع سليل بن عبد الكريم الحنقي ورجال
من القبائل وعليهم سليل . ولم يبعث من بني تميم أحدا .

قال : قال أبو الذبالي : كان فيمن ذهب بالرأس أنيف بن حسان أحد
بني عدي .

قال أبو مخنف : وقى وكيع لحيسان النبطي بما كان أعطاه . قال :
قال خمر بن أبي حمزة . عن أشاخ من قومه : قالوا : قال سلمان للأنداء

١٣٠٠/٢

ابن زُفَرٍ حين وُضِعَ رأسُ قُتَيْبَةَ ورعوسُ أهل بيته بين يديه : هل ساءك هذا يا هُنَيْلُ؟ قال : لو ساءني ساء قومًا كثيرًا؛ فكلّسه خُرمِ بن عمرو والقمعُ عَمَقُ ابن خُلَيْدٍ. فقال : انذَن في دَفْنِ رِعوسِهِمْ ، قال : نعم . وما أردت هذا كله .
قال عليّ : قال أبو عبد الله السُلَمِيُّ . عن يزيد بن سُويْدٍ . قال : قال رجلٌ من عَجَمِ أهْلِ خُرَاسَانَ : يا معشر العَرَبِ . قَتَلْتُمْ قُتَيْبَةَ . والله لو كان قُتَيْبَةُ من فِئَاتِ فِينَا جَعَلْنَا فِي تَابُوتِ فَكُنَّا نَسْتَفْتِحُ بِهِ إِذَا غَزَوْنَا ، وما صنع أحدٌ قطّ بخُرَاسَانَ ما صنع قُتَيْبَةَ . إلاّ أنه قد غَدَرَ ، وذلك أنّ الحِجَاجَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ اخْتَلَهُمْ وَأَقْتَلَهُمْ فِي اللَّهِ .

قال : وقال الحسن بن رُشَيْدٍ : قال الإصْبَهَيْتِيُّ لِرَجُلٍ : يا معشر العَرَبِ ، قَتَلْتُمْ قُتَيْبَةَ وَيَزِيدَ وَهُمَا سَيِّدَا الْعَرَبِ ! قال : فأَيُّهُمَا كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَكُمْ وَأَهْيَبَ؟ قال : لو كان قُتَيْبَةَ بِالْمَغْرِبِ بِأَقْصَى جُحُرٍ بِهِ فِي الْأَرْضِ مَكْبَلًا بِالْحَدِيدِ ، وَيَزِيدَ مَعْنَا فِي بِلَادِنَا وَالْإِلَيْنَا لَكَانَ قُتَيْبَةُ أَهْيَبَ فِي صَدُورِنَا وَأَعْظَمَ مِنْ يَزِيدٍ .

قال عليّ : قال المَفْضَلُ بْنُ مُحَمَّدِ الضُّبَيْيِّ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى قُتَيْبَةَ يَوْمَ قُتِلَ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَقَالَ : الْيَوْمَ يُقْتَلُ مَلِكُ الْعَرَبِ - وَكَانَ قُتَيْبَةُ عِنْدَهُمْ مَلِكًا الْعَرَبِ - فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ .

قال : وقال كُتَيْبُ بْنُ خَلِيفَةَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَ وَكَيْعٍ حِينَ قُتِلَ قُتَيْبَةَ ، قَالَ : أَمْرٌ وَكَيْعٌ رَجُلًا فَنَادَى : لَا يُسَلِّبَنَّ قَتِيلٌ ، فَمَرَّ ابْنُ عُبَيْدِ الْمَجَرِيِّ عَلَى أَبِي الْحَجَرِ الْبَاهِلِيِّ فَسَلَّيْتَهُ ، فَبَلَغَ وَكَيْعًا فَضْرَبَ عُنُقَهُ .
قال أبو عبيدة : قال عبد الله بن عمر ، من تَسِيمِ اللَّاتِ : رَكِيبٌ وَكَيْعٌ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَتَوْهُ بِسَكْرَانَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ، فَقِيلَ لَهُ : لَيْسَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ . إِنَّمَا عَلَيْهِ الْحَدُّ ، قَالَ : لَا أَعاقِبُ بِالسَّيَاطِ ، وَلَكِنِّي أَعاقِبُ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ :

وَكُنَّا نُبَكِّي مِنَ الْبَاهِلِيِّ فَهَذَا الْغُدَانِيُّ شَرٌّ وَشَرٌّ (١)

وقال أيضاً :

ولما رأينا الباهليّ ابنَ مسلمٍ
وقال الفرزدق يتذكرُ وقعةَ وكيح :

ومنا الذي سلّ السيوفَ وشامها
عشيّة لم تمنعَ بنيتها قبيلةُ
عشيّة ما ودَّ ابنُ غراءَ أنه
عشيّة لم تسترَ هوازنُ عامرُ
عشيّة ودَّ الناسُ أنهم لنا
رأوا جبلا يعلو الجبالَ إذا التقت
رجالٌ على الإسلامِ إذ ما تجالدوا
وحتى دعا في سورِ كلِّ مدينةٍ
فيجزى وكيح بالجماعة إذ دعا
جزاءً بأعمالِ الرجالِ كما جرى
وقال الفرزدق في ذلك أيضاً :

١٣٠٢/٢

أتاني ورَحلي بالمدينةِ وقعةً
لالِ تميمٍ أقعدت كلَّ قائمٍ^(١)

وقال عليّ : أخبرنا نحرّيم بن أبي يحيى ، عن بعض عمومته قال : أخبرني
شيوخ من غسان قالوا : إنا لبشينة العُقَاب إذ نحن بربجل يشبه الفيوج^(٢) معه
عصاً وجِرَاب ، قلنا : من أين أقبلت ؟ قال : من خراسان ، قلنا : فهل
كان بها من خبَر ؟ قال : نعم ، قتل قتيبة بن مسلم أمّس ، فتعجبنا
لقوله ، فلما رأى إنكارنا ذلك قال : أين ترؤنني الليلة من إفريقية ؟ ومضى
واتبعناه على خيولنا ، فإذا شيء يسبق الطرف . وقال الطرّمّاح :

لولا فوارسُ مذحجِ ابنةِ مذحجٍ
والأزدِ زُعرعٍ واستبيح العسكرُ

(١) ديوانه ٨٥٣ .

(٢) الفيوج : جمع فيج ، وهو رسول السلطان .

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْبِلَادُ وَلَمْ يَكُوبُ
وَأَسْتَضَلَّتْ عُقَدَ الْجَمَاعَةِ وَازْدَرَى
قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا قُتَيْبَةَ عَذْوَةً
بِالْمَرَجِ مَرَجِ الصَّيْنِ حَيْثُ تَبَيَّنَتْ
إِذْ خَالَفَتْ جَزَعًا رُبَيْعَةً كُلَّهَا
وَتَقَدَّمَتْ أَزْدُ الْعِرَاقِ وَمَذْجَجُ
قَحْطَانَ تَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ مَذْجَجٍ
وَالْأَزْدُ تَعْلَمُ أَنَّ تَحْتَ لَوَائِهَا
فَبِعِزَّنَا نُصِرَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

مِنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مُخْبِرٌ
أَمْرُ الْخَلِيفَةِ وَاسْتُحِيلَ الْمَنْكُرُ
وَالْخَيْلُ جَانِحَةٌ عَلَيْهَا الْعَثِيرُ
مُضَرُّ الْعِرَاقِ مِنَ الْأَعَزِّ الْأَكْبَرِ !
وَتَفَرَّقَتْ مُضَرٌ وَمَنْ يَتَمَضَّرُ
لِلْمَوْتِ يَجْمَعُهَا أَبُوهَا الْأَكْبَرُ
تَحْمِي بِصَائِرُهُنَّ إِذْ لَا تَبْصُرُ
مُلُكًا قُرَاسِيَّةً وَمَوْتَ أَحْمَرُ
وَبِنَا تَثَبَّتْ فِي دِمَشْقَ الْمَنْبَرُ

١٢٠٢/٢

وقال عبد الرحمن بن جهمانة الباهلي :

كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قُتَيْبَةَ لَمْ يَسِرْ
وَلَمْ تَخْفِقِ الرَّايَاتُ وَالْقَوْمُ حَوْلَهُ
دَعْتُهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ
فَمَا رُزِيَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
- بِعَنِي أُمَّمٌ وَوَلَدَهُ .

بِجَيْشٍ إِلَى جَيْشٍ وَلَمْ يَعْلُ مِنْبَرًا
وَقُوفٌ وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عَسْكَرًا
وَرَاخَ إِلَى الْجَنَّاتِ عَفَا مُطَهَّرًا
بِمَثَلِ أَبِي حَفْصٍ فَبَكَيَهُ عَبَهَرًا

وقال الأصم بن الحجاج يثرى قتيبة :

أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا
نَقُودٌ تَمِيمًا وَالْمَوَالِي وَمَذْجَجًا
نَقْتُلُ مَنْ شَنَّا بَعِزَّةً مُلْكَنَا
سُلَيْمَانَ كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ قَدْ حَوَتْ لَكُمْ
وَكَمْ مِنْ حِصُونٍ قَدْ أَبْحَنَّا مَنِيْعَةً
وَمِنْ بِلْدَةٍ لَمْ يَغْزُهَا النَّاسُ قَبْلَنَا

بَلِي نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وَأَزْدٌ وَعَبْدُ الْقَيْسِ وَالْحَيُّ مِنْ بَكْرِ
وَنَجْبَرٌ مَنْ شَنَّا عَلَى الْخَسْفِ وَالْقَسْرِ
أَسِنْتُنَا وَالْمُقَرَّبَاتُ بِنَا تَجْرِي
وَمِنْ بِلْدٍ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَغَيْرِ
غَزَوْنَا نَقُودَ الْخَيْلِ شَهْرًا إِلَى شَهْرِ

١٢٠٤/٢

مرنَّ على الغزو الجرور ووقرت
 وحتى لو أن النار سُبت وأكرهت
 تلاعِبُ أطرافَ الأسنه والقنا
 بهنَّ أبخنا أهل كلِّ مدينة
 ولو لم تُعجلنا المنايا لجاوزت
 ولكنَّ آجالاً قُضينَ ومُدَّة
 على النَّفْرِ حتى ما تُهال من النَّفْرِ
 على النارِ خاضت في الوغى لهبَ الجمرِ
 بلباتِها والموت في لجج خضرِ
 من الشرك حتى جاوزت مطلع الفجرِ
 بنارِ ذمِّ ذى القرنين ذا الصخرِ والقطرِ
 تناهى إليها الطَّيِّبونَ بنو عمرو

• • •

وفي هذه السنة عزَّل سليمانُ بنُ عبد الملك خالدَ بنَ عبد الله القسريَّ
 عن مكة ، وولَّاهَا طَلْحَةَ بنَ داودَ الحضرميَّ .

١٣٠٥/٢

وفيها غزا مَسَلَمَةَ بن عبد الملك أرضَ الروم الصائفةَ ، ففتح حصناً
 يقال له حِصْنُ عَوْفٍ .

وفي هذه السنة تُوفِّي قرّة بن شريك العبّسي وهو أميرُ مصرَ في صفر في
 قول بعض أهل السَّيَر .

وقال بعضهم : كان هلاكُ قرّة في حياة الوليد في سنة خمس وتسعين
 في الشهر الذي هلك فيه الحجاج .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ،
 كذلك حدَّثني أحمد بن ثابت عمَّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
 أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان الأميرُ على المدينة في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن
 حزم ، وعلى مكة عبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حَرَبِ
 العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى نخرأجها صالح بن عبد الرحمن .
 وعلى البصرة سُفْيَان بن عبد الله الكِنْدِي مِن قبَل يزيد بن المهلب ، وعلى
 قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ،
 وعلى حَرَبِ نخراسان وكيع بن أبي سود .

تمّ دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية واستعماله ابنه داود بن سليمان على الصائفة . فافتتح حصن المرأة . وفيها غزا - فيما ذكر الواقدي - مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح الحصن الذي كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية . وفيها غزا عمر^(١) بن هبيرة الفزاري في البحر أرض الروم ، فشتا بها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس ، وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبي عبيد الفهري .

• • •

[ولاية يزيد بن المهلب على خراسان]

وفيها ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان .

• ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان :

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة إليه ولي يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخرابها . فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف . أن يزيد نظر لما ولاه سليمان ما ولاه من أمر العراق في أمر نفسه ، فقال : إن العراق قد أخرجها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق ؛ ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب ، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها ، ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني . فأتى يزيد سليمان فقال : أدلك على رجل بصير بالخراج توليه إياه ، فتكون أنت تأخذه به ؟ صالح بن عبد الرحمن ، مولى بني تميم . فقال له : قد قبلنا رأيك ، فأقبل يزيد إلى العراق .

(١) ط : ه عمرو ، تعريف .

وحدثني عمر بن شبة، قال : قال علي : كان صالح قدِم العراق قبل قدوم يزيد . فنزل واسطاً . قال علي : فقال عباد بن أيوب : لما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه ، فقبل لصالح : هذا يزيد ، وقد خرج الناس يتلقونه . فلم يخرج حتى قَرُبَ يزيدُ من المدينة ، فخرج صالح . عليه دُرّاعة ودبوسية صفراء صغيرة . بين يديه أربعمائة من أهل الشام . فلقى يزيدَ فسأبره . فلما دخل المدينة قال له صالح : قد فرغت لك هذه الدار - فأشار له إلى دار - فنزل يزيد . ومضى صالح إلى منزله . قال : وصيت صالحُ علي يزيد فلم يملكه شيئاً . واتخذ يزيدُ ألف نخوان يُطعم الناسَ عليها . فأخذها صالح . فقال له يزيد : اكتب ثمنها علي . واشترى متاعاً كثيراً . وصك صكاً كما إلى صالح لباعتيها^(١) منه ، فلم يُنفذه . فرجعوا إلى يزيد ، فغضب وقال : هذا عملي بنفسي . فلم يلبث أن جاء صالح . فأوسع له يزيد . فجلس وقال ليزيد : ما هذه الصكوك ؟ الحراج لا يقوم لها ، قد أنفدت لك منذ أيام صكاً بمائة ألف ، وعجبت لك أرزاقك . سألت مالا للجند ، فأعطيتك ، فهذا لا يقوم له شيء ، ولا يرضى أمير المؤمنين به ، وتؤخذ به ! فقال له يزيد : يا أبا الوليد ، أجز هذه الصكوك هذه المرة ، وضاحكته . قال : فإني أجزها ، فلا تُكثرن علي ، قال : لا^(٢) .

١٣٠٨/٢

قال علي بن محمد : حدثنا مسleme بن محارب وأبو العلاء التيمي والطفيل بن مرداس العمي وأبو حفص الأزدي عن حدثه عن جتهم ابن زحر بن قيس . والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير . وأبو الحسن الخراساني عن الكترماني ، وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عثمان ابن عمرو بن محسن الأزدي وزهير بن هنيذ وغيرهم - وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض ، فألفت ذلك - أن سليمان بن عبد الملك ولي يزيد ابن المهلب العراق ولم يولّه خراسان ، فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك ابن المهلب وهو بالشام ويزيد بالعراق : كيف أنت يا عبد الملك إن وليتُك خراسان ؟ قال : يجِدني أمير المؤمنين حيث يُحب ، ثم أعرض سليمان عن

(١) ابن خلكان : «لبتاعها» . (٢) الخبر في ابن خلكان ٢ : ٢٧١ ، نقله عن الطبري :

ذلك . قال : وكتب عبدُ الملك بنُ المهلب إلى جرير بن يزيد الجتهضمي وإلى رجال من خاصته : إن أمير المؤمنين عرّض عليّ ولاية خراسان . فبلغ الخبرُ يزيدَ بنَ المهلب ، وقد ضجّر بالعراق ، وقد ضيّق عليه صالح ابنُ عبد الرحمن ، فليس يتصلّ معه إلى شيء ، فدعا عبد الله بن الأهمم ، فقال : إني أريدك لأمر قد أهمّني ، فأحبّ أن تكفيني به . قال : مرّني ١٣٠٩/٢ بما أحببت . قال : أنا فيما ترى من الضيق ، وقد أضجرتني ذلك . وخراسان شاغرةٌ برجالها ، وقد بلغني أن أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم . سرّحتي^(١) إلى أمير المؤمنين ، فإني أرجو أن آتيك بعهدك عليها . قال : فآتم ما أخبرتكم به . وكتب إلى سليمان كتابين : أحدهما يذكر له فيه أمر العراق . وأثنى فيه على ابن الأهمم وذكر له علمه بها ، ووجه ابن الأهمم وحمله على البريد . وأعطاه ثلاثين ألفاً . فسار سبعةً ، فتقدّم بكتاب يزيد على سليمان . فدخل عليه وهو يتغدّى ، فجلس ناحيةً ، فأتى بدجاجتين فأكلتهما .

قال : فدخل ابنُ الأهمم فقال له سليمان : لك مجلسٌ غيرُ هذا تعود^(٢) إليه . ثمّ دعا به بعد ثلاثة . فقال له سليمان : إن يزيدَ بنَ المهلب كتب إلى يذكر علمك بالعراق وخراسان ، ويشتي عليك . فكيف علمك بها ؟ قال : أنا أعلم الناس بها ؛ بها ولدتُ . وبهانشأتُ . فلي بها وبأصلها خبر وعلم . قال : ما أحوج أمير المؤمنين إلى مثلك يشاوره في أمرها ! فأشر على برجل أوليه خراسان : قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولى ، فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأى فيه . هل يصلح لها أم لا ، قال : فسمي سليمان رجلاً من قريش ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس من رجال خراسان ، قال : فعبدُ الملك بنُ المهلب ، قال : لا ، حتى عدد رجالاً ، فكان في آخر من ذكر وكيع بن أبي سود ، فقال : يا أمير المؤمنين . وكيع رجلٌ شجاعٌ صارمٌ بشيس^(٣) مقدام ، وليس بصاحبها^(٤) مع هذا ، إنه لم ١٣١٠/٢

(١) ب : « ترحني » . (٢) ابن خلكان : « نعود » .

(٣) ب : « رئيس » . والبئس : الشديد . (٤) ب : « لصاحبها » .

يتمد ثمانمائة قطعاً فرأى^(١) لأحد عليه طاعة . قال : صدقت ويحك . فمن لها !
قال : رجل أعذسه لم تسمه^(٢) . قال : فمن هو ؟ قال لا أبوح باسمه إلا
أن يضمّن في أمير المؤمنين ستر ذلك . وأن يجيرني منه إن علم : قال :
نعم . سمته من هو ؟ قال : يزيد بن المهلب . قال : ذاك بالعراق . والمقام
بها أحب إلي من المقام بخراسان . قال : قد علمت يا أمير المؤمنين . ولكن
تكرهه على ذلك . فيستخلف على العراق رجلاً ويسير : قال : أصبت
الرأى . فكاتب عهد يزيد على خراسان . وكتب إليه كتاباً : إن ابن
الأهم كما ذكرت في عقلي ودينه وفضله ورأيه . ودفع الكتاب وعهد يزيد إلى
ابن الأهم . فسار سبباً . فقدم على يزيد فقال له : ما وراءك ؟ قال :
فأعطاه الكتاب . فقال : ويحك ! أعينك خير ؟ فأعطاه العهد . فأمر
يزيدُ بالجنهاز لتسير من ساعته . ودعا ابنه محمداً فقدّمه إلى خراسان . قال :
فسار من يومه . ثم سار يزيد واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله
الحكمي . واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي . وصير مروان
ابن المهلب على أمواله وأموره بالبصرة . وكان أوثق إخوته عنده . ولمروان
يقول أبو البهاء الإيادي :

رأيتُ أبا قبصة كلَّ يومٍ على العلاتِ أكرمهم طباعاً
إذا ما همُّ أبوا أن يستطيعوا جسيم الأمرِ يخيل ما استطاعاً
وإن ضاقت صدورهمُ بأمرٍ فضلتهمُ بذاك ندَى وباعاً

١٣١١/٢

* * *

وأما أبو عبدة معمر بن النسي فإنه قال في ذلك : حدثني أبو مالك أن
وكيع بن أبي سود بعث بضاعته وبرأس قتيبة إلى سليمان ، فوقع ذلك من
سليمان كلَّ موقع ، فجعل يزيد بن المهلب لعبد الله بن الأهم مائة ألف
على أن ينقر^(٣) وكيعاً عنده . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! والله ما أحد

(١) ب : « ولا رأى » .

(٢) ب : « لم يسه أمير المؤمنين » .

(٣) ب : « ينقر » ، س : « ينقر » ويقال : نقر الرجل ينقره ، أي عابه ووقع فيه .

أوجب شكراً، ولا أعظم عندي يداً من وكيع، لقد أدرك بشأري، وشفاني من عدوئى. ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب على حَقاً، وإن النصيحة تلزمنى لأمر المؤمنين؛ إن وكيعاً لم يجتمع له مائة عذبان قط إلا حدث نفسه بغدرة؛ نحامل في الجماعة، نابه في الفتنة، فقال: ما هو إذا ممن نستعين به - وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع - فاستعمل سليمان يزيد ابن المهلب على حرب العراق، وأمره إن أقامت قيس البيعة أن قتيبة لم يخلع فيتزع يدأ من طاعة، أن يقيد وكيعاً به. فتغدر يزيد، فلم يعط عبد الله ابن الأهم ما كان ضمن له، ووجه ابنه مخلد بن يزيد إلى وكيع.

* * *

رَجَع الحديث إلى حديثِ عليّ. قال عليّ: أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن محصن، وأبو الحسن الخراساني عن الكرمانى، قال: وجه يزيد ابنه مخلداً إلى خراسان فقدم مخلدٌ عمرو بن عبد الله بن سنان العسكى، ثم الصنابحي^(١)، حين دننا من مرو، فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن التقى، فأبى، فأرسل إليه عمرو، يا أعرابي أحمق جليفاً جافياً، انطلق إلى أميرك فتلقه. وخرج وجوه من أهل مرو يتلقون مخلداً، وتناقل وكيع عن الخروج، فأخرجته عمرو الأزدي، فلما بلغوا مخلداً نزل الناس كلهم غير وكيع ومحمد بن حمران السعدى وعباد بن لقيط أحد بنى قيس بن ثعلبة، فأنزلوهم، فلما قدم مرو حبس وكيعاً فعذب به، وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قدوم أبيه.

قال عليّ عن كليب بن خديج. قال: أخبرنا إدريس بن حنظلة، قال: لما قدم مخلد خراسان حبسنى، فجاءنى ابن الأهم فقال لى: أتريد أن تسنجو؟ قلت: نعم، قال: أخرج الكتب التى كتبتها القعقاع بن خلد العيسى وخرم بن عمرو المرقى إلى قتيبة فى خلعة سليمان، فقلت له: يا ابن الأهم،

(١) ب: «الصنابحي».

إيتابى تسخدع عن دينى ! قال : فدعا بطومار وقال : إنك أحمق . فكاتب كُتُباً عن لسان القعقاع ورجال من قيس إلى قتيبة أن ، الوليد بن عبد الملك قد مات ، وسليمان باع هذا المزدوني على خراسان فاخلاه . فقلت : يا ابن الأهم ، تهلك والله نفسك ! والله لئن دخلت عليه لأعلمننه أنك كتبت بها .

* * *

وفي هذه السنة شخّص يزيد بن المهلب إلى خراسان أميراً عليها ، فذكر على بن محمد ، عن أبي السرى الأزدي ، عن عمه ، قال : ولى وكيع خراسان بعد قتل قتيبة تسعة أشهر أو عشرة . وقدم يزيد بن المهلب سنة سبع وتسعين .

١٣١٣/٢

قال على : فذكر المفضل بن محمد عن أبيه ، قال : أدنى يزيد أهل الشام وقوماً من أهل خراسان ، فقال نهار بن توسعة :

وما كنا نُؤملُ من أميرٍ	كما كنا نُؤملُ من يزيدٍ
فأخطأنا فيه وقدماً	زهدينا في معاشرته الزهيد
إذا لم يُعطينا نصفاً أميراً	مشيناً نحوه مثل الأسود
فمهلاً يا يزيد أنب إلينا	ودعنا من معاشرته العبيد
نجيء فلا نرى إلا صدوداً	على أنا نسلم من بعيد
ونرجع خائبين بلا نوالٍ	فما بال التجهم والصدود !

قال على : أخبرنا زياد بن الربيع ، عن غالب القطان ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز واقفاً بعرفات في خلافة سليمان ، وقد حج سليمان عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد : العجب لأمر المؤمنين ، استعمل رجلاً على أفضل ثغر للمسلمين ! فقد بلغني عمن يقدم من التجار من ذنك الوجه أنه يُعطى البخارية من جواريه مثل سهم ألف رجل . أما والله

ما الله أراد بولايته - فعرفت أنه يعنى يزيدَ والجهنية - فقلت: يشكر بلاءهم أيام الأزارقة .

قال : ووَصَلَ يزيدُ عبدَ الملكِ بنِ سلامِ السَّلُولِيَّ فقال :

ما زال سيبك يا يزيدُ بحوبتي حتى أرتويتُ وجودكم لا يُنكرُ
أنتَ الربيعُ إذا تكونَ خصاصةً عاش السقيمُ به وعاش المُقنِرُ
عمت سحابتُهُ جميعَ بلادكم فرؤوا وأغدقهم سحابٌ مُمطرُ ١٣١:٢
فسقاك ربك حيثُ كنتَ مخيلةً ريبًا سحائبها تروحُ وتُبكرُ (١)

• • •

وفي هذه السنة حجَّ بالناس سليمانُ بنُ عبد الملك ، حدثني بذلك أحمدُ ابن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وفيها عزَّل سليمانُ طلحةَ بن داودَ الحضرميَّ عن مكة ، قال الواقدي : حدثني إبراهيمُ بنُ نافع ، عن ابن أبي مُسَيْكَةَ ، قال : لما صدرَ سليمانُ ابنُ عبد الملك من الحجِّ عزَّل طلحةَ بن داودَ الحضرميَّ عن مكة ، وكان عمَلُهُ عليها ستة أشهر ، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وكانت عمَّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان ، فإن عاملتها على الحرب والحراج والصلاة يزيدُ بنُ المهلب .

وكان خليفته على الكوفة - فيما قيل - حرملة بن عمير اللخمي أشهرًا ، ثم عزَّله وولَّاهما بشير بن حسان النهدي .

(١) ب : « ريبًا سحابتها » .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية]

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية ، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه ، فشتابها وصاف . فذكر محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى ، قال : لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين (١) من طعام حتى يأتي به القسطنطينية ، فأمر بالطعام فألقى في ناحية مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئاً ، أغبروا في أرضهم ، وازدروا (٢) . وعميل بيوتنا من خشب ، فشتا فيها ، وزرع الناس ، ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكله شيء ، والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ، ثم أكلوا من الزرع . فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهراً لأهلها ، معه وجوه أهل الشام : خالد بن معدان ، وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي ، ومجاهد بن جبير ؛ حتى أتاه موت سليمان فمال القائل :

١٣١٥/٢

• تخيل مدينتها ومدينتي مسلمة •

حدثني أحمد بن زهير . عن علي بن محمد . قال : لما ولي سليمان غزاة الروم فنزل دابق ، وقدم مسلمة فهابته الروم . فشنخص إليسون من أرمينية ، فقال لمسلمة : ابعث إلى رجلا يكتمني . فبعث ابن هبيرة ، فقال له ابن هبيرة : ما تعدون الأحمق فيكم ؟ قال : الذي يملأ بطنه من كل شيء يجده ، فقال له ابن هبيرة : إنما أصحاب دين ، ومن ديننا طاعة

(١) المدي : مكيال ضخم لأهل الشام ومصر .

(٢) ازدروا ، أي اتخنوا لأنفسكم زرعاً لكم ، وفي ب : « وازدروا » .

أمرائنا ؛ قال : صدقت ، كنا وأنتم نُقاتِل على الدين ونَغضب له ، فأما اليومَ فإننا نُقاتِل على الغلبةِ والمُلْك ، نُعطيك عن كلِّ رأسٍ ديناراً . ١٣١٦/٢
 فرجع ابنُ هُبيرةٍ إلى الرومِ من غده ، وقال : أرى أن يَرْضَى ، أتيتُه وقد تغدَّى وملاً بطنه ونام ، فانتسبه وقد غلب عليه البلغم ، فلم يدِر ما قلتُ .
 وقالت البطارقة لإليون : إن صرفت عنا مَسَلمةً مَدَكناك . فوثقوا له ، فأتى مَسَلمةً فقال : قد علم القومُ أنك لا تصدقهم القتال ، وأنتك تطاولهم ما دام الطعام عندك ، ولو أحرقت الطعامَ أعطوا بأيديهم ، فأحرقه ، فقوى العدو ، وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون ، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان . قال : وكان سليمانُ بنُ عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عهداً ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية .

قال : وهلك ملك الروم . فأتاه إليون فأخبره . وضمن له أن يدفع إليه أرض الروم . فوجه معه مسلمة حتى نزل بها . وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها^(١) وأتاهم إليون فلكوه^(٢) ، فكتب إلى مَسَلمة يخبره بالذي كان . ويسأله أن يدخل من الطعام ما يعيش به القوم ، ويصدقونه بأن أمره وأمر مَسَلمة واحد ، وأنهم في أمان من السبأ والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلةً في حمل الطعام . وقد هبت إليون السفن والرجال ، فأذن له ، فما بقي في تلك الحظائر إلا ما لا يذكر : حمل في ليلة ، وأصبح إليون محارباً ، وقد خدعه خديعة لو كان امرأةً لعيب بها ، فلقى الجند ما لم يسلق جيش . حتى إن كان الرجل لسيخاف أن يخرج من العسكر وحده ، وأكملوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق ، وكل شيء غير التراب ، وسليمان مقيمٌ بدابق ، ونزل الشتاء فلم يقدر يمدهم حتى هلك سليمان .

• • •

[مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للعهد]

وفي هذه السنة بايع سليمانُ بنُ عبد الملك لابنه أيوبَ بن سليمان وجعله ولياً عهداً . فحدثني عمر بن شبة ، عن علي بن محمد ، قال : كان عبدُ الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة ولروان بن عبد الملك

(٢) ب : « فكلوه » .

(١) ب : « حصرم » .

من بعده ، قال : فحدثني طارقُ بنُ المبارك ، قال : مات مروانُ بنُ عبد الملك في خلافة سليمانَ منصرفه من مكة ، فبايع سليمان حين مات مروانُ لأبيوبَ ، وأمسك عن يزيدَ وتربص به ، ورَجَا أن يهلك ، فهلك أيتوب وهو وليَّ عهده .

• • •

وفي هذه السنة فُتحت مدينة الصقالية ، قال محمد بنُ عمر : أغارت بُرجان في سنة ثمان وتسعين على مسالمة بن عبد الملك وهو في قلعة من الناس ، فأمدّه سليمانُ بنُ عبد الملك بمسعدة - أو عمرو بن قيس - في جمع فمكّرت بهم الصقالية ، ثم هزمهم الله بعد أن قتلوا شراحيلَ بن عبد ابن عبدة^(١) .

وفي هذه السنة - فيما زعم الواقدي - غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس ، فأصيب ناسٌ من أهل إنطاكية ، وأصاب الوليدُ ناساً من ضواحي الروم وأسروا منهم بشرّاً كثيراً .

* * *

[غزو جرجان وطبرستان]

وفي هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جرجانَ وطبرستان ، فذكر هشامُ بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن يزيد بن المهلب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثم أقبل إلى دهستان وجرجان ، وبعث ابنه مخلداً على خراسان ، وجاء حتى نزل بدهستان ، وكان أهلها طائفة من الترك ، فأقام عليها ، وحاصر أهلها ، معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ووجوه أهل خراسان والري ، وهو في مائة ألف مقاتل سوى المتوالي والمماليك والمتطوعين ، فكانوا يتخرجون فيقاتلون الناس ، فلا يلبثهم الناس أن يتهزمواهم فيدخلون حصنهم ، ثم يخرجون أحياناً فيقاتلون فيشتد قتالهم . وكان جتهم وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان ، وكان يكرهما ، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي له لسان وبأس ، غير أنه كان يفسد نفسه بالشراب ، وكان لا يكثير غشيان يزيد وأهل بيته ، وكانه

١٣١٨/٢

(١) ط : « شراحيل بن عبدة » ، والصواب ما أثبتته ، وهو أبو عامر الشعبي .

أَيْضًا حَتَّجَزَهُ^(١) عَنْ ذَلِكَ مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ أَثَرِهِمْ عَلَى ابْنِي زَحْرٍ جَهَنَّمَ
وَجَمَالٍ . وَكَانَ إِذَا نَادَى الْمُنَادِي : يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي وَأَبْشِرِي كَانَ
أَوَّلُ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ يَسْبُدُ^(٢) إِلَى مَوْقِفِ الْبِئَاسِ عِنْدَ الرَّوْعِ مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، فَتُودِي ذَاتَ يَوْمٍ فِي النَّاسِ ، فَبَدَرَ^(٣) النَّاسُ
ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ ، فَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى تَلٍّ إِذْ مَرَّ بِهِ عُمَانُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، فَقَالَ
لَهُ : يَا بْنَ أَبِي سَبْرَةَ ، مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أُسْبِقَكَ إِلَى الْمَوْقِفِ قَطًّا ، فَقَالَ :
وَمَا يُغْنِي ذَلِكَ عَنِّي ، وَأَنْتُمْ تُرَشِّحُونَ غِلْمَانَ مَذِجِجٍ ، وَتَسْجَهَلُونَ حَقَّ ذَوِي
الْأَسْنَانِ وَالتَّجَارِبِ وَالبَلَاءِ ! فَقَالَ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ تَرِيدُ مَا قَبَلْنَا لَمْ نَعْدِلْ^(٤)
عَنكَ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ .

قَالَ : وَخَرَجَ النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا . فَحَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ
عَلَى تَرْكِيٍّ قَدْ صَدَّ النَّاسَ عَنْهُ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ . فَثَبَتَ سَيْفُ التَّرْكِيِّ فِي
بَيْضَةِ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، وَضَرْبَتَهُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ فَتَقَتَلَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَسَيْفُهُ^(٥)
فِي يَدِهِ يَقَطُرُ دَمًا ، وَسَيْفُ التَّرْكِيِّ فِي بَيْضَتِهِ ، فَنَظَرَ النَّاسُ إِلَى أَحْسَنِ
مَنْظَرٍ رَأَوْهُ مِنْ فَارِسٍ ، وَنَظَرَ يَزِيدٌ إِلَى ائْتِلاقِ السَّيْفَيْنِ وَالبَيْضَةِ وَالسَّلَاحِ
فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، فَقَالَ : لِلَّهِ أَبُوهُ ! أَيُّ رَجُلٍ هُوَ
لَوْلَا إِسْرَافُهُ عَلَى نَفْسِهِ !

وَخَرَجَ يَزِيدٌ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمًا وَهُوَ يَرْتَادُ مَسْكَانًا يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى الْقَوْمِ ،
فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّرْكِ - وَكَانَ مَعَهُ وَجُوهُ النَّاسِ
وَفُرْسَانُهُمْ . وَكَانَ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ . وَالعُدُوُّ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ -
فَقَاتَلَهُمْ سَاعَةً . ثُمَّ قَالُوا لِيَزِيدٍ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، انصَرِفْ وَنَحْنُ نُقَاتِلُ
عَنكَ . فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَعَشِيَ الْقِتَالُ بِوَمَثَدٍ بِنَفْسِهِ . وَدَانَ تَأْخِذَهُمْ . وَقَاتَلَ
ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ وَابْنَ زَحْرٍ وَالحِجْجَاجُ بْنُ جَارِيَةَ^(٦) الْحَسَمِيِّ وَحَمَلَ أَصْحَابَهُ
فَأَحْسَنُوا الْقِتَالَ ، حَتَّى إِذَا أَرَادُوا الانصِرَافَ جَمَعَهُمُ الحِجْجَاجُ بْنُ جَارِيَةَ عَلَى

(١) ب : « فكَانَهُ إِنَّمَا كَانَ يَحْجِزُهُ » . (٢) ب : « يَهْدُ » .

(٣) ب : « فَبَادَرَ » . (٤) ب : « مَا عَدَلْنَا » .

(٥) ب : « سَيْفُهُ » بَلَوْنَ وَار . (٦) ب : « سَارِيَةَ » .

الساقة ، فكان يُقاتِل مَنْ ورائه حتى انتهى إلى الماء ، وقد كانوا عطِشوا فشرِبوا ، وانصَرَف عنهم العدو ، ولم يَظفَرُوا منهم بشيء ، فقال سُفْيَانُ ابن صَفْوَانَ الحِشْعَمِيُّ :

١٣٢٠/٢ لولا ابنُ جاريةِ الأغرِ جبينُهُ لَسُقِيتَ كأساً مُرةً المُتَجَرِّعِ
وحَمَاكَ في فُرْسَانِهِ وخِيُولِهِ حتى وَرَدتَ الماءَ غيرَ مُتَمَتِّعِ

ثم إنه ألح عليها^(١) وأنزل الجنود^(٢) من كل جانب حولها. وقطع عنهم المواد، فلما جهدوا^(٣)، وعجزوا عن قتال المسلمين، واشتد عليهم الحصار والبلاء، بعث صول دِهقان دِهستان إلى يزيد: إني أصالحك على أن تؤمنتي على نفسي وأهل بيتي ومالي، وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها. فصالحه، وقبيل منه، ووفى له، ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي شيئاً لا يُحصى، وقتل أربعة عشر ألف تركي صبراً، وكتب بذلك إلى سليمان بن عبد الملك.

ثم نخرج حتى أتى جرجان، وقد كانوا يُصالحون أهل الكوفة على مائة ألف. ومائتي ألف أحياناً، وثلثمائة ألف، وصالحوهم عليها، فلما أتاهم يزيد استقبلوه بالصلح. وهابوه وزادوه، واستخلف عليهم رجلاً من الأزد يقال له: أسد بن عبد الله. ودخل يزيد إلى الإصبيهد في طبرستان فكان معه الفعلة يقطعون الشجر. ويصلحون الطرق، حتى انتهوا إليه، فنزل به فحصره^(٤) وغلب على أرضه. وأخذ الإصبيهد بعرض على يزيد الصلح ويريده على ما كان يؤخذ منه، فبابى رجاء^(٥) افتتاحها. فبعث ذات يوم أخاه أبا عيينة في أهل المصيرين^(٦)، فأصعد في الجبل إليهم، وقد بعث الإصبيهد إلى الديلم. فاستجاش بهم، فاقتلوا، فحازهم المسلمون ساعة وكشفتهم. وخرج رأس الديلم يسأل المبارزة، فخرج إليه ابن أبي سبرة فنقله. فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فم الشعب؛

١٣٢١/٢

(٢) ب : « الخيول » .

(١) ب : « عليهم وعليها » .

(٤) ب : « وحصره » .

(٣) ب : « أجهدوا » .

(٦) ب : « العسكر » .

(٥) ب : « رجال » .

فَذَهَبُوا لِيَصْعَدُوا فِيهِ ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ يَرْتَشِقُونَهِمْ بِالنَّشَابِ .
وَيَرْمُونَهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ مِنْ فَمِّ الشَّعْبِ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ قِتَالٍ
وَلَا قُوَّةَ مِنْ عَدُوِّهِمْ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ وَطَلْبِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا يَتْرَكِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .
حَتَّى أَخَذُوا يَتَسَاقَطُونَ فِي اللَّهْوِ ، وَيَتَدَهْدِي الرَّجُلُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ حَتَّى
نَزَلُوا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ لَا يَتَعَبَثُونَ بِالشَّرِّ شَيْئًا .

وَأَقَامَ يَزِيدٌ بِمَكَانِهِ عَلَى حَالِهِ ، وَأَقْبَلَ الْإِصْبَهَيْدَ بِكَاتِبِ أَهْلِ جَرْجَانَ
وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوا بِأَصْحَابِ يَزِيدَ ، وَأَنْ يَتَقَطَّعُوا عَلَيْهِ مَا دَتَهُ وَالطَّرِيقَ فِيهَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْعَرَبِ ، وَيَعِيدَهُمْ أَنْ يَكْفِيَهُمْ عَلَى ذَلِكَ . فَوَثَبُوا بِمَنْ كَانَ يَزِيدُ
خَلْفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَنْ قَدَّرُوا عَلَيْهِ . وَاجْتَمَعَ بِتَمِيَّتِهِمْ
فَتَحَصَّنُوا فِي جَانِبِ ، فَلَمْ يَزَالُوا فِيهِ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ . وَأَقَامَ يَزِيدٌ عَلَى
الْإِصْبَهَيْدِ فِي أَرْضِهِ حَتَّى صَالَحَهُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ
نَقْدًا وَمِائَتِي أَلْفِ وَأَرْبَعِمِائَةِ حِمَارٍ مَوْقِرَةٍ زَعْفَرَانًا . وَأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ
عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ بَرْنُوسٌ ، عَلَى الْبُرْنُوسِ طَيِّلَسَانٌ وَلِجَامٌ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَّرَقَةٌ^(١) مِنْ حَرِيرٍ ، وَقَدْ كَانُوا صَالِحُوا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى مِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ .
ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا يَزِيدٌ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّهُمْ قَتَلُوا ، وَلَوْلَا مَا صَنَعَ أَهْلُ جَرْجَانَ
لَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَبَرِستانَ حَتَّى يَنْفَتَحَهَا .

وَأَمَّا غَيْرُ أَبِي مَخْنَفٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَمْرِ يَزِيدَ وَأَمْرِ أَهْلِ جَرْجَانَ مَا حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ كَلِيبِ بْنِ خَلَّافٍ وَغَيْرِهِ ؛ أَنَّ
سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ صَالِحَ أَهْلِ جَرْجَانَ ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَتَفُوا ، فَلَمْ يَأْتِ
جَرْجَانَ بَعْدَ سَعِيدِ أَحَدٌ ، وَهَمَّعُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَلَمْ يَكُنْ يَسْلُكُ طَرِيقَ
خُرَّاسَانَ مِنْ نَاحِيَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى وَجْهِ وَخَوْفٍ مِنْ أَهْلِ جَرْجَانَ ؛ كَانَ
الطَّرِيقُ إِلَى خُرَّاسَانَ مِنْ فَارِسَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَأَوَّلَ مَنْ صَبَّرَ الطَّرِيقَ مِنْ
قَوْمِ قُنْيَبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ حِينَ وَلِيَ خُرَّاسَانَ . ثُمَّ غَزَا مَصْفَلَةَ خُرَّاسَانَ أَيَّامَ
مَعَاوِيَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَأَصِيبُ وَجُنْدُهُ بِالرُّوْيَانِ ، وَهِيَ مَتَاخِيمَةُ طَبَرِستانَ

(١) السَّرَقَةُ : شَقَّةُ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ .

لوصول حتى يقيم بجزر جان ، واجعل له على ذلك جُعلًا ، ومنه ، فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقرب به إليه لأنه يعظمه ، فيتحول عن جزر جان ، فينزل البُحيرة .

١٣٢٤/٢ فكاتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان : إني أريد أن أغزو صولا وهو بجزر جان ، فحفت إن يبلغه أني أريد ذلك أن يتحول إلى البحيرة فينزلها ، فإن تحول إليها لم أقدر^(١) عليه ؛ وهو يسمع منك^(٢) ويستنصحك ، فإن حبسته العام بجزر جان فلم يأت البحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال ؛ فاحتل له حيلة ؛ تحبسه بجزر جان ، فإنه إن أقام بها ظفرت به . فلما رأى الإصبيهدى الكتاب أراد أن يتقرب إلى صول ، فبعث بالكتاب إليه ، فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل إلى البحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها . وبلغ يزيد أنه قد سار من جزر جان إلى البحيرة ، فاعتزم على السير إلى الجزر جان ، فخرج في ثلاثين ألفًا ، ومعه فيروز ابن قول ، واستخلف^(٣) على خراسان مخلد بن يزيد ، واستخلف على سمرقند وكيس ونسف وبخارى ابنه معاوية بن يزيد ، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وأقبل حتى أتى جزر جان - ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال مُحيطَةٌ بها ، وأبوابٌ ومخارم ، يقوم الرجل على باب منها فلا يتقدم عليه أحدٌ - فدخلها يزيد لم يعازه أحد ، وأصاب أموالاً ، وهرب المرزبان ، وخرج يزيد بالناس إلى البحيرة ، فأناخ على صول ، وتمثل حين نزل بهم :

فخرَ السيفُ وارتعشتُ يداهُ وكانَ بنفسِهِ وُقيتُ نفوسُ

قال : فحاصرهم ، فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه ، ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة . ثم ذكر من قصة جهنم ابن زحر وأخيه محمد نحواً مما ذكره هشام ، غير أنه قال في ضربة التركي ابن أبي سبرة : فنشبت سيف التركي في درقة ابن أبي سبرة .

١٣٢٥/٢

(١) ب : « لم يقدر عليه » .

(٢) ب : « منا » .

(٣) ب : « واستعمل » .

قال علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد ، عن عنبسة ، قال : قاتل محمد بن أبي سبرة الترك بجرجان فأحاطوا به واعتوروه بأسياهم ، فانقطع في يده ثلاثة أسياف .

ثم رجع إلى حديثهم ، قال : فكثروا بذلك - يعني الترك - محصورين يخرجون فيقاتلون ، ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهر ، حتى شربوا ماء الأحساء ، فأصابهم داء يسمى السواد^(١) ، فتوقع فيهم الموت ، وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح ، فقال يزيد بن المهلب : لا ، إلا أن ينزل علي حكني ، فأبى . فأرسل إليه : إني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي ، على أن تؤمنني فتزل البُحيرة . فأجابته إلى ذلك يزيد ، فخرج بماله وثلاثمائة ممن أحب ، وصار مع يزيد ، فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً ، ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً . وقال الجند ليزيد : أعطنا أرزاقنا ، فدعا إدريس بن حنظلة العمي ، فقال : يا بن حنظلة ، أحص لنا ما في البُحيرة حتى نعطى الجند ، فدخّلها إدريس ، فلم يقدر على إحصاء ما فيها ، فقال ليزيد : فيها ما لا أستطيع إحصاءه ، وهو في ظروف ، فحصى الجواليق ونعلم ما فيها ، ونقول للجند : ادخلوا فخذوا . فمن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الحنطة والشعير والأرز والسمسم^(٢) والعسل . قال : نعم ما رأيت ، فأحصوا الجواليق عند دأ ، وعلموا كل جوالق^(٣) ما فيه ، وقالوا^(٤) للجند : خذوا ، فكان الرجل يخرج وقد^(٥) أخذ ثياباً^(٦) أو طعاماً أو ما حتمل^(٧) من شيء فيكتب على كل رجل ما أخذ ، فأخذوا شيئاً كثيراً .

قال علي : قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب ، فرفعوا عليه أنه أخذ خريطة ، فسأله يزيد عنها ، فأتاه بها ، فدعا يزيد الذي رفع عليه فشتّمه ؛ وقال لشهر : هي لك ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال القطامي الكلبى - ويقال : سينان بن مكمل النميري :

(١) في القاموس : « السواد ، كغراب : داء يأخذ الإنسان والإبل والغنم من شرب الماء المالح .

(٢) ب : « والسمن » . (٣) ب : « على جوالق » .

(٤) ب : « وقال » . (٥) ب : « قد » . (٦) ب : « طعاماً ما » .

لقد باع شهر دينه بخريطة
فمن يأمن القراء بصدقك يا شهر !
أخذت به شيئاً طفيفاً وبعته
من ابن جونسوذ إن هذا هو الغدر

وقال مرة النخعي لشهر :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ لولاك كان كصالح القراء

قال علي : قال أبو محمد الثقفى : أصاب يزيد بن المهلب تاجاً بجرجان فيه جوهر ، فقال : أترون أحداً يزهد في هذا التاج ؟ قالوا : لا . فدعا محمد بن واسع الأزدي ، فقال : خذ هذا التاج فهو لك . قال : لا حاجة لي فيه ، قال : عزمت عليك ، فأخذه ، وخرج فأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به ، فلقى سائلاً فدفعه إليه ، فأخذ الرجل السائل . فأتى به يزيد وأخبره الخبر ، فأخذ يزيد التاج . وعوض السائل مالا كثيراً .

قال علي : وكان سليمان بن عبد الملك كلما افتتح قتيبة فتنحاً قال ليزيد بن المهلب : أما ترى ما يصنع الله على يدي قتيبة ؟ فيقول ابن المهلب : ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس والطريق الأعظم ، وأفسدت قوميس وأبرشهر ! ويقول : هذه الفتوح ليست بشيء ، الشأن في جرجان . فلما ولي يزيد بن المهلب لم يكن له همة غير جرجان . قال : ويقال : كان يزيد بن المهلب في عشرين ومائة ألف ، معه من أهل الشام ستون ألفاً .

قال علي في حديثه ، عمن ذكره خبير جرجان عنهم : وزاد فيه علي ابن مجاهد ، عن خالد بن صبيح أن يزيد بن المهلب لما صالح صولا طمع في طبرستان أن يفتحها ، فاعتزم على أن يسير إليها ، فاستعمل عبد الله بن المعتمر الشكري على البياسان ودهستان ، وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان ، واستعمل على أندريستان أسد ابن عمرو - أو ابن عبد الله بن الربعة - وهي مما يلي طبرستان ، وخلفه ، في أربعة آلاف ، ودخل يزيد بلاد الإصبهبند فأرسل إليه بسأله الصلح ،

وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ طَبَرَسْتَانَ ، فَأَبَى يَزِيدُ وَرَجَا أَنْ يَفْتَحَهَا ، فَوَجَّهَ أَخَاهُ
 أَبَا عُسَيْبَةَ مِنْ وَجْهِ ، وَخَالِدَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَهُ مِنْ وَجْهِ ، وَأَبَا الْجَهْمِ الْكَلْبِيَّ مِنْ
 وَجْهِ ، وَقَالَ : إِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَأَبُو عُسَيْبَةَ عَلَى النَّاسِ . فَسَارَ أَبُو عُسَيْبَةَ فِي أَهْلِ
 الْمِصْرَيْنِ وَمَعَهُ هُرَيْمُ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ . وَقَالَ يَزِيدُ لِأَبِي عُسَيْبَةَ : شَاوِرْ هُرَيْمًا
 فَإِنَّهُ نَاصِحٌ . وَأَقَامَ يَزِيدُ مَعْسُكْرًا .

قَالَ : وَاسْتَجَاشَ الْإِصْبَهَيْدَ بِأَهْلِ جِيلَانَ وَأَهْلِ الدَّيْلَمِ ، فَأَتَوْهُ فَالْتَقَوْا
 فِي سِنْدِ جَبَلٍ . فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَتْبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى فِئَةِ الشَّعْبِ
 فَدَخَلَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَصَعَدَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْجَبَلِ ، وَأَتْبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَرَمَاهُمْ
 الْعَدُوُّ بِالنَّشَابِ وَالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو عُسَيْبَةَ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
 يَتَسَاقَطُونَ مِنَ الْجَبَلِ ، فَلَمْ يَثْبُتُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ ، وَكَفَّ
 الْعَدُوُّ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ ، وَخَافَهُمُ الْإِصْبَهَيْدُ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمَرْزُبَانَ بْنِ عَمِّ
 فَيْرُوزِ بْنِ قُؤُولٍ وَهُوَ بِأَقْصَى جُرْجَانَ مِمَّا بِلَى الْبِيَّاسَانَ : إِنَّا قَدْ قَتَلْنَا يَزِيدَ وَأَصْحَابَهُ
 فَاقْتُلْ مَنْ فِي الْبِيَّاسَانَ مِنَ الْعَرَبِ . فَخَرَجَ إِلَى أَهْلِ الْبِيَّاسَانَ وَالْمُسْلِمُونَ
 غَارُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِمْ ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا فِي لَيْلَةٍ ، فَأَصْبَحَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَمَّرِ مَقْتُولًا وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ،
 وَقُتِلَ مِنْ بَنِي الْعَمِّ خَمْسُونَ رَجُلًا ؛ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِسْمَاعِيلُ
 ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شِمَاسٍ . وَكَتَبَ إِلَى الْإِصْبَهَيْدِ بِأَخْذِ الْمَضَائِقِ (١) وَالطَّرِيقِ .
 وَبَلَغَ يَزِيدَ قَتْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعَمَّرِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، وَهَالَتْهُمْ ،
 فَفَزِعَ يَزِيدُ إِلَى حِيَّانِ النَّبِطِيِّ . وَقَالَ : لَا يَمْنَعُكَ مَا كَانَ مِنْتِي إِلَيْكَ مِنْ
 نَصِيحَةِ الْمُسْلِمِينَ . قَدْ جَاءَنَا عَنْ جُرْجَانَ مَا جَاءَنَا ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا بِالطَّرِيقِ ،
 فَأَعْمَلُ فِي الصَّلَاحِ . قَالَ : نَعَمْ . فَأَتَى حِيَّانُ الْإِصْبَهَيْدَ فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ
 مِنْكُمْ ، وَإِنْ كَانَ الدِّينُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنِّي لَكُمْ (٢) نَاصِحٌ . وَأَنْتَ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَزِيدَ . وَقَدْ بَعَثَ يَسْتَمِدُّ . وَأَمْدَادُهُ مِنْهُ قَرِيبَةٌ . وَإِنَّمَا أَصَابُوا
 مِنْهُ طَرَفًا ، وَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَأْتِيكَ مَا لَا تَقُومُ لَهُ . فَأَرَحُ نَفْسَكَ مِنْهُ . وَصَالِحُهُ

(١) ب : « المضايق » .

(٢) كذا في ب ، وفي ط : « فأنا لك » .

فإنك إن صالحته صير حدّه على أهل جرجان . بغد درهم وقتلهم من قتلوا ، فصالحه على سبعمائة ألف - وقال علي بن مجاهد : على خمسمائة ألف - وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العيين . وأربعمائة رجل ، على كل رجل برنّس وطيلسان . ومع كل رجل جام فضة وسرقمة خنز وكيسوة .

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال : ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه ، قال : من عندهم أومين عندنا ؟ قال : من عندهم . وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا ، ويرجع إلى جرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان ، وانصرف إلى جرجان ، وكان يزيد قد غرم حيانا مائتي ألف ، فخاف ألا ينالها .

والسبب الذي له أغرم حيان فيه ما حدثني علي بن مجاهد ، عن خالد بن صبيح ، قال : كنت مؤدباً لولد حيان ، فدعاني فقال لي : اكتب كتاباً إلى مخلد بن يزيد - ومخلد يومئذ ببلسخ ، ويزيد بمرو - فتناولت القيرطاس ، فقال : اكتب : من حيان مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيد ، فغمزني مقاتيل ابن حيان ألا تكتب ، وأقبل علي أبيه فقال : يا أبت تكتب إلى مخلد وتبدأ بنفسك ! قال : نعم يا بني ، فإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة . ثم قال لي : اكتب ، فكتب ، فبعث مخلد بكتابه إلى أبيه ، فأغرم يزيد حيان مائتي ألف درهم .

* * *

[فتح جرجان]

وفي هذه السنة فتح يزيد جرجان الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد ، قال علي ، عن الرهط الذين ذكروا أنهم حدّثوه بخبر جرجان وطبرستان : ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان ، فأعطى الله عهداً ؛ لأن ظفير بهم ألا يقلع عنهم ، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ، ويختبز من ذلك الطحين ، ويأكل منه ،

فلما بلغ المترزبان أنه قد صالح الإصبيهد وتوجه إلى جرجان ، جمَعَ أصحابه وأتى وجاه ، فنهضت فيها . وصاحبها لا يحتاج إلى عُدّة من طعام ولا شرب . وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها ، وحوطها عياض فأس يعرف لها إلا طريق واحد ، فأقام بذلك سبعة أشهر لا يتقدر منهم على شيء ، ولا يعرف لهم مآتى إلا من وجه واحد ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونهم ويرجعون إلى حصنهم ، فبيناهم على ذلك إذ خرج رجل من عجم حراسان كان مع يزيد بتصيد ومعه شاكريّة له .

وقال هشام بن محمد : عن أبي مخنف : فخرج رجل من عسكره من طيبى ، فأبصر وعيلاً يترقى في الجبيل ، فاتبعه . وقال لمن معه : فموا مكانكم ، ووَقِل في الجبيل يقتصر الأثر ، فما شعر بشيء حتى هجم على عسكرهم ، فرجع يريد أصحابه . فخاف ألا يهتدى ، فجعل يُخرق قباءه ويتعمد على الشجر علامات . حتى وصل إلى أصحابه ، ثم رجع إلى العسكر . ويقال : إن الذى كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس ، وكان منهومًا بالصيد ، فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أيمن الواشجي صاحب شرطة يزيد ، ففتحوه من الدخول ، فصاح : إن عندي نصيحه .

وقال هشام عن أبي مخنف : جاء حتى رفع ذلك إلى ابني زحر بن تيس ، فانطلقت به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد . فأعلمته ، فضمن له بضمان الجهنية - أم ولد كانت ليزيد - على شيء قد سماه .

ود - علي بن محمد في حديثه عن أصحابه : فدعا به يزيد فقال : ما عندك ؟ قال : أتريد أن تدخل وجاه بغير قتال ؟ قال : نعم ، قال : جمعنا لك ؟ قال : احتسبكم . قال : أربعة آلاف . قال : لك دية ، قال : عجمنا إلى أربعة آلاف . أنتم بعد من وراء الإحسان . فأمر له بأربعة آلاف . وندب الناس . فانتدب ألف وأربعمائة ، فقال : الطريق لا يحبل هذه الجماعة لا تنفان الغياض . فاخترنا منهم ثلثمائة ، فوجههم ، واستعس عليهم جهنم بن زحر .

وقال بعضهم : استعمل عايهم ابنه خالد بن يزيد ، وقال له : إن غلبت على الحياة فلا تغلبين على الموت ، وإياك أن أراك عندي منهزماً ، وضم إليه جهنم بن زحر ، وقال يزيد للرجل الذي ندب الناس معه : متى تنصل إليهم ؟ قال : غداً عند العصر فيما بين الصلاتين ، قال : امضوا على بركة الله ، فإني سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر . فساروا ، فلما قرب انتصاف النهار من غدٍ أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار في حطاب كان جمعه في حصاره إياهم ، فصيرته أكاماً ، فأضرموه ناراً ؛ فلم تنزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران ، ونظر العدو إلى النار ، فهالتهم ما رأوا من كثرتها ، فخرجوا إليهم . وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلتوا ، فجمعوا بين الصلاتين ، ثم زحفوا إليهم فاقتتلوا ، وسار الآخرون بقيّة يومهم والغد ، فهجّموا على عسكر الترك قبيل العصر ، وهم آمنون من ذلك الوجه ، ويزيد يُقاتل من هذا الوجه ، فما شعروا إلا بالتكبير من ورائهم ، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم ، وركبهم المسلمون ، فأعطوا بأيديهم ، ونزلوا على حكم يزيد ، فسبى ذراريهم ، وقتل مقاتلتهم ، وصلبهم فترسخين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندرهز - وادي جرّجان - وقال : من طلبهم بثأر فليقتل ، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادي ، وأجرى الماء في الوادي على الدم ، وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم . ولتبر يمينه ، فطحن واختبز وأكل وبني مدينة جرّجان . وقال بعضهم : قتّل يزيد من أهل جرّجان أربعين ألفاً ، ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على بنان جهنم بن زحر الجعفي .

١٣٣٣/٢

وأما هشام بن محمد فإنه كثر عن أبي مخنف أنه قال : دعا يزيد جهنم ابن زحر فبعث معه أربعمئة رجل حتى أخذوا في المكان الذي دلتوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال : إذا وصلتتم إلى المدينة فانتظروا ، حتى إذا كان في السحر فكبّروا ، ثم انطلقوا نحو باب المدينة ، فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها ؛ فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى إذا كانت

الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه، فأخذ لا يستقبل من أحراسهم أحداً إلا قتله . وكبّر، ففرع أهل المدينة فزعاً لم يدخلهم مثله قطّ فيما مضى ، فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم يكبرون فدُهِشوا، فألقى الله في قلوبهم الرعب، وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون! غير أن عصابة منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جثتهم بن زحر، فقالتوا ساعة، فدقت يد جثتهم، وصبر لهم هو وأصحابه، فلم يلبثوهم أن قتلوهم إلا قليلاً . وسمع يزيد بن المهلب التكبير، فوثب في الناس إلى الباب، فوجدوهم قد شغلهم جثتهم بن زحر عن الباب، فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع، ففتح الباب ودخلها من ساعته، فأخرج من كان فيها من المقاتلة، فنصب لهم الجذوع فترسخين عن يمين الطريق ويساره، فصلبهم أربعة فراسخ، وسبى أهلها، وأصاب ما كان فيها .

١٣٣٤/٢

قال عليّ في حديثه، عن شيوخه . الذين قد ذكرت أسماءهم قبل، وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك :

أما بعد، فإن الله قد فتح لأمر المؤمنين فتحاً عظيماً . وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فديرنا الحمد على نعمة وإحسانه . أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرّجان وطبرستان . وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف وكيسرى بن قباد وكيسرى بن هرْمُز، وأعيّا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله . حتى فتح الله ذلك لأمر المؤمنين ؛ كرامة من الله له، وزيادة في نعمة عليه . وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفتي والغنيمة ستة آلاف ألف، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .

فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرّة مولى بنى سدوس : لا تكتب بتسمية مال ، فإنك من ذلك بين أمرين : إما استكثره فأمرّك بحمله ، وإما سخّيت نفسه لك به فسوّغتكه فتكلفت الهدية ، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقبله، فكأن بك قد استغرقت ما سميت

١٣٣٥/٢

ولم يقع منه موقعا ، ويبقى المال الذي سميت مخلداً عندهم عليك في دواوينهم . فإن وليّ والٍ بعده أخذك به . وإن وليّ من يتحاملك عليك لم يترض منك بأضعافه . فلا تمض كتابك . ولكن اكتب بالفتح . سلته القُدوم فتشافهه بما أحببت مُشافهةً ، ولا تقصر . فإنك إن تقصر عما أحببت أحرى من أن تكثر .

فأبي يزيد وأمضى . وقال : بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك ، فحدثت عن عليّ بن محمد ، قال : حدثنا عليّ بن مجاهد ، عن شيخ من أهل الرى أدرك يزيد . قال : أتى يزيد بن المهلب الرى حين فرغ من جرجان . فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو يسير في باغ أبي صالح على باب الرى . فارتجز راجز بين يديه فقال :

إِنَّ يَكْ أَيُّوبُ مَضَى لِشَأْنِهِ فَإِنَّ دَاوُدَ لَفِي مَكَانِهِ

* يَقِيمُ مَا قَدْ زَالَ مِنْ سُلْطَانِهِ *

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالبة .

وفيها غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية .

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت . عن ذكره ، ١٢٣٥/٢ عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع ، وقد ذكرناهم قبل ، غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان - فيما قيل - سفيان بن عبد الله الكندي .

تم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[وفاة سليمان بن عبد الملك]

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك . توفى - فيما حدثت عن هشام . عن أبي مخنف - بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر ، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام .

وقد قيل : توفى لعشر ليال مضين من صفر . وقيل : كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل : سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام .

وقد حدث الحسن بن حماد ، عن طلحة أبي محمد ، عن أشياخه ، أنهم قالوا : استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز .

وحدثني أحمد بن ثابت . عن ذكره . عن إسحاق بن عيسى . عن أبي معشر . قال : توفى سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين ، فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر .

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

١٣٣٧/٢

حدثت عن علي بن محمد ، قال : كان الناس يقولون : سليمان مفتاح الحسير ، ذهب عنهم الحجاج ، فولى سليمان ، فأطلق الأسارى ، وخلص أهل السجون ، وأحسن إلى الناس ، واستخلف عمر بن عبد العزيز ، فقال ابن بيض :

حاز الخلافة والداك كلاهما من بين سُخْطَةِ سَاخِطِ أَوْطَانِ
أَبَوَاكَ ثُمَّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نَوْرُ مُلْكِ الرَّابِعِ
وقال علي : قال المفضل بن المهلب : دخلت على سليمان بدابق يوم

جمعة : فدعا بثياب فلبسها . فلم تُعجبه . فدعا بغيرها بثياب خُضِرَ
سُوسِيَّةَ بَعَثَ بِهَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، فَلَبِسَهَا وَاعْتَمَ وَقَالَ : يَا بْنَ الْمُهَلَّبِ .
أَعْجَبْتِكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَحَسَسَرَ عَنِ ذِرَاعِيهِ ثُمَّ قَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الْفَتِي .
فَتَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ . ثُمَّ لَمْ يُجْمَعْ بَعْدَهَا . وَكُتِبَ وَصِيَّتُهُ . وَدَعَا ابْنَ أَبِي نُعَيْمٍ
صَاحِبَ الْخَاتَمِ فَخَسَمَهُ .

قال عليّ : قال بعضُ أهلِ العِلْمِ : إن سُلَيْمَانَ لَبَسَ يَوْمًا حُلَّةَ خُضْرَاءَ
وَعِمَامَةَ خُضْرَاءَ وَنَظَرَ فِي الْمِرَاةِ فَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الْفَتِي . فَمَا عَاشَ بَعْدَ
ذَلِكَ إِلَّا أَسْبُوعًا .

قال عليّ : وَحَدَّثَنَا سُحَيْمُ بْنُ حَفْصٍ . قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى سُلَيْمَانَ جَارِيَةً
لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ : مَا تَنْظُرِينَ ؟ فَقَالَتْ :

أَنْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيهَا عِلْمُهُ فَبِكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَا ن ١٣٣٨ / ٢
فَتَنَفَّضَ عِمَامَتَهُ .

قال عليّ : كَانَ قَاضِي سُلَيْمَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَبِيبِ الْمَحَارِبِيِّ ، وَكَانَ
ابْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ يُقْصَصُ عِنْدَهُ .

وَحَدَّثْتُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ رُوَيْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ ، قَالَ : حَجَّ (١) سُلَيْمَانُ بْنُ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَحَجَّ الشُّعْرَاءُ مَعَهُ ، وَحَجَّجْتُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَاجِعًا
تَلَقَّوهُ بِنَحْوِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ أُسِيرٍ مِنَ الرُّومِ ، فَقَعَدَ سُلَيْمَانُ ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ ، (٢) فَقَدَّمَ بِطَرِيقِهِمْ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، اضْرِبْ عُنُقَهُ (٢) . فَقَامَ فَمَا أَعْطَاهُ
أَحَدٌ سَيْفًا حَتَّى كَدَفَعَ إِلَيْهِ حَرَسِيَّ سَيْفَهُ فَضْرَبَهُ فَأَبَانَ الرَّأْسَ ، وَأَطْنَّ
السَّاعِدَ (٣) وَبَعْضَ الْغُلِّ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا مِيزَ جُودَةَ السَّيْفِ

(١) الخبر في الأغاني ١٥ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، بسنده عن قتادة ، عن أبي عبيدة في كتاب
النقائض ، عن رُوَيْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ ؛ وَهُوَ أَيْضًا فِي النَّقَائِضِ ٣٨٣ .
(٢ - ٢) الأغاني : « وَعَلَيْهِ ثُوبَانٌ مِمْرَانٌ ، وَهُوَ أَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا ، فَأَدْنَوْا إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِمْ
وَهُوَ فِي جَامِعَةٍ ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ : قُمْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ » . (٣) أطنه : قطعه .

جاءت الضربة . ولكن لحسنه^(١) . وجعل يدفع البقية إلى الوجوه وإلى
الناس يقتلونهم حتى ادفع إلى جرير رجلاً منهم . فدمت إليه بنو عبس
سيفاً في قراب أبيض . فضربه فأبان رأسه . ودفع إلى الفرزدق أسيراً
فلم يجد سيفاً . فدسوا له سيفاً دداناً^(٢) مثيلاً^(٣) لا يقطع ، فضرب به
الأسير ضربات . فلم يصنع شيئاً . فضحك سليمان والقوم ، وسميت
بالفرزدق بنو عبس أخوال سليمان . فالقى السيف وأنشأ يقول ، ويعتذر
إلى سليمان ، ويأتى بنبو سيف ورقاء عن رأس خالد :

١٣٣٩/٢

إن يك سيف خان أو قدر أتى بتأخير نفس حنفاً غير شاهد^(٤)
فسيف بنى عبس وقد ضربوا به نبأ بيدى ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو طبساتها وتقطع أحياناً مناط القلائد

ورقاء هو ورقاء بن زهير بن جنديمة العبسي ، ضرب خالد بن
جعفر بن كلاب ، وخالد مكب على أبيه زهير قد ضربه بالسيف وصرعه ،
فأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالداً ، فلم يصنع شيئاً ، فقال ورقاء
ابن زهير :

رأيت زهيراً تحت كل كل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر^(٥)
فسلت يمى يوم أضرب خالداً ويخصنه منى الحديد المظاهر^(٦)

وقال الفرزدق في مقامه ذلك :

أعجب الناس أن أضحكت خيرهم خليفة الله يستسمى به المطر^(٧)
فما نبأ السيف عن جبن ولادهش عند الإمام ولكن آخر القدر

(١) في الأغاني : « فقال له سليمان : اجلس ، فوالله ما ضربته بسيفك . ولكن بحسبك . »
وفي النقاظ : « والله ما هو من جودة السيف أجاد الضربة ، ولكن بجودة حسبه وشرف مركبه . »
(٢) الددان ، السيف الكليل : وفي الأغاني : « فدمت إليه انقيسية سيف . كليلاً . »
(٣) ط : « مثيلاً » . (٤) ديوانه ١٨٦ .
(٥) الأغاني ١١ : ٧٤ . (٦) الأغاني : « ويمتعه منى الحديد . »
(٧) النقاظ ٣٨٤ ، الأغاني ١٥ : ٣٤٤ . وفيه : « أضحك الناس »

ولو ضربتُ على عمرو مقلدته لخرَّ جثمانه ما فوقه شعر^(١)
وما يُعجلُ نفساً قبلَ ميّتها^(٢) جمعُ اليدين ولا الصمصامةُ الذكْرُ
وقال جرير في ذلك :

بسيْفِ أبي رَغْوَانِ سيفِ مجاشعٍ ضربتُ ولم تضرب بسيف ابنِ ظالم^(٣)
ضربتُ به عند الإمام فأرْعِشتُ يداك، وقالوا مُحدثٌ غيرُ صارِمِ

حدثني عبدُ الله بنُ أحمد ، قال : حدثني ، أبي قال : حدثني سليمان
قال : حدثني عبد الله بن محمد بن عيسى ، قال : أخبرني أبو بكر بن
عبد العزيز بن الضحاك بن قيس ، قال : شهد سليمان بن عبد الملك جنازة
بدابق ، فدُفنت في حقل ، فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة فيقول :
ما أحسن هذه التربة ! ما أطيبها ! فما أتى عليه جمعة - أو كما قال - حتى دُفن
إلى جنب ذلك القبر .

(١) لم يرد في النقاظ . وفي الأغاني : « ولو ضربت به عمراً مقلده » .

(٢) الأغاني : « وما يقدم » .

(٣) الأغاني ١٥ : ٣٤٣ ، وروى : « أن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لي
هذا الأسير ، فوجهه له فأعتقه ، وقال الأبيات التي تقدم ذكرها . ثم أقبل على رواته وأصحابه وقال :
كأنى بآبن المراغة وقد بلغه خبري ، فقال - وذكر البيتين - قال : فالبشنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا
القصيدة وفيها هذان البيتان ، فمجبنا من فطنة الفرزدق » .

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم .

• ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه :

حدَّثني الحارث : قال : حدَّثنا ابن سعد ، قال : حدَّثنا محمد بن عمر ،

قال : حدَّثني الهيثم بن واقد ، قال : استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابو يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة تسع وتسعين .

قال محمد بن عمر : حدَّثني داود بن خالد بن دينار ، عن سهيل بن

١٣٤١/٢

أبي سهيل قال : سمعت رجاء بن حيوة ، يقول : لما كان يوم الجمعة لبس

سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خنز ، ونظر في المرأة ، فقال : أنا والله

الملك الشاب . فخرج إلى الصلاة ^(١) فصلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى

وعك . فلما ثقل ^(٢) عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ

فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف

على المسلمين الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه . ولم

أعزم عليه . قال : فكث يوماً أو يومين . ثم خرَّقه ، فدعاني . فقال : ما ترى

في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري

أحيى هو أم ميت ! فقال لي : فمن ترى ؟ قلت : رأيك يا أمير المؤمنين .

وأنا أريد أنظر من يذكر . قال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت :

أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً ؛ فقال : هو والله على ذلك . ثم قال : والله

لئن وليته ولم أول أحداً سواه لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا

أن يجعل أحدهم بعده . ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم . قال : فيزيد

ابن عبد الملك أجعله ^(٣) بعده . فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به . قلت :

رأيك . قال : فكتب .

(١) ر : « مصلاه » .

(٢) ثقل ، أي أشد مرضه .

(٣) بعدها في ب : « يومئذ » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعُمّة بن عبد العزيز^(١) ، إني قد وليتكَ الخلافةَ من بعدى . ومن بعده يزيد بن عبد الملك : فاسمعوا له وأطيعوا . واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمعَ فيكم . وختم الكتاب . وأرسل إلى كعب بن حامد العبسيّ صاحب شرطه فقال : مرُّ أهلَ بيتي فليجتمعوا : فأرسل كعب إليهم^(٢) . أن يجتمعوا فاجتمعوا ، ثمّ قال سليمانُ لرجاء بعد اجتماعهم : اذهبْ بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أنّ هذا كتابي ، وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه : ففعل رجاء . فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فنسلم على أمير المؤمنين؟ قال : نعم : فدخلوا فقال لهم سليمانُ في هذا الكتاب - وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حسيوة - عهدي ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميتُ في هذا الكتاب . فبايعوه رجلاً رجلاً ، ثمّ خرج بالكتاب محتوماً في يد رجاء بن حسيوة .

قال رجاء : فلما تفرّقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسنداً إلى شيئاً من هذا الأمر ، فأنشدك الله وحُرمتي ومودّتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ! قال رجاء : لا والله ما أنا بمُخبرك حُرْفاً : قال : ١٣:٢ / ٢ فذهب عمر غضبان .

قال رجاء : لقيني هشام بن عبد الملك . فقال : يا رجاء ، إن لي بك حرمةً ومودةً قديمةً ، وعندى شكر . فأعلمتني هذا الأمر ، فإن كان إني علمت ، وإن كان إني غيري تكلمت . فليس مثلي قصر به ، فأعلمتني فلك الله علىّ ألاّ أذكر من ذلك شيئاً أبداً . قال رجاء : فأبيت فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسيرت إني .

قال : فانصرف هشام وهو قد يشس . ويضرب^(٤) بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول : فإلى من إذا نُحِيتَ عني ؟ أتخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلتُ على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلتُ إذا أخذته السكرّة من

(١) بعدها في س : « ابن مروان » . (٢) ب : « شرطه » .

(٣) ب : « إليهم كعب » . (٤) ب : « وهو يضرب » .

سكّرات الموت حرّفته إلى القبلة ، فجعل يقول حين يُفِيق : لم يأنِ لذلك بعدُ يا رجاء ، ففعلت ذلك مرتين ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : قال : فحرّفته ومات ؛ فلما غمّضته سجّيته بقطيفة خضراء ، وأغلقتُ الباب . وأرسلت إلى زوجته تقول : كيف أصبح ؟ فقلتُ : نائم ، وقد تغطّى ، فنظر الرسول إليه ^(١) مغطّىً بالقطيفة ، فرجع فأخبرها فقيلت ذلك ، وظنّت أنه نائم ، قال رجاء : وأجلستُ على الباب من أثق به ، وأوصيته ألا يبرح حتى آتيته ، ولا يدخل على الخليفة أحد .

١٣٤٤/٢

قال : فخرجتُ فأرسلتُ إلى كعب بن حامد العبسي ، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين ، فاجتمعوا في مسجد دابق ، فقلت : بايعوا ، فقالوا : قد بايعنا مرة ونبايع أخرى ! قلتُ : هذا عهد أمير المؤمنين ، فبايعوا على ما أمر به ومن سمي في هذا الكتاب المختوم ، فبايعوا الثانية ؛ رجلاً رجلاً . قال رجاء : فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيتُ أني قد أحكمتُ الأمر ، قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وقرأتُ الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشامُ بن عبد الملك : لانبأه أبداً ، قلتُ : أضرب والله عنقك ، قم فبايع ، فقام يجرّ رجله .

قال رجاء : وأخذتُ بضبعي عمر بن عبد العزيز فأجلسته لما وقع فيه وهشام يسترجع على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه ، فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! حين صارت إلى لكرائه [إياها] ^(٢) ، والآخري يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، حيث نُحييتُ عني .

قال : وغُسل سليمانُ وكفنَ وصلى عليه عمرُ بن عبد العزيز ؛ قال رجاء : فلما فرغ من دفنه أتيتُ بمراكب الخلافة : البراذين والحيل والبغال ولكل دابة سائس ، فقال : ما هذا ! قالوا : مراكب ^(٣) الخلافة ، قال :

(١) ب : « إليه الرسول » .

(٢) من ب .

(٣) ب : « مراكب » .

١٣٤٥/٢ دابني أوفتق لي . وركب دابته . قال : فصُرِفَت تلك الدواب^(١) ، ثم أقبل سائراً . فقيل : منزل الخلافة ، فقال : فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا ، فأقام في منزله حتى فرغوه بعد ؛ قال رجاء : فلما كان المساء من ذلك اليوم قال : يا رجاء ، ادع لي كاتباً ، فدعوتُه وقد رأيتُ منه كلَّ ما سررتني^(٢) ، صنَّع في المراكب ما صنَّع . وفي منزل سليمان ؛ فقلت : كيف يصنع الآن في الكتاب ؟ أيصنع نُسخاً . أم ماذا ؟ فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نُسخة . فأملى أحسنَ إملاء وأبلغه وأوجزه ، ثم أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كل بلد .

وبلغ عبد العزيز بن الوليد — وكان غائباً — موت سليمان بن عبد الملك ، ولم يعلم ببيعة الناس عُمر بن عبد العزيز . وعهد سليمان إلى عمر . فعقد لواء ، ودعا إلى نفسه ، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان . فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : قد بلغني أنك كنت بايعت من قبيلك ، وأردت دخول دمشق . فقال : قد كان ذلك . وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان لم يكن عمقاً لأحد . فخفت على الأموال أن تُستهب . فقال عمر : لو بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك . واتعدت في بيتي . فقال عبد العزيز : ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك . وباع عمر بن عبد العزيز . قال : فكان يُرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده .

• • •

١٣٤٦/٢ وفي هذه السنة وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسَلَمَة وهو بأرض الروم وأمره بالقُفول منها بمن معه من المسلمين ، ووجّه إليه خيلاً عِتاقاً وطعاماً كثيراً ، وحثَّ الناس على معاونتهم ، وكان الذي وجّه إليه الخيل العِتاق — فيما قيل — خمسمائة فرس .

• • •

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان ، فقتلوا من المسلمين جماعة ، ونالوا منهم ، فوجّه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ،

(٢) ب : « سرف » .

(١) ر : « الحبول » .

فقتل أولئك الترك ، فلم ^(١) يُفلت منهم إلا اليسير ، فقدم منهم على عمرَ
بُخاصرةَ بخمسين أسيراً .

• • •

وفيهما عزل عمرُ يزيدَ بن المهلب عن العراق ، ووجه على البصرة وأرضها
عدى بن أرتاة الفزاري ، وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشي ، من بني عدى بن كعب ، وضم إليه
أبا الزناد ، فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعث عدى
في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميري .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل
عمر على المدينة .

وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله
ابن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن ،
وعلى البصرة وأرضها عدى بن أرتاة ، وعلى خراسان الجراح بن عبد الله .
وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرّة المُرّني ، وقد ولي فيما ذكر قبله
الحسن بن أبي الحسن ، فشكا ^(٢) ، فاستقصى إياس بن معاوية .

وكان على قضاء الكوفة في هذه - السنة فيما قيل - عامر الشعبي . وكان
الواقدي يقول : كان الشعبي على قضاء الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز
من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والحسن بن أبي الحسن البصري على
قضاء البصرة من قبل عدى بن أرتاة ، ثم إن الحسن استعفى من القضاء
عدياً ، فأعفاه وولّى إياساً .

(١) ابن الأثير « ولم » .

(٢) ر : « فشكى » .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الحارثة التي خرجت على عمر بن عبدالعزيز بالعراق .

* ذكر الخبر عن أمرهم :

ذكر محمد بن عمر أن ابن أبي الزناد حدثه . قال : خرجت حرورية بالعراق ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عامل العراق يأمره أن يدعوهم إلى العمَل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فلما أعذر في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً ٢٤٨/٢ فهزمتهم الحرورية ، فبلغ عمر . فبعث إليهم مسالمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة . وكتب إلى عبد الحميد : قد بلغني ما فعل جيشك جيشُ سوء . وقد بعثت مسالمة بن عبد الملك . فخل بينه وبينهم . فلقبهم مسالمة في أهل الشام . فلم ينشأ أن أظهره الله عليهم .

[خبر خروج شوذب الخارجي]

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب -- واسمه بسطام من بني يشكر -- فكان مخرجه بجوخي في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة . فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد : ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دمًا ، أو يفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فحل بينهم وبين ذلك . وانظر رجلاً صلياً حازماً فوجهه إليهم ، ووجهه معه جنداً . وأوصه بما أمرتك به . فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة ، وأمره بما أمره به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام يدعو ويسأله عن مخرجه . فقدم كتاب عمر عليه ، وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يحركه

(١) ب : « يلبث » .

ولا يهتجه . فكان في كتاب عمر إليه : إنه بلغني أنك خرجت غَضَبًا لله ولنبيته ،
ولست بأولى بذلك مني ، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل
فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا . فلم يحرك بسطام شيئاً ، وكتب
إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك - قال
أبو عبيدة : أحد الرجلين اللذين بعثتهما شوذب إلى عمر ثمزوج مولى بني
شيبان ، والآخر من صليبة بني يشكر - قال : فيقال : أرسل نفرأ فيهم
هذان ، فأرسل إليهم عمر : أن اختاروا رجلين ، فاختروهما ، فدخلا
عليه فناظراه ، فقالا له : أخبرنا عن يزيد ليم نقره خليفة بعدك ؟ قال :
صيره غيري ؛ قال : أفرايت لو وليت مالا لغيرك ثم وكنته إلى غير مأمون
عليه ، أتراك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمنتك ! قال : فقال : أنظيراني
ثلاثا ، فخرجا من عنده ، وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم في أيديهم
من الأموال ، وأن يتخلع يزيد ، فدرسوا إليه من سقاه سماً ، فلم يلبث
بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثا حتى مات .

١٣٤٩/٢

* * *

وفي هذه السنة أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعصبى وغمرو
ابن قيس الكندى من أهل حمص الصائفة .
وفيها شخص عمر بن هبيرة الفزاري إلى الجزيرة عاملا لعمر عليها .

* * *

[خبر القبض على يزيد بن المهلب]

وفي هذه السنة حمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر بن عبد العزيز .
* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه :

١٣٥٠/٢

اختلف أهل السير في ذلك ، فأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن
أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فنزل واسطاً ،
ثم ركب السفن يريد البصرة ، بعث عدى بن أرطاة إلى البصرة أميراً ، فبعث
عدى موسى بن الوجيه الحميرى ، فلحقه في نهر معقل عند الجسر ، جسر

البصرة فأوثقه ، ثم بعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، فقَدِم به عليه موسى ابن الوجيه ، فدعا به عمر بن عبد العزيز - وقد كان^(١) عمر يبغض يزيد وأهل بيته . ويقول : هؤلاء جبابرة ، ولا أحب مثلهم ، وكان يزيد بن المهلب يبغض عمر ويقول : إني لأظنه مرثياً ، فلما ولي عمر عرف يزيد أن عمر كان من الرياء بعيداً . ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك . فقال : كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيت . وإنما كتبتُ إلى سليمان لأسمع الناسَ به . وقد علمتُ أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت . ولا بأمر أكرهه . فقال له : ما أجد في أمرك إلا حبسك . فاتق الله وأد ما قبيلك . فإنها حقوق المسلمين . ولا يستعنى تركها . فرددته إلى محبسه^(٢) ، وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرحه إلى خراسان . وأقبل محمد بن يزيد من خراسان يُعطي الناسَ ، ولا يمر بكورة إلا أعطاهم فيها أموالاً عظيماً . ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها . وقد ابتلينا بك . فلا تكن أشقى الناس بولايتك ، علام تحبس هذا الشيخ ! أنا أتحمل ما عليه ، فصالحني على^(٣) ما إياه تسأل ، فقال عمر : لا . إلا أن تحمل جميع ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بيعة فخذ بها ، وإن لم تكن بيعة فصدق مقالة يزيد . وإلا فاستحلفه . فإن لم يفعل فصالحه . فقال له عمر : ما أجد إلا أخذه بجميع المال . فلما خرج محمد قال : هذا خيرٌ عندي من أبيه ، فلم يلبث محمد إلا قليلاً حتى مات ، فلما أبى يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئاً ألبسه جببة من صوف . وحملته على جمل ، ثم قال : سيروا به إلى دهلك ، فلما أخرج فرَّ به على الناس أخذ يقول : مالي عشيرة ، مالي يذهب بي إلى دهلك ! إنما يذهب إلى دهلك بالفاسق المرئب الحارب ، سبحان الله ! أما لي عشيرة ! فدخل على عمر سلامة بن نعيم

(٢) ب ، س : « مجلسه » .

(١) س : « وكان » .

(٣) س : « عما إياه » .

الحوَّلاني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ارْدُدْ يزيد إلى محبسه ؛ فإنني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه^(١) ؛ فإنني قد رأيت قومه غَضِبُوا له . فردّه إلى محبسه ، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر . ١٣٥٢/٢

وأما غير أبي مخنف فإنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى ابن أوطاة بأمره بتوجيه يزيد بن المهلب . ودفعه إلى مَنْ بعين التمر من الجند ، فوجته عدى بن أوطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سُود التميمي مغلولاً مقيّداً في سفينة ، فلما انتهى به إلى نهر أبان ، عرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعوه منه ، فوثب وكيع فانتضى سيفه . وقطع قَلَسُ السفينة ، وأخذ سيف يزيد ابن المهلب . وحلّف بطلاق امرأته ليضربنّ عنقه إن لم يتفرقوا ، فناداهم يزيد بن المهلب ، فأعلمهم بمين وكيع ، فتفرقوا ، ومضى به حتى سلّمه إلى الجند الذين بعين التمر ، ورجع وكيع إلى عدى بن أوطاة ، ومضى الجند الذين بعين التمر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز ، فحبسه في السجن .

* * *

[عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان ، وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيري^(٢) ، فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر . قدمها سنة تسع وتسعين ، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة .

* ذكر سبب عزل عمر إياه :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد عن كليب بن خلف عن إدريس بن حنظلة . والمفضل عن جدّه . وعلي بن مجاهد عن خالد ابن عبد العزيز ؛ أن يزيد بن المهلب ولّى جهنم بن زحر جرجان حين شخص عنها . فلما كان من أمر يزيد ما كان وجهه عامل العراق من العراق والياً على جرجان ، فقدم الوالي عليها من العراق ، فأخذه جهنم فقيده وقيّد

(١) ب : « أهله » .

(٢) هو عبد الرحمن بن نعيم تغامدي الأزدي . وانظر ص ٥٦١ س ٣ .

رهطاً قدموا معه ، ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان ، فأطلق أهل جرجان عاملهم ، فقال الجراح لجهم : لولا أنك ابن عمي لم أسوئك هذا ، فقال له جهم : ولولا أنك ابن عمي لم آتيتك - وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه ، لأن الحكم وجعني ابنا سعد - فقال له الجراح : خالفت إمامك ، وخرجت عاصياً ، فاغز لعلك أن تظفر ، فيصلح أمرك عند خليفتك . فوجهه إلى الحُتَل . فخرج ، فلما قرب منهم سارمتكراً في ثلاثة ، وخلف في عسكره ابن عمه القاسم بن حبيب - وهو ختانه على ابنته أم الأسود - حتى دخل على صاحب الحُتَل فقال له : أخلني ، فأخلاه ، فاعتزى ، فنزل صاحب الحُتَل عن سريره وأعطاه حاجته - ويقولون : الحُتَل موالى النعمان - وأصاب مغنا : فكتب الجراح إلى عمر : وأوفد وفداً ؛ رجلين من العرب ، ورجلا من الموالى من بني ضبة . ويكنى أبا الصيداء واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلاً في دينه . وقال بعضهم : المولى سعيد أخو خالد أو يزيد^(١) النحوى . فتكلم العربيان والآخر جالس . فقال له عمر : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام ! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفاً من الموالى يَمَغزون بلا عطاء ولا رزق . ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يُؤخذون بالجراح . وأميرنا عصبى جاف يقوم على منبرنا ، فيقول : أتيتكم حفيماً . وأنا اليوم عصبى ! والله لرجل من قومي أحب إلى من مائة من غيرهم . وبلغ من جفائه أن كُسم درعه يبلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج . قد عمل بالظلم والعدوان . فقال عمر : إذن مثلك فليوفد .

وكتب عمر إلى الجراح : إن من صلى قبلك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية . فسارع الناس إلى الإسلام ، فقبل للجراح : إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام . وإنما ذلك نفوراً من الجزية ، فامتحنهم بالخِتان .

فكتب الجراح بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه داعياً ولم يبعثه خاتناً . وقال عمر : ابغوني رجلاً صدوقاً ،

(١) ب : « ويزيد » .

أسأله عن خراسان ، فقيل له : قد وجدته ، عليك بأبي مجلز . فكتب إلى الجراح : أن أقبل واحمل أبا مجلز وخلف علي حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي^(١) . وعلى جزيتها عبید الله - أو عبد الله - بن حبيب .

فخطب الجراح فقال : يا أهل خراسان ، جثتكم في ثيابي هذه التي علي وعلى فرسي ، لم أصب من مالكم إلا حلبة سبي - ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه ، وبغلة قد شاب وجهها ؛ فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم ، فلما قدم^(٢) قال له عمر : متى خرجت ؟ قال : في شهر رمضان ، قال : قد صدق من وصفك بالجهلاء ، هلاً أقمت حتى تفتطير ثم تخرج ! وكان الجراح يقول : أنا والله عصبي عقي - يريد من العصبية

١٣٥٥/٢

وكان الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمر : إني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة فهم يتزرون فيها نزواً ، أحب الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم . فليس يكفهم إلا السيف والسوط ، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك . فكتب إليه عمر :

يا بن أم الجراح ، أنت أحرص على الفتنة منهم ؛ لا تضربن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في حق ، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ولما أراد الجراح الشخوص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفاً . وقال بعضهم : عشرة آلاف من بيت المال . وقال : هي علي سلفاً حتى أؤديها إلى الخليفة . فقدم على عمر . فقال له عمر : متى خرجت ؟ قال : لأيام بقين من شهر رمضان . وعلى دين فاقضه . قال : لو أقمت حتى تفتطير ثم خرجت قضيت عنك . فأدى عنه قومه في أعطياتهم^(٣) .

. . .

(١) ب : « الغامري » .

(٢) ب : « خرج » .

(٣) ب : « وأعطى أعطياتهم » .

١٣٥٦/٢

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم

وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان

وكان سبب ذلك - فيما ذكر لي - أن الجراح بن عبد الله لما شكى، واستقدمه عمر بن عبد العزيز، فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل. ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان، قال - فيما ذكر على ابن محمد عن خارجة بن مصعب الضبي وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغوني رجلا صدوقاً أسأله عن خراسان، فقيل له: أبو مجلز لاحق بن حميد، فكتب فيه، فقدم عليه - وكان رجلاً لا تأخذه العين - فدخل أبو مجلز على عمر في جفّة^(١) الناس، فلم يشبته^(٢) عمر، وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل: دخل مع الناس ثم خرج، فدعا به عمر فقال: يا أبا مجلز، لم أعرفك، قال: فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني! قال: أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: يكافئ الأكفاء، ويعادي الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويقدم إن وجد من يساعده. قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف لين يحب العافية، وتأتي له، قال: الذي يحب العافية وتأتي له أحب إلى، فولاه الصلاة والحرب. وولّى عبد الرحمن القشيري ثم أحد بني الأعور بن قشير الجراح، وكتب إلى أهل خراسان: إني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار، إلا ما أخبرت عنهما؛ فإن كانا على ما تحبّون فاحمدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٣٥٧/٢

قال علي: وحدّثنا أبو السري الأزدي، عن إبراهيم الصائغ، أن عمر

ابن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:

أما بعد، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده، ولا يأخذك في الله لومة لائم؛ فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، فلا تولين شيئاً من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعيت،

(١) جفة الناس: جماعتهم. (٢) يشبته: لم يعرفه حق المعرفة.

وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه .

قال علي . عن محمد الباهلي وأبي نهيك بن زياد وغيرهما : إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم بن علي حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشي . فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حتى قُتل يزيد بن المهلب . ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف ، وليتها في شهر رمضان من سنة مائة . وعزل سنة اثنتين ومائة ، بعد ما قتل يزيد بن المهلب .

قال علي : كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً .

* * *

أول الدعوة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة مائة - وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق . ووجه محمد بن خنيس وابا عكرمة السراج ، وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال إبراهيم ابن سلمة إلى خراسان . وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي من قبيل عمر بن عبد العزيز ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن علي ، فدفعوها إلى ميسرة ، فبعث بها ميسرة إلى محمد بن علي ، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر رجلاً ، نقيباً^(١) ، منهم سليمان ابن كثير الخزاعي . ولا هز بن قريظ التميمي . وقحطبة بن شبيب الطائي . وموسى بن كعب التميمي . وخالد بن إبراهيم أبو داود . من بني عمرو بن شيبان بن ذهل . والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن إسماعيل أبو النجم ، مولى لآل أبي معيط ومالك بن أنفيم الخزاعي وطلحة ابن رزبئق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى الخزاعة . وشبيل بن ضهمان أبو علي الهروي ؛ مولى لبني حنيفة ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ؛ واختار سبعين رجلاً ، فكتب إليهم محمد بن علي كتاباً ليكون لهم مثالا وسيرة يسرون بها .

١٣٥٨/٢

(١) س : « نقيباً » .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . حدثني ١٣٥٩/٢
بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر .
وكذلك . قال الواقدي .

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم
قبل ما خلا عامل خراسان ؛ فإنّ عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم
على الصلاة والحرب . وعبد الرحمن بن عبد ننه على الخراج .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[خبر هرب يزيد المهلب من سجنه]

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز

• ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه :

ذكر هشام بن محمد . عن أبي مخنف ، أن عمر بن عبد العزيز لما كُتِمَ في يزيد بن المهلب حين أراد نفيه إلى دَهْلِك ، وقيل له : إنا نخشى أن ينترعه قومه . رده إلى محبسه . فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك ، لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عُقَيْلٍ - كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك ، فولدت له الوليد بن يزيد المقتول - فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه ضابطاً فكان يخشى ذلك . فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه . فأعدوا له إبلا . وكان مرض عمر في دَيْرِ سَمْعَانَ ، فلما اشتد مرض عمر أمر بإبله . فأتى بها ، فلما تبين له أنه قد ثقل نزل من محبسه . فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه . فلم يجدهم جاءوا . فجزع أصحابه وضجروا ، فقال لأصحابه : أتروني أرجع إلى السجن ! لا والله لا أرجع إليه أبداً . ثم إن الإبل جاءت ، فاحتمل . فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات ابن معاوية العامرية من بني البكاء في شق الحمل ، فمضى .

١٣٦٠/٢

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله لو علمت أنك تبنى ما خرجت من محبسي ؛ ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك . فقال عمر : اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فاكفهم شره ، واردد كيده في نحره . ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بحدث الزقاق ، وفيه الهذيل بن زُفَرٍ معه قيس ،

فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم ، فأصابوا طرّفاً من ثَمَلَه وغِلْمَة من وصفائه ، فأرسل الهذيل بن زُفَر في آثارهم ، فردّهم فقال : ما تطلبون ؟ أخبروني ، أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه بتبّيل ؟ فقالوا : لا ، قال : فما تريدون ؟ إنما هو رجل كان في إسارٍ ، فخاف على نفسه فهرب . وزعم الواقديّ أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر .

* * *

[خبر وفاة عمر بن عبد العزيز]

وفي هذه السنة توفّي عمر بن عبد العزيز ، فحدّثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : توفّي عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وكذلك قال محمد بن عمر ، حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني عمرو بن عثمان ، قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقال هشام عن أبي مخنف : مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، ومات بدير سمعان .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني عمّي الهيثم بن واقد ، قال : ولدت سنة سبع وتسعين ، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين ، فأصابني من قسمة ثلاثة دنانير ، وتوفّي بخنّاصرة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شكّوه عشرين يوماً ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، ودفن بدير سمعان .

وقد قال بعضهم : كان له يوم توفّي تسع وثلاثون سنة ، وخمسة أشهر .

وقال بعضهم : كان له أربعون سنة .

وقال هشام : توفي عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر ، وكان يكنى أبا حفص وله يقول عُوَيْفُ القَوَافِي ، وقد حضره في جنازة شهدها معه :

أَجِبْنِي أبا حَفِصٍ لَقِيتَ مُحَمَّدًا عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَبَشِرًا وَرَأَى كَأَنَّ
فَأَنْتَ امْرُؤٌ كِلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ شِمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ

وأمه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان يقال له : أشجّ بنى أمية ، وذلك أن دابة من دوابّ أبيه كانت شجته فقبل له : أشجّ بنى أمية .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد . قال : أخبرنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا المبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : كنتُ أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر ، في وجهه علامة . يملأ الأرض عدلاً !

وحدثت عن منصور بن أبي مزاحم ، قال : حدثنا مروان بن شجاع . عن سالم الأفظس . أن عمر بن عبد العزيز رحمته^(٢) دابة وهو غلام بدمشق . فأتيته به أمه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضمته إليها . وجعلت تمسح الدم عن وجهه^(٣) . ودخل أبوه عليها على تلك الحال . فأقبلت عليه تعذله وتلومه . وتقول : ضيقت ابني . ولم تضمّ إليه خادماً ولا حاضناً^(٤) ! يحفظه من مثل هذا ! فقال لها : اسكني يا أمّ عاصم . فطوباك إذ كان أشجّ بنى أمية !

١٣٦٣/٢

ذكر بعض سيره

ذكر عليّ بن محمد أن كليب بن خلف حدثهم عن إدريس بن حنظلة ، والمفضل ، عن جده . وعليّ بن مجاهد عن خالد : أن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب :

(١) الأغاني ١٧ : ١١٠ . (٢) س : « وضحته » .
(٣) ب : « من وجهه » . (٤) ب : « حاضناً ولا خادماً » .

أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني ، ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان . وإن الذى ولاّنى الله من ذلك وقد رى ليس على بهين . ولو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج واعتقاد^(١) أموال ، كان فى الذى أعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليتُ به حساباً شديداً . ومسألة غليظة . إلا ما عافى الله ورحم . وقد بايع من قبيلتنا فبايع من قبيلتك .

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ، ألقاه إلى أبى عيينة ، فلما قرأه قال : لست من عماله ، قال : ولم ؟ قال : ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكهم . فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا^(٢) .

قال : ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان ، وأقبل ، فاستخلف ابنه مخلداً .

قال على : وحدثنا على بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن منصور ، عن ميمون بن مهران ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العتمل والعلم قريبان ، فكن عالماً بالله عاملاً له . فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان علمهم عليهم وبالاً .

قال وأخبرنا مصعب بن حيان . عن مقاتل بن حيان ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن :

أما بعد . فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين .

قال على : أخبرنا كليب بن خلف ، عن طفيل بن مرداس ، قال : كتب عمر إلى سليمان بن أبى السرى ، أن اعمل خانات فى بلادك فمن مرت بك من المسلمين فاقروهم يوماً وليلة ، وتعهدوا دوابهم ، فمن كانت به علة فاقروه يوهين وليلتين . فإن كان منقطعاً به فقووه بما يصل به إلى بلده .

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان : إن قتيبة غدر بنا . وظلمنا وأنخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف . فائذن لنا فليقيد^(٣) منا وقد

(١) ب وابن الأثير : « اعتقال » . (٢) ب : « فبايعوه » .

(٣) ب : « فليقدم » .

إلى أمير المؤمنين يشكرون ظلّامتنا . فإن كان لنا حق أعطيتناه . فإن بنا إلى ذلك حاجة . فأذن لهم . فوجهوا منهم قوماً . فقدموا على عمر . فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبي السرى :

١٣٦٥/٢

إن أهل سمرقند قد شكوا إلى ظلمنا أصابهم . ونحاملنا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم . فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي ، فلينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة .

قال : فأجلس لهم سليمان بن جهم بن حاصر القاضي الناجي . فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذهم على سواء . فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً ، فقال أهل السغد : بل نرضى بما كان . ولا نجد حرباً . وتراضوا بذلك ، فقال أهل الرأي : قد نخالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم . وأمينونا وأمنائهم ، فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر . وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة . فتركوا الأمر على ما كان . ورضوا ولم ينازعوا .

قال : وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقنال من وراء النهر من المسلمين بذرايتهم . قال : فأبوا وقالوا : لا يسعنا مرقو . فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه عمر : اللهم إني قد قضيت الذي على ، فلا تغر بالمسلمين . فحسبهم الذي قد فتح الله عليهم .

قال : وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائي وكان قد ولاه الخراج بعد القشيري : إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالوالي ركن ، والقاضي ركن . وصاحب بيت المال ركن ، والركن الرابع أنا ، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهدم إلى ، ولا أعظم عندي من ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم ، فإن يك كفافاً لأعطياتهم فسبيل ذلك ، وإلا فاكتب إلى حتى أحمل إليك الأموال فتوفرهم أعطياتهم .

١٣٦٦/٢

قال : فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم ، فكتب إلى

عمر فأعلمه ، فكتب إليه عمر : أن اقسم الفضل في أهل^(١) الحاجة .
 وحدثني عبد الله بن أحمد بن شيبوية ، قال : حدثني أبي ، قال :
 حدثني سليمان ، قال : سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة ، عن داود
 ابن سليمان الجعفي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز^(٢) :
 من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد : سلام عليك ؛ أما بعد ؛
 فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة
 استنتها^(٣) عليهم عمال سوء ، وإن قوام الدين العدل والإحسان ، فلا يكونن
 شيء أهم إليك من نفسك ؛ فإنه لا قليل من الإثم ، ولا تحمل خراباً على
 عامر ، ولا عامراً على خراب . انظر الخراب^(٤) فخذ منه ما أطاق ، وأصلحه
 حتى يعمر . ولا يؤخذ^(٥) من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل
 الأرض ، ولا تأخذن في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور
 الضرابين ، ولا هدية النيروز والمهرجان^(٦) . ولا ثمن الصُّحُف ، ولا أجور
 الفيوج^(٧) . ولا أجور البيوت . ولا دراهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من
 أهل الأرض : فاتبع في ذلك أمرى ؛ فإنني قد وليتك من ذلك ما ولائى الله ،
 ولا تعجل دوني بقطع ولا صاب ؛ حتى تراجعيتي فيه ، وانظر من أراد من
 الذرية أن يحج . فعجل له مائة يحج بها . والسلام .

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شيبوية ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا
 سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن شهاب بن شريعة المجاشعي ، قال :
 ألحق عمر بن عبد العزيز ذراري الرجال الذين في العطايا^(٨) أقرع بينهم ، فمن

(١) ب : « نوى » .

(٢) بعدها في ب : « كتاباً » .

(٣) ابن الأثير : « سنها » ، وفي ط « استنتها » ، تحريف .

(٤) ب : « إلى الخراب » . (٥) ب : « ولا يؤخذن » .

(٦) النيروز : اسم أول يوم في السنة ؛ وهو عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل ،
 وعند القبط أول توت ، معرب « نوروز » ، أي اليوم الجديد . والمهرجان : عيد للفرس عند نزول الشمس
 أول الميزان .

(٧) الفيوج : جمع فيج ؛ وهو رسول السلطان الذي يسمى بالكتب .

(٨) س : « العطاء » .

أصابته القرعة جعله في المائة ، ومن لم تُصِبه القرعة جعله في الأربعين ،
وقسم في فقراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم ؛ فأعطى الزمّي خمسين
خمسين . قال : وأراه رزق الفَظْم (١) .

حدّثني عبد الله ، قال : حدّثنا أبي ، قال : حدّثنا الفضيل ، عن عبد الله
قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشام :

سلام عليكم ورحمة الله ، أمّا بعد ؛ فإنه من أكثر ذكر الموت قل
كلامه ، ومن علم أن الموت حقّ رضى باليسير ، والسلام (٢) .

١٣٦٨/٢

قال عليّ بن محمد : وقال أبو مجلز لعمر : إنك وضعتنا بمنقطع التراب ،
فاحمل إلينا الأموال . قال : يا أبا مجلز : قلبت الأمر ، قال : يا أمير المؤمنين
أهو لنا أم لك ؟ قال : بل هو لكم إذا قصر خراجكم عن أعطياتكم ،
قال : فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض .
قال : أحمله إليكم إن شاء الله .

ومرض من ليلته فات من مرضه . وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم
خراسان ستة عشر شهراً .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمه الليثي ، ويكنى
أبا الوليد ، وهو ابن تسع وسبعين .

. . .

زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر

إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي ، قال : حدّثنا رجل في مسجد
الجُنابذ ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخصاصة ، فقال : أيها الناس ،
إنكم لم تُخلَقُوا عَبَثًا . ولن تُتركُوا سُدىً ؛ وإن لكم معادا ينزل الله فيه
للحكيم فيكم ، والفصل بينكم . وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي
وسعت كل شيء . وحُرِّمَ الجنة التي عرضها السموات والأرض . ألا واعلموا

(٢) ب : « السلام عليكم » .

(١) ب : « الفطر » .

أما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه . وباع نافداً^(١) بياق . وقليلاً بكثير . ١٣٦٩/٢
 وخوفاً بأمان . ألا ترون أنكم في أسلاب المهالكين . وسيختلفها بعدكم الباقون
 كذلك حتى ترد^(٢) إلى خير الوارثين ! وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى
 الله قد قضى نحبته . وانقضى أجله . فتغيبونه في صدع من الأرض . ثم تدعونه
 غير مؤسدين ولا ممهدين ، قد فارق الأحيته . وخلع الأسباب ، فسكن التراب
 وواجه الحساب . فهو مرتتهن بعمله . فقير إلى ما قدم . غني عما ترك .
 فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواعده . وإيم الله إلى لأقول لكم هذه المقالة .
 وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي . فأستغفر الله وأتوب إليه .
 وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت
 عليه . وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وددت أنه سد أي^(٣) ولحمي . حتى
 يكون عيشنا وعيشه سواء . وإيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش :
 لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه . ولكنه مضى من الله كتاب ناطق
 وسنة عادلة ، يدل فيها على طاعته ، وينهى عن معصيته .

ثم رفع طرف رداءه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله . ثم نزل فكانت
 إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله^(٤) .

روى خلف بن تميم ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن سعد ، قال : ١٣٧٠/٢
 بلغني أن عمر بن عبد العزيز مات ابن له ، فكتب عامل له يعزيه عن ابنه .
 فقال لكاتبه : أجه عني ، قال : فأخذ الكاتب يبري القلم ، قال : فقال
 للكاتب : أدق القلم ، فإنه أبق للقرطاس . وأوجز للحروف ، واكتب :
 بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن هذا الأمر أمر قد كنا وطننا أنفسنا
 عليه ، فلما نزل لم ننكره^(٥) ، والسلام .

روى منصور بن مزاحم ، قال : حدثنا شعيب - يعنى ابن صفوان -
 عن ابن عبد الحميد ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من وصل أخاه
 بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدّى واجب

(١) البيان والتبيين : « فائتا » . (٢) البيان : « تردوا » .

(٣) ط : « ساواني » . البيان : « إن يده مع يدي ، ولحمي الذين يلونني » .

(٤) البيان والتبيين ٢ : ١٢١ . (٥) ط : « نذكره » .

حقه ، فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية في العواقب فالزموها . الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا في الطلب ، فإن في القنوع سعة وبلغة وكفافا ، إن أجل الدنيا في أعناقكم ، وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكأن لم يكن ، وكل أموات عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ؛ وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون : قد فرغ رحمه الله ! وعايتم تعجيل إخراجهم ، وقسمة تراثه ووجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور ، وكأن لم يخالط إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة في الموازين .

روى سهل بن محمود ؛ قال : حدثنا حرملة بن عبد العزيز ، قال :
حدثني أبي ، عن ابن لعسر بن عبد العزيز ، قال : أمرنا عمر أن نشترى
موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال : فقال بعض الشعراء (١) :

١٣٧١/٢

أقولُ لما نعى الناعونَ لي عمراً لا يبعدنَ قوامُ العدلِ والدينِ
قد غادرَ القومُ باللحد الذي لحدوا بدير سمعان قسطاس الموازين

روى عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، قال : قال عمر بن عبد العزيز :
من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من
عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومعتول المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على
عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً
مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم :

لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صلحتم عليه ، ولا تحددن كنيسة
ولا بيت نار ، ولا تجر الشاة إلى مذبحها ، ولا تحددوا الشفرة على رأس الذبيحة ،
ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عذر .

١٣٧٢/٢

روى عفان بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الحميد ، قال : حدثنا أبي ،

(١) ابن الأثير : « فقال كثير عزة » . وهما من ثلاثة أبيات في الكامل ٢ : ٢٧٧ من غير نسبة .

(٢) سورة الزمر ١٠ .

قال : بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتدّ علنزُهُ (١) ليلةً ، فسهرت وسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد ، فقلتُ له : يا مرثد ، كن عند أمير المؤمنين ، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه . ثم انطلقنا فصر بنا برءوسنا لطول سهرنا ، فلما انفتح النهار استيقظت فتوجهت إليه ، فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً ، فأيقظته فقالت : يا مرثد ، ما أخرجك ؟ قال : هو أخرجني ، قال : يا مرثد : اخرج عني ! فوالله إني لأرى شيئاً ما هو بالإنس ولا جان . فخرجت فسمعت يتلو هذه الآية : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجهه نفسه . وأغمض عينيه . وإنه لميت . رحمه الله (٣) .

(١) في اللسان : « الملز : شبه رعدة تأخذ المريض أو الحريص على الشيء ، كأنه لا يستقر في مكانه من الوجد » .
 (٢) سورة القصص ٨٣ .
 (٣) في حاشية ب : « تم الفصل من الزيادة وعاد ترتيب أبي جعفر من ها هنا » .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيهما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد ؛ ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، وولاهما عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، فقدمها - فيما زعم الواقدي - يوم الأربعاء ليلال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي .

١٣٧٣/٢

وذكر محمد بن عمر أن عبد الجبار بن عمارة حدثه عن أبي بكر بن حزم ، أنه قال : لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلي ، دخلت عليه ، فسلمت فلم يقبل علي ، فقلت : هذا شيء لا تملكه قريش للأنصار^(١) ، فرجعت إلى منزلي وخيفته - وكان شاباً مقداماً - فإذا هو يبلغني عنه أنه يقول : ما يمنع ابن حزم أن يأتيني إلا الكبير ، وإني لعالم بخيانتك ؛ فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه ، فقلت للذي جاءني بهذا : قل له : ما الحياة لي بعادة ، وما أحب أهلها ، والأمير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه . كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً ! فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة .

فلم يزل الأمر يترقى بينهما ، حتى خاصم إليه رجل من بني فِهْرٍ وآخر من بني النجار - وكان أبو بكر قضى للنجاري على الفهري في أرض كانت بينهما نصفين ، فدفع أبو بكر الأرض إلى النجاري - فأرسل الفهري إلى النجاري وإلى أبي بكر بن حزم ، فأحضرهما ابن الضحاك . فتظلم الفهري من أبي بكر بن حزم ، وقال : أخرج مالي من يدي . فدفعه إلى هذا النجاري ، فقال أبو بكر : اللهم غفراً ! أما رأيتني سألت أياها في أمرك وأمر صاحبك ، فاجتمع لي على إخراجها من يدك ، وأرسلتك^(٢) إلى من أفتاني بذلك : سعيد بن المسيب وأبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسألتهما ؟ فقال الفهري : بلّتي ،

١٣٧٤/٢

(١) كذا في ب ، وفي ط : « الأنصار » .

(٢) ب : « فأرسلك » .

وليس يلزمني قولهما . فانكسر ابن الضحاك فقال : قوموا ، فقاموا ، فقال للفهرى :
تقر له أنك سألت من أفناه بهذا ، ثم تقول رُدّها عليّ ! أنت أرعن ، اذهب
فلاحق لك ؛ فكان أبو بكر يتقيه ويخافه ، حتى كلم ابن حيان^(١) يزيد أن
يُقيده من أبي بكر ؛ فإنه ضربه حدّين ، فقال يزيد : لا أفعل ، رجل اصطنعه
أهل بيتي ؛ ولكني أولئك المدينة . قال : لا أريد ذلك ، لو ضربته بسطاني
لم يكن لي قوَدًا . فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتابًا :

أما بعد ، فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان ، فإن كان ضربه في أمر
بين فلا تلتفت إليه ، وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه ،
فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فأقده منه .

١٣٧٥/٢ : فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحاك ، فقال عبد الرحمن :
ما جئت بشيء ، أتري ابن حزم ضربك في أمر لا يختلف فيه ! فقال
عثمان لعبد الرحمن : إن أردت أن تحسن أحسنت ، قال : الآن أصبت
المطلب ، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فضربه حدّين في مقام واحد ، ولم
يسأله عن شيء . فرجع أبو المغراء^(٢) بن حيان وهو يقول : أنا أبو المغراء بن
الحيان ، والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يوم
هذا ، واليوم أقرب النساء !

• • •

[مقتل شوذب الخارجي]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قُتِل شوذب الخارجي .

• ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا قبل الخبر عما كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز
لمناظرته في خلافه عليه ، فلما مات عمر أحبّ - فيما ذكر معمر بن المثنى -
عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحطّي عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلى

(١) هو عثمان بن حيان المري

(٢) ط : « المزاء » .

محمد بن جرير يأمره بمحاربة^(١) شوذب وأصحابه، ولم يرجع رسولا شوذب، ولم يعلم بموت عمر، فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب، أرسل إليه شوذب: ما أعجلك^(٢) قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم! أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب! فأرسل إليهم محمد: إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة - قال غير أبي عبيدة: فقالت الخوارج: ما فعل هؤلاء هذا^(٣) إلا وقد مات الرجل الصالح.

قال معمر بن المثنى: فبرز لهم شوذب، فاقتتلوا، فأصيب من الخوارج نفر، وأكثروا في أهل القبلة القتل، وتولوا منهزمين. والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة، وبلحوا إلى عبد الحميد، وجرح محمد بن جرير في استه، ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه، فجاءاه فأخبراه بما صادرا عليه عمر، وأن قد مات. فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة، ووجه من قبله تميم بن الحبيب في ألفين، فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر، فلعنوه ولعنوا يزيد، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد، فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه، وهزموا أصحابه، فوجه إليهم الشحاج بن وداع في ألفين، فراسلهم وراسلوه، فقتلوه، وقتل منهم نثراً فيهم هذبة الشكري، ابن عم بسطام - وكان عابداً - وفيهم أبو شبيل مقاتل ابن شيان - وكان فاضلاً عندهم - فقال أبو ثعلبة أيوب بن خولى يرثيهم:

تَرَكَنا تَمِيمًا فِي الْغُبَارِ مُلْحَبًا تَبَكَّى عَلَيْهِ عِرْسُهُ وَقَرَّائِبُهُ
وَقَدْ أَسْلَمَتْ قَيْسُ تَمِيمًا وَمَالِكَا كَمَا أَسْلَمَ الشَّحَّاجُ أَمْسِ أَقَارِبُهُ
وَأَقْبَلَ مِنْ حَرَّانَ بِحَمِلٍ رَايَسُهُ يَغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهُ
فَيَاهُذِبَ لِلْهَيْجَا، وَيَاهُذِبَ لِلنَّدَى، وَيَاهُذِبَ لِلخَضِيمِ الْأَلَدِّ يُحَارِبُهُ!
وَيَاهُذِبَ كَمَنْ مِنْ مُلْحَمٍ قَدْ أَجْنَتْهُ^(٤) وَقَدْ أَسْلَمَتْهُ لِلرَّمَّاحِ جَوَالِبُهُ

(١) ابن الأثير: «بمناجزة».

(٢) ر: «ما فعلوا».

(٣) ب: «ما أعجلكم».

(٤) ابن الأثير: «كم من ملحم».

وكان أبو شيبان خير مقاتل
ففاز ولاقى الله بالخير كله
تزوّد من دنياه درعاً ومغفراً
وأجرّد محبوبك السراة كأنه

١٣٨٧/٢

فلما دخل مسلمة الكوفة شكاً إليه أهلها مكان شوذب ، وخوفهم منه
وما قد قتل منهم ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي - وكان فارساً - فعقد
له على عشرة آلاف ، ووجهه إليه^(١) وهو مقيم بموضعه ، فأتاه مالا طاقه له به .
فقال شوذب لأصحابه : من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ، ومن كان
إنما خرج للدنيا فقد ذهب الدنيا ، وإنما البقاء في الدار الآخرة ؛ فكسروا
أعماد السيوف^(٢) وحملوا ، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً ؛ حتى خاف الفضيحة
فدمر أصحابه ، وقال لهم : أمين هذه الشرذمة لا أبالكم تفرون ! يا أهل
الشام يوماً كأيامكم !

قال : فحملوا عليهم ، فطحنوهم^(٣) طحناً لم يبقوا منهم أحداً ، وقتلوا بسطاماً
وهو شوذب وفرسانه ، منهم الريان بن عبد الله اليشكري ، وكان من المحبتين^(٤) .
فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه :

ولقد فجعت بسادة وفواريس
إغناقتهم ريب الرمان فغائلهم
كمدًا تجلجل في فوادي حشرة
وفواريس باعوا الإله نفوسهم
وقال حسان بن جعدة يرثيهم :

يا عين أذرى دموعاً منك تسجماً
فلن ترى أبداً ما عشت مثلهم

(٢) ب : « سيوفهم » .

(٤) ط : « المحبتين » . وأخبت إلى ربه ،

(١) س : « إليهم » .

(٣) ط : « فطحنهم » ، وما أثبتته من ب .

أي اطمأن .

بِسَبَبِهِمْ قَدْ تَأَسَّوْا عِنْدَ شِدَّتِهِمْ ۚ ١٣٧٩/٢
 حَتَّى مَضَوْا لِلذِّى كَانُوا لَهُ خَرَجُوا
 وَلَمْ يُرِيدُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ إِحْجَامًا
 فَاورثونا مَنَارَاتٍ وَأَعْلَامًا
 إِنْى لِأَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَنْزَلُوا غُرَفًا
 مِنَ الْجِنَانِ وَنَالُوا ثُمَّ خُدَامًا
 أَسْفَى إِلَهُ بِلَادًا كَانَ مَضْرَعُهُمْ
 فِيهَا سَحَابًا مِنَ الْوَسْمَى سَجَامًا

• • •

[خبر خلع يزيد بن المهلب بن يزيد بن عبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة ، فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدى بن أرتاة الفزاري ، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك .

« ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة :

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذى كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه ، ونذكر الآن ما كان من صنععه بعد هربه في هذه السنة - أعنى سنة إحدى ومائة .

ولما مات عمر بن عبد العزيز ببيع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذى مات فيه عمر ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله ، وكتب إلى عدى بن أرتاة يعلمه هربه ، ويأمره أن يتهبأ لاستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عدى بن أرتاة أخذهم وحبسهم ، وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، وأقبل يزيد بن المهلب حتى مرّ بسعيد بن عبد الملك بن مروان ، فقال يزيد لأصحابه : ألا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا ! فقال أصحابه : لا بل امض بنا ودعه . وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القُطْقُطانة ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام ابن مساحق بن عبد الله بن محرمة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبدود بن

نصر بن مالك بن حيسل بن عامر بن لؤي القرشي، في ناس من أهل الكوفة من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة، فقال له: انطلق حتى تستقبله فإنه اليوم يمر بجانب العذيب. فمشى هشام قليلاً، ثم رجع إلى عبد الحميد: فقال: أجيئك به أسيراً أم آتيك برأسه؟ فقال: أي ذلك ما شئت، فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه، وجاء هشام حتى نزل العذيب، ومرّ يزيد منهم غير بعيد، فاتقوا الإقدام عليه، ومضى يزيد نحو البصرة، ففيه يقول الشاعر:

وسارَ ابنُ المهلبِ لم يُعْرَجْ وعَرَسَ ذو القُطَيْفَةِ من كِنَانِهِ
ويأسرَ والتَّيَّاسِرُ كان حَزْماً ولم يقربَ قُصُورَ القُطُقُطَانَةِ

ذو القُطَيْفَةِ هو محمد بن عمرو^(١). وهو أبو قُطَيْفَةِ بن الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي معيط، وهو أبو قُطَيْفَةِ؛ وإنما سمي ذا القُطَيْفَةِ، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر. ومحمد يقال له ذو الشامة.

١٣٨٧/٢

فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد، ومضى يزيد إلى البصرة، وقد جمع عدى بن أرطاة إليه أهل البصرة وخندق عليها، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي. وكان عدى بن أرطاة رجلاً من بني فزارة. وقال عبد الملك بن المهلب لعدى بن أرطاة: خذ ابني حميداً فاحبسه مكاني. وأنا أضمن لك أن أردّ يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس. ويطلب لنفسه الأمان^(٢) ولا يقربك^(٣) فأبى عليه، وجاء يزيد ومعه أصحابه^(٤) الذين أقبل فيهم^(٥). والبصرة محفوفة بالرجال، وقد جمع محمد بن المهلب— ولم يكن ممن حيس— رجالاً وفتية من أهل بيته وناساً من مواليه، فخرج حتى استقبله. فأقبل في كتيبة تهول من رآها، وقد دعا عدى أهل البصرة، فبعث على كل خمس من أحماسها رجلاً. فبعث على خميس الأزدي المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي. وبعث على خميس بن تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر. وعلى خميس بكر بن وائل عمران بن عامر

(١) وهو، أي عمرو، وفي ط: «وأبو قُطَيْفَةِ». وهو خطأ.

(٢) ب: «الأمان لنفسه». (٣) ب: «ولا يفررك».

(٤) س: «وجاء يزيد وأصحابه». (٥) س: «بهم».

ابن مسمع من بنى قيس بن ثعلبة . فقال أبو منقر ، - رجل من قيس بن ثعلبة - :
 إن الراية لا تصلح إلا في بنى مالك بن مسمع ، فدعا عدى نوح بن شيبان
 ابن مالك بن مسمع ، فعقد له على بكر بن وائل ، ودعا مالك بن المنذر بن
 الجارود ، فعقد له على عبد القيس ، ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر
 القرشي ، فعقد له على أهل العالية - والعالية قریش وكنانة والأزد وبجيلة وخثعم
 وقيس عيّلان كلها ومزينة - وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربّع أهل المدينة
 وبالبصرة^(١) خمس أهل العالية . وكانوا بالكوفة أحماساً ، فجعلهم زياد بن
 عبيد أرباعاً .

١٣٨٢/٢

قال هشام عن أبي مخنف : وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم
 ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحّوا له عن السبيل^(٢) حتى يمضي ، واستقبله المغيرة
 ابن عبد الله الثقفي في الخيل . فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل ، فأفرج
 له عن الطريق هو وأصحابه . وأقبل يزيد حتى نزل داره ، واختلف^(٣) الناس
 إليه ، وأخذ يبعث إلى عدى بن أرطاة أن ادفع^(٤) إلى إخوتي وأنا أصالحك
 على البصرة ، وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسى ما أحب من يزيد بن عبد الملك ،
 فلم يقبل منه . وخرج^(٥) إلى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن
 المهلب . فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري وعمر بن
 يزيد^(٦) الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته ، وأخذ يزيد بن المهلب
 يعطي من أتاه من الناس . فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة ، فقال
 الناس إليه . ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطاً على عدى بن أرطاة
 حين نزع منه رايته . راية بكر بن وائل ، وأعطاه ابن عمه . ومالت إلى يزيد
 ربيعة وبقية تميم وقيس وناس بعد ناس^(٧) ؛ فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع
 ومعه ناس من أهل الشام ، وكان عدى لا يعطي إلا درهمين درهمين ، ويقول :

١٣٨٣/٢

(٢) ابن الأثير : « عن طريقه » .

(٤) ب وابن الأثير : « أن أبعث » .

(٦) ب : « زيد » .

(١) س : « والبصرة » .

(٣) ابن الأثير : « فاختلف » .

(٥) ب : « فسار » .

(٨) ب : « من الناس » .

لا يحلّ لي أن أعطيكم من بيت المال درهمًا إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ،
ولكن تبلغوا بهذا^(١) حتى يأتي الأمر في ذلك^(٢) ، فقال الفرزدق في ذلك :
أظنُّ رجالَ الدرهمينِ يسوقهمُ إلى الموتِ آجالٌ لهمُ ومصارِعُ^(٣)
فأحزَمهمُ من كان في قعرِ بيتهِ^(٤) وأيقنَ أنَّ الأمرَ لا شكَّ واقعُ^(٥)
وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى ، فتزلوا المرَبد ، فبعث
إليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس ؛ فحمل عليهم فهزمهم ، فقال
الفرزدق في ذلك :

تفرَّقتِ الحمراءُ إذ صاحَ دارِسُ ولم يصبروا تحتَ السُّيوفِ الصَّوارِمِ^(٦)
جزى اللهُ قيساً عن عدى ملامَةً ألا صبرُوا حتَّى تكونَ ملاحِمُ

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس . حتى نزل جبانة بني يشكر
— وهو المنصف^(٧) فيما بينه وبين القصر — وجاءته بنو تميم وقيس^(٨) وأهل الشام ،
فاقتتلوا هنيئَةً ، فحمل عليهم محمد بن المهلب . ففرض مسور بن عباد
الحبَطى بالسيف فقطع أنف البيضة . ثم أسرع السيف إلى أنفه^(٩) ، وحمل
على هرَّيم بن أبي طلحة بن أبي نهشل بن دارم . فأخذ بمنطقته ، فحذفه عن
فرسه^(١٠) ؛ فوقع فيما بينه وبين الفرس ، وقال : هيهات هيهات ! عمك أثقل من
ذلك . وانهمزوا وأقبل يزيد بن المهلب إثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر ،

(١) ابن الأثير : « بهذا » . (٢) ب : « بذلك » .

(٣) ديوانه ٥١٦ ، وروايته : « إلى قدر آجالهم » .

(٤) الديوان : « من كان في قعر بيته » .

(٥) الديوان : « وأيقن أن العزم لا بد واقع » .

(٦) ديوانه ٧٧٨ ، والرأية فيه :

تصدعتِ الجعراءُ إذ صاحَ دارِسُ ولم يصبروا عندَ السُّيوفِ الصَّوارِمِ
جزى اللهُ قيساً عن عدى ملامَةً وخَصَّ بها الأذنينِ أهلَ الملاومِ
همُ قتلوا مولاهمُ وأميرهمُ ولم يصبروا للموتِ عندَ الملاومِ

(٧) ابن الأثير : « النصف » . (٨) ابن الأثير : « فلقبه قيس و تميم » .

(٩) ب : « في أنفه » . (١٠) حذفه عن فرسه ، أى رماه عنه .

فقاتلوهم وخرج إليه عدى بنفسه فقتل من أصحابه الحارث بن مصرف الأودى - وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج - وقتل موسى بن الوجيه الحميرى ثم الكتلاعى ، وقتل راشد المؤذن ، وانهزم أصحاب عدى ، وسمع إخوة يزيد وهم فى محبس عدى الأصوات تدنو ، والنشاب تقع فى القصر ، فقال لهم عبد الملك : إني أرى النشاب تقع فى القصر ، وأرى الأصوات تدنو ، ولا أرى يزيد إلا قد ظهر ، وإني لا آمن من مع عدى من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار ، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثياباً . ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عمر^(١) ، وكان على حرس عدى - فجاء يشتد إلى الباب هو وأصحابه ، وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب ، ثم اتسكوا عليه ، فأخذ الآخرون يعالجون الباب ، فلم يستطيعوا الدخول ، وأعجلهم الناس فدخلوا عنهم .

١٣٨٥/٧

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلم بن زياد بن أبي سفيان إلى^(٢) جانب القصر^(٣) ، وأتى بالسلالم ، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر ، وأتى بعدى ابن أرطاة ، فجىء به وهو يتبسّم ، فقال له يزيد : لم تضحك ؟ فوالله إنه لينبغى أن يمنعك من الضحك خصلتان : إحداهما الفرار من القتلة الكريمة حتى أعطيت بيدك إعطاء المرأة بيدها ، فهذه واحدة ، والأخرى أنى أتيت بك تُتَلُّ كما يتل^(٤) العبد الآبق إلى أربابه ، وليس معك منى عهد ولا عقد ، فما يؤمنك أن أضرب عنقك ! فقال عدى : أما أنت فقد قدرت على ، ولكنى أعلم أن بقاى بقاؤك ، وأن هلاكى مطلوب به من جرته يده ؛ إنك قدرأيت جنود الله بالمغرب . وعلمت بلاء الله عندهم فى كل موطن من موطن الغدر والنكث ، فتدارك فلتتتك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة ، قبل أن يرمى إليك البحر بأواجه ، فإن طلبت الاستقالة حينئذ لم تُقَلِّ ، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعدين ، وما لم يشخص القوم إليك فلم

(١) ط : « عامر » ، وانظر الفهرس .

(٢) ط : « سالم » ، وانظر الفهرس .

(٣) ب وابن الأثير : « إلى جنب » .

(٤) بتا ، أ ، نقاد .

يمنعوك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك .

فقال له يزيد : أما قولك : إن بقاءك بقائى : فلا أبقانى الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقينى إلا بقاءك . وأما قولك : إن هلاكك مطلوب به من جرته يده : فوالله لو كان فى يدي من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس فيهم (١) رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم . ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد . لكان فراقى إيتاهم وخلافى عليهم أهولَ عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك . ثم لوشئت أن تُهدر لى دماؤهم . وأن أحكمم فى بيوت أهوالهم . وأن يجوزوا لى عظيماً من سلطانهم ، على أن أضع الحرب فيما بينى وبينهم لفعلوا : فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخبارنا إليهم . وأن أعماخم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم . لا يذكرونك ولا يخلفون بك . وأما قولك : تدارك أدرك واستقله وافعل وافعل : فوالله ما استشرتك . ولا أنت عندى بوادٍ ولا نصبح : فما كان ذلك منك إلا عجزاً وفضلاً : انطلقوا به . فاما ذهبوا به ساعة قال : ردوه . فلما رد قال : أما إن حبسى إياك ليس إلا لحبسك بنى المنهاب وتضييقك عليهم فيما كنا نسألك التسهيل فيه عليهم . فلم تكن تألوما عسرت وضيقت وخالفت : فكأنه لهذا القول حين سمعه أمين على نفسه . وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه .

وكان رجل يقال له السميدع الكندى من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عُمان يرى رأى الخوارج . وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدى مصطفون فاعتزل ومعه ناس من القراء . فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى : قد رضينا بحكم السميدع . ثم إن يزيد بعث إلى السميدع فدعاه إلى نفسه . فأجابه . فاستعملوا يزيد على الأبلّة . فأقبل على الطيب والتخلتق والنعيم . فلما ظهر يزيد بن المنهب هرب رءوس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر . فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة : ولحق بعضهم بالشام . فقال الفرزدق :

(١) س : « معهم » .

فِدَاءُ لِقَوْمٍ مِنْ تَمِيمٍ تَتَابَعُوا
أَحْكَمُ حَرَوْرِيٍّ مِنَ الدِّينِ مَارِقِ
إِلَى الشَّامِ لَمْ يَرْضُوا بِحَكْمِ السَّمِيدِ ع. (١)
أَضَلُّ وَأَغْوَى مِنْ حِمَارٍ مُجَدِّعٍ
فَأَجَابَهُ خَلِيفَةُ الْأَقْطَعِ :

وَمَا وَجَّهُوا نَحْوَهُ عَنْ وِفَادَةٍ
وَلَكِنَّهُمْ رَاحُوا إِلَيْهَا وَأَذَلَّجُوا
وَهُمْ مِنْ حِذَارِ الْقَوْمِ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ

وخرج الحواري (٢) بن زياد بن عمرو العتكي يريد يزيد بن عبد الملك هارباً من يزيد بن المهلب، فلقى خالد بن عبد الله القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب، وكل شيء أراداه فاستقبلهما، فسألاه عن الخبر، فخلا بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك، فقال: أين تريدان؟ فقالا: يزيد بن المهلب، قد جئناه بكل شيء أراداه، فقال: ما تصنعان بيزيد شيئاً، ولا يصنعه بكما؛ قد ظهر على عدوه عدى بن أرطاة، وقتل القتلى وحبس عدياً، فارجعا أيها الرجلان. ويمر رجوع من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك، فلم يقف عليهما، فصاحجه وساءلاه، فلم يقف عليهما، فقال القسري: ألا تردّه فتجلده مائة جلدة! فقال له صاحبه: عزّبه عنك، وأمليا لينصرف.

ومضى الحواري بن زياد إلى يزيد بن عبد الملك، وأقبلا بحميد بن عبد الملك معهما، فقال لهما حميد: أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد ما بُعثتما به! فإن يزيد قابل منكما؛ وإن هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء، فأنشدكما الله أن تقبلا مقاتله؛ فلم يقبلا قوله، وأقبلا به حتى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليم (٣) الكلبي، وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خراسان عاملاً عليها. فلما بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه: إن جهاد من خالفك أحب إلى

(١) ديوانه ٥٠٨، وفيه: « فدى لرهوس من تميم ».

(٢) ابن الأثير: « المغيرة ». (٣) ط: « سليمان »، وانظر الفهرس.

١٣٨٩/٢ من عملي على خراسان، فلاحاجة لي فيها ، فاجعلني ممن توجهني إلى يزيد بن المهلب ، وبعث بمحميد بن عبد الملك إلى يزيد ، ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب ، وهو بالكوفة وعلى حمّال بن زحر الجعفي ، وليسا ممن كان ينطق بشيء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بني المهلب ، فأوثقهما وسرحهما^(١) إلى يزيد بن عبد الملك ، فحبسهما جميعاً ، فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه . وبعث يزيد بن عبد الملك رجالاتاً من أهل الشام إلى الكوفة يسكنونهم ، ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويمسّونهم الزيادات منهم القطامي بن الحصين ، وهو أبو الشرقي ، واسم الشرقي الوليد ، وقد قال القطامي حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب :

لَعَلُّ عَيْنِي أَنْ تَرَى يَزِيدَا يَقُودُ جَيْشًا جَحْفَلًا شَدِيدَا

تَسْمَعُ لِلأَرْضِ بِهِ وَثِيدَا لَا بَرَمًا هِدَا وَلَا حَيْودَا^(٢)

وَلَا جَبَانًا فِي الوَغَى رِعْدِيدَا تَرَى ذَوِي التَّاجِ لَهُ سُجُودَا

مُكْفَرِينَ خَاشِعِينَ قُودَا وَأَخْرِينَ رَحْبُورًا وَفُودَا

لَا يَنْقُضُ العَهْدَ وَلَا المَعْهُودَا مِنْ نَفَرٍ كَانُوا هِجَانًا صِيدَا

تَرَى لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدَا مِنَ الأَعَادِي جَزْرًا مَقْصُودَا

ثم إن القطامي سار بعد ذلك إلى العتقر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك ، فقال يزيد بن المهلب : ما أبعد شعر القطامي من فعله !

١٣٩٠/٢ ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة آلاف فارس ، جريدة خيل ، حتى وافوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب ، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشام ، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات ، فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان ، عليها الجراح بن عبد الملك الحكمي حتى انصرف إلى عمر بن

(١) ابن الأثير : « سيرهما » . (٢) « . . . جيسا ولا حيودا » .

عبد العزيز ، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على الصلاة . واستخلف يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على الحجاج ، وجاء مدرك بن المهلب حتى انتهى إلى رأس المفازة ، فدرس عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن هذا مدرك بن المهلب يريد أن يلتقي بينكم الحرب ، وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة ، فخرجوا ليلاً يستقبلونه ، وبلغ ذلك الأزدي ، فخرج منهم نحو من ألفي فارس حتى لحقوهم قبل أن ينتهوا إلى رأس المفازة ، فقالوا لهم : ما جاء بكم؟ وما أخرجكم إلى هذا المكان؟ فاعتلوا عليهم بأشياء ، ولم يُقروا لهم أنهم خرجوا ليلتفوا مدرك بن المهلب ، فكان لهم الآخرون ، بل قد علمنا أن تخرجوا لتلحقوا صاحبنا ، وها هو ذا قريب ، فما شتم .

ثم انطلقت الأزدي حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة ، فقالوا له : إنك أحب الناس إلينا . وأعزهم علينا ، وقد خرج أخوك ونابدته ، فإن يظهره الله فإنما ذلك لنا . ونحن أسرع الناس إليكم أهل البيت وأحقه بذلك ؛ وإن تكن الأخرى فوالله مالك في أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء راحة . فعزم له رأيه على الانصراف ، فقال ثابت قطنه ، وهو ثابت بن كعب ، من الأزدي من العتيك :

١٣٩١/٢

ألم تر دوسراً منعت أخاها	وقد حشدت لتقتله تميم
رأوا من دونه الزرق العوالي	وحياً ما يباح لهم حريم
شئوتها وعمران بن حزم	هناك المجد والحسب الصميم
فما حملوا ولكن نهنتهم	رماح الأزدي والعز القديم
رددنا مدركاً بمرد صدق	وليس بوجه منكم كلوم
وخيل كالقдах مسومات	لدى أرض مغانيها الجميم
عليها كل أصيد دوسري	عزيز لا يفر ولا يريم
هم تستعيب السفهاء حتى	تري السفهاء تردعها الحلوم

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة ، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحث على الجهاد ، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم .

قال : فدخلت أنا والحسن البصرى وهو واضع يده على عاتقي ، وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه ؟ قلت : لا والله ، ما أرى وجه رجل أعرفه ، قال : فهؤلاء والله الغنماء^(١) ، قال : فضمينا حتى دنونا من المنبر . قال : فسمعت يذکر کتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع صوته^(٢) ، فقال : والله لقد رأيناك والياً ومولياً^(٣) عليك ، فما ينبغي لك ذلك . قال : فوثبنا عليه ، فأخذنا بيده وفه وأجلسناه ؛ فوالله ما نشك أنه سمعه ؛ ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته .

١٣٩٢/٢

قال : ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد ، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس ابن مالك يقول : يا عباد الله ، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ! فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز ، فقال الحسن : سبحان الله ! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضاً .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدثني المثنى بن عبد الله أن الحسن البصرى مرّ على الناس وقد اصطفوا صفيين ، وقد نصبوا الرايات والرماح ، وهم ينتظرون خروج يزيد ، وهم يقولون : يدعوننا يزيد إلى سنة العُمَريين ، فقال الحسن : إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يسرح بها إلى بني مروان ، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم . فلما غضب غضبة نصب قصباً ، ثم وضع عليها خيراً ، ثم قال : إني قد خالفتهم فخالفوهم . قال هؤلاء : نعم . وقال : إني أدعوكم إلى سنة العُمَريين ، وإن من سنة العُمَريين أن يوضع قيد في رجله ، ثم يرد إلى محبس عمر الذي فيه حبسه ، فقال له ناس من أصحابه

(١) ط : « الأعتاء » ، والصواب ما في الأصول .

(٢) ابن الأثير : « وكان حسن البصرى يسمع ، فرفع رأسه » .

(٣) ط : « مولياً » تحريف .

من سمع قوله : والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام ، فقال : أنا راض عن أهل الشام ، قبحهم الله وبرحهم ! أليس هم الذين أحلوا حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقتلون أهله ثلاثة أيام^(١) وثلاث ليال! قد أباحوهم^(٢) لأتباعهم وأقباطهم ، يحملون الحرائر ذوات الدين ، لا يتناهون عن انتهاك حرمة . ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام ، فهدموا الكعبة ، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها ، عليهم لعنة الله وسوء الدار !

١٣٩٣/٧

قال : ثم إن يزيد خرج من البصرة ، واستعمل عليها مروان بن المهلب ، وخرج معه بالسلاح وبيت المال ، فأقبل حتى نزل واسطاً ، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط ، فقال : هاتوا الرأي ، فإن أهل الشام قد نهضوا إليكم ، فقال له حبيب ، وقد أشار عليه غير حبيب أيضاً فقالوا : نرى أن تخرج وتنزل بفارس ، فتأخذ بالشعاب وبالعقاب ، وتدنو من خراسان ، وتطاول القوم ، فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفي يدك القلاع والحصون . فقال : ليس هذا برأىي ، ليس يوافقني هذا ؛ إنما تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل . فقال له حبيب : فإن الرأي الذي كان ينبغي أن يكون في أول الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة ، فإنما هو^(٣) عبد الحميد بن عبد الرحمن ، مرت به في سبعين رجلاً فعجز عنك ؛ فهو عن خيلك أعجز في العدة ، فنسبق إليها أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيك ، وأن تلي عليهم أحب إلى جلتهم من أن يلي عليهم أهل الشام ، فلم تطعني ، وأنا أشير الآن برأى ؛ سرح مع أهل بيتك خيلاً من خيلك عظيمة فتأق الجزيرة ، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصناً من حصونها^(٤) ، وتسير في أثرهم ، فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جنداً من جنودك بالجزيرة ؛ ويقبلون إليك فيقيمون عليهم ، فكأنهم حابستهم عليك^(٥) حتى تأتيهم فيأتيك من الموصل من قومك ، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور ، وتقاتلهم في أرض ربيعة^(٦) السمر ، وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك ،

١٣٩٤/٢

- (١) ابن الأثير : « ثلاثا » .
 (٢) ابن الأثير : « أباحوها » .
 (٣) ابن الأثير : « بها » .
 (٤) ابن الأثير : « حصونهم » .
 (٥) ابن الأثير : « فيحبسونهم عنك » .
 (٦) ابن الأثير : « ربيعة » . وفي ط :

« ربيعة » تحريف .

فقال : إني أكره أن أقطع جيشي وجندي . فلما نزل واسيطاً أقام بها أياماً يسيرة .

• • •

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ابن قيس الفهري . حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة . وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد . وكان على الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن . وعلى قضائها الشّعبى . وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد ابن المهلب ، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

[ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث]

فمن ذلك ما كان فيها من مسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إياهما لحربه .

١٣٩٥/٢

• • •

وفيهما قتل يزيد بن المهلب ، في صفر .

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام ، عن أبي مخنف : أن معاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخصوص عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنه معاوية ، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأُسرَاء ، وقدّم بين يديه أخاه عبد الملك ، ثم سار حتى مرّ بفم النيل^(١) ، ثم سار حتى نزل العقر . وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ، ثم عقد عليها الجسر . فعبر من قبل قرية يقال لها فارط ، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب ، وقد قدّم يزيد أخاه نحو الكوفة ، فاستقبله العباس بن الوليد بسُورا ، فاصطفوا ، ثم اقتتل القوم ، فشده عليهم أهل البصرة شدة كشفهم فيها ، وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن انهزم من يزيد من البصرة ، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس ، فيهم هرّيم بن أبي طحمة المجاشعي . فلما انكشف أهل الشام تلك الانكشاف ، ناداهم هرّيم بن أبي طحمة : يا أهل الشام ، الله الله أن تسلمونا^(٢) ! وقد اضطرم أصحاب عبد الملك إلى نهر^(٣) فأخذوا ينادونه : لا بأس عليك ؛ إن أهل الشام جولة في أول القتال ، أنك الغوث .

١٣٩٦/٢

(١) ابن الأثير : « سار على فم النيل » .

(٢) ابن الأثير : « النهر » .

قال : ثم إن أهل الشام كرتوا عليهم . فكُشف أصحاب عبد الملك وهزموا . وقتل المنتوف من بكر بن وائل ، مولى لهم ، فقال الفرزدق يحرّض بكر بن وائل :

تُبَكِّي على المنتوفِ بكرُ بنُ وائلٍ وتنهَى عن ابني مسمعٍ من بكاهُمَا^(١)
غلامينِ شَبَاباً في الحروبِ وأدركا كرامَ المساعى قبلَ وصلِ لحاهُمَا^(٢)
ولو كانَ حيًّا مالكُ وابنُ مالكٍ إذا أوقدوا نارينِ يعلو سناهُمَا
وابنا مسمع : مالك وعبد الملك ابنا مسمع . قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجعد بن درهم مولى من همدان^(٣) :

نُبَكِّي على المنتوفِ في نصرِ قومِهِ ولَسْنَا نُبَكِّي الشائدينِ أباهُمَا
أرادَ فناءَ الحيِّ بكرِ بنِ وائلٍ فعزَّ تميمٌ لو أُصيبَ فِناهُمَا
فلا لقيًا روحاً منَ اللهِ ساعةً ولا رقاتٍ عينا شجى بكاهُما
أفي الغشِّ نَبَكِّي إنْ بَكِينَا عليهما وقد لقيًا بالغشِّ فينا رداهُمَا

١٣٩٧/٣

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعقر . وأمر عبد الله ابن حيان العبدى ، فعبر إلى جانب الصّراة الأقصى - وكان الجسر بينه وبينه - ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد . وخذق عليه . وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرثي ، ويقال : عبر إليهم الوضاح ، فكانوا بإزائهم . وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة^(٤) كثير ، ومن الجبال ، وأقبل إليه ناس من الثغور ، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه وربّع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وبعث على رُبّع كندة وربيعة محمد

(١) الكامل للمبرد ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) الكامل : « غلامان » ، وبعده في الكامل :

ولو قُتِلَا من جدمِ بكرِ بنِ وائلٍ لكانَ على الناعي شديداً بكاهُما

(٣) كذا في ض بن تيسران ٣١ : « والجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة » .

(٤) ابن الأثير : « من أهل الكوفة » .

ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبعث على ربيع تميم وهمندان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي ، وجمعهم جميعاً مع المفضل بن المهلب .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : حدثني العلاء بن زهير ، قال : والله إنا لجلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال : ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يُضرب به ؟ قال حنظلة بن عتاب : إي والله وأربعة آلاف سيف ، قال : إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط ، والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفاً ، والله لوددت أن مكانهم الساعة معي من بخراسان من قومي .

١٣٩٨/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إنه قام ذات يوم فحرّضنا ورغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله : إن هؤلاء القوم لن يتردّهم عن غيبتهم إلاّ الطعن في عيونهم ، والضرب بالمشرفيّة على هامهم . ثم قال : إنه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء - يعني مسلمة بن عبد الملك - وعافر ناقة ثمود ؛ يعني العباس ابن الوليد ، وكان العباس أزرق أحمر ، كانت أمه رومية - والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقرّه على نسبه ؛ فبلغني أنه ليس همتها إلاّ التماسي في الأرض ، والله لو جاء أهل الأرض جميعاً وليس إلاّ أنا ، ما برحت العرّصة حتى تكون لي أو لهم . قالوا : نخاف أن تعنينا كما عنانا عبد الرحمن ابن محمد ، قال : إن عبد الرحمن فضح الذمار ، وفضح حسبه ، وهل كان يعدو أجله ! ثم نزل .

قال : ودخل علينا عامر بن العَمَيْشَل - رجل من الأزْد - قد جمع جموعاً فاتاه فبايعه ؛ فكانت بيعة يزيد : تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألاّ تطأ الجنود بلادنا ولا بيضتنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومنّ أبي جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، ثم يقول : تبايعونا ؟ فإذا قالوا : نعم ، بايعهم .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة ، وبعث إلى المياه فبشقها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب ، لئلاّ يصل إلى الكوفة ، ووضع على الكوفة مناظر وأرصداً لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد ، وبعث

١٣٩٩/٢

نحن انهزمنا بالناس ، فاتقوا الله وابدءوا بنا ، أخرجونا قبل الناس ، فقال لهم
العُريان : اخرجوا على اسم الله ، فأخرجهم إلى المصطبة ، وأرسل إلى محمد بن
عمرو يخبره بإخراجهم ومقاتلتهم ، فبعث إليه أن اضرب أعناقهم .

قال أبو مخنف : فحدثني نجيب أبو عبد الله مولى زهير ، قال : والله إني
لأنظر إليهم يقولون : إنا لله ! انهزمنا بالناس ، وهذا جزاؤنا ، فما هو إلا أن فرغ
منهم ، حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهي عن قتلهم ،
فقال حاجب بن ذبيان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم :

لَعَمْرِي لَقَدْ خَاضَتْ مَعِيْطُ دِمَاءَنَا بِأَسْيَافِهَا حَتَّى انْتَهَى بِهِمُ الْوَحْلُ
وَمَا حُمِلَ الْأَقْوَامُ أَعْظَمَ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ وَلَا دَخَلَ إِذَا التَّمَسَ الدَّخْلُ^(١)
حَقَنْتُمْ دِمَاءَ الْمُضْلَتَيْنِ عَلَيْكُمْ^(٢) وَجُرَّ عَلَى فُرْسَانِ شِبَعَتِكَ الْقَتْلُ
وَقَى بِهِمُ الْعُرْيَانُ فُرْسَانَ قَوْمِهِ فَبَاعَجِبًا أَيْنَ الْأَمَانَةَ وَالْعَدْلُ

وكان العُريان يقول : والله ما اعتمدتُهم ولا أردتُهم حتى قالوا : ابدُ بنا ،
أخرجنا ، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمتُ المأمور بقتلهم ، فما يقبل حُجَّتهم ،
وأمر بقتلهم ، والله على ذلك ما أحب أن قتل من قومي مكانهم رجل ،
ولئن لاموني ما أنا بالذي أحفل لاأمتهم ، ولا تكبر على .

وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ، فأتى بنحو من خمسين أسيراً ، ولم يكونوا
فيمن بعث به إلى الكوفة ، كان أقبل بهم معه ، فلما رأى الناس أنه يريد أن
يضرب رقابهم ، قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاستوهبه ثلاثة : زياد بن
عبد الرحمن القشيري ، وعتبة بن مسلم ، وإسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود ،
فوهبهم له ، ثم استوهب بقيتتهم أصحابه ، فوهبهم لهم ، فلما جاءت هزيمة
يزيد إلى واسط ، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا

(١) في الحاشية : « الدحل بالذال معجمة : الحقد ، وبغير معجمة : الحفر في الأرض » .

في يده ، فضرب أعناقهم : منهم عدى بن أرطاة ، ومحمد بن عدى بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عزة البصرى ، وعبد الله بن وائل ، وابن أبي حاضر التميمى من بنى أسيد بن عمرو بن نعيم ، وقد قال له القوم : ويحك ! إنا لا نراك إلا تفتلنا ؛ إلا أن أباك قد قتل . وإن قتلنا ليس بنافع لك في الدنيا ، وهو ضارك في الآخرة ؛ فقتل الأسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع ابن أنس بن الریان ، تركه ، فقال له ناس : نسيتك ؛ فقال : ما نسيتك ؛ ولكن لم أكن لأقتله ؛ وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم ، ولست أتهمه في ود ، ولا أخاف بغيته . فقال ثابت قطنة في قتل عدى بن أرطاة :

مَا سَرَّتْني قَتْلُ الْفَزَارِيِّ وَابْنِهِ عَدِيٌّ وَلَا أُخْبِتُ قَتْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ
وَلَكِنهَا كَانَتْ مُعَاوِيَّ زَلَّةً وَضَعْتَ بِهَا أَمْرِي عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب . واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة ، وقد كانوا يتخوفون الذي كان من يزيد . وقد أعدوا السفن البحرية ، وتجهزوا بكل الجهاز ، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قنذابيل أميراً . وقال له : إني سائر إلى هذا العدو ، ولو قد لقيتهم لم أبرح التعرصة حتى تكون إلى أولهم . فإن ظفرت أكرمتك ، وإن كانت الأخرى كنت بقنذابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي . فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً . أما إني قد اخترتك لأهل بيتي من بين قومي ؛ فكن عند حسن ظني ، وأخذ عليه أيماناً غلاظاً ليسنا صحن أهل بيته ، إن هم احتاجوا ولجئوا إليه ؛ فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ، ثم لجئوا في البحر حتى مروا بهرم ابن القرار العبدى - وكان يزيد استعمله على البحرين - فقال لهم : أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم ، فإن ذلك هو بقاءكم ، وإني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس ، وأن يتقربوا بكم إلى بني مروان . فمضوا حتى إذا كانوا محال كما نخرجوا من سفنهم ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب .

١٤١٠/٢

١٤٠٥/٢

أَبِالموتِ خَشْتَنِي عُبَادُ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ مَنَايَا النَّاسِ يَشْقَى ذَلِيلُهَا
فَمَا مِيتَةٌ إِنْ مُتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسَ غَوْلُهَا

وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب ، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ؛ حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب ، فعطف عليه خيول أهل الشام ، وعلى أصحابه ، فقتل يزيد بن المهلب ، وقتل معه السَّمَيْدِع ، وقتل معه محمد بن المهلب . وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبي يقال له القَحْلُ بن عِيَّاش لما نظر إلى يزيد قال : يا أهلَ الشام ، هذا والله يزيد ، والله لأقتلنه أو ليقتلنني ، وإن دونه ناسًا ، فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصلَ إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نحمل نحن معك ، ففعلوا ، فحملوا بأجمعهم ، واضطربوا^(١) ساعةً ، وسطع الغبار ، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا ، وعن القَحْلُ بن عِيَّاش بآخر رمق . فأوى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ؛ يقول لهم : أنا قتلته ، ويوى إلى نفسه إنه هو قتلني . ومرَّ مسلمة على القَحْلُ بن عِيَّاش صريعًا إلى جنب يزيد ، فقال : أما إني أظن هذا هو الذي قتلني . وجاء برأس يزيد مولى لبني مُرَّة ، فقيل له : أنت قتلته ؟ فقال : لا ، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر ، فقال له الحواريُّ بن زياد ابن عمرو العنكي : مُرُّ برأسه فليُغسل ثم ليعمَّم ، ففعل ذلك به ، فعرفه ، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط .

١٤٠٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ثابت مولى زهير ، قال : لقد قتل يزيد وهزم الناس ، وإن المفضل بن المهلب ليقاتل أهلَ الشام ما يدري بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس ؛ وإنه لعلَى برذون شديد قريب من الأرض ، وإنَّ معه لمجففة أمامه ، فكلما حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشف ، فيحمل في ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يرى منَّا مُلتفتًا إلا أشار إليه بيده ألاَّ يلتفت ليُقبِل القومُ بوجوههم على عدوهم ، ولا يكون لهم همٌّ غيرهم .

(١) ابن الأثير : « فاقتلوا » .

قال : ثم اقتلنا ساعة ؛ فكأنى أنظر إلى عامر بن العَمَيْشَلِ الأزدى وهو يضرب بسيفه ، ويقول :

قد عَلِمْتَ أُمُّ الصَّبِيِّ المولودُ أَنِّي بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ رِغْدِيدُ
قال : واضطربنا والله ساعة ، فانكشفت خيل ربيعة ؛ والله ما رأيتُ عند
أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال ، فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم : أى
معشر ربيعة ، الكرة الكرة ! والله ما كنتم بكُشف ولا لثام ، ولا هذه لكم بعادة ،
فلا يؤتين أهل العراق اليوم من قبلكم . أى ربيعة ، فدَتكم نفسى ، اصبروا
ساعة من النهار .

قال : فاجتمعوا حوله ، وثابوا إليه (١) ، وجاءت كُوَيْفَتُكَ (٢) .

قال : فاجتمعنا ونحن نريد الكرة عليهم ، حتى أتى ، فقبل له :
ما تصنع ما هنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد ، وانهزم الناس منذ طويل ؟
وأخبر الناس بعضهم بعضاً ، ففترقوا ومضى المفضل ، فأخذ الطريق إلى واسط ،
فما رأيت رجلاً من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه ، ولا أضرب
بسيفه ، ولا أحسن تعبته لأصحابه منه .

قال أبو مخنف : فقال لى ثابت مولى زهير : مررت بالخنديق ، فإذا عليه
حائط ، عليه رجال معهم النبل ، وأنا مجففٌ ، وهم يقولون : يا صاحب
التجفاف ، أين تذهب ؟ قال : فما كان شياً أثقل على من تجفاني ،
قال : فما هو إلا أن جُرْتُهم ، فنزلت فألقيته لأخف عن دابتي . وجاء أهل
الشام إلى عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم أبو رؤبة صاحب المرجئة ساعة
من النهار حتى ذهب عظمهم ، وأسر أهل الشام نحواً من ثلاثمائة رجل ،
فسرحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم . وكان على شرطه
العُربان بن الهيثم . وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو :
أن اضرب رقاب الأسراء . فقال للعُربان بن الهيثم : أخرجهم عشرين عشرين ،
وثلاثين ثلاثين . قال : فقام نحو من ثلاثين رجلاً من بنى نعيم ، فقالوا :

١٤٠٧/٢

(١) ابن الأثير : « فرجموا إليه » .

(٢) كذا فى ط .

١٤٠٢/٢

وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع وهو مسلمة ثمانية أيام ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر ، بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر ، ففعل . وخرج مسلمة فعبى جنود أهل الشام ، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب ، وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي ، وجعل على يسارته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري ، وجعل العباس على ميمنته سيف بن هاني الهمداني ، وعلى يسارته سويد بن القعقاع التميمي ومسلمة على الناس . وخرج يزيد بن المهلب ، وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى يسارته المفضل بن المهلب ، وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم ، ومعه خيل لربيعه معها عدد حسن ، وكان مما يلي العباس بن الوليد .

قال أبو مخنف : فحدثني الغنوي - قال هشام : وأظن الغنوي العلاء ابن المنهال - أن رجلاً من الشام خرج فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد ، فبرز له محمد بن المهلب ، فحمل عليه ، فاتقاه الرجل بيده ، وعلى كفه كف من حديد ، فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه ، واعتنق فرسه ، وأقبل محمد يضربه ، ويقول : المينجتل أعود عليك . قال : فذكر لي أنه حيان النسبتي .

١٤٠٣/٢

قال : فلما دنا الوضاح من الجسر أهب فيه النار ، فسطع دخانه ، وقد اقتتل^(١) الناس ونشبت الحرب ، ولم يشتد القتال ، فلما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : أحرق الجسر انهزموا ، فقالوا ليزيد : قد انهزم الناس . قال : ومم انهزموا ؟ هل كان قتال ينهزم من مثله ! فقيل له : قالوا : أحرق الجسر فلم يثبت أحد ، قال : قبهم الله ! بق دُخن عليه فطار . فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال : اضربوا وجوه من ينهزم ، ففعلوا ذلك بهم ، حتى كثروا عليه ، فاستقبلهم منهم مثل الجبال ، فقال : دعوهم ، فوالله إنى لأرجو ألا يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبداً ؛ دعوهم يرحمهم الله ، غنم عدا في نواحيها الذئب ، وكان

(١) ابن الأثير : « وقد أقبل » .

يزيد لا يحدث نفسه بالفرار ، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص - وأمه ابنة الزبير بن العبدى - أتاه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العقر ، فقال (١) :
 إِنَّ بَنِي مَرْوَانَ قَدْ بَادَ مُلْكُهُمْ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ فَاشْعُرْ
 قال يزيد : ما شعرت . قال : فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفى :
 فَعِشْ مَلِكًا أَوْ مِتْ كَرِيمًا وَإِنْ تَمَتَّ (٢) وَسَيْفُكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعْذِرُ
 قال : أمّا هذا فعسى :

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة ، فقال : يَا سَمِيدَ ع ،
 أَرَأَيْتَ أَمْرًا رَأَيْتَ ؟ أَلَمْ أَعْلَمَكَ مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ ! قال : بلى والله ، والرأى كان رأيتك ،
 وأناذا معك لا أزايلك ، فررتى بأمرى : قال : إمّا لا فانزل ، فنزل فى أصحابه ،
 وجاء يزيد بن المهلب جاء فقال : إن حبيباً قد قتل .

١٤٠٤/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثنى ثابت مولى زهير بن سلمة
 الأزدي ، قال : أشهد أنى أسمعته حين قال له ذلك ، قال : لا خير فى العيش
 بعد حبيب ! قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ؛ فوالله ما ازددت له
 إلا بغضاً ، امضوا قدما . فعلمنا والله أن قد استقتل ؛ فأخذ من يكره القتال
 ينكمس ، وأخذوا يتسللون . وبقيت معه جماعة حسنة ، وهو يزدلف ، فكلما
 مرّ بخييل كشفها . أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه .
 فجاء أبو ربيعة المريضى . فقال : ذهب الناس - وهو يشير بذلك إليه وأنا
 أسمع - فقال : هل لك أن تنصرف إلى واسط ؛ فإنها حصن فتنزلها ويأتيك
 مدد أهل البصرة ، ويأتيك أهل عُمان والبحرين فى السفن ، وتضرب خندقاً ؟
 فقال له : قبّح الله رأيك ! ألى تقول هذا ! الموت أيسر على من ذلك ، فقال
 له : فإنى أنخوف عليك لما ترى . أما ترى ما حولك من جبال الحديد ! وهو
 يشير إليه . فقال له : أما أنا فما أباليها ؛ جبال حديد كانت أم جبال نار ،
 اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالاً معنا . قال : وتمثل قول حارثة بن بدر الغداني
 - قال أبو جعفر أخطأ هذا ؛ هو للأعشى - :

(١) ابن الأثير : « فقال له » . (٢) ابن الأثير : « فعر » .

عبد الحميد بعثا من الكوفة عليهم سيف بن هاني الهمداني حتى قدموا على مسلمة ، فألطفهم مسلمة ، وأثنى عليهم بطاعتهم ، ثم قال : والله لقل ما جاءنا من أهل الكوفة . فبلغ ذلك عبد الحميد ، فبعث بعثا هم أكثر من ذلك ، وبعث عليهم سبيرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ، فلما قدم أثني عليه ، وقال : هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ، ضموا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة . وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله ، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة - وهو ذو الشامة - مكانه . فدعا يزيد بن المهلب رءوس أصحابه فقال لهم : قد رأيتُ أن أجمع اثني عشر ألف رجل ، فأبعثهم مع محمد ابن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقيّة ليلتهم ، وأميدّه بالرجال حتى أصبح ، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم أنا بالناس ، فنناجزهم ، فإني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم .

قال السَّمِيدِع : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ، ولا نريدهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا .

قال أبو رؤبة - وكان رأس طائفة من المرجئة ، ومعه أصحاب له : ١٤٠٠/٢
صدّق ، هكذا ينبغي . قال يزيد : ويحكم ! أتصدقون بني أمية !
إنهم يعملون بالكتاب والسنة ، وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا ؛ إنهم يقولوا لكم : إنا نقبل منكم ، وهم يريدون ألاّ يعملوا بسلطانهم إلاّ ما تأمرونهاهم به ، وتدعونهم إليه ؛ لكنهم أرادوا أن يكفوكم عنهم ؛ حتى يعملوا في المكر ، فلا يسبقوكم إلى تلك ، ابدءوهم بها ، إني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلا هو أمكر ولا أبعد غورا من هذه الجرادة الصفراء - يعني مسلمة - قالوا : لانرى أن نفعل ذلك ، حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا . وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام ، ويسرح الناس إلى يزيد ، وكان الحسن البصري يثبط الناس عن يزيد ابن المهلب .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الحميد البصرى ، أن الحسن البصرى كان يقول فى تلك الأيام :

أيها الناس ، الزموا رجالكم ! ، وكفوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة ، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بياق ، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براصٍ ؛ إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء ، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفى والمعروف التقي ، فمن كان منكم خفياً فليزم الحق ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا ، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً ؛ وكفى له بها (١) من الدنيا خلاقاً ؛ ومن كان منكم معروفاً شريفاً ، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك ، فواهاً لهذا ! ما أسعده وأرشدته وأعظم أجره وأهدى سبيله ! فهذا غداً - يعنى يوم القيامة - القرير عيناً ، الكريم عند الله مآباً . فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيباً كما يقوم ، فأمر الناس بالحد والاحتشاد ، ثم قال لهم :

١٤٠١/٢

لقد بلغنى أن هذا الشيخ الضال المرائى - ولم يسمه - يثبسط الناس ، والله لو أن جاره نزع من حصص داره قصبة لظل يرعف أنفه ؛ أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا (٢) ، وأن ننكر مظلمتنا ! أما والله لسيكفرن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقاط (٣) الأبله وعلوج فرات البصرة - قوماً ليسوا من أنفسنا ، ولا ممن جرت عليه النعمة من أحدنا - أولأنحين عليه مبرداً خشناً .

فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمنى الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أرادك ثم شئت لمنعناك ، فقال لهم : فقد خالفتمكم إذا إلى ما نهيتكم عنه ! آهركم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيرى ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دونى ! فبلغ ذلك مروان بن المهلب ، فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا . ولم يدع الحسن كلامه ذلك ، وكف عنه مروان بن المهلب .

(١) ط : « به » .

(٢) ط : « خيرنا » .

(٣) سقاط : جمع ساقط ؛ وهو اللثيم فى حبه ونسبه .

مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ ، فَكَانَ سَعِيدٌ يَقُولُ : قَبَّحَ اللَّهُ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ قَتَلَ جِهْمًا !

• • •

وفي هذه السنة غزا المسلمون السُّغْدَ والتُّرْكَ ، فَكَانَ فِيهَا الْوَقْعَةُ بَيْنَهُمْ بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ .

• • •

وفيها عزل سعيد خدينة شعبة بن ظُهَيْرٍ عن سمرقند .

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شُعْبَةَ وَسَبَبَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ وَكَيْفَ كَانَتْ

ذكر علي بن محمد ، عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم ، أن سعيد خدينة لما قدم خراسان ، دعا قوماً من الدَّهَاقِينَ ، فاستشارهم فيمن يوجهه إلى الكُورِ ، فأشاروا إليه بقوم من العرب ، فولَّاهم ، فشكوا إليه ، فقال للناس يوماً وقد دخلوا عليه : إني قدمت البلد ، وليس لي علم بأهله ، فاستشرت فأشاروا^(١) علي بقوم ، فسألت عنهم فحميدوا . فولَّيتهم ، فأخرج عليكم لماً أخبرتموني عن عمالي . فأثنى عليهم القوم خيراً ، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري : لو لم تُحْرَجْ^(٢) علينا لكففت^(٣) ، فأما إذ حرَّجتَ علينا فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم^(٤) ، فهذا علمنا فيهم .

١٤٢١/٢

قال : فاتكأ سعيد ثم جلس ، فقال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، قوموا .

قال : وعزل سعيد شعبة بن ظُهَيْرٍ عن السُّغْدِ ، وولى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشُّخَيْرِ ، وولى الحراج سليمان بن أبي السري مولى بني عُوَاقَةَ ، واستعمل على هَرَاةَ معقل بن عروة القشيري ، فسار إليها . وضعف الناس سعيداً وسمَّوه خدينة ، فطمع فيه الترك ، فجمع له خاقان الترك ،

(٢) ح : « تخرج » .

(١) ب : « فأشار » .

(٢) ب : « لكففتنا » .

(٤) ب : « ولا بأشباههم » .

ووجههم إلى السغد ، فكان على الترك كورصول ، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي .

وقال بعضهم : أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة ، وكانت في ذلك القصر ، فأرسل إليها يخطبها . فأبت ، فاستجاش ورجا أن يسبوا من في القصر ، فيأخذ المرأة ، فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر ، وفيه مائة أهل بيت بذراريهم ، وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله^(١) وخافوا أن يبطن عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً ، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة ، وندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، فقال شعبة بن ظهير : لو كانها هنا خيول خراسان ما وصلوا إلى غايتهم^(٢) .

١٤٢٢/٢

قال : وكان فيمن انتدب من بني تميم شعبة بن ظهير النهشلي وبلعاء بن مجاهد العنزى ، وعميرة بن ربيعة أحد بني العجيف - وهو عميرة الثريد - وغالب بن المهاجر الطائي - وهو عم أبي العباس الطوسي - وأبوسعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وثابت قطننة ، وأبو المهاجر بن دارة من غطفان ، وحليس^(٣) الشيباني . والحجاج بن عمرو الطائي ، وحسان بن معدان الطائي ، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حسان الطائيان . فقال المسيب بن بشر لما عسكروا : إنكم تقدمون على حلبة الترك : حلبة خاقان وغيرهم . والعيوض إن صبرتم الجنة . والعقاب النار إن فررتم ، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم .

فانصرف عنه ألف وثلاثمائة ، وسار في الباقيين : فلما سار فرسخاً قال للناس مثل مقالته الأولى . فاعتزل ألف ، ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل ذلك ، فاعتزل ألف . ثم سار - وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظلي - حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قبي فقال : إنه لم يبق ها هنا دهنقان إلا وقد بايع الترك غيري ، وأذا في ثلاثمائة مقاتل فهم معك ، وعندى الخبر ، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً ؛ فأعطوهم سبعة عشر رجلاً ؛ ليكونوا رهناً

١٤٢٣/٢

(١) بعدها في ب : « ابن مطرف » .

(٢) ب : « إغاثتهم » .

(٣) ط : « جليس » ، بلجيم ، تحريف .

عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى شُرطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمي ، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة ، وأفشى ذلك إلى عمر بن يزيد ، فقال له عمر : أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تَمُن حصنا بكويفة ، وتدخل من تحتاج إليه ! فوالله لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوفت أن يقتلونا ؛ ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك . ووجه رسولا إلى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن ، فوجته مسلمة عبد الملك ابن بشر بن مروان على البصرة ، وأقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث .

* * *

[ذكر استعمال مسلمة سعيد خدينة على خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجته مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبدالعزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، وهو الذي يقال له سعيد خدينة - وإنما لقب بذلك - فيما ذكر - أنه كان رجلاً ليناً سهلاً متنعماً^(١) ، قدم خراسان على بختيه معلقاً سكيناً في منطقتة^(٢) ، فدخل عليه^(٣) ملك أبلغر، وسعيد متفضل في ثياب مصبغة ، حوله^(٤) مرافق مصبغة ، فلما خرج^(٥) من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خدينية . لمتته سكينية ؛ فلقب خدينة وخدينة هي الدهقانة ربة البيت ، وإنما استعمل مسلمة سعيد خدينة على خراسان لأنه كان ختنه على ابنته ، كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة .

ولما ولي مسلمة سعيد^(٦) خدينة خراسان ، قدم إليها قبل شخوصه سورة ابن الحر من بني دارم ، فقدمها قبل سعيد - فيما ذكر - بشهر ، فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند ، فخرج إليها في خمسة وعشرين رجلاً من أهل بيته ، فأخذ على أمّل ، فأتى بخارى ، فصحبه منها مائتا رجل ، فقدم

(١) ف : « منها » .

(٢) ب : « منطقة » .

(٣) ح : « على » .

(٤) ابن الاثير : « وحوله » .

(٥) ح : « خرجوا » .

(٦) ب : « سعيدا » .

السُّغْد ، وقد كان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدي ، ووليها ثمانية عشر شهراً ، ثم عادوا إلى الصُّلح ، فخطب شعبة أهل السُّغْد ، ووبَّخ سكانها من العرب وعيَّرتهم بالحبُّس ، فقال (١) : ما أرى فيكم جريحاً ، ولا أسمع فيكم أنةً . فاعتذروا إليه بأن جبنوا عاملهم علباء بن حبيب العبدى ، وكان على الحرب . ثم قدم سعيد ، فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري الذين وُلُّوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ، فكلَّمهم فيهم عبد الرحمن بن عبد الله (٢) القشيري ، فقال له سعيد : قد رُفِعَ عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج . قال : فأنا أضمنه ، فضمن عنهم (٣) سبعمائة ألف ، ثم لم يأخذه بها .

١٤١٩/٢

ثم إن سعيداً رفع إليه - فيما ذكر على بن محمد - أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي والقعقاع الأزدي ولُّوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية (٤) ، وعندهم أموال قد اختانوها من فيء المسلمين . فأرسل إليهم ، فحبسهم في قهَّندز مَرَو ، فقيل له : إن هؤلاء لا يؤدُّون إلا أن تبسط عليهم . فأرسل إلى جهم بن زحر ، فحميل على حمار من قهَّندز مَرَو ، فرَّوا به على الفيض بن عمران ، فقام إليه فوجاً أنفه ، فقال له جهم : يا فاسق ، هلا فعلت هذا حين ثَقَوْتَنِي بك سكران قد شربت الخمر ، فضربتك حدًّا ! فغضب سعيد على جهم فضربه مائتي سوط ، فكبر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر ، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فدُفِعُوا (٥) إلى ورقاء بن نصر الباهلي ، فاستغفاه فأعفاه .

١٤٢٠/٢

وقال عبد الحميد بن دثار - أو عبد الملك بن دثار - والزبير بن نسيط مولى باهلة ، وهو زوج أم سعيد خديجة : ولَّنا محاسبتهم ، فولاهم فقتلوا في العذاب جهماً ، وعبد العزيز بن عمرو والمنتجع ، وعذبوا القعقاع وقوماً حتى أشرفوا على الموت . قال : فلم يزلوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السُّغْد ، فأمر سعيد بإخراج

(١) ابن الأثير : « وقال » . (٢) ب : « عبد الله بن عبد الرحمن » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ابن الأثير : « في ثمانية نفر » .

(٥) ب : « فرفعوا » ، ابن الأثير : « فسلموا » .

منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقدم بهم عليه ، فضرب رقابهم ، فقال ثابت قُطْنَةُ (١) حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

ألا يا هند طالَ عليّ ليلي
كأنّي حين حَلَقَتِ الثريا
أمرّ عليّ حُلُو العيش يومٌ
مُصابُ بني أبيكٍ وَغَيْبُ عَنْهُمْ
فلا والله لا أنسى يزيدا
فَعَلَى أَنْ أَبُو بَأَخِيكَ يَوْمًا
وَعَلَى أَنْ أَقْوَدَ الْخَيْلِ شُعْنًا
فَأَصْبِحَهُنَّ حِمِيرَ مَنْ قَرِيبٍ
وَنَسْفِي مَذْحِجًا وَالْحَى كَلْبًا
عشائرتنا التي تبغى علينا
ولولا هم وما جلبوا علينا
وعاد قصيرُهُ ليلا تمامًا
سُقِيَتْ لُعَابَ أَسْوَدٍ أَوْ سَهَامًا
مِنْ الْأَيَّامِ شَيْبِنِي غَلَامًا
فلم أشهدهم ومضوا كراما
ولا القتلى التي قُتِلَتْ حَرَامًا
يزيدًا أو أبوء به هِشَامًا
شَوَازِبَ ضُمْرًا تَقِصُّ الْإِكَامَا
وَعَكًّا أَوْ أَرُغَ بِهِمَا جُدَامَا
مَنْ الذِّيفَانَ أَنْفَاسًا قَوَامَا
تَجْرِبُنَا زَكَأَ عَامًا فَعَامًا
لَأَصْبِحَ وَسَطْنَا مَلِكًا هُمَامَا

وقال أيضًا يرثي يزيد بن المهلب :

أبَى طُولُ هَذَا اللَّيْلِ أَنْ يَتَصَرَّمَا
أَرِقْتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِي أُمُّ خَالِدٍ
عَلَى هَالِكِ هَدِّ الْعَشِيرَةِ فَقَدُهُ
عَلَى مَلِكِ يَأْصَاحِ بِالْعَقْرِ جُبْنَتُ
وَهَاجَ لَكَ الْهَمُّ الْفَوَادِ الْمُتَيْمَمَا
وَقَدْ أَرِقْتُ عَيْنَايَ حَوْلًا مُجْرَمَا
دَعْتَهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ وَسَلَّمَا ١٤١٥/٢
كُتَابِهِ وَاسْتَوْرَدَ الْمَوْتَ مُعْلِمَا

(١) في ابن الأثير : « قطنة ؛ بالنون ؛ وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكي الأزدي ، أصيبت عينه بخراسان ، فجعل عليها قطنة ، فعرف بذلك ؛ وهو يشبه بثابت قطبة ، بالباء الموحدة ، وهو خزاعي ، وذلك عتكي . »

تَسَلَّيْتُ إِنْ لَمْ يَجْمَعِ الْحَيُّ مَاتِمًا
لِطَالِبٍ وَتَرَى نَظْرَةَ إِنْ تَلَوَّمَا
عَلَى ابْنِ أَبِي ذِبْيَانَ أَنْ يَتَنَدَّمَا
نُذِقَكَ بِهَا قَيْءَ الْأَسَاوِدِ مُسَلِّمًا
نُكَافِيئُهُ بِالْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَدَّمَا
إِلَيْنَا وَإِنْ كَانَ ابْنُ مَرْوَانَ أَظْلَمًا
وَأَظْهَرَ أَقْوَامِ حَيَاءٍ مَجْمَعِمًا
إِذَا أُخْصِرَتْ (١) أَسْبَابُ أَمْرٍ وَأَهْمَا
نَرَى الْجَهْلَ مِنْ فَرْطِ اللَّثِيمِ تَكْرُمًا
بِهِ سَاكِنًا إِلَّا الْخَمِيسَ الْعَرَمَرَمًا
إِذَا النَّاسُ لَمْ يَرْعَوْا لَدَى الْجَارِ مَحْرَمًا
إِذَا كَانَ رَفْدُ الرَّافِدِينَ تَجَشُّمًا
عَلَى الطَّلْحِ أَرْمَا كَأَمِنْ الشَّهْبِ صِيمًا
وَهُمْ وَلَدُوا عَوْفًا وَكَعْبًا وَأَسْلَمًا
وَعَادِيَّةً كَانَتْ مِنْ الْمَجْدِ مُعْظَمًا

* * *

[ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان]

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حَرْبِ يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، جَمَعَ لَهُ (٢)
يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلايَةَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةَ وَخُرَّاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَلَمَّا وَلاهُ
يَزِيدُ ذَلِكَ . وَتَى مُسَلِّمَةَ الْكُوفَةَ ذَا الشَّامَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ
أَبِي مَعِيْطٍ . وَقَامَ بِأَمْرِ الْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهَا آلُ الْمُهَلَّبِ - فِيمَا قِيلَ -
شَيْبُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ، فَضَبَطَهَا ، فَلَمَّا ضُمَّتْ إِلَى مُسَلِّمَةَ بَعَثَ عَامِلًا

١٤١٦/٢

١٤١٧/٢

(٢) ابن الأثير : « له أخوه » .

(١) ابن الأثير : « أحضرت » .

١٤١١/٢

وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزانين وبيت المال ؛ فكأنه أراد أن يتأمر عليهم ، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل : أنت أكبرنا وسيّدنا ، وإنما أنت غلام حديث السن كبعض فتیان أهليك ، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كترمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبی في طلب آل المهلب وفي أثر الفل (١) . فأدرك مدرك المفضل بن المهلب . وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم ، فأدركهم في عتقبة ، فعطفوا عليه ، فقاتلوه واشتد قتالهم إياه ، فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعی ومحمد بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث ، وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيراً ، وأخذت سُرّية المفضل العالية ، وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة ، وهرب حتى انتهى إلى حلوان ، فدُلّ عليه ، فقتل وحُمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب ، فطلبوا الأمان ، فأومِنوا ؛ منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدی من تميم ، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد موطنه وأيامه كلها ، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمه وابنة مسلمة تحته - فأمنه ، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتمه قائماً ، فقال : صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونيفار في كل فتنة ، مرّة مع حائك كندة ، ومرّة مع ملاح الأزدي ؛ ما كنت بأهل أن تؤمن ؛ قال : ثم انطلق . وطلب الأمان لمالك بن إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل - وشراحيل يلقب رستم الحضرمي - فلما جاء ونظر إليه ، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرمي : هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، قال له : انطلق ، قال له الحسن : أصلحك الله ! لم تشتمه كما شتمت صاحبه ! قال : أجللتكم عن ذلك ، وكنتم أكرم عليّ من أصحاب الآخر وأحسن طاعة . قال : فإنه أحب إلينا أن تشتمه ، فهو والله أشرف أبا وجدّاً ، وأسوأ أثراً من أهل الشام من الورد بن عبد الله ؛ فكان الحسن يقول بعد أشهر : ما تركه إلا حسداً من أن يعرف

١٤١٢/٢

(١) الفل : الجماعة المهزومون .

صاحبنا ، فأراد أن يُرينا أنه قد حقره . ومضى آل المهلب ومن سقط منهم من الفُلول حتى انتهوا إلى قنடைيل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضب الكلبى فردّه ، وسرح في أثرهم هلال بن أحوز التميمي ، من بنى مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقنடைيل ، فأراد آل المهلب دخول قنடைيل ، فمنعهم وداع بن حميد . وكاتبه هلال بن أحوز ، ولم يباين آل المهلب^(١) فيفارقهم ، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفوا ، كان وداع بن حميد على الميمنة ، وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدى ، فرفع لهم راية الأمان ، فقال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال ، ورفض عنهم الناس فخذوهم . فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء ، فقال له المفضل : أين تريد ؟ قال : أدخل إلى نساتنا فأقتلن ، لئلا يصل إليهن هؤلاء الفساق ، فقال : ويحك ! أتقتل أخواتك ونساء أهل بيتك ! إنا والله ما نخاف عليهن منهم . قال : فردّه عن ذلك ، ثم مشوا بأسيا فهم ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم^(٢) ، إلا أبا عيينة ابن المهلب ، وعثمان بن المفضل فإنهما نَجَّوا ، فلحقا بخاقان ورتبيل ، وبعث بنساتهم^(٣) وأولادهم إلى مسلمة بالحيرة ، وبعث براء وسهم إلى مسلمة ، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك ، وبعث^(٤) بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وهو على حلب ، فلما نُصبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس عبد الملك ، هذا رأس المفضل ، والله لكأنه جالس معي يحدثني .

١٤١٣/٢

وقال مسلمة : لأبيعن ذريتهم وهم في دار الرزق ، فقال الجراح بن عبد الله^(٥) : فأنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك ، فاشترهم منه بمائة ألف ، قال : هاتها ، قال : إذا شئت فخذها ، فلم يأخذ منه شيئا ، ونحى سبيلهم ، إلا تسعة فتية

١٤١٤/٢

- (١) ابن الأثير : « وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب » .
 (٢) أضاف ابن الأثير : « وهم المفضل وعبد الملك وزيد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية ابن يزيد بن المهلب ، والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رموسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسمه »
 (٣) ابن الأثير : « وبعث هلال بن أحوز بنساتهم » .
 (٤) ابن الأثير : « فسيرهم » .
 (٥) بعدها في ابن الأثير : « الحكى » .

في أيديهم^(١) حتى يأخذوا صلحتهم ؛ فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك من كان في أيديهم من الرهائن .

قال : وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلي فنجما لم يقتل ، والأشهب بن عبيد الله الحنظلي ، وميعادهم أن يقاتلوه^(٢) غداً أو يفتحوا القصر ، فبعث المسيب رجلين : رجلاً من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم ، وقال لهم : إذا قرّبتم فشدوا دوابكم بالشجر ، واعلموا علم القوم . فأقبلا في ليلة مظلمة ؛ وقد أجرت^(٣) الترك الماء في نواحي القصر ؛ فليس يصل إليه أحد ، ودنوا من القصر ؛ فصاح بهما الرببة ، فقالا : لا تصبح وادع لنا عبد الملك ابن دثار ، فدعاه فقالا له : أرسلنا المسيب ، وقد أتاكم الغياث ، قال : أين هو ؟ قال : على فرسخين ؛ فهل عندكم امتناع ليلتك وغداً ؟ فقال : قد أجمعنا على تسليم^(٤) نساتنا وتقديمهم للموت أمامنا ؛ حتى نموت جميعاً غداً . فرجعا إلى المسيب ، فأخبراه فقال المسيب للذين معه : إني سائر إلى هذا العدو ، فمن أحب أن يذهب فليذهب ، فلم يفارقه أحد ؛ وبايعوه على الموت .

فسار وقد زاد الماء الذي أجروه حول المدينة^(٥) تحصينا ، فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل ، فأجمع على بياتهم ؛ فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم ، وركب فحثهم على الصبر ، ورغبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب والصبر ، وما لهم في الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا ، وقال لهم : اكتموا^(٦) دوابكم وقودوها^(٧) ، فإذا دنوتم من القوم فاركبوها ، وشدوا شدة صادقة وكبروا . وليكن شعاركم : يا محمد ؛ ولا تتبعوا مولياً ، وعليكم بالدواب فاعقروها ، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشد عليهم منكم ، والقليل الصابر خير من الكثير الفشل ؛ وليست بكم قيلة ، فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله .

(١) ب : « بأيديهم » . (٢) ح : « يقاتلهم » ، ابن الأثير : « يقاتلوا » .

(٣) ب وابن الأثير : « أخذت » .

(٤) ح : « تسليح » ، ابن الأثير : « على تقديم نساتنا إلى الموت » .

(٥) ح : « الذي أحرقه للمدينة » .

(٦) الكمام : شيء يجعل على فم البعير ؛ وكم البعير : شد فاه بالكمام في هياجه لئلا يعض أو يأكل .

(٧) كذا في ب ، وفي ط : « قودوهم » .

قال : وعبأهم وجعل على الميمنة كثير بن الدبوي ، وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قُطْنة ، وساروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك في السحر ، وثار الترك ، وخالط المسلمون العسكر ، فعقروا الدواب ، وصابروهم الترك ، فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا إلى المسيب ، وتبعهم الترك وضربوا عَجْزُ دابة المسيب فترجل رجال من المسلمين ، فيهم البسخري أبو عبد الله المرائي ، ومحمد بن قيس الغنوي - ويقال : محمد بن قيس العنبري - وزياد الأصبهاني ، ومعاوية بن الحجاج ، وثابت قطنة . فقاتل البسخري فقطعت^(١) يمينه ، فأخذ السيف بشماله فقطعت ، فجعل يذبُ بيديه حتى استشهد . واستشهد أيضاً محمد بن قيس العنبري أو الغنوي وشيب بن الحجاج الطائي .

١٤٢٥/٢

قال : ثم انهزم المشركون ، وضرب ثابت قُطْنة عظيماً من عظامهم ، فقتله ، ونادى منادى المسيب : لا تتبعوهم^(٢) ، فإنهم لا يدرون من الرعب ، اتبعتموهم أم لا ! واقصدوا القصر ، ولا تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال ، وتحملوا لا من يقدر على المشي .

وقال المسيب : مَنْ حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حسبةً فأجره على الله ، ومَنْ أبى فله أربعون درهماً ، وإن كان في القصر أحدٌ من أهل عهْدكم فاحملوه . قال : فقصدوا جميعاً القصر ، فحملوا مَنْ كان فيه ، وانتهى رجلٌ من بني فُقيم إلى امرأة ، فقالت : أغشني أغاثك الله ! فوقف وقال : دونك وعجز الفرس ، فوثبت فإذا هي على عَجْزُ الفرس ؛ فإذا هي أفرسٌ من رجل ، فتناول الفقيمي بيد ابنها ، غلاماً صغيراً ، فوضعه بين يديه ، وأتوا ترك خاقان ، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام ، وقال : الحقوا بسمرقند ، لا يرجعوا في آثاركم . فخرجوا نحو سمرقند ، فقال لهم : هل بقي أحد ؟ قالوا : هلال الحريري ، قال : لا أسلمه ، فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة ، فاحتمله ، فبرأ ، ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد .

قال : فرجع الترك من الغد ، فلم يروا في القصر أحداً ، ورأوا

(٢) ط : « تتبعهم » ، وما أثبت من ب .

(١) ب : « حتى قطعت » .

قتلاهم ، فقالوا : لم يكن الذين جاءوا من الإنس ، فقال ثابت قطنة :

فَدَتُ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ
 فَدَتُ نَفْسِي فَوَارِسَ أَكْنَفُونِي عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهَجِ الْقَتَامِ
 بِقَضْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ رَأَوْنِي أَحَامِي حَيْثُ ضَنَّ بِهِ الْمُحَامِي (١)
 بِسِنِي بَعْدَ حَطْمِ الرُّمَحِ قُدَمَا أَذْوَدُهُمْ بَدَى شُطْبِ جُسَامِ
 أَكْرُ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرًّا كَكَرَّ الشَّرْبِ آتِيَةَ الْمُدَامِ
 أَكْرُ بِهِ لَدَى الْغَمْرَاتِ حَتَّى تَجَلَّتْ لَا يَضِيقُ بِهَا مَقَامِي
 فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ وَضَرَبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
 إِذَا لَسَعَتْ نِسَاءُ بَنِي دِثَارِ أَمَامَ التَّرِكِ بَادِيَةَ الْخِدَامِ !
 فَمَنْ مِثْلُ الْمَسِيبِ فِي تَمِيمِ أَبِي بَشِيرٍ كَقَادِمَةِ الْحَمَامِ

وقال جرير يذكر المسيب :

لَوْلَا حِمَايَةُ يَرْبُوعِ نِسَاءِكُمْ كَانَتْ لَغَيْرِكُمْ مِنْهُنَّ أَطْهَارُ (٢)
 حَامِي الْمَسِيبُ وَالْخَيْلَانُ فِي رَهَجِ إِذْ مَازَنُ ثُمَّ لَا يُحْمَى لَهَا جَارُ (٣)
 إِذْ لَا عِقَالُ يُحَامِي عَنْ ذِمَارِكُمْ وَلَا زُرَّارَةٌ يَحْمِيهَا وَوَزَارُ

قال : وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وشلت يده ، وقد كان ولي ولاية قبيل سعيد ، فخرج عليه شيء مما كان بقي عليه ، فأخذ به . فدفعه سعيد إلى شداد بن خليل الباهلي ليحاسبه ويستأديه (٤) فضيق عليه شداد ، فقال : يا معشر قيس ، سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش ، حديد البصر ؛ فعورت وشلت يدي ، وقاتلت مع من قاتل

(١) ابن الأثير : « حيث ضربه » .

(٢) ديوانه ١٩٨ .

(٣) الديوان : « أزمان شبة لا يحى ونمار » .

(٤) ابن الأثير : « ويستأذنه » .

حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا^(١) على القتل والأسر والسبي ، وهذا^(٢) صاحبكم يصنع بي ما يصنع^(٣) ، فكفُّوه عني ، فخلَّاه .

قال : وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر الباهلي قال : كنا في القصر ، فلما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من هماتهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل .

١٤٢٨/٢

. . .

[ذكر الخبر عن غزو سعيد خدينة السُّغْد]

وفي هذه السنة قطع سعيد خدينة نهر بلخ وغزا السُّغْد^(٤) ، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين .

• ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة :

وإن سبب غزو^(٥) سعيد هذه الغزوة - فيما ذكر - أن الترك عادوا إلى السُّغْد ، فكلم الناس سعيداً وقالوا : تركت الغزو ، فقد أغار الترك ، وكفر أهل السُّغْد ، فقطع النهر ، وقصد لاسغند ، فلقية الترك وطائفة من أهل السُّغْد فهزمهم المسلمون ، فقال سعيد : لا تتبعوهم ؛ فإن السُّغْد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتوهم ؛ أفتريدون بوارهم ! وقد قاتلم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم^(٦) !

وسار المسلمون ، فانتهوا إلى وادٍ بينهم وبين المرج ، فقال عبد الرحمن ابن صبح : لا يقطن هذا الوادي مجفف ولا راجل ، وليعبر من سواهم . فعبروا^(٧) ، ورأتهم الترك ، فأكنوا كميناً ، وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم ، فأنحاز الترك فاتبعوهم حتى جازوا الكمين ، فخرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي ، فقال لهم عبد الرحمن بن صبح : سابقوهم ، ولا تقطعوا فإنكم إن قطعتم أبادوكم . فصبروا لهم حتى انكشفوا عنهم ، فلم يتبعوهم ، فقال

١٤٢٩/٢

(١) ب وابن الأثير : « ما أشرفوا » .

(٢) ب : « فهذا » .

(٣) ح : « صنع » .

(٤) ب وابن الأثير : « الصغد » .

(٥) ح : « غزوة » .

(٦) ابن الأثير : « أبادوكم » .

(٧) ب : « فساروا » .

قوم : قُتِلَ يومئذ شعَبة بن ظُهَير وأصحابه ، وقال قوم : بل انكشف الترك منهم يومئذ منهزمين ، ومعهم جمع من أهل السُّغد . فلما كان الغد ، خرجت مسلحة للمسلمين - والمسلحة يومئذ من بني تميم - فما شعروا إلا بالترك معهم ، خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بني تميم شعبة بن ظُهَير ، فقاتلهم شعبة فقتل ؛ أعجلوه عن الركوب . وقتل رجل من العرب ، فأخرجت جاريتته حينئذ ، وهي تقول : حتى متى أعدّ لك مثل هذا الخضاب ، وأنت مختضب بالدم ! مع كلام كثير ، فأبكت أهل العسكر . وقتل نحو من خمسين رجلاً ، وانهزم أهلُ المسلحة ، وأتى الناس الصريخ ، فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوي : كنت أنا أول من أتاهم لما أتانا الخبر ، وتحتي فرس جواد ، فإذا عبد الله بن زهير إلى جنب شجرة كأنه قُنفذ من الشباب ؛ وقد قتل ، وركب الخليل بن أوس العبشمي - أحد بني ظالم ، وهو شاب - ونادى : يا بني تميم ، أنا الخليل ؛ إلى ! فانضمت^(١) إليه جماعة - فحمل بهم على العدو ، فكفّوهم ووزعوهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة ، فانهزم العدو ، فصار الخليل على خيل بني تميم يومئذ ، حتى ولي نصر بن سيار ؛ ثم صارت رياسة بني تميم لأخيه الحكم بن أوس .

١٤٢٠/٢ وذكر علي بن محمد، عن شيوخه؛ أن سورة بن الحرّ قال لحَيَّان : انصرف يا حيَّان ، قال : عقيرة الله أدعُها وأنصرف قال : يا نبطي قال : أنبط الله وجهك !

قال : وكان حيَّان النبطي يكنى في الحرب أبا الهَيَّاج ، وله يقول الشاعر :

إِنَّ أبا الهَيَّاجَ أَرِيحِيٌّ لِلرَّيْحِ فِي أَثْوَابِهِ دَوِيٌّ

قال : وعبر سعيد النهر مرتين ، فلم يجاوز سمرقند ، نزل في الأولى بإزاء العدو ، فقال له حيَّان مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني : أيها الأمير ، ناجز أهل السُّغد ، فقال : لا ، هذه بلاد أمير المؤمنين ، فرأى دخاناً ساطعاً ، فسأل عنه فقيل له : السُّغد قد كفروا ومعهم بعض الترك . قال : فناوشهم ، فانهزموا

(١) ابن الأثير : « فاجتمع » .

فألحوا في طلبهم ، فنادى منادى سعيد : لا تطلبوهم ؛ إنما السغد بستان
 أمير المؤمنين ، وقد هزمتوهم ، أفتريدون بوارهم ا وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم
 أمير المؤمنين غير مرة ، فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع ، فلما كان العام المقبل
 بعث رجالاً من بنى تميم إلى ورغستر ، فقالوا : ليتنا نلقى العدو فنطاردهم
 — وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا^(١) وسبوا ردّ فرارى السبي
 وعاقب السرية ، فقال المهجري وكان شاعراً :

سريت إلى الأعداء تلهو بلعبة وأبرك مسلولٌ وسيفك مُغمدٌ ١٤٣١/٢
 وأنت لمن عاديت عرس خفية وأنت علينا كالحسام المهند
 فله در السغد لما تحزبوا^(٢) ويا عجباً من كيدك المتردد!

قال : فقال سورة بن الحر لسعيد — وقد كان حفظ عليه ، وحقد عليه
 قوله : «أنبط الله وجهك» — : إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال ، وهو
 أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم ، وهو واثب بك ، مفسد عليك خراسان ؛
 ثم يتحصن^(٣) في بعض هذه القلاع . فقال : يا سورة^(٤) لا تسمعن هذا
 أحداً . ثم مكث أياماً ، ثم دعا في مجاسه بلبن ، وقد أمر بذهب فسحق ،
 وألقى في إناء حبان فشربه ، وقد خلط بالذهب ، ثم ركب ، فركب الناس أربعة
 فراسخ إلى باركث ؛ كأنه يطلب عدواً ، ثم رجع فعاش حبان أربعة أيام ومات
 في اليوم الرابع ، فثقل سعيد على الناس وضعفهوه ، وكان رجل من بنى أسد
 يقال له إسماعيل منقطعا إلى مروان بن محمد ، فدكر إسماعيل عند خذينة
 ومودته لمروان ، فقال سعيد : وما ذاك المِلَط ! فبجاه إسماعيل ، فقال :

زَعَمْتُ خُذِينَةً أَنْنِي مِلَطٌ.^(٥) لِيُخْذِينَةَ الْمَرَاةَ وَالْمُشْطُ.
 وَمَجَامِرٌ وَمَكَا حِلٌّ جُعَلَتْ وَمَعَارِزٌ وَيُخْذِيهَا نَقَطُ.

(١) ابن الأثير : « أوغنموا » .

(٢) ح : « تحربوا » .

(٣) ب : « نتحصن » .

(٤) ابن الأثير : « فقال سعيد : لا أسمعن هذا أحداً » .

(٥) المِلَط : الذي لا يعرف له نسب ولا أب .

أَفْذَاكَ أَمْ زَغَفٌ مُضَاعَفَةٌ وَمُهَنْدٌ مِنْ شَأْنِهِ الْقَطُّ.
 لِمُقَرِّسٍ ذَكَرٍ أَخِي ثِقَّةٌ (١) لَمْ يَغْذُهُ التَّأْنِيثُ وَاللَّقَطُّ.
 أَغْضِبْتَ أَنْ بَاتَ ابْنُ أُمَّكُمْ بِهِمْ وَأَنْ أَبَاكُمْ سَقَطُ.
 إِنِّي رَأَيْتُ نِبَالَهِمْ كُسَيْتٌ رِيشَ اللُّوَامِ وَنَبْلَكُمْ مُرْطُ
 وَرَأَيْتُهُمْ جَعَلُوا مَكَاسِرَهُمْ عِنْدَ النَّدَى وَأَنْتُمْ خِلْطُ.

• • •

[عزل مسلمة عن العراق وخراسان]

وفي هذه السنة عَزِلَ مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام .

• ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك :

وكان سبب ذلك - فيما ذكره علي بن محمد - أن مسلمة لما ولي ما ولي من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً ، وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحيا منه ، وكتب إليه أن استخلف على عملك ، وأقبل .

وقد قيل إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره ، فقال له : أمن (١) شوق بك إليه ! إنك لطرُوب ، وإن عهدك به لقريب ، قال : لا بد من ذلك ، قال : إذا لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالي عليه ، فشخص ؛ فلما بلغ دُورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس (٢) من دواب البريد ، فدخل عليه ابن هبيرة ، فقال : إلى أين يا ابن هبيرة ؟ فقال : وجتني أمير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب . فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه ، فقال : هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى ، قال : قد أنبأتك ، قال : فإنه إنما وجتني حيازة أموال بني المهلب ، قال : هذا (٣) أعجب من الأول ؛ يصرف عن الجزيرة ، ويوجه في حيازة أموال

(١) ف : « من » .

(٢) ح : « في خمسين » .

(٣) ب : « فإن هذه » .

بنى المهلب ، قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق :

رَاحَتِ بِمَسْلَمَةَ الرَّكَّابُ مُودَّعَا فَارَعَى فَزَارَةَ لَا هُنَاكَ الْمَرْتَعُ^(١)
عُزَلَ ابْنُ بَشِيرٍ وَابْنُ عَمْرٍو قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ^(٢)
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَكُنْ فَزَارَةَ أُمِّرْتُ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ مَا هُمُ وَلِمِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ مَا نَالَتْ فَزَارَةُ يَطْمَعُ^(٣)

يعنى^(٤) بابت بشر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وابت عمرو محمدا ذا الشامة بن عمرو بن الوليد ، وابت هراة سعيدا خذينة بن عبد العزيز ، كان عاملا لمسلمة على خراسان .

١٤٣٤/٢

وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية ، فهزمهم وأسر منهم بشراً كثيراً قيل سبعمائة أسير .

• • •

ع

[بدء ظهور الدعوة]

وفيهما وجه — فيما ذكر ميسرة — رسالته من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة^(٥) بها ، فجاء رجل من بني تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي إلى سعيد خذينة ، فقال له : إن ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح ، فبعث إليهم سعيد ، فأتى بهم ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : أناس من التجار ؟ قال : فما هذا الذي يحكى عنكم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : جئتم دعاء ؟ فقالوا :

(١) ديوانه ٥٠٩ ، وفيه : « ومضت لمسلمة » .

(٢) الديوان : « نزع ابن بشر » .

(٣) موضعه في الديوان :

إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ دَنَتْ أَشْرَاطُهَا حَتَّى أُمِّيَّةٌ عَنْ فَزَارَةَ تَنْزَعُ

(٥) ب : « فظهر أمر الدعاء » .

(٤) ف : « ويعنى » .

إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا ، فقال : مَنْ يعرف هؤلاء ؟ فجاء أناس من أهل خراسان ، جلدتهم ربيعة واليمن ، فقالوا : نحن نعرفهم ، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه ، فخلت سبيلهم .

• • •

[ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية]

وفيها - أعني سنة اثنتين ومائة - قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها . ١٤٣٥/٢
• ذكر الخبر عن سبب قتله :

وكان سبب ذلك أنه كان - فيما ذكر - عزم أن يسير بهم^(١) بسيرة الحججاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأنصار ، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة ، فأسلم بالعراق ممن ردهم إلى قراهم^(٢) ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم^(٣) على ذلك تأمروا في أمره ، فأجمع^(٤) رأيهم - فيما ذكر - على قتله فقتلوه ، وولوا على أنفسهم الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم ؛ وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ؛ ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى^(٥) الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملا . فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، وأقر محمد بن يزيد على إفريقية .

• • •

وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن مُعَيَّة بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة على العراق وخراسان .
وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدي .

(١) ب وابن الأثير : « فيهم » . (٢) ف : « قرارهم » .

(٣) ح : « عزموا » ، ابن الأثير : « فلما عزم يزيد » .

(٤) ب : « وأجمع » . (٥) ب وابن الأثير : « يرضاه » .

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضحّاك ، وعلى مكة عبد العزيز
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة ،
وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى البصرة
عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعلى خراسان سعيد خذينة ، وعلى مصر أسامة
ابن زيد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[عزل سعيد خدينة عن خراسان]

فِيمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ عَزَلَ عُمَرَ بْنَ هَبِيرَةَ سَعِيدَ خُدَيْنَةَ عَنْ خِرَاسَانَ ،
وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ عَنْهَا - فِيهَا ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَشْيَاخِهِ - أَنَّ الْمُجَشَّرَ بْنَ
مُزَاهِمَ السُّلَمِيِّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَيْرِ اللَّيْثِيِّ قَدِمَا عَلَى عُمَرَ بْنِ هَبِيرَةَ ، فَشَكَّوَاهُ
فَعَزَلَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ وَقْدَانَ بْنَ
الْحَرِيشِ (١) بْنَ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَخُدَيْنَةَ غَازٍ (٢) بِبَابِ
سَمَرْقَنْدٍ ، فَبَلَغَ النَّاسَ عَزْلَهُ ، فَقَفَلَ خُدَيْنَةَ ، وَخَلَّفَ بِسَمَرْقَنْدٍ أَلْفَ فَارِسٍ ،
فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ :

فَمَنْ ذَا مُبْلَغٌ فَتِيَانِ قَوْمِي (٣) بَأَنَّ النَّبْلَ رِيشتُ كُلِّ رَيْشِ

بَأَنَّ اللَّهَ أَبَدَلَ مِنْ سَعِيدٍ سَعِيدًا لَا الْمُخَنَّثَ مِنْ قَرَيْشِ

قَالَ : وَلَمْ يَعْضُ سَعِيدُ الْحَرَشِيُّ لِأَحَدٍ مِنْ عَمَالِ خُدَيْنَةَ ، فَقَرَأَ رَجُلٌ
عَهْدَهُ فَلَحَنَ فِيهِ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : صِهْ ، مَهْمَا سَمِعْتُمْ فَهُوَ مِنَ الْكَاتِبِ ، وَالْأَمِيرِ
مِنْهُ بَرِيءٌ ، فَقَالَ الشَّاعِرُ يَضَعُفُ الْحَرَشِيُّ فِي هَذَا الْكَلَامِ :

تَبَدَّلْنَا سَعِيدًا مِنْ سَعِيدٍ لَجَدَّ السُّوءِ وَالْقَدْرِ الْمُتَاحِ

• • •

قَالَ الطَّبْرِيُّ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ فَفَتَحَ مَدِينَةَ (٤)
بِقَاتِلِهَا رِسْلَةَ .

وَفِيهَا أَغَارَتِ التُّرُكُ عَنِ اللَّانِ .

(١) ب : « فدان بن الحریش » . (٢) ابن الأثير : « كان » .

(٣) ب وابن الأثير : « فهل من مبلغ » . (٤) بعد ما في ف : « منها » .

وفيها ضمت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، فجمعت له مع المدينة .

وفيها ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري ، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة .

وفيها أمر عبد الرحمن بن الضحاك أن يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المري ، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، كذلك قال أبو معشر والواقدي .

١٤٣٨/٢

وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك ، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري^(١) . وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشي من قبيل عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى .

• • •

[استعمال ابن هبيرة سعيداً الحرشي على خراسان]

وفيها استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان .

* ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشي على خراسان :

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولي العراق ، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلت يوم العقر ، ولم يذكر الحرشي ، فقال يزيد بن عبد الملك : لم لم يذكر الحرشي ؟ فكتب إلى ابن هبيرة : ول الحرشي خراسان . فولاه ، فقدم الحرشي على مقدمته المجشر بن مزاحم السلمي سنة ثلاث ومائة ، ثم قدم الحرشي خراسان ، والناس بإزاء العدو ، وقد كانوا نكبوا ، فخطبهم وحشهم على الجهاد ، فقال : إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة

(١) ب : « البصري » ، ف : « النضري » .

ولا بعدة ، ولكن بنصر الله وعز الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .
وقال :

فَلَسْتُ لِعَامرٍ إِنْ لَمْ تَرُونِي أَمَامَ الْخَيْلِ أَطَعَنْ بِالْعَوَالِي (١)
فَأَضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ بَعْضُ الْحَدُودِ بِالصَّقَالِ (٢)
فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوَلَةَ الرَّجَالِ
أَبِي لِي وَالِدِي مِنْ كُلِّ دَمٍ وَخَالِي فِي الْحَوَادِثِ خَيْرُ خَالِ
إِذَا خَطَرَتْ أُمَامِي حَيْ كَعْبُ وَزَافَتْ كَالْجِبَالِ بَنُو هِلَالِ

* * *

[ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة]

وفي هذه السنة ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو
الخرشي فلحقوا بفرغانة ، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين .

• ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة :

ذكر علي بن محمد عن أصحابه ، أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام
خزينة ، فلما وليهم الخرشى خافوا على أنفسهم ، فأجمع عظماءهم على
الخروج عن بلادهم ، فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا ، أقيموا واحملوا إليه خراج
ما مضى ، واضمنوا له خراج ما تستقبلون ، واضمنوا له عمارة أرضيكم (٣) والغزو
معه إن أراد ذلك ، واعتذروا بما كان منكم ، وأعطوه رهائن يكونون في يديه .
قالوا : نخاف ألا يرضى ، ولا يقبل منا ، ولكننا نأتي خجسندة ، فنستجير
ملكها ، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا ، ونوثق له ألا يرى أمراً
يكبره ، فقال : أنا رجل منكم ، وما أشرتُ به عليكم كان خيراً لكم ، فأبوا ،
فخرجوا إلى خجسندة ، وخرج كارزنج وكشيين وبيسارمكث وثابت بأهل
إشتيخن ، فأرسلوا إلى ملك فرغانة الطار يسألونه أن يمنعهم وينزلهم

(١) ابن الأثير : « نطن » . (٢) حودت ، أي جل .

(٣) ح : « أرضكم » ، ابن الأثير : « الأرض » .

مدينته. فهم أن يفعل ، فقالت له أمه : لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ، ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه ، فأرسل إليهم : سموا لي رستاقا (١) أفرغه لكم ، وأجلوني أربعين يوماً - ويقال : عشرين يوماً - وإن شتمت فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلي - وكان قتيبة خلفه فيهم - فقبلوا شعب عصام . فأرسلوا إليه (٢) : فرغه لنا ، قال : نعم ، وليس لكم علي (٣) عقد ولا جوار حتى تدخاوه : وإن أتتكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعكم ، فرضوا ؛ ففرغ لهم الشعب .

وقد قيل : إن ابن هبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا ، ويستعمل عليهم من أحبوا ، فأبوا وخرجوا إلى خجسندة وشعب عصام من رستاق أسفرة - وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بلاذا ، وببلاذا أبو جور ملكها .

وقيل : قال لهم كارزنج : أخصركم ثلاث خصال ، إن تركتموها هلكتم : إن سعيداً فارس العرب ، وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري (٤) في حماة أصحابه ، فبيتهوه فاقتلوه ؛ فإن الحرشي إذ أتاه خبره لم يغزكم ، فأبوا عليه ، قال : فاقطعوا نهر الشاش ، فسلوهم ماذا تريدون ؟ فإن أجابوكم وإلا مضيتم إلى سوياب ، قالوا : لا ، قال : فأعطوهم .

قال : فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قبي ، وأبار بن ماخنون وثابت بأهل إشتيخن . وارتحل أهل بياركت وأهل سسكت بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزماجن ، فارتحل الديواشي بأهل بسنجيكث إلى حصن أبغزر ، ولحق كارزنج وأهل السغد بخجسندة .

تم الجزء السادس من تاريخ الطبرى

وبليه الجزء السابع ، وأوله : ذكر حوادث سنة أربع ومائة

(١) بعدها في ابن الأثير : « تكونون فيه حتى » ، (٢) ب : « وقالوا له » .
(٣) ح : « عنى » . (٤) ب ، ح : « القشري » .

فهرس الموضوعات

السنة السادسة والستون

- ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة . ٥ - ٣٨
ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة . ٣٨ - ٦٦
ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة . ٦٦ - ٧١
ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكفر بابن الزبير . ٧١ - ٧٥
ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج . ٧٥ - ٧٧
ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان . ٧٧ - ٨٠
شخص إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد . ٨١ - ٨٢
ذكر أمر الكرسي الذي كان المختار يستنصر به . ٨٢ - ٨٥

• • •

السنة السابعة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . ٨٦
خبر مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام . ٨٦ - ٩٢
ذكر الخبر عن عزل القبايع عن البصرة . ٩٣
ذكر خبر قتل مصعب اختار بن أبي عبيد . ٩٣ - ١١٦
خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب . ١١٧ - ١١٨
أخبار متفرقة . ١١٨

• • •

السنة الثامنة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجلييلة ١١٩
- ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق ١١٩ - ١٢٧
- ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحرّ ١٢٨ - ١٣٨
- أخبار متفرقة ١٣٨ ، ١٣٩

.

السنة التاسعة والستون

- ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو ١٤٠ - ١٤٨
- أخبار متفرقة ١٤٨ ، ١٤٩

.

السنة السبعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ١٥٠

.

السنة الحادية والسبعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ١٥١
- خبر مسير عبد الملك بن مروان لحرب مصعب بن الزبير ثم قتله ١٥١ - ١٦٢
- ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة ١٦٢ - ١٦٥
- ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة ١٦٥ ، ١٦٦
- خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب ١٦٦

.

السنة الثانية والسبعون

١٧٣ - ١٦٨ . . .	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجلية
١٧٤ . . .	خروج أبي فديك الخارجي وغلبته على البحرين .
١٧٥ . ١٧٤ . . .	خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير .
١٧٨ - ١٧٦ . . .	أمر عبد الله بن خازم السلمي مع عبد الملك
١٧٩ . ١٧٨ . . .	فصل في ذكر الكتاب من بدء أمر الإسلام
١٧٩ . . .	أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم .
١٨٦ - ١٧٩ . . .	أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة . . .

. . .

السنة الثالثة والسبعون

١٨٧ . . .	ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجلية
١٩٣ - ١٨٧ . . .	خبر مقتل عبد الله بن الزبير . . .
١٩٤ . ١٩٣ . . .	أخبار متفرقة . . .

. . .

السنة الرابعة والسبعون

١٩٥ . . .	ذكر ما كان فيها من الأعمال الجلية
١٩٩ - ١٩٥ . . .	ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة . . .
٢٠١ - ١٩٩ . . .	عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها
٢٠٢ ، ٢٠١ . . .	أخبار متفرقة . . .

. . .

السنة الخامسة والسبعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٠٢
- ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها ٢٠٢ - ٢٠٩
- ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة ٢١٠ - ٢١١
- نبي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز ٢١١ - ٢١٥
- ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنة ٢١٥

. . .

السنة السادسة والسبعون

- ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه ٢١٦ - ٢٢٣
- خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجاج ٢٢٤ - ٢٥٦
- نقش الدراهم والدنانير بأمر عبد الملك بن مروان ٢٥٦
- أخبار متفرقة ٢٥٦

. . .

السنة السابعة والسبعون

- محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما ٢٥٧ - ٢٦٧
- ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية ٢٦٧ - ٢٧٩
- ذكر الخبر عن مهلك شبيب ٢٧٩ - ٢٨٤
- خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك ٢٨٤ - ٣٠٠
- ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة ٣٠٠ - ٣٠٨
- ذكر الخبر عن هلاك قطرى وأصحابه ٣٠٨ - ٣١١

ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد . ٣١١ - ٣١٧

أخبار متفرقة ٣١٧ ، ٣١٨

• • •

السنة الثامنة والسبعون

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجلييلة . ٣١٧

ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان

وذكر السبب في توليته من ولاه ذلك وشيئاً منه . ٣١٧ - ٣٢١

أخبار متفرقة ٣٢١

• • •

السنة التاسعة والسبعون

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجلييلة . ٣٢٢

ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبي بكره رُتبيل . ٣٢٢ - ٣٢٤

أخبار متفرقة ٣٢٤

• • •

السنة الثمانون

ذكر الأحداث الجلييلة التي كانت في هذه السنة . ٣٢٥

ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر ٣٢٥ ، ٣٢٦

تسير الجنود مع ابن الأشعث إلى رُتبيل ٣٢٦ - ٣٢٩

أخبار متفرقة ٣٢٩ ، ٣٣٠

• • •

السنة الحادية والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٣٠
- ذكر الخبر عن مقتل بخير بن ورقاء بخراسان ٣٣٠ - ٣٣٤
- ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجاج ٣٣٤ - ٣٤١
- أخبار متفرقة ٣٤١

.

السنة الثانية والثمانون

- ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث ٣٤٢
- ذكر خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية ٣٤٢ - ٣٤٥
- وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث ٣٤٦ - ٣٥٠
- ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب ٣٥٠ - ٣٥٢
- ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كيسان ٣٥٢ ، ٣٥٣
- ذكر خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة ٣٥٤ ، ٣٥٥
- أخبار متفرقة ٣٥٥ ، ٣٥٦

.

السنة الثالثة والثمانون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٣٥٧
- خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم ٣٥٧ - ٣٦٥
- هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن ٣٦٦ - ٣٨٣
- ذكر خبر بناء مدينة واسط ٣٨٣ ، ٣٨٤
- أخبار متفرقة ٣٨٤

السنة الرابعة والثمانون

٣٨٥	ذكر ما كان فيها من الأحداث
٣٨٦ ، ٣٨٥	خبر قتل الحجاج أيوب بن القيرية
٣٨٨ — ٣٨٦	خبر فتح قلعة نيزك بباذغيس
٣٨٨	أخبار متفرقة

• • •

السنة الخامسة والثمانون

٣٨٩	ذكر ما كان فيها من الأحداث
٣٩٣ — ٣٨٩	خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
٣٩٧ — ٣٩٣	عزل يزيد بن المهلب عن خراسان
٣٩٨ ، ٣٩٧	غزو المفضل باذغيس وأخرون
٤١٢ — ٣٩٨	خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمد
٤١٣ ، ٤١٢	عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز
٤١٦ — ٤١٣	خبر موت عبد العزيز بن مروان
٤١٧ ، ٤١٦	بيعة عبد الملك لابنيه : الوليد ثم سليمان
٤١٧	أخبار متفرقة

• • •

السنة السادسة والثمانون

٤١٨	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤١٨	خبر وفاة عبد الملك بن مروان
٤١٩	ذكر الخبر من مبلغ سنة يوم توفي .

٤١٩	ذکر نسبه وكنيته
٤٢٢ - ٤١٩	ذکر اولاده وأزواجه
٤٢٣	خلافة الوليد بن عبد الملك .
٤٢٤	ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبيل الحجاج
٤٢٦ - ٤٢٤	ذکر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة
٤٢٦	أخبار متفرقة

.

السنة السابعة والثمانون

٤٢٧	ذکر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤٢٨ . ٤٢٧	خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة
٤٢٩ . ٤٢٨	خبر صلح قتيبة ونيزك
٤٢٩	خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم
٤٣٣ - ٤٢٩	خبر غزو قتيبة ببيكنند
٤٣٣	أخبار متفرقة

.

السنة الثامنة والثمانون

٤٣٤	ذکر ما كان فيها من الأحداث
٤٣٤	خبر فتح حصن طوانة من بلاد الروم
٤٣٦ . ٤٣٥	ذکر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
٤٣٧ . ٤٣٦	ذکر غزو قتيبة نومشكت وراميشنه
٤٣٧	ذکر ما عمل الوليد من المعروف
٤٣٨ . ٤٣٧	أخبار متفرقة

السنة التاسعة والثمانون

٤٣٩	ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها
٤٣٩	خبر غزو مسلمة أرض الروم
٤٤٠ ، ٤٣٩	خبر غزو قتيبة بخارى
٤٤٠	خبر ولاية خالد القسري على مكة
٤٤١	أخبار متفرقة

.

السنة التسعون

٤٤٢	ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها
٤٤٤ — ٤٤٢	خبر فتح بخارى
٤٤٥	خبر صلح قتيبة مع السفد
٤٤٧ — ٤٤٥	غدر نيزك
٤٤٧	خبر فتح الطالقان
٤٥٣ — ٤٤٨	هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحججاج

.

السنة الحادية والتسعون

٤٥٤	ذكر ما كان فيها من الأحداث
٤٦١ — ٤٥٤	تتمة خبر قتيبة مع نيزك
٤٦٤ — ٤٦١	خبر ولاية قتيبة شومان وكيس ونسف
٤٦٥ ، ٤٦٤	ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة
٤٦٧ — ٤٦٥	أخبار متفرقة

.

السنة الثانية والتسعون

٤٦٨	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٤٦٨	فتح الأندلس

. . .

السنة الثالثة والتسعون

٤٦٩	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٤٧٢ - ٤٦٩	صلح قتيبة ملك خوارزم شاة وفتح خام جرد
٤٨١ - ٤٧٢	غزو قتيبة سمرقند ثم فتحها
٤٨١	فتح طليطلة
٤٨٢ ، ٤٨١	ذكر خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز
٤٨٢	أخبار متفرقة

. . .

السنة الرابعة والتسعون

٤٨٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤٨٥ - ٤٨٣	غزو قتيبة الشاش وفرغانة
٤٨٧ - ٤٨٥	ولاية عثمان بن حيان المرى على المدينة
٤٩١ - ٤٨٧	ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير
٤٩١	أخبار متفرقة

. . .

السنة الخامسة والتسعون

٤٩٢	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٤٩٣ ، ٤٩٢	بقية الخبر عن غزو الشاش
٤٩٤ ، ٤٩٣	أخبار متفرقة

. . .

السنة السادسة والتسعون

٤٩٥	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٤٩٦ ، ٤٩٥	ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك
٤٩٩ - ٤٩٦	ذكر الخبر عن بعض سيره
٥٠٤ - ٥٠٠	فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين
٥٠٦ ، ٥٠٥	خلافة سليمان بن عبد الملك
٥٢٢ - ٥٠٦	خبر مقتل قتيبة بن مسلم
٥٢٣ ، ٥٢٢	أخبار متفرقة

. . .

السنة السابعة والتسعون

٥٢٤	ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث
٥٢٩ - ٥٢٤	ولاية يزيد بن المهلب على خراسان
٥٢٩	أخبار متفرقة

. . .

السنة الثامنة والتسعون

٥٣٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٥٣١ ، ٥٣٠	خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية
٥٣٢ ، ٥٣١	مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للعهد
٥٤١ - ٥٣٢	غزو جرجان وطبرستان
٥٤٥ - ٥٤١	فتح جرجان
٥٤٥	أخبار متفرقة

. . .



السنة التاسعة والتسعون

- ٥٤٦ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٥٤٦ ذكر الخبر عن وفاة سليمان بن عبد الملك
٥٤٩ ، ٥٤٨ ذكر الخبر عن بعض سيره
٥٥٣ - ٥٥٠ خلافة عمر بن عبد العزيز .
٥٥٤ ، ٥٥٣ أخبار متفرقة

. . .

السنة المائة

- ٥٥٥ ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها
٥٥٦ ، ٥٥٥ خبر خروج شوذب الخارجي
٥٥٨ - ٥٥٦ خبر القبض على يزيد بن المهلب .
٥٦٠ - ٥٥٨ عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان
ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن
٥٦٢ ، ٥٦١ نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان
٥٦٢ أول الدعوة .
٥٦٣ أخبار متفرقة

. . .

سنة إحدى ومائة

- ٥٦٤ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٥٦٥ ، ٥٦٤ خبر خروج يزيد بن المهلب من سجنه
٥٦٦ ، ٥٦٥ خبر وفاة عمر بن عبد العزيز
٥٧٠ - ٥٦٦ ذكر بعض سيره
٥٧٣ - ٥٧٠ زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر .

- ٥٧٥ ، ٥٧٤ خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان
 ٥٧٨ - ٥٧٥ مقتل شوذب الخارجي
 ٥٨٩ - ٥٧٨ خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك
 ٥٨٩ أخبار متفرقة

. . .

سنة اثنتين ومائة

- ٥٩٠ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٦٠٤ - ٥٩٠ ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب
 ٦٠٥ ، ٦٠٤ خبر ولاية مسلمة على العراق وخراسان
 ٦٠٦ - ٦٠٥ خبر استعمال مسلمة سعيد خدينة على خراسان
 ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه التوقفة
 وكيف كانت
 ٦١٢ - ٦٠٧
 ٦١٥ - ٦١٢ ذكر الخبر عن غزو سعيد خدينة السغد
 عزل مسلمة عن العراق وخراسان
 ٦١٦ ، ٦١٥
 ٦١٧ ، ٦١٦ بدء ظهور الدعوة
 ٦١٧ ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية
 ٦١٨ ، ٦١٧ أخبار متفرقة

. . .

سنة ثلاث ومائة

- ٦١٩ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٦١٩ عزل سعيد خدينة عن خراسان
 ٦٢٠ ، ٦١٩ أخبار متفرقة
 ٦٢١ ، ٦٢٠ استعمال ابن هبيرة سعيد بن عمر الحرشي على خراسان
 ٦٢٢ ، ٦٢١ خبر ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة

كتاب التلخيص في معرفة النجوم

الجزء الثاني

كتاب التلخيص في معرفة النجوم

الجزء الثاني

الجزء الثاني